الجديد في تاريخ دولة وحضارة

سبأ وحِمْيَر

(معالم تاريخ اليمن الحضاري عبر ٩٠٠٠ سنة)

تأليف
محمد حسين الفرح

المجلد الثاني

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

SANA'A 2004
صنعاء عاصمة للثقافة العربية 2004
Sana'a 2004 the arab cultural capital

نبذة عن المؤلف:

محمد حسين الفرح (١٩٥٤-٢٠٠٥م) هو "محمد بن حسين بن محمد بن قائد بن سعد بن محسن بن محمد بن محمد بن محسن بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن علي الفرح".

محمد حسين الفرح من آل الفرح بقرية الأجلب منطقة عمار بمحافظة إب. أنهى دراسته الثانوية بصنعاء عام ١٩٧٦م وتخرج من جامعة صنعاء كلية الشريعة والقانون بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف في مايو ١٩٨١م. تولى منصب مدير عام التعاونيات والجمعيات بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل من عام ١٩٧٧- ١٩٨٦م، ثم مدير عام الوحدات الإدارية والعمل الشعبي برئاسة الوزراء إلى عام ١٩٩٣م ورئاسة الفريق الفني باللجنة العليا للانتخابات عام ٩٢-٩٣م وعام ١٩٩٧م. ثم عين (مستشاراً للجنة العليا للانتخابات بدرجة وزير) بموجب القرار الجمهوري رقم ٢٨٣ في ٨/٨/١٩٩٩م. حصل على وسام التعاون من رئيس الجمهورية العربية اليمنية في ٢٥/١/١٩٧٩م وحصل على وسام المؤرخ العربي من (اتحاد المؤرخين العرب) في ٢٣/فبراير/١٩٨٧م. قام بنشر الكثير من المقالات والدراسات الأدبية والتاريخية في الصحف والمجلات اليمنية والعربية منذ عام ١٩٨١م.

الجديد في تاريخ

دولة وحضارة سبأ وحِمْيَر

(معالم تاريخ اليمن الحضاري عبر ٩٠٠٠ سنة)

تأليـف:

محمـد حسيـن الفـرح

المجلد الثاني

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

١٤٢٥هـ - 2004 م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٠٠٤/٣٥)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء الحصبة - ص.ب. (36)-(237)

هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاءً... وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمةً للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاءُ بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.
في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..
وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات.. حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان
وزير الثقافة والسياحة

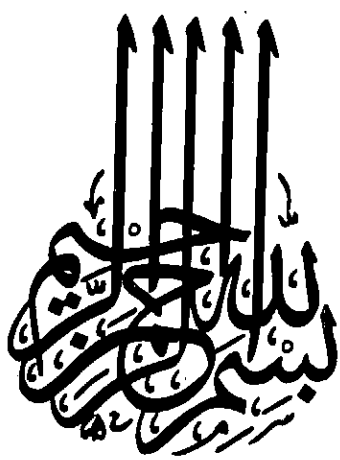
بسم الله الرحمن الرحيم

ملوك وحضارة العصر الخامس لتبابعة سبأ

عصر لقب (ملك سبأ وذي رَيْدَان وحَضْرَمَوْت ويُمَانَتْ وأعرابهم طَوْدَم وتَهامَتْ)

(٥٢٠ ـ ٦٨٠ للتقويم السبئي/ ٧٠٠ ـ ٥٤٠ق.م.)

المبحث الأول

عهد أبي كرب أسعد تُبَّع المذكور في القرآن.. ملك سبأ ملك أركان الأرض الأربعة

(٥١٧ ـ ٥٥١ سبئي/ ٧٠٣ ـ ٦٦٩ق.م.)

أبو كرب أسعد ملك سبأ

هو الزعيم أبو كرب أسعد الكامل بن ملكيكرب يُهأمن بن ثأران يُهنعم الذي يتألق اسمه ولقبه في عشرين نقشاً مسنداً بصيغة «أبي كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طوداً وتهامت» وفي نصوص نينوى بصيغة «أسعد ملك سبا ـ ارتو» وهو «تُبَع» الذي ذكره اللّه تعالى في القرآن الكريم بقوله عزّ وجلّ: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧].

أولاً

تبيين أن أبا كرب أسعد هو تُبَّع المذكور في القرآن والأحاديث النبوية ونصوص دين التوحيد الحنيف

قال الحافظ القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ما يلي: «إن اللّه سبحانه وتعالى إنما أراد واحداً من التبابعة ملوك اليمن، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم أشدّ من معرفة غيره، ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً»، فهذا يدل على أنه كان واحداً بعينه.. وهو أبو كرب أسعد الذي

كسا البيت.. وكان من اليوم الذي مات فيه تُبّع أسعد إلى اليوم الذي بعث فيه النبي محمد ﷺ ألف سنة.. وقد أُختُلِف هل كان تُبّع نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان تُبّع نبياً، وقال كعب: كان ملكاً مؤمناً.. وقد افتخر أهل اليمن بهذه الآية إذْ جعل اللّه قوم تُبّع خيراً من قريش» ـ انتهى ـ[١]. وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ما يلي «قوم تُبّع هم سبأ»[٢] وقال في البداية والنهاية: «وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ: «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم» قال السهيلي وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا تسبُّوا أسعد الحميري فإنه أول من كسا الكعبة» ـ انتهى ـ[٢] وقال نشوان الحميري: «وكان أسعد تُبّع بن ملكي كرب ملكاً عظيماً.. وكان مؤمناً باللّه وهو الذي نهى النبي ﷺ عن سبّه، وأخبر وبَشّر بالنبي ﷺ»[٣] وجاء في الفتح الكبير للنبهاني أن النبي ﷺ قال: «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم». أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه»[٤].

ويتبين من مجمل ذلك ما يلي:

أ ـ أن «تُبّع» المذكور والمقصود في قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وفي قول النبي ﷺ: «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم» وفي قوله ﷺ «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً» هو أبو كرب أسعد ملك سبأ، إذْ أنه كما ذكر ابن كثير في تفسير الآية «قوم تُبّع هُم سبأ» وكذلك هو في نقوش المسند «أبو كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت..» فالأصل في ذلك اللقب المسندي هو «ملك سبأ» فقبائل ومناطق حِمْير ذي ريدان هم (حِمْيَر بن سبأ) وحضرموت الذي باسمه سميت حضرموت هو كما في الإكليل «حضرموت بن سبأ الأصغر» فقوم أسعد تُبّع المذكور في القرآن والأحاديث النبوية هم سبأ، وهو من ملوك سبأ التبابعة.

ب ـ إن أبا كرب أسعد (تُبّع) كان مؤمناً مسلماً فقد جاء في الحديثين النبويين سالفيّ الذكر أنه «... كان قد أسلم» وأنه «.. كان مؤمناً» فلم يكن أسعد يهودياً ولا نصرانياً وإنما كان مسلماً مؤمناً ولم يكن من المشركين، وتتمثل أهمية ذلك في أن بعض الأخباريين خلطوا بين تُبّع (أبي كرب أسعد) وبين (تُبّع)

(١) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٤ ـ ١٤٦ جـ٣.
(٢) تفسير القرآن لابن كثير ـ والبداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٦ جـ٢.
(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٢٢.
(٤) الفتح الكبير ـ النبهاني ـ ص٣٢٤ جـ٣.

الذي اعتنق اليهودية في زمن لاحق على يد اثنين من أحبار اليهود في يثرب وليس هو أسعد، قال الهمداني في الإكليل: «أما الحبران اللذان ذكرهما العلماء فذلك في تُبَّع الأصغر عمرو بن حسان وهو صاحب الحبرين»[١]. ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً» وقال: «.. فإنه كان قد أسلم» قال القرطبي «وهو أبو كرب أسعد».

وقال الهمداني: «أسعد تُبّع أبو كرب.. هو الذي آمن برسول اللّه ﷺ ولم يره، وكان ملكاً عظيماً شاعراً عارفاً بالنجوم وأحكام القرانات»[١] وجاء في تاريخ الطبري ما يلي «وقد كان قَدِم على أسعد تُبّع شافع بن كليب الصَدَفيّ وكان كاهناً فأقام عنده، فلما أراد توديعه قال تُبَّع: ما بقي من علمك؟ قال: بقي خبر ناطق وعلم صادق.. أحمد النبيّ طوبى لأمته حين يجيء. فبعث تُبَّع إلى الزبور فنظر فيه فإذا هو يجد صفة النبي ﷺ»[٢] فمصدر معرفة أسعد بدين التوحيد الحنيف وبأنه سيأتي نبيٌّ اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء هو الكاهن اليمني شافع بن كليب الصَدَفي وكتاب مزبور كان عنده بظفار. فآمن أسعد بدين التوحيد الحنيف وبمجيء نبيّ اسمه أحمد وبشّر به.

نصوص دين التوحيد الحنيف في نقوش وعصر أبي كرب أسعد:

تنطق وتؤكد نقوش المسند ظهور وسيادة دين التوحيد الحنيف في عصر أبي كرب أسعد وقد أشار إلى تلك الحقيقة الدكتور بيوتروفسكي حيث قال ما يلي:

«لقد ظهرت النصوص الدينية التوحيدية في نقوش تعود إلى عهد أسعد فبدلاً من التوجه إلى الآلهة الوثنية ـ أي المتعددة ـ نَجِدُ توجهاً نحو إله واحد»[٣].

وقال: «لقد أصبح الدين التوحيدي منذ عهد أسعد الديانة الرسمية»[٣].

ونذكر هنا ما يلي:

ـ لقد كانت الديانة السائدة في نقوش عصور ملوك سبأ التبابعة قبل أسعد هي عبادة «إلمقه ثهون بعل أوام» وإلى جانبه عدة آلهة جاء ذكرهم في النقوش أهمهم «عشتار/ وهوبس/ وذت حمم/ وذت بعدن/ وشمس/ وتالب/ وسين» وقد سلف ذكر الكثير من تلك النقوش، وكان من آخرها في العصر الرابع لملوك سبأ التبابعة «النقوش أرقام (جام ٦٦٩ ـ ٦٧١) من عهد ثأران يُهنعم وابنه

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٢٠ جـ٨.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٩٨ جـ٢.
(٣) ملحمة أسعد الكامل ـ د. بيوتروفسكي ـ ص٦٨ و٦٩.

ملكيكرب يهأمن، وهي التي يرى ركمانز أنها آخر نقوش ورد فيها ذكر إلمقه بعل أوام»[١] ويليها في الواقع «نقش ياسر يُهنعم وابنه ثأران أيفع» الذي قال بافقيه «ليس هنالك ما يعيننا على تحديد زمانه ومكانه» وكذلك «كرب إل وتار يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت الذي جاء اسمه في نقشين (جام ٦٦٦ ـ ٦٦٧) ويشير ثانيهما إلى ثورة حدثت بمدينة ظفار»[١] وهي ثورة أسعد.

ـ إن ملكيكرب يهأمن بن ثأران يُهنعم هو والد أبي كرب أسعد، وكان قد تم عزل ملكيكرب عن الحكم فأقام بعد ذلك بمنطقة همدان. قال نشوان الحميري «ثم خطب ملكي كرب إلى موهبيل بن عبدريم صاحب قصر خَمِر ابنته الفارعة بنت موهبيل، فزوجه بها وتقدم بها في قصر خَمِر، فأقام معها حولًا، فحملت فولدت غلاماً فسماه أسعد»[٢] فكان مولد أسعد في خَمِر، وفي ذلك قال الشاعر:

مولده في قرى ظواهر همدان بتلك التي اسمها خَمِرُ

قال نشوان «وسار ملكيكرب إلى ظفار، ولم يلبث إلا يسيراً حتى توفي، وابنه أسعد عند أُمه وخؤولته في خَمِر»[٢] وهنا يكتسب أهمية خاصة النقش المسند (رقم ٢ بيت الآشول) المعثور عليه في ظفار، وقد كتبه ملكيكرب حين سار إلى ظفار وتم تملكيه بها، وهو باسم (ملكيكرب يهأمن وابنيه أبكرب أسعد وذرا أمر أيمن ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) حيث جاء في النقش أن ملكيكرب قام ببناء قصر كلعان (بيت/ كلعن) بعون الإله سيد السماء (مرا/ سمين) في عام ٤٩٣ للتقويم السبئي[٣]. ويدل النقش على أن ملكيكرب اعتنق دين التوحيد عبادة (سيد السماء) إما في منطقة همدان وإما في ظفار وكان ذلك الدين معروفاً عند بعض العلماء الكهنة العارفين على نطاق محدود، ويدل ذكر أسعد في النقش على أنه كان قد وُلد آنذاك، وربما كان عمره سنة واحدة، وما لبث أن مات ملكيكرب بظفار في نفس تلك السنة، وابنه أسعد عند أُمه وخؤولته في خَمِر، فنشأ وترعرع هناك.

ـ قال نشوان «وخرج أسعد ذات يوم من خَمِر ولا علم لأهله بخروجه، حتى انتهى إلى جبل هنوم، وقيل: أُختُطِف إلى جبل هنوم وهو الأصح. فصادف ثلاث نسوة فأضفنه..»[٢] ونرى أن اثنتين منهن هما اللتان خطفتاه لأن إحداهن «جاءته بمركوب، فركبه، فطار به من حرف الجبل ـ (أي سقط به) ـ فأسقطه

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٧ و١٥٤.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١١٨.
(٣) تاريخ اليمن الثقافي ـ النقش رقم ٢ بيت الآشول.

فتجرَّح بدنه وتهاضت عظامه. فأنقذته المرأة الثالثة ـ [وكانت كاهنة تسكن في الجبل] ـ فجعلت تمرضه حتى برىء جسمه وقوي عظمه ثم سرحته ـ إلى خَمِر ـ وأمرته أن لا يقف في خَمِر، وأن يكون مقامه بظفار.. فلما رجع أسعد إلى أهله بخمر أعلمهم بما كان من خبره. فنهض أسعد إلى ظفار وهو ابن تسع سنين وزيادة أشهر، فأقام بها، وكان من شأنه دراسة العلوم والنجوم، واصطناع المعروف إلى أكابر أهل ظفار وهم لا يعلمون أنه ابن الملك ملكيكرب، وإنما كتم جده (موهبيل) أمره خوفاً عليه من غوائل من يطلب المملكة.. وكان جده موهبيل بن عبدريم يمدّه بالأموال.. إلى أن اشتد ساعده، وكثر من الناس مساعده لأنه كان يصطنع الرجال.. فملكوه المُلك وهو ابن خمس وعشرين سنة» (ص١٢٢).

ويتبين من ذلك أن انتقال أسعد من خمر إلى ظفار كان وهو ابن عشر سنين فيكون ذلك عام ٥٠٣ للتقويم السبئي، فأقام بها، وكانت مدينة ظفار هي العاصمة الثانية بعد مأرب لأنها عاصمة مناطق حِمْيَر (ذي ريدان)، وكان أسعد يكتم نسبه وكان معروفاً باسم (أسعد بن تبان) وكان من شأنه (دراسة العلوم والنجوم)، فتعلّم الكتابة بأشكالها الثلاثة في ذلك الزمن وهي المسند والكتابة الأبجدية العامة والكتابة المسمارية، وكذلك علوم الأدب والشعر والحساب والهندسة والفلك والعلوم الدينية، وكان أهم أساتذة أسعد الكاهن شافع بن كليب الصَدَفيّ ومنه عرف أسعد دين التوحيد الحنيف وتعاليم ذلك الدين من كتاب زبور مزبور يعود إلى زمن أقدم فآمن أسعد بدين التوحيد، وربما كان يكتم ذلك كما كان يكتم نسبه، حتى «اشتد ساعده، وكثر من الناس مساعده، لأنه كان يصطنع الرجال». ويشمل اصطناع الرجال دعوتهم إلى دين التوحيد الحنيف وإلى أفكاره السياسية، فلما كثر من الناس مُساعده واستجاب له أكابر ظفار ثار أسعد وإياهم بظفار فهرب نائب الملك (كرب إيل) من ظفار إلى مأرب، وتم تمليك أسعد في ظفار وهو ابن خمس وعشرين سنة فيكون ذلك سنة ٥١٧ للتقويم السبئي (٧٠٣ق.م.) ويكون ذلك هو زمن النقش المسند رقم ٦٦٧ جام الذي كتبه أحد أقيال الملك (كرب إيل وتار يُهنعم) وأشار فيه إلى «ثورة حدثت في ظفار قبل كتابة النقش بأمد يسير»[1] فاستجابت لتمليك أسعد ودعوته السياسية والدينية مناطق حِمْيَر «ذي ريدان وحضرموت» ومناطق همدان حيث أعلن جده لأمه «موهبيل بن عبدريم البكيلي صاحب قصر خَمِر» تمليك أسعد وأنه نجل

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ جام ٦٦٧.

الملك ملكيكرب بن ثأران يُنهعم، ثم إن الملك «كرب إيل وتار يُهنعم ملك سبأ.. الخ» ـ وهو من بني بَتَعْ أقيال حملان ثلث حاشد ـ قام بجمع الأقيال في العاصمة مأرب وأعلن تنازله عن الملوكية لأبي كرب أسعد، فشمل حكم أسعد كل أرجاء الدولة والبلاد ـ وذلك حوالي سنة ٥١٩ للتقويم السبئي (٧٠١ق.م.) وأصبح دين التوحيد الديانة الرسمية حيث ـ كما أشار بيوتروفسكي ـ «ظهرت النصوص التوحيدية في نقوش تعود إلى عهد أسعد فبدلاً من التوجّه إلى الآلهة الوثنية ـ أي الآلهة المتعددة ـ نَجِدُ توجهاً نحو إله واحد.. لقد أصبح الدين التوحيدي منذ عهد أسعد الديانة الرسمية» (ص٩٨/ ملحمة أسعد).

وتدل وتؤكد النقوش أن دين التوحيد في عصر أبي كرب أسعد ملك سبأ ليس اليهودية وإنما هو دين التوحيد الحنيف مصداقاً لقول النبيّ محمد ﷺ: «لا تسبو تُبّعاً فإنه كان قد أسلم» وقوله: «لا تسبو تُبّعاً فإنه كان مؤمناً». وقول القرطبي في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أن المقصود هو «أبو كرب أسعد الذي كسا البيت..».

فنقوش عصر أبي كرب أسعد وخلفائه تنطق بالتوجه إلى إله واحد وعبادة إله واحد هو ذي السموات (ذي/س م و ي) وهو سيد السماء والأرض «مرا/ سمين/ وأرضن»[١] وجاء في نقش شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد عن تجديد سد مأرب العظيم (العرم) أنهم:

«عذبوا/ عرمن (العرم)/ بنصر/ وردء/ ال ن (اللّه)/ بعل (رب)/ سمين/ وأرضن/ وبخيل (قوة) شعبهم/ ذي وردوا/ مأرب/ وعادوا/ والعرم/ كالدرع/ الأصم»[٢].

وكذلك جاء في نقش (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) عن بناء (قصر مهرجم) أنه:

«عَذّب/ عرمن (العرم) ذي بمأرب/ مسراً وشصناً/ وثبّر/ رحبم/ كل/ عودهو/.. وسصقل/ عرمن/ بنصر/ وردء/ مرأهمو/ الرحمن (رحمن)/ بعل/ سمين/ وأرضن/ وبخيل/ وردء/ شعوب/ وأخماس/ سبأ/ وحِمْيَر/ وحضرموت/ ويمانت»[٣].

---

(١) نقش أبي كرب أسعد بموقع ريده وهو مؤرخ بعام ٥٤٣ سبائي (٦٧٧ق.م.).

(٢) النقش رقم ٤ فخري ورقم C.I.H. ٥٤٠ من مأرب وهو مؤرخ بعام ٥٦٥ سبئي (٦٥٥ق.م.).

(٣) النقش رقم ٥٧٣ جاربيني، عن بناء قصر مهرجم وهو مؤرخ بعام ٥٧٢ سبئي (٦٤٨ق.م.).

وكان ذلك كما ذكر النقش في الفترة من (شهر ذي ثبتن سنة ٥٣٥ للتقويم السبئي.. إلى شهر ذي ددن سنة ٥٦٥ للتقويم السبئي» ويوافق ذلك سنة ٦٨٥ ـ ٦٥٥ق.م. بالقرن السابع قبل الميلاد.

وكذلك جاء في نقش الملك (مرثد ألن ينوف ملك سبأ.. الخ. اللقب) التوجه إلى ذي السموات (ذ ي س م و ي) بأن يحفظ الأذواء المخلصين الذين كانوا مع الملك مرثد ألن ينوف وهم (يرخم ذو عثكلان) وشرحبيل يسعد ذو معافر/ ولحيّ عشت ينوف ذو أصبح»[1]. وجاء في نقش آخر من عهد (مرثد ألن ينوف) بناء أحد القصور بعون ذي السموات (ذ ي س م و ي) في عام ٦١٤ للتقويم[2].

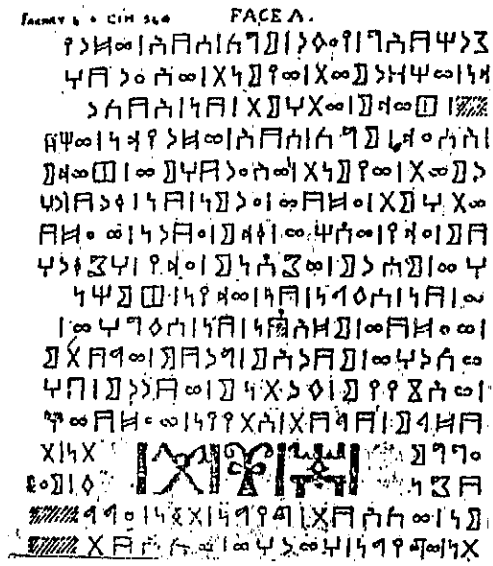

نقش «شرحبيل يعفر بن أبي كرب اسعد» عن تجديد سد مأرب العظيم (العرم) بنصر وردء (ال ن/ بعل/ سمين/ وأرضن) ـ اللّه رب السماء والأرض ـ في شهر دادن سنة ٥٦٥ سبئي (٦٥٥ق.م.)

إن نقوش عصر أبي كرب أسعد وخلفائه (حسان، وشرحبيل، ومرثد) تنطق جميعها بدين التوحيد الإسلامي الحنيف القديم وهو عبادة ذي السموات (ذي سموي) سيد السماء والأرض (مرا/ سمين/ وأرضن) اللّه رب السماء والأرض (الن/ بعل/ سمين/ وأرضن) الرحمن رب السماء والأرض (رحمن/ بعل/ سمين/ وأرضن).

إن أسماء وصفات اللّه ذي السماء الرحمن سيّد ورب السماء والأرض في نقوش عصر أبي كرب أسعد وخلفائه تتطابق مع محتوى الشعر المنسوب إلى أسعد في الإكليل والمصادر التراثية والذي يذكر فيه اللّه ويُماثل فكرة التوحيد الإسلامي الحنيف، ومن ذلك الشعر الأبيات التالية:

ـ (الحمد للّه والبقاء له كلٌّ إلى (ذي السماء) مُفتقرُ)

---

(١) النقش رقم ٣٦ شرف بكتاب تاريخ اليمن الثقافي.

(٢) رحلة أثرية في اليمن ـ أحمد فخري ـ ص٤٨ ـ نقش مرثد ألن ينوف وهو مؤرخ بعام ٦١٤ سبئي (٦٠٦ق.م.).

ـ (أثـنـي عـلـى الـلّه بـآلائـه الـواحـد الـمـقـتـدر الـفـاعـل
فـي كـل مـا أولاه مـن آجـل وكـل مـا أعـطـاه مـن عـاجـل)
ـ «كـل مُـلـكٍ يـفـنـى سـوى مُـلـك ربي، فـلـه مُـلـكـنـا حـمـيـداً مـجـيـدا
خـلـق الـخـلـق فـاجـراً وتـقـيـاً وشـقـيـاً بـسـعـيـه وسـعـيـدا
قـاهـراً قـادراً يُـمـيـتُ ويُـحـيـي، خـلـق الـخـلـق مـبـديـاً ومُـعـيـدا»
ـ «وكسوتُ بيت اللّه أعظم كسوة أرجو الثواب ويرحم الرحمن»

وقد جاء اسم اللّه الرحمن بلفظ (رحمن) في نقش شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد (رقم ٥٧٣ جاربيني).

تعاليم طهارة بيوت اللّه وكلمة (مسجد) و (آمين) في نقوش عصر أسعد:

وقد جاء لفظ (بيت اللّه) ولفظ (مسجد) في الشعر المنسوب إلى أسعد بأنه قال «وكسوتُ بيت اللّه» وأنه قال «. . . وجعلتُ بابيه صفيح المسجد».

النقش رقم (٧١/ أرياني) يذكر بناء إحدى القصور «برد/ ألن/ ذي بسمين» ـ اللّه ذي بالسماء ـ

وقد تم العثور في موقع مسجد تنعم بخولان على «نقش مكتوب في سطر واحد بطول دعامه، وأول النقش مدفون تحت الأرض ـ أما الجزء الظاهر من النقش فمكتوب فيه ـ «. . هذا/ بيتن/ مسجد/ آمين/ آمين»[1] وقد يكون النقش عن بناء ذلك البيت، بيت اللّه، ثم دعاء ليرعى اللّه (هذا البيت المسجد/ آمين).

وكذلك جاء لفظ (آمين) في النقش (رقم ٧١/ أرياني) عن بناء أحد القصور «. . برد/ ال ن/ ذي بسمين» ـ أي بعون اللّه ذي بالسماء ـ وينتهي النقش بدعاء وبكلمة (آمين)[2].

وقد شهد عهد أسعد تطهير المعابد وإخراج ما كان فيها من التماثيل

(١) في تاريخ اليمن ـ مطهر الإرياني ـ ص٧.
(٢) نقوش مسندية وتعليقات ـ النقش رقم ٧١/ إرياني.

والأصنام وقام أسعد بسن تعاليم دينيه عن طهارة بيوت اللّه، وهو ما قام به أسعد أيضاً في بيت اللّه الكعبة بمكة حيث ذكر المؤرخون الأوائل ما نقله عنهم (بيوتروفسكي) بأنه حسب تعبير بيوتروفسكي «أحدث أسعد بعض البدع في مكة، إذ دعا إلى تقديس الكعبة وأمر بإلقاء الأصنام خارج ساحة الحرم ومنع إراقة الدماء»(١). وجاء في تاريخ الطبري ما يلي «.. ولّى أسعدُ الجرهميين سدانة البيت، وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا ميلاثاً وهي الحائض»(٢) وكان ذلك امتداداً لما قام به أسعد وقام بسَنِّه من تطهير المعابد وطهارة من يدخلها، وهو ما تدل عليه وتؤكده النقوش، حيث:

ـ «يذكر نقش مُسند عُثِر عليه في مأرب، أن امرأة قدمت قرباناً إلى الإله ذي سموي (ذي السموات) لأنها دخلت بيته وهي حائض ولم تغتسل، فكان أن لزمتها كُفارة. وامرأة أخرى تضرعت إلى الإله ذي سموي ليغفر لها خطيئتها ويتوب عليها لأنها أخطأت في حق بيته فقد ذهبت إليه وهي غير طاهر»(٣).

ـ «وورد في النقش (رقم ٣٩٥ ربرتوار) ـ من الجوف ـ أن رجلًا دخل معبد الإله ذي سموي بملابس متسخة ـ غير طاهرة ـ فدفع فدية لأنه ارتكب إثماً. وورد في النقش (رقم ١٠٥٢ جلازر) ـ من الجوف ـ أن رجلًا اتصل بامرأة ثم دخل المسجد بملابسه التي كان يلبسها حين اتصل بها فدفع فدية (كفارة) عن ذلك لأنه ارتكب إثماً. وتعكس تلك النقوش قدسية بيوت الإله، بحيث يستوجب على القاصدين إليها غسل أجسامهم وملابسهم، وتحريم الممارسة الجنسية، وتحريم إراقة الدماء، حرمة وتقديراً لتلك البيوت»(٤).

ـ وتم العثور في موقع مدينة هرم (خربة همدان) بالجوف على نقش مسند منقوش على لوحة برونزية، ويوجد ذلك النقش حالياً في متحف الآداب بمدينة فيينا بالنمسا. وهو النقش الذي تم نشر نصه في عدة مجموعات نقوشية منها مجموعة كوبوس برقم (٥٢٣ كوبوس) ومختارات النقوش برقم (١٢) وتاريخ اليمن الثقافي. وكان ذلك النقش البرونزي نصاً دينياً ـ (أي مثل الآيات القرآنية) ـ يتضمن الخطايا والمحرمات الدينية في بيوت اللّه، وهو النقش التالي نصه

---

(١) ملحمة أسعد الكامل ـ بيوتروفسكي ـ ص١١٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٣٩ و٩٦ جـ٢.

(٣) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ ص٥٤ جـ١.

(٤) الديانة عند قدماء اليمنيين ـ د. أسمهان الجرو ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٤٨/ أكتوبر ١٩٩٢م.

بحروف المسند وما يقابلها بالحروف العربية الحديثة :

ومعنى ومحتوى هذا النقش بالعربية الحديثة هو :

أ ـ «حُرم من الثواب وادي نذراً الذي السموات (وتنذر/ لذي سموي/) من قرب امرأة بحرمه (بحرمو) وميلاث حائض (و م ل ث/ حيض).

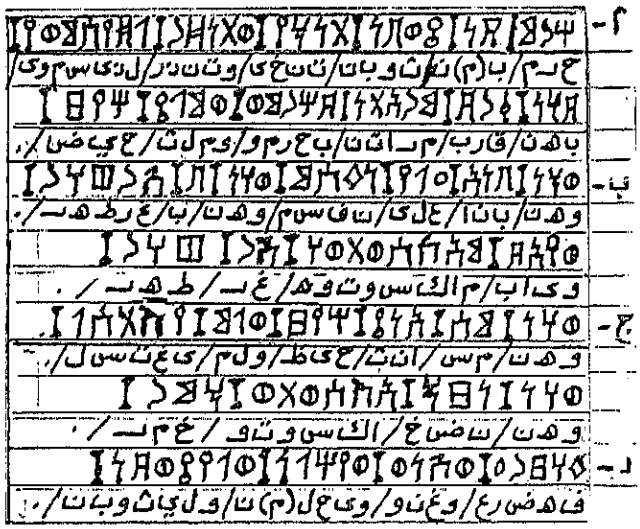

نص النقش المسند البرونزي (رقم ٥٢٣ كوبوس)

ب ـ «ومَنْ بَنَىٰ على نفس وهو غير طاهر (ب غ ر/ ط هـ ر) والذي كسوته غير طاهرة (و ي ا ب/ م ا ك س و ت هـ/ غ ر/ ط هـ ر).

جـ ـ «مَنْ مَسّ أنثى حايض ولم يغتسل. ومن نضح كسوته خمر (ا ك س و ت و/خ م ر).

د ـ «فيتضرع ويُنشد (فهضرع/ وغنو) ـ طالباً المغفرة ـ ويحلم ويتوب (و ي ح ل ن/ وليثوبن». انتهى.

فتلك التعاليم والمحرمات والواجبات الدينية هي من تعاليم دين التوحيد الحنيف في عصر أبي كرب أسعد وخلفائه بالقرن السابع ق.م.

مسير أسعد إلى مكة وكسوته الكعبة ومآثره وأعماله بمكة وبيت اللّه الحرام :

في حوالي عام ٥٢٠ للتقويم السبئي (٧٠٠ق.م.) سار أبو كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويُمانت ومعه سبعون ألفاً من الفرسان إلى بيت اللّه الحرام بمكة، فقام بتطهير البيت من الأصنام وطاف ومن معه بالبيت ـ مؤدياً فريضة الحج ـ وسَنّ تعاليم طهارة البيت، وجعل للبيت باباً ومفتاحاً لم يكونا له قط، وكسا البيت كسوة عظيمة، ونحر أسعد بمكة سبعين ألفاً من الغنم والذبائح قرباناً إلى اللّه وهَدْياً عنه وعمن معه. قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ التبابعة :

والكاملُ الملكُ المتوَّجُ أسعدُ فيه تُقصِّرُ مِدحةُ المدّاح
. . وكسا البَنِيّة، ثم قَرّب هَدْيَهُ سبعين ألفاً من بناتِ لِقاح

قال نشوان: «وأسعد أول من كسا البيت. . ونحر أسعد بمكة سبعين ألف بدنة، وطاف وسعى، وعمل له باباً ومفتاحاً لم يكونا له قط»[١] وجاء في تاريخ الطبري «. . إن الشِّعْب من المطابخ بمكة سُمّي بهذا الاسم لأن أسعد تُبّع نصب المطابخ في ذلك الموضع وأطعم الناس فيه، وأن أجيادْ سُمّي باسم أجياد لأن خيل أسعد تُبّع كانت هناك»[٢]. وأنه «. . ولّى أسعد الجرهميين سدانة البيت، وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا ميلاثاً وهي الحائض»[٢] ويتطابق ذلك تماماً مع نقوش المسند سالفة الذكر عن تطهير وطهارة بيوت الله ذي السموات وأنه «حُرم من الثواب وأدى نذراً لذي السموات من قرب امرأة بحرمه وميلاث حائض»[٣].

وجاء في كتاب المعرفة ما يلي: «. . الكعبة عبارة عن بيت مربع البنيان تقريباً، وله أربعة أركان: ركن الحجر الأسود وكان يُسمى أيضاً الحجر الأسعد ومنه يبتدىء الطواف، والركن اليماني، والركن الشامي، والركن الغربي»[٤] فركن الحجر الأسود كان يُسمّى (الحجر الأسعد) وهذا يشير إلى علاقة أسعد بسن الطواف من ركن الحجر الأسود وأنه كان يُسمّى الحجر الأسعد ربما باسمه.

وكان باب الكعبة قبل أسعد عبارة عن فتحة بدون باب فقام أسعد بعمل أول باب الكعبة، حيث جاء في تاريخ الطبري أنه «جعل أسعد تُبّع للبيت باباً ومفتاحاً» [ص ٣٩ جـ ٢]. وقال نشوان «عمل أسعد للكعبة باباً ومفتاحاً لم يكونا له قط». وجاء في الشعر المنسوب إلى أسعد أنه قال:

وجعلتُ إقليداً لجانب بابه وجعلت بابيه صفيح المسجد

فكان الباب الذي عمله أسعد أول باب للكعبة في التاريخ.

وكان أبرز وأشهر مآثر أسعد أنه كسا الكعبة أول كسوة في التاريخ، وذلك قبل ميلاد المسيح بسبعمائة سنة وقبل بعثة النبيّ محمد ﷺ بألف وثلاثمائة سنة.

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٣٤.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٣٩ و٩٦ جـ٢.
(٣) النقش رقم ٥٢٣ كوبوس ـ متحف فينا.
(٤) المعرفة ـ تراد كسيم ـ ص١٢٣.

وقد خلط بعض الأخباريين بين تُبّع أبي كرب أسعد ملك سبأ الذي هو أول من كسا الكعبة وبين تُبّع الأصغر عمرو بن حسان صاحب الحبرين الذي كسا الكعبة أيضاً بعد أسعد بزمن طويل، فأول من كسا الكعبة هو أبو كرب أسعد ملك سبأ في مطلع القرن السابع ق.م. قال القرطبي في تفسير قول اللّه تعالى بالقرآن الكريم: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، قال القرطبي «.. وهو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت.. وكان من اليوم الذي مات فيه تُبّع أسعد إلى اليوم الذي بُعث فيه النبيّ محمد ﷺ ألف سنة»[١] وإنما قال القرطبي (ألف سنة) لشيوع القول الذي ذكره أيضاً الهمداني في الإكليل ونشوان الحميري بأنه «كان أسعد من المُعمّرين، عَمّر ثلاثمائة وإحدى وخمسين سنة، وكان مُلكه ثلاثمائة وست وعشرين سنة»[٢]. وأصل ذلك أنه (عُمِّر ٥١ سنة، وكان مُلكه ٢٦ سنة) ولكنهم أضافوا إلى ذلك (ثلاثمائة سنة) فإذا أضفنا تلك المدة إلى المدة التي ذكرها القرطبي بين موت أسعد والبعثة النبوية وهي (ألف سنة) تكون المدة زهاء (ألف وثلاثمائة سنة) وهو ما تدل عليه أيضاً وتؤكده النقوش فقد حكم أسعد في الفترة (٥١٧ ـ ٥٥١ للتقويم السبئي) والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٧٠٣ ـ ٦٦٩ق.م.) في القرن السابع قبل الميلاد، فقد مات أسعد سنة ٦٦٩ق.م. وكانت البعثة النبوية المحمدية سنة ٦١٠ بعد الميلاد، فيكون بينهما زهاء ألف وثلاثمائة سنة، وبالتحديد (١٢٨٠ سنة). فأول من كسا الكعبة هو تُبّع أبو كرب أسعد الحميري ملك سبأ وليس تُبّع الأصغر عمرو بن حسان صاحب الحبرين. قال الحافظ ابن كثير «وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا تسبوا أسعد الحميري فإنه أول من كسا الكعبة»[٣] فذلك يؤكد أن أول من كسا الكعبة هو تُبّع أبو كرب أسعد الذي كان مؤمناً مسلماً وليس تُبّع الأصغر عمرو بن حسان صاحب الحبرين الذي تهوّد وكسا الكعبة أيضاً بعد أسعد بزمن طويل. وكان بعض الناس يسبون تُبّع الأصغر ويظن بعضهم أنه أسعد، فقال النبيّ ﷺ: «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم» ـ الحديث، أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه ـ وقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أسعد الحميري فإنه أول من كسا الكعبة» ـ الحديث أخرجه معمر

(١) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٤ جـ١٦.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٢٠ جـ٨.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٦ جـ٢.

عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ـ. وقال المسعودي في مروج الذهب: «كان أبو كرب أسعد مؤمناً وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود»[1]. وقد كسا أسعد الكعبة ثلاث مرات، الأولى: حين سار أسعد من اليمن إلى مكة قاصداً غزو بلاد بابل وجهات المشرق. والمرة الثانية: حين رجع أسعد من تلك الغزوات عام(٦٨٢ق.م.)، قال نشوان: «وأسعد أول من كسا البيت، وذلك أنه عند رجوعه من غزاته هذه مرّ بالبيت فكساه الأنطاع المذهبة اليمنية، فرأى في المنام قائلاً يقول: زد في كسوة البيت، فكساه المعافري، فرأى في المنام قائلاً يقول: زد في كسوة البيت فكساه الوشيّ» [ص١٣٤] ـ فأصل ذلك أنه كسا البيت ثلاث مرات، كساه أولاً الأنطاع المذهبة اليمنية، ولما رجع من غزواته إلى المشرق كساه البرود المعافرية، والمرة الثالثة حين سار من اليمن إلى الشام وجهاتها (عام ٦٧٩ق.م.) فلما عاد مرّ بالبيت وحجّ وكساه الوشيّ المزخرف بالذهب، ومما جاء في الشعر المنسوب إلى أسعد عن ذلك أنه قال:

وكسونا البيت الذي حرَّم اللّهُ مُلاءً مُقَصَباً وبرودا

وقال في المرة الأخيرة:

وكسوتُ بيت اللّه أعظم كسوة أرجو الثواب، ويرحم الرحمنُ

تبشير أسعد بالنبيّ محمد ﷺ وتأسيس يثرب:

وقد أجمع المؤرخون الأوائل على أن أبا كرب أسعد تُبّع آمن بالنبي محمد ﷺ وأخبر وبشّر به، قال نشوان الحميري: «كان أسعد تُبّع بن ملكي كرب ملكاً عظيماً.. وكان مؤمناً باللّه.. وأخبر بالنبي ﷺ.. ولم يكن قبل أسعد ولا بعده ملك مثله، وسُمّي الكامل لكماله في أمر الدنيا والآخرة. ومِن الناس مَن يقول إنه نبيّ، لأن اللّه تعالى عدّه من الأنبياء عند قصصهم فقال تعالى: ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ وقد ذكر قوم كل نبيّ قبله» [ص١٣٣]. وقال القرطبي في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أن المقصود «.. هو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت.. وقد اُختلف هل كان تُبّع نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان نبياً، وقال كعب: كان ملكاً مؤمناً» [ص١٤٦]. قال الهمداني: «أسعد تُبّع أبو كرب.. هو الذي آمن

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١١٢ جـ٢.

برسول اللّه ﷺ ولم يره.. وقال فيه قصيدته المشهورة التي أولها:

شـهـدتُ عـلـى أحـمـد أنّـه رسـول مـن الـلّه بـاري الـنـسـم»

[ص٢٢٠]

وقد سلف ذكر النص بأن أبا كرب أسعد تُبّع عرف بأنه سيأتي نبيّ اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء وذلك من الكاهن شافع بن كليب الصَدَفيّ اليماني ومن كتاب زبور قديم كان عنده في ظفار. وقد ذكر بعض المؤرخين الأوائل أن أبا كرب أسعد تُبع لما سار إلى يثرب والشام قام ببناء مدينة يثرب وأسكن فيها رابطة من قومه وأخبرهم أنها ستكون مهاجر نبيّ يكون خاتم الأنبياء، وقال ذلك الشعر. قال الحافظ ابن كثير: «قال السهيلي: ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي اللّه عنه» [ص١٦٦/ ٢] والشعر هو أن أبا كرب أسعد قال:

«شـهـدتُ عـلـى أحـمـدٍ أنـه رسـولُ مِـن الـلّه بـاري الـنـسـم

نـبـيٌّ وجـدنـاه فـي كُـتـبـنـا بـه يُـهـتـدى وبـه يُـعـتـصـم

فـلـو مُـدّ عـمـري إلـى عُـمـره لـكـنـتُ وزيـراً لـه وابـنَ عـمّ»

وقيام أسعد ببناء مدينة يثرب يعني أن تاريخ يثرب يعود إلى عهد أسعد بالنصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد (٧٠٠ ـ ٦٦٩ق.م.) ويؤكد ذلك أن ملوكية أسعد ودولة سبأ «كانت تمتد إلى شمال الجزيرة العربية» ثم إلى معان المجاورة للبتراء بالشام حيث كما ذكر د. عدنان ترسيسي: «كانت معان بحوزة سبأ إلى عام ٦٤٠ قبل الميلاد»[١] وقد جاء ذكر مدينة يثرب في نص ببابل من عهد الملك (بونيدس ٥٥٦ ـ ٥٤٦ق.م.) بلفظ «يثربو YATRIBU»[٢] فمجيء اسم يثرب في ذلك النص بالقرن السادس ق.م. يُعزز أن تشييد يثرب كان في عهد أبي كرب أسعد بالقرن السابع ق.م. وبذلك وبتبشير أسعد بالنبيّ محمد ﷺ وكسوته للكعبة يكتمل النبأ اليقين عن دين التوحيد الحنيف في عصر أبي كرب أسعد وأنه تُبّع المذكور في قول اللّه تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وأنه ـ كما ذكر الحافظ ابن كثير ـ «قومُ تُبّع هم سبأ» وأنه ـ كما ذكر الحافظ ابن كثير ـ «وقد افتخر أهل اليمن بهذه الآية إذ جعل اللّه تعالى قوم تُبّع خيراً من قريش».

(١) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٣٢.

(٢) الوجيز ـ د. طه باقر ـ ص٥٥.

ثانياً

دلالة اللقب الملكي
«ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودا وتهامت» في عصر أبي كرب أسعد

لقد كان لقب ملوك سبأ التبابعة في عصرهم الرابع ـ منذ عهد شمّر يُهرعش إلى أوائل عهد أبي كرب أسعد ـ هو في نقوش المسند «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت». وقد حمل أسعد ذلك اللقب في نقشين من ظفار هما رقم (Ry 3382) ورقم (Ry 3383) وفي نقش مسند بمسجد قرية منكث القريبة من ظفار بصيغة «أبي كرب أسعد وأخيه ذرا أمر أيمن وبنيه حسان يهامن ومعدي كرب يعفر وحجر أيفع ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت»[١] وتلك النقوش من أوائل عهد أسعد.

ثم أضاف أسعد إلى اللقب الملكي في نقوش المسند «وأعرابهم طودم وتهامت» وذلك ـ وكما يذكر د. محمد بافقيه ـ «دلالة على ضم التهائم والهضاب الممتدة خلفها والضاربة في قلب الحجاز إلى حكم ذلك الملك... ومن النقوش التي جاء فيها اللقب الملكي حاملًا الإضافة الجديدة، ذلك النقش الذي عُثر عليه في موضع متقدم من شمال الجزيرة العربية يُدعى ماسل الجمح، وهو النقش (ركمانز ٤٠٩) الذي نعلم منه أن أباكرب أسعد وابنه حسان يهامن قد زارا ذلك الموضع في ركب من أعراب كندة»[٢].

لقد كان اللقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت.. إلخ». في نقوش المسند كناية عن التقسيم الإداري المتصل بنوع من الحكم اللامركزي لدولة سبأ إلى الأقسام الإدارية التالية:

أ ـ سبأ: وتشمل العاصمة مأرب ومناطق (محافظات) مأرب والربع الخالي والجوف ونجران وسراة عسير وصعده وحجّه وعمران وصنعاء.

ب ـ ذو ريدان: وتشمل مناطق حِمْيَر، وهي بالتسميات الحالية مناطق ومحافظات: آنس، ذمار، رداع، إب، الضالع، لحج، تعز، الحديدة، عدن، أبين، إلى تخوم شبوة وحضرموت شرقاً، وكانت مدينة ظفار ـ بمحافظة إب ـ العاصمة الإدارية لمناطق حمير.

---

(١) تاريخ اليمن الثقافي ـ أحمد شرف الدين ـ ص ٢/٨٠.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٩.

جـ ـ **حضرموت**: وتشمل مخاليف حضرموت بمدلولها الواسع القديم، وكانت عاصمتها الإدارية مدينة شبوة، ومن نقوش عهد أبي كرب أسعد «نقش في وادي رحيل بمنطقة قتبان المتصلة بحضرموت»[١].

د ـ **يُمانت**: وقد سلف تبيين أن منطقة (يُمنت = يُمانت) كانت الشِّحْر ـ جنوبي وشرق حضرموت ـ والمهرة، وظفار عُمان إلى مفاوز عُمان والبحرين، وكانت مدينة (سمهرم) في عمان العاصمة الإدارية لمناطق يمانت.

هـ ـ **الطود وتهامت**: وتم إضافة (وأعرابهم طودم وتهامت) في ومنذ عهد أبي كرب أسعد إلى اللقب الملكي في نقوش المسند كناية عن ضم التهائم الحجازية والهضاب الممتدة خلفها والضاربة في قلب الحجاز ونجد إلى أعالي شمال الجزيرة وقبائلها (أعرابها) إلى الحكم المباشر للملك أبي كرب أسعد وملوك سبأ التابعة، وإعطاء (أعراب الطود وتهامت) حق المواطنة الكاملة ـ كمواطنين وليس كمجرد تابعين ـ في دولة تبابعة سبأ. قال ابن المجاور «. . . ما بين نجد وتهامة جبل يُسمى الطود الأعظم فكلّ ما غرّب منه فهو تهامة وما شرّق منه فهو نجد. . .، فالطود الأعظم على هذا الوجه هو الحجاز بعينه لأنّه حجز ما بين نجد وتهامة. . . ونجد الحجاز يتصل بالبحرين»[٢] وقد ذكر جماعة البارقي الأزدي المنطقة الجبلية ما بين سراة اليمامة ونجد إلى الطائف باسم الطود، حيث ذكر الهمداني في الصفة أنه قال جماعة البارقي:

مَلَكوا الطَّودَ من سَرُوم إلى الطا ئِفِ بالبأس مِنهم والثبّاتِ[٣]

أما مصطلح (تهامت) فقال ابن خلدون: «ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر إلى السرين في جهة الحجاز»[٤] وكان اسم تهامة يشمل مكة وما انفخض من الحجاز مع ساحل البحر أيضاً. قال الشاعر:

إن أتْهَمَتْ فتهامةٌ وطني أو أنْجَدَتْ إن الهوى نَجْدُ

ويتبين من مجمل ذلك أن «سبأ وذي ريدان وحضرموت ويُمانت والطود وتهامت» تعني الجزيرة العربية جميعها إلى البحرين وتخوم بلاد بابل شرقاً وإلى

(١) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص٥٨.
(٢) صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور ـ ص٣٩.
(٣) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص٣٧٣.
(٤) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٢١ جـ٤.

يثرب ومعان المجاورة للبتراء بالشام شمالاً، فذلك اللقب الملكي في نقوش المسند يدل أيضاً على توحيد الجزيرة العربية جميعها تحت لواء الزعيم العظيم أبي كرب أسعد الكامل ملك سبأ الذي كسا الكعبة وأسس يثرب ونشر دين التوحيد الحنيف وبشر بنبيّ سيجيء اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء.

ثالثاً

مسانيد عهد أسعد.. وأنواع الكتابة في عهده

قال نشوان الحميري: «... وقال أسعد تُبَّع بن ملكي كرب:

قد كتبنا مسانداً في ظفارِ وكتبنا أيامنا في الزبور»[١]

ويهمنا من ذلك صحة مضمون البيت بأنه كان في عصر أسعد نوعان من الكتابة؛ كتابة المسند الخاصة النقوشية المقدسة، والكتابة العامة الزُبرية.

ويبلغ عدد نقوش المسند المعثور عليها من عهد أبي كرب أسعد زهاء عشرين نقشاً مُسنداً، منها:

ـ ثلاثة نقوش بمنطقة ظفار هي النقوش أرقام (٣٣٨٢ ـ ٣٣٨٣ .R.Y) ونقش مسجد منكث بمنطقة ظفار، وهو يذكر أسعد وأربعة مساعدين له في الحكم بصيغة «أبي كرب أسعد وأخيه ذرا أمر أيمن وبنيه حسان.. ومعدي كرب... وحُجر.. ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت»[٢].

ـ ونقش مسند من صنعاء تم نشره برقم (١٠/ لوندين) ورقم (١٢٤/ Ross) ورقم (Ja/٥٢٠) ويذكر النقش بناء مباني وهو نقش يقول (بيوتروفسكي) إنه «يذكر أسعد وسبعة مساعدين له في الحكم»[٣]. وهو بعد إضافة الطود وتهامت إلى اللقب الملكي. وكذلك نقش من وادي ضهر بضواحي صنعاء، ونقش من ناعط[٢] وكانت مدينة ناعط مقر القَيْل «الصامخ بن مرثد بن بكير (كرب ايل) بن نوفان ابن ذي بَتَعْ الهمداني، وهو زوج لميس بنت أسعد تُبّع ـ قال الهمداني ـ وفيه يقول علقمة بن ذي جدن:

ولميسُ كانت في ذؤابةِ ناعطٍ يجبي إليها الخَرْج ساكنُ بربر

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٢٨.
(٢) تاريخ اليمن الثقافي ـ أحمد شرف الدين ـ ص٨٠/ ٢.
(٣) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص٥٨.

والصامخُ الملكُ المُملكُ بعلُها ذو التاج حين يلوثه بالمحضر

وسمّي الصامخ لأنه صمخ الأسماع بعلو ذكره وبُعد صِيته وجلالة قدره»[1]. وكان الصامخ بن مرثد من أمراء فتوحات أسعد الخارجية إلى بابل ومصر وأرض البربر، ثم استقر مع الأميرة لميس في ناعط.

ـ ومن نقوش عهد أسعد: نقش من مأرب باسم ومن عهد (أبي كرب أسعد..) تم نشره برقم (٦٠ فخري) والنقش رقم (Ja ٨٥٦١) من مأرب. ونقشان من مأرب عن تقديم كفارة للإله ذي السموات (ذي س م و ي). وربما أيضاً نقش مسجد تنعم بخولان الذي جاء فيه «... هذا البيت المسجد. آمين. آمين». والنقش البرونزي (رقم ٥٢٣ كوبس) من موقع مدينة هرم بالجوف، وهو الموجود حالياً في متحف فيينا بالنمسا وقد سلف ذكر نصه الكامل.

ـ ونقش مسند في ريده ـ وهو النقش رقم ٥٣٤ ركمانز ـ وهو باسم القَيْل «مرثد الن يارم بن همدان» يذكر فيه قيامه بأعمال عمرانية بعون سيّد السماء والأرض «مرا/ سمين/ وارضن» ويذكر فيه أبا كرب أسعد وأربعة من مساعديه في الحكم أبنائه سائلًا الإله أن يهب السلامة والهناء لآمريه «أبي كرب أسعد وبنيه حسان يهامن، وشرحبيل يعفر، ومعدي كرب يُنعم، وحجر أيفع، ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت» وهو مؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي (٦٧٧ق.م).

ـ ونقشان مسندان في صخرة وادي ماسل الجمح على بعد ٢٥ كلم من مدينة الرياض في نجد، وقد ذكر بافقيه أحدهما قائلًا أنه النقش «الذي عُثر عليه في موضع مُتقدم في شمال الجزيرة العربية يدعى ماسل الجمح وهو النقش (المسند) الذي نعلم منه أن أبا كرب أسعد وابنه حسان يهامن قد زارا ذلك الموضع في ركب من أعراب كندة». [ص١٥٩] ولكننا نعلم ونستنتج منه أيضاً أن أبا كرب أسعد اتخذ من وادي ماسل الجمح قاعدة لجيشه وحملاته إلى بلاد بابل. والنقش الثاني في صخرة وادي ماسل الجمح يذكر أن: «أبا كرب أسعد وابنه حسان يهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت. ومن معهما من أشعب سبأ وحضرموت وحمير، وسد (SWD)، ولاح (WLh)، وكدة.. مروا بذلك الموضع في غزواتهم التي بلغت (أرض/ ميدم/

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٥ جـ١٠.

وداما. .)[1] أي عند عودتهم من تلك الغزوات التي بلغت أرض ميديا وأرض داما.

فتلك هي نقوش المسند المعثور عليها من عهد الزعيم العظيم أبي كرب أسعد بأرجاء اليمن وشمال الجزيرة العربية، ومنها النقش المؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي (٦٧٧ق.م) وهو النقش التالي صورته:

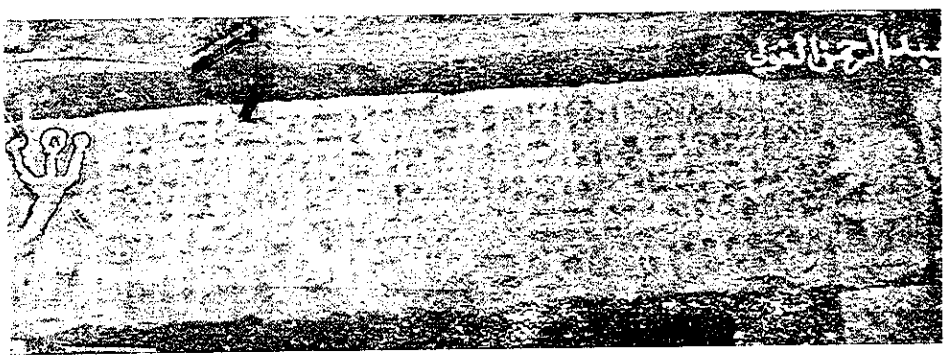

صورة النقش (Ry534) في ريدة باسم ومن عهد «أبي كرب أسعد
وبنيه حسان يهامن وشرحبيل يعفر ومعدي كرب ينعم وحجر ايفع ملوك سبأ. . . الخ»
وهو مؤرخ بعام ٥٤٣ سبئي/ ٦٧٧ق.م.

الكتابة الزُبرية بالعلامات المسمارية:

وكانت الكتب والعلوم والأخبار والمراسلات تُكتب بالكتابة والعلامات الزُبرية المسمارية وليس بكتابة المسند النقوشية الخاصة المقدسة. ومما يشير إلى ذلك في ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل من أنباء عصر أبي كرب أسعد، ما جاء في تاريخ الطبري أنه: قال أسعد تُبّع للكاهن شافع بن كليب الصَدَفيّ: «ما بقىٰ من علمك؟ قال: بقى خبر ناطق وعلم صادق ـ مزبور ـ أحمد النبيّ طوبىٰ لأمته حين يجيء، فبعث تُبّع إلى الزبور فنظر فيه فإذا هو يجد صفة النبيّ ﷺ» [ص٢/ ٩٨] وقال الهمداني في الإكليل: «. . . آمن أسعد تُبّع بالنبيّ ﷺ وقال فيه:

شـهـدتُ عـلـى أحـمـد أنـه رسـولُ مـن الـلّه بـارئ الـنـسـم
لـه أمـة سُـمّـيـت فـي الـزبـور فأمة أحمد خيّر الأمم» [ص٢٢٠/ ١]

فالعلوم والكتب وأخبار الأيام كانت تُزبَر في الزُبر، وهي ألواح طينية من اللّبن يتم وضعها على النار، ثم تُزْبَرُ الكتابة عليها بعلامات وحروف تشبه المسامير، فترسخ الكتابة في اللوح اللّبن ويُسمى زبور، وقد جاء ذكر الكتابتين؛

(١) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ٥٠٩ ركمانز.

كتابة المسند والكتابة الزُبرية، في البيت الذي ذكر الهمداني ونشوان الحميري أن قائله أسعد وهو:

قد كتبنا مسانداً في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور

وقال أحد أبناء أسعد:

كتبنا في ظفار زبور مجدٍ سيقرأه قروم القريتين

وكانت الكثير من الألواح الزُبرية المسمارية موجودة في المواقع الأثرية وعند بعض العلماء باليمن إلى ما بعد الإسلام فقد وصف الهمداني في الإكليل أستاذه أبا نصر اليهريّ بأنه «كان يقرأ زُبُر حِمْيَر ومساندها الدهرية» [ص٩ جـ١].

وقد تم العثور في عصرنا على آلاف النقوش المسندية لأنها منحوتة على الأحجار والصخور، أما الألواح الزبرية المسمارية فلما يتم العثور عليها لأنها داخل مكتبات أطلال القصور التي لما يتم كشف موقع أي منها تحت رمال مأرب وأنقاض ظفار وغيرهما حتى الآن، ولكنها بكل تأكيد كانت موجودة. وقد ذكر ابن دريد الأزدي عن أحد الشعراء الجاهليين أنه قال:

«وزُبْرُ حِمْيَر أخبارها في عُببِ ذابل»

أما في بابل ونينوى بأشور فقد أسفرت تنقيبات أثرية طويلة عن العثور على كثير من الألواح والكتابات الزُبرية المسمارية والرسائل من عهد وباسم أسعد ملك سبارتو وفتوحاته لأرجاء واسعة من المعمورة.

رابعاً

فتوح أسعد لبلدان بابل وفارس وميديا وآسية الصغرى وأرض داما

إن نقش أبي كرب أسعد في صخرة وادي ماسل الجمح بشمال شرق الجزيرة ـ على بعد ٢٥ كلم من الرياض ـ يعطينا الدليل المادي النقوشي المُسندي عن فتوحات أسعد التي بلغت ما يلي بلاد بابل من أرض فارس إلى ميديا (في شمال إيران وآسية الوسطى) ـ وإلى أرض داما ـ (في آسية الصغرى والقوقاز) ـ لأن النقش يذكر أن غزوات أبي كرب أسعد وجيوشه بلغت «أرض ميدم (ميديا) وأرض داما»[1] ويفتح ذلك النقش باباً أوسع إلى عشرات النصوص

(١) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ النقش رقم ٥٠٩ ركمانز.

والألواح الزُبرية المسمارية في بابل وفي أشور عن فتوحات أسعد للآفاق الممتدة.

إن إدراك صحة ما ذكره العلماء والمؤرخون العرب الأوائل عن فتوحات أسعد يستلزم بادئ ذي بدء معرفة أن الزمن الصحيح لأبي كرب أسعد ملك سبأ هو النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد، فقد بحث العديد من الدارسين والباحثين عن مدى صحة ما ذكره المؤرخون العرب عن فتوحات أسعد في الواقع السياسي لبلاد الرافدين وفارس والشام وغيرها، فلم يجدوا ما يدل على صحة ذلك في واقع تلك البلدان لأنهم بحثوا في واقع القرن الخامس بعد الميلاد، بينما الزمن الصحيح لأبي كرب أسعد هو القرن السابع ق. م، بل إن علماء المؤرخين العرب الأوائل أشاروا إلى ذلك الزمن بوضوح فقد قال الهمداني في الإكليل: «وأما اليمانية فقد كان ذهب علمهم في أيام بخت نصر لفتكه بقيولهم في عهد أسعد تُبع أو في أيام حسان بن أسعد»[1]. وبختنصر هو (نبوخذ نصر ملك بابل) وقد تولى حكم بابل سنة ٦٠٥ق.م (أي القرن السابع قبل الميلاد) وذلك هو زمن حسان بن أسعد وعمرو بن حسان بن أسعد فيكون زمن أسعد عند علماء المؤرخين الأوائل هو النصف الأول من القرن السابع ق.م وتؤكد ذلك نقوش المسند لأن الصحيح أنها مؤرخة بالتقويم السبئي، فنقش (ملكيكرب يهامن وبنيه أبا كرب أسعد وذرا أمر أيمن ملوك سبأ..) مؤرخ بعام ٤٩٣ للسبئي ويوافق عام ٧٢٧ق.م. ونقش عهد أبي كرب أسعد بموقع ريده مؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي ويوافق عام ٦٧٧ق.م بالقرن السابع قبل الميلاد.

وقد سلف في المبحث السابق عن عهد «كرب إيل وتار يهنعم ملك سبأ... إلخ. اللقب) في النقشين المسندين (جام ٦٦٦ و٦٦٧) من محرم بلقيس بمأرب أنه «كرب إيل ملك سبأ في منحوتة سنحريب ملك أشور» وقد تولى سنحريب حكم أشور (سنة ٧٠٥ق.م) وانتهج سياسة عدوانية توسعية فغزا بلاد بابل وقضى على حكم الكلدانيين في العام الثاني من حكمه، ثم شن الغزوات على الممالك الآرامية والفينيقية بالشام وأرجاء الشام في العام الرابع من حكمه وذكرت منحوتة سنحريب «أن كرب إيل ملك سبأ أرسل إليه كمية كبيرة من الذهب والحجارة الكريمة». وبالرغم من أن ذلك كان لحماية مصالح سبأ التجارية فقد تخلت دولة تابعة سبأ بذلك عن حلفائها الكلدانيين في بلاد بابل التي سيطر عليها وأخضعها سنحريب لحكم أشور، وكذلك الأراميين والفينيقيين

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.

حلفاء سبأ بالشام، وتفاقم الأمر بانقطاع الطرق والمصالح التجارية إلى فارس وآسية الوسطى والصغرى وغيرها، ثم لم يلبث أن تنازل (كرب إيل) عن العرش في مأرب لأبي كرب أسعد، وشملت ملوكية أسعد الجزيرة العربية (سنة ٧٠٠ق.م) ورابطت قواته بوادي ماسل الجمح في الطريق إلى بابل، وبدأت العمليات الحربية لتغيير الواقع العدواني الأشوري في بلاد بابل، ومناصرة حلفاء سبأ، وإعادة تكوين وتأمين المراكز والطرق التجارية في بلدان المشرق والشمال، فذلك هو سبب وهدف غزوات وفتوحات أسعد التي ذكرها علماء المؤرخين العرب الأوائل، وأجمل ذكرها المؤرخ العلامة نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ التبابعة حيث قال نشوان:

«والكاملُ الملكُ المتوَّجُ أسعدُ ... فيه تقصَّر مِدحةُ المدَّاحِ
كم قادَ من جيشٍ أجشَّ لبابلٍ ... وكتيبةٍ تغشى البلادَ رَداحِ
حتى استباح بلادَ فارسَ بالقنا ... وبكلِّ أجردَ في الجياد وَقاحِ
والتُّركُ والخَزَرُ استباح بلادهم ... «والروم» منه تتَّقى بالراحِ[1]
. . نطحَ الأعاجمَ في جميع بلادهم ... بأحدَّ قَرْنٍ في الوغى نَطَّاحِ
وأذاقَ «موليس» الحِمام وجُؤذراً ... ونجى (قُباذُ) كثعلبٍ صيّاحِ[2]
حتى أتاه «ذو الجناح» برأسه ... من أرض بَلْخَ ونهرِها المنساحِ
. . وغزا إلى أقصى الشمال فخاض في ... ظلماتها بمناره المصباحِ
وكسا البَنِية ثم قرَّب هَدْيَهُ ... سبعينَ ألفاً مِن بنات لقاحِ»

وقائع ونتائج فتح أسعد لبلاد بابل:

لقد كانت مناصرة الكلدانيين البابليين الذين احتل سنحريب ملك أشور بلادهم (سنة ٧٠٣ق.م) وأخضعها لحكم أشور هو هدف العمليات الحربية التي بدأ أسعد ملك سبأ بتوجيهها من منطقة وادي ماسل الجمح إلى بلاد بابل (ما بين ٧٠٠ ـ ٦٩٦ق.م). وكانت عمليات تلك الفترة دعماً للكلدانيين في بلاد بابل

---

(١) المقصود بالروم هنا أرمينية لأنه ذكرهم بعد الخزر.

(٢) موليس هو (فورتيس ملك ميديا) والمقصود بقباذ هو (تيومان ملك عيلام ببلاد فارس) وقد حارب (تيومان) وأتى برأسه (شرحبيل بن أسعد) وهو المقصود بذي الجناح. ويمكن تصويب البيت كما يلي:

«وأذاق (فورتيس) الحمام وجؤذراً ... ونجا (تيومان) كثعلب صياح
حتى أتاه (شرحبيل) برأسه ... من أرض بلخ ونهرها المنساحِ»

وليست عمليات حربية سبئية مباشرة لأنه وكما ذكر نشوان: «كان أسعد يكثر التوجه بقواده فإذا سار بنفسه لم يسر إلا في كل عشر سنين سنتين» [ص١٢٣] ـ فالغزو الذي قاده وسار فيه أسعد بنفسه وجيشه كان في السنة العاشرة من عهده أو بعد عشر سنين من بداية عهده فيكون ذلك سنة (٦٩٠ ـ ٦٨٩ق.م). أما قبل ذلك فكان يدعم الكلدانيين البابليين. وبالعودة والبحث في دراسات تاريخ بابل وبلاد الرافدين يتبين أنه: كان سنحريب قد عيّن على بابل أحد أتباعه المسمى (بيل ابنى).. وثار البابليون سنة ٧٠٠ق.م. وجهز سنحريب حملة ضخمة سنة ٦٩٦هـ وأخضع الأجزاء الجنوبية التي كانت بيد البابليين إلى مصب نهر الفرات على الخليج[١].

ـ وفي سنة (٦٩٠ ـ ٦٨٩ق.م). خاض (بلادن حاكم بلاد بابل) وخاض (سنحريب ملك أشور) حرباً في بابل، يفترض الدارسون أنها بين (بلادن) و(سنحريب) بالرغم من انهزام كليهما. «وفي عام ٦٨٩ق.م صب سنحريب جام غضبه على بلاد بابل فدمر مدينة بابل ودك حصونها وقصورها وسلط ماء الفرات على أنقاضها، وترك بابل ـ عائداً بجيشه إلى أشور ـ»[١] وهذا إنما يدل على أن سنحريب ملك أشور لما أحاقت الهزيمة به وبجيشه وأوشكت مدينة بابل على السقوط قام بذلك التدمير العدواني الرهيب لمدينة بابل ودك حصونها وقصورها وسلط ماء الفرات على أنقاضها ورحل من بلاد بابل مع بقايا جيشه إلى بلاد أشور في شمال العراق، واختفى اسم (بلادن) الذي يبدو أنه إنما كان نائب سنحريب في بابل ورحل معه إلى أشور.

إن العام الذي حدث فيه ذلك (٦٨٩ق.م) هو نفس العام الذي أشار إليه نشوان الحميري بقوله: «لم يسر ـ أسعد للغزو ـ إلا في كل عشر سنين سنتين» لأن ملوكية أسعد لدولة تبابعة سبأ بدأت سنة ٥١٩ سبئي (٧٠١ق.م) واكتملت سنة ٧٠٠ق.م. وبعد عشر سنين سار بنفسه وجيشه وقبائله حيث كما قال نشوان:

والكاملُ الملكُ المتوَّجُ أسعدُ ... فيه تُقصِّر مدحة المدَّاح
كما قاد من جيشٍ أجش لبابلٍ ... وكتيبةٌ تغشىٰ البلاد رداح

فيكون دخول وفتح أسعد بلاد بابل سنة ٦٨٩ق.م حين دمر سنحريب مدينة بابل وانسحب إلى أشور.

---

(١) الوجيز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٥٢٢.

ويمكن أن نربط ذلك أيضاً بجوهر ما ذكره عبيد بن شريه الجرهمي مع تصويب الالتباس الذي وقع فيه نتيجة عدم معرفة اسم الملك في بلاد بابل والظن بأنه قباذ وإنه فارسي، والمهم هو جوهر الخبر حيث قال عبيد بن شريه: «أقْبَلَ تُبّع أسعد بن ملكي كرب في جموع حِمْيَر وكملان من اليمن ومعهم أولادهم، حتى وقفوا بأرض العراق، فسار تُبّع حتى نزل أرض الحيرة، فعسكر بجموعه فيها إلى الكوفة مما يلي شط الفرات، قبل أن تكون الحيرة والكوفة بزمن طويل، ثم إن العجم اجتمعوا إلى ملكهم قباذ ببابل [والصواب أن الأشوريين اجتمعوا إلى ملكهم ببابل] -، ولم يكن تُبّع علم هل اجتماعهم للحرب أو للهزيمة، فبعث شمَّراً ذا الجناح على مقدمته بالجيوش وجَرّد معه الخيول [لحصار الذين ببابل] -، ورحل تُبّع في الأثر من مكانه الذي رحل منه شمّر، مجدًّا في الطلب، فتحيّر في صحراء الحيرة، ثم نظر فإذا هو غير بعيد من مكانه الذي رحل منه، فقال تُبع: إن لهذا المكان شأناً عظيماً، فخَلّف العيال والضعفاء والأثقال، وخَلّف معهم عشرة آلاف فارس لحفظهم، وسمّي تُبَّعُ الحيرةَ للذي كان من تحيّره، ومضىٰ تُبّع حتى واقَعَ (قباذاً) ببابل وجموعه، واقتتلوا قتالًا شديداً، فانهزم (قباذ) وجنوده»[1]. فيكون أصل ذلك أنه انهزم (سنحريب) وجنوده وجموعه ببابل، ولذلك دمّر مدينة بابل ورحل مع جنوده من بلاد بابل إلى أشور. وقد يكن تبّع أسعد أسكن الذين أسكنهم بموضع الحيرة في الفرات الأسفل بسبب تدمير الأشوريين لمدينة بابل وحصونها وقصورها عند انسحابهم منها، ودخل أسعد وجيشه مدينة بابل وبدأ بإعادة بنائها في ذلك العام.

ولقد ترتبت على ذلك الفتح لبلاد بابل نتائج وتأثيرات تاريخية وحضارية تتمثل في التالي:

أ ـ انضواء بلاد بابل تحت الملوكية العليا لأسعد ملك سبأ، وتذكره ترجمات النصوص الزبرية المسمارية المعثور عليها هناك باسم (أسرحدون) ولقب (ملك سوبارتو) الذي هو في الأصل (ملك سبأ ـ أرتو) بمعنى (ملك أرض سبأ). وأما الاسم (أسرحدون) فإن الكتابة المسمارية ليست كتابة أبجدية وإنما هي علامات ذات رموز كثيرة مقطعية، ولذلك يوجد اجتهاد في ترجماتها، وعلى سبيل المثال يذكر د. جيمس بريستد في كتاب العصور القديمة اسم الملك (شوربيلت) بينما يورد طه باقر اسم نفس الملك بأنه

(١) الوجيز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٥٢٢.

(أشور بانيبال) فالفرق بين القراءتين للاسم الواحد كبير، وكذلك فإن الاسم المترجم بلفظ (أسرحدون) أو (أسرعدون) إنما هو (أسعد) وكأنّ العلامة التي تشبه (رح) هي حرف (ع)، فأسرعدون ملك سوبارتو إنما هو أسعد ملك سبأ. وتذكر الدراسات أن حكمه لبلاد بابل بدأ في عام ٦٨٩ق.م. عندما أخرب سنحريب ملك أشور مدينة بابل وانسحب منها، ولذلك افترض بعض الدارسين أنه ابنه وإنما هو عدوه أسعد ملك سبأ.

ب ـ يذكر طه باقر أن سنحريب ملك أشور لما دمر مدينة بابل عام ٦٨٩ق.م. «أقسم أن بابل لن تقوم لها قائمة طوال ٧٠ عاماً... ومن الطريف ذكره أن «أسرحدون» لما عزم على إعادة بناء بابل، فسر الرقم (٧٠) بأنه رقم (١١) وكلا الرقمين يكتب بعلامتين مسماريتين متطابقتين مع تغيير مرتبتهما العددية»[١] ونرى أن هذا تأويل طريف بعيد عن الصواب، وإنما بدأ أسعد «أسرعدون» بإعادة بناء بابل في العام (١١) من بداية حكمه لمملكة سبأ وهو عام ٦٨٩ق.م. حيث كما ذكر طه باقر «استخدم (أسرعدون) أهل بابل في إعادة بناء بابل واستغرقت أعمال البناء والتجديد الجسيمة وقتاً طويلاً... وقد تم العثور في أطلال بابل على نصوص مدوّنة ـ بالكتابة المسمارية ـ وبقايا أبنية من عهد (أسرعدون) الذي نال بأعماله الحسنة وإعادة بناء مدينة بابل رضا البابليين» [ص٥١٩].

جـ ـ إن البابليين في ذلك الزمن هم الكلدانيون (كلدة) الذين قال د. سامي الأحمد أن نصوصاً في العهد القديم أشارت إلى «الأصل الواحد للسبئيين والكلدانيين وهو بلاد اليمن. وقد توفرت الأدلة المادية منذ بدء الحفريات في المواقع الأثرية بالعراق القديم على صحة ذلك»[٢] وتتمثل تلك الأدلة المادية في العثور على نصوص مكتوبة بالمسند في المواقع الكلدانية ببلاد بابل تعود إلى الفترة من القرن الثامن إلى القرن السادس ق.م[٢]. وقد شمل اسم (كلدانيين) الذين أوطنهم أسعد بمنطقة الحيرة في الفرات الأسفل ببلاد بابل وهم عشائر يمانية سبئية (من قضاعة وكدة وتنوخ ولخم وغيرهم) مع زهاء عشرة آلاف من الفرسان.

وقد أعاد أسعد حكم بلاد بابل للكلدانيين، فبينما تذكر دراسات تاريخ

---

(١) الوجيز في تاريخ حضارة الرافدين ـ د. طه باقر ـ ص٥٢٢.

(٢) اللغات الجزرية ـ د. سامي الأحمد ـ ص٧.

الرافدين أن (أسرعدون) هو الذي أعاد بناء مدينة بابل فإن المصادر اليونانية وهيرودوتس اليوناني يذكر أن الملكة الكلدانية سميراميس ملكة بابل هي التي قامت ببناء بابل وحدائقها المعلقة وإنها حكمت بابل مع زوجها أربعين سنة» وليس ذلك أسطورة كما ظن طه باقر وغيره من الدارسين، فلا بد أن (سميراميس) الكلدانية حكمت بابل في تلك الفترة بالفعل في إطار الملوكية العليا لأسعد (أسرعدون) ملك سبأ (ملك سبا ـ رتو).

فتح أسعد لبلاد فارس وبلاد ميديا وآسية الصغرى:

وقد مضى أسعد بجيوشه من بلاد بابل شرقاً حيث كما قال نشوان الحميري:

والكامل الملكُ المتوجُ أسعدُ ... فيه تقصر مِدحة المداح
كم قاد من جيشٍ أجش لبابل ... وكتيبة تغشى البلاد رداح
حتى استباح بلاد فارس بالقنا ... وبكل أجرد في الجياد وَقاح
والترك والخزر استباح بلادهم ... والروم منه تتقي بالراح
وأذاق «موليس» الحِمام وجؤذراً ... ونجا (قباذ) كثعلب صياح
حتى أتاه (ذو الجناح) برأسه ... من أرض بَلْخ ونهرها المنساح

ويتبين من البحث في نصوص (أسرعدون ملك سبارتو) المعثور عليها في بابل ونينوى ما يلي:

أ ـ كانت في بلاد فارس مملكة عيلام وكانت عاصمتها مدينة سوسه في جنوب إيران واسم ملكها (تيومان) ـ وليس قباذ ـ وكان (تيومان) قد دخل في معاهدة مع الملك أسعد (أسرعدون) ثم نكث بالاتفاق، فسار إليه شرحبيل بن أسعد (شوربيلت بن أسرعدون) فغزا وافتتح بلاد فارس (عيلام) وعاصمتها (سوسه) فهرب ملكها (تيومان) فلحقه شرحبيل إلى المنطقة التي هرب إليها وقتله وقطع رأسه وعاد برأسه حيث «عُلق رأس الملك تيومان في حديقة القصر الملكي. وقد جاء ذلك مرسوماً في إحدى الرسوم المنحوتة في قصر شوربيلت في نينوى»[1]. ويطابق ذلك تماماً ما ذكره نشوان مع تصويب الاسم كما يلي:

وأذاق (فورتيس) الحِمام وجؤذراً ... ونجا (تيومان) كثعلب صياح

(١) الوجيز ـ د. طه باقر ـ ص٥٢٢ و٥٢٧ و٥٢٠.

حتى أتاه (شُرحبيل) برأسه من أرض بلخ ونهرها المنساح

ب ـ أما الملك الذي ذكره نشوان باسم (موليس) فهو الملك فورتيس [فوريرتس Phoraertes] ملك بلاد ميديا (مادي) ـ بشمال إيران وآسية الوسطى ـ وقد ذكرت دراسات نصوص (أسرعدون) في بابل ونينوى أنه «قام (أسرعدون) بتوجيه عدة حملات إلى بلاد مادي وحارب ملكها فوريرتس.. ثم قام ابنه (شوربيلت) بمحاربة الميديين في معركة أسفرت عن مقتل الملك فوريرتس»[1] وهذا يقابل ما تذكره الدراسات أيضاً بقولها «في عهد الملك الأشوري سنحريب ظهرت قوة عظمى جديدة ـ في آسية الصغرى ـ تحارب الأشوريين والميديين وهم السبكتيون Scbytians أو سباثيين Sebythians، وقد أورد جاردنر اسمهم بلفظ السباذيين. وقاموا بغزو بلاد الميديين، فاحتلوا بلاد ميدي وقتلوا ملكها فهرورتيس Pharaertes وحكموا بلاد مادي حتى عام ٦٢٥ق.م»[1] فتلك القوة العظمى إنما هم (سبأ) قوم أسعد (أسرعدون ملك سبأ ـ رتو) الذين فتحوا بلاد مادي (ميديا) وآسية الصغرى معاً ـ (وهي بلاد الترك والخزر وأرمينية في شعر نشوان) ـ وقتلوا (موليس) وهو (فورتيس) أو (فهروتيس ملك مادي) وهي (ميديا) في نقش أسعد بماسل الجمح (النقش ٥٠٩ ركمانز) بأن فتوحاته بلغت (أرض ميدم) وهي أرض ميديا (مادي).

انضواء أشور والشام تحت الملوكية العليا لأسعد ملك سبأ:

وفي عام ٦٨٢ق.م. مات سنحريب ملك أشور حيث اغتاله بعض أبنائه، وعندئذٍ «أصبح أبناء سنحريب يناطح أحدهم الآخر كالتيوس من أجل الملوكية في أشور، وهرب أحد أبناء سنحريب من أشور إلى بابل بسبب اتهامات إخوته»[1] وكان أسعد (أسرعدون) في بابل، فسار إلى أشور حيث مال إليه أهلها وانضوت بلاد أشور تحت ملوكيته العليا. وقام أسعد (أسرعدون ملك سبارتو) ـ كما تذكر الدراسات ـ «قام ببناء قصر في تل النبي يونس في نينوى وقد عثر المنقبون في أطلال القصر على ألواح مزبورة بالعلامات المسمارية ورسوم منحوتة عن غزواته وحروبه». ومما سجلته تلك الألواح وتدل عليه الدراسات:

أ ـ انضواء بلاد أشور تحت ملوكية أسعد (أسرعدون) ولذلك اعتبرته الدراسات ملك أشور، بل وذهب بعضها إلى أنه ابن سنحريب وأن لقب (ملك

(١) الوجيز ـ د. طه باقر ـ ص٥٢٢ و٥٢٧ و٥٢٠.

سوبارتو) يعني (ملك أشور). وقد ناقش د. طه باقر هذا الاسم (سوبا ـ رتو) الذي يقرأه البعض أيضاً (سبارتو). وقال: «... إن الأشوريين لم يطلقوا تسمية (سوبارتو) على بلادهم وعلى أنفسهم» [ص٤٧٤] وهذا يؤكد ما أسلفنا تبيينه بأن (سبا ـ رتو) إنما هي (أرض سبأ) وأن (أسرحدون) أو (أسرعدون ملك سبارتو) إنما هو (أسعد ملك سبأ) فالاسم إنما هو (أسعد) أو (أسعدون) بإضافة علامات الإعراب والتفخيم بالكتابة الزبرية المسمارية.

ب ـ وقد ذكرت الألواح أن الملك أسعد (أسرعدون) سار إلى الشام (عام ٦٨١ق.م). فانضوى في طاعته ملوك ممالك الشام الآراميين والفينيقيين ومنهم «الملك خزعل العربي. والملك ويتعه Uaitaa ملك القدوريين. والملك كامش خالتا ملك مؤاب. والملك نانتو ملك الأنباط. وملك صور وعبد ملكوتي ملك صيدا». وكان بمنطقة من فلسطين آنذاك كيان (مملكة يهودا) وكان ملكها (منسي بن حزقيا) فأظهر الصداقة والولاء، ثم نكث فأرسل ابن أسعد جيشاً من أشور «فأخضعوا منسي بن حزقيا ملك يهودا وأخذوه مقيداً بالسلاسل إلى نينوى». ثم أطلق سراحه بعد التزامه بما تم الاتفاق عليه. ويذكرنا ذلك بالشعر المنسوب إلى أسعد وإنه قال:

فأيّ بلاد لم ندوخ ملوكها وأيّ عزيز لم نَقُدْ بالسلاسل

جـ ـ لقد قام أسعد «أسرعدون» ببناء قصر في موقع تل يونس في نينوى ببلاد أشور، واستخلف ابنه شرحبيل «شوربيلت» فقام ببناء قصر عظيم ومباني في نينوى وأصبحت عاصمة أشور، واستقرت في أشور وفينيقية آنذاك عشائر وقوات من قوم وجيش أسعد، وقد أثبتت دراسة عالم الآثار الأميركي الدكتور فان بيك: «إن أسلوباً جديداً في مجال البناء قد أدخل إلى أشور وفينيقية في أوائل القرن السابع قبل الميلاد» وإنه ـ كما قال العالم الفرنسي بول جينبه ـ «إن ذلك الأسلوب في مجال البناء كان منتشراً في جنوب الجزيرة العربية كلها في القرن السابع ق.م»[1] ويدل ذلك على أن فن البناء الذي أُدخل إلى أشور وفينيقية هو فن البناء اليمني السبئي وذلك عند انضواء أشور وفينيقية تحت ملوكية أسعد ملك سبأ وتوطين قوات وعشائر ممن كانوا معه هناك وبناء قصره وقصر ابنه (شوربيلت = شرحبيل) في أشور،

(١) ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية ـ بول جينبه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٢٧.

ففن البناء اليمني السبئي هو من الشواهد التي لا تخطئ دلالتها على تلك الحقيقة وذلك الفتح في عهد أسعد بأوائل القرن السابع ق.م.

بلوغ أسعد أرض الظلمات (أرض داما):

قال نشوان الحميري في أبياته عن فتوحات أسعد:

. . والترك والخزر استباح بلادهم ... والروم منه تَتَّقِي بالراح
. . وغزا إلى أقصى الشمال فخاض في ... ظلماتها بمناره الوضاح

وقال الحسن الهمداني صاحب الإكليل في قصيدته التاريخية الدامغة:

ومِنَّا الرائشان وذو رُعَيْنٍ ... ومَنْ طَحَنَ البلاد لأن تدينا
وقادَ الخَيْلَ للظلمات تَدْمي ... دوابرها لكثرة ما وجينا
فدانَ الخافقان له وأضحى ... ملوكهما له مُتضائلينا
أبو حسان أسعد ذو تبان ... فذلك واحدُ عدم القَرِينَا

وأرض الشمال التي فيها أرض الظلمات هي أرمينية وبلاد القوقاز حالياً، وكان يسكنها أقوامٌ يقال لهم (الكميريون) وهم من أهل جنوب روسيا، وقبائل الأشكوزيين Ishkuzai وأرمينية. وهم من الجنس التركي اليافثي، ويذكرهم المؤرخون العرب باسم الترك والخزر، وقد سجلت ألواح ومنحوتات قصر أسعد (أسرعدون) وشرحبيل (شوربيلت) في نينوى بأشور فتح واجتياح أسعد لتلك البلاد الشاسعة وإنه: «نجح (أسرعدون) مرة بالحرب ومرة بالدبلوماسية أن يوطد الأمور والمصالح التجارية في أرجاء تلك البلدان الواسعة، واتّبع سياسة المصالحة والتحالف مع تلك الأقوام، وأبرم اتفاقات مع ملوكهم، وزوّج أحد ملوكهم المسمى (بارتاتوا) من أميرة أشورية» [ص٥٢٢ باقر].

وفي أقصى أرض الشمال تلك تقع أرض الظلمات التي بلغها ودخلها أسعد بخيوله وجيوشه وتقع شمال القوقاز عند منقطع العمران في الشمال، وجاء في الإكليل أنه قال أسعد في ذلك:

ودخلتُ في الظُلمات أعظم مدخل ... من حيث لا زرعُ ولا أوطانُ
ومعي مقاولُ حِمْيَرٍ وملوكها ... والأزدُ أزدُ شنوءة وعُمانُ
ومعي قضاعةُ والغطارف خَثْعَمُ ... وبَجِيلةُ وذوو العلىٰ غسانُ
ومعي فوارس كِندةٍ وملوكها ... والشُّمُّ مَذْحَجُ والذُرىٰ همدان
. . أرض الظلامَ غزوا وحولي منهم ... عُصبٌ يضيقُ لجمعها الغيطان

قُلتُ اقبضوا، فإذا الحصىٰ بأكفّهم والـدرُّ والـيـاقـوتُ والـمـرجـانُ
ثم انصرفتُ بحمْيَر وجموعها ثَـلِجُ الـفـؤاد وأنـنـي جـذلانُ[1]

وقد يكون ذلك الشعر إنما قيل على لسان أسعد في أزمنة لاحقة ولكن محتوى ومضمون الشعر صحيح، والقبائل المذكورة في الشعر إنها كانت معه جاء ذكرها في نقشه المسند بصخرة وادي ماسل الجمح (٥٠٢ ركمانز) وقد انصرف أسعد من بلاد القوقاز وأرض الظلمات (داما) وأرمينية إلى نينوى (أشور)، وقد ذكرت الألواح الزُبرية المسمارية المعثور عليها في نينوى فتوح أسعد لتلك البلدان القوقازية وآسية الصغرى وإنه أبرم اتفاقات مع أقوام وملوك تلك الجهات. وبذلك تم تأمين القواعد والطرق التجارية والسيطرة عليها. وكان من نتائج ذلك ما نقله د. عدنان ترسيسي عن أغاثر سيدس اليوناني حيث قال أغاثر سيدس:

«يتاجر السبئيون بغلال بلاد العرب والهند فيحملونها على القوافل إلى الغرب أو بحراً إلى بابل، ولهم سفن ضخمة تسير في المحيط الهندي ومراكب تسير في الأنهار يصلون بها إلى بابل، وقد يصعدون في دجلة إلى مدينة (أوبيس) ومنها تنتقل البضائع وتنتشر في بلاد مادي وأرمينية وما جاورها»[2].

عودة أسعد من تلك الفتوحات إلى اليمن:

وقد استخلف أسعد ابنه شرحبيل على أشور والأقاليم الخارجية (الشمالية والشمال شرقية) واستخلف (شمس ـ سم ـ إيس) على بابل ومشارقها، وعاد ومعه ابنه (حسان) إلى اليمن (أرض سبأ) حيث مَرّ في طريق عودته بوادي ماسل الجمح في شرق شمال الجزيرة العربية وقام بتدوين نقش مسند في صخرة ماسل الجمح ـ وهو النقش رقم ٥٠٩ ركمانز ـ باسم «أبي كرب أسعد وابنه حسان يهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طوداً وتهامت» ويذكر النقش مرورهما بذلك الموضع ومعهما الجيش وقبائل «أشعُب/ سبأ/ وحمير/ وحضرموت/ وس د (SWD) ـ [أي الأسد/ = الأزد] ـ/ ول ح (Wlh) ـ [ربما مذحج] ـ / وكندة» عند عودتهم من الغزوات التي بلغت «أرض ميدم [ميديا] وأرض داما...»[3] وميدم (ميديا) هي أرض مادي، أما (داما) فقد تكون هي أرض الظلمات بشمال القوقاز.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٢٤ جـ٨.
(٢) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٢٩.
(٣) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ النقش ٥٠٩ ركمانز.

ومضى أسعد من ماسل الجمح إلى مكة حيث قال نشوان:

وكسا البَنِيّة ثم قَرَّبَ هَدْيَهُ سبعينَ ألفاً من بنات لقاح

وتلك هي كسوة أسعد الثانية للكعبة لأنه كساها في أول عهده (سنة ٧٠٠ق.م). ثم كساها الكسوة الذهبية عند عودته من فتوح بابل وميديا وبلدان المشرق والشمال وداما (حوالي سنة ٦٨٠ق.م). ثم مضى أسعد من مكة إلى العاصمة مأرب وكان بها أحد أولاده ثم مضى إلى مدينة ظفار وأقام بها، فكانت ظفار هي العاصمة ومقر أسعد مع استمرار مدينة مأرب عاصمة في ذلك العصر، قال الهمداني: «قال أسعد:

ومأرب قد نُطِّقَتْ بالرخام وفي سقفها الذهب الأحمر»

ويتفق ذلك مع ما ذكرته المصادر اليونانية، قال أغاثر سيدس «يوجد في سبأ كل شيء يجلب السعادة للإنسان... ودعائم بيوتهم تلمع بالذهب والفضة وأبوابهم من العاج مزينة بالجوهر وباطنها يشبه خارجها».

وقد امتدت الملوكية العليا لأبي كرب أسعد إلى أرجاء واسعة من المعمورة بحيث قال الهمداني:

فدان الخافقان له وأضحى ملوكهما له متضائلينا

وقال الشاعر الجاهلي ربيع بن ضبع الفزاري:

ومأرب إذْ كانت وأملاك مأرب توافي جباة الصين بالخرج مأربا
وقُل في ظفارٍ يوم كانت ملوكها يدينون قسراً شرقها والمغاربا

يعني ملوك سبأ التبابعة وكان أعظمهم أبو كرب أسعد، فقد شملت ملوكيته العليا بلدان بابل وأشور وفارس ومادي وآسية الوسطى والصغرى إلى أرض داما، وبلاد الشام، وكانت قواعد سبأ التجارية تمتد شرقاً إلى الهند والصين لذلك قال نشوان:

والصينُ تجبي خرجَها عمالُه في بُكرةٍ من دهرهم ورَواح

وقد ذكرت الألواح الزُبرية المسمارية في نينوى الملك أسعد (أسرعدون ملك سبارتو) بأنه «ملك ملوك الأرض/ ملك أركان الأرض الأربعة». ويبدو أن الركن الجنوبي كان الجزيرة العربية (أرض سبأ) والحبشة والساحل والقرن الأفريقي، والركن الثاني ـ الشرقي ـ بابل وفارس إلى الهند وشرق المحيط الهندي، والركن الثالث ـ الشمالي ـ أشور والشام والقوقاز وآسية الصغرى (تركيا حالياً) وبحر الشام (شرق البحر المتوسط)، أما الركن الرابع ـ الغربي ـ فهو مصر

وبلاد الغرب والمغرب التي كانت ساحة المرحلة الثانية من فتوحات أسعد.

خامساً

المرحلة الثانية من فتوحات أسعد
(فينيقية ـ مصر ـ المغرب)

نبأ استنصار أُم عمرو الفينيقية بأسعد:

كان من أسباب المرحلة الثانية من فتوحات أسعد ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل من أنه ـ كما ذكر نشوان الحميري ـ («إن امرأة من الشام أتت إلى أسعد تشكو من رجل (هو أحد أمراء الشام) ذبح كبشاً لها غصبها على أخذه، فآلت يميناً لتشكونه إلى ملك اليمن إن لم ينتصف لها ملك الشام، فلم ينتصف لها ملك الشام من عامله الغاصب عليها ذلك الكبش، فوفدت على أسعد الكامل بظفار، فأدلت إليه بشكيتها من الملك الشامي، فآلىٰ أسعد لينصرنها ولينصفنها، وأمرها بالإنصراف إلى بلدها وقد وعدها بوصول العساكر، لرأس السنة، فراحت وأقامت تنتظر وصول العساكر وفاء الحول». [ص١٢٨].

ويبدو أن تلك المرأة الشامية ـ واسمها أُم عمرو ـ غضبت حين وعدها أسعد إلى رأس السنة، وقالت كلاماً، مما جعل أسعد يقول الأبيات المشهورة التي ذكرها نشوان قائلاً: «وأسعد هو القائل:

سَلِيْ تُخْبَرِي عن كلِّ محضِ الشمائلِ ... وعن كلِّ فيَّاض اليدين مُقَاتِلِ
وسيري أريكِ المُلْك أو تَنْظُرِينه ... بعينيك إرثاً في صميم المَقَاوِلِ
أريكِ ذرى قَحْطَان حيث ابتنى لها ... أبوها قصوراً حكّمت بالجنادل
لِتَسْتَيْقِنِي أنّا أرومة معشر ... كرام جدودٍ مِنْ ملوكٍ أفاضَلِ
وتستيقني أنّا أرومة مَنْ مَضَىٰ ... وما خابِرٌ يا أم عمرو كجاهلِ
حجبنا بناء المجد طرًّا فلم ندع ... بما قد حجبنا من محلٍ لنازلِ
. . فأيّ بلاد لم ندوّخ ملوكها ... وأي عزيز لم نقد بالسلاسل
لنا فيلقٌ صعب القياد عرندسٌ ... ثمانون ألفاً راكباً غير راجلِ
وألفٌ وألفٌ، ألفُ ألفٍ مُسَرْبَلٌ ... يجيبون طوعاً للأمير الحلاحلِ
فهيهات قومي أُم عمرو عن الخنا ... مكان الثريا من يد المتناول»[1]

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٢٨ و١٣٣.

فانصرفت أم عمرو إلى بلدها بالشام ـ وهي منطقة صيدا في فينيقية بالساحل السوري اللبناني من الشام ـ وأقامت تنتظر وعد أسعد بوصوله مع العساكر عند وفاء الحول، أي وفاء السنة.

فتح أسعد لفينيقية والقضاء على عبد ملكوتي ملك صيدا:

وعند وفاء الحول انطلق أسعد بجيش كثيف من اليمن إلى الموصل في العراق وهي بلاد أشور التي سلف ذكر انضوائها تحت ملوكيته سنة ٦٨١ق.م. وإنه استخلف عليها ابنه الملك شرحبيل بن أسعد ـ الذي تذكره ترجمات النصوص الزُبرية المسمارية في قصر نينوى باسم (شوربيلت بن أسرعدون) ـ وقد جاء في الشعر المنسوب إلى أسعد أنه سار «إلى ساحة الموصل ثم قرى الشام والساحل»[1]. وسار أسعد من الموصل (أشور) إلى منطقة الساحل السوري اللبناني (فينيقية) حيث حارب وهزم الملك (عبد ملكوتي ملك صيدا) وهو الحاكم الذي شكت أم عمرو منه إلى أسعد]، ويتطابق ما ذكره المؤرخون الأوائل عن تلك الغزوة في شعر منسوب إلى أسعد مع ما ذكرته منحوتة في لوحة زبرية مسمارية في أطلال قصر (شوربيلت بن أسرعدون) في نينوىٰ (أشور) عن تلك الغزوة، فقد جاء في الشعر المنسوب إلى أسعد عن تلك الغزوة أنه قال:

«نحن نصرنا أم عمرو الشفا ... ولم أكن عن نصرها خاملُ
نحن قتلنا عاقراً كبشها ... وكان عن صولتنا غافلُ
ظَنّ بأن البحر أَنْجَىٰ له ... لم ينجه بحرٌ ولا ساحلُ
وغاب والخيلُ على إثره ... أين أراد الصانع الفاعلُ»

وذلك الشعر قد يكون قيل على لسان أسعد في أزمنة لاحقة لتسهيل التعريف بتاريخه، ولكن جوهره ومضمونه صحيح، ويتطابق مع المنحوتة المزبورة بالمسمارية في نينوى حيث جاء فيها: «إن الملك أسرعدون غزا عبد ملكوتي ملك صيدا، فهرب عبد ملكوتي وقائد جيشه إلى البحر، فلحق بهم (أسرعدون) وفرسانه وقتلهما بوسط ساحل البحر. وقام بإجلاء أهل وأتباع عبد ملكوتي من صيدا، وضمَّ منطقة صيدا إلى ملك صور. وتتضمن المنحوتة رسماً للملك أسعد (أسرعدون) وفرسانه وهم يعبرون ساحل البحر

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٢٨ و١٣٣.

ورسماً لمقتل عبد ملكوتي وقائد جيشه في وسط مياه ساحل البحر».

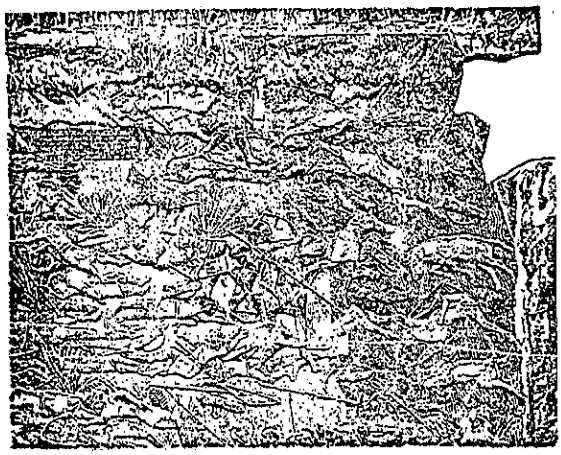

لوحة من رسوم قصر شوربيلت في نينوى ـ عن كتاب العصور القديمة لجيمس بريستد ـ واللوحة عبارة عن مشهد لمعركة صيدا ـ عام ٦٧٧ق.م. ـ حيث يتضمن المشهد رسماً للملك أسعد (أسرعدون) وفرسانه وهم يلحقون بالملك عبد ملكوتي في وسط البحر ومقتل عبد ملكوتي في منتصف وسط مياه ساحل البحر

فتح أسعد لمصر وبلاد المغرب:

آنذاك كانت مصر تحت حكم واحتلال «تارقو ملك مصر والحبشة» ـ وهو ملك من الحبشة وجهات السودان احتل وحكم مصر منذ سنة ٦٨٨ق.م. ـ فلما عاد أسعد من صور وصيدا (فينيقية) إلى أشور، قام بحشد الجيوش لفتح وتحرير مصر، فاستناداً إلى الألواح الزُبرية المسمارية المعثور عليها في قصر شوربيلت في نينوى تذكر الدراسات عن ذلك الفتح ما يلي:

«سار أسرعدون إلى الشام وعمل على ضمان ولاء القبائل العربية في بادية الشام لضمان سلامة مرور جيوشه إلى مصر، وعقد العهود مع بعض أمراء ومشايخ بادية الشام مثل دومة الجندل» [ص٥٢٢/ باقر].

«ومضى أسرعدون ـ سنة ٦٧٩ق.م. ـ بجيوشه الجرارة إلى مصر فاستولى على المدينة التي ورد ذكرها بهيئة (أرزاني) ثم مضى إلى رفح RAPIHU جنوب غزة، ثم أجاز سيناء، فبلغ حدود مصر الخضراء بعد مسير خمسة عشر يوماً». [ص٥٢٨ باقر].

وقد أورد (آلن جاردنر) في كتابه (مصر الفراعنة) ترجمة الفقرات التالية من

اللوحة الزُبرية المسمارية للملك (أسرعدون) عن فتح مصر ـ على لسان الملك (أسرعدون) ـ كما يلي «من مدينة (أيشوبري) إلى (منف) مسيرة خمسة عشر يوماً حاربتُ كل يوم في معارك دموية ضد تارقو ملك مصر وأثيوبيا الملعون من كل الآلهة، ولقد أصبته خمس مرات بسنان سهامي التي سَبّبَتْ له جراحاً، وحاصرتُ مدينة منف مقره الملكي. . .» (اهـ). بينما أورد (طه باقر) ترجمة نفس الفقرات كما يلي «من مدينة (أشحفري) إلى العاصمة منفس (Mempi) وهي مسافة ١٥ يوماً، قاتلتُ قتالاً متواصلاً جيش تهراقا ملك مصر والحبشة الملعون من جميع الآلهة. لقد أصبته خمس مرات بسهامي محدثاً به جراحاً لم يشف منها، ثم حاصرت ممفي (منفس) عاصمته وفتحتها في نصف يوم. . . وغنمتُ الملكة وحرم قصره وولى عهده وأولاده الآخرين وجميع أمواله وخيوله وماشيته. . . وأجليتُ جميع الأحباش عن أرض مصر» [ص٥٢٣].

وقد اشترك في ذلك الغزو والفتح (شوربيلت ملك أشور بن أسرعدون ملك سبارتو) ـ والذي نرى أنه شرحبيل بن أسعد وكان أبوه قد مَلّكه على أشور سنة ٦٨٠ق.م. ـ وقد جاء في ترجمة ألواحه المزبورة بالمسمارية في قصره بنينوى أنه «في العام الثاني من ملوكيته لأشور سار بجيشه من نينوى إلى مصر، وحارب جيش (تارقو ملك مصر والحبشة) فانهزم تارقو وأصيب وحوصر في منف (منفس). لقد تغلب رعب السلاح المقدس على تارقو (تهراقا) فهرب من منف واتخذ ملجأ ولم يُسمع عنه بعد ذلك». (اهـ).

وجاء في نص (جاردنر) عن ترجمة نص (أسرعدون) عن فتح مصر أنه قال: «وعيّنت في مصر وفي كل مكان ملوكاً جدداً وحكاماً وضباطاً ورؤساء موانئ وموظفين رسميين». (اهـ) بينما أورد طه باقر ذلك بلفظ: «وعيّنت ملوكاً على أقاليم مصر وحكاماً موظفين ومراقبين للموانئ، وفرضتُ عليهم ـ [خراجاً سنوياً] ـ يُدفع إليّ بصفتي سيّدهم». [ص٥٢٣] ـ ونرى أن النص في كتاب (جاردنر) لم يقل مصر فقط وإنما «مصر وجهات الغرب» وقد أورد جاردنر ذلك بلفظ: «عيّنت في مصر وفي كل مكان». فكلمة (في كل مكان) تعني «جهات المغرب». وقد ذكر الهمداني في الإكليل بلوغ أسعد أقصى المغرب حيث قال: «إن شراحيل نفيل بن أعرب ينكف هو الذي وجد أسعد مسنده في أقصى المغرب ففزع أن يكون بلغ ذلك الموضع أحد قبله». [ص٩٩/ ٢ ـ الإكليل].

وأما الذين عينهم أسعد «أسرعدون» على مصر، فجاء في نص (شوربيلت) ما يلي: «وقد عيّن أبي (أسرعدون) على سايس وأقاليمها (نخو/ نكسيس)

ملكاً... وعيّن على أتريب وأقاليمها (نابوشزيباني) ملكاً...» (اهـ) وقال جاردنر «ربما كان (نابوشزيباني) هو (بسامتيكوس) ملك مصر في المصادر اليونانية والمصرية». (اهـ) ـ وذلك هو ما يدل عليه الزمن، فالاسم المنقول في الترجمات بلفظ (نابوشزيباني) هو في الأصل (بسامتيوس)، ويؤكد ذلك أن كافة الأسماء المنقولة عن الألواح الزبرية المسمارية حصل فيها اجتهاد واسع من الدارسين بسبب كثرة وتشابه علاماتها ورموزها، فالاسم المنقول بلفظ (أسرحدون) إنما هو (أسعد)، واسم ابنه المنقول بلفظ (شوربيلت) ولفظ (شوربانيبال) هو في الأصل (شُرحبيل) واسم الملك الذي ولاه على مصر والمنقول بهيئة (نابوشزيباني) هو في الأصل (بساميس/ بسامتيكوس). وقد يكون هو (الصامخ زوج لميس بنت أسعد الكامل) والذي جاء عنه في الإكليل أنه «قال علقمة بن ذي جدن:

ولـمـيـس كـانـت فـي ذؤابـة نـاعـطٍ يجبي إليها الخَرْج صاحبُ بربر
والصامخُ الملكُ المُملك بعلُها ذو التاج حين يلوثه بالمنبر»

وقد عاد أسعد من مصر والمغرب إلى الشام ثم إلى نينوى (أشور) حيث سجلت الألواح الزُبرية المسمارية فتوحاته لفينيقية ومصر والمغرب وغيرها عند عودته (سنة ٦٧٧ق.م).

نتائج فتح أسعد لفينيقية والتي امتدت إلى اليونان:

لقد كانت منطقة الساحل السوري اللبناني (فينيقية) مركز النشاط التجاري إلى اليونان وجزر وسواحل البحر الأبيض المتوسط الأوروبية، وقد كان من النتائج والآثار التي ترتبت على فتح أسعد إياها ما يلي:

ـ قام أسعد بالقضاء على (عبد ملكوتي ملك صيدا) وضم منطقة صيدا إلى (ملك صور) بحيث أصبحت مدينة صور عاصمة منطقة (فينيقية) جميعها، ولا بد أنه أوطن فيها حاميات عسكرية وعشائر يمنية من الذين كانوا معه فأصبحوا طبقة جديدة من الفينيقيين الذين هم جميعاً في الأصل من اليمن، وقد أثبتت الدراسات أنه ـ كما قال الباحث العربي اللبناني فرج اللّه ديب ـ «أن من سميوا فينيقيين ليسوا إلا أجدادنا عرب الحضارة اليمنية القديمة»[1].

ـ وكان من نتائج ذلك الفتح والاستقرار السبئي في عهد أسعد بالقرن السابع ق.م. ظهور واستخدام فن النحت اليمني السبئي في أشور وفينيقية،

(١) اليمن هي الأصل ـ فرج اللّه ديب ـ ص١٦.

وأدّى النشاط التجاري السبئي الفينيقي إلى امتداد ذلك الفن المعماري إلى اليونان. فقد أورد عالم الآثار الأميركي د. فان بيك: «إن أسلوباً فنياً جديداً في مجال البناء قد أُدخل إلى أشور وفينيقية وأماكن أخرى منذ أوائل القرن السابع ق.م». وقال عالم الآثار الفرنسي بول جينبه: «إن ذلك الأسلوب في مجال البناء كان منتشراً في منطقة جنوب الجزيرة العربية كلها في القرن السابع ق.م. وله نفس الخصائص الموجودة في فينيقية ورودس واليونان.. كما أن بعض الأبنية الفينيقية في القرن السادس ق.م. تدل على استخدام الأساليب التي تتوفر في فن البناء المتواجد في آثار جنوب الجزيرة العربية. وقد تم استخدام تلك التقنية في معبد Echman في Sidon بفينيقية. كما أن بعض الأبنية الفينيقية في القرن السادس ق.م. تدل على استخدام أحجار تصل لعدة أمتار منقورة ومتقدة ومقطوعة على شكل ذنب طائر السنونو وهي الأساليب التي تتوفر في آثار جنوب الجزيرة العربية. إن ذلك الأسلوب في مجال البناء قد ظهر في اليونان ـ أيضاً ـ ويمكن أن يكون ذلك الأسلوب قد انتقل إلى اليونان عبر ميلتوس Milet حيث نجِدُ أول دليل على ذلك... إن أكثر النماذج من اليونان التي تشبه نفس الطراز في جنوب الجزيرة العربية هو حائط شرفة مارماريا دلف Marmaria de Delph.. وقد شاع وانتشر ذلك الأسلوب في مجال البناء باليونان بالقرن الخامس ق.م. وهو يماثل نفس فن البناء في آثار جنوب الجزيرة العربية»[١].

ـ ويذكر د. جيمس بريستد أنه: «منذ أوائل القرن السابع ق.م. استعمل اليونان قطعاً نقدية على أحد وجهيها صورة بومة وفي الوجه الآخر صورة رأس الآلهة أثينا ـ أو تشبه رأس الآلهة أثينا ـ وكان مصدر تلك النقود من ليديا ـ واستعملها اليونان إلى أن تم سك نقود يونانية مماثلة عام ٥٠٠ق.م. في اليونان»[٢]. ولكن مصدر تلك النقود لم يكن منطقة (ليديا) فقد كانت (ليديا) مركز مستوطنة تجارية فينيقية. فتم استعمال تلك النقود في فينيقية وليديا واليونان، وقد تم العثور في اليمن على العديد من تلك القطع النقدية وهي موجودة حالياً في متحف جامعة صنعاء، وهي قطع نقدية في أحد وجهيها صورة بومة (رخمة) وفي الوجه الثاني رأس ملك وحرفان رمزيان بالمسند. فهي نقود يمنية سبئية تم سكها واستعمالها باليمن منذ أوائل القرن السابع ق.م. (عهد أبي كرب أسعد) حتى القرن السادس ق.م. وتم استعمالها في النشاط التجاري

(١) ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية ـ بول جينبه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٢٧.
(٢) العصور القديمة ـ د. جيمس هنري بريستد ـ ص٢٣٦.

السبئي الفينيقي إلى ليديا واليونان وغيرها، ثم قلدها اليونان سنة ٥٠٠ق.م. فسكوا القطع النقدية اليونانية وجعلوا في أحد وجهيها صورة الآلهة (أثينا) وفي الوجه الآخر صورة البومة (رخمة) وسموها بنفس اسمها السبئي الفينيقي (ذي رخمة) ولكنهم صحفوه قليلاً فقالوا «دراخمة». وقد كان أهم ما أخذه اليونان من النشاط التجاري السبئي الفينيقي إلى اليونان هو الحروف الأبجدية الهجائية وهي ـ كما سلف التبيين ـ العطاء الخالد للحضارة العربية اليمنية في ذلك الزمن التليد.

ـ وقد جاء في الألواح الزُبرية المسمارية المعثور عليها في قصر (شوربيلت) في نينوى، إن الملك أسعد (أسرعدون) وصلت إليه هدايا بالسفن من ملوك صور وقبرص وياتانا. أو (يوتانا) ويبدو أنها (اليونان).

رسم منحوت في أطلال قصر (شوربيلت) في نينوى بأشور
للملك أسعد (أسرعدون ملك سبا ـ رتو ملك أركان الأرض الأربعة).

سادساً

عودة أسعد إلى اليمن ثم وفاته

بعد المرحلة الثانية من فتوحات أسعد التي شملت فينيقية ومصر والمغرب وغيرها مكث أسعد فترة في نينوى (أشور) وقد دان لملوكيته العليا الخافقان، وأقرّ ابنه شُرحبيل (شوربيلت) ملكاً على أشور والأقاليم الخارجية المرتبطة بها، وأقرّ (سمس سميس) ملكاً على بابل ومشارقها، وعاد أسعد إلى اليمن فكسا الكعبة للمرة الثالثة ومضى إلى مدينة ظفار فاستقر بها.

وقد جاء في النقش المسند «رقم RY ٥٣٤» بموقع ريده ذكر الملك «أبي كرب أسعد» مع أربعة مساعدين له في الحكم بصيغة «أبي كرب أسعد وبنيه حسان يهامن وشرحبيل يعفر ومعدي كرب ينعم وحجر أيفع ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودا وتهامت» وهو النقش المؤرخ بعام ٥٤٣ سبئي (٦٧٧ق.م).

ولما رجع أسعد من أشور وغيرها أقام في مدينة ظفار ثمان سنين، أو ـ كما قال نشوان ـ «أقام أسعد ما شاء اللّه أن يقيم، ولما اعتلّ علته التي مات منها لمرض شديد، دعا ابنه حساناً وجعل يوصيه» (اهـ).

وقد أورد نشوان وكذلك الهمداني في الإكليل وصية أسعد لابنه حسان بأنها قصيدة أولها:

حَضَرتْ وفاة أبيك يا حسَّانُ فانظر لنفسك فالزمان زمانُ

ونرى أن العلماء تناقلوا وصية أسعد وتم نظمها شعراً في عصور متأخرة لتسهيل التعريف بتاريخ أسعد، فالشعر ليس لأسعد ولكن مضمون الشعر هو مما كان في وصية أسعد فتم نظمها شعراً، وبصفة خاصة الأبيات التالية:

ولقد علمتُ لئن هَلَكْتُ وأوحشت مني ظَفَار وعُطِّلَتْ رَيْدَانُ
ليُغَيْبَنّ من الملوكِ عَظِيمُها ولتَفْقَدَنَّ حليفها التيجانُ
. . إيّاك يا حسَّان والعجز الذي يزري بمثلك والعروض تصانُ
وافطن لكاهنتي فإنّ كلامها حقٌّ، وإنّ قبورنا غَيْمانُ

وكان لأسعد كاهنة تسكن في جبل ينور، وهو على مسيرة ساعة من صنعاء. قال نشوان: «فأرسل أسعد تُبّع ابنه حساناً إليها وقال له: إذا أتيت ينور فاقرعْ الجبل فإنه سيُفتح لك باب، فادخل حتى إذا أتيت إلى المرأة فأخبرها أنّي

مُثقل بالمرض، فانظر ماذا تقول لك وما تأمرك به، ولا تعصها في شيء. فأقْبَلَ حسان حتى انتهى إلى الجبل فقرعه، ففُتح له باب، فدخل فلما انتهى إلى المرأة ـ الكاهنة ـ أخبرها الخبر، [أي أخبرها بمرض أبيه ووصف لها مرضه، لعل عندها دواء لذلك المرض] ـ فأشارت الكاهنة إلى حسان أن يجلس على كرسي فيه (هيئة) حيات وعقارب ودود، فأبىٰ، وقعد على الأرض. ثم قدمت بين يديه طبقاً فيه [هيئة] رؤوس ناس، فقالت: كُلْ هذا، فأبىٰ أن يفعل ذلك. فدعت بقدح فيه دم، فقالت: إشربه، فأبىٰ أن يشربه. فقالت له: ما أبعد همَّتك مِن همَّة أبيك، وقالت له: انظر إذا رجعت إلى أبيك، ودخلت باب غيمان، فاقْتُل أول من يلقاك مِن الناس، وأَدرِك أباك فهو في آخر رمق. فخرج حسان مسرعاً... ثم دخل إلى أبيه، فأخبره الخبر، وما قالت له المرأة.. فقال له أسعد: ما أراك إلا مخطئاً، وما هذه إلا أمثال ضربتها لك ـ [أي إن الحيات والعقارب ورؤوس الناس وقدح الدم ليست حيات وعقارب ورؤوس ودماء حقيقية] ـ أما الكرسي فإنه لا يَمْلك حِمْير إلا من صبر على مثل لدغ الحيات والعقارب والدود، وأما الذي سَقَتْك فإنه لا يملك حِمْير إلّا من أهرق دمها، وأما الرؤوس والعظام فإنه لا يملك حمير إلا من أكل أموالها...» ثم أورد نشوان رواية ثانية قائلًا: «وهذا قد أوَّله له أبوه، فقال: لو أنك أكلت الرؤوس لخضعت لك الرؤساء، ولو أنك قعدت على الكرسي الذي فيه الحيات والعقارب والدود لكثر ولدك». [ص١٣٧].

ثم اشتد المرض بأبي كرب أسعد ـ رضي اللّه عنه ـ وقبل موته تنبأ وأخبر بأمور كثيرة منها: «إن تُبّعاً بشَّر بنبيّ سيجئ اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء، وإن المُلك سينتقل إلى أن يصير إلى قريش» قال عبيد بن شريه الجرهمي: «ثم إن تُبَّعاً بشَّر حِمْيَر بأن المُلك سيعود إليها بعد أن يصير إلى قريش، يعيده اللّه إليها على يديّ رجل من ولد قحطان اسمه على ثلاثة أحرف يجمع اللّه له الأرض ويدعو إلى اللّه سبحانه..» (اهـ).

ثم مات أبو كرب أسعد ـ رضي اللّه عنه ـ في حوالي سنة ٥٥١ للتقويم السبئي (الموافق ٦٦٩ قبل الميلاد) وقد جاء أنه «مات بغيمان» ولكن وصيته التي تم نظمها شعراً جاء فيها ما يشير إلى أنه مات بظفار، حيث جاء فيها:

ولقد علمتُ لئن هَلَكْتُ وأوحَشت ... مني ظَفَار وعُطِّلت ريدانُ

ليُغَيَّبَنّ من الملوك عظيمها ... ولتَفْقَدنّ حليفها التيجانُ

ويمكن أن يكون مات بظفار وتم دفنه بغيمان جنوب صنعاء، وقد يكون الذي تم دفنه بغيمان هو الملك أسعد الثاني ابن حسان ابن ذي غيمان وهو في عصر دولة تبابعة حِمْير الأخيرة، فوقع الالتباس بسبب واحدية الاسم (أسعد) بينما أبو كرب أسعد من ملوك سبأ التبابعة، وكانت وفاته سنة ٥٥١ للتقويم السبئي (٦٦٩ق.م). بأواسط القرن السابع ق.م. فهو أسعد تُبّع المذكور في القرآن، وفيه قال الشاعر علي بن علي صبرة:

«أسعد الكامل الذي زيَّن الـ ـمَجْدُ به صدره الكريم الساميّ
وإذا تُسئل التواريخ عنه نهضت في تواضع واحترام
وعليه صلت بمحرم بلقيسٍ صلاة الإجلال والإكرام
وعلى روحه تلت سورة المجد وقالت طوبىٰ وحسن مقام
فعليه الصلاة من كل جيلٍ وعلى آله جزيل السلام
اليمانون أيمن الخلق بالخلق أبرّ العباد بالأرحام»

المبحث الثاني

عهد حسان الأول ابن أبي كرب أسعد
ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويُمانت وأعراب الطود وتهامت
(٥٥١ـ٥٥٦ سبئي ٦٦٩ـ٦٦٤ق.م)

هو الملك «حسان يهامن بن أبي كرب أسعد بن ملكيكرب يهامن». قال الهمداني: «ومعنى هَامَن آمَن، إلّا أنّ حِمْيَر قد تُبْدِلُ الهاءَ مكان الهمزة»[١]. فيكون (حسان يهامن) بمعنى (حسان الآمن).

وكان حسان ملكاً منذ عهد أبيه فقد جاء ذكرهما معاً في عدة نقوش مُسندية، منها النقش رقم ٥٠٩ ركمانز في صخرة وادي ماسل الجمح في موضع متقدم بشمال الجزيرة العربية ـ على بعد ٢٥ كلم من الرياض ـ وهو بصيغة: «أبي كرب أسعد وابنه حسان يهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت»[٢] ونقش موقع ريدة المؤرخ بعام ٥٤٣ سبئي (٦٧٧ق.م) وهو بصيغة «أبي كرب أسعد وبنيه حسان يهامن وشرحبيل يعفر

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٣٨ جـ٢.
(٢) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ النقش رقم ٥٠٩ ركمانز.

ومعدي كرب ينعم وحجر أيفع ملوك سبأ، وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت»[١]. وقد جاء اسم حسان في هذا النقش متقدماً على اسم أخوته، وفي نقش ماسل الجمح (٥٠٩ ركمانز) جاء اسم (أبي كرب أسعد وابنه حسان يهامن ملكي سبأ... الخ» دون ذكر بقية أخوته، ويدل ذلك على أنه كان ملكاً مع أبيه وأنه سيكون الملك بعده، وكذلك كان، فبالرغم من عدم العثور على نقوش من عهده المنفرد، فإن تلك النقوش تدل على أنه الملك بعد أبيه، كما ذكر ذلك أيضاً سائر المؤرخون العرب الأوائل. وفيه قال نشوان الحميري:

«أمْ أينَ حسانُ بن أسعدَ خانه ... دهرُ تلا الإحسانَ بالأقباح
ورياحُ الطَّسْميُّ لمّا جاءه ... مستعدياً فشفى غليل رياح
أفنىٰ جديساً باليَمامة إذْ عَلوا ... صَسْماً بحدِّ ذوابل وصِفاح»[٢]

أولًا

خبر حسان مع الكاهنة ومع أخيه في أول عهده

لقد سلف ذكر أن أبا كرب أسعد لما مرض المرض الذي مات فيه، كان قد أرسل ابنه حساناً إلى كاهنة جبل يَنور، وقال له أخبرها أنّي مُثقل بالمرض، فانظر ماذا تقول لك... فلما صار حسان إلى الكاهنة وأخبرها عن مرض أبيه ووصف لها مرضه، أدركت أنه مرض الموت ولا شفاء له من ذلك المرض. فامتحنت الكاهنة حساناً بالأمور الثلاثة التي سلف ذكرها، والتي نرى أن هدفها من ذلك كان المقارنة بينه وبين أخيه (شرحبيل) وأن الكاهنة استشعرت بمعرفتها وفراستها أن صراعاً على العرش سينشب في المستقبل بين حسان وأخيه، فلما امتحنته بالأمور الثلاثة قالت له (ما أبعد همّتك من همة أبيك)، وقد تكون إنما قالت: «ما أبعد همّتك من همة أخيك» ثم قالت له: «إذا رجعت إلى أبيك، ودخلت باب غيمان، فاقتُل أول مَنْ يلقاك من الناس، وأدرك أباك فهو في آخر رمق. فخرج حسان مسرعاً حتى.. دخل إلى أبيه فأخبره بما قالت له الكاهنة، فقال له أبوه: هذه أمثال ضربتها لك... إلخ». والمهم هنا أنه لما مات أسعد (بظفار) توافد الملوك والأمراء والأذواء والرؤساء

(١) تاريخ اليمن الثقافي ـ النقش رقم RY٥٣٤.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٣٨.

والقادة للمشاركة في تشييع جثمانه، ويروى أن أسعداً قال قبل موته:

«قولوا لِحْمير يقبروني قائماً من حولي الحبلات والتيجان»

فتمَّ تحنيط أسعد، ولما توافد الملوك والأمراء والأذواء والقادة من داخل اليمن وخارجها لتشييع جثمانه، يبدو ـ من باب الاستنتاج ـ أن الملوك والأمراء والرؤساء والأذواء والقادة تجمعوا عند باب مدينة غيمان حيث سيتم دفن أسعد، بينما انطلق موكب جثمان أسعد من مدينة ظفار يتقدمه الملك حسان وكبار القادة والفرسان من سائر مناطق حِمْير (ذي ريدان) وساروا مسيرة عدة أيام حتى وصلوا إلى غيمان، حيث استقبلهم الملوك والأمراء والرؤساء والقادة والأذواء الذين تجمعوا في غيمان، وكان على رأسهم أخوه شرحبيل بن أسعد وأخوه معدي كرب بن أسعد، وكانت الكاهنة قالت لحسان: «إذا دخلت باب غيمان، فاقتل أول من يلقاك». قال نشوان: «فلقيه على باب غيمان أخوه معدي كرب، فأبىٰ أن يقتله. وكان تأويل كلام الكاهنة: أما أخوك فسيقتلك إن لم تقتله». [ص١٣٧]. وقد ذكر نشوان أنه «لقيه.. أخوه معدي كرب» ونرى أنه «أخوه شرحبيل» أو أنهما (شرحبيل ومعدي كرب) معاً، وقد جاء ذكرهما معاً بعد حسان في نقش موقع ريدة بصيغة (أبي كرب أسعد وبنيه حسان يهامن وشرحبيل يعفر ومعدي كرب ينعم..» وكان قدوم شرحبيل ومعدي كرب من الخارج، ولا بد أن الملك حسان عانقهما عند باب غيمان، ومضى الجميع بجثمان أسعد في موكب عظيم، لم يكن مثله في التاريخ، وتم دفنه في مثواه الأخير.

وتمت لحسان ملوكية سبأ والملوكية العليا، وعاد شرحبيل إلى نينوى ملكاً لأشور وما كان إليه من بلاد الرافدين، ولم يقع بينهما أي صراع على الملوكية إلا بعد نحو ثلاث سنين.

ثانياً

نبأ طَسْم وجدِيس وزرقاء اليمامة في عهد حسان

قال ابن خلدون: «أما جدِيس وطَسْم فعند ابن الكلبي أن جديساً لأرم بن سام وديارهم باليمامة وأن طَسْماً للاوذ بن سام وديارهم بالبحرين، وعند الطبري أنهما معاً للاوذ وديارهم باليمامة، قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي بسنده إلى ابن إسحاق وغيره من علماء العرب: إن طسماً وجديساً كانوا من ساكني

اليمامة[١] وهي إذْ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً وثماراً وحدائق وقصوراً، وكان ملك طَسْم غشوماً لا ينهاه شيء عن هواه ويقال له عملوق[٢]، وكان مصرًّا لجديس مستذلًا لهم حتى كانت البكر من جديس لا تُهدى إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها، وكان السبب في ذلك أنّ امرأة منهم كان اسمها هزيلة طلقها زوجها وأخذ ولده منها فأمر عملوق ببيعها وأخذ زوجها الخمس من ثمنها فقالت شعراً تتظلم منه فأمر أن لا تزوّج منهم امرأة حتى يفترعها، فأقاموا كذلك حتى تزوجت الشموس وهي عفيرة ابنة غفار بن جديس أخت الأسود فافتضها عملوق فقال الأسود بن غفار لرؤساء جديس: قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذي ينبغي للكلاب أن تعافه فأطيعوني أدعوكم إلى عزّ الدهر، فقالوا: وما ذاك؟ قال: اصنع للملك وقومه دعوة فإذا جاءوا ـ يعني صَسْماً ـ نهضنا إليهم بأسيافنا فنقتلهم، فأجمعوا على ذلك ودفنوا سيوفهم في الرمل، ودعوا عملوقاً وقومه فلما حضروا قتلوهم فأفنوهم، وقتل الأسود عملوقاً»[٣].

وعن تفصيل ذلك قال نشوان الحميري: «إن الأسود بن عفار ـ عظيم جدِيس ورئيسها ـ أتى الملك عمليقاً فقال: أيها الملك إني أحب أن تجعل غداءك عندي أنت وجميع جندك. قال عمليق: إن عدد القوم كثير، ولا أحسب البيوت تَسَعَهم، فقال الأسود: فنخرج لهم إذاً غداء إلى بطن الوادي. وهو وادي اليمامة الذي البيوت على حافتيه. فقال عمليق: لا بأس بذلك. ثم إن الأسود بن عفار جمع سيوف أصحابه بالليل فدفنها في الرمل على حافة الوادي وقال لقومه: إذا اشتغل القوم بالأكل فاستخرجُوا سيوفكم من الرمل واحملوا عليهم. فلما أصبحوا، هيأوا الطعام، وأتى عمليق وجنوده إلى بطن الوادي، وحمل الأسود إليهم الطعام وقام على رجليه ومعه أشراف جديس يقدمون الطعام، فلما أكبّ عمليق على الطعام هو وجنوده ثارت جديس واستخرجوا سيوفهم من الرمل وحملوا عليهم، فقتلوا الملك عمليقاً وجميع قومه، فلم يسلم أحد إلا رجل واحد اسمه رياح بن مرّة، فإنه هرب منهم،

---

(١) قال نشوان الحميري: «طسم وجديس ابني عامر بن أرم بن سام». فهما من القبائل الآرامية، وكانوا يسكنون إقليم اليمامة إلى عروض البحرين.

(٢) قال نشوان: «كان ملكاً على طسم وجديس يقال له عمليق بن جباس وكان مطيعاً لملوك حمير» [ص١٣٨] ـ فكان مُلكه في إطار الطاعة لملوك سبأ التبابعة الحميريين، قال نشوان «وكان جباراً».

(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٤ جـ٢.

فطلبوه، فأعجزهم هرباً حتى سلم. وقالت امرأة من طسم في ذلك:

قَـتَـلَتْ صَـسْـمـاً جـدِيـسُ هـكـذا بـغـيـاً وظُـلـمـا
إنـهـم كـانـوا مـلـوكـاً جـمـعـوا رأيـاً وحـزمـا
غـدروا بـالـحـيّ طَـسْـمـاً قُـلِّدوا عـاراً وإثـمـا...»

قال ابن خلدون: «وأفلَت رياح بن مرّة الطسمي وأتى حسان بن تُبَّع مستغيثاً، فنهض حسان في حِمْيَر لإغاثته حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل، فقال له رياح: إن لي أختاً متزوجة في جديس اسمها اليمامة ليس على وجه الأرض أبصر منها، وإنها لتُبصر الراكب على ثلاث مراحل، وأخاف أن تُنذر القوم. فأمر حسان كل رجل أن يقلع شجرة فيجعلها في يده ويسير خلفها، ففعلوا، وبصرت بهم اليمامة فقالت لجديس: لقد سارت إليكم حِمْيَر وإنّي أرى رجلاً من وراء شجرة بيده كتف يتعرقها أو نعل يخصفها، فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به، وصبّحهم حسان وجنوده فأبادهم وخرب حصونهم وبلادهم..».

وقال نشوان الحميري: «مضى رياح بن مرّة الذي أفلت من القتل حتى أتى الملك حسان بن أسعد الكامل مستغيثاً، فوجده بنجران معسكراً يريد التوجه إلى العراق، فدخل عليه وشكا إليه ما كان من غدر جديس بطسم وبمليكهم عمليق، وإنه كان في طاعته، فغضب حسان من فعل جديس وغدرهم بطسم، ونهض إليهم بجنوده.

قال عبيد بن شريه: «لما شاور حسان أقيال حمير[1] على غزو جديس، قالوا: أيها الملك لا تنهض بجنودك إلى أكلة رأس من جديس، فإنما هم وطسم عبيدك، قَتَلَ بعضهم بعضاً، فقال لهم حسان: إني أريد أن انتصف لبعضهم من بعض»[1]. ثم نهض وسار الملك حسان بأقيال وجنود سبأ وحمير من مأرب إلى نجران ومنها إلى اليمامة. قال نشوان: «... غضب حسان من فعل جديس وغدرهم بطسم، ونهض إليهم بجنوده، فقال له رياح الطسمي: أيها الملك، إن فيهم امرأة زرقاء تنظر على مسيرة ثلاثة أيام، وستنذر قومها إذا رأت الجنود فيهربون. فأمر الملك حسان جنوده أن يحمل كل واحد منهم غصناً من الشجر

(١) أقيال حمير: هم الأقوال الثمانون والأملاك الأذواء الثمانية في عصور ملوك سبأ التبابعة، وكان مقرهم بمدينة مأرب، وكان الملوك لا يقطعون في أمور الحرب إلا بعد العرض عليهم، ولذلك قالت الملكة بلقيس: «يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون». وكانوا من أبيات سبأ وحمير.

فتكون في أيديهم، فيغطون بتلك الأغصان نفوسهم[١] ففعلوا ذلك وساروا إلى اليمامة، فنظرت الزرقاء إلى الجيوش قد أقبلت، ورأت رجلًا منفرداً من الجيش يخصف نعلًا له ـ أو يريد لكتف أكلًا ـ فقالت لقومها: لقد جاءتكم حِمْيَر وسارت إليكم الشجر[١] قالوا: كيف تسير الشجر، لقد خولط عقلك، فكذبوها حتى ورد عليهم الملك حسان بالجنود وهم على غير استعداد للحرب ولا للهرب، فتحصنوا في قصورهم، فأقام يحاربهم حتى استنزلهم، فقتلهم، فلم يفلت منهم أحد». [ص١٤٢].

قال ابن خلدون: «ودعا تُبّع ـ حسان ـ باليمامة أخت رياح التي أبصرتهم، فقلع عينيها، ويُقال إنه وجد بها عروقاً سوداء، زعمت أنّ ذلك من اكتحالها بالإثمد. وكانت تلك البلد تُسمّى جوّ فسُيمت اليمامة باسم تلك المرأة»[٢].

وقال نشوان: «أمر الملك حسان بالزرقاء فأُدخلت عليه، فقال لها: بم نلت هذا البصر؟ فقالت: بحجر الإثمد، كنت أدقه وأسحقه وأكتحل به كل ليلة إذا أويت إلى فراشي. فأمر بقلع عينيها، فوجدوا للحدقتين عروقاً سوداء من الكحل وكثرته. وكانت المرأة تُسمّى اليمامة، وكان وادي اليمامة يُسمَّى جَوًّا، فسمّي باسم اليمامة، وقد ذكرها الشعراء، قال بعضهم وهو سطيح الكاهن:

ما أبصرت ذات أشفار كنظرتها ... يوماً كما صدق الدنيا إذا سجعا
فحاولت نظرة ليست بكاذبة ... إذْ يرفع الأولُ رأس الكلب فارتفعا
قالت: أرى رجلًا في كفّه كتفٌ ... أو يخصفُ النعل يكفي أنه صَنَعا
فكذّبوها بما قالت فصبّحهم ... ذو آل حسان يُزجي البِيض والشرعا
فاستنزلوا آل جَوٍّ من منازلهم ... وهدموا شاخص البنيان فاتضعا»[٣]

ويتبين من البحث ما يلي:

ـ إن حسان اسم ملكين، أولهما (حسان يهامن بن أبي كرب أسعد ملك سبأ... إلخ) وهو من ملوك سبأ التبابعة في القرن السابع قبل الميلاد، وثانيهما (حسان بن غمران) من ملوك الدولة الحميرية في عصر تبابعة حمير بالقرن

(١) قال المسعودي في مروج الذهب: «إن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأكثرها جناناً وغيطاناً.. وكانت مسيرة أكثر من شهر على هذه الحالة، وإن الراكب والمارّ كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية وإحاطتها بها» [ص١٨١/ ٢] فكانت كذلك ما بين مأرب واليمامة.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٥ جـ٢.

(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٢ ـ ١٤٣.

الخامس الميلادي. فالملك حسان الذي في عهده كان هلاك طسم وجديس هو حسان الأول بن أبي كرب أسعد ملك سبأ في أواسط القرن السابع قبل الميلاد. وقد ذكر الهمداني في الإكليل: إن حسان بن أسعد وفناء طسم وجديس كان في أيام بختنصر ملك بابل[١] وذلك يؤكد أنه: (حسان بن أبي كرب أسعد ملك سبأ) لأن بختنصر وهو (نبوخذ نصر ملك بابل) تولى حكم بابل سنة ٦٠٥ق.م. بالقرن السابع قبل الميلاد، والذي عاصره هو (عمرو بن حسان بن أسعد) وعهدهما متقارب.

ويؤكد ذلك أيضاً أن قبيلتي طسم وجديس من القبائل الآرامية (قبائل أرام بن سام) وكان أكثرهم قد انتقلوا إلى الشام وبابل منذ قرون سابقة، فهم من القبائل الآرامية العربية السامية القديمة الذين يُقال لهم (العرب البائدة).

ـ قال ابن خلدون: «وبقيت اليمامة بعد طَسْم يباباً...» وقال: «وكانت طيئ تسكن الجوف من أرض اليمن، وكان الوادي ـ وادي الجوف ـ مسبعة ـ [فيه سباع كثيرة] ـ وكان يجتاز بهم بعير في زمن الخريف ويذهب ثم يجيء من قابل ولا يعرفون مقره، وكان الأزد قد خرجت من مأرب أيام سيل العرم ـ [أيام معدي كرب بن عمرو بن حسان] ـ واستوحشت طيئ فظعنوا على أثرهم، وقالوا لسامة ـ بن لؤي بن الغوث بن طيئ وهو سيدهم ـ: هذا البعير إنما يأتي من الريف والخصب لأن في بعره النوى، فلما جاءهم زمن الخريف اتبعوه يسيرون لسيره حتى هبطوا عند الجبلين وهجموا على النخل في الشعاب وعلى المواشي، وإذا هم بالأسود بن عفار ـ وكان هرب من حسان بن أسعد لما أباد جَدِيس ـ فوجدوه في بعض تلك الشعاب فهالهم خلقه وتخوّفوه وتعجبوا من صغر خلقه... فرماه سامة فقتله. وأقامت طيئ بالجبلين بعده». [ص٢٥/ ٢] ـ وقال ابن خلدون: «كانت الرئاسة على طيئ في الجاهلية لبني هاني بن عمرو بن الغوث بن طيئ» [ص٢٤٠/ ٢].

ـ وقد جاء اسم (بني هاني) واسم (جوّ) في النقش المسند المعيني (رقم ٤٨٥ هاليفي) حيث يذكر النقش أن «بني هاني رؤساء جَوّ، قدموا قرباناً إلى معبد معين ـ بالجوف ـ في عهد مليكهم تُبّع كرب ملك معين بن يثع إيل ريام»[٢].

ويؤكد هذا النقش صحة ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل ونشوان

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.
(٢) النقش المعيني ـ رقم ٤٨٥ هاليفي.

الحميري بأن اسم اليمامة كان «جَوّ». وصحة أن قبيلة طيئ سكنت اليمامة ومنطقة الجبلين بعد طَسْم وجديس، وذلك في عصر دولة معين التي قامت بعد عصر ملوك سبأ التبابعة في القرن الخامس ق.م. وبالتالي يتأكد أن فناء طسم وجديس كان في عهد حسان الأول ابن أبي كرب أسعد بأواسط القرن السابع ق.م.

ثالثاً

الصراع بين الملك حسان وأخيه الملك شُرحبيل... ومقتل حسان

منذ عهد (أبي كرب أسعد) كان ابنه (شُرحبيل) ملكاً لإقليم أشور بالعراق وكان مقره مدينة (نينوى) في الموصل، وتذكره دراسات تاريخ أشور وبلاد الرافدين باسم (شوربيلت بن أسرعدون)[1] وقد تم العثور في أطلال قصره في نينوى بأشور على ألواح كثيرة مزبورة بالمسمارية ومنحوتات ورسوم عن فتوحات أبيه الملك أسعد (أسرعدون) وحكم شُرحبيل (شوربيلت) لأشور وأقاليم خارجية منذ سنة ٦٨٠ق.م، ولما مات أسعد (سنة ٥٥١ سبئي/ ٦٦٩ق.م). أصبح حسان ملكاً لسبأ وله الملوكية العليا، وشرحبيل ملكاً لأشور (العراق) والمراكز الخارجية.

وبعد نحو ثلاث سنين اندلع الصراع بين الملكين حسان وشرحبيل، وتوقف شرحبيل عن الاعتراف لأخيه بالملوكية العليا، ثم اندلعت الحرب بينهما، وقد جاء في الألواح المزبورة بالمسمارية في نينوى أن الملك شرحبيل (شوربيلت) غزا أنصار أخيه في بابل ثم شرق شمال الجزيرة العربية حيث «شن حملة على بعض القبائل المساندة لأخيه فدحر قبيلة بني قيدار ورئيسها أبو عاطي»[2].

وجاء في السيرة الجامعة «إن حساناً نهض بجنوده يريد العراق، فصعب ذلك على أقيال حمير، وعلموا أنه لا ينتهي عن غزوته حتى يبلغ بهم حيث بلغ أبوه. فشقّ ذلك عليهم، فاختلفوا إلى أخيه عمرو بن أسعد»[3]. وقد وقع التباس

---

(١) أورد جيمس بريستد الاسم بلفظ (شوربيلت) وفي ترجمات أخرى (آشور بانيبال بن أسرحدون) وهو شرحبيل نفسه.

(٢) بنو قيدار: قبيلة بني قيدار ابن إسماعيل بن إبراهيم وهم أسلاف قبيلة عدنان بشمال الجزيرة.

(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٣.

في كتب التاريخ التراثية في الأسماء والوقائع، ولم يكن لحسان شقيق اسمه (عمرو) وإنما كان الصراع مع أخيه (شرحبيل)، أما عمرو فهو (عمرو بن حسان بن أسعد) وقصته مع أخيه (معدي كرب) تشابه ما حدث بين حسان وشرحبيل لذلك وقع الالتباس. ويتمثل ما حدث في أن حساناً لما سار بالجنود يريد العراق ووصل إلى ما بين اليمامة والبحرين انقلب عليه الأقيال والقادة واتفقوا مع أخيه (شرحبيل) وقتلوه. قال ابن هشام:

«. . . وقال رجل من حمير في قتل حسان:

لاهِ عَيناً مَنْ رأىٰ مِثل حسان قتيلاً في سالف الأحقابِ
قتلته مَقاوِلُ خشية الحرب غداة قالوا: لبابِ لبابِ

قال ابن إسحاق: لباب لباب: لا بأس بلغة حِمْيَر. قال ابن هشام: ويروى (لِباب لِباب. بكسر اللام، ويقال: لباب كلمة بمعنى القَفْل أي الرجوع. وقوله: (لاه عيناً) فقوله: (لاه) أراد (اللّه) فحذف لامين، أولاهما لام الجر، والثانية أولى اللامين من كلمة اللّه وهي لام التعريف، وهذا الحذف يجري في هذه الكلمة دون غيرها، ومثله قول ذي الأصبع العدواني:

لاهِ ابن عمك لا أفضلت في حسبٍ عني، ولا أنت دياني فتحزوني»[1]

وجاء في حوليات الملك شرحبيل عن مقتل أخيه الملك حسان «إن أخاه لما أدرك أنه سينهزم أضرم النار في فسطاطه (داخل معسكره) وقَضَىٰ نحبه محترقاً وسط النيران». ويجمع القولين أن ذلك ربما كان بتدبير القادة الأقيال الذين قال نشوان وابن هشام إنهم قتلوا حساناً وبايعوا أخاه. وكان مقتل حسان بمشارف العراق حوالي عام ٥٥٦ للتقويم السبئي (٦٦٤ق.م) فانعقدت ملوكية سبأ والملوكية العليا لأخيه شرحبيل بن أسعد وعاد مع الأقيال إلى أرض سبأ[2].

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٥ جـ١.

(٢) تذكر دراسات تاريخ ونصوص الملك (شوربيلت بن أسرعدون) في نينوى (آشور) إنه لم يكن يقيم هناك باستمرار وإنه كان يذهب إلى «سبارا» لفترات ـ منذ عام ٦٦٤ق.م. ويعود، ثم قام بتمليك (قندلانو) على بلاد بابل وكذلك آشور سنة ٦٤٧ق.م. ـ مما يعني إنه لم يعد مقيماً هناك ـ وتقول الدراسات «إن السنوات الأخيرة من عهده يكتنفها الغموض وقد انقطعت حولياته نهائياً منذ عام ٦٣٩ق.م». وهذا يعني إنه استقر في أرض سبأ بصفة نهائية لأن ملوكيته لآشور وبابل إنما كانت ملوكية عليا في عهده الذي دام إلى عام ٦٢٧ق.م.

المبحث الثالث

عهد شُرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد
مُجَدِّد سد مأرب العظيم
(٥٥١ ـ ٥٩٣ سبئي ٦٦٩ ـ ٦٢٧ ق.م)

يتألق اسم ولقب شرحبيل بن أسعد في ثلاثة نقوش مسندية هامة مؤرخة بالتقويم السبئي، بصيغة: «شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت بن أبي كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت»[١].

وكان شرحبيل ملكاً منذ عهد أبيه، فقد جاء اسمه في النقش المسند (رقم ١٠ لوندين) المعثور عليه بصنعاء، وهو نقش يقول (بيوترفسكي) أنه: «يذكر أسعد وسبعة مساعدين له في الحكم»[٢] ـ من بينهم حسان وشرحبيل ـ، ثم النقش المسند (رقم Ry ٥٣٤) في موقع ريدة بصيغة «أبي كرب أسعد وبنيه حسان يهامن وشرحبيل يعفر ومعدي كرب ينعم وحجر أيفع ملوك سبأ... إلخ اللقب) وهو المؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي (٦٧٧ق.م). وكان شرحبيل من قادة فتوحات أبيه الخارجية ـ التي سلف ذكرها ـ واستخلفه أبوه ملكاً على أشور.

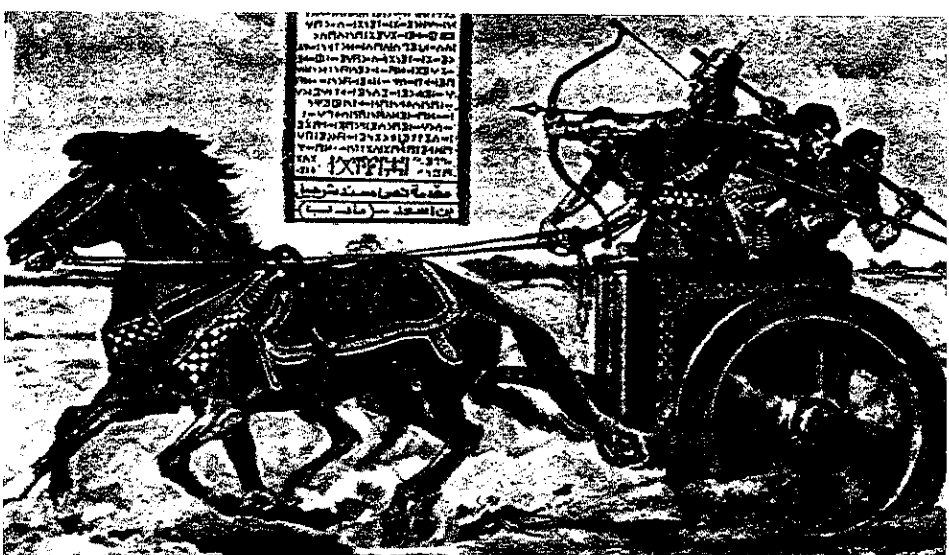

رسم منحوت في جدار من أطلال قصر شوربيلت في نينوى للملك (شوربيلت بن أسرعدون) وهو (شرحبيل بن أسعد). وجانب من نقشه المسند عن تجديد سد مأرب سنة ٥٦٥ سبئي/ ٦٥٥ق.م.

(١) النقوش أرقام (٤ فخري) و(٥٤٠ سي.آي.آتش) و(٤٤ عنان) و(٥٧٣ جاربيني).
(٢) ملحمة أسعد الكامل ـ بيوتروفسكي ـ ص٥٨ ـ ونقش ريده رقم Ry. ٥٣٤.

وكانت مدينة نينوى بالموصل ـ في أشور ـ مقر الملك شرحبيل، وقام ببناء قصر هناك تم العثور في أطلاله على ألواح مزبورة بالعلامات المسمارية ورسوم كثيرة كانت منحوتة في جدران القصر، وقد اعتبرته الدراسات ملكاً أشورياً وتم الاجتهاد في قراءة وترجمة اسمه بلفظ (أشور بانيبال) بينما ذكر د. جيمس هنري بريستد اسمه بلفظ: «الملك شوربيلت» وهو الأقرب إلى الاسم الصحيح «شرحبيل». وقد استمر ملكاً لأشور والأقاليم الخارجية بعد وفاة أبيه (سنة ٦٦٩ق.م). حيث تذكر تلك الدراسات أنه حكم من (٦٦٩ ـ ٦٢٧ق.م)، ونرى أنه ليس هنالك تعارض بين كونه ملك سبأ وكونه ملك أشور وبابل لأن ملوكيته لأشور وبابل وغيرها كانت ملوكية عليا، وخاصة بعد مصرع أخيه الملك حسان وعودة الملك شرحبيل إلى أرض سبأ حيث تسنم شرحبيل عرش تبابعة سبأ وبدأ ـ في عام ٦٦٥ق.م ـ بتجديد سد مأرب العظيم (العرم) وتحسين منشآته وقنواته الممتدة إلى (العبر) في عُمق أرض الجنتين بمنطقة الربع الخالي حالياً. ونذكر هنا ما يلي:

أولاً

سد مأرب العظيم قبل شرحبيل بن أسعد

لقد سلف تبيين النبأ اليقين عن سد مأرب العظيم الأقدم (العرم) وأنه ليس «سد مأرب الذي بناه سمهعلي ينوف مكرب سبأ في القرن الخامس ق.م». كما ظن وأشاع ذلك بعض المستشرقين والأكاديميين، فالسد الذي بناه (سمهعلي ينوف) هو سد مأرب القديم الثاني وكان سداً متواضعاً «كان حاجزاً سميكاً من التراب بين جبليّ بلق»[1]. بينما سد مأرب العرم كان سداً عظيماً تم تشييده قبل زمن سمهعلي ينوف بأكثر من ألفيّ سنة وهو السد العظيم الأقدم الذي قام شرحبيل بن أسعد بتجديده في القرن السابع قبل الميلاد.

فقد أثبت المسح الأثري للبعثة الأثرية الألمانية «وجود حضارة وتقنية الريّ في وادي ذنه حيث يقع سد مأرب منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وقال د. برونر عضو البعثة الألمانية: إن ترسبات وسائل الريّ في وادي ذنه تدل على أن تاريخ الريّ يعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد»[2].

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٩٨.

(٢) المسح الأثري في سد مأرب ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة الاتحاد ـ ديسمبر ١٩٨٦م.

وجاء في تقرير معهد الآثار الألماني عام ١٩٨٤م أن: «. . . هنالك مرافق للسد قديمة ربما تكون أقدم المراحل وفي نفس الوقت مرحلة أولى للأعمال العظيمة المتأخرة التي اكتشفناها. . وقد وجدنا في منطقة جنوب القناة مجموعة مباني منحوتة وتمثل المرحلة القديمة لمرافق السد»(١).

ثم في سنة ١٩٨٨م «كشَفَتْ البعثة الألمانية منشأة من منشآت سد مأرب يعود زمنها إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ـ سنة ٢٠٠٠ ق.م»(٢) وقال الباحث الألماني كلاوس شيبمان: «إن دراسات ف. فاجنر (W. Wagner) أرخت ذلك الخزان المائي بأواسط الألف الثالث ق.م. أو على الأقل بالنصف الثاني منه»(٣).

إن ذلك يدل على صحة ما ذكره المؤرخون العرب الأوائل بأن «الملك سبأ عبد شمس هو الذي قام ببناء سد مأرب العظيم وهو العرم»(٤) وكان زمن سبأ عبد شمس في الألف الثالث ق.م. بالعصور السبئية الأقدم كما قام ببناء بعض منشآت وقنوات السد الملك لقمان بن شمس عاد بن الملطاط في القرن الثامن عشر قبل الميلاد بتلك العصور التليدة السابقة لعصور ملوك سبأ التبابعة(٤).

وكان سد مأرب العظيم موجوداً في عصور ملوك سبأ التبابعة، وتم تجديد وتزيين بنيان السد (العرم) بأعمدة من الرخام في عهد (حمير ذي ريدان بن سبأ الأصغر) ـ بالقرن الثالث عشر ق.م. ـ وعن ذلك قال ابن خلدون: «وقيل أن الذي بنى السد (العرم) حِمْيَر. . وفي ذلك قال الأعشى:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ومأرب قَفَّى عليها العرم
رخام بناهُ لهم حِمْيَرُ فأيّ امرئ رامه لم يرم»(٤)

وكذلك ذكر ابن خلدون: بناء السد في عهد بلقيس ملكة سبأ التي عاصرت النبي سليمان(٤) ـ في القرن العاشر ق.م. ـ وكان ما تم في عهد بلقيس هو تجديد وبناء لبعض منشأت السد العظيم. وقد أثبتت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية «إن سد مأرب كان موجوداً في القرن العاشر ق.م»(٥). ـ وبالتالي في عهد بلقيس ثم عهود ملوك سبأ التبابعة الذين تتابعوا بعد بلقيس في العصر الثالث لملوك سبأ التبابعة (عصرلقب ملك سبأ وذي ريدان) ثم في العصر الرابع لملوك

(١) تقرير نشاطات معهد الآثار الألماني ـ صحيفة الثورة ـ صنعاء ـ عدد ٥/ ١/ ١٩٨٤م.
(٢) مكتشفات للبعثة الألمانية ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة الوطن ـ العدد ٥/ ١١ ـ يونيو ١٩٨٨م.
(٣) ممالك جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٦.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص٤٤.
(٥) تقرير معهد الآثار الألماني ٨٣/ ٨٤.

سبأ التبابعة (عصر لقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) حيث تم العثور في محرم بلقيس بمأرب على نقش مسند (وهو النقش رقم ٦٧١ جام) يحمد فيه الأقيالُ الإله (المقة ثهون بعل أوام) لأنه أعان آمرهم (ثاران يهنعم وابنه ملكيكرب يهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) عندما «شَذّب العرم/ وثبر كل المصارف بين حبابض ورحبم/ وثبر العرم سبعين شوحطاً»[1] وكان عهد ثاران يهنعم في الفترة ٤٣٣ ـ ٤٧٣ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٧٨٧ ـ ٧٤٧ق.م). في القرن الثامن ق.م. وقد أثبتت تنقيبات البعثة الألمانية «وقوع تجديد لمنشآت السد في القرن الثامن ق.م ثم وقع التجديد والتحسين الأخير لمنشآت السد في القرن السابع ق.م»[2] وهو الذي سجلته نقوش الملك شرحبيل بن أسعد.

ثانياً

نقش تجديد شُرحبيل بن أسعد لسد مأرب العظيم

(المؤرخ بعام ٦٥٥ق.م)

إن النقش المسند للملك شرحبيل بن أسعد عن تجديد وتحسين بنيان ومنشآت وقنوات سد مأرب (العرم) هو أهم نقش مسند عن سد مأرب العظيم بل هو النقش الوحيد الذي يذكر بالتفصيل منشآت سد مأرب العظيم الأقدم (العرم)

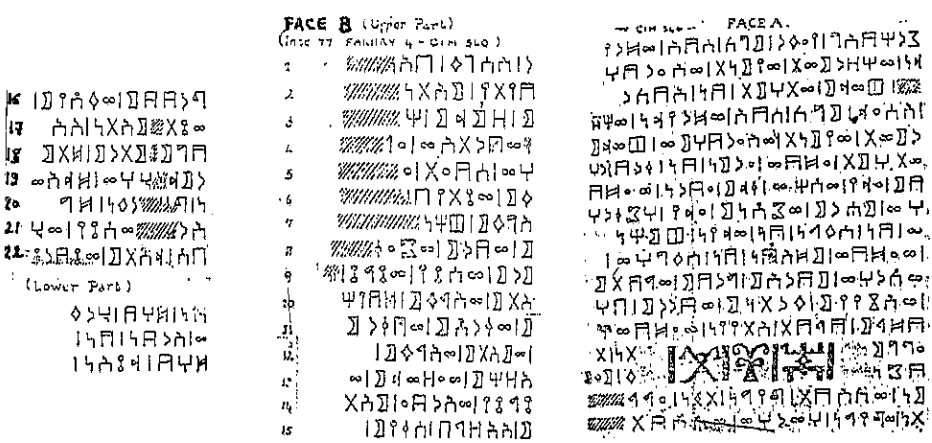

نص القسم الأول والقسم الثالث من نقش الملك شرحبيل بن أسعد عن تجديد سد مأرب

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ٦٧١.

(٢) تقرير معهد الآثار الألماني ٨٣/ ٨٤.

ويؤكد مدى ضخامة وعظمة ذلك السد العملاق. وقد تم نشر النقش برقم (٤ فخري) ورقم (C.I.H ٥٤٠) وهو أضخم وأطول نقش مسند فقد تم نحته على قطعة كبيرة من حجر البلق يصل وزنها إلى ٢ طن، وتبلغ سطور النقش مائة سطر.

يقول القسم الأول من النقش ما يلي نصه بالحروف العربية الحديثة.

«شرحبيل/ يعفر/ ملك/ سبأ/ وذي ريدان/ وحضرموت/ ويمانت/ وأعرابهم/ طودم/ وتهامت/ بن/ أبي كرب/ أسعد/ ملك/ سبأ/ وذي ريدان/ وحضرموت/ ويمانت/ وأعرابهم/ طودم/ وتهامت/ عذبو/ عرمن/ من/ قرب/ رحبم/ عدي/ وصحو/ قدم/ عبرن/ وعذبه/ مسرم/ وشصنم/ عدي/ هشقرهو/ من/ سفلن/ من/ وديان (و د ي ن)/ طمحن/ وعذبو/ مذابن/ من/ سفلهو/ وصرهو/ مبرام/ جربم/ وجبتم/ وازييم/ فرتنم/ وبررم/ بحبذلم/ ملمت (بلبت)/ اتيين/ وعذبو/ عجلمتن/ تمشنف/ [ثم ثلاثة رموز مونجراميه]/ معمن/ وكابة/ جيلن/ تزن/ عللتن/ جيلن/ حورهو/ وكابة/ فللت/ تزن/ بمراى/ نمريين/ .» (اهـ).

ومحتوى ومعنى ذلك أنهم: (عذبوا ـ أي جددوا وحسنوا ـ العرم من قُرب رحبم ـ [وهو الجانب الأيسر من وادي ذنه] ـ إلى وصحو قُدام العبر ـ [بأعالي حضرموت في الربع الخالي حالياً] ـ وعذبه مسراً وشصناً إلى هشقره [راسه] من أسفل وادي طمحن. وعذبوا مذاباً ـ [وادي مذاب] ـ من أسفله، وصرهو مبراً وجرباً وجبتاً. وازييم فرتناً وبرراً [أسماء منشآت] ـ بحبذلم [اسم منطقة] إلى ملمت، وعذبو عجلمة تمشنف [اسم منشأة]. وغيروا (حوروا) كابة جيل تزن العالية وكابة فللت تزن بموجب رأي المهندسين [بمرأى نمريين].

وجاء في القسم الثاني من النقش أن الملك شرحبيل:

«حوروا/ مفللم/ ذي قدام/ عرمن (العرم)/ وعذبوه/ من/ مشاقرة/ إلى/ رأس/ كل/ شقر/ وثبروا/ مفللات/ وتمارى/ وأعواد/ عرمن/ وذي فن/ من/ موثره/ مبراً/ وجرباً/ وعرماً/ وكمسروا/ عرمن (العرم)/ إلى/ شقرهو/ مسراً/ وشصناً/ بالبنام (؟)/ وشامو/ عرب/ رأسه/ ستين/ أمم/ وكلمدو/ كل/ علمن (العلماء)/ ونمريين (المهندسين والحاسبين)».

«وعذبو/ عرمن (العرم)/ بنصر/ وردء/ ال ن (اللَّهُ)/ بعل/ سمين/ وأرضن/ وبخيل/ شعبن (الشعب)/ ذي/ وردو/ مأرب/ وعادوا/ وعرمن (العرم)/ كدرع/ أصمم».

ويذكر القسم الثالث من النقش النفقات الهائلة التي أنفقها الملك شرحبيل على الذين عملوا في تجديد السد وهم (عشرون ألفاً) في مدة العمل (عشر سنين) من طحين البر والشعير، وذبائح البقر والغنم، وعصير العنب والتمر، كل ذلك بمئات الآلاف من الأطنان والأعداد.

وينتهي النقش بتاريخ كتابته «بورخ/ ذي دادن/ بخريف/ خمسة/ وسثي/ وخمس مائتم» ـ أي في شهر ذي دادن سنة ٥٦٥ للتقويم السبئي. ويوافق ذلك شهر فبراير سنة ٦٥٥ قبل الميلاد.

ثالثاً

نقش الملك شرحبيل عن تجديد سد مأرب

(المؤرخ بعام ٦٤٥ق.م)

وقد تم العثور في مأرب أيضاً على نقش مسند باسم «شرحبيل يعفر ملك سبأ . .بن أبي كرب أسعد ملك سبأ . . . إلخ. اللقب». وهو مؤرخ بعام ٥٧٥ للتقويم السبئي (٦٤٥ق.م) ـ أي بعد عشر سنين من النقش السابق المؤرخ بعام ٥٦٥ للتقويم السبئي (٦٥٥ق.م). ويذكر النقش أن الملك شرحبيل قام بأعمال تجديد إضافية لمنشآت وقنوات سد مأرب (العرم) حيث:

«حوروا/ كابة/ جيلن/ تزن/ وكابة/ فللن/ تزن/ بمرأى/ نمريين/».

«وعذبو/ يسرين/ مسراً/ وشصناً/ من/ سفله/ إلى/ هشقره/ وقدام/ مدرجه/ وعذبو/ ذي مبرن/ من/ عرن/ إلى/ هشقره/ وتلو/ مسراً/ وشصنا/»[1].

وكذلك جاء في نقش الملك شرحبيل عن تشييد قصر (هرجم) بمنطقة ظفار أنه أيضاً:

«عذّب/ عرمن (العرم) ذي بمأرب/ مسراً/ وشصنا/ وثبر/ رحبم/ كل/ عودهو (أعمدته)/ وثبر/ رتحم. . وسصقل/ عرمن/ عودن (أعمدة العرم)/

بنصر/ وردء/ مراهمو/ رحمن (الرحمن)/ بعل/ سمين/ وأرضن/ (رب السماء والأرض) وبقوة/ شعوب/ وأخماس/ سبأ/ وحمير/ وحضرموت/ ويمانت/»[2].

(١) قام بنشر النقش الأستاذ زيد عنان برقم ٤٤.

(٢) النقش رقم ٥٧٣ جاربيني.

ويتبين من تلك النقوس المسندية الثلاثة للملك شرحبيل بن أسعد أن سد مأرب العظيم (العرم) كان يتكون من:

أ ـ **جسم السد (العرم)**: وكان بنياناً ضخماً يمتد في مضيق جبليّ بلق ـ من الجبل إلى الجبل ـ وقد ذكرت نقوش الملك شرحبيل أنهم عذبوا (جددوا وحسنوا) العرم وأعمدته (أعودن/ عرمن) وذي الفن من أساسه (موثره) إلى رأسه (هشقره). وأنهم «كمسروا العرم إلى شقرهو مسراً وشصناً، وشاموا عرب رأسه ستين أمماً» ـ والأمم وحدة قياس بالطول، قال الأعشى في ملوك كندة بحضرموت في الجاهلية:

فإنّ مُعَاوية الأكْرَمين، عِظامُ القِبَاب، طِوَالُ الأمَمْ[1]

ومعنى (طوال الأمم: طوال القامة)، والأمم واحدها (أمْ)، فكان جسم السد (العرم) ستين أمماً، ويدل ذلك على ضخامة بنيان وارتفاع السد (العرم). قال ابن خلدون: «وكان سداً ما بين جبلين بالصخر والقار، وهو الذي يُسمى العرم وهو جمع لا واحد له من لفظه. قال الجعدي:

مِنْ سبأ الحاضرين مأرب إذْ يبنون من دون سيله العرما

أي: السد»[2] وقد ذكر النقش أنهم «سصقلو/ أعواد/ عرمن» وهي أعمدة جسم السد التي يبدو أنها كانت من الرخام حيث قال الأعشى:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ومأرب قفى عليها العَرِمْ
رخام بناه لهم حِمْيَرُ فأي امرئ رامه لم يَرُمْ

وذكر النقش «أعواد/ عرمن/ وذافن» مما يشير إلى رسوم فنية منحوتة على جسم العرم، وقد تم العثور في موقع السد على قطعة من الحجر منحوت عليها صورة نسر.

ب ـ **المفلل ذي قُدام العرم**: وجاء في نقش الملك شرحبيل أنهم «عذبو/ مفللن/ ذي قُدام عرمن/ من هشاقره إلى رأس كل شقر». وذلك (المفلل ذي قُدام العرم) ذكره المسعودي في مروج الذهب عن أصحاب التاريخ القديم بأنه «كان بنيان السد من الجبل إلى الجبل، وجعلوا فيه المخراق من الحجر

(١) ديوان أعشى قيس الجاهلي. وكان ملوك كندة من بني معاوية الأكرمين بن الحارث بن ثور بن مرتع بن كندة.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٠ جـ ٢.

الصَّلْد والحديد طول المخراق فرسخ، يجتذبون من تلك المياه التي وراء السد والجبال نهراً مرسلاً مقداراً معلوماً ينتهي في جريانه إلى المخراق، وكان في ذلك المخراق ثلاثون نَقْباً مستديرة في استدارة الذراع طولاً وعرضاً مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير.. ثم ينبعث الماء من المخراق إلى تلك الأنقاب، وهي الثلاثون مخراقاً الصغار.. وكانت المياه تخرج من تلك الأنقاب فتسير في مجاريها حتى تأتي الجنان فترويها»[1] وقد ذكر نقش الملك شرحبيل أنهم «ثبروا/ فللن/ وتماري». وهي المفللات ـ المخاريق الصغار ـ الثلاثين التي تتوزع منها المياه إلى قنوات ومجاري السد.

جـ ـ **قنوات ومجاري السد في الوديان**: كانت قنوات ومجاري السد العظيم تمتد في وإلى وديان شاسعة مترامية الأطراف حيث ذكرت نقوش الملك شرحبيل تجديد قنوات ومجاري مياه السد:

ـ «من قرب رحبم إلى وصحو قدام العبر (عبرن) [بأعالي حضرموت في الربع الخالي حالياً].

ـ ومن أسفل وادي طمحن إلى هشقره مسراً وشصنا.

ـ وعذبوا مذاباً (وادي مذاب) من أسافله ـ [ويقع وادي مذاب بالجوف] ـ إلى مبرام.

ـ وعذبوا عجلمتن...

ـ وعذبوا يسرين مسراً وشصناً من أسفله إلى هشاقرة، وقدام مدارجه.

ـ وعذبوا ذي مبرن من عرن إلى هشاقره، وتلوا مسراً وشصناً.

ـ وعذبوا رحبم كله... ورتحم).

فكل تلك الوديان كانت تمتد إلى عُمق الرَبْع الخالي الذي كان في تلك العصور من أرض سبأ التي قال المسعودي: «كانت مسيرة أكثر من شهر للراكب، وإن الراكب والمار يسير في تلك الأرض من أولها حتى ينتهي إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية». [ص١٨١/ ٢].

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨١ جـ٢.

رابعاً

اكتشاف كابة جيل تزن وكابة فل تزن اللتين حورهما وجددهما الملك شرحبيل

لقد ذكر نقش الملك شرحبيل بن أسعد من أعمال تجديد منشآت سد مأرب التي تمت في النقش الأول المؤرخ بسنة ٥٦٥ للتقويم السبئي ما يلي:

«وكابة/ جيلن/ تزن/ عللتن/ حورهو/ وكابة/ فللت/ تزن/ بمرأى/ نمريين».

أي أنه: غيّر مكان (كابة جيل تزن عالي الجبل، وكابة فلّ تزن بموجب رأى النمريين).

ثم ذكر النقش الثاني للملك شرحبيل إنه قام بتحوير موقع المنشأتين مرة ثانية بعد عشر سنوات حيث جاء في النقش المؤرخ بسنة ٥٧٥ للتقويم السبئي أنهم:

«حوروا/ كابة/ جيلن/ تزن/ وكابة/ فللن/ تزن/ بمرأى/ نمريين».

وقد كشفت تنقيبات البعثة الأثرية في موقع سد مأرب منشأتين تم إزاحة رمال كثيفة لاكتشافهما، وسمّتهما البعثة الألمانية البناء (أ) والبناء (ب) ـ أو المنشأة ـ (أ) والمنشأة (ب) ـ وجاء في تقرير البعثة:

إن المنشأة (أ): «بناء ضخم يبعد حوالي ٢ كيلومتر جنوب شرق السد بالقرب من سفح جبل بلق الأوسط، وتبلغ مساحته حوالي ٢٠٠ × ٢٠٠ متر.. أما مهمة هذا البناء فكانت استقبال المياه وتوزيعها ودفعها إلى الواحة الجنوبية.. لقد كان هذا البناء منشأة مائية ضخمة لاستقبال المياه وتوزيعها... بلغت الأوج في التطور والرقي».

وقال التقرير عن كشف المنشأة (ب) ما يلي: «... قمنا بتسجيل جميع أقسام البناء (ب) المرئية وآثاره الباقية، ثم ومن خلال بناء شبكة مربعة، دكت في الأرض دكاً جيداً ويبلغ طولها الجانبي ٢٠ متراً، أصبح من الممكن إضافة بقية أجزاء البناء (ب) البعيدة وبلورة ملامحه على نحو أوضح.. وتبيّن لنا أن الأساس الذي بُنيّ عليه أحد أعمدة الهويس الدائري الذي يتميز بأنه ضد التيار، يبلغ عرضه ٨,٥ متراً وإن طوله يصل إلى أربعين متراً. ولقد كان من الضروري أن تزاح من هذا الموضع مصطبة رملية شديدة التماسك تصل إلى ٣,٥ متراً..

وقد تكشفت لنا ثلاث شرف متساوية العرض لهذا الهويس وأن الشرفة الوسطى ذات طول أقل لا يتعدى ٢٥ متراً. . وعلى الجانب الجبلي توجد توصيلتان مختلفتان من الحوائط لا يُستطاع تتبع طولهما حتى منتهاه ولا زالت كل منهما مغطاة بكثبان رملية. وفيما يعلو هذا بحوالي ١٠٠ متر عثرنا على هويس آخر، والناحية الجنوبية من هذا الهويس محاطة كما تدل بقايا أساسه بعمود ضخم، وتنتهي صبة الأساس التي تمر بهذا البناء في اتجاه الوادي إلى حاجز يمكن رؤيته تحت الرمال والدبش، وكان سمك هذا الحاجز حوالي عشرة أمتار. . ويبدو أنه قد استلزم الأمر إجراء تعديلات مختلفة وإقامة أبنية جديدة على مستوى أعلى يمكن عن طريقها ريّ حقول الواحات، ولقد توصلوا إلى هذا في البداية عن طريق إقامة أبنية أخرى فوق البناء الأقدم، ثم توصلوا إليه عن طريق إجراء تغيير في الجزء الأعلى من المنحدر الصخري. . حيث أصبح من الضروري تجديد هذه النظم. لقد تحولت المنشأة (ب) بكاملها إلى أعلى عند انحدار جبل بلق الأوسط، وبعد سنوات من عمر التشغيل عُقد العزم على تحويل المنشأة (ب) إلى الشعاب الجبلية الواقعة بين جبل البلق الأوسط وجبل البلق الشمالي. . وكان زمن التحويل الأخير في القرن السابع قبل الميلاد»[1].

ويتبين من ذلك أن المنشأة (ب) هي «كابة جيلن تزن» ـ أو «كابة جبل تزن» ـ وأن المنشأة (أ) هي «كابة فلّ تزن» وإن تحويل المنشأة (ب) بكاملها إلى أعلى هو ما ذكره نقش الملك شرحبيل بلفظ: «وكابة جيلن تزن عللتن جبلن حورهو». وبعد عشر سنوات من التشغيل «حوروا كابة جيلن تزن» ـ كما ذكر النقش الثاني للملك شرحبيل عام ٥٧٥ للتقويم السبئي ويوافق ذلك عام ٦٤٥ ق.م في القرن السابع ق.م. ويتطابق ذلك مع ما جاء في تقرير البعثة بأنه «كان التحويل الأخير في القرن السابع ق.م».

وقال تقرير البعثة الأثرية الألمانية: «. . . وتتجلى الروعة في الدرجة العليا من الدقة والاكتمال التي وصلت إليهما كل من هاتين المنشأتين من حيث الأداء والوظيفة من ناحية، ومن حيث الأسس الفنية التي بُني عليها من ناحية أخرى، فكل منهما أكثر متانة وأكثر تعدداً من حيث الأغراض التي يُستعمل فيها، كما إن كل منهما مزود بأحجار من نوع معين عند بعض الاستعمالات. وليس العمل الأخير في المنشأتين إلا عملية تهذيب وتحسين. لقد وصلت كل من المنشأتين إلى درجة بعيدة

(١) تقرير بعثة معهد الآثار الألماني ٨٣/ ١٩٨٤م ـ ترجمة محمد العبد ـ كلية الألسن ـ جامعة عين شمس.

من النضج . . . والتطور في هندسة وتكنولوجيا المياه عند السبئيين»[١] .

خامساً

بناء شرحبيل بن أسعد لقصر هرجم... ومسند القصر

وفي سنة ٥٧٢ للتقويم السبئي (٦٤٨ق.م). قام الملك شرحبيل بن أسعد ببناء قصر عظيم في مدينة ظفار سماه (هرجم) = (هرجام؟ هارج)، وكان ذلك القصر خامس خمسة قصور عظيمة لملوك سبأ التبابعة، وهي قصر سَلْحين في مأرب، وقصر ريدان في ظفار، وقصر غُمدان في صنعاء، وقصر بينون، وقصر هرجم الذي بناه شرحبيل بن أسعد في ظفار. ويتميز قصر هرجم بأنه القصر الوحيد الذي تم العثور على نقش مسند يذكر تشييده ويصفه بالتفصيل، بينما قصور سَلْحِين وريدان وغمدان ذكرتها نقوش ملوك سبأ التبابعة ولكن لا يوجد نقش يذكر تشييدها بالتفصيل، ولذلك يكتسب نقش الملك شرحبيل أهمية إضافية في تأكيد عظمة تلك القصور وخاصة سَلْحين وغُمدان، حتى إن الأستاذ مطهر الأرياني قال:

«إذا كان هذا هو أمر (هرجم) فلا شك أن أمر (غُمدان) كان أرفع وأعظم»[٢] .

وقد قام بنشر نص نقش الملك شرحبيل بن أسعد عن بناء قصر هرجم البروفيسور جيوفاني جاربيني أستاذ الساميات في جامعة نابولي بإيطاليا. وقال مطهر الأرياني: «كنتُ أول من استنسخ النقش من خرائب ظفار عام ١٩٦٩م وبعثتُه إلى البروفيسور جيوفاني جاربيني فنشره في نفس العام»[٢] .

وقد نشر جاربيني النقش بعنوان:

- Una Nouva Inscrizione di Sarahb'il Ya'fut, Nouva Serie XIX (29), 1969. pp.559 - 556

قال د. محمد بافقيه: «وفيما يلي محاولة لشرح النقش اعتماداً على الصورة التي حققها جاربيني للنص:

(ـ شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودا

---

(١) تقرير بعثة معهد الآثار الألماني ٨٣/ ١٩٨٤م ـ ترجمة محمد العبد ـ كلية الألسن ـ جامعة عين شمس.

(٢) قصر غمدان، مطهر الأرياني ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٤ ـ يوليو ١٩٨٠م.

ـ وتهامة بن أبي كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم.
ـ طوداً وتهامة... بنو وأسسوا وجمّلوا (وعذبن) بيتهم (هرجم) [اسم القصر] ـ من أساسه إلى...
ـ وطلوا واجهته بالجير؟ (وهجبأو تبيتم جير تقلأهو أقدمن) وأقاموا لحمايته سقفاً عالياً م....
ـ ....م وحجارة مربعة (ربعتم؟) ونوافذ تفتح وتغلق (والهجم مودلم). وأحاطوه بافريز (نعيهو شرعتم) تماثيل ثيران منحوتة (اثورم عصبيم) وظباء وأسود
ـ وأجراس (ومعهرتم) من الذهب/ النحاس (ذذهبم) بين تماثيل الثيران
ـ المنحوتة (ذ عصبين). وكان (... ون) حسناً هو تجميل المسود (عسم هو موسم مسودن)
ـ ونصبوا (ووتنوا) به أعمدة
ـ من حجارة منحوتة (اعصبيم) بوسط الجزء المسقوف (بوسط مظللن) ومن الخارج (وتفرع
ـ ....) فأحاطوه (وشرعهو) تماثيل [بشرية] (أصلمن) وأوعال وأسود وأنمر من الذهب. ومعه [أي في نفس الوقت]
ـ عذبوا العرم [أي السد] الذي بمأرب (مسرم وشصنم). وبنو رحبم كل جدرانه (عودهو) وجددوا رتحم
ـ .... سصقل العرم (بعودن). في عام واحد. بنصر وعون ومقام سيدهم الرحمن بعل السماء والأرض. وبقوة وعون
قبائلهم وجيوشهم (أخمسهمو) سبأ وحمير وحضرموت
ويمنت. وكان هذا الإنجاز (مقحن) بالشهر ذي إلن
في العالم الثاني والسبعين وخمسمائة»[1].

ثم قال د. محمد بافقيه تعليقاً على النقش ما يلي:

«لقد اشتمل النقش على بضعة ألفاظ يجد الشارح صعوبة في شرحها كما قال جاربيني في عدة مواضع من ترجمته له. ومنها الألفاظ الآتية التي وضعناها بين (أقواس) أثناء الشرح:

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٠ ـ ١٦١.

أ ـ ففي السطر الرابع تأتي أصعب هذه الألفاظ في عبارة يقول جاربيني أنها «تقدم صعوبة ملحوظة عند ترجمتها». واكتفينا بالفهم العام المستنتج من كلمتي (جير) و(أقدمن) فيها.

ب ـ وفي السطر الخامس عدة عبارات وألفاظ... منها كلمة (ربعتم)... وتعني غالباً حجارة مربعة وقد يكون هذا وصفاً للحجارة التي استخدمت في البناء.

أما عبارة (الهجم مودلم) فيعتمد شرحنا لها على أن (اللهج) في اليمن هو النافذة وإن (مودلم) إنما تصف اللهوج (الهجم). ووجدنا في اللسان تحت مادة (ادل) إنها تعني فيما تعني الأغلاق واستنتجنا أن ذلك يعني أن نوافذ القصر هي من النوع الذي يفتح ويغلق.

وعبارة «نعيوه شرعتم» لم نجد في السياق العام ما يوحي بأعمال تتعلق بالمياه كما قد توحي كلمة (شرعتم) وفضلنا المفهوم الآخر للكلمة الذي يدل على البروز والانفتاح على الطريق، ومن ثم جاء الشرح بما قد يوحي بأن التماثيل إنما وضعت في هيئة إفريز بارز حول القصر ربما من أعلاه.

ولفظة «عصبيم» جاءت وصفاً لـ «اثورم» لتميزها عن بقية التماثيل. ورغم غرابة اللفظ إلا أنه للدلالة على أن الثيران منحوتة من الحجر بعكس بقية التماثيل التي صبت من معدن (ذذهبم). وقد قارب جاربيني المعنى حين أورد المقابل العبري للكلمة[1].

د ـ وفي السطر السابع لفظة (مسودن) ونعتقد أنها تعني هنا البهو الرئيسي أو القاعة الرئيسية للقصر.

هـ ـ وفي السطر الثامن أخذنا باعتبار (وتن) تقابل (وثن).. أما (مظلن) فاخترنا عبارة «الجزء المسقوف» لشرحها إذ لا بد أن النقش يتحدث عن الأعمدة المنحوتة، وربما المزخرفة أيضاً، التي أقيمت في الجزء المسقوف أو المظلل ربما من البهو أو القاعة. خاصة وأن هنا ضميراً عائداً في عبارة «ووتنو بهو» مظللن»[2].

---

(١) الصواب أن «أثورم عصبيم» تعني «الثيران المجنحة» أو «أثوار ذات جناح». قال الهمداني: قال أسعد:

عصبت بشمّر ذي الجناح بقائدٍ ما إن تجيء بمثله النسوانُ

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص٢٤١.

وقد أورد الأستاذ مطهر الأرياني محتوى النقش كما يلي نصه:

«إن شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الطود وتهامة ابن أبي كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الطود وتهامة...

أسس وبنى قصره هرجم (هارج؟ هرجام؟) من موثره إلى قمته وجعل فيه تبيوتاً (تبيتم؟) من الجير من الخلف ومن الأمام، وعلاه وأعلى سقوفه، وجعل فيه ربعة (ربعتم؟) وكثيراً من اللهوج (الهوج) الواسعة.

وأمدّه بالماء بواسطة ساقية مبنية بحجارة منحوتة على شكل رؤوس ثيران وأسود. وجعل فيه أجراساً من البرونز المذهب بين تماثيل أثوار جيدة[١].

وزينه بالمساند والأعمدة القوية التي في وسط المظلل (مظللن)، كما جعل فيه التماثيل لأناس، وأوعال، وأسود، ونمور، كل ذلك من البرونز المذهب»[٢].

وقد اختتم الملك شرحبيل بن أسعد هذا النقش بذكر تجديد وتحسين سد مأرب العظيم (العرم) وإنجاز بناء القصر وتجديد العرم «بنصر وعون ومقام سيدهم الرحمن رب السماء والأرض، وبقوة وعون شعوب وجيوش سبأ وحمير وحضرموت ويمانت» وتم الإنجاز وكتابة النقش في «شهر ذي ال ن عام ٥٧٢ للتقويم السبئي». بينما نقش الملك شرحبيل بن أسعد في مأرب عن تجديد منشآت سد مأرب مؤرخ في «شهر ذي دادان عام ٥٦٥ للتقويم السبئي» والنقش الثاني عن تحويل وتحوير كابة جبل تزن وكابة فل تزن مؤرخ بعام ٥٧٥ للتقويم السبئي.

وقد أثبتت تنقيبات ودراسة البعثة الأثرية الألمانية أن زمن ذلك التجديد والتحويل لمنشآت سد مأرب العظيم كان في القرن السابع قبل الميلاد.

وقد انتهى عهد الملك شرحبيل بن أسعد بوفاته حوالي عام ٥٩٣ للتقويم السبئي ويوافق ذلك عام ٦٢٧ ق.م. في القرن السابع قبل الميلاد.

---

(١) الصواب أن «أثورم عصبيم» تعني «الثيران المجنحة» أو «أثوار ذات جناح». قال الهمداني: قال أسعد:

عصبت بشمّر ذي الجناح بقائدٍ ما إن تجيء بمثله النسوانُ

(٢) قصر غمدان ـ مطهر الأرياني ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٤ ـ يوليو ١٩٨٠.

المبحث الرابع

عهد مرثد إلن ينوف ملك سبأ
وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعراب الطود وتهامت
(٥٩٤ـ٦١٥ سبئي/٦٢٦ـ٦٠٥ق.م)

بعد (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) تسنم سدة عرش تبابعة سبأ الملك (مرثد إلن ينوف) وهو رابع ملوك العصر الخامس التبابعة سبأ عصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت).

ونشير هنا إلى أن د. محمد بافقيه أورد نقش الملك شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد عن بناء قصر هرجم ثم قال: «وبهذا النقش تنقطع آخر أخبار شرحبيل يعفر وأسرته الكبيرة وندخل فترة شديدة الغموض، نتيجة لنقص النقوش، تمتد ما يقرب من ستين عاماً ما بين ٥٧٢ و٦٣١ من التقويم. فالنقوش القليلة الناقصة لم تحمل إلينا إلا أسماء أشخاص مصحوبة بألقاب الملك آخرهم معدي كرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طوداً وتهامة الذي ورد ذكره في نقش أُرخ بسنة ٦٣١ للتقويم[١].

والواقع أنه لا توجد فترة شديدة الغموض، فقد كان شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد ثالث ملوك ذلك العصر وله بعد نقش قصر هرجم المؤرخ بعام ٥٧٢ سبئي (٦٤٨ق.م) نقش مسند من مأرب عن قيامه بتحويل وتحوير كابة جبل تزن وكابة فل تزن بسد مأرب العظيم عام ٥٧٥ سبئي (٦٤٥ق.م). وقد سلف ذكر تقرير البعثة الألمانية عن كشف المنشأتين وإنه: «... كان زمن التحويل الأخير للمنشأة (ب) في القرن السابع قبل الميلاد»[٢] وتلك المنشأة هي كابة جبل تزن.

وبعد وفاة الملك شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد (سنة ٥٩٣ سبئي/٦٢٧ ق.م). تسنم عرش ملوك سبأ التبابعة الملك (مرثد إلن ينوف) وقد تم العثور على نقشين مسندين من عهده ثانيهما مؤرخ بعام ٦١٤ للتقويم السبئي[٣] ويدل ذلك على أن عهده كان بعد (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) في النصف

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٢.
(٢) تقرير معهد الآثار الألماني ٨٣/ ٨٤.
(٣) رحلة أثرية في اليمن ـ د. أحمد فخري ـ ٤٨.

الثاني من القرن السابع ق.م. وإنه رابع ملوك ذلك العصر وهم ستة ملوك تبابعة:

١ ـ أبو كرب أسعد بن ملكيكرب (٥١٧ ـ ٥٥١ سبئي/ ٧٠٣ ـ ٦٦٩ق.م).
٢ ـ حسان يهامن بن أبي كرب أسعد (٥٥١ ـ ٥٥٦ سبئي/ ٦٦٩ ـ ٦٦٤ق.م).
٣ ـ شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد (٥٥١ ـ ٥٩٣ سبئي/ ٦٦٩ ـ ٦٢٧ ق.م).
٤ ـ مرثد إلن ينوف (٥٩٤ ـ ٦١٥ سبئي/ ٦٢٦ ـ ٦٠٥ ق.م).
٥ ـ ذرا أمر أيمن بن حسان بن أسعد (٦١٥ ـ ٦٣٠ سبئي/ ٦٠٥ ـ ٥٩٠ ق.م).
٦ ـ معدي كرب يعفر (بن حسان بن أسعد) (٦٣١ ـ ٦٩٣ سبئي/ ٥٨٩ ـ ٥٢٧ ق.م).

وقد تم العثور على نقشين مسندين من عهد مرثد إلن ينوف وهما:

أولًا

نقش مرثد إلن ينوف بالمتحف البريطاني بلندن

وهو نقش مسند منحوت على قطعة من حجر البلق ويوجد النقش حالياً في المتحف البريطاني بلندن، ولا نعرف مكان العثور عليه، وقد نقل نص النقش أحمد شرف الدين في كتاب تاريخ اليمن الثقافي حيث جاء فيه أن «مرثد إلن ينوف ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت، يتوجه بالحمد إلى ذي السموات (ذي س م وي) لأنه حفظ الأذواء المخلصين الذين كانوا معه وهم: يرخم ذو عثكلان، وشرحبيل يسعد ذو معافر، ولحيّ عثت ينوف ذو أصبح...»[١] وقد انطمس بقية النقش وسبب كتابته الذي ربما يتصل بأحداث حربية وقعت في شرق شمال الجزيرة العربية بتخوم بلاد بابل. ونذكر هنا ما يلي:

أ ـ إن دولة سبأ في ذلك العهد كانت تمتد إلى شمالي الجزيرة العربية وتخوم الشام وتخوم بابل حيث دلت الدراسات على أنه «كانت دولة سبأ تمتد إلى شمالي الجزيرة العربية»[٢] وإلى «منطقة الفرات السفلى»[٣] وإنه «كانت معان المجاورة للبتراء بحوزة سبأ إلى سنة ٦٤٠ق.م»[٣]. وقد كان في بابل

(١) تاريخ اليمن الثقافي ـ أحمد شرف الدين ـ النقش رقم ٣٦.
(٢) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص٨٤.
(٣) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٤٠.

ومنطقة الفرات السفلى حكم كلداني حليف لسبأ في إطار الملوكية العليا لشرحبيل بن أسعد حتى وفاته سنة ٦٢٧ق.م ثم تولى حكم بلاد بابل ـ ربما بعد الإطاحة بالأسرة الحاكمة هناك ـ الملك (نبو ـ بولاصر ٦٢٧ ـ ٦٠٥ق.م) وشهد عهده حروباً واسعة مع القوى المجاورة، وانتهى نفوذ سبأ بمنطقة الفرات السفلى، وتحالف (نبو بولاصر) مع «كي اخسار ملك مملكة ميديا الفارسية» وقام جيشهما المشترك بغزو مملكة أشور (حليفة سبأ) وحاربوا أشور إلى أن سقطت عاصمتها نينوى عام ٦١٢ق.م. فانتهت بذلك عصور أشور ونينوى وحضارتها العريقة، وشملت دولة بابل الكلدانية بلاد الرافدين وشن ملكها (نبوبولاصر) غزوات إلى أرجاء الشام وربما إلى تخوم شمال الجزيرة العربية.

ب ـ إن الجزيرة العربية كانت واستمرت تحت حكم ونفوذ دولة تبابعة سبأ وملكها (مرثد إلن ينوف) كما يدل على ذلك لقبه في النقش المسند (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعراب الطود وتهامت). وقد سلف تبيين أن منطقة (يُمانت) كانت تشمل عُمان والبحرين، وإن الطود هو ـ كما ذكر ابن المجاور ـ «الطود هو الحجاز... والحجاز يتصل إلى البحرين»[1].

جـ ـ يدل التوجه في النقش إلى ذي السماوات (ذي س م وي) على أن دين التوحيد الحنيف الذي ساد منذ عهد أبي كرب أسعد كان ما يزال هو الديانة الرسمية لدولة تبابعة سبأ في عهد مرثد إلن ينوف.

د ـ يذكر النقش ثلاثة من الأذواء وهم:

١ ـ **يرخم ذو عُثْكلان**: وهو من الأذواء الأملاك الثمانية، كان في كل عهد واحد من بني عثكلان من الأملاك الثمانية. قال علقمة بن ذي جدن في أبياته عن الأملاك الثمانية:

ومِن صَمِيمَهُم ذو عُثْكلان ولا يُنْبِيكَ مِثل امرئ بالعلم قوَّالِ

قال نشوان: «هو ذو عُثكلان بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حِمْير الأصغر بن سبأ الأصغر»[2] ومنهم أصحاب النقش رقم ٦٥٦ جام ورقم ٣٢ شرف من عهد (شمر يُهرعش) وهم:

---

(١)المستبصر ـ صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور ـ ص٣٩.

(٢)السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٧ و١٦٤.

«يعمر اشوع/ وأخوه/ زيد أقوم/ وسنت يبهر/ . . . بنو عثكلان/ صِيد/ ذي رسم»[١] ويبدو أن (ر س م) هي منطقة (الرس) ما بين مأرب واليمامة وكان أقيالها (بنو عثكلان) وكان منهم في عهد (مرثد إلن ينوف يرخم ذو عثكلان. وقد جاء في القرآن «وأصحاب الرس». ولهم خبر سيأتي ذكره في عهد (ذرا/ أمر/ أيمن).

٢ ـ **لحيّ عثت ينوف ذو أصبح**: وهذا أول ذكر في النقوش لذي أصبح، وقد ذكره نشوان الحميري في قصيدته حيث قال:

أمْ أيـنَ ذو قَـيْـفـان أو ذو أَصْـبَـح لـم يـنـجُ بـالإمـسـاء والإصـبـاح

ثم قال: «وذو أصبح ـ ابن ـ الحارث بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر، ويُسمى ذا أصبح لأنه غزا عدواً وأراد أن يُبيته ثم نام دونه حتى أصبح الصباح ثم قال لجيشه أصبح، فسُمّي ذا أصبح. وهو الذي أحدث السياط الأصبحية فنُسبت إليه، قال الراعي:

أخذوا العريف فقطّعوا حيزومه بالأصبحية قائماً مغلولاً»[٢]

وقال ابن خلدون: «مخلاف بني أصبح هو وادي السحول. وذو أصبح الذي يُنسبون إليه ـ هو ذو أصبح الحارث بن مالك أخو ذي رُعَيْن»[٣] ووادي السحول معروف حتى اليوم وهو بمحافظة إب.

٣ ـ **شرحبيل يسعد ذو معافر**: وقد ذكر الملك مرثد ألن ينوف في النقش «شرحبيل يسعد ذو معافر» وهذا أول ذكر في النقوش لذي معافر. قال ابن خلدون: «فأما معافر فهم بنو يعفر بن مالك بن الحرث بن مرّة بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ»[٣] ومخلاف المعافر في محافظة تعز حالياً إلى المخاء في ساحل البحر الأحمر، قال الشاعر:

وسَـدّت مـعـافـرُ أُفـق الـبـلاد بِـمُـرعـد جـيـشٍ لـهـا مُـبْـرِقُ

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ٦٥٦جام ـ وتاريخ اليمن الثقافي ـ النقش رقم ٣٢.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٧ و١٦٤.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٦٦٠.

ثانياً

نقش مرثد ألن ينوف المؤرخ

بعام ٦١٤ سبئي/ ٦٠٦ ق.م

وهو نقش مسند ذكره د. أحمد فخري في كتابه (رحلة أثرية في اليمن) يتحدث أصحابه عن بناء أحد البيوت (القصور) بعون اللّه ذي السموات (ذ ي س م و ي) وبعون آمرهم (مرثد إلى ينوف ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طود وتهامت. بخريف أربعة عشر وستمائة»[1] ـ أي في سنة ٦١٤ للتقويم السبئي ويوافق سنة ٦٠٦ قبل الميلاد.

ويدل ذلك التاريخ على أن الملك (مرثد ألن ينوف ملك سبأ...) عاصر «نبو بولاصر الكلداني ملك بابل ٦٢٧ ـ ٦٠٥ق.م). وقد هلك (نبو بلاصر) وتولى الحكم بعده ابنه (نبوخذ نصر) سنة ٦٠٥ق.م.

وفي نفس العام تقريباً انتهى عهد الملك (مرثد ألن ينوف) ـ بوفاته غالباً ـ وتم تمليك (ذرا ـ أمر ـ أيمن) المشهور عند المؤرخين العرب الأوائل باسم (تُبّع عمرو بن حسان).

المبحث الخامس

عهد تُبَّع عمرو بن حسان (ذرا ـ أمر ـ أيمن)

الملك الذي اعتنق اليهودية

(٦١٥ ـ ٦٣٠ سبئي/ ٦٠٥ ـ ٥٩٠ق.م)

هو الملك (ذرا ـ أمر ـ أيمن/ بن حسان يهامن/ بن أبي كرب أسعد). ومن عهده النقش المسند (رقم٢ بيت الأشول) وهو نقش قال بيوتروفسكي أنه «يحتوي جملة يهودية»[2] بل إن صاحب النقش هو أحد الحبرين اليهوديين اللذين خدعا الملك (ذرا ـ أمر) أثناء محاربته ومحاصرته لليهود في يثرب. قال الهمداني: «... فأعجب عمرو بن حسان هذا دين اليهودية فدخل مع الحبرين في دينهم وخالفَ دين أهل اليمن.. وعاد مع الحبرين إلى اليمن»[3]. وقال في

(١) رحلة أثرية إلى اليمن ـ د. أحمد فخري.

(٢) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص١١٥.

(٣) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٢١٧.

الإكليل: «. . . أما الحبران اللذان ذكرهما العلماء فذاك في تُبّع الأصغر عمرو بن حسان بن أسعد فهو صاحب الحبرين»[١] ويؤكد ذلك النقش المسند (رقم٢ بيت الأشول) وقد كتبه أحد الحبرين واسمه (يهودا ياكف) حيث يقول النقش إن «يهودا ياكف بنىٰ بيتاً للرب بعون ومباركة إله يهودا الذي خلق روحه وبتأييد شعبه إسرائيل وبمقام سيده ذرا أمر أيمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت»[٢]. وقد تخفف اسم الملك (ذرا ـ أمر) إلى ـ (عمرو) عند المؤرخين العرب الأوائل، فأصل الاسم (عمرو) هو (أمر) في اسم (ذرا ـ أمر) بالنقش المسند. وفيه قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ التابعة:

أَوْ تُبَّعُ عمرُو بنُ حسَّان الذي سَفَحَ الدِّماءَ بسيفهِ السَّفاح
قَتَلَ اليهودَ بيَثْربٍ وأراهُمُ أنيابَ ثَغْرٍ للمَنيَّة شاحِ[٣]

وقد تبين لنا من النقوش والمصادر التاريخية عن ذلك الزمن ما يلي:

أولًا

ترتيب وزمن الملك ذرا أمر (عمرو بن حسان)

لقد جاء لقب (ذرا ـ أمر ـ أيمن) في النقش (رقم ٢ بيت الأشول) بصيغة (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) دون إضافة (وأعرابهم طودم وتهامت)، مما قد يؤدي إلى استنتاج خاطئ بأنه من ملوك العصر الرابع بينما هو في الواقع من ملوك هذا العصر الخامس لأنه ابن (حسان يهامن بن أبي كرب أسعد) فيكون ترتيبه بعد الملك (مرثد ألن ينوف) المؤرخ نقشه المسند بعام ٦١٤ سبئي (٦٠٦ق.م). وقبل الملك (معدي كرب يعفر) المؤرخ نقشه المسند بعام ٦٣١ سبئي (٥٨٩ق.م). فأياً كان سبب عدم كتابة «. . . وأعرابهم طودم وتهامت» في لقب «ذرا ـ أمر» بالنقش رقم ٢ بيت الأشول فهو من ملوك هذا العصر لأنه ابن الملك (حسان بن أبي كرب أسعد) فيكون ترتيبه الخامس بين ملوك ذلك العصر الخامس لملوك سبأ التابعة الحميريين وهم:

١ ـ أبو كرب أسعد (٥١٧ ـ ٥٥١ سبئي = ٧٠٣ ـ ٦٦٩ق.م). ومن نقوش عهده النقش المؤرخ بعام ٥٤٣ سبئي.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٢١ جـ٨.
(٢) النقش رقم ٢ بيت الأشول. وهو مكتوب بالمسند وتحته كتابة بالآرامية التي كانت سائدة بالشام.
(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٥.

٢ ـ حسان بن أبي كرب أسعد «لا يوجد نقش مؤرخ من عهده».

٣ ـ شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد «من عهده ثلاثة نقوش مؤرخه بالأعوام ٥٦٥ و٥٧٢ و٥٧٥ للتقويم السبئي. وقد سجلت نقوشه تجديد منشآت سد مأرب الذي أثبتت البعثة الأثرية الألمانية أنه تم في القرن السابع ق.م».

٤ ـ مرثد ألن ينوف «من عهده النقش المؤرخ بعام ٦١٤ للتقويم السبئي ويوافق ٦٠٦ ق.م».

٥ ـ ذرا أمر أيمن بن حسان بن أبي كرب أسعد «النقش رقم ٢ بيت الأشول».

٦ ـ معدي كرب يعفر (بن حسان بن أبي كرب أسعد) ومن عهده النقش رقم ٢٢٨ فلبي المؤرخ بعام ٦٣١ سبئي ويوافق ٥٨٩ ق.م. وعلى ضوء ذلك يكون عهد (ذرا ـ أمر ـ أيمن) في الفترة ٦١٥ ـ ٦٣٠ للتقويم السبئي ويوافق ٦٠٥ ـ ٥٩٠ قبل الميلاد.

ثانياً

معاصرة ذرا أمر (عمرو بن حسان) لبُختنصَّر (نبوخذ نصر) ونبأ (أصحاب الرس)

قال الهمداني في الإكليل: «... وأما اليمنية فقد كان ذهب علمهم في أيام بُخت نصَّر ـ ملك بابل ـ لفتكه بقيولهم في أيام حسان بن أسعد وتخريبه حصونهم»[١] وهذا يؤكد زمن ذرا أمر (عمرو بن حسان بن أسعد) بأنه عاصر بختنصر (نبوخذ نصر ملك بابل) الذي حكم في الفترة (٦٠٤ ـ ٥٦٢ق.م) وإن عهد ذرا أمر يوافق الفترة (٦٠٥ ـ ٥٩٠ق.م). وفي أيامه ـ وليس في أيام أبيه حسان ـ شنّ نبوخذ نصر ملك بابل الغزوات على الممالك الآرامية (حليفة سبأ) بالشام، وعلى المراكز السبئية في شرق وشمال الجزيرة العربية وفتك بأقيال اليمن الذين هناك وبالذات أصحاب الرس الذين ذكرهم اللّه في القرآن. قال اللّه تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

قال ابن خلدون: «... والرس: ما بين نجران إلى اليمامة ومن حضرموت إلى اليمامة»[٢] وقال الهمداني: «... الرس بناحية صيهد وهي بلدة

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٣٠ و٣١ جـ٢.

منخرقة ما بين مأرب والجوف فنجران فالعقيق فالدهناء فراجعاً إلى حضرموت»[١] وجاء في الهامش: «الدهناء: مفازة عظيمة وصحراء ما بين اليمامة والرياض والبصرة»[٢] وقد جاء في نقش مسند من محرم بلقيس «. . . بنو عُثْكلان (أقيال) صيد رسم»[٣] فكلمة (صيد/ رَسْم) في النقش تقابل قول الهمداني: «الرس بناحية صيهد» والأصوب «الرس بناحية صيد» ولعل (صيهد) تصحيف من الناسخين لأن مفازة (صيهد) غير (صيد الرس) وربما كانت (صيد) المدينة الرئيسية بمنطقة الرس، وكانت منطقة الرس بأعالي الربع الخالي ـ حالياً ـ وجهات اليمامة إلى الدهناء في شرق شمال الجزيرة العربية، والدهناء مفازة كبيرة ما بين اليمامة وتخوم بلاد بابل.

وكانت تسكن منطقة الرس قبائل يمنية قحطانية منهم (حضورا) ومنهم الأقيون بنو الحارث بن قحطان، وعشائر حميرية سبئية. قال الهمداني: «وأما الحارث بن قحطان فولد قيناً، بطن يُقال لهم الأقيون، دخلوا في حِمير، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبيّ الرس. . . ويُقال: بل كان أهل الرس قبائل من نسل من سمينا من قحطان وهم: أسلم، ويامن أبو زرع، ورعويل، وقدمان. . .»[٢] وقال ابن خلدون: «فأما حضورا فكانت ديارهم بالرس. . وذكر ابن حزم: الحارث بن قحطان، وقال: فولد فيما يقال: (أهل الرس) وهم رهط حنظلة بن صفوان نبيّ الرس»[١] ويجمع تلك الأقوال أن تلك القبائل والعشائر كانت جميعها تسكن منطقة الرس، وكانت زعامتهم في (بني حضورا) وفي (بني عُثكلان) فأما (حضورا) فهو ـ كما ذكر الهمداني ـ «. . . حضورا بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر». وأما بنو عُثْكلان فهُم بنو (عثكلان بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر) وقد سلف ذكر أن منهم في نقوش المسند «يعمر أشوع وأخوه زيد أقوم وسنت يبهر. . . بنو عُثْكلان أقيال صيد رَ سْ م» في عهد (شمر يهرعش)[٣] ومنهم «يرخم ذو عثكلان» المذكور في نقش الملك (مرثد ألن ينوف) الذي حكم بعده (ذرا ـ أمر/ بن حسان بن أسعد) معاصر بُختنصر (نبوخذ نصر ملك بابل: . قال ابن خلدون: «فأما حضورا فكانت ديارهم بالرس وكانوا أهل عبادة أوثان، وبُعث إليهم نبيّ منهم اسمه شعيب بن ذي مهدع فكذبوه وهلكوا»[١] قال

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٣٠ و٣١ جـ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٣ ـ ١٩٧ جـ١.
(٣) تاريخ اليمن الثقافي ـ النقش رقم ٣٦.

الهمداني: «شعيب بن ذي مهدم الذي أخذ بثأره بُخت نصر، وهو شعيب بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدم بن حضور ابن عَدِي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر»[1] فكذبه أهل الرس وقتلوه، فغزاهم بُختنصر (نبوخذ نصر) وفتك بهم، ولذلك قال الهمداني: «شعيب ذو مهدم الذي أخذ بثأره بُخت نصر»[1] ولم تكن غزوته للأخذ بثأره وإنما تصادفت غزوته بعد مقتل النبيّ شعيب هذا، وإلا فإن غزوة بُختنصر (نبوخذ نصر) لمنطقة الرس كانت في إطار الغارات العدوانية التي شنها على ممالك الشام وامتدت إلى شرق شمال الجزيرة العربية في ذلك الزمن ففتك بأقيال اليمن الذين كانوا هناك وأخرب حصونهم.

ومن المعروف أن (نبوخذ نصر) غزا الممالك الآرامية والفينيقية بالشام وغزا كيان مملكة يهودا الإسرائيلية التي كانت عاصمتها أورشليم (القدس) بفلسطين، وقد غزا تلك الممالك وأعلن حكامها موالاته سنة ٥٩٧ق.م. ثم غزاها مرة ثانية (سنة ٥٨٦ق.م). ودمر مدينة صور عاصمة الفينيقيين ودمر مدينة أورشليم وهيكلها وسبى أربعين ألفاً من اليهود إلى بابل. وبسبب تلك الغزوات وإخضاع ثم تدمير كيان مملكة يهودا الإسرائيلية هرب عدد كبير من اليهود إلى مناطق مجاورة منها مصر، ومنها منطقة يثرب وأعالي الحجاز فتوطنوها بالعدوان مما أدى إلى غزوة الملك (ذرا أمر) لأولئك اليهود في يثرب.

ثالثاً

غزوة تُبَّع ذرا أمر بن حسان لليهود في يثرب

قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ الملوك التبابعة:

أَوْ تُبَّعُ عمرو بن حسَّانَ الذي ... سَفَحَ الدِّماءَ بسيفه السَّفاح
قَتَلَ اليهودَ بيَثْربٍ وأراهمُ ... أنيابَ ثَعْرٍ للمَنِيَّة شاحِ

وقد خلط بعض الرواة بين تُبّع أبي كرب أسعد وبين تُبّع عمرو بن حسان هذا، ويتبين من البحث في المصادر التاريخية:

- إن (أبا كرب أسعد) كان قد سار بالفعل إلى يثرب وأعالي الحجاز في عهده بالربع الأول من القرن السابع ق.م. حيث قام ببسط سيادة ونفوذ دولة سبأ بأعالي الحجاز ومنطقة معان بأدنى الشام حيث دلت الدراسات والنقوش -

(١) الإكليل - الحسن الهمداني - ص١٨٣ جـ١.

وكما ذكر د. عدنان ترسيسي ـ «إن منطقة معان المجاورة للبتراء كانت بحوزة سبأ إلى عام ٦٤٠ق.م»[١] وقد ذكر ابن كثير: «إن أبا كرب أسعد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة (يثرب) وكان قد مرّ بها في بدأته، فلم يهج أهلها، وخَلَفَ بين أظهرهم ابناً له»[٢] وكان أهل يثرب يومئذٍ عشائر يمنية قحطانية وحامية عسكرية حميرية سبئية أوطنهم أبو كرب أسعد هناك وجعل يثرب مدينة ومركزاً لهم بأعالي الحجاز. وهم عشائر من (بني قَيْله)[٣] ومن قضاعه (بنو يزيد من بليّ وبنو نعيف من بَلِّي) و(بنو الشقمة من غسان)[٣] وقد جاء اسم يثرب بلفظ «يثربو YATRIBU» في نص بابلي كلداني من ذلك العصر[٤] ويؤكد ذلك وجود يثرب كمدينة منذ عهد أسعد بأوائل القرن السابع ق.م. وفي عهد ذرا أمر (عمرو بن حسان بن أسعد) بالربع الأول من القرن السادس ق.م.

ـ ولم يكن لليهود بني إسرائيل أي وجود في يثرب وأعالي الحجاز قبل عهد ذرا أمر (عمرو بن حسان) معاصر نبوخذ نصر (بُختنصر) وفي عهدهما أيضاً كان الملك (نبونيدس الكلداني) قال د. طه باقر: «إن بعض اليهود ربما توطنوا بأعالي الحجاز في عهد نبونيدس هذا»[٤] وقال ابن المجاور في حديثه عن وجود عشائر من اليهود بأعالي السراة «... ما حصلوا هؤلاء اليهود في هذه الأرض والأعمال إلا من غزوة بختنصر لليهود بأرض الشام فخرجوا هاربين (إلى) خيبر ووادي القُرى...»[٥] وهي منطقة يثرب وأعالي الحجاز. وكان مجيء اليهود إليها وتوطنهم بها (في عهد تُبّع عمرو بن حسان بن أسعد) قد اقترن بعمل عدواني، فقد نقل (بيوترفسكي) عن مصادر تراثية «إن اليهود قتلوا جنوداً حميريين في يثرب وطردوا نائب تُبّع من يثرب»[٦] ويُقال إنه (خالد بن أسعد) وأنهم (قتلوه غيلة). وكان ذلك سبب غزو تُبّع (عمرو بن حسان) لليهود في يثرب، قال ابن خلدون: «ونقل السهيلي عن ابن قتيبة أن غزاة تُبّع

(١) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٤٠.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٤ جـ٢.
(٣) وهم (بنو قيلة بنت كاهن بن عذرة بن قضاعة بن مالك بن حمير» + اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٢١٣.
(٤) الوجيز ـ د. طه باقر ـ ص٥٥٥.
(٥) المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص٢٣.
(٦) ملحمة أسعد ـ بيوترفسكي ـ ص٥٨.

هذه إنما هي استصراخة أبناء قَيْلة على اليهود... فاستغاثوا (بنو قيلة) بتُبَّع وعند ذلك قَدِمها»[١] وكان تُبّع (عمرو) بمدينة ظفار حين أتاه خبر أولئك اليهود وكان اليهود برئاسة اثنين من الأحبار، ويروى أنه لما بلغه الخبر قال:

ما بَالُ عَيْنِكَ لا تنامُ كأنّما ... كُحِّلَتْ مآقِيها بسُمِّ الأسْوَد
حنقاً على حبرين حلّا يثرباً ... أوْلَىٰ لهم بعقابِ يوم مُفسد
... أرقاً لما فعل اليهود بيثربٍ ... فلبثت في (ريدان) كالمتبلد
وحلفت عهداً تُبلغنّ جموعهم ... زُبر الحديد عشية أو من غدِ

ثم انطلق تُبّع ذرا أمر بن حسان بالجيش إلى يثرب حيث كما قال نشوان الحميري:

قَتَلَ اليهودَ بيثرب وأراهم ... أنياب ثغرٍ للمنيّة شاح

ويبدو أنه فتك باليهود الذين خارج يثرب. قال نشوان: «وجمع من اليهود ثلاثمائة رجل فضرب أعناقهم». ثم حاصر اليهود الذين تحصنوا داخل أسوار يثرب.

رابعاً

فتنة اعتناق الملك ذرا أمر لليهودية

وأثناء حصار تُبّع ذرا أمر لليهود في يثرب أصابه مرض حيث ينقل بيوتروفسكي عن بعض المصادر التراثية إنه: «مرض تُبّع من ماء البئر التي حفرها، وعانىٰ عذاباً مبرحاً من المرض ومن العلقة التي وقعت في عينيه. وتشير رواية أخرى إلى أنه عانىٰ من ألم شديد في عينيه إلا أنه قد شفي بعد أن عمل بنصيحة أحد الحكماء [أو: أحد الحبرين] إذْ دعاه للإيمان بدينه.. فآمن بذلك الدين»[٢].

وجاء في شرح الدامغة أن الحبرين اليهوديين خرجا إلى الملك تُبع عمرو بن حسان فوقع تناظر ديني بينهما وبين أصحاب الملك، فاحتكموا إلى العبور فوق نيران أشعلاها، فعبر الحبران وبيدهما التوراة والتهمت النار اليمنيين الذين حاولوا العبور. قال الهمداني:

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٦٧.
(٢) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص١١٦.

«فأعجب تُبع عمرو بن حسان هذا دين اليهودية فدخل مع الحبرين في دينهم، وخالف دين أهل اليمن»[١].

وهناك تشابه بين اعتناق تُبّع ذرا أمر ملك اليمن لليهودية وبين ما جاء في سِفر دانيال بالتوراة عن اعتناق نابونيد ملك بابل لليهودية. حيث قال بيوتروفسكي: «... فهنا نجد أن تُبّع الذي اضطهد اليهود قد أوقف الصراع معهم وآمن بدينهم. ونرى نفس الأمر في سِفر دانيال ـ عن نابونيد ـ ومما يميز سِفر دانيال ذكر التعذيب بالنار وهو الذي نجده أيضاً في قصة دخول اليهودية إلى اليمن. إن الحدث الهام في سِفر دانيال وسِفر صلاة نابونيد هو مرض الملك الذي أدى إلى اعتناقه اليهودية (وهو ما نجده أيضاً في خبر مرض تُبّع)...»[٢].

ونابونيد هذا هو «نبونيدس» الكلداني وقد جاء اسمه في ألواح نبوخذ نصر ملك بابل سنة ٥٨٥ق.م. ويبدو أنه كان معارضاً لنبوخذ نصر ملك بابل آنذاك، وكان بمنطقة شمال الجزيرة العربية ومنها تيماء ويثرب (يثربو YATRIBU)[٣] فيكون ذلك في نفس عهد (ذرا ـ أمر) وربما كان نائباً له بشرق وشمال الجزيرة ثم أصبح نابونيد (نبونيدس) ملكاً لبابل فيما بعد (سنة ٥٥٦ق.م) وكان نابونيد من الأسرة الكلدانية الحاكمة في بابل قبل نبوخذ نصر.

ومن المهم هنا التمييز بين (تُبّع/ أبي كرب أسعد) وبين (تُبّع/ ذرا أمر بن حسان) لأن بعض الرواة خلطوا بينهما، فظنوا أن تُبّعاً الذي اعتنق اليهودية على يد الحبرين هو أبو كرب أسعد، وشاع ذلك في بعض الروايات ولكن علماء المؤرخين العرب الأوائل ميزوا بينهما، فقد كان تُبّع أسعد مؤمناً مسلماً وهو المقصود بقول اللّه تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧]، قال الحافظ القرطبي في التفسير: «... وهو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت.. وقد أُختلف هل كان تُبّع نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان نبياً، وقال كعب: كان ملكاً مؤمناً»[٤]. وقال نشوان الحميري «كان أسعد تُبّع مؤمناً باللّه وهو الذي نهى النبي ﷺ عن سبّه وبشّر بالنبي ﷺ... ولم يكن قبل أسعد ولا بعده ملك مثله، ومن الناس من يقول إنه نبيّ»[٥] وجاء في الفتح الكبير للنبهاني: «قال النبي ﷺ:

(١) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٢١٧.
(٢) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص١١٦.
(٣) الوجيز ـ طه باقر ـ ص٥٥٥/ وقد حكم نبونيدس بابل سنة ٥٥٦ ـ ٥٣٩ ق.م.
(٤) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٤ ـ ١٤٦/ ٣.
(٥) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٢٢.

لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم. أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه»[١]. فأسعد تُبّع لم يكن يهودياً وإنما كان مؤمناً مسلماً وهو أول من كسا الكعبة وبشر بنبيّ سيأتي اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء وكان ذلك سنة ٧٠٠ق.م. وقد سلف ذكر نقوش المسند التي تنطق بأن دين التوحيد الحنيف كان الديانة الرسمية في عصر أبي كرب أسعد وخلفائه حسان وشرحبيل يعفر ومرثد ألن ينوف حيث تنطق النقوش بعبادة اللّه ذي السموات (ذ س م و ي) الرحمن رب السماء والأرض (رحمن بعل سمين وأرضن).

ثم تولى الحكم (ذرا ـ أمر/ بن حسان/ بن سعد) وهو الذي اعتنق اليهودية على يد الحبرين. قال الهمداني: «.. فأعجب تُبّع عمرو بن حسان هذا دين اليهودية فدخل مع الحبرين في دينهم وخَالَفَ دين أهل اليمن». وقال في الإكليل: «أما الحبران اللذان ذكرهما العلماء فذاك في تُبع الأصغر عمرو بن حسان بن أسعد فهو صاحب الحبرين»[٢].

وبما أن الديانة السائدة قبل عهد تُبع أسعد كانت عبادة الآلهة المتعددة (الوثنية) فقد أدى الخلط إلى القول بأن دين أهل اليمن عندما اعتنق تُبع اليهودية على يد الحبرين كان الديانة الوثنية والصابئة وذلك إنما كان قبل تُبّع أسعد أما دين أهل اليمن عندما اعتنق تُبّع عمرو بن حسان اليهودية فكان دين التوحيد الحنيف عبادة اللّه ذي السموات الرحمن رب السماء والأرض الذي كان سائداً منذ عهد تُبّع أسعد، فكفر الملك ذرا ـ أمر (عمرو بن حسان) بدين التوحيد الحنيف واعتنق اليهودية على يد الحبرين وعاد معهما من يثرب قاصداً اليمن. قال الطبري: «انصرف تبع عن يثرب ومعه الحبرين فتوجه إلى مكة»[٣].

... فلما وصل إلى مكة أراد هدم البيت الحرام ـ الكعبة ـ فنهاه الحبران عن ذلك، ربما لأنهما خافا مغبة ذلك، فتراجع عن هدم الكعبة وقام بكسوتها بسبب رؤية رآها في المنام، فكان ذرا أمر (عمرو بن حسان) ثاني من كسا الكعبة لأن أول من كساها كان أبو كرب أسعد قبل (ذرا أمر) بمائة سنة وكان أسعد قد ولى الجرهميين زعامة مكة وسدانة البيت وكان منهم (جرهم بن جلهمة بن الحارث الجرهمي) في عهد (عمرو بن حسان بن أسعد) حيث ذكر ابن خلدون: إن (عدنان) كان في أيام بختنصر (نبوخذ نصر) وإن (معدّ بن عدنان) تزوج (معانة بنت جرهم بن جلهمة) بعد موت بختنصر[٤].

---

(١) الفتح الكبير ـ النبهاني ـ ص٣٢٤ جـ٣.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٢١ جـ٨.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٩٦ جـ٢.
(٤) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٩٩ جـ٢.

ثم سار الملك ذرا ـ أمر (عمرو بن حسان) مع الحبرين من مكة إلى اليمن، وقد جاء في بعض الروايات أن صاحب الأخدود بنجران هو الملك (زرعة بن عمرو) ونرى أن (زرعة بن عمرو) إنما هو (ذرا ـ أمر) وأنه الذي أحرق المؤمنين بدين التوحيد في نيران أخدود نجران، ثم في نار ضروان.

قال الهمداني: «لما دنا عمرو بن حسان من اليمن ليدخلها خرج إليه قومه وقالوا: لن تدخل إلينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى اليهودية وقال: إنها خير من دينكم، فانقطع أمرهم على أن يتحاكموا إلى النار ـ وهي نار ضروان بمنطقة الأحزبي من الخشب بهمدان ـ فدخل الحبران إلى نار ضروان وقد تقلدا التوراة ودخل معهما أربعون نفراً من حِمْيَر وهمدان فاحترقوا وسَلَم الحبران»[1].

ونرى أن الحبرين كانا يتقنان نوعاً من السحر أدى إلى سلامتهما من النيران، فانخدع الملك ذرا أمر بن حسان وجيشه بذلك فتهودوا معه ثم فرض الملك ذرا أمر اليهودية على الناس باليمن بإرهاب الجيش والنار، وقام بهدم معبد ريام بمنطقة همدان، وتوجه مع الحبرين إلى مدينة ظفار. وقد تم العثور في ظفار على نقش مكتوب بالمسند وبالآرامية وقد كتب النقش أحد الحبرين واسمه (يهودا ياكف) وهو النقش (رقم ٢ بيت الأشول) ويذكر النقش أن «يهودا ياكف بنىٰ بيتاً للرب بعون ومباركة إله يهودا الذي خلق روحه وبتأييد روح شعبه إسرائيل وبمقام ذرا أمر أيمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت»[2] وهذا النقش هو النقش الوحيد في تاريخ اليمن الذي يذكر الديانة اليهودية. وقد جعلها الملك ذرا ـ أمر الديانة الرسمية وفرضها على الشعب في تلك الفترة من القرن السادس ق.م. فكفروا بدين التوحيد الحنيف. قال اللّه تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

خامساً

مقتل الملك ذرا أمر بن حسان

وفي عام ٦٣٠ للتقويم السبئي (٥٩٠ق.م). سار الملك ذرا أمر (عمرو بن حسان) ملك سبأ بالجيوش والقبائل من ظفار ثم من مأرب إلى اليمامة قاصداً غزو العراق. وكان نبوخذ نصر ملك بابل قد أغار على شرق شمال الجزيرة

(١) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص١٢٧.

(٢) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ النقش رقم ٢ بيت الأشول.

العربية وفتك بأهل منطقة الرس بين الدهناء واليمامة ـ كما سلف التبيين ـ وبلغت غاراته إلى الحجاز، ولذلك وربما بتأثير الحبرين أيضاً سار الملك ذرا أمر بالجيوش قاصداً غزو العراق التي كانت تحت حكم نبوخذ نصر. وكان الأذواء والأقيال والقادة كارهين لذلك المسير والغزو، وخاصة لأنه ربما كان بتأثير الحبرين اليهوديين. فلما وصل الملك ذرا أمر (عمرو بن حسان) والجيش إلى اليمامة، اجتمع الأذواء ولأقيال القادة واتفقوا على عدم الغزو إلى العراق وطلبوا من الملك الرجوع إلى اليمن، فلم يستجب لذلك. ويُروى أنه قال هذه الأبيات:

مَنْ كان يرجو أن يؤوب ... فلستُ من سفري بآيب
فتجهزي، وتجملي، ... يا يُمن يا خير الركائب
فلقد وصلت بنا اليما ... مة حاجباً من بعد حاجب
فتوجهي نحو العراق ... بكلِّ سيافٍ وناشب
حتى أبيد ملوكهم ... أهل الأكالل والأعصاب

فاتفق الأقيال والقادة مع أخيه (معدي كرب بن حسان) على قتله وبايعوا أخاه، فوثب (معدي كرب) على أخيه (ذرا ـ أمر) فقتله، ورجع بالجيش إلى اليمن واستقر بمدينة مأرب حيث تم العثور على نقشه المسند المؤرخ بعام ٦٣١ للتقويم السبئي، مما يتيح إدراك أن مقتل الملك ذرا أمر كان عام ٦٣٠ سبئي/ ٥٩٠ ق.م.

المبحث السادس

عهد معدي كرب يعفر.. آخر ملوك سبأ التبابعة

والنبأ اليقين عن سقوط مملكة سبأ العظمى وسيل العرم في عهده

٦٣١ ـ ٦٩٣ سبئي/ ٥٨٩ ـ ٥٢٧ ق.م

هو الملك (معدي كرب يعفر/ بن حسان يهامن/ بن أبي كرب أسعد/ بن ملكي كرب يهامن/ بن ثاران يُنعم) وهو سادس وآخر ملوك العصر الخامس لملوك سبأ التبابعة. تم تمليكه بعد قتل أخيه ذرا أمر (عمرو بن حسان). وقد تم العثور في محرم بلقيس بمأرب على تمثال برونزي للملك معدي كرب ونقش مسند باسمه بصيغة «معدي كرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت».

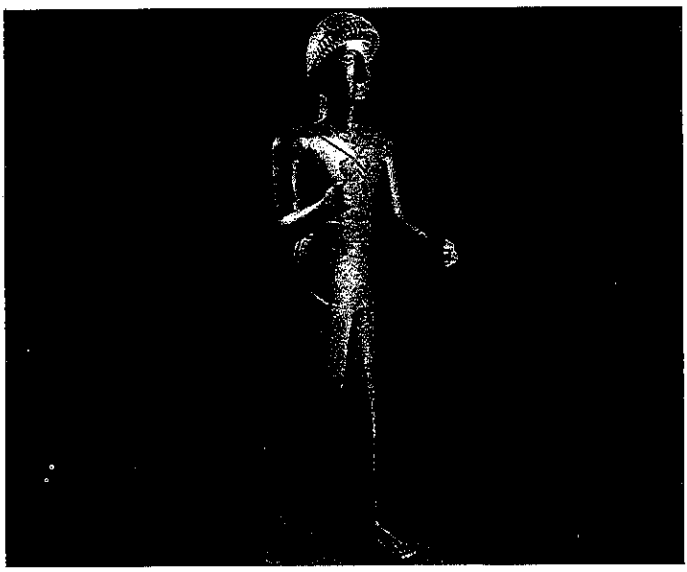

التمثال البرونزي للملك معد كرب ـ محرم بلقيس ـ القرن السادس ق. م.
Bronze. From American Expedition to Marib - 6th Century B.C.

أولاً

نبأ قتل (ذرا أمر/ عمرو بن حسان) وتمليك معد كرب

قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ التبابعة:

أمْ أينَ عمرُو وصِنْوُه المُردي له ... فأصاب صَفْقَة خاسرٍ كَدَّاحِ
لم يستمعْ من ذي رُعَينٍ رأيَهُ ... والحَيْنَ لا يَثْنيهِ لَحْيُ اللّاحي
فبدت ندامتُه وجانَبَهُ الكرا ... فرأى السلوَّ بغيرِ شُربِ الرّاح
أفنى رجالًا شاركوه فأصبحوا ... كِكِباشِ عيدٍ في يَدَيْ ذبّاح[1]

فقوله: «أم أين عمرو» يعني (عمرو بن حسان بن أسعد) وقد جاء في الشرح (عمرو بن أسعد) وهو التباس وخطأ وإنما هو (ذرا أمر/عمرو بن حسان) الذي اعتنق اليهودية. وقوله: «وصنوه المُردي له» جاء في الشرح أيضاً أن اسمه (عمرو) بينما ذكر نشوان في موضع سابق أن الذي قتل أخاه هو «معدي كرب»[1].

وكان (معدي كرب) شاباً يافعاً في جيش أخيه ذرا أمر (عمرو بن حسان)

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٥ و١٣٧ و١٤٤.

لما سار بجيشه قاصداً غزو العراق فلما وصل بالجيش إلى منطقة اليمامة كره الأقيال القادة ذلك المسير لغزو العراق. قال نشوان: «فاختلفوا إلى أخيه فسألوه أن يرد أخاه، فقال لهم: إنه لا يفعل، فقالوا له: إنْ أَبَىٰ فاقتله ونحن نملكك علينا، ثم إنهم حلفوا جميعاً له، إلا ذو رعين الأصغر، وهو شراحيل بن عمرو بن شمّر ينعم بن شراحيل بن معدي كرب بن ذي عشم بن الغوث بن يعرب ينكف بن جيدان بن لهيعة بن مثوّب بن يريم بن ذي رُعَيْن الأكبر ـ بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر ـ، وذو رعين الأصغر هذا خال عمرو (بن حسان)، فنهاه عن قتل أخيه [أي: نهى معدي كرب عن قتل أخيه عمرو] وأشار عليه أن لا يفعل، وقال له: ما قتل رجلٌ أخاه أو ابن عمه أو خاله إلا ندم. فأَبَىٰ (معدي كرب) وكره مشورته وأكره خاله ذا رعين على الدخول مع (أقيال) حمير فيما دخلوا فيه، فقال له خاله: على شريطة، وهي أن تحفظ لي وديعة تجعلها عند بعض خدمك، وتشدد عليه في حفظها، فقال: لك ذلك. فكتب ذو رعين أبياتاً في رقعة [سيأتي ذكرها] ودفع الرقعة إلى رجل من خدم (معدي كرب) وشدد عليه في حفظها. ثم إن (معدي كرب) وثب على أخيه (عمرو) فقتله ورجع بالجنود إلى اليمن»[١].

ثانياً

نقش وتمثال معد كرب المعثور عليهما في مأرب

لقد رجع معد كرب بالجيش من اليمامة وسط الجزيرة العربية إلى مدينة مأرب عاصمة سبأ فاستقر فيها، وأعاد عبادة الإله (المقه) كديانة رسمية حيث تم العثور في معبد المقه ـ المشهور باسم محرم بلقيس ـ على نقش مسند باسمه ولقبه «معدي كرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودم وتهامت» وهو نقش مؤرخ بعام ٦٣١ للتقويم السبئي[٢] وقد أشار د. محمد بافقيه إلى ذلك النقش في حديثه عن ملوك ذلك العصر حيث قال: «. . . . وآخرهم معد كرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودا وتهامت الذي ورد ذكره في نقش مسند (فلبي ٢٢٨) أُرخ بسنة ٦٣١ للتقويم. ويبدو أن معدي كرب يعفر هذا هو آخر من تَحَلىٰ بذلك اللقب

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٥ و١٣٧ و١٤٤.

(٢) النقش رقم ٢٢٨ فلبي.

الملكي الطويل الذي بدأه أبو كرب أسعد قبل زهاء قرن من هذا التاريخ»[١] ويتبين من النقش «أن معد كرب يعفر كان يزاول نشاطاً في موضع متقدم من وسط شبه الجزيرة العربية»[٢].

وقد عثرت البعثة الأثرية الأميركية التي قامت بالتنقيب في محرم بلقيس سنة ١٩٥٢م، عثرت على تمثال برونزي أخضر مكتوب عليه اسم الملك (معدي كرب) وتوسلات ودعاء إلى الإله (المقه) والآلهة مكتوبة أيضاً على التمثال. وقد حددت البعثة الأميركية وعلماء الآثار زمن تمثال معدي كرب بالقرن السادس ق.م. وهو التحديد المذكور خلف البطاقة الرسمية لصورة تمثال معدي كرب حيث جاءفيها التعريف التالي نصه:

«Bronze - From American Expedition to Marib - 6 th Century B.C.».

وترجمة ذلك: «برونز ـ من تنقيبات البعثة الأثرية الأميركية في مأرب.

زمن التمثال ـ القرن السادس قبل الميلاد».

ويوجد التمثال حالياً بمتحف صنعاء.

ولم يربط المستشرقون والدارسون بين التمثال والنقش، ولم يخطر ببالهم الربط بينهما لأنهم لا يعرفون الزمن الصحيح للملك معدي كرب صاحب النقش بالرغم من أنه يذكر في النقش تقديم تمثال برونزي (صلمن) إلى معبد الإله المقه، وهو التمثال المعثور عليه في معبد المقه (محرم بلقيس)، فتاريخ النقش المسند هو عام ٦٣١ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو عام ٥٨٩ق.م. ـ أي القرن السادس قبل الميلاد الذي حدده علماء الآثار زمناً للتمثال. فذلك هو الزمن الصحيح لعهد الملك معدي كرب يعفر وهو ابن حسان بن أبي كرب أسعد. وقد ذكر الحسن الهمداني في الإكليل: إن حسان بن أسعد كان في أيام بختنصر ملك بابل[٣]. وبختنصر هو (نبوخذ نصر ملك بابل وكان عهده سنة ٦٠٤ ـ ٥٦٢ق.م. وهو عهد عمرو بن حسان بن أسعد (ذرا أمر) وأخيه معدي كرب بن حسان، وبذلك تتضافر الأدلة والمصادر على أن عهدهما كان في القرن السادس قبل الميلاد.

وقد ذكر ابن خلدون الملك معدي كرب بن حسان باسم عمرو بن حسان

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٢.

(٢) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٨٤ جـ٢.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.

وقال ما يلي: «وكان عمرو بن حسان هذا يُسمى موثبان. قال الطبري: لوثوبه على أخيه. وقال ابن قتيبة: لقلة غزوه ولزومه الوثب على الفراش. وهلك عمرو بن حسان هذا لثلاث وستين سنة من مُلكه. قال الطبري والجرجاني: ثم مرج أمر ـ ملوك ـ حِمْير (التبابعة) من بعده وتفرقوا. قال السهيلي: كان فصول الأزد من اليمن على عهد (ابن) حسان بن أسعد ولعهده كان خراب السد»[1].

ويتبين من ذلك أن حكم معدي كرب بن حسان استمر ٦٣ سنة فيكون ذلك من عام ٦٣١ ـ ٦٩٣ للتقويم السبئي الموافق ٥٨٩ ـ ٥٢٧ق.م. في القرن السادس قبل الميلاد.

ثالثاً

الفتنة العظمى والحروب في عهد معدي كرب بن حسان

أ ـ الفتنة الدينية ومقتل النبي حنظلة بن صفوان:

لقد شهد اليمن فتنة دينية بدأت باعتناق الملك ذرا أمر (عمرو بن حسان) للديانة اليهودية وقيامه بفرضها على الناس بإرهاب القوة والنيران فكفروا معه بدين التوحيد الحنيف الذي كان سائداً منذ عهد تُبّع أبي كرب أسعد. وتفاقمت الفتنة الدينية بعد مقتل ذرا أمر (عمرو بن حسان) وتمليك أخيه (معدي كرب) حيث يتبين من نقشه المسند العودة إلى عبادة (المقه) والآلهة المتعددة وليس إلى دين التوحيد الحنيف، وبات لكل منطقة وقبيلة كبيرة معبودها وإلهها الخاص، وتعددت الآلهة. وأعرضوا جميعاً عن دين التوحيد الذي كان الديانة الرسمية في عصر تُبع أبي كرب أسعد وخلفائه حسان يهامن وشرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد ومرثد ألن ينوف. قال اللّه تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

وقال اللّه تعالى: ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ . . .﴾ [ق: ١٤] قال الحافظ ابن كثير: «قوم تُبّع هم سبأ»[2] وقد سلفت النصوص بأن تُبّعاً المقصود في الآية هو (أبو كرب أسعد) وإن قومه أعرضوا عن دين التوحيد الحنيف في عهد ذرا أمر

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٧٠.
(٢) تفسير القرآن ـ ابن كثير ـ تفسير سورة الفرقان.

(عمرو بن حسان) وأخيه (معدي كرب يعفر) وفي عهده بعث اللّه تعالى النبيّ حنظلة بن صفوان بعد النبي شعيب الذي قال ابن خلدون: «فأما حضورا فكانت ديارهم بالرس وكانوا أهل كفر وعبادة أوثان، وبُعِثَ إليهم نبيّ منهم اسمه شعيب بن ذي مهدم، فكذبوه.. وذكر ابن حزم: الحارث بن قحطان، وقال: فولد فيما يُقال أهل الرس، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبيّ الرس، والرس ما بين نجران إلى اليمامة ومن حضرموت إلى اليمامة»[١] قال الهمداني في الإكليل: «... شُعيب، الذي أخذ بثأره بُخت نصر، وهو شعيب بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدم بن حضورا بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر»[٢] ثم قال: «وأما الحارث بن قحطان فولد قيناً. بطن يقال لهم الأقيون، دخلوا في حمير، وهم رهط حنظلة بن صفوان، ووجد في قبره لوح مكتوب فيه: أنا حنظلة بن صفوان رسول اللّه بعثني اللّه إلى حمير وهمدان والعريب من أهل اليمن، فكذبوني وقتلوني»[٢]. وقد يكون أصل ذلك اللوح «قبر حنظلة بن صفوان رسول اللّه، بعثه اللّه إلى سبأ وحمير وأعراب أهل اليمن (أعراب الطود) فكذبوه وقتلوه». قال الهمداني: «فمن يقول بهذا الخبر يرى أنه بُعث إلى سبأ بمأرب، فلما كذبوه، أرسل اللّه عليهم سيل العرم. قال ابن هشام: هو حنظلة بن صفوان نبيّ الرس. والرس بناحية صيهد (صيد) وهي بلدة منخرقة ما بين مأرب والجوف فنجران فالعقيق فالدهناء ـ باليمامة ـ فراجعاً إلى حضرموت.. فبعث اللّه إليهم حنظلة بن صفوان وكذبوه فقتلوه وطرحوه في بئر رس ملؤها، فأهلكهم اللّه»[٢]. ونرى أن ليس هنالك تعارض بأن النبي حنظلة بن صفوان من أهل الرس وبعثه اللّه إلى أهل الرس وأنه كذلك بعثه اللّه إلى حمير وهمدان وأعرابهم وأنه بُعث إلى سبأ بمأرب، فلما كذبوه، أرسل اللّه عليهم سيل العرم، فيجمع تلك الأقوال أنه بُعث إلى أهل الرس وإلى سبأ بمأرب لأن الرس كانت من مناطق دولة سبأ وأهل الرس يمنيون سبئيون، فكذبّه أهل الرس ثم كذبته سبأ بمأرب، ثم قُتِل بعد سنوات من دعوته، وقد جاء في خبر أهل الرس أنه كان في أيام بختنصر (نبوخذنصر) ملك بابل، وأن بختنصر غزا منطقة الرس والحجاز آنذاك، وبالتالي فإن ذلك في عهد معدي كرب يعفر بن حسان لأنه عاصر نبوخذنصر فقد حكم نبوخذنصر بابل في الفترة (٦٠٤ ـ ٥٦٢ق.م). وحكم معدي كرب سبأ في الفترة (٥٨٩ ـ ٥٢٧ق.م) وفي عهده

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٩ وص٣٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص١٨٣ وص١٩٣ جـ١.

كان ما جاء في الإكليل: إن اللّه بعث حنظلة بن صفوان إلى سبأ بمأرب فلما كذبوه أرسل اللّه عليهم سيل العرم». ويعزز ذلك ما ذكره ابن خلدون عن السهيلي إنه: «... في عهده كان خراب السد». وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «يقال إن قبر حنظلة بن صفوان مشهور في جامع صنعاء الكبير في المقصورة الغربية مما يلي المنارة من جهة الجنوب، وعليه جدار مصمت من كل الجهات وإنه النبي الذي بعث إلى القبائل المذكورة [سبأ بمأرب وحمير وهمدان]، ما في ذلك شك عند نقلة الأخبار سلفاً عن خلف»[١] وقد ذكره الهمداني في أنبياء اليمن حيث قال الهمداني في قصيدته الدامغة:

«ونحنُ بصالحٍ والجدّ هود وذي الرس ابن حَنْظَل فَاخِرُونا»

ب ـ الغزوات على تخوم سبأ:

وقد تعرضت تخوم مملكة سبأ في عهد معدي كرب يعفر بن حسان لغارات وغزوات شنها نبوخذ نصر ملك بابل على منطقة الرس بمدلولها الواسع الذي ذكره الهمداني وابن خلدون في النصين السابقين وكذلك على منطقة الحجاز وقبيلة بني قيدار الإسماعيلية ففتك بهم وسبى قوماً منهم حيث ذكر ابن خلدون أن ممن سباهم بختنصر: عدنان ـ جد قبيلة عدنان ـ فمكث عدنان أسيراً في بابل حتى مات بختنصر وعدنان فعاد (معد بن عدنان) إلى مكة وتزوج بمعانة بنت جرهم بن جلهمة بن الحارث الجرهمي زعيم مكة[٢]. وقال الهمداني: «أما اليمنية فذهب علمهم أيام بُخت نصَّر لفتكه بقيولهم في أيام حسان بن أسعد وتخريبه لحصونهم»[٣] وكان ذلك أيام عمرو بن حسان ومعدي كرب بن حسان، لأن بختنصر (نبوخذ نصر) مات سنة ٥٦٢ق.م. وكان ملك سبأ آنذاك معدي كرب يعفر بن حسان بن أسعد، وقد اتخذ معدي كرب موقفاً سلبياً من تلك الغارات والغزوات، حيث ذكر نشوان الحميري أنه «ضعف عن الغزو، وسُمّي مَوْثبان» وقال في شمس العلوم: «موثبان، مفعلان بفتح الميم والعين، كانت ملوك حِمْير تُسمي من قعد مِن ملوكهم ولم يغز موثبان، يعنون أنه لا يزال قاعداً على الفراش»[٤] والمقصود بملوك حمير هنا هُم الأذواء والأقيال فلما رأوا ضعف الملك معدي كرب لم يَعُدْ أكثرهم يدينون له بالطاعة والولاء.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص١٨٣ وص١٩٣ جـ١.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٩٩ جـ٢.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.
(٤) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٤ ـ ١٤٥.

جـ ـ قيام معدي كرب بقتل الأذواء والأقيال وإندلاع حرب أهلية:

لقد سلف ذكر قيام معدي كرب بن حسان بقتل أخيه عمرو بن حسان بمشورة ورأي الأقيال والأذواء باستثناء خاله شراحيل ذي رُعَيْن الذي نصحه بأن لا يفعل... إلخ. وبعد سنوات من قتل عمرو (ذرا ـ أمر) وتمليك (معدي كرب) وعندما ضعف ولاء الأذواء والأقيال للملك معدي كرب وسمّوه موثبان ـ وكما ذكر نشوان ـ «ندم ندامة عظيمة على قتل أخيه، وامتنع منه النوم، وشكا ما لقي من السهاد على بعض خواصه، فقالوا: لا تقدر على النوم حتى تقتل الذين أشاروا عليك بقتل أخيك، فأمر كل من أشار عليه بقتل أخيه وحالفه على ذلك أن يأتوا إليه في وقت معلوم ـ (وهم جميع أذواء وأقيال مناطق اليمن) ـ فأتوا إليه في ذلك اليوم (إلى مأرب) فأمر بهم فأُدخلوا عليه جماعة بعد جماعة فأمر بضرب أعناقهم فأفناهم، وكان خاله ذو رُعين ممّن أمر به، فأُدخل عليه، فذكّره بمشورته عليه بعدم قتل أخيه، وسأله الرقعة التي تركها عند خادمه، فأتى بها الخادم فوجد فيها الملك بيتين هما:

ألا مَنْ يشتري سهراً بنومٍ سعيداً من يبيت قرير عَيْنِ
إذا ما حِمْيَرُ غَدَرَتْ وخانتْ فمغفرة الإله لذي رُعَيْنِ

فأمر الملك بإكرامه وخرج سالماً مشكوراً من عنده»[1] وفي ذلك قال نشوان:

أمْ أينَ عمرُو وصِنْوه المُردِي له فأصاب صَفْقَة خاسرٍ كَدّاح
.. أفنى رجالًا شاركوه فأصبحوا كِكباشِ عيدٍ في يَدَيْ ذَبّاحِ

ويمكن القول أن قيام الملك معدي كرب يعفر بن حسان بقتل الأذواء والأقيال أدى إلى حرب أهلية، وقد كان الأذواء والأقيال في دولة تبابعة سبأ من بني (حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر) لذلك تذكرهم الروايات باسم (حِمْير) وهُم أذواء وأقيال دولة سبأ. ومما يشير إلى الحرب الأهلية بعد قيام الملك بقتل الأقيال والأذواء، قول نشوان: «فافترقت عليه حمير» وقول ابن خلدون: «كان.. ابن حسان هذا يُسمى موثبان.. ثم مرج أمر حِمْيَر من بعده وتفرقوا.. ولعهده كان خراب السد» [ص٧٠ ـ اليمن في تاريخ ابن خلدون]. وقال ابن هشام «... قال رجل من حِمْير:

تُقَتِّلُ أبْنَاهَا وتَنْفَي سَرَاتَها وتَبني بأيديها لها الذلُّ حِمْيَرُ

(١) التوراة ـ سِفر أشعيا وسِفر أرميا.

تُـدمّـرُ دنـيـاهـا بـطـيـش حـلـومـهـا وما ضيّعْت من دينها فهو أكبرُ»

فذلك الشعر بالرغم من أنه قِيل في عصور لاحقة فإنه يُعَبِّرُ عما حدث من فتنة دينية وحرب أهلية في عهد معدي كرب بن حسان أبلغ تعبير يوجز ما جاء عن ذلك في سِفر أشعيا وسِفر أرميا بالتوراة.

آنذاك ـ في أواسط القرن السادس ق.م ـ. قام اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل بتدوين أسفار التوراة التي يتفق العلماء الدارسون على أن تدوينها تم في السبي البابلي بالقرن السادس ق.م. ومنها سِفر أشعيا وسِفر أرميا. وقد جاء فيهما عن الفتنة والحرب الأهلية المندلعة آنذاك في اليمن وجزيرتها العربية ما يلي نصه:

«وحيٌ من جهة بلاد العرب... هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب»[1].

«مِنْ التيمن [اليمن] إلى ددان [وادي القرى] يسقطون بالسيف»[1].

«هكذا قال رب الجنود: ألا حكمة بعد في تيمان، هل بادت المشورة من الفهماء؟ هل فرغت حكمتهم؟ اسمعوا مشورة الرب الذي قضى بها على أدوم وأفكاره التي افتكرها على سكان تيماء (تِيَمَان).. ذبح عظيم، وتروى أرضهم من الدم، ومن دور إلى دور تخرب. أشرافها ليس هناك من يدعونه الملك، وكل رؤسائها يكونون عدماً»[1].

«مِنْ صوت سقوطهم رجفت الأرض. صرخة سُمع صوتها في بحر سوف»[1].

وكان ذلك هو سقوط دولة تبابعة سبأ العظمى في عهد معدي كرب يعفر بن حسان فأذواء وأقيال اليمن لم يعودوا يعترفون به ملكاً بعد مجزرة الأقيال التي ارتكبها «أشرافها ليس هناك من يدعونه الملك» والحرب الأهلية شملت كل أرجاء الدولة من اليمن إلى الددن في وادي القُرى بأعالي الحجاز، ونزحت كثير من القبائل من أرض الجنتين واقترن واكتمل ذلك السقوط بسيل العرم العظيم في آخر عهد معدي كرب يعفر بن حسان.

(١) نقش شرحبيل يعفر ـ رقم ٤ فخري.

رابعاً

انهيار سد مأرب العظيم.. وكارثة سيل العرم الأول

في أتون فتنة الإعراض عن دين التوحيد الحنيف وفتنة الحرب الأهلية التي شملت أرجاء البلاد في عهد «معدي كرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعراب الطود وتهامت» ـ وهو معدي كرب بن حسان بن أسعد ـ ظهر الخلل في سد مأرب العظيم. وقد سلف ذكر النبأ اليقين عن سد مأرب العظيم (العرم) وقنواته ومجاريه التي كانت تمتد «من رحبم ـ بموقع السد في مأرب ـ إلى وصحو قُدام العَبْر»[1] ـ بأعالي حضرموت في عمق الرَبْع الخالي حالياً الذي فيه كانت تمتد أغلب أرض سبأ، أرض الجنتين، حيث قال المسعودي: «ذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن، وأثراها وأغْدَقها وأكثرها جِناناً وغيطاناً، وأفسحها مروجاً، مع بنيان حسن وشجر مَصْفوف ومساكب للماء متكاثفة وأنهار متفرقة، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجدِّ على هذه الحالة، وفي العرض مثل ذلك، وإن الراكب والمارّ كان يسير في تلك الجِنان من أولها إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية وإحاطتها بها.. وكانت المياه التي هي أكثر ما يرد إلى أرض سبأ تظهر من مخراق من الحجر الصَّلْد والحديد من سد مأرب والجبال [التي وراء السد] طول المخراق فرسخ، وكان وراء السد والجبال نهر عظيم ـ يجتذبون من تلك المياه نهراً مرسلًا مقداراً معلوماً ينتهي في جريانه إلى المخراق[1] ـ وكان في المخراق ثلاثون نَقْباً مستديرة في استدارة الذراع طولًا وعرضاً مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير، وكانت المياه تنبعث من المخراق إلى تلك الأنقاب. وهي الثلاثون مخراقاً الصغار، وتجري في مجاريها حتى تأتي الجِنان فترويها سَقْياً، وتعمّ شرب القوم.. وكان أهل سبأ في أطيب عيشٍ وأرْفَهِهِ، وأهنأ حال، وأرغد قرى، وفي نهاية الخصب، وطيب الهواء، وصفاء الفضاء، وتدفق الماء، وقوة الشوكة، واجتماع الكلمة، ونهاية المملكة، وكانت بلادهم في الأرض مثلًا، وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شريف الأخلاق، وطلاب الأفضال على القصد والسفر، فمكثوا على ذلك ما شاء اللّه

(١) المخراق: هو (المفلل ذي قدام العرم) المذكور في نقش شرحبيل يعفر سالف الذكر عن سد مأرب العظيم.

من الأعصار، لا يعاندهم ملك إلا قصموه، ولا يوافيهم جَبَّارُ في جيش إلا كسروه، فذلّت لهم البلاد، وأذْعَنَ لطاعتهم العباد، فصاروا تاج الأرض... ثم إن الماء عمل في أصول ذلك المخراق[١] وأضعفه مَمَرُّ السنين عليه وتدافع الماء حوله. وقد قيل في المثل: أثَّر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع؟.. ولم يعلم أبناء قحطان الآفة من انحطام السد والمخراق وضعفه، فغلب الماء ـ عند تناهي السد والبنيان في الضعف عنه ـ على السد والمخراق والبنيان، فقذف به في جَرْيه ورمى به في تياره، وذلك إبان زيادة الماء، واستولى الماء ـ وهو سيل العرم ـ على تلك الديار والجِنان والعمائر والبنيان»[٢].

ويتبين من ذلك أن الخلل والضعف الذي أدى إلى انهيار السد العظيم كان في المخراق المصنوع من الحجر الصَّلْد والحديد وهو «المفلل ذي قدام العرم» وكان «فرسخاً في فرسخ» ولم يكن سبب ذلك (فأر) ـ كما جاء في بعض الأساطير ـ وإنما كان السبب «إن الماء عمل في أصول ذلك المخراق وأضعفه مَمَرُّ السنين عليه وتدافع الماء حوله. ولم يعلموا الآفة من ضعف وانحطام المخراق».

وكذلك كانت الدولة قد ضعفت في ذلك العهد، عهد معدي كرب يعفر بن حسان بن أسعد، بسبب قيامه بقتل الأذواء والأقيال واندلاع حرب أهلية في أرجاء الدولة، وخرج أغلب أبناء الأذواء والأقيال عن طاعته بحيث صار «أشراف اليمن ـ أي أقيالها ـ ليس هناك من يدعونه الملك». فكان الملك (معدي كرب يعفر) أضعف من أن يتمكن من إصلاح المخراق وبنيان السد في تلك الظروف والحرب الأهلية، بالرغم من التنبوءات والتوقعات بأن السد سينهار في بضع سنين وأن سيل العرم سيجتاح أرض الجنتين الشاسعة الممتدة إلى عُمق الربع الخالي.

وكان السبب الأكبر لكل ذلك إعراضهم عن دين التوحيد الحنيف وتكذيبهم النبيّ الذي بعثه اللّه إليهم وهو حنظلة بن صفوان الذي جاء في الإكليل قول بعض علماء اليمن: «إن حنظلة بن صفوان بعثه اللّه إلى حمير وهمدان وأعراب أهل اليمن... وإنه بُعث إلى سبأ بمأرب، فلما كذبوه، أرسل اللّه عليهم سيل العرم»[٣]. وكانوا قد أعرضوا عن دين التوحيد الحنيف الذي كان

---

(١) المخراق: هو (المفلل ذي قدام العرم) المذكور في نقش شرحبيل يعفر سالف الذكر عن سد مأرب العظيم.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨٢ و١٨٨ جـ٢.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٣ جـ١.

سائداً منذ عهد تُبّع أبي كرب أسعد، فكانوا في عهد معدي كرب يعفر يعبدون الإله (المقه) والآلهة المتعددة (الشمس، والقمر، وعشتار، وودّ، . . . إلخ الأسماء». بحيث قال المسعودي: «وقد كان أهل مأرب يعبدون الشمس، فبعث اللّه إليهم رُسُلًا يدعونهم إلى اللّه ويزجرونهم عَمّا هم عليه، ويذكرونهم آلاء اللّه ونعمته عليهم، فجحدوا قولهم، وردوا كلامهم. . . فدعت عليهم الرُسُلُ، فأرسل اللّه عليهم سيل العرم، فهدّم سدهم وغشّى الماء أرضهم، فأهلك شجرهم، وأباد خَضْراءهم، وأزال أموالهم وأنعامهم»[1] وكذلك ذكر المسعودي: إن الكاهنة طريفة حذرت الملك بقرب انهيار السد وبسيل العرم، «وقالت له طريفة: إن من علامة ما ذكرت لك أن تجلس في مجلسك ثم تأمر بزجاجة ماء فتوضع بين يديك فإنها ستمتلئ بين يديك من تراب البَطْحاء من سهلة الوادي ورمله، وقد عَلِمْتَ أن الجِنان مُظلة ما يدخلها شمس ولا ريح. فأمر (الملك) بزجاجة فوضعت بين يديه، فلم يمكث إلا قليلًا حتى امتلأت من تراب البطحاء، فقال لطريفة: متى ترين خراب السد؟ قالت: فيما بينك وبين السبع السنين. . . ورأى (الملكُ) في النوم سيل العرم، وقيل له: إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل، فوجد الحصباء قد ظهرت فيها، فعلم أن ذلك واقع فيهم وإن بلادهم ستخرب»[1].

ولم يبادر الملك إلى إصلاح الخلل والتصدع الذي وقع في المخراق وبنيان السد، فأخذ الخلل والتصدع في الاتساع خلال سبع سنين حتى جرف سيل العرم العظيم بنيان السد والمخراق واجتاح مأرب وأرض الجنتين وأخذ سيل العرم ـ فيما أخذ ـ الملك الذي كان بمأرب.

ولم يميز المؤرخون العرب بين انهيار سد مأرب العظيم الأقدم في سيل العرم الأول وبين انهيار سد مأرب القديم الثاني ونزوح الأزد من مأرب في عهد عمرو بن مزيقيا مكرب سبأ في القرن الثاني الميلادي، ومما يتصل بالتمييز بينهما:

- إن الهمداني ذكر في الإكليل إن الملك حسان بن أسعد كان في أيام نبوخذ نصر ملك بابل [ص١٠١/٨] وذكر أيضاً أن النبيّ حنظلة بن صفوان كان في ذلك الزمن وإنه «بُعِث إلى سبأ بمأرب، فلما كذبوه، أرسل اللّه عليهم سيل العرم». [ص١٩٣/١] وذكر ابن خلدون إنه: «كان عمرو بن حسان بن أسعد يُسمى موثبان، وهلك لثلاث وستين سنة من مُلكه، ثم مرج أمر حمير من

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨٢ و١٨٨ جـ٢.

بعده وتفرقوا.. ولعهده كان خراب السد» [ص٧٠] وقد سلف تبيين أن الملك (عمرو بن حسان) قتله وحكم بعده أخوه (معدي كرب بن حسان) وهو الذي سُمّي (موثبان) فهو الذي هَلَك لثلاث وستين سنة من مُلكه، ولعهده كان خراب السد، وكان عهد عمرو بن حسان (ذرا ـ أمر) وعهد معدي كرب بن حسان (معدي كرب يعفر) في أيام نبوخذنصر ملك بابل فقد حكم نبوخذنصر من سنة ٦٠٤ ـ ٥٦٢ق.م. وكان عهد عمرو بن حسان من سنة ٦٠٥ ـ ٥٨٨ق.م. وعهد أخيه معدي كرب بن حسان من سنة ٥٨٩ ـ ٥٢٧ق.م. فكلاهما عاصر نبوخذنصر ملك بابل، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد، فذلك هو زمن انهيار سد مأرب العظيم بسيل العرم الأول الذي اجتاح أرض سبأ لإعراضهم عن دين التوحيد الحنيف وتكذيبهم بالنبيّ حنظلة بن صفوان والرُسل في عهد معدي كرب بن حسان بن أسعد. قال الله تعالى في سورة سبأ: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٧] وقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩] ـ صدق الله العظيم، فزمن ذلك هو آخر عهد معدي كرب يعفر بن حسان بن أسعد في النصف الثاني من القرن السادس ق.م.

قبائل سبأ التي تفرقت في سيل العرم الأول

لقد بدأت قبائل سبأ في النزوح من أرض الجنتين الشاسعة التي كانت تمتد إلى عمق الربع الخالي، أثناء الحرب الأهلية التي عصفت بالبلاد في عهد معدي كرب يعفر بن حسان وأثناء التنبؤات بانهيار السد العظيم وبأن سيل العرم سيجتاح أرض الجنتين، ومما يشير إلى ذلك النزوح ما جاء في سِفر أشعيا وسفر أرميا المكتوبين في أواسط القرن السادس ق.م. بلفظ: «وحيّ من جهة بلاد العرب.. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان بإسكان أرض تيماء، فإنهم من أمام السيف قد هربوا، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب». وإنهم «من التيمن إلى ددان يسقطون بالسيف». وإنه «مِن صوت سقوطهم رجفت الأرض، صرخة سمع صوتها إلى بحر سوف». (اهـ) واكتمل ذلك السقوط بانهيار سد مأرب العظيم واجتياح سيل العرم لأرض الجنتين بحيث تفرقت قبائل سبأ.

وليس الأزد هُم قبائل سبأ الذين نزحوا وتفرقوا في سيل العرم الأول العظيم المذكور في القرآن الكريم. وإنما هم قبائل جُذام، ولَخْم، وعاملة، وغسان.. وقد ذكر ذلك النبي ﷺ في الحديث الذي ذكره الهمداني في الأنساب بالإكليل حيث قال ما يلي نصه: «ومن الحجة الأكيدة، ما روي من جهات كثيرة

من حديث فروة بن مُسَيك الغُطيفي المرادي، قال له رسول اللّه ﷺ: «اذهب فقاتل بقومك من أدبر بمن أقْبَل». فلما أدبر قال: «ردوه عليّ» فلما أتاه قال: «إنّه نزل قرآن بعدك» قال: ما هو يا رسول اللّه؟ قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥]، فقال ناسٌ من حول رسول اللّه ﷺ: ما سبأ؟ أرض أم امرأة؟ قال رسول اللّه ﷺ: «لا أرض ولا امرأة ولكنّه رجل من العرب أولد عشرة أبطن، فتيامنت ستةٌ وتشاءمت أربعة»، قالوا: من هم يا رسول اللّه؟ قال: «أما الذين تيامنوا، فكندة، ومذحج، والأشعرون، وحمير، وأنمار، والأزد، وأما الذين تشاءموا: فجُذام، ولخم، وعاملة، وغسان»[1] قال القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش: «هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كما في ابن خلدون»[1].

وقال الحافظ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد اللّه بن رعلة، سمعتُ عبد اللّه بن عباس يقول: إن رجلًا سأل النبي ﷺ عن سبأ ما هو؟ أرَجلٌ أم امرأة أم أرض؟ قال: «بل هو رجلٌ، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة، فأما اليمنيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان». وقد استقصينا في التفسير طرق هذا الحديث وألفاظه. والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها»[2].

ثم قال ابن كثير: «وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أُصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها. وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل إنما تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم المُلك والتبابعة»[2].

ويتبين من ذلك أن الأزد لم يكونوا من قبائل سبأ الذين خرجوا من اليمن في سيل العرم المذكور في القرآن، وإنما أقام باليمن ست قبائل من سبأ لما أصيبوا بسيل العرم وهم: مذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير، أما الذين هاجروا وتشاءموا من قبائل سبأ في سيل العرم فكانوا جُذام، ولَخْم، وعاملة، وغسان.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨١ جـ١.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٥٩ و١٦١ جـ٢.

١ ـ **قبيلة جُذام**: وهم بنو «جذام عمرو بن عَدِي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ»[١].

وقد نزلت قبيلة جذام عند هجرتها من أرض سبأ «ما بين تبوك إلى مدين فإلى أذرح (البتراء) وفي معان»[٢] ثم انتشروا بمناطق عديدة. قال ابن خلدون: «وأما جُذام، فبطن متسع له شعوب كثيرة مثل غطفان، وبنو حرام، وبنو ضبيب، وبنو مخرمة، وبنو بعجة، وبنو نفاثة. وكانت ديارهم حوالي أيلة من أول أعمال الحجاز إلى الينبع بين أطراف يثرب، وكانت لهم رياسة في معان وما حولها من أرض الشام لبني النافرة من نفاثه.. وبقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شعبين من شعوبهم يُعرف أحدهما: بنو عائد، وهم ما بين بلبيس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من فلسطين. وتعرف الثانية: بنو عقبة، وهم من الكرك إلى الأزلم من برية الحجاز، وضمان السايلة ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من الشام»[٣]. وكذلك ذكر الهمداني قبائل من جذام في «... البقارة والواردة والعريش وغزة.. وفيما يلي طبرية إلى اللجون والياموں فإلى ناحية عكا»[٢]. وكان من جذام أيضاً «بنو حدس في جرش بالأردن، وبنو جفال أهل منطقة إرم بالأردن».

وكان لقبيلة جذام بالمناطق تلك التي استقرت بها تجارة ورئاسة وحضارة منذ القرن الخامس ق.م. وجاء في كتاب الجامع أنه: «كانت قبيلة جذام هي التي تقوم بخفارة القوافل التجارية اليمنية التي تتجه إلى الشام وإلى مصر عبر سيناء وإلى فلسطين، وكانت تتكون منها الحاميات اليمنية التي تتولى حراسة المناطق التي تتوزع منها التجارة اليمنية إلى مختلف بقاع الهلال الخصيب ومصر والمغرب»[٤].

وكانت لجذام رئاسة ومُلك في البتراء ومعان منذ القرن الثاني ق.م. وامتد حكم الحارث الثالث ملك البتراء حتى أحاط بدمشق عام ٨٤ق.م. ثم كان ملوك معان نواباً للرومان وكان آخرهم «فروة بن عمرو الجذامي وهو الذي بعث إلى رسول اللّه ﷺ بإسلامه». وقال جميل بن معمر العذري:

جُذامُ سيوف اللّه في كل موطن إذا أزمت يوم اللقاء إزام

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٢ جـ١٠.
(٢) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص٢٧٣ و٤٧٤.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٣٨.
(٤) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص١٣٢.

هُمُ منعوا ما بين مصر فذي القُرىٰ إلى الشام من حلّ به وحرام
إذا قَصّرتْ يوماً أكفّ قبيلةٍ عن المجد نالته أكفّ جُذام

٢ ـ **قبيلة لَخْم**: وهم بنو «مالك لَخْم بن عَدِي بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ» [ص٣٢/ ١٠ ـ الإكليل].

قال ابن خلدون: «وأما لَخْم... فبطن كبير مُتسع ذو شعوب وقبائل. منهم الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم. ومن أكبرهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم، وهم رهط آل المنذر» [ص٢٥٦/ ٢].

وقد انقسمت لخم إلى فرقتين:

أ ـ فرقة سكنت بالشام. قال الهمداني: «كان للخم ومن يخالطها ما حول الرملة إلى نابلس، وللخم أيضاً ما جاز تُبوك إلى زُغر ثم البحيرة الميتة التي يرمي فيها وادي اليرموك ونهر الأردن.. وكانت للخم أيضاً مساكن في الجولان وما يليها وفي حوران والبثينة ومدينة نوى وجبال الشراة وفي شقص من أرض حوران». [ص٢٧٣/ الصفة].

وكذلك «كان من لخم بنو راشدة بالبقارة والواردة والعريش مخالطين لبني بياضة من جذام». قال حسان بن جيشان الحميري:

وحلّتْ جذامُ حيث حَلّت وشاركت هنالك لخماً في العلا والتَجَبُّرِ

ب ـ وفرقة من لخم ساروا إلى العراق وتوطنوها: قال ابن خلدون: «كان في سواد العراق وأطراف الشام والجزيرة (الفراتية) قبائل من طيئ وكلب وتميم وجرهم وغيرهم كانوا بقية عسكر تُبّع (أسعد) ثم نزل معهم بالعراق بعد ذلك قبائل تنوخ ونمارة بن لخم وقنص ومن إليهم». [ص٢٦/ ٢]. قال حسان بن جيشان:

وقد نزلت منّا قُضَاعَةُ منزلًا بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر
ولَخْمُ فكانت بالعراق ملوكها وقد طَحَرّت من عادها كل مطحر

٣ ـ **قبيلة عاملة**: قال ابن خلدون: «وأما عاملة، واسمه الحارث بن عَدِي، وهم أخوة لخم وجذام، وإنما سمّي الحارث عاملة بأمه القضاعية. وهم بطن متسع، ومواطنهم ببرية الشام. وكان مُلك العرب بأرض الجزيرة (الفراتية) ومشارف الشام في بني الظرب بن حسان من بني عاملة، وكان

آخرهم ملكاً الزباء بنت عمرو بن السميدع، فلما هلكت الزباء وانقرض أمر بني الظرب بن حسان، مَلَك أمر العرب تنوخ من بطون قضاعة». [ص٢٧٨/ ٢]. وكان بنو الظرب بن حسان ملوك «الحضر الذي آثاره باقية في برية سنجار ـ بالجزيرة الفراتية ـ» وتدل الدراسات على «أن مدينة الحضر بدأت بالنمو في القرن الثالث ق.م». ثم أصبحت الحضر عاصمة دولة (عربايا) وكان أول ملوكها «نشريهب ٨٥ ـ ١٠٥م) ومنهم كانت الملكة الزباء في أواسط القرن الثاني الميلادي وهي غير (زنوبيا ملكة تدمر) فقد كانت الزباء ملكة دولة عربايا بالجزيرة الفراتية وعاصمتها الحضر بشمال العراق، وكان مالك بن فهم الأزدي يحكم في الأنبار وجنوب العراق فوقعت بينهما حرب، ثم إن (الزباء) عرضت على (جذيمة بن مالك بن فهم) الزواج فخطبها وسار إليها فقتلته ثأراً بأبيها، ثم إن قصير اللخميّ وزير جذيمة دبر لها مكيدة مشهورة وقتلها. قال نشوان الحميري:

والحُرَّةُ الزَّبّاءُ سِيقَ لها الرَّدَى ... بِيَدَيْ قصيرِ الخُسْر لا الأرباح
قَتلتْ جذَيمة وهو خاطبُها ولم ... تفعلْ كفعل نضيرةٍ وسَجاح
وجذيمة الوضاح غير جذيمة الزَّ ... باءِ عن علم وعن إصحاح

وسكنت فرقة من عاملة حيث قال الهمداني: «ديار عاملة المجاورة لنهر الأردن، وجبل عاملة المشرف على طبرية وعكا من قِبل البحر ونحو البحر» [ص٢٣١/ الصفة].

٤ ـ **قبيلة غسان**: وأما غسان فإن بعض عشائر غسان سكنوا بيثرب إلى أطراف الشام وكان منهم بيثرب (بنو الشقمة من غسان) ولكن أغلب غسان مكثوا مع إخوانهم من الأزد بأرض مأرب إلى انهيار سد مأرب القديم الثاني في عهد عمرو بن مزيقيا مكرب سبأ بالقرن الثاني ق.م. فهاجروا مع قبائل الأزد. ثم سارت غسان إلى الشام. قال جماعة البارقي الأزدي:

وسمتْ منهُم ملوك إلى الشا ... م على التُبينية المُضمراتِ
فاحتووها وشيدوا المُلك فيها ... فلهم مُلك باحة الشامات
تلكم الأكرمون مِن ولد الأزدِ، ... غسانُ، سادة السادات

قبائل سبأ التي بقيت باليمن بعد سيل العرم الأول: إن «تفرق سبأ» بعد سيل العرم الأول كان شاملاً للذين تشاءموا والذين بقوا باليمن، بمعنى التفرق والتمزق لشعب ومملكة سبأ العظمى من دولة واحدة كان ملوكها التبابعة تاج

الأرض. وكان آخرهم «معدي كرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعراب الطود وتهامت». ثم تفرقت وتفككت مملكة سبأ العظمى، وقيل في المثل: «تفرقت أيادي سبأ». قال ابن دلف العجلي:

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنا أيادي سبأ في شرقها والمغارب
قفي بالتي نهوىٰ فقد جئتِ بالتي إليها تناهت راجعات المصائب

فكان (تفرق سبأ) شاملًا كقوة ومملكة عظمى واحدة فقد «تفرقت أيادي سبأ» ولكن، وكما قال ابن كثير: «ليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أُصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها، وهو مقتضى الحديث النبوي المتقدم عن ابن عباس؛ أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن منهم ستة وهم: مذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم المُلك والتبابعة»(١).

وتكتسب أهمية خاصة كلمة «استمر فيهم المُلك والتبابعة» فبالفعل ما لبث أن تأسست ممالك يمنية واستمرت مسيرة الحضارة التليدة باليمن بعد سقوط مملكة سبأ العظمى وسيل العرم في أواخر القرن السادس قبل الميلاد (٥٢٧ق.م). بأمد يسير. فقد أسست القبائل التي كانت تسكن منطقة الجوف إلى نجران وهي (مذحج) دولة (معين)، وأسست القبائل التي كانت تسكن منطقة قتبان وهي قبائل من (مذحج وحمير) دولة (قتبان)، وأسست القبائل التي كانت تسكن منطقة حضرموت وهي قبائل من (كندة وحمير) دولة (حضرموت) وأسست القبائل التي كانت تسكن منطقة مأرب ومخاليف سبأ وهي قبائل من (الأزد وخولان من حمير وغيرهم) دولة (مكارب سبأ) وتأسست في مناطق حِمَير (مملكة أوسان).

فبدأت بذلك حضارة عصور الممالك اليمنية القديمة الوسيطة (حوالي عام ٥٢٠ق.م). وتخللتها مرحلة تبابعة (مملكة سبأ) بزعامة (كرب إيل وتار) ثم انتهت عصور الممالك الوسيطة بقيام (دولة تبابعة حمير) بزعامة (تُبّع ملشان أريم) واستمرت دولة تبابعة حمير حتى القرن السادس الميلادي.

فسقوط دولة تبابعة سبأ العظمى وسيل العرم الأول كان نهاية مرحلة عظيمة ومجيدة من تاريخ اليمن الحضاري التليد، ولكن مسيرة التاريخ والحضارة لم تتوقف فما لبث مشعل الحضارة أن ارتفع وأشرق في آفاق اليمن.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦١ جـ٢.

عصور الدول اليمنية القديمة الوسيطة

معين ـ قتبان ـ حضرموت ـ أوسان ـ مكربية سبأ

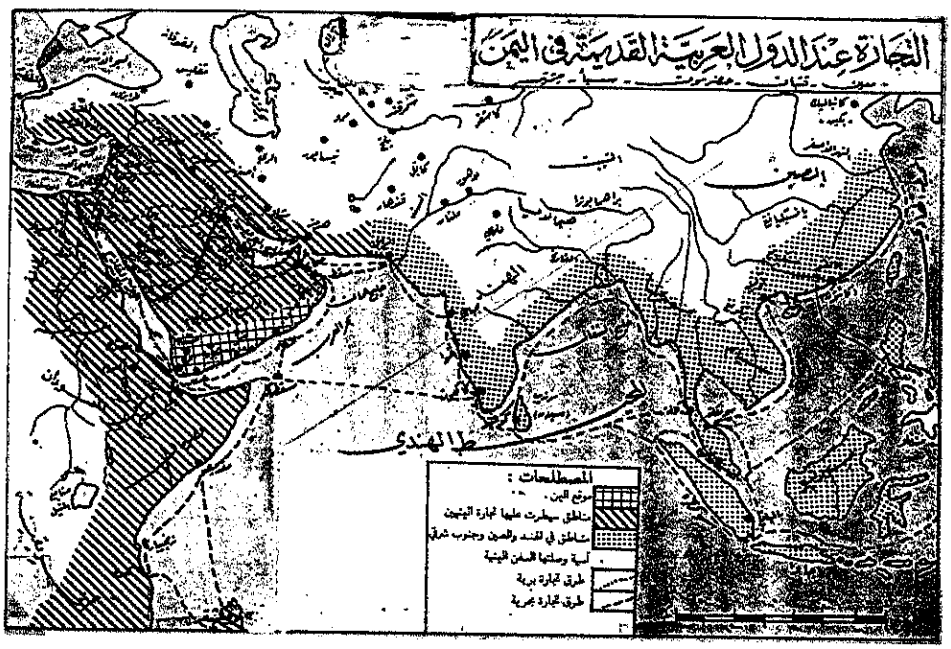

خريطة عن كتاب (أطلس التاريخ) الصادر في دمشق

المبحث الأول

دَوْلَـةَ مَـعِـيـنْ

في النصف الثاني من القرن السادس ق.م. أسس اليمنيون بمناطق الجوف وما جاورها دولة معين «بقيادة مدينة يثل (براقش) ونشق، واتخذوا قرناو (معين) عاصمة في وادي الجوف»[1] قال الحسن الهمداني «. . . وفيها يقول عَلْقَمَة بن ذي جَدَن:

وقـد أسُـوا بـراقـشَ حـيـن أسُـوا ببـلـقـعـةٍ ومُـنْـبَـسَـطٍ أنـيـقِ

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ ص٣٣ ـ ٣٦.

وحَـلّوا مِـن مـعـيـنٍ يـوم حـلّوا بـعـزّهـم لـدى الـفـيـح الـعـمـيـقِ»[١]

وقال كلاوس شيبمان: «كانت مناطق مملكة معين المركزية في واحة الجوف النهرية الكبرى التي تبدأ شمال شرقي مأرب»[٢].

ولكن، هل دولة معين أقدم من سبأ؟

لقد كان علماء المستشرقين والأكاديميين الأوائل يحددون زمن بداية معين بالفترة ما بين سنة ١٤٠٠ق.م. وسنة ١٢٠٠ق.م. ويعتبرون معين أقدم الدول اليمنية وأنها أقدم من سبأ. ويقول د. يوسف محمد عبد اللّه: «... استنتج العالم النمساوي (جلازر) في مطلع هذا القرن أن...معين هي أقدم الدول اليمنية القديمة.. ورَسَّخَ هذا الرأي الرحالة الإنجليزي «فيلبي» في منتصف هذا القرن عندما نشر قوائم ملوك معين وافترض القرن الثاني عشر قبل الميلاد بداية لذلك. وتعوّد الناس بعد ذلك على الأخذ برأي (جلازر) وبقيت معين في أذهانهم إلى اليوم أقدم الدول اليمنية القديمة... على أن العلماء ومنهم الأوروبيون هم الذين ينقضون ذلك الرأي القائل بقدم دولة معين على دولة سبأ»[٣] ويقول د. محمد بافقيه: «بعد أن كان أوائل العلماء يُقدرون بداية معين بأواخر الألف الثاني قبل الميلاد أصبح المتأخرون يجعلون هذه البداية تتراوح ما بين سنة ٥٠٠ق.م. و٣٥٠ ق.م»[٤].

وغني عن البيان أن بين هذا التحديد العلمي لزمن بداية معين وتحديد العلماء الأوائل لزمن بداية معين فارق يبلغ حوالي ٩٠٠ سنة، ولا يمكن تجاهل تلك القرون التسعة، فثبوت أن دولة معين لم تكن موجودة في تلك القرون وإنما قامت حوالي سنة ٥٠٠ق.م. يجب أن يقترن بوضع تاريخ القرون التسعة السابقة لذلك في موضعها الصحيح، لأن تحديد العلماء الأوائل لتلك القرون زمناً لدولة معين لم يأت من فراغ وإنما أتى من إدراك أن إطلال العديد من المدن والمواقع الأثرية في مناطق الجوف حيث قامت دولة معين كانت موجودة تلك القرون (ما بين ١٤٠٠ق.م. أو ١٢٠٠ق.م. حتى القرن السادس ق.م). فافترضوا وجود دولة معين منذ وفي تلك القرون. فثبوت عدم وجود معين آنذاك لا يتعارض مع صحة عودة زمن تلك المدن والمواقع الأثرية إلى تلك القرون وإنما يعني أنها

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠٥ جـ٨.

(٢) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٨.

(٣) أوراق في تاريخ اليمن وأثاره ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ ص٣٣ ـ ٣٦.

(٤) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٠.

ليست معينية وإنما هي سبئية وإن سبأ ـ بكل تأكيد ـ أقدم من معين، وإن سبأ التي هي أقدم من معين هي دولة ملوك سبأ التبابعة التي سلف تبيين تاريخها وعصورها منذ القرن الرابع عشر إلى القرن السادس ق.م في الفصول السابقة. أما دولة مكارب سبأ التي قامت سنة ٥٠٠ق.م. فإن معين أقدم منها ولو بفترة يسيرة، ثم تعاصرت دولة معين ودولة مكارب سبأ منذ القرن الخامس ق.م. حتى القرن الثاني ب.م. كما تؤكد وتنطق بذلك النقوش المُسندية والمصادر اليونانية والرومانية.

أولاً

تبيين أن دولة تبابعة سبأ أقدم من معين وأن معين من سبأ

لقد كانت مناطق ومدن الجوف جزءاً من سبأ في عصور دولة ملوك سبأ التبابعة، وكان ملوك سبأ في تلك العصور من «بني الصوار بن عبد شمس» ومن «بني حِمْير ذي ريدان بن سبأ الأصغر». وفيهم قال علقمة بن ذي جَدَن الحميري البيتين اللذين ذكرهما الهمداني في الإكليل:

وقد أسّوا براقش حين أسّوا ببلقعة ومنبسط أنيق
وحلّوا من معين يوم حلّوا بعزّهم لدى الفيح العميق

وذلك يعني أن (معين) ومدينة يثل (براقش) تأسست منذ أوائل عصور ملوك سبأ التبابعة ويشمل ذلك مدن (هرم) و(نشق) و(نشن) وهي المدن الهامة بمناطق الجوف (المعينية). ونذكر هنا ما يلي:

١ ـ **مدينة هَرَم بن معين**: قال نشوان الحميري: «هَرَمُ: اسم موضع بالجَوف من اليمن كان فيه بِنَاءُ عجيبُ بَناه ملوك حِمير»[١] والمقصود بملوك حمير هُمْ الملوك مِنْ بني الصّوار ومن بني سبأ الأصغر.

وقد ذكر (حبشوش) اسم (هرم بن معين) ذكراً عابراً، فقال إنه: «تحدث مع قبائل في صرواح عن أسعد وجدته بلقيس، وعن هرم بن معين وعمته بكبه وشهرتهم، وعن سد مأرب ووديانه الخصيبة»[٢].

(١) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص١٠٩.
(٢) رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي ـ ص١٢٨.

ونرى من ذلك أن مدينة هرم سُميت باسم (هرم بن معين) أو (ذي هرم بن معين) وقد ذكر ابن خلدون بين أسماء ملوك اليمن في العصر السبئي الأقدم اسم الملك «شداد بن الملطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوار بن عبد شمس»[١] فإذا ربطنا اسم (ذي هرم بن الصوار) في نص ابن خلدون باسم (هرم بن معين) وببناء مدينة هرم بمنطقة معين في الجوف، يمكن استنتاج التالي:

أ ـ أن (معين) اسم أمير من الأجداد القدماء وهو «أبو ذي هرم معين بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَنْ بن عَرِيب بن زَهير بن أيمن بن هُميسع بن حمير الأكبر بن سبأ»[١].

ويدل ذلك النسب على أن زمن الأمير (ذي هرم بن معين) كان في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد لأنه قبل الملك (الحارث الرائش بن شدد) أول الملوك التبابعة في القرن الخامس عشر ق.م.

وباسم (معين) سُميت منطقة معين واستقرت بها أسرته وسلالته وغيرهم من العشائر الحميرية والكهلانية السبئية حيث كما قال علقمة:

وحلّوا من معين يوم حلّوا بعزّهم لدى الفيح العميق

ب ـ إن مدينة هرم سميت باسم (هرم بن معين) أو «ذي هرم بن معين». وقد ذكر نشوان الحميري إنها «موضع بالجوف كان فيه بناءٌ عجيب». وقال العالم الفرنسي هاليڤي: «مدينة هرم: خربةُ مدينةٍ أُعيد بناؤها عدة مرات، ممتدة على مرتفع طوله ٢٥٠ متراً وعرضه ١٨٠ متراً، ولم يبق منها شيء قائماً ما عدا جزء من نصبٍ لا نقش عليه وبضعة أحجار متفرقةٍ، وفي أسفل التلة ١٦ نصباً انكسر واحد منها، وهي قائمة على صفين، وتؤدي إلى باب من الحجر، يبلغ ارتفاع النصب ٢,٦٠ متراً وعرضه ٥٥سم بسماكة قدرها ٢٥سم. وتحتوي معظم النصب على نقش أو نقشين، وأجمل تلك النقوش موجود على النصب الأول في صف اليسار. ومع الأسف الشديد يستخدم القناصون العرب هذه النصب أهدافاً للرماية مما يزيد من تَشُّوهِ هذه الآثار الثمينة للعصور القديمة. وكثير منها يثوّى على الأرض مطموراً تحت الرمال»[٢].

ومن النقوش المعثور عليها في (هرم) النقش المسند البرونزي الموجود حالياً في المتحف البريطاني بلندن وهو النقش (رقم ٥٢٣ كوبوس) عن طهارة

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٣٧ و٣٩.
(٢) تقرير بعثة جوزيف هاليڤي ـ باريس ـ ١٨٧١م.

بيت ذي السموات (ذي سموي) ويعود زمنه إلى القرن السابع ق.م. وقد أوردنا نصه في المبحث الخاص بعهد «أبي كرب أسعد ملك سبأ...» في ذلك القرن السابع ق.م. وقد جاء ذكر مدينة (هرم) في نقش صرواح للملك (كرب إل وتار ملك سبأ) ويذكر فيه إنه «انتزع ماء ذقعفن من سمه يفع ونشن وأقطعه يذمر ملك هرم». وذلك في أواسط القرن الخامس ق.م. ثم كانت هرم إحدى المدن المعينية الهامة في عصور دولة معين وإليها تعود الأعمدة التي ذكرها هاليفي.

٢ ـ مدينتا نَشَقْ وَنَشَنْ (البيضاء والسوداء): وهما من المدن المعينية الهامة في الجوف، ولكنهما كانتا قبل ذلك من المدن السبئية، بل إن مدينة نشق (البيضاء) كانت عاصمة مناطق الجوف كلها في عصور ملوك سبأ التبابعة ما بين القرن الثاني عشر والقرن السادس ق.م. ثم أصبحت معينية بعد ذلك في عصور معين. ويتبين من النقوش والآثار والمصادر التاريخية:

أ ـ إن مدينة نشق سُمِّيت باسم (نشق بن عمرو بن مانع بن صهلان) وهو ـ كما جاء في الإكليل ـ «نشق بن عمرو بن مانع بن صهلان بن زيد بن ثور بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل بن جشم بن جبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسله بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ».

قال الهمداني: «أولد نشقُ: عمراً وربيعة ويمجد وذا الجرب وثوراً ذا شمر» ـ فتفرعت منهم بطون وعشائر هم «النشقيون». قال الهمداني: «والنشقيون بيت شرف كانوا ملوكاً لهم قصر روثان والسوداء والبيضاء بالجوف»[1].

والسوداء والبيضاء بالجوف هما نشن ونشق، قال د. عدنان ترسيسي: «... وقد تبين لهاليفي أن مدينة (نشق) هي (نسكوس) كما سماها اليونان، وإنها تسمى الآن البيضاء ومعروفة في وادي الجوف»[2].

وقال هاليفي: «البيضاء (نشق) خربة ذات ميزة خاصة، فبدلاً من أن تكون قائمة على تل كسائر الخرائب فإنها تمتد في وادٍ مستوٍ (منبسط) وما زال قسماً كبيراً من سورها قائماً، أما قلعتها فهي أكبر من قلعة معين ويبلغ قطرها من ٣٠٠ ـ ٣١٠ متراً، وتقع على مسافة يسيرة من وادي الخارد..

أما السوداء (نشن) فهي خربة قائمة على تلٍ، وتقع على مسير ساعة شمال

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٣٠ جـ١٠.

(٢) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٢٥.

شرقي البيضاء (نشق). ويلاحظ أن النار كانت سبب دمار هذه المدينة البديعة التي كانت ولا شك مركزاً صناعياً هاماً، وخاصة في تصنيع المعادن إذْ أن كومة كبيرة من البقايا تغطي الأرض المحترقة. وتوجد بعض بقايا جدار السور، وعدد نادر من النُصب»[١].

ب ـ وتدل النقوش على أن مدينتي (نشق ونشن) كانتا من المدن السبئية الهامة في عصور ملوك سبأ التبابعة وقد جاء ذكرهما في نشق «كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر علي ذرح» في محرم بلقيس بلفظ (هجرن/ نشق/ ونشن)[٢] وذلك في مطلع القرن العاشر ق.م. كما سلف التبيين لأن عهد ذلك الملك كان في الفترة (٢٢٨ ـ ٢٣٥ للتقويم السبئي) والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (٩٩٢ ـ ٩٨٥ق.م) ويدل ذلك على وجود مدينتي نشق ونشن منذ العصر الأول لملوك سبأ التبابعة في القرن الثاني عشر والقرن الحادي عشر ق.م. وإن القيل (نشق بن عمرو بن مانع بن صهلان) كان في ذلك العصر الأول لتبابعة سبأ.

ثم جاء ذكر (نشق) في النقش السبئي (رقم ٥٧٧ جام) باسم (إل شرح يحضب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان) حيث يحمدان الإله المقه لأنه «حفظ لهم القصرين سَلْحِين وغُمدان، والمدن مأرب وصنعاء ونشق». ويقول د. محمد بافقيه: «إن الإشارة إلى المدن الثلاث ليست لغواً ولا حشواً، فمأرب مقعد الملك الرئيسي، وصنعاء مدينته الثانية... ونشق هي المدينة ذات الحقول التي اهتم بها السبئيون أيما اهتمام حتى إننا لا ندري في أي وقت كانت هذه المدينة تابعة لمعين»[٣] وأقول: إنها صارت معينية بعد عصور تبابعة سبأ، ويتبين من ذكرها إلى جانب مأرب وصنعاء أن (نشق) كانت المدينة الرئيسية لمناطق الجوف كلها في ذلك العهد بالقرن التاسع ق.م. وبالتالي في كافة عصور ملوك سبأ التبابعة.

وقد جاء ذكر مدينتي (نشق ونشن) في النقش السبئي (رقم ٦٦٥ جام) من محرم بلقيس باسم «سعد تالب يتلف ذي جدن كبير أعراب ملك سبأ، وكندة ومذحج وحرمم وباهل وزيد إل، وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمانت». ويذكر أنه (قاد قوة من أعراب ملك سبأ وكندة وأرباب (أبعل) نشق

(١) تقرير جوزيف هاليفي ـ باريس ـ ١٨٧١م.
(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٤٣.
(٣) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٣٦ وص٧٣.

ونشن». وذلك في عهد (ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) في الفترة (٤١١ ـ ٤٢٠ سبئي/ ٨٠٩ ـ ٨٠٠ ق.م).

وكذلك جاء ذكر مدينة (نشق) في النقش السبئي (رقم ٢٣٢ كهالي) في عهد (ذمر علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) في الفترة (٤٢٠ ـ ٤٣٣ سبئي/ ٨٠٠ ـ ٧٨٧ق.م). بالقرن الثامن ق.م.

ثم جاء ذكر (نشق ونشن) في نقش (كرب إل وتار ملك سبأ) في صرواح المشهور باسم (نقش النصر) ويذكر فيه أنه «حاصر نشن ونشق ثلاث سنوات وأخضع نشق وأرضها لألمقة وسبأ»[١] وكان ذلك في أواسط القرن الخامس ق.م.

جـ ـ ثم ـ وكما يقول د. يوسف محمد عبد اللّه ـ «... خرجت مناطق الجوف عن دولة سبأ بقيادة مدينتي يثل (براقش) ونشق، وأقام المعينيون دولتهم...»[٢] فكانت نشق من المدن المعينية الهامة منذ القرن الخامس ق.م. حتى القرن الثاني ب.م. وقد ذكر هاليفي إنه عثر في أطلال نشق على ٧٤ نقشاً مسنداً معينياً وعثر في أطلال نشن (السوداء) على ٧١ نقشاً وهي نقوش جزئية ويوجد قسم منها خارج السور.

٣ ـ **مدينة يثل (براقش)** ـ وهي من أهم المدن الرئيسية السبئية ثم المعينية في الجوف، ويمتد تاريخها من أوائل عصر ملوك سبأ التابعة الحميريين بالقرن الثاني عشر ق.م. وفيهم قال علقمة بن ذي جدن:

وقد أسّوا براقش يوم أسّوا ببلقعة ومنبسط أنيق

وقال نشوان الحميري: «براقشُ اسم مدينة كانت لملوك حِمَير بالجوف من اليمن، فيها حِصنٌ وبناء عجيب، وأسماء أهلها مكتوبةٌ في حجارتها بالمُسْنَدِ»[٣].

وقال هاليفي: «براقش خربةٌ مهيبة جداً. وما زال الجزء الأكبر من جدار سورها قائماً، ويتضمن عدداً من النقوش، وتوجد بكثرة قطعاً من النصب داخل المدينة وخارجها... ويلاحظ أنها كانت مدينة دينية هامة لأن بقايا المعابد تعرف من أشلاء الأبواب، ومن ترتيب النصب التي تتواجد بكثرة»[٤].

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٣٦ وص٧٣.
(٢) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ ص٣٦.
(٣) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٦.
(٤) تقرير بعثة جوزيف هاليفي ـ باريس ـ ١٨٧١م.

وتدل الآثار والنقوش على أن مدينة يثل (براقش) كانت سبئية ثم معينية، إذْ أنه:

أ ـ قامت بعثة معهد الآثار الألماني بالتنقيب والدراسة في آثار المعبد الرئيسي هَناك وهو «معبد ودّ ومسمعم». حيث أثبتت البعثة الألمانية سبئية بعض أجزاء المعبد التي تعود إلى القرن التاسع ق.م. وعثرت البعثة في المعبد على نقش سبئي يعود إلى القرن التاسع ق.م[١].

وقد جاء ذكر مدينة (يثل) في نقش سبئي من محرم بلقيس بمأرب في عهد «كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان بن ذمر على ذرح ملك سبأ وذي ريدان»[٢] الذي حكم في الفترة (٢٢٨ ـ ٢٣٥ للتقويم السبئي = ٩٩٢ ـ ٩٨٥ ق.م). ويدل ذلك على وجود مدينة يثل في القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م. ثم في زمن وآثار (معبد ودّ ومسمعم) بالقرن التاسع ق.م. وحتى نهاية عصور ملوك سبأ التبابعة في أواسط القرن السادس ق.م.

ب ـ ثم كان لمدينة يثل (براقش) دور قيادي في قيام دولة معين وفي عصورها حيث ـ كما يقول د. يوسف محمد عبد الله «... خرجت مناطق الجوف عن دولة سبأ بقيادة مدينة يثل (براقش) ونشق، وأقام المعينيون دولتهم. وكان وراء نجاح المعينيين مدينة براقش التي قادت ثورتهم على سبأ وتركزت فيها الحياة الدينية التي كانت تحكم حياة المعينيين إلى حد كبير»[٣].

وقد ازدهرت مدينة يثل (براقش) في عصر دولة معين لأنها كانت العاصمة الروحية، وقد تم العثور فيها على أكبر عدد من النقوش المعينية حيث ذكر (هاليفي) إنه عثر فيها على (١٥٤) نقشاً مسنداً.

ثانياً

سبئية المعينيين.. ومعرفة المؤرخين العرب بمعين والمعينيين

لقد شاع في كتب ودراسات المستشرقين والأكاديميين عن تاريخ اليمن القديم أن المعينيين شعبٌ غير معروف عند المؤرخين العرب، وإن المعينيين غير السبئيين، وإن المؤرخين العرب اليمنيين الأوائل ذكروا سبأ وحمير ولم يذكروا أي شيء عن

(١) تقرير بعثة معهد الآثار الألماني ـ معبد ودّ ومسمعم.
(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ جام ٦٤٣.
(٣) أوراق في تاريخ اليمن ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ ص٣٦.

معين والمعينيين. وتمشياً مع ذلك الظن الخاطئ يقول د. محمد بافقيه: «... ويذكر الهمداني معين كموضع في الجوف.. ولكن الهمداني لا يذكر شيئاً عن المعينيين أو مملكتهم. حتى في الإكليل فإنّ معين عنده ليست إلا محفد من محافد اليمن»[1].

بينما الصحيح الذي يتبين من النقوش والمصادر التاريخية هو:

أ ـ سبئية المعينيين: إن الذين سميوا باسم (معينيين) في عصر دولة (معين) هم قبائل سبئية كانوا يسكنون مناطق الجوف وما جاورها وكانت مناطقهم جزءاً من سبأ وكانوا جزءاً من قبائل (سبأ) في عصور دولة سبأ وملوك سبأ التبابعة ـ ما بين القرن الرابع عشر والقرن السادس ق.م. ـ ولذلك لم تذكرهم نقوش تلك العصور باسم (معينيين) وإنما جاء ذكرهم في إطار قبائل (سبأ) وبصفة خاصة قبيلة (مذحج) وغيرها بمناطق الجوف، ثم وكما ذكر د.يوسف محمد عبد اللّه ـ «... خرجت مناطق الجوف عن دولة سبأ بزعامة مدينتي يثل (براقش) ونشق، وأقام المعينيون دولتهم واتخذوا قرناو (معين) عاصمة في وادي الجوف». (اهـ).

وعندئذٍ ـ منذ القرن الخامس ق.م ـ سُمّيوا باسم (معينيين) نسبة إلى اسم الدولة (معين) فجاء ذكر «السبئيين والمعينيين» كشعبيّ دولتين «دولة مكارب سبأ ودولة معين» في المصادر اليونانية والرومانية حتى القرن الثاني الميلادي.

أما قبل ذلك، في عصور دولة سبأ وملوك سبأ التبابعة، فإن مناطق الجوف كانت جزءاً من (سبأ) وكان سكانها من قبائل (سبأ) وهم الذين قيل لهم فيما بعد (معينيون) حين قامت دولة معين، أما في عصور دولة سبأ وملوك سبأ التبابعة فتدل النقوش على أن سكان مناطق الجوف كانوا من قبائل سبأ.

ب ـ لقد كانت مدينتا (نشق ونشن) وما جاورهما من المناطق الرئيسية في عصور ملوك سبأ التبابعة ثم في عصر دولة معين. وكان يسكن نشق ونشن وما جاورهما بالجوف الأدنى قبيلة نشق، وهم ـ كما ذكر الهمداني في الإكليل ـ بنو «نشق بن عمرو بن مانع بن صهلان» وقد سلف ذكر نسبهم إلى (سبأ). قال الهمداني: «أولد نشقُ: عمراً، وربيعة، ويمجد، وذا الجرب، وثوراً ذا شمّر.. وأولد ذو شمر بن نشق: ذا قارس الملك الذي ذكره علقمة بن ذي جدن في قوله:

أو ابن ذي المشعار أو ذو قارس ومحلمُ ذو لعوة ابن بكيل

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٤.

. . . يريد قارس بن شمّر بن ذي قارس بن نشق. وقد يُنشد فيه قول علقمة:

أو أرفـــع الأقـــوال ذو قـــارسٍ كـان مـهـيـبـاً جـابـراً مـا صـنـع

ويروى: «أو ملك الأملاك ذو فائش»[1] ـ فيكون «ذوفائش بن نشق» ـ قال الهمداني: «فأولد ذو قارس ـ وهو ذو فائش ـ شمّراً فأولد شمّر قارساً». وقال: «والنشقيون بيت شرف وكانوا ملوكاً لهم قصر روثان، والسودا، والبيضا، وعُمران، بالجوف. . .»[1] والسودا والبيضا مدينتا نشن ونشق، وأما قصر روثان فقد يكون اسمه القديم (ذي حفن).

وقد تم العثور في محرم بلقيس بمأرب على نقش مسند [هو النقش رقم ٦٥٨ جام] من عهد (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) باسم «أب شمر اولط/ ورفا اشوس/ بني/ ذي حفن/ وذي ذنم/ أقيال شعب أيفع. . .» وهما أصحاب النقش (رقم ٣ ملحق ب) باسم:

«أب شمّر أولط/ وأخيه/ رفا أشوس/ ذي/ حفنم/ وذي ذنم/ ويثع كرب/ وخولين/ وذأ ولمن/ ووعلين/ أفيشن/ أقيال شعب أيفع/ . .» وقد أورد مطهر الأرياني محتوى الاسم كما يلي:

«هذان هما (أب شمّر أولط) وأخوه (رفا أشوس) من بني ـ أو من أصحاب ـ (حفن) و(ذنم) و(خولين) و(ذي أولمان) و(وعلين) الفيشانيون ـ أو الفأشيون ـ أقيال قبيلة أيفع»[2].

فالقيلان (أب شمّر أولط) وأخوه (رفا أشوس) من بني (أفيشن) ـ الفيشانيون أو الفأشيون ـ وهو (فائش) أو (ذو فائش) ابن (نشق بن عمرو بن مانع بن صهلان) المذكور في قول علقمة بن ذي جدن:

أو أرفـــع الأقـــوال ذي فـــائـــش كـان مـهـيـبـاً جـابـراً مـا صـنـع

فأنجب فائش بن نشق: شمّراً. وهو «أب شمّر أولط» في النقش. فأنجب شمّر قارساً. وكانوا أرباب قصر (حفن) و(ذنم) بالجوف في عصور ملوك سبأ التبابعة، فذلك النقش يعود إلى القرن التاسع ق.م. وقد استمروا كذلك في عصر دولة معين، حيث جاء في النقش المعيني (رقم ١ فخري) من براقش أن:

«. . . وهب إل/ وتحى/ وبنان/ ورثد إل/ ويذكر إل/ بني/ سمع/ ذي عدر/

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٣٠ و١٣٣ جـ٨.

(٢) نقوش مسنديه وتعليقات ـ مطهر الأرياني ـ ص٢٢٣.

ذي حفن/ أهل جبأن سلا/ سقنوا/ عشتر ذي قبض/ وود/ ونكرحم/ وعشتر ذي هرق/ كل/ مباني/ محفدهم/ ذي حفن/ وجبأن»[١].

أي: أنهم وضعوا في حماية الآلهة عشتر وودّ ونكرحم كل مباني محفد (ذي حفن) ومنطقة (جبأن).

ويتبين من ربط معطيات النقشين السبئيين (٦٥٨ جام و٣ ملحق ب) وهذا النقش المعيني (رقم ١ فخري) وما ذكره الهمداني في الإكليل النبأ اليقين عن أقيال وسكان نشق ونشن وذي حفن بالجوف فهُم نفسهم في عصور ملوك سبأ التبابعة ثم في عصر دولة معين. وهم «بنو نشق بن عمرو بن صهلان بن زيد بن ثور بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل» ويتصل نسبهم إلى «زيد بن كهلان بن سبأ» ويدل ذلك على أن معرفة الهمداني والمؤرخين العرب اليمنيين الأوائل بالذين سُميوا (معينيين) أفضل من معرفة المستشرقين والأكاديميين بكثير، لأن النشقيين كانوا جزءاً من أقيال وقبائل مناطق الجوف في عصور سبأ وعصر معين وهم أقيال محفد ذي حفن ومدن نشق ونشن وغيرهما بالجوف الأدنى في تلك العصور.

جـ ـ قال الهمداني: «ـ وكان ـ يسكن براقش بنو الأوبر من بَلْحرِث بن كعب ومُراد. وفي براقش يقول فروة بن مُسيك الغُطيفي المرادي:

أحلَّ يُحابرُ جدي غُطِيفاً مَعِينَ المُلْكِ من بين البنينا
ومَلَّكَنَا بَراقش دون أعلىٰ وأنعم أخوتي وبني أبينا»[٢]

ومراد وبنو الحارث بن كعب من قبيلة مَذْحج وكانوا يسكنون بمناطق الجوف وكذلك قبيلة طيئ. قال ابن خلدون: «كانت طيئ تسكن الجوف من أرض اليمن»[٣]. قال الهمداني في الصفة: «قال أبو سليمان بن يزيد الطائي:

وأوطنَ مِنّا في قُصور بَراقِشٍ فمأوَدِ وادي الكسْر كسر قُشاقش
إلى قَيْنان كلُّ أغلبَ رائشٍ بَهاليلُ ليسوا بالدُّناةِ الفَواحِشِ
ولا الحلمُ إن طاش الحليم بطائش»[٤]

---

(١) النقش رقم ١ فخري ورقم ٢٩٢٩ هومل.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠٦ جـ٨.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٨.
(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧٥.

ونذكر هنا ما يلي:

- إن قبيلتي مذحج وطيئ من بني «أَدَدْ بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ». قال الهمداني في الإكليل: «... فأولد أدد بن زيد: مُرَّة، ونَبْتاً وهو الأشعر، ومالكاً وهو مذحج، وجلهمة وهو طيئ». [ص٣١/ ١٠].
- وكانت رياسة مذحج بالجوف في بني (مُراد يُحابِر بن مذحج) ثم في بني (غُطيف بن عبد إيل بن ناجية بن مراد بن مذحج» وكانوا يسكنون منطقة معين ومدينة براقش كما في شعر فروة بن مُسيك الذي ذكره الهمداني.

وكذلك كان يسكن منطقة براقش بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلّة بن جَلْد بن مذحج. حيث ذكر الهمداني أنه كان «يسكن براقش بنو الأوبر من بني الحارث بن كعب، ومراد».

- وقد جاء ذكر (مذحج) في نقوش ملوك سبأ التبابعة. فيذكر بافقيه: «إن مذحج كانت بين العشائر الأعرابية المقاتلة في جيش شمر يهرعش إلى جانب كندة. (جام ٦٦٠) ـ» (اهـ). وكذلك جاء في النقش السبئي (رقم ٦٦٠ جام) من محرم بلقيس باسم «وهب أوام الذي كان كبيراً للأعراب ومن قادة شمّر يهرعش، إن (وهب أوام) قام بمطاردة الحارث بن كعب وسود ـ أو سعد ـ بن عمر اللذين تسللا من (ذخرفن) بمأرب هما وجنودهم من نخع وجرم ومعهم يعمر زعيم قبيلة سبأ، وقد أدركهم وهب أوام وأعادهم إلى سيدهم شمّر يهرعش» (اهـ) فقد ذكر النقش (نخع) وهم بنو «نخع بن عمرو بن عُلّة بن جلد بن مذحج». وذكر النقش «الحارث بن كعب» وهو جدّ بني (الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن جَلد بن مذحج). وذكر النقش عشيرة (جرم) وهم (جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ». وكانوا يسكنون الجوف في ذلك العصر بالقرن التاسع ق.م.

وكذلك جاء في النقش السبئي (رقم ٦٦٥ جام) باسم (سعد تالب) إنه «كبير أعراب ملك سبأ، وكنده، ومذحج، وحرم، وباهل، وزيد إيل» وإنه تولى قيادة «أعراب ملك سبأ، وكندة، وأبعل نشق ونشن».

وكذلك جاء في النقش السبئي (رقم ٣٢ك) لنفس القائد (سعد تالب) أنه «كبير أعراب ملك سبأ وكندة ومذحج، وحرم، وباهل، وزيد إيل» وإنه «كان مرابطاً بمدينة نشق». وكان ذلك في القرن الثامن ق.م.

وجاء ذكر (مذحج) أيضاً في نقش (أبي كرب أسعد ملك سبأ... إلخ اللقب» في صخرة وادي ماسل الجمح ويذكر «مشاركة قبائل سبأ وحضرموت

وحمير، وس د (أُسد)، ومذحج، وكندة) في فتوحات أسعد بالقرن السابع ق.م. وهو النقش رقم (RY. 509) في ماسل الجمح.

وجاء ذكر (مذحج) في حديث النبي ﷺ عن قبائل سبأ حيث قال ابن كثير: «وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها، وهو مقتضى الحديث النبوي المتقدم عن ابن عباس، أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن وإنما تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم: مذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا في اليمن، واستمر الملك والتبابعة فيهم»(١).

حيث كانت مذحج القبيلة الرئيسية بين قبائل مناطق الجوف التي أسست دولة معين. فقد سلف قول د. يوسف محمد عبد اللّه: «... خرجت مناطق الجوف عن دولة سبأ بقيادة مدينتي يثل (براقش) ونشق، وأقام المعينيون دولتهم واتخذوا قرناو (معين) عاصمة في وادي الجوف...» (اهـ). ولكن مناطق الجوف ليست التي أقامت دولة معين وإنما القبائل السبئية التي كانت تسكن مناطق الجوف بصفة عامة، والتي كانت تسكن مدن يثل (براقش) ونشق ومعين بصفة خاصة. وقد سلفت النصوص بأن منهم (مراد) (وبنو الحارث بن كعب) من مذحج، وطيئ أخوة مذحج، ونشق..

ويؤكد ذلك النقش المعيني (رقم ١ فخري) من يثل (براقش) فهو باسم:

«صدقم/ وسعد إل/ ويحم إل/ وبنيهم/ صدق إل/ وصدقم/ ويسمع إل/ وهـ ن أ/ و ر ث د/ رؤساء/ أوس إل/ وسمع/ ومراد».

«ووهب إل/ وت ح ى/ و ب ن ن/ ورثد إل/ ويذكر إل/ بني ذي حفن/ . .».

فقد ذكر النقش ـ أولًا ـ رؤساء (أوس إل/ وسمع/ ومراد) ثم ذكر بني (ذي حفن) الذين هم أقيال نشق ونشن كما سلف التبيين. ويهمنا هنا أن قبائل معين الرئيسية التي بدأ بها النقش هُم (أوس إل، وسمع، ومراد). فأما (مراد) فهُم «مراد بن مذحج» ومنهم كان بنو «غُطيف بن عبد إيل (عبد اللّه) بن ناجية بن مراد» رؤساء يثل (براقش) ومعين كما في شعر (فروة بن مُسيك رضي اللّه عنه) الذي ذكره الهمداني كما تقدم. وربما أن (سمع) أيضاً من (مذحج) أما (أوس إل) فهُم «أوس اللّه بن سعد العشيرة بن مذحج»(٢).

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦١ جـ٢.

(٢) يمانيون في موكب الرسول ـ محمد حسين الفرح ـ ص١٨٠.

وقد سلف قول ابن خلدون: «كانت طيئ تسكن الجوف من أرض اليمن» وإنه «كانت الرياسة على طيئ في الجاهلية لبني هانئ بن عمرو بن الغوث بن طيئ». (اهـ) وقد جاء في النقش المعيني (رقم ٤٨٥ هاليڤي) إن «بني هانئ رؤساء جوّ قدموا قرباناً إلى معبد معين في عهد تُبع كرب ملك معين بن يثع إل ريام». فأولئك هم (بنو هانئ بن عمرو بن الغوث بن طيئ». فقبائل مذحج وطيئ ونشق هم قبائل معين الرئيسية الذين أسسوا دولة معين، واشتهروا باسم المعينيين في عصور دولة معين.

ثالثاً

زمن قيام دولة معين.. ومعالم تاريخ عصرها الأول

لقد اعتنى علماء الآثار والنقوش بتحديد زمن قيام دولة معين، فقد ذكر الباحث الألماني (كلاوس شيبمان) إنه «يرى (ريكمانز) اعتماد أواسط القرن السادس ق.م. كبداية لفترة حكم أوائل الحكام المعينيين... أما (البرايت) فيؤرخ بدايتها بحوالي ٤٠٠ ق.م. أو بعد ذلك بقليل...»[1] وقد سلف قول د. محمد بافقيه إنه: «... أصبح العلماء يجعلون بداية معين تتراوح ما بين عام ٥٠٠ق.م. و٣٥٠ ق.م». (اهـ) ويتبين من ذلك وجود قولين عن زمن بداية دولة معين:

القول الأول: وهو الذي اعتمده العالم ريكمانز J. Ryckmans بتحديد «أواسط القرن السادس ق.م كبداية لفترة حكم أوائل الحكام المعينيين». وذلك ما بين سنة ٥٥٠ ق.م. وسنة ٥٢٥ق.م. (وبصفة خاصة عام ٥٢٥ق.م). ويندرج في ذلك الذين حددوا بداية معين بحوالي عام ٥٠٠ق.م. ومنهم (جاكلين بيرين) التي حددت «القرن الخامس ق.م». ـ كما ذكر (شيبمان) ـ وبالتالي فإن «فترة حكم أوائل الحكام المعينيين» كانت من عام ٥٢٥ق.م. إلى (أواسط القرن الخامس ق.م).

القول الثاني: وهو الذي اعتمده العالم الأميركي (البرايت) إذْ يؤرخ بداية معين «بحوالي ٤٠٠ق.م. أو بعد ذلك بقليل» وكذلك (فون فيسمن).. ويعتمد هذا التحديد على أن مناطق معين بالجوف كانت مشمولة بسلطان «كرب إل وتار ملك سبأ» صاحب (نقش النصر) في صرواح الذي يُسجل توحيد البلاد بزعامة سبأ. وقد حدد (البرايت) زمن نقش (كرب إل

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٨.

وتار) بأنه «منتصف القرن الخامس ق.م». وكذلك يذكر (شيبمان) إنه «تؤرخ بيرين ذلك بنحو عام ٤٦٠ق.م». وقد استمرت مناطق الجوف تحت حكم ملوك سبأ (كرب إل وتار) ثم ابنه (يدع إل بين) ثم حفيده (هاني كرب) إلى أوائل القرن الرابع ق.م.

ونرى صحة القولين وإنه يجمع بينهما أن العصر الأول يتضمن مرحلتين:

أ ـ فترة حكم أوائل الحكام المعينيين. وهي من عام ٥٢٥ ـ ٤٥٧ ق.م.

ب ـ فترة عودة مناطق الجوف تحت حكم (كرب إل وتار ملك سبأ) وهي من عام ٤٥٧ق.م إلى نهاية عهد حفيده (هاني كرب ملك سبأ) بعد عام ٤٠٠ ق.م. ثم «... خرجت مناطق الجوف من دولة سبأ بقيادة مدينتي يثل ونشق، وأسس المعينيون دولتهم...» وذلك عام ٤٠٠ ق.م. أو بعد ذلك بقليل.. فذلك هو بداية العصر الثاني لدولة معين.. وبذلك يزول التعارض بين القولين ويتكامل النبأ اليقين.

معالم الحقبة الأولى من العصر الأول لدولة معين:

في حوالي عام ٥٢٥ق.م. أسس أقيال ورؤساء قبائل ومناطق ومدن الجوف دولة معين، وامتدت (معين) إلى مناطق نجران (نجران وعسير) شمالاً وغرباً، وإلى وادي كسر قشاقش بحضرموت شرقاً وجنوباً. قال الطائي:

وأوطن مِنّا في قصور بَرَاقِشٍ إلى مأود فالكسر، كسر قُشاقش
إلى قيّنان كلُّ أغلبَ رائشٍ بَهاليلُ ليسوا بالدُّناة الفواحِشِ
ولا الحلمُ إن طاش الحليم بطائش

وكانت في وادي الجوف مدينة تليدة من عصور ملوك سبأ التبابعة الحميريين الأوائل اسمها (معين) فتم اتخاذها عاصمة وباسمها سُمّيت الدولة (معين). قال هاليفي: «معين: خربةٌ من أهم الخرائب، ويحتمل أنها عاصمة المعينيين القديمة. وهي قائمة على تلة محصنة طولها ٢٨٠م وعرضها ٢٤٠م، وتبعد عن (مدينة الحزم) مسير ساعة ونصف، وتغطي النقوش جزءاً لا بأس به من جدار السور ومن بعض الأبراج الموجودة قرب البابين الشرقي والغربي. وإلى جانب الأحجار المنفصلة العديدة المنقوشة توجد أيضاً نصوص منقوشة على نصب، منها كاملة ومنها مكسرة، داخل المدينة وخارجها. وعلى مسير عشرين دقيقة باتجاه الشرق توجد بقايا باب أكبر من باب (هرم) يليها عدة نصب تشكل صفين متوازيين يحتوي البعض منها على نقوش. وتشير أجزاء

الحجارة المنحوتة بإتقان على بهاء الهيكل (معبد معين) قديماً . . .»[١] وقد سلف ذكر مدينة هرم وإنها سُميت باسم (ذي هرم بن معين) . . . وكانت تسكن منطقة مدينة معين عشائر حميرية سبئية وكذلك بنو غُطيف بن مراد من مَذْحج .

وقد ذكر (موللر) إن حكّام معين في عصرها الأول كان يُقال لهم (مزاود معين) وإنه لقب يعني حاكم معين وزعيمها الديني ويرادف لقب (مكرب سبأ)[٢] . ولكن النقش المعيني (رقم ١ فخري) من براقش (يثل) ينطق بأن اللقب ليس (مزاود معين) وإنما هو (مُسّوَدَ مِعين) وهو لقب مأخوذ من السيادة بمعنى (سَيْد معين) . ويذكر النقش حاكمين هما (أب يدع يثع/ ووقه إيل ريام/ مُسّوَدَيّ معين» ويذكر النقش أيضاً رجلين بلقب (كبيري معين) هما (صادق) و(سعد إل) .

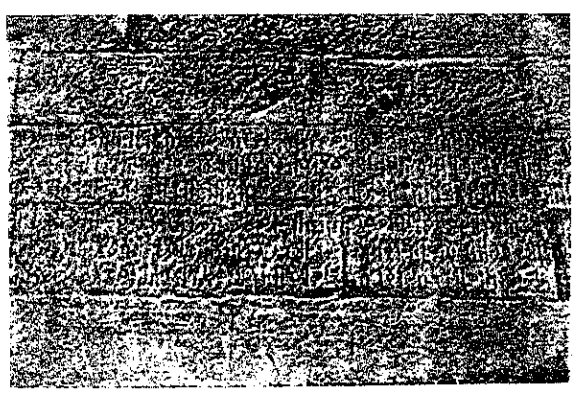

صورة جانب من النقش المعيني (١ ـ فخري/ ٢٩٢٩ هومل)

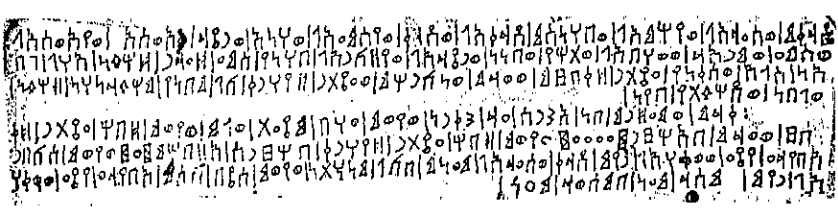

نص النقش المعيني رقم ١ فخري بحروف المسند

(١) تقرير بعثة هاليفي ـ باريس ـ ١٨٧١م .

(٢) هذه هي اليمن ـ عبد الله الثور ـ ص١٠٨ .

ومنطوق هذا النقش المعيني بالحروف العربية الحديثة هو :

«صدقم/ وسعد إل/ و ي ح م إل/ وبهنسم (بني)/ صدق إل/ وصدق/ ويسمع إل/ وخنأ/ ورثد/ رؤساء/ا و س إل/ وسمع/ ومراد/

ووهب إل/ و ت ح ى/ وبنن/ ورثد إل/ ويذكر إل/ بهني (بني)/ سمع/ ذي عدر/ ذي حفن/ أهل/ جبأن/ سلا/

سقنيو/ عشتر/ ذقبضم/ وودم/ ونكرحم/ وعشتر/ ذي هرق/ كل/ مبني/ محفدنهن/ ذي حفن/ وجبن/ وصحفتي/ بين/

قدم/ ومعذرم/ بن/ اشرس/ عد/ شقرن/

ويوم/ وهب/ مثعت/ ولم/

ويوم/ ذبح/ لعشتر/ ذي قبض/ وودم/ باحضر/ (ثمانين ذبيحة)؟ .

ويوم/ ذبح/ لعشتر/ ذيهرق/ بحضرس/ «عشرين ذبيحة»

ويوم/ سكبر/ أب يدع يثع/ ووقه إل ريم/ صدق/ وسعد إل/ معينم/ بكل/ منجتن/

ويوم/ سثب/ كسم/ أب يدع يثع/ ووقه إل ريم/ مسودى/ معين/ بمسود/ معين» . انتهى) .

ومعنى ومحتوى النقش بالعربية الحديثة :

- إن صادق وسعد إل و ي ح م إل وبنيهم . . . رؤساء أوس إل وسمع ومراد .
- ووهب إل وتحا ورثد إل ويذكر إل بني ذي حفن أهل جبأن سلا .
- اودعو (واقنو) الآلهة عشتر ذي قبض وودّ ونكرح وعشتر ذي هرق كل مباني محفد ذي حفن وجبأن .
- والصحيفة التي بين قدم ومعذرم بن أشرس على شقرن . (وصحيفة) يوم وليمة وهب مثعث .
- (وصحيفة) يوم ذبح (ثمانين ذبيحة) لعشتر ذي قبض وود . ويوم ذبح (عشرين ذبيحة) لعشتر ذيهرق . .
- (وصحيفة) يوم كبر (سكبر) أب يدع يثع ووقه إل ريم صادقاً وسعد إل معيناً . (أي يوم صار صادق وسعد إل كبيري معين، بمشورة الجميع (بكل منجتن) .
- (وصحيفة) يوم (سَثْب/ وكَسْم) أب يدع يثع ووقه إل ريم مُسَّوديّ معين . في مَسْوَدْ معين» . انتهى .

ويعود زمن النقش وعهد (أب يدع يثع ووقه إل ريم سيّدي معين) إلى النصف الأول من القرن الخامس ق.م. وهما من أشار إليهم (ريكمانز) بأنهم (أوائل الحكام المعينيين) وقال (موللر) إن (حكام معين في عصرها الأول كان يُقال لهم (مُسود معين) وإنه لقب يعني حاكم معين وزعيمها الديني).

وتحت سيادة (مسود معين) كان لكل مدينة ومنطقة رئيسية مَلِكٌ مَحليّ، مثل (ملك نشق ونشن) و(ملك هرم) و(ملك كمنهو) و(ملك نجران)...

وفي تلك الحقبة من العصر الأول كانت تجاورُ دولةَ معين دولةُ مكارب سبأ، فقد كانت باليمن في ذلك العصر خمس دول هي دولة معين ودولة مكارب سبأ ودولة قتبان ومملكة أوسان ودولة حضرموت. وقام ملك أوسان باجتياح وضم مناطق قتبان وحضرموت إلى مملكة أوسان الحميرية.

وأثناء ذلك أعلن «كرب إل وتار بن ذمر على مكرب سبأ» إن «الآلهة أوحت لكرب إل وتار بملكه لسبأ وبتوحيد الشعب لألمقة وسبأ» فبدأت بذلك:

الحقبة الثانية من العصر الأول (عصر مملكة سبأ الوسيطة):

في حوالي عام ٤٥٧ ق.م. تحول (كرب إل وتار) من (مكرب سبأ) إلى (ملك سبأ) وقام (بتجديد رابطة سبأ ليكونوا يداً واحدة) وقام بقيادة حملات حربية عنيفة لتوحيد الشعب والبلاد لألمقة (الإله) وسبأ (الدولة).

وقد سجل (كرب إل وتار) في نقشه المسند بصرواح المعروف باسم (نقش النصر) حملاته الحربية التي شملت كل مدن ومناطق مملكة أوسان وامتدت من وادي حضرموت شرقاً إلى المعافر وساحل البحر الأحمر غرباً، ثم شملت مناطق الجوف المعينية ونجران. ويهمنا هنا ما جاء في النقش عن مناطق الجوف ونجران. حيث جاء في نقش (كرب إل وتار) إنه:

«مخض (هاجم) وحاصر نشن ونشق ثلاث سنوت، وأخضع نشق وأرضها لألمقة وسبأ... واكتسح سمه يفع ونشن... واستولى على مدنهم (قوم/ وجوعل/ وفدم/ ودورم/ وشبم/ ومدينة أيكم وكل ما اقتنى (سمه يفع) ونشن بايكم. واستولى باسم المقة على مناطقهم إلى موضع (وثن منهيتم) واستولى على ماء صلم وماء حمرت، وحرم ملك نشن ونشق (سمه يفع) من ماء وادي مذاب. وأخرب (نضع) سور مدينتهم نشن حتى أساسه. ولكنه أعفى مدينة نشن من الحريق. وأخذ رياش قصرهم (عفرو) ورياش مدينتهم نشن.

وفرض على سمه يفع ونشن (كذيحور سبأ)[١] بمدينة نشن وبأن يبني سمه يفع ونشن بيت المقة بوسط مدينة نشن. وانتزع ماء ذي قفعن من سمه يفع ونشن وأقطعه يذمر ملك هرم. وانتزع من سمه يفع ونشن حرة ذات ملك وقه وأقطعها نبط على ملك كمنهو. وسَوّر مدينة نشق ووضعها تحت إشراف سبأ لألمقة وسبأ.

ومخض (هاجم) سبل وهرم وفننن ـ قبل ذلك ـ واستولى على مصادر مياههم، وموفط (أحرق؟) مدن سبل وهرم وفنن. وقتل ملوكهم، وفرض عليهم مالاً للألمقة ولسبأ..

وهاجم مهامرم وأميرم[٢] وكل قبائل مهامرم وعوهيم ـ بنجران ـ... وموفط كل مدن مهامرم. واستولى على يفعت ورياشها... كما صادر أراضي زراعية لمهامرم بنجران. وفرض على مهامرم جزية لألمقة وسبأ»[٣].

وبتلك الحرب انضوت سائر مناطق الجوف ونجران ـ وكذلك سائر بقية أرجاء اليمن ـ تحت حكم (كرب إل وتار ملك سبأ) واختفت دول معين وأوسان وقتبان وغيرها، وأصبحت أرجاء اليمن كلها مملكة سبأ. وقد حددت دراسة (بيرين) زمن ذلك بنحو عام ٤٦٠ق.م.

وفيما بين عام ٤٥٧ق.م. وعام ٤٠٠ق.م. لم يكن لدولة معين وجود، وكانت مناطقها جزءاً من مملكة سبأ والتي تعاقب على حكمها ثلاثة ملوك تبابعة، وهم:

أ ـ كرب إل وتار ملك سبأ. صاحب نقش النصر في صرواح. وله نقش آخر يذكر فيه إنه سَوّر عدداً من المدن من بينها مدينة يثل (براقش) في الجوف... وأضاف أراضي كثيرة إلى قبيلة فيشن[٤]. ولا بد أنهم بنو «فيش = فايش/ بن نشق بن عمرو بن صهلان..» وكانوا أقيال ذي حفن ونشق ونشن كما سلف التبيين.

وقد دلت تنقيبات بعثة الآثار الفرنسية بالجوف «إن الأساحل (المسماة قديماً عرارة) وخربة سعود (المسماة قديماً كتل) تم بناؤها بأمر كرب إل وتار ملك سبأ في القرن الخامس ق.م».

---

(١) يرى بافقيه إن كلمة (كذيحور سبأ) تعني (واسكن سبأ).

(٢) أميرم هم قبيلة (أمير) وهم «أمير بن شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل» ـ وقد سلف ذكر نسب بكيل إلى سبأ في الحديث عن نشق. وقد ذكر الهمداني قبيلة أمير بن شاكر ـ ص١٩١/ ١٠ الإكليل.

(٣) نقش النصر ـ صرواح ـ رقم ٣٩٤٥ أ Res.

(٤) النقش رقم ٣٩٤٥ ـ ب ـ Res.

ب ـ وقد حكم بعده ابنه «يدع إل بين ملك سبأ بن كرب إل وتار ملك سبأ».

جـ ـ ثم حكم بعده «هاني كرب ملكوتر ملك سبأ بن يدع إل بين ملك سبأ بن كرب إل وتار ملك سبأ».

وفي حوالي عام ٤٠٠ق.م. تفككت مملكة سبأ ـ تلك ـ وانتهى ذلك العصر الأول، وعادت دولة معين.

رابعاً

عصور مملكة معين (٤٠٠ ق.م ـ ٢٠٠ ب.م.)

في حوالي عام ٤٠٠ق.م. بدأ العصر الثاني لدولة معين وأصبحت معين مملكة مترامية الأطراف بزعامة «صدق إيل ملك معين وحضرموت».

إن العصر الثاني لدولة معين هو عصر مملكة معين، ولذلك «يؤرخ البروفيسور البرايت بداية مملكة معين بحوالي عام ٤٠٠ق.م. أو بعد ذلك بقليل، ويحدد نهايتها بين عام ٥٠ ـ ٢٥ق.م. بينما حددت دراسة (بيرين) نهاية معين بسنة ٢٠٠ ميلادية»[١].

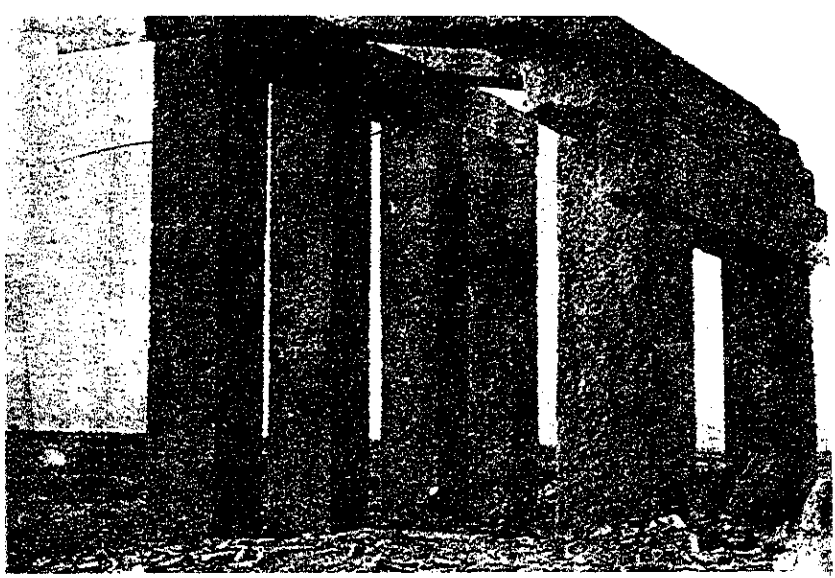

رواق أحد معابد معين

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٨.

وذلك لأن عصور مملكة معين تواصلت من ٤٠٠ق.م. إلى ٢٠٠م. أي ستمائة سنة كما تدل على ذلك النقوش والآثار المعينية والمصادر اليونانية والرومانية.

قيام مملكة معين بزعامة (صدق إيل ملك معين وحضرموت):

يقول د. يوسف محمد عبد اللّه: «في حوالي عام ٤٠٠ ق.م. خرجت مناطق الجوف عن دولة سبأ بقيادة مدينة يثل (براقش) ونشق وأقام المعينيون دولتهم واتخذوا (قرناو) عاصمة في وادي الجوف وتمكنوا من السيطرة على طريق البخور التجاري بمساندة حضرموت وقتبان...» ويقول: «كان وراء نجاح المعينيين مدينة براقش التي قادت ثورتهم على سبأ وتركزت فيها الحياة الدينية التي كانت تحكم حياة المعينين إلى حد كبير»[١].

وغني عن البيان أن هذا الكلام عن «مناطق الجوف.. بقيادة مدينة براقش» وإنه «كان وراء نجاح المعينيين مدينة براقش التي قادت ثورتهم على سبأ...» إنما هو كلام مجازي، فالمقصود رؤساء وأهل مدينة ومنطقة براقش. وقد ذكر العلّامة المؤرخ الحسن ابن أحمد الهمداني إنه كان «يسكن براقش بنو الأوبر من بني الحارث بن كعب ومراد»[٢] وكان رؤساء براقش وقبيلة مراد من بني (غُطيف بن عبد إيل بن ناجية بن مراد يحابر بن مَذْحج بن أدد بن زيد بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ). قال فروة بن مُسيك الغُطيفي المرادي رضي اللّه عنه:

أَحلّ يحابرُ جدي غُطيفاً ... معين المُلك من بين البنينا
ومَلّكنا براقش دون أعلى ... وأنعم أخوتي وبني أبينا»[٢]

وبالتالي يمكن القول أن (مراد) هي التي قادت مناطق الجوف لتأسيس مملكة معين، ولم تكن هناك «ثورة على سبأ» بالمعنى العام لكلمة «ثورة» وإنما تفككت مملكة سبأ التي أسسها «كرب إل وتار» بذاتها، وعندئذٍ تنادت القبائل السبئية التي كانت تسكن مناطق الجوف إلى نجران بزعامة مراد ومذحج إلى تأسيس مملكة معين وامتدت الفكرة والتجاوب معها إلى حضرموت شرقاً وجنوباً فقامت مملكة معين بزعامة رئيس من بني غُطيف من مراد هو «صدق إيل ملك معين وحضرموت» الذي «جعله البرايت مؤسساً لمملكة معين حوالي عام ٤٠٠ق.م»[٣].

---

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ص٣٦/ ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠٦/ ٨.
(٣) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٦.

النطاق الجغرافي لمملكة معين:

يقول (كلاوس شيبمان) إن «مملكة معين كانت مناطقها المركزية في واحة الجوف النهرية الكبرى، التي تبدأ شمال شرقي مأرب»[١]. وهي منطقة وادي الجوف التي تقع فيها مدن يثل (براقش) ونشن (السوداء) ونشق (البيضاء) وغيرهن من مدن مملكة معين.

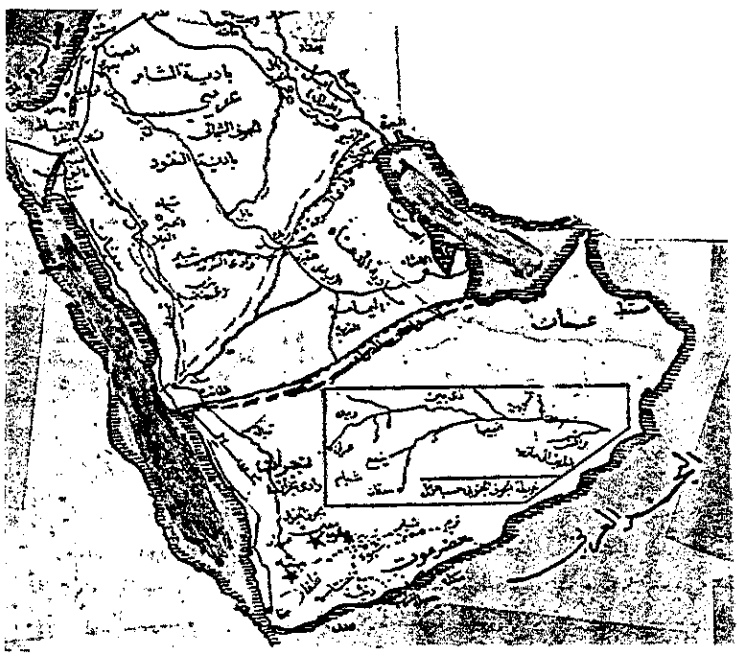

خريطة المدن المعينية بالجوف حسب (هومل)

وكانت أرض مملكة معين تشمل مناطق الجوف وصعدة ونجران وعسير إلى جهة الطائف وإلى وادي الدواسر شمالاً وإلى شبوة وحضرموت والبحر العربي ومفاوز عمان جنوباً وشرقاً. وامتدت مراكزهم التجارية من نجران وساحل عسير إلى الددن (العلا) بأعالي الحجاز وتخوم الشام شمالاً وكذلك من نجران إلى (القرّية) في وادي الدواسر وتخوم اليمامة على الطريق التجاري إلى البحرين والعراق وفارس.

وقد ذكرت المصادر اليونانية والرومانية المعينيين. قال د. عدنان ترسيسي: «وقد امتد نفوذ المعينيين، ولا نقول حكمهم، استناداً إلى تلك المصادر الغربية حتى وصل شواطئ البحر الأبيض المتوسط وشواطئ خليج

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٨.

العرب وجزر بحر العرب أي أنها شملت جزيرة العرب وما يحيط بها وكانت هذه الدولة دولة تجارية لها طرقها ومستعمراتها الموزعة في كل مكان وميناء»[١].

لقد وصف بطليموس المعينيين بأنهم «شعب عظيم»[٢] وقال بليني: «إن المعينيين أكثر الجماعات عدداً وأخصبهم أرضاً وأغزرهم نخلاً وأكثرهم امتلاكاً للمواشي»[٢] وكذلك ذكرهم (ايراتوستينس/ ١٩٤ق.م.) ثم (استرابو/ ٢٤ق.م). حيث قال بافقيه: «إن سترابو ذكر المعينيين إلى جانب الحضارمة والسبئيين والقتبانيين وقال: إن أرضهم تقع ـ أي تمتد ـ في الجزء المحاذي للبحر الأحمر. وكان سترابو ينقل كلامه ذلك عن ايراتوستينس»[٢] وقال بليني الروماني: «إن المعينيين قوم يخترق بلادهم الممر الوحيد للبخور عبر طريق واحد ضيق. وهم أول من مارس هذه التجارة وما زالوا يمارسونها أكثر من غيرهم حتى إن البخور ليعرف بالمعيني نسبة إليهم»[٢].

وتبييناً وتوضيحاً لذلك نذكر ما يلي:

١ ـ المقصود بالمعينيين (شعب معين) وقبائلهم ومناطقهم الرئيسية:

إن المعينيين هم في الأصل فريق من السبئيين فهم قبائل يمنية سبئية في عصور ملوك سبأ التبابعة وفي عصر مملكة سبأ الوسيطة ـ كما سلف التبيين ـ فلما قامت مملكة معين (عام ٤٠٠ ق.م) وفي عصور مملكة معين التي استمرت ستمائة سنة تم نسبتهم إلى اسم الدولة (معين) وتميزوا باسم (معينيين) وذلك لأنه في نفس تلك العصور وتلك الفترة كانت في اليمن أيضاً دولة مكارب سبأ ومملكة قتبان ثم حضرموت، فتم نسبة رعايا كل دولة إلى اسم الدولة بحيث ـ كما يذكر عدنان ترسيسي ـ «قال سترابون: إن بلاد اليمن (العربية السعيدة) تشمل أربعة شعوب، المعينيون وعاصمتهم قرنوس، والسبئيون وعاصمتهم مأرب، والقتبانيون وعاصمتهم تمنة (تمنع) والحضارمة وعاصمتهم شبوة»[٣] فذلك التقسيم إلى أربعة شعوب هو نسبة إلى الدول الأربع في ذلك العصر بالذات فتم نسبة رعايا كل دولة إلى اسم الدولة فقيل (معينيون) نسبة إلى مملكة (معين) و(قتبانيون) نسبة إلى مملكة (قتبان) وكذلك (حضرموت) وانحصر اسم (سبئيين) على رعايا دولة (مكارب سبأ) أما في العصور السابقة وفي الأنساب الدائمة فالجميع من قبائل وشعوب سبأ.

---

(١) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيس ـ ص٢٥.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٤ و٣٩.

(٣) اليمن وحضارة العرب ـ عدنان ترسيسي ـ ص٢٤.

إن المعينيين الذين وصفهم بطليموس بأنهم (شعب عظيم) هم سكان أراضي مملكة معين وهم:

أ ـ قبيلة مراد، وقد جاء ذكرهم بلفظ (مراد) في النقش المعيني (رقم ١ فخري) من براقش، وهم بنو «مراد يُحابر بن مذحج بن أدد بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر بن يشجب ين يعرب بن قحطان». وكان مراد عدة بطون منهم (غطيف) و(أنعم) و(أعلى) و(زاهر) وكان يسكن منطقة براقش ومعين منهم بنو غُطيف بن إيل بن ناجية بن مراد يحابر بن مذحج. ومنهم كان ملوك معين، يدل على ذلك قول فروة بن مُسيك الغُطيفي المرادي رضي اللّه عنه:

أَحَلّ يحابرُ جدي غُطيفاً معين المُلك من بين البنينا
ومَلّكنا براقشَ دون أعلى وأنعم أخوتي وبني أبينا

ب ـ قبيلة أوس إيل: وقد جاء ذكرهم في النقش المعيني رقم ١ فخري بلفظ «أوس إل» ومعنى «إل = إيل» هو (اللّه) مثل أسماء (جبرئيل، وميكائيل)، فهي مضافة إلى اسم الجلالة (إيل) وهو (اللّه). ولذلك فإن اسم (أوس إل) في النقش المعيني هو (أوس اللّه) عند المؤرخين العرب والنسابين الأوائل، ونسبهم كما يلي:

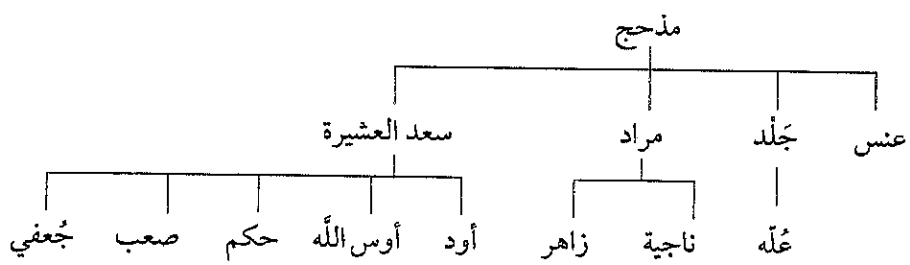

وربما كان أوس إيل (أوس اللّه) يشمل (سعد العشيرة بن مذحج) ثم تفرعوا إلى أربعة بطون هم: (أوس اللّه، وأود، وصعب، وجعفي). وقد ذكر الهمداني في الصفة أنهم كانوا يسكنون مناطق في نجران وعسير وأعالي تهامة اليمن على ساحل البحر الأحمر. قال الهمداني: «وبلد حكم (بن سعد العشيرة بن مذحج) قرى كثيرة مثل العداية، والركُوبة، والمخَارِف، والقليق، وبها وادي حَرَض وحَيْران وخِذْلان ووواديا بني عبس ووادي الحيد، ووادي تَعْشَر، ووادي جُحْفَان، ووادي لِيَة، ووادي خُلَب، ووادي زائرة، ووادي شَابة،

وضَمَد، وجازان (جيزان)، وصَبْيَا... ثم مخلاف عَثر، وعثر ساحل جليل»[١]. وكانت تلك المناطق من أراضي مملكة معين، ومما يتصل بذلك قول سترابون «إن أرض المعينيين تمتد في الجزء المحاذي للبحر الأحمر».

جـ ـ بنو الحارث بن كعب: وقد جاء ذكر «الحارث بن كعب» في النقش السبئي (رقم ٦٦٠ جام) حيث ذكر النقش: «الحارث بن كعب وسود بن عمر وأتباعهم من نخع وجرم»[٢] وقد ذكر الهمداني في الإكليل إنه كان: «... يسكن براقش بنو الأوبر من بني الحارث بن كعب، ومراد» [ص١٠٦/٨].

وبنو الحارث بن كعب بطن من بني «عُلّة بن جَلد بن مذحج» وكذلك (نخع). وكانت مناطق قَبيلَة عُلّة بن جلد بن مذحج تمتد من براقش الجوف إلى نجران ووادي نجران، وبطونهم ونسبهم كما يلي:

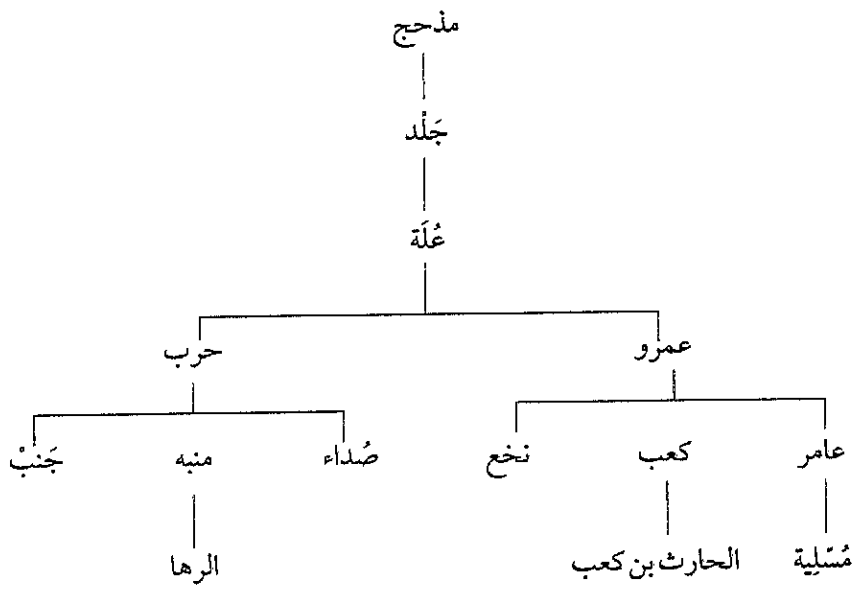

فبنو الحارث بن كعب هم: بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج بن أدد بن زيد بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ومنهم (الديان) الذي فيه قال علقمة بن ذي جَدَن:

يَقُودُ بِهَا دَيَّانُها غيرَ عاجزٍ ثَمانِين ألفاً قادَهَا من بَراقِشِ[٣]

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٨.
(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ جام ٦٦٠.
(٣) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٧.

قال ابن خلدون: «وأما بنو الحارث بن كعب، فالحارث أبوهم ابن كعب بن علة بن جلد بن مذحج، وديارهم بنواحي نجران.. وكانت نجران قبلهم لجرهم ومنهم كان الأفعى الكاهن واسمه القلمس.. وكان القلمس والياً لبلقيس على نجران وبعثته إلى سليمان فصدق وآمن وأقام على دينه بعد موته، [وكان ولاة نجران من بني القلمس الأفعى]، ثم نزل نجران بنو الحارث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج فغلبوا عليها بني الأفعى»[١] وقال ابن خلدون أيضاً: «نجران مسافتها عشرون مرحلة... وفيها مدينتان: نجران وجُرَش متقاربتان في القدر... ونزلها من القحطانية طائفة من جرهم.. وصاروا ولاة للتبابعة.. وكان منهم أفعى نجران واسمه القَلَمَّس وكان والياً على نجران لبلقيس.. ثم نزل نجران بنو مذحج وتولوا عليها ومنهم بنو الحرث بن كعب»[١].

ويبدو أن القبيلة الجرهمية الذين كانوا يسكنون نجران في عصور ملوك سبأ التبابعة هم المذكورون في نقش (كرب إل وتار ملك سبأ) باسم (مهامرم = مهامر) وإن (كرب إل وتار) هاجم «كل قبائل مهامرم وعوهيم وكان قتلاهم خمسة آلاف والأسرى (١٢٠٠) واستولى على مواشيهم من إبل وبقر وحمير وغنم على مائتي ألف.. وأحرق كل مدن مهامرم.. وصادر كرب إل أراضي زراعية طهامرم بنجران، وفرض على مهامرم جزية لألمقة وسبأ»[٢].

ثم لما قامت مملكة معين بزعامة (صدق إيل) المعيني المذحجي وقع ما أشار إليه ابن خلدون بأنه «نزل نجران بنو مذحج وتولوا عليها ومنهم بنو الحارث بن كعب». وجاء في الهامش أنه «كان نزول واستقرار بني الحارث بن كعب مع عدة عشائر مذحجية معينية بنواحي نجران في القرن الرابع ق.م». [ص١٣٣]. وكانت نجران بمدلولها الواسع القديم معينية السكان والحكم في عصور مملكة معين إلى القرن الثالث بعد الميلاد ثم استمرت زعامة نجران عدة قرون بعد ذلك في بني الحارث بن كعب ويقال لهم أيضاً بلْحَارث بن كعب.

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٣٢ و٦٧٠.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص٧٥ ـ عن نقش النصر لكرب إل وتار في صرواح Ry.٣٩٤٥.

قال الهمداني في الصفة: «وأول الأودية بين نجران والجوف وادي قضيب فيه من مياه بلْحارث بن كعب: الأغبر والجُموم ومَاوَة وخُلَيْقا بأسفله ومَدْرك.. ثم الخلّ بين قضيب واليتمة.. ويُسمى ما بين الجوف ونجران الأفراط واحدها فُرط، وأكثر من يكون بالأفراط من بَلْحَارث بنو معاوية منهم.. ومن مياه بلحارث: البراق ماء بأعلى وادي ثار.. والحصينية على شط الوادي دون النهيَّة نهية حبونن، والربيعية بأسفل نجران ومذود والهَرّار والبتراء» [ص٢٥٤]. وكانت تلك الوديان والمناطق في نجران لبني الحارث بن كعب منذ عصور معين.

كتابة معينية على جدران نجران القديمة: في الحجر الأيمن اسم (ود) إله (معين) بلفظ (و د م.ا ب م) وفي الحجر الأيسر كلمة (ذ ر أ ن = ذ ي ر أ ن)

د ـ **نشق وأمير بن شاكر**: وهما من قبائل مملكة معين. ونَسبَهُما من بكيل. قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «بكيل. فَعِيل. يُقال إنّه لَجَميلُ بكيلُ أي مُتَنوِّقُ في لبْسِه ومِشْيته. وبكيلُ قبيلة من اليمن وهم وَلَدُ بكيل بن جُشَم بن حُبران (خيران) بن همدان» [ص٧] ثم (ابن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

فأما «نشق» فباسمهم سمِّيت مدينة نشق السبئية ثم المعينية بالجوف. ونشق هو ـ كما في الإكليل:

نشق بن عمرو بن مانع بن صهلان بن زيد بن ثور بن مالك بن

معاوية (بن صعب) بن دومان بن بكيل» وتفرعت بطون نشق كما يلي:

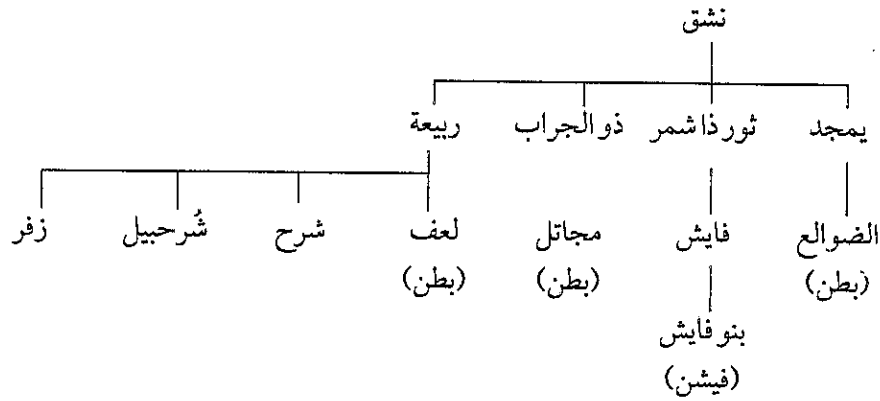

قال الهمداني في الإكليل: «والنشقيون بيت شرف كانوا ملوكاً، لهم قصر روثان والسوداء والبيضاء وعُمران بالجوف» [ص١٣٠/ ١٠] والسوداء هي (نشن) والبيضاء (نشق) وقصر روثان قد يكون (محفد ذي خفن). وقد سلف ذكر النقوش السبئية ثم المعينية التي ذكرت نشن ونشق وبني فايش (فيشن) أقيال وأصحاب محفد ذي حفن ونشق ونشن. وقال الهمداني في الصفة: «ـ من ـ أوطان الجوف وبلد شاكر: عُمران وهو لنشق... والخربة البيضاء لبني دالان (من نشق) والخربة السوداء لشاكر.. وكمنا وروثان لنشق». [ص٣١٤] وقد بلغ عدد النقوش المعينية التي ذكر (هاليڤي) العثور عليها في نشق ٧٤ نقشاً وفي نشن السوداء (٧١ نقشاً) وفي كمنا (١٠ نقوش) ومجموع ذلك ١٥٥ نقشاً بتلك المواقع وأهلها معينيون وهم قبيلة نشق البكيلية.

وأما «أمير بن شاكر» فقد جاء ذكرهم في نقش (كرب إل وتار ملك سبأ) عن اجتياح مناطق الجوف ونجران بلفظ (أميرم). وهم كما ذكر الهمداني في الإكليل:

«أمير بن شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل».

وقال: «أولد شاكر: أميراً بن شاكر، ودهمة بن شاكر، ووائلة بن شاكر...» [ص١٨٩/ ١٠].

وقال الهمداني في الصفة: «أوطان الجوف وبلد شاكر» منها «... الخربة السوداء لشاكر» [ص٣١٤] وقال أيضاً «... الحصن من نجران لوائلة بن شاكر وأمير بن شاكر» [ص٢٤٢] فكانت مناطق شاكر تمتد من الجوف وبرط إلى

صعدة ونجران منذ عصور معين. وبطونهم وأنسابهم كما يلي:

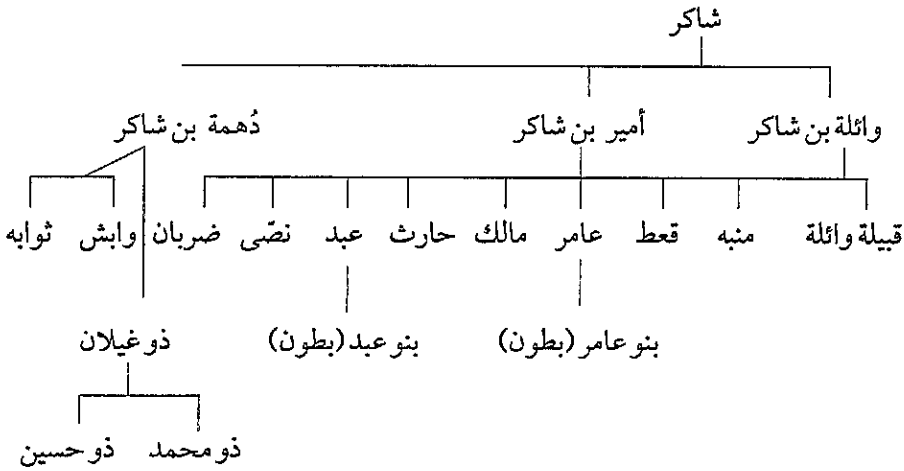

هـ ـ قبيلة طيئ المعينية: قال ابن خلدون: «كانت طيئ تسكن الجوف من أرض اليمن»[1] وقال الهمداني في الصفة: «. . . . قال أبو سليمان بن يزيد الطائي:

وأوطَنَ مِنّا في قُصور بَراقِشٍ فمأوَدِ وادي الكسْر كسر قُشاقش
إلى قَيْنان كلُّ أغلبَ رائِشٍ بَهالِيلُ ليسوا بالدُّناة الفَواحِش
ولا الحلم إن طاش الحليم بطائش

وقال: «الكسر في وسط حضرموت.. ويُعرف بكسر قُشاقش... والكسر قرى كثيرة منها قرية يقال لها هَيْنن... وقرية يقال لها قشاقش، وقرية صورأن... ووادیان يقال لهما رَخْيَة ودهر فيهما قرى كثيرة»[2].

وكان ذلك الانتشار لقبيلة طيئ من براقش في الجوف إلى وادي الكسر في وسط حضرموت وفي عُمق وادي حضرموت ـ شرقاً وجنوباً ـ في عصور دولة معين، ربما منذ عهد (صدق إيل ملك معين وحضرموت) الذي هو ـ كما ذكر البروفيسور البرايت ـ (مؤسس مملكة معين في حوالي عام ٤٠٠ق.م). وهو كما سلف التبيين من بني غُطيف المراديين من مذحج وطيئ أخوة مذحج، إذْ أن:

ـ مُذْحج هو «مذحج بن أدد بن زيد بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ».

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٨.
(٢) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص١٧٥.

ـ وطيئ هو: «جلهمة طيئ بن أدد بن زيد بن عرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ» [٣١/ ١٠ ـ الإكليل].

وسارت بعض عشائر وبطون طيئ من براقش ووادي الجوف إلى اليمامة.. قال ابن خلدون «... وسيّدهم يومئذٍ سامة بن لؤي بن الغوث بن طيئ.. حتى نزلوا عند الجبلين، فإذا هم بالأسود بن غفار الطسميّ في بعض تلك الشعاب، فهالهم خلقه وتخوفوه.. فأمر سامة ابنه الغوث بقتل الأسود... فرماه فقتله. وأقامت طيئ بالجبلين»[١] وكان الأسود بن غفار بقية قبيلة طَسْم الآرمية في اليمامة الذين هلكوا أيام حسان بن أبي كرب أسعد... فسكنت طيئ بمناطق من اليمامة (جوّ) ومنطقة الجبلين وهما جبلا (أجا وسلمى) في نجد (شرق شمال الجزيرة العربية). وكان ذلك في إطار انتشار المراكز والمستوطنات التجارية المعينية منذ القرن الرابع قبل الميلاد. فقد ذكر ابن خلدون أنه «كانت الرياسة على طيئ لبني هانئ بن عمرو بن الغوث بن طيئ». [ص١٣١] وقد جاء في نقش معيني بأطلال عاصمة معين في الجوف:

«إن بني هاني رؤساء جَوّ قدموا قرباناً إلى معبد معين في عهد تُبّع كرب ملك معين بن يثع إل ريام»[٢] و(جو) هي منطقة اليمامة إلى جبلي أجا وسلمى. و(بنو هاني) هم (بنو هاني بن عمرو بن الغوث بن سامة بن لؤي بن الغوث بن طيئ».

وقد انتشرت عشائرُ وبطونُ من طيئ في مراكز ومحطات تجارية (معينية) امتدت إلى اليمامة وجبلي أجا وسلمى (جوّ) إلى البحرين وتخوم العراق شرقاً وبادية الشام شمالاً. قال الأستاذ أحمد أمين:

«كانت طيئ تسكن الجبلين الشهيرين أجا وسلمى، وهما المعروفان الآن بجبل شمر، وقد سكنتهما طيئ قبل الإسلام بقرون واشتهر ذكر طيئ حتى كان السريان والفُرس يُسمّون كل العرب طيئاً»[٣].

وقد ذكر ابن خلدون أن: (من بطون طيئ: بنو غزيه بن أفلت بن معبد بن عمرو بن عبس بن سلامان بن ثُعَل. كانوا في الطريق بين نجد والعراق. ومن بطون طيئ: بنو معن بن عمرو بن عبس بن سلامان بن ثُعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، وهم في برية سنجار [وبرية سنجار بالموصل والجزيرة

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٨.
(٢) النقش رقم ٤٨٥ هاليفي.
(٣) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص٧.

الفراتية]. ومن بطون طيئ: بنو ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ، منهم بنو لام بن ثعلبة منازلهم بين الجبلين إلى مدينة يثرب. والثعالب الذين بصعيد مصر من بني ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيئ» (اهـ).

ويدل نقش (بني هاني) في عاصمة معين بالجوف أن ذلك الانتشار لبطون طيئ كان في إطار انتشار نفوذ معين ونشاطها التجاري في عصور مملكة معين وإن طيئاً من شعب معين الموصوف بأنه شعب عظيم.

٢ ـ شمولية سلطان معين لحضرموت:

وكانت مملكة معين منذ قيامها تشمل حضرموت بدليل أن (صدق إيل) مؤسس مملكة معين هو «صدق إيل ملك معين وحضرموت». ويقول د. محمد بافقيه: «إن في النقوش المعينة من معين (قرنو) ومن براقش (يثل) إشارات بأن علاقة خاصة كانت تقوم في وقت من الأوقات بين معين وحضرموت. ويزكي ذلك أنّ أسرةً حكمت المنطقتين معاً منها (صدق إل).. الذي جعله البرايت مؤسساً لمملكة معين في حوالي سنة ٤٠٠ ق.م. [وهو: صدق إل ملك معين وحضرموت] والذي اقتسم ابنان له من بعده العرشين فحكم (شهرعلن) حضرموت وحكم (اليفع يثع) معين... وإلى نفس الأسرة ينتمي «ابيدع يثع بن اليفع ريام» الذي ورد اسمه في النقش المعيني (رقم ١١٥٥ جلاسر) والذي حكم معين (سنة ٣٤٣ ق.م). في الوقت الذي كانت فيه حضرموت تحت حكم ملك آخر من نفس الأسرة كما جاء في نقش من معين (ف ٢٧٧٥).

وفي نقش ناقص من مجموعة توفيق من براقش نجد عبارة «ومعين لكي يسكنوا شبوة ويتملكوا فيها». وذلك في السطر الثالث والأخير»[1].

ومن ملوك معين في القرن الثالث ق.م. «اليفع ريام ملك معين وحضرموت بن اليفع يثع» الذي يقول بافقيه إنه «جاء اليفع ريام بن اليفع يثع ليوحد المنطقتين (معين وحضرموت) تحت حكمه»[1] وهو شقيق «معدي كرب ملك معين بن اليفع يثع ملك معين». وقد وصف بافقيه ما تدل عليه النقوش بأنه «... العلاقة الخاصة التي قامت بين حضرموت ومعين في الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد»[1] وقال: «... إن حلفاً تجارياً أو ما هو أكبر من الحلف قد ربط سكان الجوف وحضرموت. ولا بد أنهم تمكنوا به من السيطرة

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٦ و٤٨.

على تجارة البخور فترة من الزمن. فالجزءان يكمل كل منهما الآخر: حضرموت تسيطر على مناطق إنتاج اللبان أو تتحكم فيها بحكم موقعها، ومعين بيدها مقاليد الطريق إلى الشمال»[١] وكانت مناطق إنتاج اللبان والبخور من بينها وادي حجر والمهرة ومنطقة ظفار (في عُمان حالياً) وجزيرة سقطرى. وكانت مناطق المهرة وظفار عُمان من مناطق حضرموت وبالتالي من مناطق مملكة معين لأن العلاقة الخاصة التي تدل عليها النقوش المعينية إنما هي شمولية حكم ملوك معين لحضرموت في ذلك (الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد) ما بين ٤٠٠ ـ ١١٥ق.م. أما حديث (سترابون) عن معين وحضرموت كشعبين ومملكتين فهو في القرن الأول ق.م. (سنة ٢٤ق.م). ولا ينطبق على القرون الثلاثة السابقة لذلك حيث كانت حضرموت إلى ظفار ومفاوز عمان جزءاً من مملكة معين في تلك العصور، بما يعنيه ذلك من امتداد سلطان معين إلى البحر العربي والخليج، وامتداد نشاطها التجاري إلى الهند.

٣ ـ مستوطنات معين التجارية في ددان إلى الشام... واليونان:

وكانت معين تسيطر على الطريق الممتد من نجران وعسير إلى الددن (العلا/ وادي القرى) بأعالي الحجاز وإلى البتراء بالشام. ومما يتصل بذلك، قال د. يوسف محمد عبد الله «... في حوالي عام ٤٠٠ق.م. أقام المعينيون دولتهم واتخذوا قرناو عاصمة في وادي الجوف وتمكنوا من السيطرة على طريق البخور التجاري بمساندة حضرموت وقتبان.. واتجهوا شمالاً فأقاموا المحطات (التجارية) وبنوا مستوطنة معينية في شمال الجزيرة ددان (العلا)...»[٢] وقال الباحث الألماني كلاوس شيبمان «شهدت مملكة معين عصرها الذهبي منذ حوالي أواسط القرن الرابع ق.م. وسيطرت على جزء كبير من طريق البخور، وكانت هناك في شمال الجزيرة العربية في موقع ددان (حالياً: العُلا) مستوطنة معينية يقوم سكانها بحماية طرق التجارة وضمان أمنها. وتتضح العلاقات الخارجية الواسعة للمعينيين آنذاك من خلال ذِكر مصر وغزة في النصوص المعينية كما قام شخصان معينيان بإهداء مذبح إلى معبودهما (ود) في جزيرة ديلوس اليونانية»[٣]. وقد ذكر د. ترسيسي أنه: «قال سترابون: إن المعينيين يحملون التجارة إلى البتراء مدينة نبط (شرقي الأردن)...»[٤] ثم إلى غزة.

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٦ و٤٨.

(٢) أوراق في تاريخ اليمن ـ يوسف محمد عبد الله ـ ص٣٦.

(٣) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٨ ـ ٦٩.

(٤) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٨ ـ ٦٩.

ولذلك قال د. ترسيسى: «امتد نفوذ المعينيين حتى وصل شواطئ البحر الأبيض المتوسط»[١].

إن ذلك الانتشار المعيني يرتبط بانتشار عدة بطون من قبيلة قُضاعة منهم (جرم) فقد أسلفنا ذكر النقش (رقم ٦٦٠ جام) الذي جاء فيه ذكر «الحارث بن كعب وسود بن عمر وأتباعهم من نخع وجرم». مما يدل على أن (الحارث بن كعب ونخع وجرم) كانوا يسكنون الجوف إلى نجران، وقد سلف ذكر معينية بني الحارث بن كعب ونخع وإنهما من مذحج. وكذلك كانت (جرم) معينية في عصور مملكة معين بالذات وهم:

«جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ»[٢].

وكانت فرقة من (جرم) في نجران بينما سارت فرقة من (جرم) مع بعض بطون قضاعة شمالاً إلى (ددان) وإلى (غزة). قال ابن خلدون «... سارت أسْلمُ بن الحاف بن قضاعة حتى نزلوا بين الحجر ووادي القُرى.. وسارت سُليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة حتى نزلوا فلسطين... ومِنْ بني عمران بن الحاف: بنو جرم بن ربان بن حلوان، بطن كبير، مواطنهم ما بين غزة وجبال الشراة من جبال الكرك...» وقال: «... وغزة من مواطن جرم إحدى بطون قضاعة»[٢] وكان ذلك الانتشار منذ القرن الرابع ق.م.

ونقوشياً فقد ذكر د. جواد علي إنه «... تم العثور في خرائب ددان على عدد كبير من الحجارة المكتوبة بخط المسند اليمني... وآثار أبنية ومواطن حضارة»[٣] ويذكر بافقيه إنه: «استناداً إلى نقش وُجد في الخريبة بالقرب من العلا (ددان) يتحدث صاحبه عن أعمال إنشائية تتعلق بالريّ قام بها في قرناو (معين) من أجل الملك (ملك معين) يقول الدكتور الغول: «يبدو أن التجار الذين كانوا يقيمون في أنحاء العلاء كانوا يُطالبون أو يتطوعون بتحمل تكاليف بعض المنشآت الملكية العامة. وإن هذا يدل على أن ولاءهم للملوك في معين، وطنهم، كان قوياً وملزماً على الرغم من إقامتهم في الخارج. وكان معينيو منطقة العلا... خاضعين لسيادة ملوك معين مباشرة.. إن المعينيين كانوا بالفعل

(١) اليمن وحضارة العرب ـ عدنان ترسيسي ـ ص٢٥.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١١٣ و١١٨ و١٣٩.
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جواد علي ـ ص١٦٩.

مسيطرين على الطريق التجاري. . . وكانوا يمارسون نفوذاً ملحوظاً في غرب بلاد العرب جنوباً وشمالاً. . .» [ص٣٨].

ومن منطقة ددان (العلا/ وادي القرى) بأعالي الحجاز ـ وكما ذكر (سترابون الروماني) كان المعينيون يحملون بضائعهم التجارية إلى البتراء (شرقي الأردن) ثم إلى غزة التي كما ذكر ابن خلدون (كانت غزة من مواطن جرم إحدى بطون قضاعة). وكذلك من البتراء إلى تدمر ثم الساحل السوري الفينيقي (صيدا) ثم تنتقل البضائع بحراً من غزة وصيدا إلى اليونان. لقد ذكر بليني: «إن المعينيين أول من مارس تجارة البخور واللبان إلى بلاد الغرب حتى إن البخور ليعرف بالمعيني نسبة إليهم. . .» والمقصود بذلك في عصور معين واليونان والرومان الذين عاصروا مملكة معين ـ أي بعد عصور ملوك سبأ التبابعة ـ (ما بين ٤٠٠ق.م ـ ٢٠٠).

وقد تم العثور في جزيرة ديلوس باليونان على النقش المعيني الذي قال كلاوس شيبمان أنه «قام شخصان معينيان بإهداء مذبح إلى معبودهما (ود) في جزيرة ديلوس اليونانية. وهو «نقش معيني (ف ٣٥٧٠) فيه ذكر صريح لودّ آلهة معين إذ يقول صاحبه إنه «نصب مذبح ودّ وآلهة معين بدلت» أي ديلوس. واختتم النقش بكتابة يونانية ورد فيها اسم (ود) أيضاً. ويُقدر الدارسون تاريخ النقش ـ كما قال بافقيه ـ «بالنصف الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد» [ص٣٦] ونرى أن النقش يدل على وجود محطة معينية في ديلوس باليونان.

٤ ـ النشاط التجاري المعيني إلى مصر:

قال كلاوس شيبمان: «وتتضح العلاقات الخارجية الواسعة للمعينيين من خلال ذكر مصر وغزة في النصوص المعينية». (٦٩) وقد سلف تبيين أنه كانت في غزة مستوطنة تجارية معينية وهم قبيلة جرم ونذكر بشأن العلاقات المعينية مع مصر ما يلي:

أ ـ بدأت العلاقات المعينية مع مصر في النصف الأول من القرن الرابع ق.م. وقد جاء أول ذكر لمصر باسم (مصر) ـ عبر التاريخ كل التاريخ ـ في نقش معيني من براقش (يثل)[1] يتحدث عن قافلة معينية، ويذكر النقش «حرباً كانت دائرة وقتها بين ميذي وبين مصر في وسط مصر» ـ وقد اعتبرها بعض

(١) النقش رقم ١١٥٥ جلاسر.

الدارسين الحرب التي فتح قمبير ملك ميدي (فارس) خلالها مصر عام ٥٢٥ق.م. واعتبرها آخرون: الحرب التي جرت بين الميديين والمصريين ما بين عام ٣٤٣ق.م. و٣٣٥ ق.م. ـ في أواسط القرن الرابع ق.م. ـ»[١] وهو الأصوب لأن النقش في عهد «أب يدع يثع ملك معين بن اليفع ريام» وهو رابع ملوك معين.

إن ذلك النقش المعيني هو أول نقش في التاريخ يذكر (مصر) باسمها العربي (مصر) لأن النقوش الفرعونية تذكر مصر باسم (تامري) والمصادر اليونانية والرومانية باسم (إجبت) وهي (مصر) في الكتب السماوية والنقوش المعينية وذاكرة الأمة عبر الأزمنة والعصور.

ب ـ إن النشاط التجاري المعيني إلى مصر كان غالباً عن طريق الجزء الساحلي من أراضي مملكة معين على ساحل البحر الأحمر، وهي مناطق ساحل أعالي تهامة اليمن ـ (حرض ـ جيزان ـ عسير) التي سلف ذكر قبائل مذحج التي كانت تسكنها وإنهم معينيون، وكذلك منطقة وساحل ينبع. قال ابن خلدون «ومن بطون قضاعة: أسلُم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، منهم سعد هذيم وجهينة... فجهينة ما بين ينبع ويثرب، وفي شماليهم إلى عقبة إيله مواطن بليّ (من قضاعة) وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم (البحر الأحمر) وأجاز منهم أممٌ إلى العدوة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة»[٢]. وقال: «... الثعالب الذين بصعيد مصر بنو ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيئ»[٢] وقد سلف تبيين معينية طيئ، فيمكن القول إنه كانت بمصر محطات تجارية معينية وليس مجرد نشاط تجاري معيني إلى مصر، فالمحطات التجارية كانت همزة وصل لذلك النشاط التجاري.

جـ ـ وقد تم العثور في الجيزة بمصر على نقش مسند معيني. وقد أشار إليه د. يوسف محمد عبد الله قائلاً:

«... هناك نقش عثر عليه بمصر على قبر تاجر معيني كان يتاجر بالمرّ

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جواد علي ـ ص٨٨ ـ ٩٢ جـ٢.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٤٧ جـ٢.

والقرفة في عهد بطليموس الثاني حوالي ٢٦٤ قبل الميلاد» (اهـ) وهو ـ كما ذكر د. أبو العيون بركات ـ نقش معيني باسم «زيد إل بن زيد.. وكان وكيلاً تجارياً للسفن بين اليمن ومصر وكان يقوم بإمداد المعابد المصرية بالبخور والمرّ والقليمة». ويذكر النقش إنه «توفي عام ٢٢ من حكم بتليموس بن بتليموس». ويوافق عام ٢٦٤ق.م. في عصر حكم البطالسة اليونان لمصر الذي استمر إلى سنة ١٦٤ق.م.

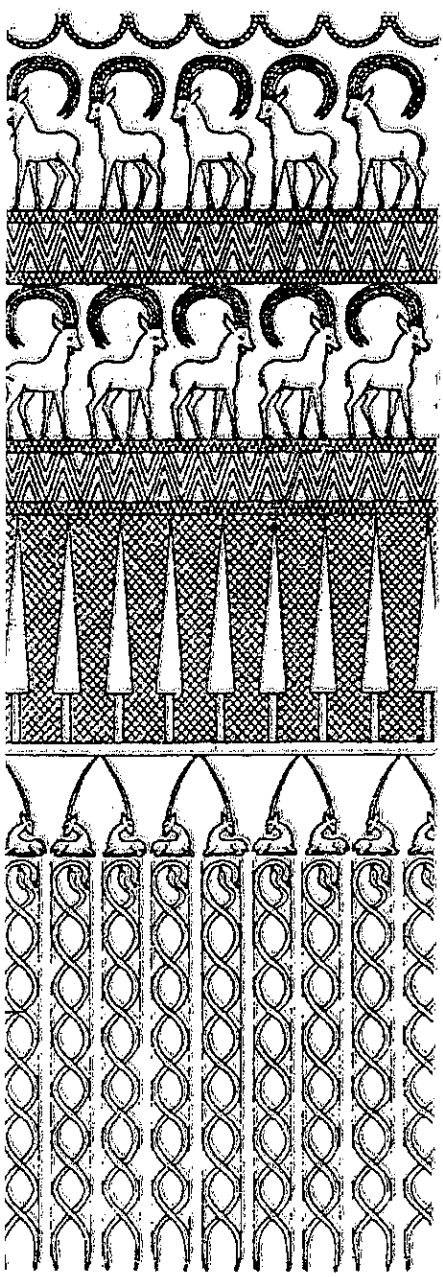

نحت حجري على عمود معبد معيني في الجوف

ويتبين من مجمل ما تقدم النطاق الجغرافي لمملكة معين ومحطاتها ومستوطناتها التجارية ونشاطها التجاري الذي كان يمتد إلى العراق وفارس والهند والشام ومصر واليونان وغيرها من الآفاق الممتدة.

خامساً

كرونولوجيا ملوك معين

يبلغ عدد ملوك معين المذكورين في النقوش المعينية المعثور عليها في مدن معين بالجوف ٢٧ ملكاً (تقريبا). وقد تعددت آراء الدارسين في كرونولوجيا ملوك معين ـ أي ترتيبهم وتسلسل أزمنتهم ـ وشاع تقديم قائمة بأسماء الملوك ـ أسماء فقط ـ إلى عدة طبقات بدون أي معالم عن عهودهم وزمنهم.

إن الزمن العام لعصور مملكة معين وملوكها هو (٤٠٠ق.م. ـ ٢٠٠ب.م.) ويتبين من البحث والقرائن الأثرية والزمنية التي

استقصيناها ترتيبهم إلي ستة عصور أو مراحل، تتابعوا فيها كما يلي:

ملوك عصر ملوك معين وحضرموت (٤٠٠ ـ ١٩٥ق.م.)

وهم ٧ ملوك، أولهم «صدق إيل ملك معين وحضرموت» وقد حددت دراسة البروفيسور البرايت «إن صدق إل ملك معين وحضرموت هو مؤسس مملكة معين في حوالي عام ٤٠٠ق.م». ولكن مدة حكمه غير معروفة، وقد يمكن افتراض أنه حكم زهاء ثلاثين سنة (٤٠٠ ـ ٣٧٠ ق.م).

ثم تسنم عرش معين «اليفع يثع ملك معين بن صدق إيل ملك معين وحضرموت» بينما تولى حكم حضرموت أخوه (شهر علن) ـ وربما يُنطق اسمه (شهار عليان) بمعنى (شهار العالي) ـ وقد سلف ذكر قول د. بافقيه: إن صدق إل «اقتسم إبنان له من بعده العرشين فحكم شهر علن حضرموت وحكم اليفع يثع معين». (اهـ) وقد نرى أن (شهر علن) كان بمثابة نائب لأخيه على حضرموت وأن (اليفع يثع) له الملوكية العليا لأنه (ملك معين). ويمكن تقدير مدة حكمه بحوالي ٢٥ سنة (٣٧٠ ـ ٣٤٥ق.م).

ثم تسنم عرش معين ـ فيما يرى بافقيه ـ «اليفع ريام بن اليفع يثع ليوحد المنطقتين ـ معين وحضرموت ـ تحت حكمه» (اهـ) ونرى أن اليفع ريام هذا هو الملك السادس وليس الثالث، وإن الثالث إنما هو «أب يدع يثع ملك معين» الذي يذكر بافقيه نفسه إنه «أب يدع يثع ـ الذي كان ملكاً سنة ٣٤٣ق.م. ـ والذي حكم معين في الوقت الذي كانت فيه حضرموت تحت حكم ملك آخر من نفس الأسرة كما جاء في نقش من معين»[١] ويكتسب عهد «أب يدع يثع ملك معين» أهمية لأن نقشاً معينياً من عهده يذكر أمرين: أحدهما «أن قافلة معينية تعرضت لغارة من سبئيين في موضع بين معين ورجمة» وثانيهما «إن حرباً كانت دائرة وقتها بين ميذي ومصر في وسط مصر». وهي الحرب التي دلت الدراسات على أنها الحرب بين الميديين والمصريين ما بين عام ٣٤٣ ق.م. وعام ٣٣٥ قبل الميلاد. أما الغارة التي ذكرها النقش على المعينيين فقد أدت إلى ما دلت عليه دراسة البعثة الأثرية الفرنسية في موقع دابر بالجوف بأن (يثعمر وتار مكرب سبأ) قام ببناء شيء في موقع دابر (في أواخر القرن الرابع ق.م)[٢] ويتبين

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص.

(٢) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ البعثة الأثرية الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ ١٩٨٥م.

من ربط تلك القرائن أن «أب يدع يثع ملك معين» حكم في تلك الفترة والتي كانت فيه حضرموت تحت حكم ملك من أفراد أسرته. ويمكن تقدير مدة حكم (أب يدع يثع) بالفترة ما بين (٣٤٥ ـ ٣٠٠ق.م).

ثم تسنم عرش معين «اليفع يثع» ـ الثاني ـ ثم ابنه «معد كرب ملك معين بن اليفع يثع» وقد عاصر «كرب إل يبين مكرب سبأ بن يثعمر وتار مكرب سبأ» الذي حددت البعثة الأثرية الفرنسية زمن نقش وعمل باسمه في سور (نشق) بأنه (في مطلع القرن الثالث قبل الميلاد)[١] وقد جاء في نقش معيني أن «معدي كرب ملك معين بن اليفع يثع» قام بأعمال عمرانية في مدينة (قرناو)[٢] وقرناو (قرناء) هي مدينة (معين) العاصمة نفسها. وقد ذكرها اليونان باسم «كرنوس Carnus». ويمكن تقدير مدة حكم (اليفع يثع) ثم ابنه (معدي كرب ملك معين بن اليفع يثع) بالفترة ما بين (٣٠٠ ـ ٢٧٠ق.م).

ثم تسنم عرش معين «اليفع ريام ملك معين وحضرموت بن اليفع يثع» الذي قال بافقيه إنه: «وَحَّد المنطقتين ـ معين وحضرموت ـ تحت حكمه». وربما في عهده توفي بمصر (زيد إيل بن زيد) صاحب النقش المعيني المعثور عليه في الجيزة حيث مات زيد إيل بمصر سنة ٢٦٤ق.م. وقد حكم اليفع ريام ملك معين وحضرموت ما بين ٢٧٠ ـ ٢٣٠ ق.م. تقريباً.

ثم تسنم عرش معين «أب يدع يثع ملك معين بن اليفع ريام ملك معين وحضرموت» وهو سابع ملوك ذلك العصر الذي تميز بما سماه بعض الدارسين «العلاقة الخاصة بين معين وحضرموت في الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد». وقد حكم (أب يدع يثع بن اليفع ريام) إلى حوالي ١٩٥ق.م.

ملوك معين في الفترة (١٩٥ ـ ٢٤ق.م):

ثم تسنم عرش مملكة معين ملكان يحكمان معاً وقد يعود ذلك إلى أن أحدهما يقيم في مدينة يثل (براقش) والآخر في مدينة قرناء (معين) وأياً كان

---

(١) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ البعثة الأثرية الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ ١٩٨٥م.

(٢) النقش رقم ١٦٥٢ جلاسر.

السبب فإن ملوك هذه الحقبة يتصدرهما ملكان هما «أب يدع.. ووقه إل ريام ملكي معين» في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد. ومن عهدهما نقش معيني من يثل (براقش) فيما يلي نقل لنصه بالمسند وقد نشره جلازر برقم (١٦٦٢).

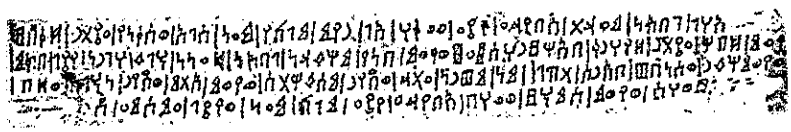

نقل لنقش معيني كان في يثل (براقش) من عهد
(أب يدع/ ووقه إل ريام/ ملكي معين). ـ القرن الثاني ق.م. ـ

ومنطوق النقش بالحروف العربية الحديثة هو:

«... أهل/ جبأن/ مودة/ أب يدع/ يثع/ ووقه إل/ ريام/ ملكي/ معين/ سلأ/ وسقني/ عثتر/ ذقبض/ يوم/ ذبح/ (ل) عثتر/ ذيهرق/ باحضرهس/ (عشر ذبائح)/ ويوم/ بنيا/ محفدن/ جبأن/ ذعنن/ خلف/ هجرن/ يثل/ بـ.. ق م/ ويوم/ حفر/ وسنبط/ بضرس/ تكل/ من/ مطرن/ عتد/ وصير/ مسفحتس/ ويوم/ اتم/ وصير/ نخلس/ وذب/ ..... / ضوحس/ ويوم/ سمخض/ ووهب/ أب يدع/ يثع/ ملك/ معين/ ويثل/ ومسمع/ صر....» (اهـ).

ومحتوى النقش أن:

«... أهل جبأن أحباب (مودة) أب يدع يثع ووقه إل ريام ملكي معين ـ لأنهما ـ أودعا وأقنيا ـ الإله ـ عثتر ذي قبض بمناسبة ذبح عشر ذبائح لعثتر ذيهرق وبناء محفد جبأن ـ المسمى ـ ذي عنن خلف مدينة يثل...».

ويذكر بقية النقش حفر آبار وعمل منشآت زراعية بمناطق يثل... ويوجد انطماس والتباس في بعض الحروف والمحتوى العام هو حفر واستنباط آبار وعمل منشآت زراعية وإن الملك وهبها للأهالي.

ثم تسنم عرش معين ملكان أيضاً هما «وقه إيل يثع وابنه اليفع يشر ملكي معين» وقد تم العثور على نقش هام من عهدهما أثار اهتمام الدارسين. وفيما يلي نقل لنص النقش بالمسند[1].

(١) النقش رقم ١١٥٩ جلاسر.

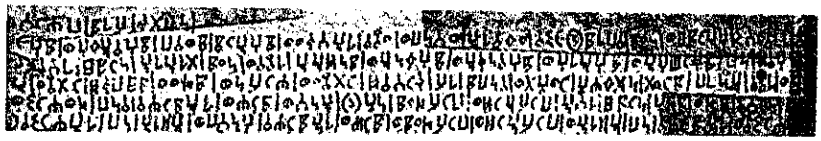

نقل لنص نقش معيني كان في براقش من عهد (وقه إيل يثع وابنه اليفع يشر ملكي معين وشهر يجل يهرحب ملك قتبان) ـ القرن الثاني ق.م. ـ

ومنطوق النقش بالحروف العربية الحديثة هو:

«يشرحئيل/ بن/ الذا/ وبهنس/ يحرمئيل/ وحرم/ ومعدي كرب/ وذراكرب/ والذا/ بن/ يحرمئيل/ ويشرحئيل/ وشرح ود/ بني/ يحرمئيل/ وحرم/ وهنأ/ . . . س ن/ معدي كرب/ وذراكرب/ أهل ضمران/ أدم/ ود/ شهرن/

سلا/ عشتر/ ذقبضم/ وودم/ ونكرح/ وعشتر/ ذيهرق/ كل/ مبني/ وتصور/ صحفتن/ تعرم/ بجنا/ يثل/

ورثد/ أهل/ ضمران/ الآلة/ معين/ ويثل/ أأذنم/ وانقسم/ واقنيسم/ وسلاسم/ واسطرسم/ بن/ . . يسن . . / رسم/ وسفايسم/

بيوم/ مرأسم/ وقه إل/ يثع/ وبنهو/ اليفع/ يشر/ ملكي/ معين/ وبمراس/ شهر يجل/ يهرحب/ ملك/ قتبان/ » ـ انتهى.

ومحتوى ومعنى هذا النقش أن:

(بشرحئيل بن الذا، وبنيه يحرمئيل وحرم ومعدي كرب وذراكرب، والذابن يحرمئيل ويشرحئيل وشرح ود بني يحرمئيل. وحرم وهنأ بني معد كرب وذراكرب، أهل ضمران، عبيد الإله ود، استودع واستحفظ (سلا) الآلهة عشتر ذي قبض وود ونكرح وعشتر ذي هرق كل مباني وتصاوير صحيفة تعرم بجنا مدينة يثل.

وأحفظ (رثد) أهل ضمران آلهة معين ويثل حواسهم وأنفسهم وأقنسهم وأسلاسهم وأسنانهم. .

في أيام رئاسة وقه إل يثع وابنه اليفع يشر ملكي معين ورئاسة شهر يجل يهرحب ملك قتبان) (اهـ).

وقد أثار ذكر ملكي معين وملك قتبان في النقش اهتمام الدارسين. ويرى د. خليل نامي «أن أهل ضمران كانوا من القتبانيين الذين كانوا يعيشون في مدينة يثل ولذلك أرخوا نقشهم باسم ملكي معين ـ البلد الذي يعيشون فيه ـ وختموا نقشهم باسم ملك قتبان الذين يدينون له بالولاء» بينما يرى د. محمود الغول «أن آل ضمران إنما هم معينيون وليسوا قتبانيين لأن عشيرة آل ضمران لم تعرف في

أي نقش آخر سوى نقش معيني من العلا (ددان)... إلخ»[١] وخلاصة الرأي أن عشيرة ضمران كان بعضهم في يثل وبعضهم في العلا وبعضهم في قتبان، ولذلك ذكروا في النقش ملكي معين وملك قتبان.

وقد كان بعض الدارسين يحددون زمناً متقدماً لملكي معين وملك قتبان المذكورين في النقش. ولكن دراسة البروفيسور البرايت أتاحت وتتيح إدراك زمنهم الصحيح.

إذْ أن (شهر يجل يهرحب ملك قتبان) المذكور في النقش قد تم العثور في تمنع ـ عاصمة قتبان ـ على قطعة نقدية ذهبية مسكوكة في عهده وعليها اسمه. وقد حددت دراسة أثرية للبروفيسور البرايت زمن تلك القطعة النقدية بالنصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد (ما بين ١٥٠ ـ ١٠٠ق.م).

وبالتالي فإن ذلك هو أيضاً زمن عهد (وقه إل يثع وابنه اليفع يشر ملكي معين) لأنهما ـ كما ينطق نقش بني ضمران ـ عاصرا (شهر يجل يهرحب ملك قتبان).

وقد سلف ذكر النقش المعيني في جزيرة ديلوس اليونانية وإن الدارسين حددوا زمنه بالنصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد. وبالتالي يكون ذلك في عهد (وقه إل يثع وابنه اليفع يشر ملكي معين) وننتهي من مجمل ما تقدم أن عهدهما كان إلى حوالي عام ١٠٠ ق.م.

وقد افترض بعض الدارسين ومنهم (موللر) أن مملكة معين انتهت حوالي عام ١١٥ق.م. وهو افتراض خاطئ، فقد دلت دراسة البروفيسور ألبرايت على استمرار وجود مملكة معين إلى عام ٢٥ق.م. وتحدث سترابون عن مملكة معين بعد عام ٢٤ق.م.

لقد حكم (وقه إل يثع وابنه اليفع يشر ملكا معين) إلى حوالي عام ١٠٠ قبل الميلاد، ثم تسنم عرش معين ملكان أيضاً هما:

«اليفع يشر وابنه حفن ريام ملكا معين»

في النصف الأول من القرن الأول ق.م. (ما بين ١٠٠ ـ ٥٠ق.م). وقد تم العثور على نقش من عهدهما في يثل (براقش) وهو النقش التالي نصه بالمسند[٢].

---

(١) نقوش قتبانية ـ د. محمود الغول ـ ص٤٣٢.

(٢) النقش رقم ١٢٣٤ جلاسر.

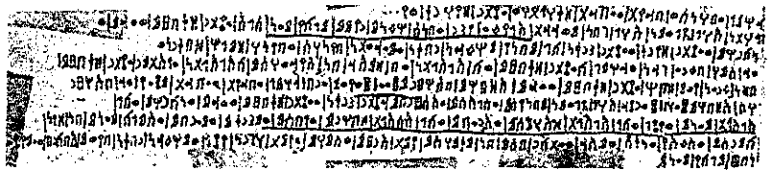

نقل لنقش معيني كان في براقش من عهد
«اليفع يشر وابنه حفن ريام ملكي معين» ـ القرن الأول ق.م. ـ

ومنطوق هذا النقش بالحروف العربية الحديثة هو :

«دحمل/ وبهنسو/ بديت/ وفكدت/ ذقهلتهو/ عثتر/ ذيهرق/ وي . . . / لهتن/ أهل/ ظلومن/ أهل/ جبن/ مودت/ اليفع/ يشر/ وبنه/ حفنم/ ريمم/ ملكي/ معين/

سلأ/ عثتر/ / ذقبضم/ وودم/ ونكرحم/ وعثتر/ ذيرق/ وعثتر/ شرقن/ كل/ مبني/ محفدن/ ربقان/ ومعدوتن/ بينهس/ وبينه/ ذي ملح/ ذي بقرنو/

عد/ سمح/ بفرع/ جدن/ ودحمل/ كعثتر/ ذقبضم/ وك/ الألتن/ وب/ ذم أد/ بن/ ايدوحسم/ كألالتن/ وياتمر/ ذقبضم/ بذن/ فرعن/ يوم/ ذبح/ عثتر/ ذقبضم/ وودم/ اذبحم/ باحضرم/ عشرين (ع ع أ)/ ويوم/ عرب/ دحمل/ وبديت/ وعبدة/ مثعي/ عد/ باحضرهس/ إذبحم (سبعين/ (ع خ أ أ)/

ورثد/ أهل/ ظلومن/ مبنيسم/ وسلاسم/ واسطرسم/ عثتر/ شرقن/ وعثتر/ ذقبضم/ وودم/ ونكرحم/ وكل/ الألت/ معينم/ ويثل/ وكل/ الألت/ ذي أخمسم/ واشعبم/ وكل الألت/ ذي بحرم/ ويبسم/ ومشرقم/ ومغربم/ واملك/ معينم/ بن/ ذين/ كمرسم/ وسفاي/ ونقص/ وماد/ وعتكر/ بعم/ بن/ مقمهسم/ يمت/ ارضم/ وسمهم/ ويمت/ هجرت/ يثل/ ومحفدن/ ربقان/ بيوم/ ابكرب/ وعميثع/ نبط/ ملكي/ معين/ » ـ انتهى ـ.

ومحتوى هذا النقش أن:

(دحمل وأبنائه بادية وفكدة . . . أهل ظلومان، أحباب (مودة) اليفع يشر وابنه حفن ريام ملكي معين، أودع واستحفظ (سلا) الآلهة (عثتر ذي قبض وودّ ونكرح وعثتر ذيرق وعثتر شارق) كل مباني محفد ربقان وأملاكهم التي في ملح بمدينة قرناو.

وإن دحمل وأبنائه ذبحوا للآلهة المذكورة أربعين ذبيحة باحضرم . . . وسبعين ذبيحة باحضرهس . . . واستحفظ (رثد) أهل ظلومان مبانيهم وسلاسهم وأسطرهم الآلهة عثتر الشارق وعثتر القابض وودّ ونكرح وكل آلهة معين ويثل

وكل آلهة الجيوش والشعوب (أخمسم وأشعبم) وكل آلهة البحار واليابسة (ذبحرم ويبسم) والشرق والغرب (ومشرقم ومغربم)، وملوك معين (الذين سيرأسونها)... ما دامت الأرض والسماء وما دامت مدينة يثل ومحفد ربقان.

(وسطروا هذا) في عهد (بيوم أبكرب وعميثع نبط ملكي معين». (اهـ).

ويتبين في هذا النقش:

أ ـ الإيمان المعيني والاعتراف بكل الآلهة «آلهة معين، وآلهة كل الجيوش والشعوب وكل البحار واليابسة ومشارق الأرض ومغاربها..» وقد سلف تبيين أن النشاط التجاري المعيني كان يمتد إلى العراق وفارس والهند والشام ومصر واليونان وروما وكل الآفاق الممتدة. ولذلك جاء الدعاء في النقش بذكر (آلهة معين ويثل وآلهة كل الشعوب والجيوش والبحار واليابسة والمشرق والمغرب.

ب ـ يذكر أصحاب النقش في بداية النقش «اليفع يشر وابنه حفن ريام ملكي معين» ويبدو أن النقش تمت كتابته في أواخر عهدهما وأنهما ما لبث أن ماتا.

جـ ـ يذكر أصحاب النقش في خاتمته ملكين جديدين هما (أبكرب وعميثع نبط ملكي معين).

وبالتالي فإنه بعد (اليفع يشر وابنه حفن ريام ملكي معين) تسنم عرش معين ملكان أيضاً هما (أبكرب وعميثع نبط ملكي معين) يمكن تقدير عهدهما ما بين ٥٠ ق.م. ـ ٢٤ ق.م.

الحملة الرومانية على أرض معين وسبأ (٢٤ ق.م):

في عام ٢٤ ق.م قام الأمبراطور الروماني (أوغسطس إكتافيوس) بتوجيه حملة عسكرية إلى اليمن بقيادة (إليوس جاليوس) حاكم مصر، وقد كتب خبر الحملة المؤرخ الروماني سترابون ـ الذي يذكر بافقيه أنه «معاصر القائد الروماني إليوس جاليوس وصديقه»[1] انطلق إليوس جاليوس على رأس عشرة آلاف مقاتل روماني من مصر (وكانت مصر والشام تحت حكم الرمان) واصطحب جاليوس معه الوزير سيلوس (صالح) وزير عبدوس النبطي ملك البتراء ليدلهم على الطريق في اليمن (بلاد العربية السعيدة) وبالتحديد إلى (أرض إنتاج اللبان والبخور في العربية السعيدة).

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٨٢.

وقد وصلت الحملة الرومانية بالسفن إلى ميناء (لايكه كومه) في (ينبع/ جدة) وذلك «بعد أن غرقت بعض سفنهم بمن فيها من الجنود الرومان، بسبب سوء اختيارهم لنوعية السفن»، وبعد أيام من الراحة في لايكة كومة (ينبع) هاجم الرومان منطقة نجرانا (نجران المعينية) فهرب حاكم نجران دون مقاومة، إلا أنه في الطريق بين نجران ونشق حدثت معركة عند نهر قُتِل فيها ـ كما زعم سترابون ـ عشرة آلاف من العرب في مقابل اثنين من الرومان ـ وهي مبالغة ساذجة ومكشوفة إلا إذا كان الرومان دفعوا في مقدمة جيشهم الأنباط الذين كانوا معهم وكانوا عدة آلاف فوقع القتل فيهم ولم يُقتل إلا اثنان من الرومان. ثم سار الرومان إلى مدينة أسكا (نشق) التي ـ كما قال سترابون ـ سلّمها ملكها دون مقاومة. ثم سار الرومان من نشق إلى أثرولا وهي (يثل/ براقش) التي ـ كما قال سترابون ـ سقطت أيضاً من غير مقاومة. وقد تعرضت مدينة يثل لبعض التدمير والتخريب من جانب الرومان.

وبعد سقوط يثل أصبحت الطريق مفتوحة إلى أرض (سبئي) وعاصمتها (ماريابا) وقد كان هدف الحملة الرومانية السيطرة على (أرض سبئي التي تنتج اللبان والبخور) وعاصمتها مدينة (ماريابا) التي وصفها سترابون بأنها مدينة الرامايتي (أريمان) التابعين للملك (إيلازاروس). وقد افترض (جام) أنه (إل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان) وهو افتراض خاطئ فزمن (إيل شرح يحضب) قديم في عصور ملوك سبأ التبابعة ـ كما سلف التبيين ـ أما (إيلشرح) الذي كان أيام الحملة الرومانية فقد أثبتت دراسة البعثة الأثرية الفرنسية: «إن إيلازروس الذي ذكره سترابون قد يكون (إل شرح مكرب سبأ شقيق ذمر علي بين مكرب سبأ وابن سمهعلي ينف مكرب سبأ. وهو كبير الريمتي الذين ذكرهم سترابون»[1].

وقد حاصر الرومان مدينة (ماريابا) حصاراً طويلًا عدة أشهر ثم اضطروا إلى النكوص عنها بسبب قلة المياه والمؤن كما قال سترابون. وعاد إليوس جاليوس بجيشه خائباً بعد أن علم من الأسرى العرب إنه كان على بعد مسيرة يومين من أرض البخور. وقد استغرقت الحملة إلى مأرب (ماريابا) ستة أشهر لأن الوزير النبطي صالح لم يُحسن إرشادهم ـ أو قام بتضليلهم ـ ولكن العودة إلى ميناء نجران الذي يُعتقد أنه ينبع استغرقت ستين يوماً فقط، وعادت الحملة

(١) تاريخ اليمن القديم ـ بافقيه ـ ص٨٥ ـ عن كتاب (نقوش العربية الجنوبية ـ وايسمان وهيرمان).

الرومانية بالإخفاق والفشل وتم إتهام الوزير صالح بالخيانة وحكموا عليه بالإعدام.

استمرار مملكة معين
وكرونولوجيا ملوكها بعد الحملة الرومانية
(٢٤ق.م. ـ ٢٠٠ب.م.)

لقد افترض البروفيسور إلبرايت أن مملكة معين انتهت حوالي عام ٢٥ قبل الميلاد[١] ـ أي في وقت الحملة الرومانية ـ بينما حددت دراسة (بيرين) عام ٢٠٠ ميلادية زمناً لنهاية مملكة معين[١] ـ أي إن مملكة معين استمرت بعد الحملة الرومانية زهاء مائتين وعشرين سنة ونيف، وهو الصواب الذي تدل عليه المصادر الرومانية والنقوش المعينية.

لقد كتب سترابون الروماني عن واقع اليمن (بلاد العربية السعيدة) في وقت الحملة الرومانية (٢٤ق.م). وبعد إخفاق تلك الحملة، فقال: إن اليمن «بلاد العربية السعيدة فيها أربعة شعوب (ممالك): المعينيون وعاصمتهم كرنوس CARNUS (قرناو)، والسبئي وعاصمتهم ماريابا (مأرب)، والقتبانيون وعاصمتهم تمناة (تمنع)، وحضرموت وعاصمتهم سباتا (شبوة)...»[٢] وقال: «إن أرض معين تمتد إلى ـ وفي الجزء المحاذي للبحر الأحمر» ـ أي المناطق الساحلية غرب نجران بأعالي تهامة اليمن وعسير إلى ينبع غالباً ـ وقال: «إن المعينيين يحملون تجارتهم إلى البتراء مدينة الأنباط»[٢] أي إلى شرقي الأردن وأداني الشام ثم منها إلى غزة والبحر الأبيض المتوسط.

وبعد (سترابون) كتب المؤرخ الروماني بليني (سنة ٧٩م) عن واقع اليمن (بلاد العربية السعيدة) فذكر المعينيين والسبئيين والحميريين وحضرموت. وقد نقل بافقيه أنه (قال بليني: وإلى جوار الحضارمة المعينيون وهم قوم يخترق بلادهم الممر الوحيد للبخور عبر طريق واحد ضيق. وهم أول من مارس هذه التجارة وما زالوا يمارسونها أكثر من غيرهم حتى إن البخور ليعرف بالمعيني نسبة إليهم»[٣] وكذلك: «ذكر بليني المعينيين إلى جانب الحميريين كأكثر الجماعات عدداً وأخصبهم أرضاً وأغزرهم نخلاً وأكثرهم امتلاكاً للمواشي»[٣].

---

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٨.

(٢) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٢٥.

(٣) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٤ و٣٩.

وبعد (بليني) كتب بطليموس (سنة ١٦٠م) عن المعينيين ووصفهم بأنهم «شعب عظيم»[١]. ويتبين مما ذكره سترابون عن المعينيين (سنة ٢٠ق.م). وما ذكره عنهم بليني (سنة ٧٩ ميلادية) وما ذكره عنهم بطليموس (سنة ١٦٠ ميلادية) استمرار وجود مملكة معين وعظمة شعبها ونشاطها التجاري في تلك القرون حتى أواخر القرن الثاني بعد الميلاد.

لقد تعاقب على عرش معين ـ بعد الحملة الرومانية ـ أربعة ملوك تذكرهم بعض القوائم بأنهم (الطبقة الرابعة من ملوك معين) وقد حكموا نحو (٩٥ سنة) ويدل استمرار مملكة معين على أن زمنهم الصحيح من حوالي عام ٢٤ق.م. إلى عام ٧٠ بعد الميلاد. وهم:

ـ اليفع ملك معين (اليفع/ يفيس؟)

ـ وقه إل صدق ملك معين بن اليفع. وقد تم العثور على نقش باسمه في يثل (براقش) يذكر أن «وقه إل صدق ملك معين بن اليفع» قام بأعمال عمرانية واسعة في مدينة يثل. وبما أن مدينة يثل تعرضت للتخريب والتدمير في الحملة الرومانية عام ٢٤ق.م. يمكن القول أن (وقه إل صدق ملك معين) قام بإعادة تعمير مدينة يثل بعد ذلك في أواخر ذلك القرن الأول قبل الميلاد ما بين عام ٢٠ ـ ١ق.م.

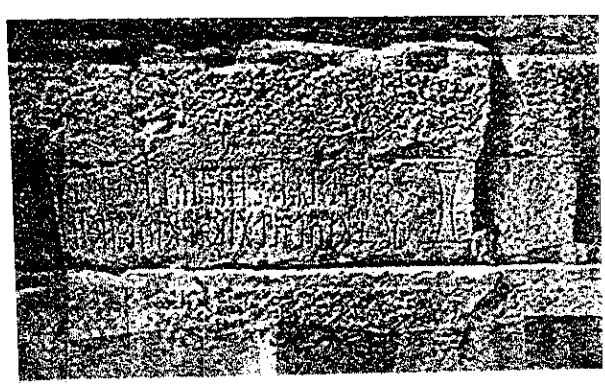

مقدمة نقش في يثل باسم (وقه إل صدق ملك معين)
يذكر أعمالاً عمرانية في مدينة يثل ـ أواخر القرن الأول ق.م. ـ.

ـ ثم تسنم عرش معين الملك (أبكرب يثع ملك معين) في النصف الأول من القرن الأول الميلادي.

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٤ و٣٩.

ـ ثم تسنم عرش معين الملك (عميدع نبط ملك معين) وقد عاصر (شهر هلل يهقبض ملك قتبان) و(يدع ال وتار مكرب سبأ).

وكان (عميدع نبط) رابع وآخر ملوك الأسرة ـ أو الطبقة ـ الرابعة ـ من ملوك معين، وانتهى عهده حوالي عام ٧٠ ب.م.

ثم تعاقب على عرش معين سبعة ملوك، هم الأسرة أو الطبقة الخامسة من ملوك معين، وقد حكموا زهاء (١٣٠ سنة) وكان بعض الدارسين يحدد لهم زمناً متقدماً، ولكن استمرار مملكة معين إلى ٢٠٠ ب.م. يدل على أن زمنهم الصحيح كان من ٧٠ ـ ٢٠٠ ميلادية. وهم:

ـ (أب يدع ملك معين): وقد عاصر (يدع إل وتار مكرب سبأ) و(شهر هلل يهقبض ملك قتبان) الذي انتهى عهده بإحراق وخراب مدينة تمنع عاصمة قتبان (سنة ٩٠ ـ ١٠٠م). على يد (يدع إيل ملك حضرموت) وبني معاهر الحميريين، وبعام ٧٠ ميلادية يبدأ تقويمهم السنوي (العبهلي).

ـ (خل كرب صدق بن أب يدع ملك معين). ويوجد باسمه نقش منحوت على عدة قطع حجرية في يثل (براقش) يذكر قيام (خل كرب صدق بن أب يدع ملك معين) بأعمال عمرانية، ويسأل من الآلهة ـ في القسم الأخير من النقش: أن تحفظهم وترعاهم «في الحرب والسلم» وأن يعم السلام الأرض والسماء «سلمم/ يعمى/ أرضم/ وسميم». مما يشير إلى وقوع حروب واسعة في ذلك العهد في أرجاء واسعة من الأرض.

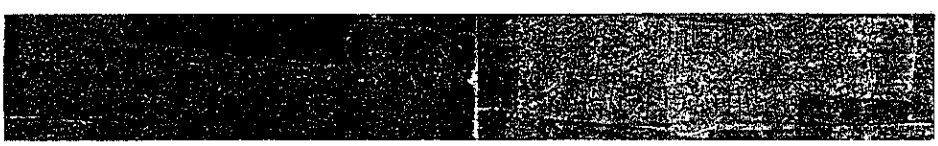

صورة نقش مسند في يثل (براقش) باسم (خل كرب صدق بن أب يدع ملك معين) يذكر قيامه بأعمال عمرانية ويسأل الآلهة أن تحفظهم «في الحرب والسلم» وأن «يعم السلام الأرض والسماء»؟!

ويتفق ذلك الدعاء في النقش مع واقع تلك الفترة، فقد شن (العزيلط ملك حضرموت) و(عميده يحمد بن معاهر) حروباً امتدت إلى البحر الأحمر غرباً والخليج العربي شرقاً. وامتد سلطانهما إلى الحبشة وإلى الخليج. وقامت في شمال العراق والجزيرة الفراتية دولة الحضر (عربايا) برئاسة نشر يهب (٨٥ ـ ١٠٥م). وقام الرومان بغزو واجتياح الشام وقضوا على مملكة البتراء عام ١٠٦م. ثم زحف الرومان إلى العراق بقيادة الملك الروماني (تراجانس) الذي بلغ بابل وغزا تخوم فارس ثم وقعت اضطرابات في بلاد الرومان فانسحب

(تراجانس) عائداً إلى بلاد الرومان ولكنه مات في الطريق عام ١١٧م. وقد حكم (خل كرب صدق ملك معين) إلى حوالي عام ١٢٥م.

ـ ثم تسنم عرش معين ملكان هما «اليفع ريام وابنه هوف عثت ملكا معين». ويوجد من عهدهما نقش مسند في أطلال يثل (براقش) يذكر القيام بأعمال عمرانية. وقد جاء اسمها في السطر الثاني من النقش بلفظ: «اليفع/ ريم/ وبنس/ هوفعثت/ ملكي/ معين».

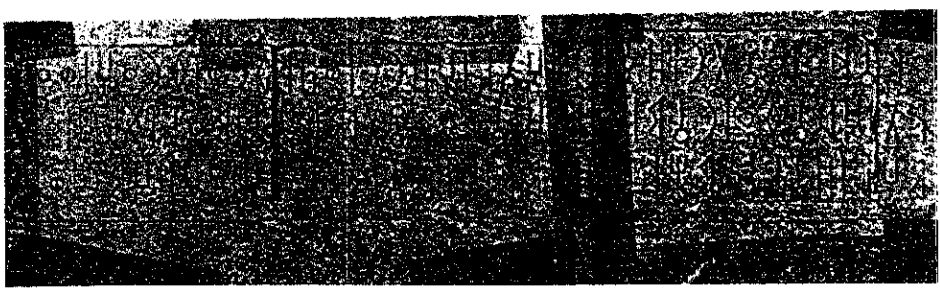

صورة نقش كان في يثل (براقش) باسم (اليفع ريام وابنه هوف عثت ملكي معين)

ـ ثم تسنم عرش معين ملكان أيضاً هما «يثع أل ريام وابنه تُبّع كرب ملكا معين». وتم العثور على نقش من عهدهما كتبه (ثوب إيل وابنه يسلم بنو هاني)[1] ـ وهما رؤساء منطقة جوّ (اليمامة) وما كان إليها من أعالي نجد حيث جبليّ طيئ أجا وسلمى ـ وقد ذكر ابن خلدون أنه «كانت رئاسة طيئ في بني هاني بن عمرو بن الغوث بن طيئ» ـ ومنهم (ثوب إيل وابنه يسلم بنو هاني).

وقد جاء في نقشهم المسند أنه:

«في أيام يثع أل ريام وابنه تُبّع كرب ملكي معين، وضع (ثوب إل وابنه يسلم بنو هاني وأهل دابر وقفيهم وكتابتهم في حماية عثتر شرقن ذي قبض وود ونكرح وعثتر ذيهرق، وكل آلهة معين ويثل، وكل آلهة ومحامي وملوك وشعوب سبأ وجوّ»[1].

ويقول د. بافقيه: «لما أنه يكاد يكون من المتفق عليه أن الملكين المعينيين المذكورين في النقش من الملوك المتأخرين فقد عدّ البعض ذكر آلهة سبأ وملوكها وشعوبها دلالة على اعتراف المعينيين بالتبعية لسبأ، ولكننا لا نرى في هذه

(١) النقش رقم ٤٨٥ هاليڤي.

الإشارات ما يخول لنا إصدار أحكام قاطعة في العلاقات والأوضاع السياسية»[١].

ونرى أن ذكر «آلهة ومحامي وملوك وشعوب سبأ» في النقش دلالة على أن المعينيين في الأصل من شعوب سبأ. وقد كان «يثع إل ريام وابنه تُبّع كرب ملكيّ معين» من آخر ملوك معين، وفي أوائل عهدهما الذي استمر حوالي ٣٥ سنة (ما بين ١٥٥ ـ ١٩٠م) كتب بطليموس الروماني (سنة ١٦٠م) عن بلاد العربية السعيدة وممالكها (معين وسبأ وحمير وحضرموت) وقال: «إن المعينيين شعب عظيم». كما رسم بطليموس خريطة لليمن (العربية السعيدة) ذكر فيها مدينة (يثل) العاصمة المعينية.

وقد عاصر (يثع إل ريام وابنه تُبّع كرب ملكي معين) ملوك تلك الفترة ومنهم (نبط عم ملك قتبان) و(كرب ال وتر مكرب سبأ) و(العزيلط ملك حضرموت ١٨٠ ـ ٢٢٠م). وانتهى عهد (تُبّع كرب ملك معين) حوالي عام ١٩٠م.

ـ ثم تسنم عرش معين «أب يدع حفنوم ملك معين» وهو الملك الأخير في قوائم ملوك معين. وقد دلت دراسة البعثة الأثرية الفرنسية أن مملكة قتبان انتهت سنة ٢٠٠م. وكذلك حددت دراسة (بيرين) سنة ٢٠٠م زمناً لنهاية مملكة معين. وهو أيضاً زمن نهاية دولة مكارب سبأ. لقد انتهت دولة مكارب سبأ بانهيار سد مأرب القديم الثاني ونزوح الأزد من أرض مأرب. وانتهت مملكة قتبان لأن بني معاهر الحميريين والعزيلط ملك حضرموت اجتاحوا قتبان (عام ٢٠٠م)، وامتدت دولة بني معاهر الحميرية إلى مأرب. وفي نفس تلك الفترة انتهت مملكة معين وكان (أب يدع حفنوم) آخر ملوك معين.

وبذلك ننتهي من تاريخ مملكة معين وكرونولوجيا ملوك معين الذين حكموا ستمائة سنة ـ من ٤٠٠ ق.م. ـ ٢٠٠ ب.م ـ وكان أولهم (صدق إل ملك معين وحضرموت) وآخرهم (أب يدع حفنوم ملك معين). ثم باتت مدينة يثل (براقش) كما قال علقمة بن ذي جدن:

وبراقش المُلك الرفيع عمادها هجر الملوك كأنّها لم تُهجر

وقد بهرت عظمة حضارة وآثار المعينيين بالجوف علماء الباحثين ابتداء من (هاليفي) إلى (أحمد فخري) الذي قال: «إن معابد عشتر في الجوف التي

(١) تاريخ اليمن القديم ـ بافقيه ـ ص٣٩.

بُنيت بهذه القطع الفخمة من الجرانيت لها مظهر يذكرنا بمعابد مُعَيّنة في مصر، مثل معبد الوادي للهرم الثاني في الجيزة ومعبد الأسيريون في أبيدوس. فهندسة هذه المعابد المعينية بالجوف والزخارف على مداخلها الجرانيتية تضع نصب الحضارة المعينية في مركز عالٍ، وترغمنا على مقارنة حضارة بلاد العرب الجنوبية بالحضارات العظيمة الأخرى في الشرق كمصر وبلاد الرافدين.

. . إن علينا أن نتطلع إلى مدن الجوف فهناك تحت أنقاض مدنه. . . واحدة من أعظم حضارات الشرق القديم»[١].

المبحث الثاني

دولة قتبان.. تاريخها وملوكها
(٥٢٥ ق.م.ـ ٢٠٠ ب.م.)

في ذات الوقت الذي قامت فيه دولة معين بأواسط القرن السادس قبل الميلاد (حوالي عام ٥٢٥ ق.م.) قامت أيضاً دولة قتبان بقيادة مدينة (تَمْنَع) التي تقع على الضفة اليسرى من إسفل وادي بيحان، ويُعرف موقعها حالياً باسم (هَجَر كُحْلان). يقول الباحث الألماني كلاوس شيبمان: «إن مملكة قتبان مملكة مهمة، امتدت مناطقها الأساسية في وادي بيحان، جنوبي سبأ، وعاصمتها تمنع. وبداية تاريخ هذه المملكة مختلف عليه «بالطبع» أيضاً»[٢] ثم «. . . في نحو ٤٠٠ق.م. توسع نطاق حكم قتبان بشكل كبير، إذ وصل نفوذها حتى المحيط الهندي ـ جنوباً ـ، وفي الشمال حتى واحة الجوبة التي تبعد مسافة مسير يوم من مأرب»[٢].

لقد كان أوائل علماء الآثار والمستشرقون الأكاديميون يقدرون بداية قتبان بالقرن الرابع عشر أو القرن الثاني عشر قبل الميلاد ـ مثل تقديرهم لبداية معين ـ ثم أصبح العلماء والدارسون يحددون بداية معين وكذلك قتبان بحوالي عام ٥٠٠ق.م. أو قبل ذلك بأمد يسير. وذلك بفارق نحو ٧٠٠ سنة على الأقل؟! ونذكر هنا النبأ اليقين:

---

(١) رحلة أثرية في اليمن ـ د. أحمد فخري ـ ص١٥١ و١٥٣.

(٢) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٧٠.

أولاً

تبيين سبئية قتبان..
وإن قتبان كانت جزءاً من دولة سبأ ٩٠٠ سنة

إن (قتبان) اسم قبيلة حميرية سبئية كبيرة، وهم «قتبان بن ردمان بن وائل بن الغوث بن جَيْدَان بن قَطَن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حِمْيَر ـ الأكبر ـ بن سبأ ـ الأكبر ـ بن يشجب بن يعرب بن قحطان».

قال الهمداني في الإكليل: «أولد وائلُ بن الغوث بن جَيْدَان: عبد شمس، ورَدْمان، والثَّوجَم، بني وائل ابن الغوث بن جيدان. ويُقال إن علقمة بن ذي جَدَن عَنَىٰ في شعره عبد شمس ـ بن وائل ـ هذا دون عبد شمس ـ سبأ ـ بن يشجب حيث يقول:

وأبينا عبد شمس وابنه أيمن القَيْل وذي التاج قَطَنْ

فأولد ردمان بن وائل بن الغوث: قُنْيَان (وهو قانية)... والأملوك بن ردمان، وهم الذين قال فيهم رسول اللّه ﷺ: «اللهم صلِّ على الأملوك أملوك ردمان». وقال الأبرهي: الأملوك وعبد شمس وردمان بنو وائل، فدخلت الأملوك في ردمان. وليس كذلك، وحديث رسول اللّه ﷺ يدل على أنه ابن ردمان لقوله: «وعلى الأملوك أملوك ردمان». قال (الأبرهي): «وأولد الأملوكُ علقمة وقُريعاً وسعداً وأسداً وظبيان وساعدة، فأولد ردمان: خَثُوم، وخدام، ووعلان، وشعبان، وقاينة، وقترا». وقال هشام ابن الكلبي: ردمان من حِمْيَر.. وأولد ردمانُ: قانية وذا حَلْقان وكلّة وقرناً ثلاثة أبطن. فمن قرن أويس القرني ـ وهو من خيار التابعين.. أقرأه رسول اللّه ﷺ السلام على لسان عمر بن الخطاب... وأولد كلّة بن ردمان: منجشان بن كلّة، فأولد منجشان بن كلّة مُدِّلِه... (قال) وعلماء حِمْيَر تأبى ذلك ويقولون: قرن من ولد قُنيان وهو قانية»[1].

ثم قال الهمداني: «... الأملوك بن ردمان ابن وائل بن الغوث بن جيدان. وفي الفرع: قُتبان بن ردمان، وبه نأخذ. وقينان وهو قاينة بن الأملوك بن ردمان»[2].

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤١ جـ٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٩٤ جـ٢.

وقول الهمداني: «وقُتبان بن ردمان، وبه نأخذ» ـ قال القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش ما يلي: «هنا ضبطها بالقلم (قُتبان) بضم القاف ثم تاء مثناة من فوق ثم باء موحدة وألف ونون. وقال المؤلف: (أي الهمداني): وبه نأخذ، وأنا معه. [أي إن قتبان بضم القاف]... وعلى هذا فيكون لردمان ولدان: قُتبان وقينان. وإن قينان (هو قاينه) وإن قاينه ولد للأملوك بن ردمان لا ولد لردمان نفسه»[1].

ويتبين من مجمل ذلك أن (قتبان) ـ بضم القاف، أو بفتح القاف كما هو شائع ـ قبيلة حمْيَريّة سبئية تليدة، وهي (قتبان بن ردمان بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَنْ بن عَريب بن زَهير بن أيمن بن الهميسع بن حِمْير بن سبأ».

وإنه «كان لردمان ولدان: قتبان وقينان» ـ وقد جاء اسم قينان تارة بهيئة (قُنيان) وتارة بهيئة (قينان) ـ ولعل (قنيان) تصحيف من بعض الناسخين ـ والأصوب (قينان). قال أبو سليمان الطائي:

«إلى قينان كلّ أغلب رائش»[2]

وكان اسم (قتبان) يجمع كل بطون وعشائر (ردمان) وهُم: الأملوك، وعلقمة، وقريع، وسعد، وأسد، وظبيان، وساعدة، وخنوم، وخُذام، ووعلان، وشعبان، وقاينة، وقترا، وذا حلقان، وكلّة، وقرن، وهم زهاء ١٦ بطناً... فأولئك هم (قتبان) وهم قبيلة حميرية سبئية تليدة.

لقد كانت (قتبان) و(ردمان) موجودة كقبيلة ومنطقة منذ القرن الرابع عشر أو القرن الثاني عشر ق.م. ولذلك كان علماء الآثار والمستشرقون الأوائل يقدرون بداية قتبان بالقرن الرابع عشر أو القرن الثاني عشر ق.م. ثم أثبتت الدراسات العلمية النقوشية أن بداية دولة قتبان لا ترجع إلى ما قبل عام ٥٠٠ ق.م. ـ أي بعد تسعمائة سنة أو سبعمائة سنة من الزمن الذي كان يحدده العلماء الأوائل ـ ولكن هذا التحديد الزمني الأخير لبداية دولة قتبان لا يجب أن يُلغي تاريخ وآثار القرون التسعة السابقة في منطقة قتبان والتي على ضوئها حدد العلماء الأوائل زمن بداية قتبان وإنها كانت موجودة في تلك القرون، فقد كانت موجودة بالفعل، غاية ما في الأمر أن (قتبان) في تلك القرون لم تكن دولة وإنما كانت جزءاً من دولة سبأ في عصور ملوك سبأ التبابعة.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٩٤ جـ٢.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧٥.

وقد دلت وتدل التنقيبات الأثرية والنقوش على :

أ ـ «إن مقر تجمع قبيلة قتبان في الأصل هو أعلى وادي بيحان، بين كُحلان وبيحان القصب وحيث تقع اليوم هَجَر بن حميد. وقد كان ذلك المكان عامراً بالسكان منذ القدم.. ويمتاز المكان بكونه استراتيجياً وهاماً (على طريق القوافل) حيث يفضي إلى نقيل مبلقة الصعب المرتقى. وقد نُقِبَ في هجر بن حميد وتم إزاحة التراب عن عشرين طبقة مختلفة، تقع سفلاها وأقدمها على عمق ١٥ متراً، ويُقدر تاريخها بأحد عشر قرناً قبل الميلاد، واستناداً إلى ذلك فإن وادي بيحان أي أرض قتبان من أقدم مناطق السكنى في اليمن»[١].

ب ـ وقد قامت البعثة الأثرية الأميركية برئاسة (وندل فيلبس) بالتنقيب في موقع (هجر بن حميد) سنة ١٩٥١م حيث عثرت البعثة على آثار وكتابة نقوشية حدد علماء البعثة عودة زمنها إلى القرن الحادي عشر ق.م. والقرن العاشر ق.م. ومنهم البروفيسور ألبرت جام[٢] والدكتور فان بيك الذي أكد عودتها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

وكذلك كشفت تلك البعثة موقع معبد في (تمنع/ هَجَرْكُحلان) وهو ـ كما يقول د. يوسف محمد عبد الله ـ «معبد رائع من معابد تمنع نقبت فيه البعثة الأميركية بقيادة (وندل فلبس) عام ١٩٥١م. ولم تكن المعابد وحدها هي كل ما عُثر عليه في تمنع وإنما عُثر أيضاً خلال التنقيب وفي (بيت يفيش) على أسدين برونزيين وعليهما يركب ولدان... ويمكن التنويه أيضاً بما عُثر عليه في (نكروبول تمنع) واسمها اليوم حيد بن عقيل»[١]. وتعود تلك الآثار إلى القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م. ـ أي إلى ما قبل قيام دولة قتبان بستمائة سنة ـ وتتواصل شواهد الآثار إلى القرنين السابع والسادس ق.م. ـ ولم تكن قتبان دولة في تلك القرون والعصور وإنما كانت جزءاً من دولة سبأ.

جـ ـ وقد جاء ذكر (قتبان) و(ردمان) في نقوش ملوك سبأ التبابعة المعثور عليها في محرم بلقيس بمأرب، والتي تعود إلى العصرين الثاني والثالث لملوك سبأ التبابعة الذين حملوا في النقوش لقب «ملك سبأ وذي ريدان» وذلك في الفترة (١٢٠ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي) والزمن الصحيح الموافق لذلك هو (١١٠٠ ـ ٨٣٥ق.م).

---

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ ص٥٩ و٦٠.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٤١.

ـ أي القرن الحادي عشر إلى القرن التاسع ق.م. ـ كما سلف التبيين في فصول ذلك العصر بهذا الكتاب.

فقد جاء في نقش سبئي من عهد «إل شرح يحضب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان» ذكر «قبائل حمير وردمان ومضحيم»[١] وكان ذلك العهد في الفترة ما بين ٣١٠ ـ ٣٣٠ للتقويم السبئي/ ٩١٠ ـ ٨٩٠ق.م.

وجاء في نقش سبئي من عهد «سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمد ملكي سبأ وذي ريدان» ذكر «أذواء خولان وحضرموت وقتبان وردمان ومضحيم». وذكر «نظم ملك قتبان ووهب إل بن معاهر» وذكر «أرض ردمان ومدينتهم وعلان»[١] وكذلك جاء في نقش ثالث باسم (يارم أيمن بن أوسله رفشان) ذكر «أملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وقتبان»[٢] وكان ذلك العهد في الفترة ٣٣٢ ـ ٣٤٠ سبئي (٨٨٨ ـ ٨٨٠ ق.م).

وجاء في نقش سبئي رابع من عهد «شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان» ذكر: «ولد عم: قتبان وردمان وخولان ومضحى وقبيلة أوسان.. ومدينة ذات غيلم بأرض قتبان»[٣] وكان عهد (شعرام أوتر) في الفترة (٣٤٨ ـ ٣٥٥ للتقويم السبئي/ ٨٧٢ ـ ٨٦٥ق.م.) بالقرن التاسع قبل الميلاد. وكذلك جاء في نقش خامس ذكر (بني معاهر/ وردمان) في عهد (ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان) المؤرخ آخر نقوش عهده في محرم بلقيس بعام ٣٨٥ للتقويم السبئي/ ٨٣٥ق.م.

وتدل تلك النقوش السبئية على وجود وأهمية (قتبان) و(ردمان) في تلك العصور من القرن الحادي عشر إلى القرن التاسع ق.م. وإن مدينة وعلان كانت المدينة الرئيسية بأرض ردمان. وقد ذكر الهمداني في الإكليل: «وعلان ابن ردمان»[٤] فتكون مدينة وعلان سميت باسمه منذ أوائل عصور ملوك سبأ التبابعة. وكذلك ذكرت النقوش أذواء قتبان وكانوا من الأملاك بمثابة ملوك بمناطق قتبان في إطار دولة سبأ وملوك سبأ التبابعة، وقد دلت التنقيبات الأثرية على وجود مدينتهم الرئيسية (تمنع) منذ القرن الحادي عشر والقرن العاشر ق.م. كما سلف التبيين. وبالتالي إلى القرن السادس ق.م.

وكانت قتبان وردمان جزءاً من مناطق ومخاليف ريدان (حِمْيَر) في العصر

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٥٧٦ و٦٢٩.
(٢) نقش يارم أيمن ـ ٣١٥ ـ سي. آي. اتش.
(٣) في تاريخ اليمن ـ النقش رقم ١٣ كهالي.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٢ جـ٢.

الخامس لملوك سبأ التبابعة، وعصر لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) حتى نهاية عصور ملوك سبأ التبابعة عام ٥٢٧ قبل الميلاد.

ثانياً

قيام دولة قتبان ومعالم عصرها الأول

(٥٢٥ ـ ٤٠٠ق.م)

في حوالي عام ٥٢٥ق.م. بالقرن السادس قبل الميلاد ـ قامت دولة قتبان بقيادة مدينة (تَمْنَع) وبزعامة (سمه علي وترمكرب قتبان) الذي يقدر (ألبرايت) زمنه بالقرن السادس ق.م وهو أقدم من وَرَد اسمه في النقوش من مكارب قتبان[١].

وكانت المناطق الأساسية لدولة قتبان في وادي بيحان حيث تقع مدينة (تَمْنَع). وشملت دولة قتبان مناطق بيحان ونصاب وذات غيلم ومنطقة ردمان (بلواء البيضاء حالياً) وغيرها. ولكن (قتبان) لم تكن مملكة في عصرها الأول وإنما كان على رأسها زعيم يجمع الرئاسة السياسية والدينية ويحمل لقب (مكرب) مثلهم في ذلك مثل (مساود معين) و(مكارب سبأ).

لقد تعاقب على حكم قتبان أربعة مكارب ـ (في الفترة ما بين ٥٢٥ ـ ٤٦٠ق.م). ـ وهم (سمه علي وتر) ثم (هوف عم) ثم (يدع أب ذبيان) وابنه (سمه أُوتار). وقد جاء ذكرهم في نقوش قتبانية قصيرة.

وفي حوالي عام ٤٦٠ق.م. قام (كرب إيل وتار ملك سبأ) ـ صاحب نقش النصر في صرواح ـ باجتياح سائر الممالك والمناطق في أرجاء اليمن وتوحيدها في ظل الإله (المقة) والمملكة (سبأ). وكانت مناطق قتبان قد خضعت لمملكة أوسان فقضى (كرب إيل وتار) على مملكة أوسان، وجاء في نقشه المسمى (نقش النصر) إنه: «وهب أراضي عم وانبي (إلهي قتبان) لـ «ورو إيل» من تحت ذي أوسان عندما آخو (بذت آخو) حضرموت وقتبان لألمقة وكرب إيل وسبأ[٢].

وبذلك استمرت قتبان في إطار سبأ، حيث كان خامس مكارب قتبان وهو (وروإل) ـ وكما ذكر بافقيه عن ألبرايت ـ «كان ورو إل خاضعاً لملك سبأ كرب

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص٤٢.

(٢) نقش النصر ـ R.y ٣٩٤٥.

إل وتار، أو حليفاً له»[١] ثم حكم قتبان بعده «يدع أب ذبيان ـ (الثاني) ـ صاحب أقدم نقش وُجد عند الباب الجنوبي لمدينة تمنع ـ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد»[١].

وبنهاية القرن الخامس ق.م. انتهت مملكة سبأ التي أسسها (كرب إل وتار). وفي حوالي عام ٤٠٠ق.م. انتهى العصر الأول لدولة قتبان وتحولت قتبان إلى مملكة ذات شأن حضاري في التاريخ التليد.

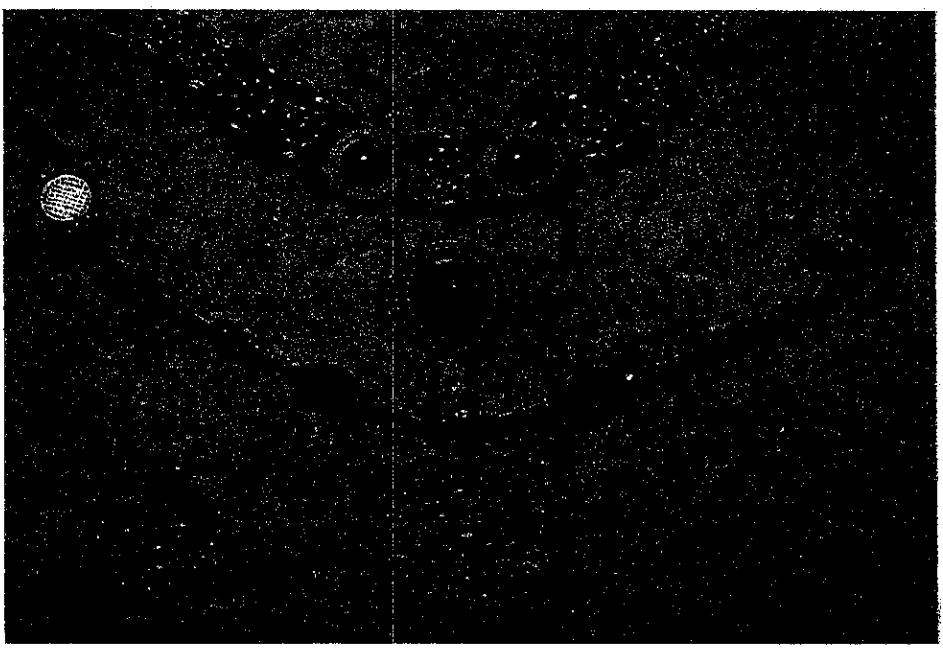

Golden Qatabani jewellery decorated with precious stones, dating back to the 3rd century B.C.
Bijoux en or Katabanite ornés de pierres précieuses. Ils remontent au 3ème siècle avant J.-C.
Golenene Katabaniten Schmuckstücke, die mit wretvollen Steinen verziert sind.
Sie datieren aus dem 3. Jahrhundert vor Chr.
نماذج من الحلي القتبانية الذهبية والتي زخرفت بالعقيق اليماني، وتعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد

ثالثاً

عصور مملكة قتبان وحضارتها الزاهراة

(٤٠٠ق.م. ١١٥ق.م)

في حوالي عام ٤٠٠ قبل الميلاد قامت مملكة قتبان بزعامة (يدع أب ذبيان) في ذات الوقت الذي قامت فيه مملكة معين بزعامة (صدق إل ملك معين

(١) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص٤٢.

وحضرموت). حيث ـ كما يذكر (كلاوس شيبمان) ـ «تمكنت قتبان من تحقيق استقلالها (عن مملكة سبأ) في نحو عام ٤٠٠ق.م. واتسع نطاق حكمها بشكل كبير، إذ وصل نفوذها حتى المحيط الهندي، وفي الشمال حتى واحة الجوبة التي تبعد مسافة مسير يوم من مأرب»[١].

وقد حددت قيام مملكة قتبان بنحو عام ٤٠٠ق.م. دراسة (موللر) في (Jemen Katalog) وكذلك فإن (ألبرايت) يؤرخ «الحكم الملكي التام في قتبان» من ٤٠٠ ـ ٥٠٠ قبل الميلاد[١]. ولذلك فإن من المهم الثبات عند هذا التحديد الزمني لبداية مملكة قتبان بنحو عام ٤٠٠ق.م. لأنه الأصوب، ولأن تقديم الزمن عدة قرون أو تأخيره مائة سنة، يكاد أن يكون نوعاً من الإسقاطات التي تؤدي ـ بقصد أو بدون قصد ـ إلى التجهيل بالتاريخ.

وينقل د. محمد بافقيه أنه «في القرن الرابع ق.م. ومنذ حوالي ٣٥٠ق.م. أصبحت قتبان تسيطر على الشريط الساحلي الممتد من باب المندب حتى ما وراء عدن إلى الشرق. وفي هذا الوقت يجعل ألبرايت بداية فترة ازدهار قتبان. فمنها تأتي أغلب النصوص الطويلة والنصب التذكارية»[٢].

وجاء في كتيب دراسات التاريخ اليمني أنه: «في القرن الثالث ق.م. بلغت قتبان أوج ازدهارها ونفوذها وشملت رقعتها مناطق أوسان حتى ساحل بحر العرب ومدّت نفوذها ليشمل واحة الجوبة على بعد مسيرة يوم واحد من مأرب العاصمة السبئية»[٣].

ويتبين من تلك النصوص جميعها النطاق الجغرافي لمملكة قتبان ـ في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ـ فقد كانت مملكة قتبان تمتد إلى ساحل البحر العربي والمحيط الهندي جنوباً، وإلى باب المندب والبحر الأحمر غرباً، وإلى تخوم حضرموت شرقاً وواحة الجوبة في مأرب شمالاً.

ملوك قتبان في القرنين الرابع والثالث ق.م.:

لقد قامت مملكة قتبان بزعامة (يدع أب ذيبان) الذي كان (مكرب قتبان)

---

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٩.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٤٢ ـ عن كتاب:
Qataban and Sheba. Phillips.w. London 1955. p.221.

(٣) دراسات في التاريخ اليمني ـ د. يوسف محمد عبد الله وآخرون ـ ص٢٧.

وجاء اسمه في أقدم نقش وُجد عند الباب الجنوبي لمدينة تمنع. ويعود إلى (عام ٤١٠ق.م). في (أواخر القرن الخامس ق.م).

أن (يدع أب ذبيان) هذا هو نفسه «يدع أب ذبيان بن شهر» ـ الذي يصف نفسه في نقش آخر بأنه «مكرب قتبان وكل ولد عم وأوسان وكحد ودهس وتبني»[١]. ومن المفترض أن زمن النقش هو مطلع القرن الرابع ق.م. ولكن د. محمد بافقيه ينقل عن المستشرق فايسمان تحديداً لزمن (يدع أب ذبيان) بالقرن الثاني ق.م. بينما ذكر بافقيه نفسه أن «يدع أب ذبيان هو صاحب أقدم نقش وُجد عند الباب الجنوبي لمدينة تمنع ويعود إلى أواخر القرن الخامس ق.م». وبالتالي إلى بداية القرن الرابع ق.م. حيث قامت مملكة قتبان وكان (يدع أب ذبيان) أول ملوكها، فمحاولة تأخير زمنه إلى القرن الثاني ق.م. هو خطأ غير مقصود على الأقل.

لقد كان «يدع أب ذبيان مكرب قتبان وكل ولد عم وأوسان وكحد ودهس وتبني» ـ في بداية القرن الرابع ق.م. ـ ثم في نقش آخر أصبح «يدع أب ذبيان ملك قتبان»[٢] وبذلك التحول ليدع أب ذبيان من مكرب قتبان وكل ولد عم وأوسان إلى ملك قتبان قامت مملكة قتبان في أوائل القرن الرابع ق.م.

لقد وصف (يدع أب ذبيان) نفسه في النقش الأول بأنه «مكرب قتبان وكل ولد عم وأوسان وكحد ودهس وتبني». وقد جاء في النقش السبئي (رقم ١٣ك) ذكر «... كل ولد عم: قتبان وردمان وخولن ومضحيم...» أي أن مصطلح (ولد عم) يشمل قبائل قتبان وردمان ومضحيم (مضحى) وبعض قبائل خولان المجاورة لأرض ردمان مثل (بني ضبيان). وتشمل مناطقهم أرض قتبان وهي مناطق وادي بيحان (بمحافظة شبوة حالياً) إلى «ذات غيلم بحضرموت» ومناطق ردمان (محافظة البيضاء حالياً) ومضحيم (مناطق رداع حالياً) وخولان الذين في أرض ردمان وبالقرب منها. فأولئك هم تقريباً (ولد عم). وكان (يدع أب ذبيان) هو أيضاً مكرب قبائل ومناطق (أوسان/ وكحد/ ودهس/ وتبني). وقد تبين من نقش كرب إل وتار (نقش النصر) أن منطقة (دهس) هي (يافع) ـ بمحافظتي أبين ولحج حالياً ـ وأن منطقة (تبني) هي (لحج إلى عدن) ـ محافظات لحج والضالع وعدن حالياً إلى باب المندب غرباً ـ أما (أوسان) فكانت تمتد من مناطق أبين (شرقاً) إلى منطقة العود (بمحافظة إب حالياً) وبالتالي مناطق (سروحِمْيَر) بمدلولها الواسع القديم.

---

(١) النقش رقم ٣٩٠ ركمانز. ورقم ٣٥٥٠ سي.آي.اتش.

(٢) النقش رقم ٣٨٧٨ سي.آي.اتش.

فتوحدت تلك المناطق جميعها تحت لواء (يدع أب ذبيان) والدولة (قتبان) وأصبح هو (ملك قتبان). ويتضمن نقش (يدع أب ذبيان ملك قتبان) قانوناً سَنّه ذلك الملك مُحدداً عقوبات القتل[١].

«وقد اضطلع يدع أب ذبيان هذا بأعمال عمرانية كبيرة خاصة في مجال شق الطرقات التي أقامها لتسهيل مرور القوافل التجارية وللتحكم في حركتها من جهة، وللربط بين أجزاء مملكته الواسعة وسرعة تحريك قواته للدفاع عنها أو لحفظ النظام في أطرافها من جهة أخرى. ولا تزال عقبة مبلقة، التي تؤدي من خلال الجبال إلى وادي حريب، باقية إلى يومنا هذا شاهداً حياً على تلك الأعمال الجبارة»[٢].

لقد كان (يدع أب ذبيان) أول خمسة ملوك يذكرهم بعض الدارسين في ترتيب (قوائم ملوك قتبان) بمصطلح (الطبقة الأولى من ملوك قتبان) أو (الأسرة الأولى من ملوك قتبان). فبعد الملك (يدع أب ذبيان) تسنم عرش قتبان (شهر هلل ـ الأول ـ ابن يدع أب ذبيان). ثم (نبط عم ملك قتبان) ثم (ذمر على ملك قتبان) ثم (يدع أب بجل ملك قتبان) الذي يحدد ألبرايت زمنه بعام ٣٥٠ ق.م.

وإلى جانب عنايتهم بالتجارة اعتنى القتبانيون في تلك الحقبة بالزراعة فأقاموا مشاريع للري في وادي بيحان الذي كشفت فيه البعثة الأثرية الأميركية قناة رئيسية تمتد مسافة طويلة ولها مصارف تتحكم في مياه السيول وتقوم بتوزيعها على الجداول الفرعية التي كانت تُشكل شبكة منتشرة في الأرض الزراعية على الجانبين. ويُقدر زمن إنشاء تلك القناة بالقرن الخامس ـ أو القرن الرابع ـ قبل الميلاد. وقد ظلت تُستخدم حتى القرن الأول الميلادي على الأقل[٣].

ثم تسنم عرش قتبان الملك (أب شيم) ـ في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. ـ وهو أول خمسة ملوك يذكرهم بعض الدارسين في ترتيب (قوائم ملوك قتبان) بأنهم (الطبقة الثانية من ملوك قتبان) أو (الأسرة الثانية). وبما أن (ألبرايت) حدد عهد (يدع أب يجل ملك قتبان) بعام ٣٥٠ق.م. فإن عهده يمكن أن يكون إلى ما بعد (٣٢٥ق.م). ثم عهد (أب شيم) إلى ما بعد (٣٠٠ق.م).

ثم تسنم عرش قتبان «شهر غيلان ملك قتبان بن أب شيم ملك قتبان» ـ في

(١) النقش رقم ٣٨٧٨ سي.آي.اتش.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ بافقيه ـ ص٤٢.

(٣) ألبرايت: irrigation in Ancient Qataban. (Beihan) p.34.

حوالي الربع الأول من القرن الثالث ق.م. ـ ثم يليه (يدع أب) ثم «شهر يجل ملك قتبان بن يدع أب». فيكون أولئك الثلاثة في القرن الثالث ق.م.

ثم تسنم عرش قتبان (شهر هلل يهنعم ملك قتبان) أخو (شهريجل). وقد جاء اسمه في النقش بلفظ «شهر/ هلل/ يُهنعم) ويجوز أن يُنطق (شهار هلال يُهنعم) وهو أهم ملوك تلك الحقبة، فقد تم في عهده سَن «قانون قتبان التجاري» المشهور.

قانون قتبان التجاري:

في موقع السوق التجاري بمدينة تمنع عاصمة قتبان ـ وكما يذكر د. يوسف محمد عبد الله ـ «تقوم إلى اليوم مسلة صغيرة (حجرية) نقش على ثلاث من جوانبها تعاليم خاصة بسوق المدينة واسمه (سوق شمّر) ويبين هذا النقش إجمالاً الرسوم المفروضة وفئات التجار. وفيما يلي نقل لهذا النقش من لغة المسند استناداً إلى قراءة كل من (ماريا هوفنز) مع قراءة خاصة منقحة (ليوسف محمد عبد الله):

«هكذا قضى وشرّع (شهر هلال ـ يهنعم ـ بن يدع أب ملك قتبان) وأهل قتبان بتمنع وبرم ووادييي حوكم وولدعم وحاكم تمنع وحاكم ولد عم.

إن من يشتغل بالتجارة في تمنع وبرم، ومهما كانت بضاعته يجب أن يدفع ضريبة السوق في تمنع، وأن يكون مالكاً لدكان في سوق شمر.

وإن من يأتي إلى قتبان ببضاعة.. يجب أن يمتلك دكاناً حتى يحق له أن يزاول البيع والشراء في (سوق) شمر أيًا كانت قبيلته.

إن من يفتتح دكاناً يكون من حقه أن يشترك في التجارة مع غيره من أصحاب الدكاكين، ولا يجوز لعاقل السوق أن يتدخل في ذلك. وعندما يعلن عاقل سوق شمر عن حاجته إلى باعة قتبانيين متجولين بين القبائل، نظراً لانشغاله ببيع بضاعته في دكانه بسوق شمر يجوز حينئذٍ لأهل قتبان أن يتاجروا على حسابهم الخاص بين القبائل. ويُغرم عاقلُ السوق في حالة تبليغه كلَّ تاجر يمارس غش الآخرين خمسين قطعة ذهبية، كما يغرم المبلغ نفسه كل أجنبي يحاول أن يتجر في بلاد قتبان.

لا تسري ضريبة بيع الحبوب في عمليات البيع والشراء بين أهل قتبان، على أن أداء هذه الضريبة واجب على غيرهم، وتدفع هذه الضريبة بالعملة القتبانية بالإضافة إلى الضريبة الأساسية دفعة واحدة.

يجب على كل قتباني أو معيني أو أي مقيم آخر في تمنع يؤجر بيته أو

حجرة إلى صاحب دكان، أن يدفع ضريبة السوق إلى ملك قتبان من بضاعة التاجر عينها.. وفي حالة كون بضاعة التاجر لا تفي بقيمة الضريبة المقررة، يجب على صاحب البيت أن يستوفي الضريبة من ماله الخاص.

تحظر التجارة أيا كان نوعها من قبل دافعي الضرائب في السوق بقصد التعامل مع غير قتباني أو سفلي (من ذي سفل) حرصاً على حقوق أهل قتبان العادلة وطبقاً لما شرعه ملك قتبان.

يجب على كل من يتاجر بالجملة في تمنع أن يعهد إلى باعة تجزئة عند تسويق بضاعته في أرض قتبان.

تحظر التجارة (في السوق) ليلًا حتى الصباح.

لملك قتبان حق الأشراف على كل بضاعة تمر في أرضه.

فليدعم كل ملك هذا القانون...» انتهى[1].

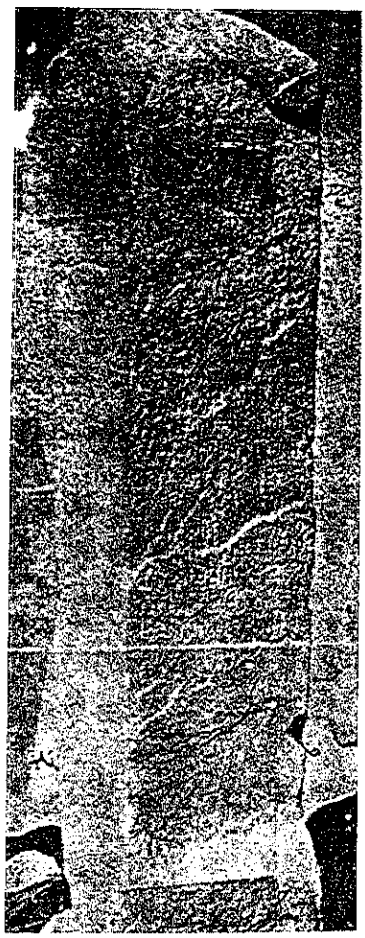

قانون قتبان التجاري منحوت على نصب حجري في سوق مدينة تمنع

لقد قام الملك (شهر هلال) بنحت ذلك القانون التجاري على نصب حجري أُقيم في وسط سوق شمر مدينة تمنع. ولا يزال ذلك النصب قائماً مكانه تغطيه الكتابة من جهاته الأربع غير أن جهتين منهما اختفت كثير من حروف كتاباتها، بسبب تقادم الزمن، فذلك النقش ـ القانون ـ يعود زمنه إلى ما قبل الإسلام بألف سنة، وهو في وسط موقع مدينة تعرضت لنوائب الدهور، ولكنه ما يزال باقياً حتى اليوم كشاهد من الشواهد التي لا تخطئ دلالتها على مرحلة من تاريخ اليمن الحضاري التليد.

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ ص٦٠ ـ ٢/٦١.

ملوك قتبان في الحقبة الثالثة (١٧٥ ـ ١١٥ ق.م).

بعد عهد (شهر هلال ملك قتبان) ـ صاحب القانون التجاري ـ وقع ما يشير إليه (كلاوس شيبمان) قائلاً: «. . . تمكن إقليمان تابعان لقتبان هما حِمْيَر وردمان من التحرر عنها، ومن ثم تقلصت مناطق نفوذ مملكة قتبان»[١]. ويرتبط ذلك بقيام وعودة مملكة أوسان الحميرية التي شمل سلطانها سائر مناطق حِمْيَر وانضوت تحت لواء أوسان سائر المناطق والأرجاء التي كانت تحت حكم ملك قتبان. وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الخاص بدولة أوسان.

ثم في حوالي عام ١٧٥ق.م. بدأت حقبة ثالثة لملوك قتبان فقد تسنم عرش قتبان في مدينة تمنع «يدع أب غيلان ملك قتبان» الذي يبدو أنه عاصر «أب يدع يثع/ ووقه إل ريام/ ملكي معين» في الفترة ما بين ١٧٥ ـ ١٥٠ق.م.

ثم تسنم عرش قتبان (هوف عم يهنعم) ـ ويأتي ترتيبه الثاني في الطبقة الثالثة من ملوك قتبان ـ وربما حكم نحو (٣٠ سنة).

وقد عاصر (هوف عم يهنعم) هذا ثم (شهر يجل يهرحب ملك قتبان) عاصرا (وقه إل يثع/ واليفع يشر ملكي معين» وفي أواخر عهدهما كتب (أهل ضمران) نقشهم المسند وأرخوه بعهد:

«بمرأس/ وقه إل يثع/ وابنه/ اليفع يشر/ ملكي معين/

وبمرأس/ شهر يجل يهرحب/ ملك قتبان»[٢].

وقد حددت دراسة البعثة الأثرية الأميركية والبروفيسور ألبرايت زمن قطعة نقدية من عهد (شهر يجل يهرحب) بالفترة ما بين (١٥٠ق.م. ـ ١٠٠ق.م). فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن (هوف عم) حكم قتبان في تلك الفترة نحو (٣٠ سنة) فقد يكون من الممكن تحديد القطعة النقدية بالفترة ما بين (١٢٠ ـ ١٠٠ق.م). وأن عهد (شهر يجل يهرحب) بدأ حوالي عام ١١٥ق.م، فانتهت بتمليكه تلك الحقبة وبدأت مرحلة جديدة.

---

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٩.

(٢) النقش رقم ١١٥٩ جلاسر.

رابعاً

عصر دولة قتبان الحميرية وملوكها
(١١٥ق.م. ـ ١٠٠ ب.م.)

إن تحديد بداية عهد «شهر يجل يهرحب ملك قتبان» بحوالي عام ١١٥ق.م. يتيح إدراك أن بداية عهده وذلك العام (١١٥ق.م). هو العام الذي تم اتخاذه فيما بعد بداية للتقويم الحميري السنوي الذي يوافق العام الأول فيه عام ١١٥ق.م.

إن (شهر يجل يهرحب) ليس من الأسر (القتبانية) التي كان منها ملوك قتبان السابقين وإنما هو من الحميريين الذين أشار (كلاوس شيبمان) إلى أنه «. . . تمكن إقليمان تابعان لقتبان، هما حمير وردمان، من التحرر عنها. . .» فبصرف النظر عن مدى دقة التعبير، فإن قبائل ومناطق حِمْيَر (ذي ريدان) وقبائل ومناطق ردمان ومضحيم (مضحى) انضوت جميعها تحت لواء (شهريجل يهرحب) فانتهى حكم أسرة ملوك قتبان التقليدية، وقامت دولة قتبانية حِمْيَرية كبيرة بزعامة (شهر يجل يهرحب) كان عصرها هو العصر الذهبي لدولة قتبان.

نماذج من الأختام الذهبية لملوك قتبان (حجم طبيعي) ـ متحف عدن ـ

إن مما يتيح إدراك معالم تاريخ دولة قتبان الحميرية :

اتخاذ العام الموافق لعام ١١٥ق.م. بداية للتقويم الحميري. لقد جاء في الموسوعة اليمنية إن «التَّقويم الحِمْيَري. . . أشهر تقويم يمني ظهر في النقوش اليمنية القديمة ويسمى اصطلاحاً بالتقويم الحميري، ويُرجح علماء الدراسات اليمنية القديمة إنه يبدأ في 115 ق.م. وبدايته تؤرخ كما يبدو لقيام دولة حِمْيَر. . ويعتمد هذا الرأي في الأساس على نقش حميري عُثر عليه في حصن الغراب المطل على موقع ميناء قنأ القديم. . مؤرخ وفق التقويم الحميري في عام (640). . ويوافق حوالي (525م) وبعملية حسابية بسيطة 525 - 640= 115 . . . وقد عثر على عشرات النقوش اليمنية القديمة التي تحمل هذا التقويم. . . وهناك تقويم حميري آخر يبدأ حوالي عام 79 ميلادية وقد عثر على اسمه وهو (أبعلي) ضمن نقوش منطقة المعسال (وعلان التاريخية حاضرة ردمان»[١].

إن التقويم الحميري الذي يوافق العام الأول فيه عام ١١٥ق.م. تؤرخ بدايته بالتأكيد «لقيام دولة حمير» أي لقيام (دولة حميرية) ولا توجد دولة اسمها (دولة حمير) قامت في ذلك القرن وإنما هي «دولة قتبان» ولكنها كانت «حميرية الملوك» وتشمل «سروحمير» وكافة مناطق «حمير» ولذلك فهي (دولة قتبان الحميرية) وتم اتخاذ بداية قيامها بزعامة (شهر يجل يهرحب) بداية لذلك التقويم.

وقد كتب المؤرخ الروماني سترابون (عام ٢٠ق.م). عن واقع اليمن (بلاد العربية السعيدة) وممالكها وشعوبها فقال إنهم «أربعة شعوب: المعينيون وعاصمتهم قرناو، والسبئي وعاصمتهم مأرب، والقتبانيون وعاصمتهم تمناة (تمنع) وحضرموت وعاصمتهم سباتا (شبوة). . .»[٢] ويدل ذلك على أمرين:

أ ـ عدم وجود دولة اسمها (حمير) في ذلك العصر، فأين هي الدولة الحميرية التي يبدأ التقويم الحميري بقيامها عام ١١٥ق.م.؟ إنها غير موجودة إلى أيام سترابون (٢٠ق.م). ولا بعد ذلك بمائة سنة.

ب ـ إن الدولة القائمة في مناطق حمير هي (قتبان) وقد نسب سترابون شعبها إلى اسم الدولة فقال: (القتبانيون) فدولة قتبان هي نفسها الدولة الحميرية في ذلك العصر. ويدل ما ذكره (سترابون) أيضاً على وجود دولة قتبان وكذلك معين وسبأ إلى نهاية القرن الأول ق.م.

ـ وكذلك استمرت دولة قتبان في القرن الأول بعد الميلاد، وقد كتب المؤرخ

---

(١) الموسوعة ـ د. يوسف محمد عبد الله ومطهر الأرياني ـ ص٢٨١/ ١.

(٢) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٢٥.

الروماني بلينوس (عام ٧٩م) عن (بلاد العربية السعيدة) وشعوب ممالكها (معين وسبأ وقتبان وحضرموت) وقد اهتم (بلينوس) بذكر مناطق انتاج اللبان والبخور وطريق القوافل. وقال إنه: «... بعد أن يُجمع اللبان (البخور) ينقل على ظهور الجمال إلى شبوة... ثم يُصدر البخور عن طريق بلاد القتبانيين، ويقتضي ذلك دفع ضريبة أخرى لملك قتبان. وتستغرق الرحلة من عاصمتهم تمنع (تمنا) إلى غزة ٦٥ يوماً بالجمال. وتدفع كميات من اللبان إلى الكهان، وإلى الملك وأعوانه، وكذلك إلى الذين يقومون بخزنه وحراسته، وإلى حراس بوابة المدينة وموظفين آخرين. وعلى طول الطريق يستمر الدفع، فهناك أماكن يبتاع فيها الماء، وأخرى يشترى فيها العلف، كما أن هناك تكاليف الإقامة بالمحطات وضرائب أخرى متنوعة. ونتيجة لكل ذلك تبلغ تكاليف حمولة الجمل الواحد (من البخور) عند وصوله إلى شواطئ بحرنا ٦٨٨ دينار»[١].

ويدل كلام بلينوس عن القتبانيين وعاصمتهم وملك قتبان وطريق القوافل التجارية والبخور عبر بلاد القتبانيين في أيامه (سنة ٧٩م) على وجود وأهمية دولة قتبان إلى أواخر القرن الأول الميلادي.

وكذلك فإن النقوش والآثار تنطق بأسماء ملوك قتبان من بداية عهد (شهر يجل يهرحب) حوالي عام ١١٥ق.م. إلى نهاية عهد (شهر هلال يهقبض) الذي حددت الدراسات نهاية عهده بحوالي ٩٠ ـ ١٠٠ ميلادية. فذلك هو عصر دولة قتبان الحميرية.

كرونولوجيا ملوك عصر دولة قتبان الحميرية:

وهم تسعة ملوك، أولهم (شهر يجل يهرحب ملك قتبان) وقد يكون من آل ذي رُعَيْن، فقد ذكر الهمداني في الإكليل: «شهر بن كريب بن نُعاته بن شرحبيل بن مثوب بن يريم ذي رعين»[٢] وبالتالي يمكن القول أن ملوك قتبان في هذا العصر كانوا من آل ذي رعين وهم من بيوت أذواء آل حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر.

وكان من معالم عهد (شهر يجل يهرحب) وذلك العصر ما يلي:

أ ـ سك نقود ذهبية: قام الملك (شهر يجل يهرحب) بسك نقود ذهبية قتبانية حميرية تحمل اسمه. وقد حددت البعثة الأثرية الأميركية والبروفيسور

---

(١) بلينوس pliny, The Natural History.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٠٤ جـ١.

ألبرايت زمن إحدى تلك القطع النقدية الذهبية بالفترة ما بين ١٥٠ ـ ١٠٠ ق.م. وبالتالي يمكن أن يكون ذلك عام ١١٥ق.م. أي في بداية عهد (شهر يجل يهرجب) وقد تم اتخاذ بداية عهده الموافق لعام ١١٥ق.م. بداية للتقويم الحميري.

ب ـ **ازدهار مدينة تمنع**: وقد بلغت مدينة تمنع ـ عاصمة دولة قتبان ـ أوج الازدهار والعظمة في ذلك العصر. فقد ذكرها سترابون الروماني (عام ٢٠ق.م). بأنها إحدى عواصم العربية السعيدة الأربع وهي «قرناو عاصمة معين. ومأرب عاصمة سبأ. وتمنع عاصمة قتبان. وشبوة عاصمة حضرموت).

«وتعتبر تَمْنَع أكبر المدن اليمنية القديمة بعد مأرب العاصمة السبئية من حيث مساحتها واتساعها. ويذكر بليني (الروماني) إنه كان بتمنع ٦٥ معبداً»[١] وذلك أيام بليني (٧٩م) بالقرن الأول الميلادي، مما يعني وجود عدد كبير من القصور والمنشآت والمساكن وإنها كانت مدينة عظيمة جداً.

وقد كانت مدينة تمنع ذات أهمية استراتيجية على طريق تجارة اللبان والبخور والقوافل التجارية، ولذلك فإن ملوك دولة قتبان الحميرية بالرغم من أنهم من بني (حمير ذي ريدان) ومن (آل ذي رعين) والعاصمة الحميرية التقليدية هي مدينة ظفار فقد اتخذوا مدينة تمنع عاصمة بسبب موقعها على طريق القوافل التجارية حيث ـ كما ذكر بليني ـ «. . . بعد أن يجمع اللبان (البخور) ينقل على ظهور الجمال إلى شبوة. . ثم يُصدر البخور عن طريق بلاد القتبانيين وعاصمتهم تَمْنَع. ويتم دفع ضريبة لملك قتبان. . كما تدفع كميات من البخور للكهان، وإلى الملك وأعوانه، وكذلك إلى الذين يقومون بخزنه وحراسته، وإلى حرس بوابة المدينة. . .» ثم تمضي القوافل من (تمنع) إلى أرض (معين) ومنها إلى (البتراء) ثم إلى (غزة) ثم بحراً إلى روما وغيرها. حيث ـ كما ذكر بليني ـ «تبلغ حمولة الجمل الواحد عند وصوله إلى شواطئ بحرنا ٦٨٨ دينار ذهبي».

جـ ـ وكانت لدولة قتبان الحميرية علاقة وثيقة مع دولة معين في ذلك العصر يدل عليها نقش (بني ضمران) في يثل (براقش) الذي يذكر أنه كُتب في عهد:

«بمرأس وقه إل يثع وابنه اليفع يشر ملكي معين وبمرأس شهر يجل يهرحب ملك قتبان»[٢].

---

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ ص٥٩.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٤٣.

ثم تسنم عرش دولة قتبان (مروال يهنعم بن شهر يجل يهرحب) وعاصر (اليفع يشر وابنه حفن ريام ملكا معين) ما بين عام ١٠٠ ـ ٥٠ق.م.

ثم تذكر قوائم ملوك قتبان ملكين غير متفق على ترتيبهما هما (هوف عم يهنعم) ـ الثاني ـ و(يدع أب ينوف). حكما إلى حوالي نهاية القرن الأول ق.م.

ثم تسنم عرش قتبان (ود إل غيلان) حيث كما ينقل د. بافقيه عن ألبرايت: «في وقت ما من القرن الأول الميلادي نجد (ودو إل غيلان) يصك نقوداً ذهبية تحمل اسم قصره (حريب). ويظهر أن أخاه (فرع كرب يهوضع) هو الذي خلفه في الحكم. ويذكر ألبرايت ثلاثة ملوك آخرين حكموا بعده آخرهم (شهر هلال يهقبض) الذي يرى (فون وزمن) أن مدينة تمنع أُحرقت على عهده حوالي عام ٩٠ ـ ١٠٠ ميلادية»[١].

ففي عهد (شهر هلال يهقبض) خرجت (ردمان) بزعامة (بني معاهر) الحميريين عن دولة قتبان. وأسس (بنو معاهر) دولة بزعامتهم (عام ٧٠م) ثم تحالف (بنو معاهر) مع (العز/يلط/ ملك حضرموت) وهاجموا وأحرقوا مدينة (تمنع) عاصمة دولة قتبان في عهد (شهر هلال يهقبض) ما بين سنة ٩٠ ـ ١٠٠ ميلادية. وبذلك انتهى عصر دولة قتبان الحميرية.

خامساً

الحقبة الأخيرة لملوك قتبان (١٠٠ ـ ٢٠٠م)

إن دولة قتبان لم تنته بإحراق مدينة تمنع عام ٩٠ ـ ١٠٠م. وقد ذكر (كلاوس شيبمان) أنه: «كان الإنهيار التام لمملكة قتبان على يد جارتها الشرقية؛ مملكة حضرموت. ويختلف الباحثون حول تاريخ احتلال العاصمة تمنع وانتهاء المملكة. فقد أرَّخه فون فيسمن بعام ١٠٠م بينما تحدد بيرين دمار تمنع بنحو عام ٢٠٠ ميلادية ونهاية المملكة بنحو عام ٢٥٠ ميلادية»[٢].

ويذكر بافقيه إنه: «بعد خراب تمنع أقام القتبانيون لفترة من الزمان عاصمة جديدة لهم في موضع (هَجَر بن حميد). وهناك كان الملك يقيم في قصر يدعى (حريب) أيضاً. وفي نقش وُجد في (هجر بن حميد) نجد اسم

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٤٣.

(٢) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٧٠.

(نبط عم ملك قتبان بن شهر هلال. وابنه مرثد بن نبط عم»[١].

وقد ذكر (بطليموس) ـ سنة ١٦٠م ـ المعينيين والقتبانيين. إذْ إن «أهل قتبان عند بطليموس يسمون الكتبانيين بضم الكاف وتشديد الياء»[٢]. ويدل ذلك على استمرار دولتي قتبان ومعين إلى أيام بطليموس سنة ١٦٠م في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

وقد قامت بعثة أثرية فرنسية بأبحاث استمرت خمس سنوات في اليمن وتوصلت البعثة إلى تحديد زمني دقيق هو ـ كما جاء في تقرير البعثة ـ «إن دولة قتبان انتهت عام ٢٠٠ ميلادية»[٢]. وكانت تلك النهاية الأخيرة لدولة قتبان على يد «نصر يهحمد بن معاهر» و«العزيلط ـ الثاني ـ ملك حضرموت»، ولنصر يهحمد بن معاهر نقش في جبل ذي القرنين بمنطقة بيحان مؤرخ بعام ١٤٤ للتقويم الأبعلي الحميري ويوافق عام ٢١٤ ميلادية[٢] وبذلك انتهى تاريخ دولة قتبان وانضوت مناطقها في دولة وزعامة بني معاهر الحميريين الذين بقيام دولتهم ـ عام ٧٠م ـ يبدأ التقويم الأبعلي الحِمْيريّ.

المبحث الثالث

دولة أوسان الحِمْيَريّة

دولة أوسان هي إحدى الدول اليمنية القديمة الخمس التي قامت في القرن السادس قبل الميلاد ـ حوالي عام ٥٢٥ق.م. ـ أي بعد نهاية عصور دولة ملوك سبأ التبابعة العظيمة، وهي (معين ـ قتبان ـ أوسان ـ مكربية سبأ ـ حضرموت). وكان يتزعم أوسان (ذو أوسان). قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك تاريخ اليمن الحضاري التليد:

أمْ أيـــن ذو أوســـان أو ذو مَـــأْذِنٍ أم أيـــن ذو الـتـيـــجـــان والأبـــراح

ثم قال: «ذو أوسان بن وائل بن معاوية بن يعفر بن مرّة بن حضرموت بن سبأ الأصغر. وذو مأذن: كريب ابن مأذن بن جيدان بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رُعَيْن. وذو التيجان: سفين بن عبد كلال بن نصر بن سهل بن عَرِيب بن عبد

(١) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص٤٣.

(٢) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ السنة الثالثة/ ١٩٨٥م.

كلال بن عريب بن فهد بن زيد بن مثوب بن يريم ذي رُعَيْن. وسُمّي ذا التيجان لأنه تتوج بسبعة تيجان. والأبراح التعظيم»[١].

تمثال من الألبستر يصدق إيل فارع شرح عت
ملك أوسان ابن معدي إيل سلحين ملك أوسان

أولاً

سبئية أوسان... وأن أوسان كانت جزءاً من دولة سبأ

إن قبيلة (أوسان) من القبائل الحميرية السبئية. وباسم (ذي أوسان) سُميت منطقة أوسان. وهو «ذو أوسان بن وائل بن معاوية بن يعفر بن مُرّة بن (ذي) حضرموت ـ بن حمير الأصغر (ذي ريدان) ـ بن سبأ الأصغر».

وهذا النسب يدل على أنه عاصر الملك «شمّر ينعم بن أفريقيس بن ذي منار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن حِمْير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر» في القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

وكانت قبيلة ومنطقة أوسان جزءاً من مناطق حِمْير (ذي ريدان) في عصور ملوك سبأ التبابعة الذين حملوا في النقوش لقب (ملك سبأ وذي ريدان. فقد جاء في نقش سبئي بمحرم بلقيس من عهد «سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمد ملكي سبأ وذي ريدان ابني إل شرح يحضب ويازل بين ملكي سبأ وذي ريدان»

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٨٢.

ذكر «مدينة منوبم «(الأوسانية) وكل مدن وقلاع (مصانع) شعب أوسان ومدينة شيعن (الأوسانية)»[١] وكان عهد (سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمد) في الفترة (٣٣٥ ـ ٣٣٧ للتقويم السبئي/ ٨٨٥ ـ ٨٨٣ق.م. بالقرن التاسع قبل الميلاد كما سلف التبيين.

وكذلك جاء في نقش سبئي بمحرم بلقيس من عهد «شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان» ذكر: «كل ولد عم: قتبان وردمان وخولان ومضحي وقبائل أوسان وقسم وحدلم»[٢]. وكان عهد (شعرام أوتر) في الفترة ٣٤٨ ـ ٣٥٥ للتقويم السبئي (٨٧٢ ـ ٨٦٥ ق.م).

ولم تزل (أوسان) ـ القبيلة والمنطقة ـ من أذوائيات مناطق حِمْير (ذي ريدان) في دولة سبأ وعصور ملوك سبأ التبابعة الحميريين الذين حملوا في النقوش لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت... إلخ». وكان آخرهم (معدي كرب يعفر) المؤرخ نقشه في محرم بلقيس بعام ٦٣١ للتقويم السبئي (٥٨٩ق.م). وفي نهاية عهده تفككت دولة تبابعة سبأ العظمى ووقع سيل العرم الأول، وذلك حوالي عام ٥٢٧ق.م. فتفرقت أيادي سبأ.

ثانياً

دولة أوسان الأولى

(٥٢٥ ـ ٤٥٠ق.م)

في حوالي عام ٥٢٥ق.م. ـ بالقرن السادس ق.م. ـ قامت دولة أوسان الحميرية في ذات الوقت الذي قامت فيه دولة معين ـ بزعامة مسودي معين ـ ودولة قتبان ـ بزعامة مكرب قتبان ـ ودولة مكارب سبأ، وحضرموت. حيث ـ كما يذكر كلاوس شيبمان ـ «إن مملكة أوسان امتدت مناطقها المركزية في المناطق المرتفعة الواقعة بين بيحان، وادي مرخة، وادي نصاب في الشمال، وادي دثينة في الجنوب الشرقي. ويَرِد من بينها ذكر إقليم (وسر) بشكل خاص في النقوش مراراً. وكانت أوسان تمتلك أيضاً المنطقة الساحلية المجاورة لمينائها الرئيسي عدن. أما عاصمتها (مسور) فكانت في داخل البلاد. وتعتقد (بيرين)

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٢٩.

(٢) في تاريخ اليمن ـ مطهر الأرياني ـ النقش رقم ١٣ كهالي.

أنها ـ في ضوء المسوحات الأثرية ـ في الموقع الحالي (هَجَر السعدة) في وادي مرخة»[١].

ويتبين من النقوش ـ وكما يذكر د. محمد بافقيه ـ «إن مملكة أوسان يبدو أنها بسطت نفوذها على الأجزاء الساحلية وما يقوم عليها من ثغور وموانئ تقوم بالمتاجرة مع السواحل الأفريقية. وربما كان من بينها ميناءا عدن وقنا. ولا نعرف على وجه اليقين أين كان مركز هذه المملكة، غير أن دلائل كثيرة تشير إلى أنه كان في الأنحاء الواقعة جنوب قتبان، ربما في وادي مرخة وما حواليه، فمن هناك فيما يبدو أخذت تتوسع على حساب جاراتها فاقتطعت بعض الأراضي القتبانية والحضرمية... ولا شك أن أوسان، إبان ازدهارها، استطاعت أن تحتكر التجارة البحرية وخاصة في السلع الأفريقية، وذلك من خلال سيطرتها على الأجزاء الساحلية في الشاطئين اليمني والأفريقي»[٢]. أي إن دولة أوسان امتدت من ميناء قنا وحضرموت شرقاً إلى المعافر وتهامة على ساحل البحر الأحمر غرباً، وشملت بذلك كل مناطق حِمْيَر (ذي ريدان).

نهاية دولة أوسان الأولى:

ثم ـ في حوالي عام ٤٥٥ق.م. ـ تحولت مكربية سبأ إلى مملكة بزعامة (كرب إل وتار) صاحب نقش صرواح المشهور باسم (نقش النصر) والذي يقول فيه: «إن الآلهة أوحت لكرب إل وتار بن ذمر على مكرب سبأ بملكه لألمقة ولسبأ يوم أن وحدت الشعب». ثم شن (كرب إل وتار) حرباً واسعة لتوحيد الشعب والبلاد لألمقة (الإله) وسبأ (المملكة). ويذكر النقش الحرب التي شنها (كرب إل وتار) على (أوسان) بالعبارات التالية:

«ويوم هاجم أو ضرب (مخض) أوسان فكان قتلاهم ستة عشر ألفاً (١٦٠٠٠) والأسرى منهم أربعين ألفاً، واجتاح وسر (وسرم) من لجأتم إلى حمن[٣] وأحرق كل مدن أنفم وكل مدن حبان وذيب[٤]، وأنهب أوديتها وأنهب

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٩.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٠.

(٣) وسر (وسرم) في نواحي وادي مرخة حيث تبدأ ديار الأوسانيين الأصلية. ولجأتم هي (لجية) التي ذكرها الهمداني في الصفة ضمن مناطق مرخة وقال عنها إنها «واد كثير النخل والعلوب» (ص٩٥) وكذلك حمن (حمان) موضع بأعلى مرخة.

(٤) حبان: واد معروف بهذا الاسم إلى اليوم بمحافظة (شبوه) وكذلك ذيبية قبيلة حميرية تسكن إلى جوار حبان.

نسم ذهب رشاي وجردان[١]، وهاجم دثينة وأباح كل مدنها[١]، وهاجم تفض ودمرها وأخذ أذهبها وهاجمهم حتى بلغ البحر وأباح كل مدنهم التي على البحر. وضرب بوسر حتى اكتسح أوسان ومرتوم ملكهم، واستعبد رؤوس مساود أوسان. وأعمل فيهم قتلاً وسبياً وأخذ رياش (خرش) قصره (أي مرتوم) مسور. وطمس كل كتابة نالت من (كرب إل) من قصر مسور وكتابات بيوت آلهتهم... بيته مسور... وأعطى (كرب إل) لألمقة ولسبأ سرم (السرو) وأراضيها، وحمدن وأراضيهم).

لقد اكتسح (كرب إل وتار) مناطق أوسان وقصر مرتوم ملك أوسان في مدينة مسور وأخذ كل ما في القصر، وقام بطمس كل الكتابات والنقوش التي في قصر الملك مرتوم بمسور والتي تعرضت لكرب إل وتار بالانتقاص، مما قد يشير إلى هزيمة سابقة ألحقتها أوسان بكرب إل وتار نفسه فاتسم انتقامه بهذا العنف والتدمير.

ويذكر النقش اكتساح مناطق السرو (سروم) ودهسم وتبني (يافع ولحج) ويقول إنه: «وهب (كرب إل) دهسم وتبني ودثينة لألمقة ولسبأ. ووهب عودم (العود) لملك دهسم. وانتزع من أوسان ولد عودم وممتلكاتهم لأنهم خالفوا المقة وسبأ». ومنطقة العود معروفة حتى اليوم بمحافظتي الضالع وإب. وقد شملت الحملات كل أراضي السرو (سرو حمير) ـ بمحافظة إب حالياً ـ إلى المعافر وساحل البحر الأحمر غرباً.

ويذكر النقش إنه «وهب (كرب إل) لسين (إله حضرموت) وليدع إل (حاكم حضرموت) أراضي حضرموت التي كانت تحت يد أوسان. ووهب أراضي عم وانبي (إلهي قتبان) إلى (ورو إل مكرب قتبان) من تحت ذي أوسان، نتيجة مؤاخاة حضرموت وقتبان لألمقة وكرب إل وسبأ»[٢].

وبصفة عامة قضى (كرب إل وتار ملك سبأ) على مملكة أوسان، وباتت مناطقها الشاسعة جزءاً من مملكة سبأ، وأعطى مناطق أوسان الرئيسية لمكرب قتبان. ولما انتهت مملكة سبأ التي أسسها كرب إل وتار عام ٤٠٠ق.م. أضحت قبيلة ومنطقة أوسان تابعة لمملكة قتبان إلى حوالي عام ٣٢٥ق.م.

---

(١) رشاي هو وادي رشاء الذي يصب في وادي جردان. وجردان: واد بين مرخة وحبان. ودثينة: محافظة أبين.

(٢) نقش النصر ـ صرواح ـ ٣٩٤٥ سي.آي.اتش.

ثالثاً

دولة أوسان الثانية وملوكها
(٣٥٠ـ١١٥ ق.م)

يقول كلاوس شيبمان: «لا يُستبعد أن أوسان وجدت كدولة فيما بعد من جديد.. ويعتمد هذا بالدرجة الأولى على تاريخ تمثال عليه نقش كتابي ويُمثل الملك الأوساني يصدق إل فرعم شرح عثت. يؤرخه (فون فيسمن) و(هفنز) ـ اعتماداً على نمط الثياب ـ بأواسط القرن الخامس ق.م. بينما ترى (بيرين) إنه يعود إلى مطلع القرن الأول الميلادي. ومثلها (ريتنيس) أيضاً. وإذْ صح التاريخ الأخير، فإنه يتوجب القبول بظهور جديد لمملكة أوسان»[1].

إن نقوش وتماثيل ملوك أوسان تدل وتؤكد على ظهور مملكة أوسان من جديد بزعامة (يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان) الذي حدد (فون فيسمن) و(هفنر) زمنه بأواسط القرن الخامس ق.م. ـ أو أواسط القرن الرابع ق.م. ما بين عام ٣٥٠ ـ ٣٠٠ق.م. وهو الزمن الأصوب ـ وهو غير الملك (يصدق إل فرعم شرح عثت ملك أوسان بن معد إيل سلحين ملك أوسان» الذي ترى (بيرين) إن زمن تمثاله يعود إلى القرن الأول، إذْ أن لدينا ملكين إسمهما يصدق إل فارع، وليس ملك واحد.

١ ـ قيام مملكة أوسان بزعامة يصدق إل فارع بن شَرَح ومعالم عهده (٣٢٥ ـ ٢٨٥ق.م):

لقد كانت قبائل ومناطق أوسان الحميرية تابعة لمملكة قتبان ثم عادت أوسان كاذوائية مستقلة عن مملكة قتبان في أواسط القرن الرابع ق.م. (ما بين عام ٣٥٠ و٣٢٥ق.م.) ربما بزعامة (شرح عثت) من بني (ذي أوسان).. قال نشوان الحميري:

أمْ أينَ ذو أوسانَ أو ذو مأذن ... أم أين ذو التيجان والأبراح
.. أم أينَ ذو بَيْنون أو ذو مَر علي ... وبنو شَراحِيلِ وآل شَراح

فقد يكون (شَرح عثت) اسمه (شَراح عثت). وقد أصبحت (أوسان) مملكة عظيمة الصول شديدة الطَوْل ـ (حوالي عام ٣٢٥ق.م). ـ بزعامة ابنه «يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان».

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٧٠.

ويذكر د. محمد بافقيه إنه «في مجموعة النقوش التي نشرها كونتي روسيني تحت الأرقام ٩٣ ـ ٩٦ تتكرر عبارة «يصدق إل فرعم بن شرح عث ملك أوسان بن ودم». وفيما عدا النقش رقم ٩٥ وصاحبه الملك نفسه نجد أصحاب النقوش يوجهون نذورهم أو تقدماتهم إلى الملك مستخدمين عبارة «سقني مرأس» أي أهدى أو قدم لسيده. وكلمة «سقني» حين ترد في نقوش الممالك الأخرى تقترن بالآلهة مباشرة.

والعبارة الكاملة لهذا النوع الجديد من الإهداء هي كما وردت في ٩٤:

«ابشبم ذعم يدع، سقني مرأس، يصدق إل فرعم بن شرح عث ملك أوسان بن ودم، تمثالاً من الذهب (صلم/ ذذهبن) في هيكله نعمن أو نعمان (عد/ محرمس/ نعمن) لأن أباه ودّ أمر بذلك (حج/ وقه/ ابس/ ودم/ بمسألس)»[1].

وواضح جداً من هذه النصوص أن ذلك الملك كان يتمتع بصفة دينية لا نعرفها من قبل. فبالرغم من أننا نجد في نقوش قتبان مثلاً عبارة «ولد عم» كصفة للقتبانيين عامة، إلا أن اعتبار الملك وحده ابناً للإله لم يعرف عند الممالك الأخرى. والقول بأن (ود) هنا لا يعني بالضرورة المعبود المعروف لا يكفي، إذْ يؤكد تميز الملك بتلك الصفة المقدسة أن الهيكل هيكله «محرمس» وفيه ـ كما يبدو ـ يتلقى النذور نيابة عن أبيه «ود»[2].

وأياً كان الأمر بشأن (ود) المذكور في اسم «يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان بن ود». يتبين من النقوش والمصادر التاريخية:

ـ إن مملكة أوسان قامت ـ عادت ـ بزعامة (يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان) حوالي عام ٣٢٥ق.م. وانضوى تحت لوائها سائر مناطق وقبائل وأذواء مناطق حمير (ذي ريدان) من تخوم حضرموت شرقاً إلى عدن جنوباً ومناطق (سروحِمْير) ـ ومنها ظفار ـ إلى المعافر والبحر الأحمر غرباً.

إذْ أنه «امتدت مناطق مملكة أوسان المركزية في بيحان، ووادي مرخة، ووادي نصاب في الشمال، ووادي دثينة في الجنوب الشرقي... والمنطقة الساحلية المجاورة لمينائها الرئيسي عدن». وكذلك: «الأجزاء الساحلية في الشاطئ اليمني على البحر الأحمر» أي ـ كما أشار بافقيه ـ الأجزاء الساحلية وما يقوم عليها من ثغور وموانئ تقوم بالمتاجرة مع السواحل الأفريقية. وربما كان

(١) النقش رقم ٩٤ روسيني.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ بافقيه ـ ص٣١.

من بينها ميناءا عدن وقنا». وكذلك ميناء المخأ على البحر الأحمر.

ـ إن مملكة أوسان الحميرية بزعامة (يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان) قامت بمدّ سيادتها ونفوذها على الشاطئ الأفريقي على البحر الأحمر (الحبشة ـ أريترية ـ الصومال ـ ساحل السودان والنوبة) وكل «الساحل الأفريقي شمالي زنجبار». حيث كما أشار د. بافقيه «يؤكد هذا الظن إشارة جاءت في كتاب البريبلوس (الروماني) تصف الساحل الأفريقي شمالي زنجبار بالساحل الأوساني. وهذه الإشارة.. تدل على عمق الأثر الذي خلفه الأوسانيون في تلك البقاع، وهو أمر لا يمكن أن يحدث إلا نتيجة لتاريخ طويل من الوجود المستمر والنشاط الفعال والنفوذ الحقيقي». [ص٣٠] ـ وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد إلى زمن كتاب البريبلوس في القرن الثاني الميلادي. ومما يتصل بكيفية بداية ذلك الوجود والنفوذ الأوساني الحميري ما ذكره ابن خلدون عن قبائل قضاعة بن مالك بن حِمْيَر حيث قال ابن خلدون ما يلي نصه:

«وأجاز منهم أُممٌ إلى العدوة الغربية لبحر القلزم، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكاثروا هنالك سائر الأمم، وغلبوا على بلاد النوبة وفرّقوا كلمتهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد»[١].

فذلك الانتشار (الحميري) الذي ذكره ابن خلدون في الساحل الغربي للبحر الأحمر (العدوة الغربية لبحر القلزم) قد شمل (بلاد الحبشة وبلاد النوبة) ـ أي الحبشة بمدلولها الواسع القديم الذي يشمل الصومال وأريتريه وأثيوبيا وشرق شمال السودان بلاد النوبة إلى جنوب مصر. ذلك الانتشار هو الانتشار الأوساني لأن (أوسان) اسم الدولة (الحميرية) في زمن ذلك الانتشار أما قبائل وشعب الدولة فهُمْ (حميريون). ويؤكد ذلك وصف كتاب (البريبلوس) للساحل الأفريقي بالساحل الأوساني[٢].

وقد تم ذلك الانتشار ـ كما يبدو ـ في عهد (يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان) ما بين عام ٣٢٥ وعام ٢٨٥ق.م.

ويمكن القول أن مملكة أوسان بزعامة (يصدق إل فارع) كانت على علاقة جيدة باليونان، ففي حوالي عام ٣٣٠ق.م، اجتاح «الاسكندر المقدوني» تركيا والشام والعراق وفارس ومصر وانضوت جميعها تحت حكم اليونان والاسكندر

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١١١ ـ تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٤٨ جـ٢.
(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٠ و٣١.

المقدوني. وقد «اقتصرت أعمال الاسكندر فيما يخص شواطئ الجزيرة العربية على إرسال بعثات استكشافية ولم يطل به العمر لأن يفعل أكثر من ذلك». ولكن العلاقة اليونانية الأوسانية بدأت ـ فيما يبدو ـ في أواخر عهد الاسكندر المقدوني وأوائل عهد يصدق إل فارع، فقد بدأ عهد (يصدق إل فارع) حوالي عام ٣٢٥ق.م. ومات الاسكندر عام ٣٢٣ق.م. ثم تولى حكم مصر (بتليموس اليوناني) أول حكام مصر البطالسة اليونان، وقد حكم (بتليموس الأول) إلى عام ٢٨٥ق.م. ومما يدل على العلاقة الأوسانية اليونانية في ذلك العهد ما يشيرإليه د. بافقيه قائلاً: «نلاحظ من تمثال بمتحف عدن للملك يصدق إل فرعم بن شرح عث أن ملابسه عليها مسحة يونانية.. ولا نملك تفسيراً لهذه الظاهرة»[1] ونرى تفسير ذلك بقيام علاقة وثيقة بين اليونان وأوسان، أي بين (الاسكندر المقدوني) و(بتليموس اليوناني حاكم مصر) من جهة، وبين «يصدق إل فارع ملك أوسان» من جهة أخرى. وأن سيطرة أوسان على الساحل الأفريقي ـ من النوبة إلى زنجبار ـ ربما تم بالتفاهم بين الطرفين اليوناني والأوساني في ذلك العهد، بحيث ـ وكما دلت الدراسات ـ «استطاعت أوسان أن تحتكر التجارة البحرية ـ وتشرف عليها ـ من خلال سيطرتها على الأجزاء الساحلية في الشاطئين اليمني والأفريقي» ـ وكذلك من خلال سيادة أوسان على ميناء قنا بساحل حضرموت وكان هو الميناء الشرقي إلى الهند والمحيط الهندي. فكانت أوسان همزة وصل للنشاط التجاري البحري بين المحيط الهندي والشاطئين اليمني والأفريقي من جهة وبين مصر والبلاد التي تحكمها اليونان من جهة أخرى منذ عهد (يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان).

ـ وقد كانت عاصمة أوسان في عصرها الأول مدينة (مسور) في وادي مرخة، التي دمرها (كرب إل وتار ملك سبأ) ـ كما سلف التبيين ـ أما في عصر مملكة أوسان هذه بزعامة (يصدق إل فارع) فكانت العاصمة مدينة (نعمان) وفيها كان معبد نعمان (محرم نعمن) الذي تم فيه العثور على النقوش أرقام ٩٣ ـ ٩٦ روسيني من عهد (يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان) والتي جاء فيها ذكر المعبد (محرم نعمن). ويقول بافقيه: «... لا نعرف هل كان (نعمن) اسماً للهيكل (المحرم) وحده أم كان أيضاً اسماً لمدينة كان يقوم فيها الهيكل المذكور، والتي ربما كانت عاصمة أوسان في عهد ذلك الملك. وهناك موضعان على الأقل يحملان اسم نعمان، أحدهما في سرو مذحج والآخر

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٠ و٣١.

بأعلى وادي بيحان. على أن بعض من زار وادي مرخة يتحدثون عن خرائب واسعة في موضع يدعى هجر الناب ويتوقع أن توجد هناك بقايا العاصمة المفقودة»[١].

ويذكر (كلاوس شيبمان) إنه «يدعو فيلبي إلى أن العاصمة الأوسانية كانت في هجر الناب في وادي مرخة نفسه، ١٠ كم غرباً. بينما يعتقد بريتون (j. Breton) بمطابقتها مع موقع هجر يهر، شرقي وادي مرخة»[٢].

ومن روائع آثار مملكة أوسان الحميرية نحت حجري في القسم الأعلى منه كتابة بالمسند، خمسة سطور، السطر الأول يمكن أن يكون غير واضح، وهو اسم شخص ثم كلمة (سقني).

السطر الثاني والثالث «مرأس/ يصدق إل/ فرعم/ شرح عث/ ملك أوسان».

السطر الرابع «بن/ ودم/ ذي سبين/ ع).

السطر الخامس «د/ محرمس/ نعمن».

من روائع آثار دولة أوسان هذا النحت الحجري في عهد «يصدق إل فارع ملك أوسان» وفي أسفله «أسدان مُجنحان» الزمن حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد

فيكون محتوى ذلك أن صاحب النحت «أقنى الرئيس يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان/ بن/ ودّ/ هذا النحت/ في محرم نعمان». وفي أسفل النحت أسدان مُجنحان. وهو النحت الحجري التالي صورته.

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٣٠ و٣١.

(٢) الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٩٩.

٢ ـ عهد (معد إل سلحان بن يصدق إل) ـ ٢٨٥ ـ ٢٤٥ق.م:

بعد (يصدق إل فارع بن شرح عثت ملك أوسان) تسنم سدة عرش أوسان بمدينة نعمان ابنه «معد إل سلحان بن يصدق إل ملك أوسان». وقد تم العثور في وادي مرخة على تمثال من البلق لهذا الملك (طول التمثال ٨٧ سم) وفي قاعدة التمثال مكتوب بالمسند:

«معد إل/ سلحن/ بن/ يصدق إل/ ملك أوسان».

ويتبين من معطيات النقوش والمصادر التاريخية:

- أن (معد إل سلحان) هو ثاني ملوك دولة أوسان الحميرية. وقد افترض (فون فيسمن) و(هفنر) أن (يصدق إل فارع ملك أوسان) كان (في أواسط القرن الخامس ق.م). بحيث يكون (معد إل سلحان) في القرن الرابع ق.م. ولكن القرائن التاريخية سالفة الذكر تتيح إدراك أن «يصدق إل فارع» حكم في القرن الرابع إلى القرن الثالث (٣٢٥ ـ ٢٨٥ق.م). وبالتالي فإن عهد (معد إل سلحان) كان في القرن الثالث قبل الميلاد ما بين عام ٢٨٥ ـ ٢٤٥ق.م.
- وقد عاصر «معد إل سلحان بن يصدق إل» الملك (معدي كرب ملك معين بن اليفع يثع) الذي يذكر نقش معيني من عهده أنه قام بإنجازات عمرانية بمدينة قرناو عاصمة معين في النصف الأول من القرن الثالث ق.م. (حوالي ٢٨٥ ـ ٢٥٠ق.م)[١]. وكان بين أوسان ومعين روابط قوية مما يدل عليها «اشتراك الأوسانيين في عبادة (ود) مع المعينيين دون غيرهم من أبناء الممالك اليمنية الأخرى التي استقلت كل واحدة منها بمعبود خاص»[٢] مثل (المقه) في مكربية سبأ، والإله (سين) في حضرموت. فاشتراك أوسان ومعين في عبادة الإله (ود) يدل على عمق الروابط بين المملكتين وشعبيهما في ذلك العصر وبالتالي في عهد (معد إل سلحان بن يصدق ال ملك أوسان) و(معدي كرب ملك معين بن اليفع يثع) في القرن الثالث ق.م.
- وكانت أوسان ومعين وملكيهما (معد إل سلحان ملك أوسان) و(معدي كرب ملك معين) على علاقة وثيقة بدولة البطالسة اليونان في مصر وملكها (بتلموس بن بتلموس ٢٨٥ ـ ٢٤٦ق.م). الذي قام «بشق قناة تربط نهر النيل بالبحر الأحمر» ـ وبالتالي باليمن وسواحلها ـ. وفي أيامه مات في مصر التاجر

---

(١) النقش رقم ١٦٥٢ -جلاسر.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ بافقيه ـ ص٣٢.

المعيني (زيد إل بن زيد) وكان ـ كما يذكر د. أبو العيون بركات ـ «وكيلاً تجارياً للسفن بين اليمن ومصر كما كان يقوم بإمداد معابد مصر بالبخور والمرّ والقليمة». وقد مات ـ كما جاء في نقشه بالجيزة ـ «عام ٢٢ من حكم بتلمس بن بتلمس/ ويوافق عام ٢٦٤ق.م».

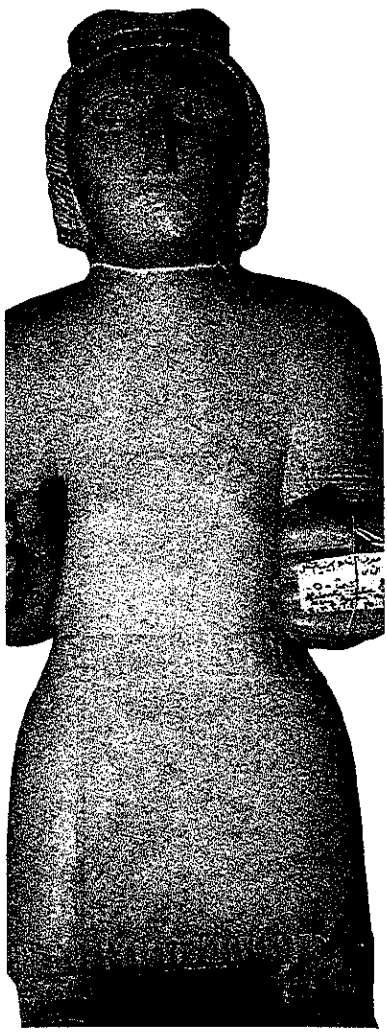

ـ وتكتمل معالم عهد «معد إل سلحان بن يصدق إل ملك أوسان» بتمثاله المعثور عليه في وادي مرخة والذي في قاعدته مكتوب بحروف المسند اسمه «معد إل سلحن/ بن يصدق إل/ ملك أوسان».

٣ ـ عهد يصدق إل فارع الثاني بن معد إل سلحان (٢٤٥ ـ ١٩٥ ق.م):

بعد «معد إل سلحان بن يصدق إل ملك أوسان» تسنم عرش دولة أوسان الحميرية ابنه الملك «يصدق إل فارع» وقد تم العثور على تمثال من الألبيستر لهذا الملك، وفي قاعدة التمثال مكتوب اسمه بحروف المسند كما يلي:

«يصدق إل/ فرعم/ شرحعت/ ملك أوسان/ بن/ معد إل/ سلحن/ ملك/ أوسان».

ويتبين من ذلك أن «يصدق إل فارع» هذا هو «يصدق إل فارع» الثاني. ونشير هنا إلى:

ـ إن تقدير (فون فيسمن) و(هفنر) لزمن (يصدق إل فارع بن شرح عثت) يقتضي أن «يصدق إل فارع بن معد إل سلحان» هذا، حكم في القرن الثالث ق.م. بينما الباحثة البلجيكية جاكلين بيرين تذهب إلى أن «يصدق إل

فارع» هذا «في مطلع القرن الأول الميلادي». ونرى استحالة أن يكون أبوه «معد إل سلحان» في القرن الثالث قبل الميلاد ويكون ابنه «يصدق إل فارع بن معد إل سلحان» في القرن الأول. ولذلك فلا بد أن «يصدق إل فارع» هذا حكم بعد أبيه ويمكن تقدير عهده بالفترة من حوالي ٢٤٥ق.م. إلى حوالي عام ١٩٥ق.م. أي في القرن الثالث إلى أوائل القرن الثاني قبل الميلاد.

- ويرتدي «يصدق إل فارع ملك أوسان بن معد إل سلحان ملك أوسان» في التمثال ثوباً يقول بعض الدارسين أن: «ملابسه عليها مسحة يونانية». وجاء في التعريف بتمثاله ما يلي: «يلاحظ الأثر الأغريقي في اللباس»[١]. وكذلك فقد تم العثور في عدة مواقع أثرية باليمن على قطع نقدية يونانية وهي ـ كما قال (بول جنبيه) ـ «تدل على استعمال النقود اليونانية في جنوب الجزيرة العربية»[٢].

وذلك من شواهد العلاقة الحضارية بين اليونان وبين الممالك اليمنية (أوسان ـ معين ـ سبأ) في ذلك العصر من القرن الخامس إلى القرن الثاني ق.م. وبالتالي في عهد (يصدق إل فارع بن معد إل سلحان) في الفترة ما بين ٢٤٥ ـ ١٩٥ق.م. لأن اليونان والمعسكر اليوناني بدأ في السقوط على يد الرومان عام ١٩٧ق.م. حيث «أعلنت مقدونيا وحكومات بلاد اليونان الولاء والتبعية لروما سنة ١٩٧ق.م. ثم انضوت آسية الصغرى (تركيا) والشام تحت نفوذ الرمان سنة ١٩٠ق.م. ثم أعلنت مصر البطالسة الولاء للرومان عام ١٦٤ق.م».

وكل ذلك يعزز أن عهد (يصدق إل فارع بن معد إل سلحان) كان في الفترة (٢٤٥ ـ ١٩٥ق.م). قبل انهيار المعسكر اليوناني وانتهاء التأثير اليوناني. وبتمثال (يصدق إل فارع الثاني بن معد إل سلحان) تكتمل معالم عهده.

---

(١) السياحة في اليمن ـ ص٥٦.

(٢) ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية ـ بول جنبيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٢٧ مارس ١٩٨٧م.

Alabaster statue of Yasdaq la Faram, Shara'at King of Ausan, son of Ma'adil Salhan as is indicated by the inscription on the front of the rectangular base. It was found in Wadi Markha, 4th Governorate. The figure (80 cms) ha the same characteristi pose noted in other sculptures and wears an elaborate wig. Doubtless, the statue enables us to get a good idea of the clothes (clearly a reflection of Greek dress) worn by Ausan Kings.

La statue en albaâtre de Yasdaq al Faram Shara'at roi Aussane et fils de Ma'adil Salhan comme cela est indiqu¡ par L'inscription sur la face de la base rectangulaire d¡couverte ب Wadi Markha, 4e Gouvernoral. La figurine (80 cm) a la me⁂me pose caract¡ristique d¡j ب remarqu¡e sur les autres sculptures et porte une perruque ¡labor¡e. Sans aucun doute, la statue nous permet d'avoir une bonne id¡e de l'habillement (apparemment) une copie du mode vestimentaire grec) port¡ pae les rois Aoussane.

Die Alabasterstatue von Yasdaq al Faram Shara'at, K¤nig von Aoussane und Sohn von Ma'adil Salhan, wie es aus der Inschrift zu ersehen ist, die sich auf der Vordereseite der rechteckigen Basis befindet, die in Wadi Markha, im 4. Gouvernorat, entdeckt Wurde. Die 80 cm grosse Figurine nimmt die gleiche Charakteristiche Stellung ein, wie sie auch an anderne Skulpturen, feststellen Kann und sie tr¤gt eine sehr fein ausgearbeitete Per¡cke. Die Statue gibt uns zweifelsohne einen Einblick in die Trachten (Woht eine Kopie der griechishen Kleidermode) der K¤nige von Aoussane.

تمثال من البلق (٨٠ سم) يصدق إل فرعم شرحعت، ملك أوسان، ابن معديل سلحان كما يبين النقش المنحوت في قاعدته.. وجد في وادي مرخة ومعروض في متحف الآثار الوطني، وللتمثال نفس الوقفة التي نجدها في بقية التماثيل.. ويلاحظ الأثر الأغريقي في اللباس.

٤ ـ ربدسيلان ملك أوسان (١٩٥ ـ ١٨٥ق.م):

ثم تسنم عرش دولة أوسان الحميرية «ربد سيلان ملك أوسان بن معد إل سلحان ملك أوسان». وهو رابع ملوك أوسان في هذا العصر. ويمكن تقدير عهده بحوالي ١٩٥ ـ ١٨٥ق.م.

ويبدو أنه عاصر «أب يدع يثع/ ووقه إل ريام/ ملكي معين» وقد حكما في تلك الفترة تقريباً.

٥ ـ يصدق إل فارع (الثالث) بن معد إل (١٨٥ ـ ١٧٠ق.م):

وقد تم العثور على تمثال للملك «يصدق إل فارع ملك أوسان بن معد إل». ونرى أنه غير الملك (يصدق إل فارع بن معد إل سلحان) بدليلين:

أ ـ أن (يصدق إل فارع) ـ الثاني ـ جاء اسمه في قاعدة تمثاله كما يلي : «يصدق إل/ فرعم/ شرح/ عث/ ملك أوسان/ بن/ معد إل/ سلحن/ ملك أوسان» .

بينما (يصدق إل فارع) ـ الثالث ـ جاء اسمه في قاعدة تمثاله كما يلي : «يصدق إل/ فرعم/ ملك أوسان/ بن/ معد إل» .

ب ـ إن شكل تمثال كل منهما يختلف عن تمثال الآخر اختلافاً كاملاً . ويدل ذلك الاختلاف على أن هذا غير ذاك .

ولا يوجد ما يتيح تقدير عهد (يصدق إل فارع) الثالث هذا، وترتيبه بين ملوك أوسان، وقد ذكرناه هنا ـ بعد الملك (ربد سيلان) للاحتفاظ له بمكان بين ملوك أوسان، فقد يكون عهده قبل ذلك، وقد يكون في الفترة ما بين (١٨٥ ـ ١٧٠ق.م). أو إلى ما بعد ذلك بأمد يسير .

وربما في عهده بدأت دولة أوسان تتفكك بعودة وصيرورة (قتبان) مملكة مستقلة تولى حكمها «يدع أب غيلان ملك قتبان» الذي سلف تحديد بداية عهده بعام ١٧٥ق.م.

Alabaster satues (70 cms) of the Ausan King Yasdugal Farma. Statues en albâtre du roi Aussane Yasdugal Faram (70 cm). Alabaste statuen des Aoussane - Königs Yasadugal Faram (70 cm).

تمثال من البلق على قاعدة ليصدق آل فرعم ملك أوسان ابن معدال (٧٠ سم) . .

٦ و٧ ـ عم بَتْع لحيّ وفرعم رهان آخر ملوك أوسان (٠٠٠ ـ ١١٥ ق.م) :

وتذكر قوائم ملوك أوسان ملكاً اسمه «عم بتع لحيّ» في عهده ضعفت دولة أوسان، وعاصر ـ فيما يبدو ـ «يدع أب غيلان ملك قتبان» .

ثم حكم أوسان «فرعم رهان إل شرح ملك أوسان» وعاصر ـ فيما يبدو ـ «هوف عم يهنعم ملك قتبان» وكان «فرعم رهان» آخر ملوك أوسان، فقد انتهت أوسان بقيام دولة قتبان الحميرية بزعامة (شهر يجل يهرحب) عام ١١٥ق.م. وبذلك انتهى تاريخ دولة أوسان وعصرها التليد.

المبحث الرابع

دولة مكارب سبأ
(٥٢٥ق.م.ـ ٢٠٠ ب.م)

أولًا

العصر الأول لمكارب سبأ
(٥٢٥ ـ ٤٦٠ق.م)

إن دولة مكارب سبأ هي خامس خمس دول يمنية قامت حوالي عام ٥٢٥ق.م. وهي معين، وقتبان، وأوسان، ومكربية سبأ، وحضرموت.

إن آثار ونقوش عصور دولة سبأ وملوك سبأ التابعة يمتد زمنها من القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١] إلى القرن السادس قبل الميلاد، ونقوش ملوك سبأ التابعة مؤرخة بتقويم سبئي وآخرهم (معدي كرب يعفر) المؤرخ نقشه في محرم بلقيس بعام ٦٣١ للتقويم السبئي ويوافق عام ٥٨٩ قبل الميلاد[٢].

بينما عصر (مكارب سبأ) بدأ بعد ذلك (حوالي عام ٥٢٥ق.م). حيث دلت الدراسات على «إن أول المكربين هو (سمه علي) من غير نعت أو لقب... وإن (سمه علي ينف مكرب سبأ) قام بتعمير سد مأرب حوالي عام ٥١٠ قبل الميلاد»[٣] وإنه «... لا يرجع تاريخ دولة مكارب سبأ إلى ما قبل القرن الخامس ق.م»[٤].

---

(١) تقرير البعثة الأثرية الأميركية برئاسة د. جيمس ساور، حيث تم كشف آثار سبئية تعود إلى ١٤٠٠ ـ ١٣٠٠ق.م. بمأرب.

(٢) نقش (معدكرب يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت...» ـ رقم ٢٢٨ فلبي ـ المؤرخ بعام ٦٣١ للتقويم السبئي.

(٣) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٦٣ و٦٥.

(٤) سبأ ـ جاكلين بيرين.

إن الحقيقة التي تتبين من كل ذلك بجلاء هي أن عصر (مكارب سبأ) ليس بداية تاريخ سبأ، وإنما هو بداية ما بعد سقوط وانتهاء عصور دولة ملوك سبأ التبابعة وحضارتها العظيمة وانهيار سد مأرب العظيم الأقدم وسيل العرم في عهد (معدي كرب يعفر) حوالي عام ٥٢٧ قبل الميلاد حيث (تفرقت أيادي سبأ) فقامت خمس دول هي معين وقتبان وأوسان ومكربية سبأ وحضرموت، ويؤكد ذلك أنها قامت جميعها في وقت واحد أو متقارب ما بين عام ٥٢٥ وعام ٥١٠ق.م. وكان النطاق الجغرافي لكل منها جزءاً من مناطق اليمن التي كانت جميعها مشمولة بدولة ملوك سبأ التبابعة، فجميعها كانت جزءاً من سبأ في عصور ملوك سبأ التبابعة، ثم تفرقت إلى خمس دول، فقامت بمخاليف سبأ دولتان: معين ومكربية سبأ، وقامت بمخاليف ذي ريدان (حمير) دولتان: قتبان وأوسان، وقامت بحضرموت دولة حضرموت.

لقد قامت (مكربية سبأ) كاتحاد سياسي وديني لمناطق وقبائل مخاليف سبأ (باستثناء المناطق والقبائل التي دخلت في دولة معين) ـ فاتحدت بقية مناطق وقبائل مخاليف سبأ تحت لواء عبادة الإله (المقة) وتحت حكم زعيم يجمع الزعامة الدينية والسياسية ويحمل لقب (مكرب سبأ).

وقد ذهب (فلبي) إلى «إن أول المكربين هو (سمه علي) من غير نعت أو لقب». وهذا يعني إنه لم يحمل لقب (مكرب سبأ) ولا وجه للقول بأنه (أول المكربين) إلا إذا كان هو والد (ذمر علي ذرح مكرب سبأ) فيكون والد (أول المكربين) وليس (أول المكربين). ويكون أول المكربين نقوشياً إنما هو «ذمر علي ذرح مكرب سبأ» ما بين عام ٥٢٥ ـ ٥١٠ق.م.

ثم يليه: «سمه علي ينف مكرب سبأ بن ذمر علي ذرح مكرب سبأ» الذي قام بعمل تاريخي هام هو بناء سد مأرب القديم الثاني. إذ أنه ـ وكما يذكر د. بافقيه ـ «إن النقش (٦٢٣م) يتحدث عن تعمير (سمه علي ينف) لسد مأرب، ربما حوالي عام ٥١٠ق.م». وقد نقل بافقيه هذا التقدير الزمني عن:

- Wissman. Hermann V.

- Zur Geshichte und Landskunde Von Altsudanarbien. Wien. 1964. p.26 - 27.

بينما جاء في نص قام بكتابته د. يوسف محمد عبد اللّه ومطهر الأرياني: «إن سد مأرب القديم بناه الزعيم سمه على ينوف مكرب سبأ في القرن الخامس قبل الميلاد».

وقد سلف تبيين أن سد مأرب العظيم الأقدم (العرم) يعود تشييده إلى الألف الثالث قبل الميلاد، حيث كشفت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية أن إحدى منشآت السد الأقدم يعود زمنها إلى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد[١].

وإنه «أرخت الدراسات من قِبَل ف. فاجنر W. Wagner ذلك الخزان المائي بأواسط الألف الثالث قبل الميلاد، أو على الأقل بالنصف الثاني منه»[٢] وأثبتت التنقيبات والنقوش وجود سد مأرب العظيم الأقدم في النصف الأول من الألف الأول ق.م. وإن آخر تجديد وتحسين لمنشآت السد العظيم «كان في القرن السابع ق.م»[٣]. وقد سجل ذلك التجديد والتحسين نقش الملك (شرحبيل يعفر بن أبي كرب سعد) المؤرخ بعام ٥٦٥ للتقويم السبئي (٦٥٥ق.م). في القرن السابع ق.م. وهو نقش ضخم يتكون من مائة سطر، وقد أوردناه في مبحث عهد «شرحبيل يعفر» مع نص تقرير البعثة الأثرية الألمانية. وقد استمر سد مأرب العظيم الأقدم إلى القرن السادس ق.م.

وبالتالي فإن سد مأرب الذي بناه (سمهعلي ينوف مكرب سبأ) في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد هو سد مأرب القديم الثاني. حيث جاء في نقش يوجد بالصدف الأيسر لسد مأرب أن «سمهعلي ينف مكرب سبأ بن ذمر على ذرح مكرب سبأ قام ببناء (مصرف رحبم) ـ (انتهى). ومصرف رحبم هو الصدف الأيسر لسد مأرب القديم الثاني. وما يزال ذلك الصدف قائماً حتى اليوم.

ثم ـ وكما يذكر د. بافقيه ـ «توالت الإضافات بعد ذلك على أيدي مكارب آخرين من بعد (سمه علي ينف) منهم (يثع أمر بين) ابنه»[٤] فقد جاء اسم «يثع أمر بين مكرب سبأ بن سمه علي ينف مكرب سبأ) في نقش بالصدف الأيسر يذكر قيامه بالبناء في (مصرف رحبم). وكان (يثع أمر بين) هذا ثالث مكارب سبأ.

---

(١) اكتشافات جديدة للبعثة الألمانية ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة الوطن ـ العدد ٥/ ١١/ يونيو ١٩٨٨م.

(٢) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٦٦.

(٣) تقرير معهد الآثار الألماني ببرلين ـ صيف ٨٣/ ١٩٨٤م.

(٤) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٦٥.

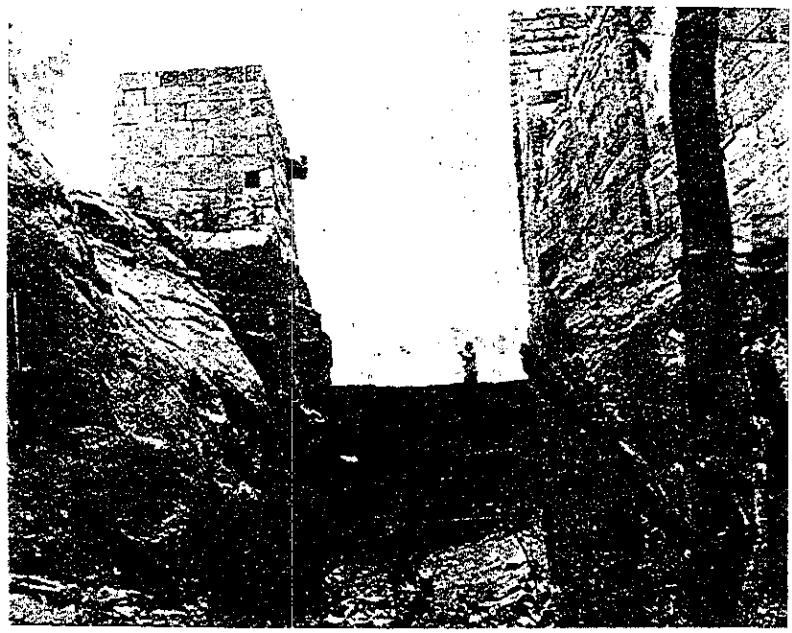

الصدف الأيسر لسد مأرب القديم الثاني (مصرف رحبم)
الذي بناه (سمهعلي ينف مكرب سبأ) ـ في أوائل القرن الخامس ق.م.

ثم حكم بعده «كرب إل يبين مكرب سبأ» ثم «ذمر على مكرب سبأ» والد «كرب إل وتار» الذي بزعامته تحولت مكربية سبأ إلى (مملكة) حوالي عام ٤٦٠ق.م. في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.

ثانياً

عصر مملكة سبأ الوسيطة

(٤٦٠ـ٤٠٠ق.م)

بزعامة (كرب إل وتار بن ذمر على مكرب سبأ) تحولت (مكربية سبأ) إلى (مملكة) أصبح (كرب إل وتار بن ذمر على) أول ملوكها الذين يستفاد مما جاء في كتاب الإكليل أن مكارب سبأ ثم ملوك مملكة سبأ (الوسيطة) هذه كانوا من «بني سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حِمْيَر بن سبأ».

قال الهمداني: «قال عمرو بن النعمان:

لبلقيس كان المُلكُ في أرض مأربٍ ... وراثـة أجـدادٍ كـرام الـمـعـاطـسِ
. . . فأُورِثَهُ عمرو الندى ابن أذينَة ... وخَولان في أعلى رفيع المجالسِ

فمدّ على صرواح نعمى مهابة فأُوْرِثَهَا سعدُ زمام الفوارسِ

... وقال عمرو بن زيد الثّعالبي من بني سعد بن سعد بن خولان:

أبونا الذي أهمى السروج بمأربٍ وآبت إلى صرواح قدماً نوافله
لسعد بن خولان رسا الملك واستوى ثمانين حولًا ثم رجّت زلازله»[1]

لقد كانت (بلقيس) أشهر ملوك سبأ التبابعة في ذاكرة الأجيال، لذلك قال القائل: «لبلقيس كان الملك في أرض مأرب» والمقصود لملوك سبأ التبابعة ومنهم بلقيس، وانتهت عصورهم في القرن السادس ق.م. وتفرقت أيادي سبأ. ثم قامت دولة مكارب سبأ الذي يشير الشعر المتقدم إلى أن مكاربها كانوا من بني (عمرو بن أذينة) ومن بني (سعد بن خولان) ثم أصبحت الزعامة في مأرب وصرواح لبني سعد بن سعد بن خولان، وبالتالي يمكن إدراك أن منهم كان «كرب إل وتار بن ذمر على مكرب سبأ» وهو المقصود بقول الشاعر:

حلّ صرواح فابتنى في ذراه حيث أعلى شغافه محرابا[1]

ويتبين من النقوش والدراسات والمصادر التاريخية:

١ ـ عهد كرب إل وتار ملك سبأ:

يُسجل نقش كبير في صرواح: «إن الآلهة أوحت لكرب إل وتار بن ذمر على مكرب سبأ، بِمُلكه لألمقة وسبأ، يوم وحدّت الشعب. وإن (كرب إل وتار) قام «بتجديد رابطة (معشرة) سبأ ليكونوا يداً واحدة (كأحد). ويحمد الآلهة التي جادت عليهم بالأمطار. ويصف الأعمال الزراعية التي قام بتنفيذها»[2].

ثم في السطور(٣ ـ ٢٠) من ذلك النقش المشهور باسم (نقش النصر) يذكر (كرب إل وتار) الحملات الحربية التي شنها لتوحيد البلاد والشعب لألمقة (الإله) وسبأ (المملكة) وكرب إل (الملك). فيبدأ بذكر الحملة على منطقة المعافر وينتهي بذكر الحملة على مناطق الجوف ونجران. ونرى أنه بدأ بذكر الحملات الأخيرة ثم التي سبقتها لأن من أسلوب النقوش البدء بذكر الأحداث الأخيرة وليس الترتيب. وتتلخص الحملات والأحداث التي ذكرها نقش (كرب إل وتار) في:

أ ـ اجتياح مناطق الجوف ونجران (المعينية) حيث «هاجم وحاصر نشن ونشق وأخضع أرضهم لألمقه ولسبأ... وفرض على (سمه يفع) ملك نشق ونشن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٧٨ جـ٨.
(٢) نقش النصر ـ صرواح ـ RES٣٩٤٥.

بأن ترابط قوة سبئية (كذيحور سبأ) بمدينة نشن وبأن يبني (سمه يفع) ونشن بيت المقه بوسط مدينة نشن. وانتزع ماء ذقعفن من سمه يفع وأقطعه (يذمر ملك هرم) وانتزع من سمه يفع ونشن (حرة ذات ملك وقه) وأقطعها (نبط على ملك كمنهو). وسوّر (كرب إل وتار) مدينة نشق ووضعها تحت إشراف سبأ لألمقة ولسبأ. وفرض (ضرائب مالية) على مدن الجوف.

وهاجم مهامرم وأميرم (أرض أمير) واجتاح كل بلاد مهامرم وعوهيم (في نجران)... وصادر أراضي زراعية لمهامرم بنجران. وفرض على مهامرم (ضرائب مالية) لألمقة ولسبأ...).

وقد ذكر النقش حروباً وأعمال تدمير وقتلى وأسرى في تلك الحملات، ولكن جوهر ونتيجة ذلك هو ما تقدم، أي انضواء مناطق الجوف ونجران في مملكة سبأ...

ب ـ اجتياح وضم مناطق مملكة أوسان إلى سبأ حيث (هاجم كرب إل وتار مناطق أوسان). وهنا يذكر النقش مناطق كثيرة ـ سلف ذكرها في المبحث السابق عن مملكة أوسان ـ منها «لجأتم. حمن. أنفم. حبان. ذيب. نسم. رشاي. جردان. دثينة. حتى بلغ البحر» ـ ساحل شبوة وأبين ـ وأباح مدينة مسور عاصمة أوسان. واجتاح أراضي السرو (سروحمير).. واجتاح (دهسم وتبنى) ـ لحج ويافع والضالع ـ وأرض عودم (العود/ سروحمير) ـ بمحافظة إب ـ ووهب دهسم وتبني ودثينة لألمقة ولسبأ. ووهب عودم لملك دهسم. وانتزع من أوسان ولدعودم وممتلكاتهم لأنهم خالفوا المقة وسبأ.

... ورشاي وجردان إلى عرمة (في حضرموت) وسيبان وأراضيهم ومدنهم أثخ وميفع ورتحم (بحضرموت) وكل أرض عبدان (بشبوة).. إلى البحر.. وكل البحار التابعة لهذه المناطق وكل أرض يلاي وشيعن... إلخ.

ووهب (كرب إل وتار) لسين ولحول (الهي حضرموت) وليدع إل (حاكم حضرموت) أراضي حضرموت التي كانت تحت يد أوسان.

ووهب أراضي عم وأنبى (قتبان) لورو إل (مكرب قتبان) من تحت يد أوسان لأن حضرموت وقتبان حالفوا المقه وكرب إل وسبأ.

ووضع (كرب إل) العديد من المناطق والمدن في حضرموت وشبوة وأبين ولحج ويافع والضالع وسرو حمير (إب) تحت الإشراف المباشر لسبأ (أي الدولة).

وسوّر مدن السرو (سروحمير) ونظم الري في أوديتها وجعلها لسبأ (الدولة).

جـ ـ **اجتياح وضم مناطق المعافر إلى سبأ**. حيث يذكرالنقش أن كرب إل وتار «اجتاح كل مدن المعافر وظبر وظلم وأروى... وهاجم ذبحان ذي قشرم وشرجب وأباح مدنهم. وتملك لألمقه ولسبأ عرّهم الحصين عسمت ومصدر مياههم صير». (اهـ).

ويتبين من ذلك أن «كرب إل وتار» أعاد توحيد كل أرجاء اليمن في ظل مملكة سبأ وهو بذلك من ملوك سبأ التبابعة.

وقد بات من المؤكد في الدراسات أن عهد (كرب إل وتار) كان ما بين عام ٤٦٠ق.م. وعام ٤٣٠ق.م. حيث «تؤرخ دراسة بيرين أحداث النقش بنحو عام ٤٦٠ق.م. وفون فيسمن بأواخر القرن الخامس ق.م. وريكمانز بأنه قبل عام ٤٠٠ق.م»[١] ويذكر بافقيه إنه «في وقت ما من القرن الخامس ق.م».

النقش الثاني لكرب إل وتار:

وفي نقش آخر لكرب إل وتار ملك سبأ بصرواح يذكر إنجازاته الاقتصادية والعمرانية، فيذكر:

أ ـ إنه سور عدداً من المدن من بينها يثل (براقش) في الجوف.

ب ـ كما قام بإصلاح مسايل المياه حول مدينة تَمْنَع، وسوّر عدداً من المدن هناك.

جـ ـ وأضاف إصلاحات إلى المساقي المتفرعة من سد مأرب من ناحية (يسرن) من وادي ذنه بمأرب.

د ـ وأتم تعلية قصره سلحم»[٢].

ويكتسب أهمية خاصة قصر سلحم الذي أتم كرب إل وتار تعليته. فهو الذي قال عنه الشاعر:

حَلّ صرواح فابتنىٰ في ذُراه حيث أعلى شغافه محرابا

فقد كانت مدينة صرواح هي عاصمة مملكة سبأ الوسيطة هذه والتي تعاقب على حكمها ثلاثة ملوك وهم (كرب إل وتار) ثم ابنه (يدع إل بين) ثم حفيده

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيمان ـ ص٦٩.
(٢) النقش رقم ٣٩٤٥ ب R.E.S.

(هاني كرب ملكوتر بن يدع إل بين/ بن كرب إل وتار). وكان عصرهم في الفترة من ٤٦٠ ـ ٤٠٠ق.م. وقد جاء في الإكليل أنهم من بني سعد بن سعد بن خولان.

قال الهمداني: «قال عامر بن أحمد بن يزيد القشيبي:

والبهاليلُ من سلالة خَولان ... أولو العزم والفعال الأريب
ملكوا المُلك ألف شهر ومدّوا ... فوق صرواح بيت ريح الجنوب
فإذا دار دارت الريحُ فيه ... مستديراً بسَمكِه المنصوب
بتخاشيب رُكبَتْ فيه أرواحُ ... تتألى بأحسن التحسيب
فترى القصر مستديراً لجنبيه ... رخام تدور بالتثقيب»[1]

فذلك هو قصر سلحم بصرواح الذي ذكر نقش (كرب إل وتار) إنه أتم تعليته، ويعطينا ذلك اليقين بأن (كرب إل وتار ملك سبأ بن ذمر علي مكرب سبأ) هو من (بني سعد بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ).

وقد جاء في دراسة للبعثة الأثرية الفرنسية لأطلال المدن المعينية بالجوف: «إن مدينة الأساحل (المسماة قديماً عرارة) ـ وخربة مسعود (المسماة قديماً كتل) في وادي رغوان تم بناءها بأمر ملك سبأ كرب إل وتار بن ذمر علي في القرن الخامس قبل الميلاد»[2].

وبذلك يتأكد أن عهد كرب إل وتار كان في القرن الخامس قبل الميلاد، ما بين عام ٤٦٠ق.م. إلى حوالي عام ٤٣٠ ق.م. وهو من الملوك التبابعة.

٢ ـ يدع إل بين ملك سبأ بن كرب إل وتار:

ثم تسنم عرش مملكة سبأ (الوسيطة) في قصر سلحم بصرواح «يدع إل بين ملك سبأ بن كرب إل وتار ملك سبأ بن ذمر علي مكرب سبأ».

وفي عهده تم سَنّ قانون خاص بالأرض والضرائب على الأرضي في أرجاء المملكة. وقد حكم (يدع إل بين) نحو عشر سنوات. ربما إلى حوالي عام ٤٢٠ق.م. وبما أنه (ملك سبأ) فهو أيضاً من الملوك التبابعة.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٢ جـ٨.

(٢) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ تقرير البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ ٣/ ١٩٨٥م.

٣ ـ هاني كرب ملكوتر ملك سبأ:

ثم تسنم عرش مملكة سبأ في قصر صرواح «هاني كرب ملكوتر ملك سبأ بن يدع إل بين ملك سبأ بن كرب إل وتار ملك سبأ».

وأصدر (هاني كرب) مرسوماً تم نحته على دعامة مربعة من حجر البلق في موقع معبد صرواح، ينص على الالتزام بتنفيذ قانون الأرض والضرائب الذي صدر في عهد أبيه. ويذكر النقش أن القانون صدر بحضور عشرة من الأذواء الأقيال وهم: «يكرب ملك. عم أمر. سمه كرب بن كرب. ملك أمر بن حزفر. عم أمر بن حزفر. أبكرب بن مقار. يسمح أمر بن ملك. معدي كرب ذو خولان. سمه كرب ثورن. نبط إل ملك ربعن بن برط».

وكان (هاني كرب) ثالث وآخر ملوك مملكة سبأ الوسيطة. ففي أواخر عهده تفككت المملكة ما بين عام ٤١٠ ـ ٤٠٠ق.م. ثم انهارت وانتهى حكم بني سعد بن خولان. قال أبو زرعة الخولاني وهو من سلالتهم:

أقمنا على صرواح خمسين حجةً ... وسبعة أعوام ونحن ملوكها
فأصبح ذاك المُلك بُدِّد شَمْلَهُ ... كذاك الليالي ليس يبلئ مسوكها

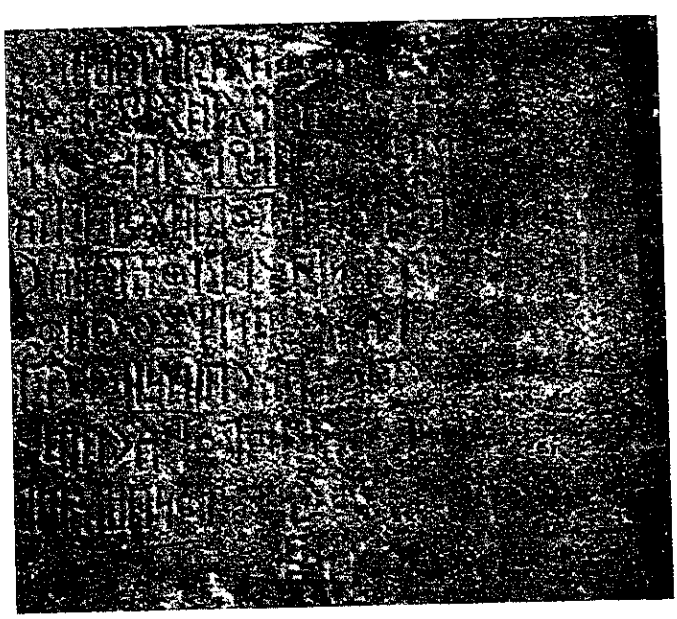

نقش (هاني كرب ملك سبأ) بالإلزام
بتنفيذ قانون الأرض والضرائب. ـ صرواح/ حوالي عام ٤١٠ق.م.

ثالثاً

العصر التالي لدولة مكارب سبأ
(٤٠٠ ـ ١١٥ق.م)

لقد تفككت مملكة سبأ الوسيطة التي أسسها ـ (كرب إل وتر) وقامت مملكة معين بزعامة «صدق إل ملك معين وحضرموت» عام ٤٠٠ق.م. وكذلك قامت مملكة قتبان بزعامة (يدع أب ذبيان) وشملت مناطق قتبان وردمان وأوسان وحمير. وبذلك انتهت مملكة سبأ الوسيطة، وعادت سبأ (مكربية) كما كانت قبل عهد (كرب إل وتار) أي كإحدى الدول اليمنية القديمة الوسيطة (معين ـ قتبان ـ مكربية سبأ..).

ويتصدر مكارب سبأ في هذا العصر «يدع إل ذرح مكرب سبأ» الذي ربما استمر حكمه فترة طويلة ما بين (٤٠٠ ـ ٣٥٠ق.م). في النصف الأول من القرن الرابع ق.م.

ثم يليه (يثع أمر وتار مكرب سبأ بن يدع إل ذرح مكرب سبأ) فقد قامت البعثة الأثرية الفرنسية بدراسة في موقع (دابر) بالجوف حيث تم العثور على نقش باسم (يثع أمر وتار بن يدع إل ذرح) هذا، يعود إلى النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. وتوصلت البعثة إلى أنه قام بعمل تحصيني في موقع دابر بالجوف «في أواخر القرن الرابع ق.م»[١]. وقد جاء في نقش معيني من عهد «أب يدع يثع ملك معين» إن قافلة معينية تعرضت لغارة من جماعة سبئية وخولانية. وكان ذلك عام ٣٤٣ق.م. حيث بدأ الاحتكاك بين مملكة معين ومكربية سبأ[٢] ويمكن القول أنه في إطار تداعيات تلك الحادثة مدّت مكربية سبأ سلطتها إلى موقع (دابر) بالجوف، ثم إلى مدينة (نشق) المعينية الهامة، فقام «يثع أمر وتار مكرب سبأ» بعمل تحصيني في موقع (دابر) بالجوف في أواخر القرن الرابع ق.م.

ثم تولى مكربية سبأ ابنه «كرب إل بين مكرب سبأ بن يثع أمر وتار مكرب سبأ» وقام بتعلية أسوار مدينة نشق وتقوية أبراجها ـ ربما لصد أي هجوم معيني محتمل ـ وقد حددت دراسة البعثة الأثرية الفرنسية أن (كرب إل بين مكرب سبأ) قام بتعلية أسوار نشق في مطلع القرن الثالث ق.م) ثم آل الأمر إلى اتفاق بين مكربية سبأ ومعين، وعادت دابر ونشق إلى معين.

وبعد انتهاء الاحتكاك بين مكربية سبأ ومعين في أوائل القرن الثالث ق.م. فإن نقوش مكارب سبأ لا تذكر أي أحداث إلا أسماء مكارب تعاقبوا على الحكم

---

(١) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية ـ تقرير البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ السنة ٣/ ١٩٨٥م.
(٢) النقش رقم ١١٥٥ جلاسر.

ولهم نقوش قصيرة في بعض المعابد والمواقع بمأرب حيث تذكرالقوائم أسماء :

ـ(ذمر علي مكرب سبأ بن كرب إل بين مكرب سبأ) ـ في أواسط القرن الثالث ق.م.

ـ (سمهعلى ينف مكرب سبأ بن ذمر علي بن كرب إل بين) ـ النصف الثاني من القرن الثالث ق.م.

ـ (كرب إل وتر مكرب سبأ). ربما عاصر (أب يدع يثع ووقه ريام ملكي معين/ ١٩٥ ـ ١٥٠ق.م).

ـ (يثعمر يبين مكرب سبأ) ـ ما بين ١٥٠ ـ ١١٥ق.م.

إن أولئك هم ـ غالباً ـ مكارب سبأ، المؤكد أنهم كانوا في ذلك العصر ما بين ٤٠٠ ـ ١١٥ق.م. وعددهم ٧ مكارب. وكان كل (مكرب) يستمر (مكربا) حتى يموت غالباً.

وفي إطار دولة مكارب سبأ كان هناك ملوك في مناطق من مخاليف سبأ، والمشهور منهم (ملوك سمعي) بمناطق حاشد وهمدان. منهم «يهعن ذيبين بن يسمع إل بن سمهكرب ملك سمعي» وباسمه هذا النحت والنقش السبئي الرائع الذي يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

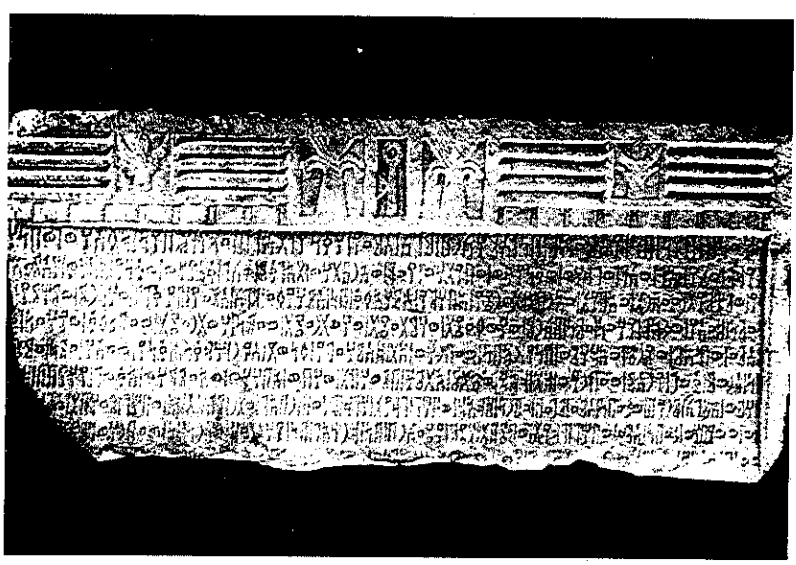

نقش علي حجر جيري في الأعلى إطار بارز مزخرف بأخاديد غائرة وبارزة ورمز للإله المقة (الثور) وأسفله نقش بالمسند محتواه يهون ذيبين بن يسمع بن سمه كرب ملك سمعي ينذر نفسه وبنيه وأرضه التي يذكرها وكل ما يملكه ينذر به ليكون في خدمة ربه الإله تألب ريام ويعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد

رابعاً

العصر الثالث لدولة مكارب سبأ

(١١٥ق.م-٢٠٠ب.م)

كانت دولة مكارب سبأ إحدى أربع دول يمنية حين كتب سترابون الروماني عن الحملة الرومانية إلى اليمن عام ٢٤ق.م. وعن واقع اليمن بلاد العربية السعيدة وشعوب ممالكها فقال بأنهم:

«أربعة شعوب: المعينيون وعاصمتهم قرناو، والسبئي وعاصمتهم مأرب (ماريابا)، والقتبانيون وعاصمتهم تمنع (تمنه)، والحضارم وعاصمتهم شبوة»[١].

وذكر (سترابون) إن الحملة الرومانية بقيادة إليوس جاليوس عام ٢٤ق.م. حاصرت مأرب (ماريابا) مدينة الراماينتي (أريمان) التابعين لايلزروس. وهذا الاسم - كما قرر الدارسون ومنهم ألبرت جام - يقابل اسم (إل شرح) بالعربية. وقد دلت دراسة علمية أثرية للنقوش التي ترجع باليوجرافيا إلى تلك الفترة - وكما يذكر د. بافقيه - «إن (إيلزروس) قد يكون أميراً اسمه (إل شرح) شقيق لذمر علي بين مكرب سبأ، وابن لسمه على ينف مكرب سبأ، وكبير في نفس الوقت للراماينتي (أريمان) الذين أشار إليهم سترابون»[٢].

ويتيح ذلك إدراك ترتيب مكارب سبأ من (١١٥ق.م. إلى ٧٠ ب.م.) كما يلي:

١ - كرب إل مكرب سبأ.

٢ - سمه علي ينف - الثالث - مكرب سبأ.

٣ - إل شرح بن سمه علي ينف مكرب سبأ الذي ذكره (سترابون) بلفظ (ايلزروس) وفي عهده كانت الحملة الرومانية الفاشلة بقيادة إليوس جاليوس عام ٢٤ق.م. حيث أدت التحصينات القوية لمدينة مأرب إلى نكوص الحملة الرومانية وعودتها بالفشل من مأرب إلى ميناء ينبع ثم بحراً إلى مصر.

٤ - ذمر على بين مكرب سبأ (أخو إل شرح وابن سمه علي ينف).

٥ - كرب إل مكرب سبأ بن ذمر علي بين مكرب سبأ.

---

(١) اليمن وحضارة العرب - د. عدنان ترسيسي - ص٢٥.

(٢) تاريخ اليمن القديم - د. محمد بافقيه - ص٨٥ - عن كتاب Wissman. Hermann V. Zur Geschichte und Landskunde Von At-Sudanarabien.

وقد أفرد (سترابون) فقرة مطولة للسبئيين قال فيها: «إن السبئيين شعب كبير التعداد. وإن بلاد السبئي شديدة الخصوبة، تنبت المرّ واللبان (البخور) وأنواعاً أخرى من الأعشاب ذكية الرائحة.

وقال: إن السبئيين شعب كسول وإن ذلك يُعزى إلى خصوبة أرضهم. وإن ماريابا (مأرب) عاصمتهم تقوم على جبل (تل) كثيف الأشجار. وإنه يحرم على ملكهم مغادرة قصره، فيقضي حياته مع حاشيته في المتع الحسية. أما أبناء الشعب فإنّ حياتهم موزعة بين الزراعة والتجارة بالطيوب التي ينتجونها أو يجلبونها بالسفن عبر البحر. وختم (سترابون) كلامه قائلًا: إن السبئيين والجرهائيين أصبحوا بفضل التجارة أغنى القبائل والشعوب، وإنهم يقتنون كميات كبيرة من الأشياء المصنوعة من الذهب والفضة والأرائك والآنية ثلاثية القوائم والأحواض وأواني الشرب. بالإضافة إلى منازلهم الرائعة ذات الأبواب والجدران والسقوف المطعمة بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة»[١].

وقال د. عدنان ترسيسي: «إن سترابون دعا جنوب الجزيرة (بلاد الطيب) وقال: «بلاد السبئي بلاد مزدحمة السكان... وهي أخصب تلك الأرض على الإطلاق ثمارها المرّ واللبان والقرفة... ثم أضاف قوله: أصبحت (السبئي) و(الجرهاي) بما لهما من نصيب في تجارة الطيوب أغنى القبائل عامة فعندهم مستحدثات الأدوات المصوغة من الذهب والفضة، منها الأسرَّة ومثلثات القوائم والأحواض وأوعية الشرب، ناهيك بمنازلهم الفخمة وقد تزينت أبوابها وجدرانها وسطوحها بالألوان وترصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة لكريمة»[٢].

ونرى أن (سترابون) أشار إلى مسألة هامة تتصل بنظام (مكارب سبأ) في قوله: إن السبئيين «يحرم على ملكهم مغادرة قصره فيقضي حياته مع حاشيته في المتع الحسية». ونرى أن ذلك يشير إلى أن (مكرب سبأ) كان يستمر (مكرباً) حتى وفاته، وكانت زعامته عليا فقد كان هناك ملوك في المناطق التي تتكون منها دولة مكارب سبأ مثل ملوك سمعي وغيرهم مما قد يشير إلى أن المكارب يملكون ولا يحكمون.

وكذلك فإن من أهم ما ذكره (سترابون) عن واقع اليمن بلاد العربية السعيدة في ذلك العصر وجود أربع ممالك هي معين وسبأ وقتبان وحضرموت.

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٦١.

(٢) اليمن وحضارة العرب ـ عدنان ترسيسي ـ ص٣٠.

وقد سلف ذكر ملوك دولة معين ونقوشهم وملوك دولة قتبان الحميرية وترتيبهم في ذلك العصر. وإنه في عام ٧٠ ميلادية قامت دولة بني معاهر الحميرية في جزء كبير من أراضي دولة قتبان الحميرية في عهد (شهر هلال يهقبض ملك قتبان) وتم اتخاذ ذلك العام (٧٠م) بداية للتقويم الأبعلي الحميري.

وتدل المصادر الرومانية والنقوش والآثار على استمرار معين وسبأ وقتبان بعد ذلك، في الحقبة من ٧٠ ـ ٢٠٠ ميلادية.

فقد كتب المؤرخ الروماني بليني (بلينوس) عن واقع اليمن بلاد العربية السعيدة عام ٧٩م وذكر وجود أربع دول معين وسبأ وحضرموت وقتبان. وتحدث بليني بالتفصيل حيث كما يذكر عدنان ترسيسي: «قال بلينوس: فاقت السبئي الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري، وهي تنتج العسل والشمع بكثرة». [ص٣١].

وينقل د. محمد بافقيه إنه: «قال بليني: إن السبئيين أشهر قبائل البلاد العربية ـ أي شعوبها ـ» وقال بليني إنه: «لا توجد بلاد تنتج اللبان (البخور) إلا بلاد العربية (السعيدة) ولكن ليست كلها تنتجه، وإنما بلاد الحضارم وهم جماعة من السبئيين تقوم عاصمتهم سباتا (شبوة) فوق جبل عالي، وعلى بُعد ثمان مراحل منها في اتجاه شمال الشرق تقع منطقة إنتاج اللبان المعروفة باسم سبأ وهي بقعة يصعب النفاذ إليها لأنها محاطة بالجبال من كل جانب، وتفصلها عن البحر الواقع عن يمينها منحدرات صخرية شاهقة، وتبلغ مساحة تلك المنطقة مائة ميل طولاً في عرض خمسة أميال، وتنمو فيها أشجار اللبان (البخور) على منحدرات تلال عالية تميل في اتجاه السهول». [ص١٨١].

ويبدو من ذلك الوصف أن منطقة إنتاج البخور السبئية هي شرق حضرموت ومنطقة ظفار ـ (التي تقع في عُمان حالياً) ـ وقال بليني: «... إن السبئيين هم وحدهم ـ من دون العرب الآخرين ـ الذين أتيح لهم أن يروا شجرة البخور. وتحتكر ذلك الحق ثلاثة آلاف أسرة مقدسة (سبئية) لها طقوس معينة تتبعها عند جني اللبان (البخور) وبسبب تلك الطقوس الدينية صارت أسعار تلك السلعة مرتفعة». وقد «وصف بليني مواسم جمع اللبان وطرق جمعه ودرجات جودته وأشكاله وألوانه وأسمائه المختلفة» وقال: «بعد أن يجمع اللبان (البخور) ينقل على ظهور الجمال إلى شبوة (سباتا) حيث يفتح فيها باب واحد لاستقباله. ويعتبر الإنحراف عن الطريق العام جريمة كبرى. وهناك يأخذ الكهان قسطاً منه

يساوي العُشر باسم إلّههم الذي يدعونه سابس.. ثم يصدر البخور عن طريق بلاد القتبانيين ويتم دفع ضريبة أخرى لملكهم. وتستغرق الرحلة من تمنع عاصمتهم إلى غزة ٦٥ يوماً بالجمال...» وذلك عن طريق «بلاد المعينيين الذين يخترق بلادهم الممر الوحيد عبر طريق واحد..» وقال بليني: «إن البخور والسلع الشرقية تكلف خزانة الأمبراطورية الرومانية مائة مليون من الدنانير سنوياً» [ص١٨٤].

ويتبين من كلام (بليني) وجود وتعاصر سبأ ومعين وقتبان وحضرموت في أيامه بأواخر القرن الأول الميلادي. كما تحدث عنهم بعد ذلك بطليموس (عام ١٦٠م) ويدل ذلك على استمرار وتواجد تلك الدول الأربع في القرن الثاني الميلادي.

وتدل النقوش والقرائن الآثارية على أنه في الفترة من ٧٠ ـ ٢٠٠ ميلادية:

أ ـ استمرت دولة قتبان. وكان من ملوكها (شهر هلال يهقبض) الذي دلت دراسة (فون وزمن) إن مدينة تمنع قد أُحرقت على عهده حوالي عام ٩٠ ـ ١٠٠م. ثم اتخذ القتبانيون عاصمة جديدة لهم في موضع (هَجَر بن حميد). وكان من ملوكهم في القرن الثاني الميلادي (نبط عم بن شهر هلال) ثم (مرثد بن نبط عم). وقد أثبتت دراسة البعثة الأثرية الفرنسية: «إن مملكة قتبان انتهت سنة ٢٠٠ ميلادية» وكانت نهايتها على يد «العزيلط/ ملك حضرموت) وحليفه (نصر يهحمد بن معاهر) زعيم دولة بني معاهر الحميرية وله نقش في جبل بيحان مؤرخ بعام ١٤٦ للتقويم الأبعلي الحميري (٢١٦ ميلادية).

ب ـ إن دولة معين استمرت في تلك الفترة (٧٠ ـ ٢٠٠م) وتعاقب على حكمها في تلك الفترة «خل كرب صادق بن أب يدع ملك معين» ثم «أليفع ريام وابنه هو فعثت ملكي معين» ثم «يثع إل ريام وابنه تُبّع كرب ملكي معين» ثم «أب يدع حفنوم» وهو آخر ملوك معين.

جـ ـ إن حكام دولة مكارب سبأ في تلك الفترة هم الطبقة الخامسة والأخيرة من مكارب سبأ وهم:

«يدع إل وتار مكرب سبأ» ثم ابنه «ذمر علي بين مكرب سبأ بن يدع إل وتار» ـ وربما يليه حفيده (كرب إل وتر) ـ ثم «كرب يهنعم» وهو آخر مكارب سبأ في النقوش ثم (عمرو مُزَيْقيا) وهو الأخير.

خامساً

نهاية دولة مكارب سبأ
وانهيار سد مأرب القديم الثاني وهجرة الأزد

في آخر القرن الثاني الميلادي (حوالي عام ٢٠٠م) انتهت دولة قتبان ودولة معين وبالتالي يكون ذلك هو زمن نهاية دولة مكارب سبأ، وإن الدول الثلاث انتهت في وقت واحد أو متقارب، مما قد يشير إلى سبب مشترك لنهاية تلك الدول الثلاث أو أن كلّا منها تأثرت بسقوط ونهاية الأخرى.

وقد سلف تبيين أن القتبانيين والمعينيين هم في الأصل سبئيون فاسم (سبأ) يمكن أن يجمع السبئيين (رعايا دولة مكارب سبأ) والمعينيين والقتبانيين، وإنما «تفرقت أيادي سبأ» بعد انهيار سد مأرب العظيم الأقدم وسيل العرم الأول ونهاية دولة ملوك سبأ التبابعة العظيمة.

وقد أشار المؤرخ المسعودي إلى نهايتين لسبأ؛ الأولى في سيل العرم (وهي نهاية دولة ملوك سبأ التبابعة) حيث قال: «. . .فأرسل اللّه عليهم سيل العرم، فهدم سدهم وغشّى الماء أرضهم فأهلك شجرهم وأباد خَضْراءهم، وأزال أموالهم وأنعامهم»[1].

ثم أشار المسعودي إلى عصر ثان لسبأ بعد سيل العرم هو ما سمّيناه عصر دولة مكارب سبأ، حيث قال بعد الفقرة السالفة عن سيل العرم ما يلي نصه: «فأتوا (أهل سبأ) رسلهم فقالوا: ادْعُوا اللّه أن يخلف علينا نعمتنا، وَيُخْصِب بلادنا، ويرد علينا ما شرد من أنعامنا، ونعطيكم مَوْثِقاً أن لا نشرك باللّه شيئاً. فسألت الرسل ربها، فأجابهم إلى ذلك، وأعطاهم ما سألوا، فأخصبت بلادهم، واتسعت عمائرهم إلى أرض فلسطين والشام: قُرىً ومنازلًا وأسواقاً. فأتتهم رسلهم، فقالوا: موعدكم أن تؤمنوا باللّه، فأبوا إلا طغياناً وكفراً، فمزقهم اللّه كل ممزق، وباعد بين أسفارهم»[1].

وقد اختزل المسعودي بقوله: «. . . فأتتهم رسلهم. . . إلخ». مئات السنين، وهي عصور دولة مكارب سبأ ومملكة معين، وقد ذكر (سترابون) و(بليني) وغيرهما ما كانت عليه سبأ من خصوبة أرضهم واتساع بلادهم وعمائرهم في تلك العصور وإنهم كانوا أغنى أهل الأرض بسبب نشاطهم

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٩٢ جـ٢.

التجاري، وكان السبئيون والمعينيون يسيطرون ويشرفون على التجارة بين المحيط الهندي وبلاد العرب وسواحل أفريقية وبين الشام والعراق وفارس ومصر واليونان والبحر الأبيض المتوسط. ولم تكن تجارة البخور (اللبان) إلا إحدى السلع الرئيسية التي كانوا يتاجرون بها، وقد جاء في كتاب أطلس التاريخ: «إن اليمنيين كانوا يأتون من الهند والصين بالمعادن الثمينة، والأقمشة الحريرية، والتوابل، والأفاوية، ويتاجرون بها مع منتجاتهم ومنها: المرّ، والبخور، واللبان، والعطور (الطيوب)، وبعض المعادن كالذهب والفضة والأحجار الكريمة، والسيوف اليمنية، والبُرُد اليمنية، والدروع والتروس.. وكانت سفن اليمنيين تصل موانئ عمان وحضرموت قادمة من الهند والصين وجنوب شرق آسية، ثم تحمل قوافلهم السلع.. عبر نجد والحجاز إلى تيماء ـ ددان (العلا) ـ البتراء ـ معان ـ غزة.. أو إلى البتراء، معان، الساحل السوري، وتدمر. أو غرباً عبر سيناء إلى مصر. أما الطريق البحري فقد كان عبر باب المندب حتى سواحل مصر عبر بحر القلزم (البحر الأحمر)... وكان على طول الطرق البرية (إلى الشام وغيرها) محطات تحتوي على جميع المعدات والوسائل التي تؤمن راحة المسافرين والتجار، وكان يرافق القوافل البريّة حرس يحميها»[1].

وقد ذكر (سترابون) الشأن الحضاري الكبير للسبئيين وخصوبة بلادهم ومنتجاتهم وثروتهم ونشاطهم التجاري، ولكنه ذكر أيضاً مسألتين طرأت على السبئيين في زمنه ـ بالقرن الأول ق.م. ـ حيث قال: «إن السبئيين شعب كسول ويعزي ذلك إلى خصوبة أرضهم» وقال: «إنه يُحَرمُ على ملكهم مغادرة قصره، فيقضي حياته مع حاشيته في المتع الحسية وبين النساء». فذلك الحال الذي آل إليه الحكام، وذلك الكسل الذي أصاب الشعب إلى جانب حياة الترف والبذخ التي ذكرها سترابون بقوله إنهم: «يقتنون كميات كبيرة من الأشياء المصنوعة من الذهب والفضة.. وإن منازلهم ذات أبواب وجدران وسقوف مطعمة بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة». تلك الأشياء الثلاثة (الكسل، والحكام، والترف) أدت إلى عزوفهم تدريجياً عن النشاط التجاري البري والبحري الذي كان مستمراً في أيام سترابون، بينما في أيام (بليني) اقتصر النشاط التجاري على (المعينيين) بينما كان (السبئيون) ينعمون بالثروة والترف ولم يذكر (بليني) أن لهم نشاطاً تجاريًا مما يشير إلى تفاقم الرخاء والكسل، ثم عزفوا عن الأسفار والتجارة نهائياً. وقد أشار المسعودي في النص السالف إلى أن ذلك كان في النهاية الثانية

(١) أطلس التاريخ ـ شوقي خليل ـ ص٣٧.

لسبأ التي اختتمها بقوله: «... فمزقهم الله كل ممزق، وباعد بين أسفارهم...» ويتبين من كلام وترتيب المسعودي أنه والمؤرخين الذين نقل عنهم كلامه عن المرتين، قد فهموا أن الله تعالى: ذكر المرتين في سورة سبأ، أي النهاية الأولى بسيل العرم، ثم المرحلة والنهاية الثانية. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٩].

وقد سلف كلام المسعودي بأن النهاية الثانية لسبأ هي التي فيها «مزقهم الله كل ممزق، وبَاعَدَ بين أسفارهم».

وكان ملك سبأ ـ (أي مكرب سبأ) ـ فيما ذكر المسعودي: «عمرو مُزَيْقيا بن عامر» وهو من الأزد. وكان بمأرب سد مأرب القديم الثاني الذي بناه (سمه علي ينوف مكرب سبأ) وهو السد الذي كان بمأرب في عصور مكارب سبأ إلى أيام(عمرو مزيقيا). قال المسعودي: «وكان للملك عمرو مُزَيْقيا بن عامر أخ كاهن عقيم، يقال له عمران، وكان لعمرو كاهنة يُقال لها طريفة الخير، فكان أول شيء وقع بمأرب أن عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهانته أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ويُباعد بين أسفارهم، فذكر ذلك لأخيه عمرو، وهو الملك مُزَيقيا الذي كانت محنة القوم في أيام ملكه، والله أعلم بكيفية ذلك»[1] ثم ذكر المسعودي خبراً طويلاً بأن الكاهنة طريفة رأت في المنام ثم رأت في موقع سد مأرب وأراضي السد دلائل على أن السد سينهار، فأخبرت الملك عمرو، فوجد الملك عمرو صحة تلك الدلائل، وإن السد سينهار في بضع سنين، قال المسعودي: «فكتم الملك عمرو ذلك وأخفاه، وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ، ويخرج منها هو وولده، ثم خشي أن يستنكر الناس ذلك، فصنع طعاماً، ثم بعث إلى أهل مأرب أن عمراً صنع يوم مجد وذِكْر فاحْضُرُوا طعامه، ثم دعا ابناً له يقال له مالك، فقال له: إذا جلستُ أطعم الطعام الناس فاجلس عندي ونازعني الحديث واردده عليّ، وافعل بي مثل ما أفعله بك. وجاء أهل

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨٥ ـ ١٩٠ جـ٢.

مأرب، فلما جلسوا أطعم الناس، وجعل مالك يتازعه الحديث، ويردُّ عليه، فضرب عمرو وجهه وشَتَمه، فصنع الصبي بعمرو مثل ما صنع به فقام عمرو وصاح: واذلّاه، يوم فخر عمرو ومجده يضربُ وجهه صبيٌّ، وحلف ليقتلنَّه، فلم يزالوا بعمرو حتى تركه. ثم قال: واللّه لا أقيم ببلد صُنِعَ هذا بي فيه، ولأبيعن عقاري فيه وأموالي. فقال الناس بعضهم لبعض: اغتنموا غضبة عمرو، واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى. فابتاع الناس منه جميع ما له بأرض مأرب، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن (خراب السد)، فخرج ناس من الأزد وباعوا أموالهم، فلما أكثروا البيع استنكر ذلك الناس، فأمسكوا بأيديهم عن الشراء، فلما اجتمعت إلى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بسيل العرم [أي بأن السد سينهار].

وقال أخوه عمران الكاهن للناس: قد رأيتُ أنكم ستمزَّقون كل مُمَزَّق، ويباعدُ بين أسفاركم، وإني أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم، فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر إليها، مَنْ كان منكم ذا هَمٍّ بعيد وحمل شديد ومزاد جديد، فليلحق بقصر عُمان المشيد، (فكان الذين نزلوه أزد عُمان). وقال عمران الكاهن: ومن كان منكم ذا هَمٍّ غير بعيد، وحمل غير شديد فليلحق بأرض همدان (فلحق بها وادعة بن عمرو، فانتسبوا فيهم)، قال الكاهن: ومَنْ كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر، وصبر على أزمات الدهر، فليلْحَقْ ببطن مَرٍّ، (وكان الذين سكنوه خزاعة)، وقال الكاهن: ومَنْ كان يريد الراسيات في الرحل، المطعمات في المَحْل، فليلحق بيثرب ذات النخل، (وكان الذين سكنوها الأوس والخزرج). وقال الكاهن: ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والأمر والتدبير فَلْيلحق ببُصرى وحفير وهي أرض الشام (فكان الذين سكنوها غسان)، قال الكاهن: ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والأرزاق فليلحق بالعراق، وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الأزدي وولده، ومن كان بالحيرة من المناذرة»[1].

وقال المسعودي: «خرج عمرو مزيقيا بن عامر وولده من مأرب، وخرج من كان بمأرب من الأزد. وكان بعدهم بمأرب ملكاً إلى أن كان من أمرهم ما كان في الهلاك». [ص١٩٠/ ٢] وقد ذكر ابن هشام وابن خلدون أن الملك الذي كان بعدهم بمأرب هو (ربيعة بن نصر)[2].

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨٥ ـ ١٩٠ جـ٢.

(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ص١١ جـ١.

ويتيح ربط ذلك بمعطيات النقوش والقرائن التاريخية والزمنية إدراك ما يلي:

- إن انتهاء دولة قتبان على يد «نصر يهحمد بن معاهر» زعيم دولة بني معاهر الحميرية وحليف «العز/ يلط/ ملك حضرموت» - حوالي عام ٢٠٠م - كان له تأثير على دولة مكارب سبأ. لقد أصبح (نصر يهحمد بن معاهر) زعيماً كبيراً شملت زعامته مناطق حِمْيَر وقتبان وردمان وخولان، وله نقش مؤرخ بالموافق لعام ٢١٦م. مما يشير إلى أن زعامته استمرت إلى حوالي عام ٢٣٠م، وكان من أولاده الذين حكموا بعده «ربيعة بن نصر» في مأرب والمناطق التابعة لها بعد نهاية دولة مكارب سبأ، بينما «العزيلط/ ملك حضرموت» امتدت ملوكيته شرقاً إلى المنطقة التي ذكر (سترابون) إنها «منطقة إنتاج اللبان والبخور، وتقع شمال شرق شبوة وحضرموت. وتسكن فيها ثلاثة آلاف أسرة سبئية تحتكر إنتاج وتصدير اللبان والبخور» - وتلك المنطقة السبئية هي شرق حضرموت وفي ظفار (منطقة ظفار في عمان حالياً) وكانت تلك المنطقة سبئية وترتبط بمكارب سبأ في مأرب - وبالتالي فإن سيطرة «العزيلط ملك حضرموت» - صاحب «نصر يهحمد بن معاهر» - على تلك المنطقة ومنها ظفار كما تدل على ذلك النقوش[1] كان له تأثير سلبي على دولة مكارب سبأ وعلى القبيلة السبئية التي كانت تسكن منطقة إنتاج اللبان والبخور في شرق حضرموت وظفار. ويمكن استنتاج أن القبيلة السبئية التي كانت هناك هي القبيلة الأزدية التي هاجرت بقيادة (مالك بن فهم الأزدي) إلى عُمان ومنطقة الخليج وأجازت إلى العراق حيث قامت بزعامة (مالك بن فهم) دولة شملت جنوب العراق إلى تخوم فارس، وسيأتي نبأ ذلك.
- إن هجرة مالك بن فهم وقبيلته من منطقة إنتاج البخور، ربما كان من العوامل التي أدت إلى قيام «عمرو مُزَيقيا/ مكرب سبأ» ببيع أمواله والتهيؤ للهجرة، وليست التوقعات بانهيار سد مأرب فقط، وإنما أيضاً التوقعات بأن سلطة (نصر يحمد بن معاهر) حليف (العزيلط ملك حضرموت) ستمتد إلى مأرب، وتوقعات عمران الكاهن بأن قومه سيمزّقون كل مُمَزَّق، فأخذت قبائل الأزد بالهجرة من أرض مأرب الشاسعة، وكذلك بعض قبائل خولان وأخوانهم (بَلِّي) و(بهراء) الذين كانوا يسكنون أرض مأرب. فقد أخذت قبائل الأزد وغيرها في الهجرة من أرض مأرب، الواحدة بعد الأخرى.

---

(١) تاريخ اليمن القديم - محمد بافقيه - ص٥٥ - ٥٦.

وقد حفظ لنا المؤرخون العرب أنباء هجرة قبائل الأزد السبئية، وكان أبرز تلك القبائل:

١ ـ هجرة مالك بن فهم وقومه من الأزد.. ومُلكهم لعمان والخليج والعراق:

قال العوتبي في تاريخ عُمان: «كان أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم بن حاتم بن غَنْم بن دوس بن عدثان بن عبد اللّه بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد اللّه بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

أقْبَلَ مالك بن فهم حتى دخل عُمان بعسكر جمّ في الخيل والعدة والعدد.. فنزل مالك بن فهم بمن معه إلى جانب قلهات من شاطئ عمان»[١] قال د. فاروق عمر «... ثم توالت هجرات أزدية أخرى بعد أن قوي نفوذ مالك بن فهم وبسط سيطرته شمالًا إلى الإحساء والبحرين»[١].

وقال ابن خلدون: «فأما الأزد، فبطن عظيم متسع وشعوب كثيرة، فمنهم.. بنو زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد، بطن كبير.. وكان بنو زهران خرجوا قبل خروج عمرو مزيقيا من اليمن ونزلوا بالعراق. وقيل: ساروا من اليمن مع أولاد جفنة بن مزيقيا، فلما تفرق الأزد على المواطن نزل بنو زهران هؤلاء بالسراة وعُمان، وصار لهم مع الطوائف مُلك (بالعراق) وكان مالك بن فهم من ملوكهم»[٢].

وقال جماعة البارقي الأزدي في قصيدة عن هجرة قبائل الأزد والمناطق التي استقروا بها:

«حَلّت الأزدُ بَعدَ مأربها: الغَوْرَ ... فأرض الحجاز، والسروات
.. ومَضَتْ منهم كتائبُ صِدْقٍ ... مُنْجِداتٍ تخوضُ عَرَض الفلاةِ
فأتت ساحة اليمامة بالأظعانِ ... والخيلِ والقَنَا والرُّماةِ
واتلأبت تؤمُ قافية البحرين ... بالخور بين أيدي الرُعَاةِ
فأقرَّت قرارها بِعُمانِ ... فَعُمانُ محلّ تلك الحُماة»[٣]

حيث كما ذكر العوتبي (دخل مالك بن فهم عُمان بعسكر جمّ في الخيل

(١) مصادر التاريخ العماني ـ د. فاروق عمر ـ ص٢٨.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٢٣ و١٤٨.
(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٧٣.

والعدة والعدد». ثم كما ذكر فاروق عمر: «توالت هجرات أزدية أخرى بعد أن قوي نفوذ مالك بن فهم وبسط سيطرته شمالاً إلى الإحساء والبحرين». أي أن عُمان والإحساء والبحرين بمدلولها الواسع القديم الذي يشمل منطقة الخليج إلى تخوم العراق صارت بيد مالك بن فهم وقومه من الأزد، ثم أجازت فرقة منهم إلى العراق بزعامة مالك بن فهم. ومعه ـ فيما ذكر ابن خلدون ـ قبيلة (تيم اللّه بن أسد بن وبرة من قضاعة في جماعة من قضاعة، والحنفار ابن الحبق، وغطفان بن عمرو، واجتمعوا بالبحرين، وتحالفوا على المقام والتناصر وأنهم يد واحدة، فتطلعت نفوسهم إلى ريف العراق وطمعوا في غلب الأعاجم عليه أو مشاركتهم فيه واهتبلوا الخلاف الذي كان بين الطوائف [أي حكام الطوائف الفرس]، فأجمعوا على المسير إلى العراق فساروا.. فوجدوا بأرض بابل إلى الموصل بني إرم بن سام وهم من بقايا العرب الأولى فوجدوهم يقاتلون ملوك الطوائف (الفرس) فدفعوهم عن سواد العراق.. فنزل مالك بن فهم والذين معه في سواد العراق، وجاء على أثرهم نمارة بن لخم وفرقة من قبائل كندة فنزلوا الحيرة وأوطنوها... ونزل كثير من قبيلة تنوخ (قضاعة) ما بين الحيرة والأنبار ـ وكذلك عشائر من طيئ ومن كلب وجرهم وغيرهم.. فكان أول من ملك من العرب بالعراق أزمان الطوائف مالك بن فهم...».

قال ابن خلدون: «قال أبو عبيدة ـ: مالك بن فهم هو أول ملك كان بالعراق من العرب وأول من نصب المجانيق وأوقد الشموع. ومَلَك ستين سنة». قال ابن خلدون: «وكان منزله ـ (أي عاصمته) ـ مما يلي الأنبار. ومَلَكَ من بعده أخوه عمرو بن فهم. ثم مَلَك من بعدهما جذيمة الوضاح ١٢ سنة وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عدثان بن عبد اللّه بن زهران.. قال الطبري: وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم حزماً، وكانت منازله بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر وأطراف البر إلى العمق والقطقطانية، وكانت تُجبى إليه الأموال وتفد إليه الوفود.

... ولما جاءه عَدِيُّ بن نصر بن ربيعة (اللخمي) استخلصه جذيمة لنفسه وولاه...» [ص١٥٠] ـ وكان مجيء عدي بن ربيعة بن نصر من اليمن، وسيأتي نبأ ذلك، وإنه ابن الملك (ربيعة بن نصر يهحمد بن ذي معاهر). ثم انتقل المُلك إلى (عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر) ومن سلالته كان الملوك المناذرة بالعراق، وفيهم قال الأعشى:

وبنو المنذر الأشاهب في الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

٢ ـ أزد السَرَاة. . . وقبيلة خُزاعة ومُلكهم لمكة:

قال المسعودي: «خرج عمرو بن عامر مُزَيْقيا وولده من مأرب، وخرج من كان بمأرب من الأزد، حتى إذا كانوا بنَجْران تَخَلَّف أبو حارثة بن عمرو بن عامر ودعبل بن كعب فانتسبوا في مَذْحج. . . وسار عمرو بن عامر حتى إذا كان بين السراة ومكة أقام هنالك ـ بالسراة ـ أُناس من بني نصر بن الأزد، وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مُزَيْقيا، وعدي بن حارثة بن عمرو مزيقيا. . . والسراة جبل الأزد الذي هم به يُقال له السراة. . فأقاموا به وكانوا في سهله وجبله وما قاربه» [ص١٩٠/ ٢] ومنطقة السراة هي أعالي اليمن في عسير إلى تخوم الطائف، فالذين استقروا هناك من الأزد يقال لهم (أزد السراة) ومنهم دوس، وبارق، وفيهم قال جماعة البارقي في قصيدته عن هجرة الأزد:

مَلَكوا الطودَ من سروم إلى الطائفِ بالبأس منهم والثبات

وأما خزاعة فنزلوا منطقة مَرَّ الظهران (بطن مَرَّ) في مكة. قال المسعودي: «كان الذين سكنوا بطن مَرّ خزاعة، سُمّيت بذلك لانخزاعها في ذلك الموضع عَمّن كان معهم من الناس. وهم بنو عمرو بن لَحيّ، ومالك، وأسلم، وملكان، بنو قُصيّ بن حارثة بن عمرو. . وفي ذلك قال حسان بن ثابت:

ولـمّـا هَـبَـطْـنَـا بـطـنَ مَـرَّ تَـخَـزّعَـتْ خُـزاعـةُ مِـنّـا فـي (جـمـوع) كـراكـر
حـمـوا كـل وادٍ مِـن تـهـامـة واحـتـووا بِصمّ القنا والـمـرهـفات الـبواتر»[1]

وكانت زعامة مكة وولاية الكعبة في قبيلة جُرهم القحطانية، وكان رئيسهم يومئذٍ عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي. قال ابن هشام: «ثم إن جرهماً بَغَوْا بمكة، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى إليها، فَرَقَّ حالهم. فلما رأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة من كنانة وبنو غُبْشَان من خزاعة أجْمَعُوا لحربهم وإخراجهم من مكة، فآذنوهم بالحرب، فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشان، فنفوهم من مكة. . . ثم إن غُبشان من خُزاعة ولِيَت البيت، وكان الذي وليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشَاني. وقريش إذ ذاك حُلُولُ وصِرْم وبُيُوتاتُ متفرقون. . فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر» [ص١٣٠/ ١] وقال جماعة البارقي في قصيدته عن هجرة الأزد التي أولها:

حَـلّت الأزدُ بـعـد مـأربـهـا الـغـور فـأرض الـحـجـاز، فـالـسـروات

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص١٨٩/ ٢ ـ وذكر (ابن كثير) إن هذا الشعر لعون بن أيوب الخزرجي.

قال جماعة البارقي :

والمقيمون بالحجازين منهم أرغموا عنهم أنوف العداة
واحتوت منهم خُزاعةُ الكعبة ذات الرسوم والآيات
أخرجت جُرهم ابن يشجب منها عنوة بالكتائب المُعَلَمَاتِ»

قال ابن كثير : «وقال إسماعيل بن رافع الأوسي :

فلما هبطنا بطنَ مَرّ تَخَزّعَتْ خُزاعةُ دار الآكل المتحامل
فحلّت أكاريساً وشنّت قنابلًا على كل حيّ بين نجدٍ وساحل
نَفوا جرهماً عن بطن مكة واحتووا بعزٍّ خُزاعيٍّ شديدِ الكواهل»

قال ابن كثير : «فَولِّيَت خُزاعة البيت يتوارثونه كابراً عن كابر . . واستمرت خُزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة . وقيل : خمسمائة سنة . واللّه أعلم»[1] .

والأصوب : «نحو ثلاثمائة سنة» وذلك منذ انهيار دولة مكارب سبأ وهجرة الأزد سنة ٢٠٠ ميلادية إلى حوالي سنة ٥٠٠ ميلادية . وكان أول زعماء مكة وولاة البيت من خُزاعة : عمرو بن الحارث الغُبْشاني الخزاعي . ثم كان أشهرهم عمرو بن لحيّ الخزاعي «وهو أول من نصب الأوثان في الكعبة ، وبَحّر البحيرة وسيَّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي» قال ابن كثير : «وذكر السهيلي : إنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل ويلتّ لهم السويق . وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتَّبع لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم»[1] فابتدع أشياء في الكعبة والحج غيَّر بها دين التوحيد ، واستمر الالتزام بما شرعه عمرو بن لحيّ الخزاعي مئات السنين . وربما ابتدع وشرَّع بعض الأمور أيضاً عمرو بن عامر الخزاعيّ بعد عمرو بن لحيّ ، وبين أخبارهما التباس . وتواصلت زعامة مكة وولاية البيت في خزاعة . قال ابن كثير « . . . حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حَبشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الذي تزوج قصيّ بن كلاب ابنته حُبيّ ، فولدت له بَنِيه الأربعة : عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا ، ثم صار أمر البيت إلى قصي بن كلاب»[1] وكان حُلَيْل بن حبشِيّة الخزاعي أوصى قبل وفاته لقصي بن كلاب بولاية البيت وأمر مكة ، فكان

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٨٧ جـ٢.

قصيّ أول من تولى البيت من قريش بعد حُليل الخزاعي ومما يشير إلى الزمن أنّ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب عاصر سيف ابن ذي يزن. وتدل تلك القرائن أن زعامة مكة وولاية البيت دامت في خُزاعة ثلاثمائة سنة من حوالي ٢٠٠ ـ ٥٠٠ ميلادية.

٣ ـ الأوس والخزرج (بنو قَيْلَه) في يثرب:

وكان من أشهر قبائل الأزد الذين هاجروا من أرض مأرب (حوالي عام ٢٠٠م) الأوس والخزرج وهما عشيرتان ابنا حارثة بن ثعلبة، وأمهما قَيْلة بنت الأرقم بن عمرو الغساني. فاستقر الأوس والخزرج في يثرب وكان بها قبائل عربية من قضاعة وغسان، وكذلك بنو قريظة وبنو النضير من اليهود. فمكث الأوس والخزرج فترة في يثرب دون صراع مع اليهود، ثم اندلع صراع كانت الغلبة فيه للأوس والخزرج وهم (بنو قَيْله). وعن ذلك قال جماعة البارقي في قصيدته عن هجرة الأزد التي أولها:

حَلّت الأزدُ بعد مأربها الغور ... فارض الحجاز فالسروات

قال جماعة البارقي:

وبنو قَيْلَة الذين حوَوا يثـ ... ـرِبَ بالقود والأسود العتاة
زحفوا لليهود وهي ألوف ... من دهاة اليهود أيّ دُهاة
فأبادوا الطغاة منها ولما ... يفشلوا في لقاء تلك الطغاة
وأذلّوا اليهود فيها وأخلوا ... منهم الحرّتين واللابات
أصبح الماء والفسيلُ لقومي ... تحت آطامها مع الثمرات
ورعاةٍ لهم تسيم سروحاً ... وسُقاةٍ قوارب وطُهاةِ
أسروها من اليهود لدى تشـ ... ـتيتها في القرىٰ وفي الفلوات

فانعقدت زعامة يثرب لمالك بن العجلان بن زيد بن غُنم بن سالم بن عوف ابن الخزرج، وكان ذلك عند قيام دولة غسان بالشام في القرن الثالث الميلادي. وكان للأوس والخزرج إسهامهم التاريخي حتى ظهور الإسلام. قال حسان بن ثابت الأنصاري:

ونحن أُناسُ أصلُنا الأزد، منهم ... نضاراً نبتنا في الفروع النواظر
فنحن بنو الغوث ابن نَبْت ابن مالكٍ ... ابن زيد ابن كهلان وأهل المفاخر
يمانون تدعونا سبأ فنُجيبها ... إلى الجوهر المكنون خير الجواهر

٤ ـ قبيلة غسان... ومُلكهم بالشام:

قال جماعة البارقي في قصيدته عن هجرة الأزد:

«وَسَمَتْ منهمُ ملوك إلى الشا م على التُّبينية المُضمرات
فاحتووها وشيدوا المُلك فيها فلهم مُلك باحة الشامات
تلكم الأكرمون من ولد الأزد غسانُ، سادة السادات

قال حنا الفاخوري: «مملكة الغساسنة بالشام.. وقد امتد عهدهم من أوائل القرن الثالث الميلادي حتى الفتح الإسلامي»[١].

فأولئك هُمْ أهم قبائل الأزد الذين هاجروا من أرض مأرب عند نهاية دولة مكارب سبأ، وكان لهم من الرصيد الحضاري ما جعلهم يؤسسون الدول ويتزعمون البلدان التي هاجروا وانتقلوا إليها ويضيئون مشاعل الحضارة في تلك الآفاق الممتدة.

* * *

المبحث الخامس

مملكة حَضْرَمَوْت... ودولة بني معاهر الحميرية

كانت حضرموت إحدى الممالك اليمنية القديمة الوسيطة، فقد ذكر سترابون (عام ٢٤ق.م). واقع اليمن بلاد العربية السعيدة وشعوب ممالكها بأنهم «أربعة شعوب: المعينيون وعاصمتم قرناو، والسبئي وعاصمتهم ماريابا (مأرب)، والقتبانيون وعاصمتهم تمنه (تمنع)، والحضارم وعاصمتهم سباتا (شبوة)...».

وقال بليني (عام ٧٩م): «... الحضارم جماعة من السبئيين.. عاصمتهم سباتا (شبوة)...»[٢] وذكر بليني «مدينة شبوة وسماها (سبوتا) وقال: يعتقد أن داخل أسوارها ستونَ معبداً»[٣].

ولكن تاريخ حضرموت وعاصمتها شبوة أقدم من زمن سترابون وبليني ومملكة حضرموت بأكثر من ألف سنة. تنطق بذلك كتب التاريخ والنقوش والآثار. واستمر ذلك التاريخ في عصر مملكة حضرموت.

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ حنا فاخوري ـ ص٧٧.
(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٨١ ـ عن كتاب: Pliny, the Natural History.
(٣) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ ص٦٥ ـ عن كتاب بليني ـ التاريخ الطبيعي ـ ص١٥٤/٦.

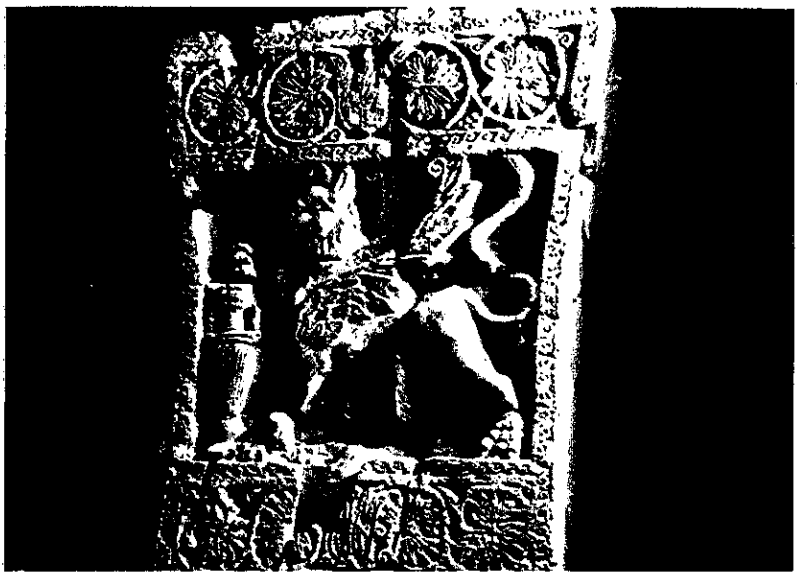

تاج عمود من الحجر الكلسي تم العثور عليه في قصر شبوة المبنى ب،
عليه نقش بارز لحيوان مجنح خرافي وأمام الحيوان شكل آدمي واقف ويحيط
بالزخرفة الحيوانية والآدمية إطار من الزخرفة النباتية المتداخلة

أولًا

حَضْرَمَوْت في عصور دولة سبأ وملوك سبأ التبابعة

حضرموت في الأصل اسم (حضرموت بن قحطان). قال ابن خلدون: «ولّى يعرب بن قحطان أخوته على البلاد، فكانت ولاية حضرموت بن قحطان على بلاد حضرموت وبه سُمّيت»[1]. وكان ذلك في الزمن الأقدم، وسميت منطقة في وادي حضرموت باسم حضرموت بن قحطان منذ ذلك الزمن الأقدم.

ثم كانت منطقة حضرموت بمدلولها الواسع والقبائل التي تسكنها جزءاً من دولة سبأ في عصور ملوك سبأ التبابعة منذ عهد (حضرموت بن حِمْير ذي ريدان بن سبأ الأصغر) ـ في القرن الثالث عشر ق.م ـ. قال الحسن بن أحمد الهمداني:

«حَضْرَمَوْتُ من اليمن، وهي جزؤها الأصغر، نُسبت هذه البلدة إلى

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص٢٠.

حضرموت بن حِمْيَر الأصغر، فغلب عليها اسم ساكنها كما قيل خَيْوان ونَجْران والمعنى بلد حضرموت وبلد خيوان ووادي نَجْران لأن هؤلاء رجالُ نُسبت إليهم المواضع»[١].

وقال نشوان الحميري:

«حضرموت اسم ملك من ملوك حِمْيَر وهو حضرموت بن سبأ الأصغر، وباسمه سُمّي وادي حضرموت، ومن ولده ملوك حضرموت العباهلة»[٢].

وكان (حضرموت بن حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر) ملكاً نائباً على حضرموت في عهد أخيه وابن أخيه (قيس بن صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر) والد الملك الرائش بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر، الذي بدأ عهده عام (١٢٣٠ق.م). وتم اتخاذ أول أعوام عهده بداية للتقويم السبئي المؤرخة به نقوش ملوك سبأ التبابعة في محرم بلقيس بمأرب.

ومنذ ذلك الزمن ـ في القرن الثالث عشر والقرن الثاني عشر ق.م. ـ كانت حضرموت جزءاً من دولة سبأ في عصور ملوك سبأ التبابعة حتى نهاية تلك العصور في القرن السادس ق.م. وكذلك في عصر (مملكة سبأ الوسيطة) بالقرن الخامس ق.م.

لقد كان بعض علماء الآثار والمستشرقين يؤرخون لدولة حضرموت من القرن الثاني عشر ق.م. وقد حدد (فلبي) بداية حضرموت بعام ١٠٢٠ق.م. واستمرار وجودها إلى القرن الخامس ق.م. ثم إلى القرن الثاني الميلادي[٣] ويهمنا هنا الفترة من (١٠٢٠ق.م). ـ القرن الحادي عشر ق.م. ـ إلى القرن الخامس ق.م. فقد أثبتت ودلت الدراسات النقوشية والأثارية أن دولة حضرموت لم تكن موجودة في تلك العصور والقرون، ولكن ذلك إنما يعني أن حضرموت لم تكن موجودة كدولة، ولكنها كانت موجودة كجزء من دولة سبأ في تلك العصور، وقد أشار إلى تلك الحقيقة د. يوسف محمد عبد اللّه حيث قال:

«كانت حضرموت في أقدم عهودها تابعة لدولة سبأ العظيمة.. وفي القرن الرابع ق.م. خرجت حضرموت عن سبأ»[٤].

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص١٦٧.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٣٧.

(٣) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص٤٨.

(٤) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ ص٦٤.

وقال كلاوس شيبمان الألماني:

«كانت المملكة الحضرمية تابعة لسبأ، ولكنها استطاعت فيما بعد في القرن الرابع قبل الميلاد أن تنال استقلالها»[١].

وبالتالي فإن حضرموت في الفترة التي حددها (فلبي) وغيره من العلماء الآثاريين والمستشرقين ـ أي من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس ق.م. ـ كانت موجودة بمناطقها ومدنها وسكانها ولكنها لم تكن دولة وإنما كانت جزءاً من دولة سبأ العظيمة.

وقد سلف تبيين أن حضرموت كانت جزءاً من مناطق ذي ريدان (حمير) في عصر ملوك سبأ التبابعة الذين حملوا في النقوش لقب (ملك سبأ وذي ريدان) وذلك من عام ١٢٠ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي وإن الزمن الصحيح الموافق لذلك هو (١١٠٠ ـ ٨٣٥ق.م). وقد جاء ذكر مدينة (شبوة) وغيرها من مدن حضرموت في نقوش ملوك ذلك العصر.

ثم جرى تعديل التقسيم الإداري للدولة والبلاد من قسمين كبيرين (سبأ وذي ريدان) إلى أربعة أقسام فأصبح لقب ملوك سبأ التبابعة في نقوش المسند (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت) واستمرت حضرموت جزءاً إدارياً ومذكورة في لقب ملوك سبأ التبابعة أولئك منذ ٣٨٦ ـ ٦٣١ للتقويم السبئي (٨٣٤ ـ ٥٨٩ق.م). أي حتى نهاية عصور ملوك سبأ التبابعة في النصف الثاني من القرن السادس ق.م.

ثم تفرقت أيادي سبأ إلى خمس دول ولكن (كرب إل وتار ملك سبأ بن ذمر علي مكرب سبأ) ما لبث إن أعاد توحيدها تحت لواء سبأ فقامت مملكة سبأ الوسيطة في القرن الخامس ق.م. وقد جاء في نقش «كرب إل وتار» إنه «وهب لسين ولحول (إلهي حضرموت) وليدع إيل ولحضرموت أراضيهم من تحت يد أوسان [أي التي كانت تحت حكم مملكة أوسان] ووهب أراضي عم وأنبي (إله قتبان) لوروإيل من تحت يد أوسان. نتيجة لمحالفة (بذت آخو) حضرموت وقتبان لألمقة وكرب إل وسبأ»[٢] واستناداً إلى تلك الفقرة يعتبر بعض الدارسين: إن حضرموت كانت حليفة سبأ في ذلك العصر، ولكن حضرموت ينطبق عليها وضع قتبان، فقد أعطى (كرب إل وتار) أرض قتبان للمكرب (وروإيل) وقال:

---

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٧١.

(٢) نقش النصر ـ Res٣٩٤٥.

(ألبرايت): إن (وروإل) كان خاضعاً لكرب إل وتار ملك سبأ. فذلك هو أيضاً شأن المكرب (يدع إيل) في حضرموت، فهو حاكم محلي تابعٌ لملك سبأ. فكانت حضرموت جزءاً من مملكة سبأ الوسيطة ـ تلك ـ حتى انتهت وتفككت حوالي عام ٤٠٠ ق.م.

ثانياً

عصر انضواء حضرموت في مملكة معين

(٤٠٠ـ١١٥ق.م)

لقد افترض بعض الدارسين أن دولة حضرموت قامت بانتهاء مملكة سبأ في مطلع القرن الرابع ق.م. واستناداً لذلك الرأي قال كلاوس شيبمان: «كانت المملكة الحضرمية تابعة لسبأ ولكنها استطاعت فيما بعد في القرن الرابع ق.م. أن تنال استقلالها» [ص٧١] وقال د. يوسف محمد عبد الله: «كانت حضرموت في أقدم عهودها تابعة لدولة سبأ العظيمة ثم حليفة لها، وفي القرن الرابع قبل الميلاد خرجت حضرموت عن سبأ وكوّنت دولة مستقلة». [ص٦٤].

ولكن النقوش قد دلت وتدل على عدم صواب ذلك الرأي، فقد خرجت حضرموت بالفعل عن سبأ وكذلك قتبان ومناطق معين، ولكن حضرموت لم تكوّن دولة مستقلة وإنما انضوت في مملكة معين التي قامت بزعامة (صدق إل ملك معين وحضرموت) في مطلع القرن الرابع ق.م.

فاستناداً إلى دراسة النقوش حدد البروفيسور ألبرايت: «إن صدق إل ملك معين وحضرموت هو مؤسس مملكة معين حوالي عام ٤٠٠ق.م». فكان (صدق إل) ملك معين هو ملك حضرموت أيضاً في عهده بالنصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد. ثم حكم معين أليفع يثع بن صدق إل بينما حكم حضرموت أخوه (شهر علن بن صدق إل). وقد أشار د. محمد بافقيه إلى تلك الحقيقة حيث قال:

«إن في النقوش المعينية إشارات تشي بأن علاقة خاصة كانت تقوم بين معين وحضرموت. ويزكي ذلك أن أسرة (واحدة) حكمت المنطقتين معاً، منها صدق إل ملك حضرموت الذي حكم معين أيضاً وجعله ألبرايت مؤسساً للمملكة في معين حوالي عام ٤٠٠ق.م. والذي اقتسم ابنان له من بعده العرشين فحكم ابنه شهر علن حضرموت وحكم أليفع يثع معين.. وإلى نفس الأسرة ينتمي أبيدع يثع ملك معين (٣٤٣ق.م والذي حكم معين في الوقت الذي كانت حضرموت فيه تحت حكم

ملك آخر من نفس الأسرة كما جاء في نقش من معين». [ص٣٦].

وقد استمر ذلك الارتباط في القرن الثالث ق.م. حيث حكم معين وحضرموت «أليفع ريام ملك معين وحضرموت بن أليفع يثع ملك معين» ثم «معدي كرب ملك حضرموت بن أليفع ملك معين وحضرموت».

وكذلك «في نقش ناقص من مجموعة توفيق من براقش نجد عبارة: ومعين لكي يسكنوا شبوة ويتملكوا فيها».

وربما استمر حكام حضرموت من أبناء ملوك معين. وقد وصف د. محمد بافقيه ذلك الارتباط بالعبارة التالية: «... العلاقة الخاصة التي قامت بين حضرموت ومعين في الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد» [ص٤٨] ومصطلح «الثلث الأخير من الألف الأول ق.م». يعني من القرن الرابع إلى حوالي القرن الأول قبل الميلاد. ويبدو أن آخر حكام حضرموت في عصر الارتباط بمعين هو «السمع بن ملكيكرب» ما بين عام ١٧٥ ـ ١١٥ق.م. في القرن الثاني قبل الميلاد.

ثالثاً

عصر مملكة حضرموت... وملوكها الأوائل

(١١٥ق.م ـ ٧٠م)

إن تاريخ بداية مملكة حضرموت ـ كدولة مستقلة عن غيرها ـ ربما يتزامن مع قيام دولة قتبان الحميرية بزعامة (شهر يجل يهرحب ملك قتبان) عام ١١٥ق.م. فمنذ ذلك الوقت تقريباً أصبحت حضرموت مملكة تمتد إلى أقصى مشارق اليمن إذ أنه ـ وكما يذكر (كلاوس شيبمان) ـ «كانت مملكة حضرموت تضم منطقة تشمل في الشرق ظفار (الواقعة حالياً في عُمان) وتمتد في الجنوب حتى ساحل المحيط الهندي (البحر العربي)، وتجاور في الشمال صحراء الربع الخالي. وكانت عاصمتها شبوة في أقصى غربي المملكة، على أطراف مفازة رملة صيهد. وهذا الموقع يُبين مرور طريق البخور في أراضيها.. ونظراً لأن النقوش الحضرمية ليست كثيرة في عددها ولا غنية بمضمونها فإن من الصعب إعادة تكوين صورة شاملة عن تاريخ هذه المملكة»[1].

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٧٠.

ويكن القول أن مملكة حضرموت ظهرت كدولة مستقلة عن غيرها بالتنسيق مع مملكة قتبان الحميرية، ويتجلى ذلك في طريق البخور الذي ذكره بلينوس بأنه «. . . بعد أن يجمع اللبان (البخور) يُنقل على ظهر الجمال إلى شبوة حيث يفتح فيها باب واحد لاستقباله. وهناك يأخذ الكهان قسطاً منه يساوي العُشر باسم إلّههم الذي يدعونه سابس (؟) ولا يجوز التصرف في اللبان قبل أن يتم ذلك الإجراء. ومن ذلك العشر تواجه المصاريف العامة، إذ أن الآلهة (المعابد) تقوم بواجبات الضيافة تجاه الأغراب الذين يأتون إلى هناك من مسافة أيام. ثم يُصدر اللبان عن طريق بلاد القتبانيين، ويقتضي ذلك دفع ضريبة أخرى لملكهم، وتدفع كميات من اللبان إلى الكهان، وإلى الملك وأعوانه، وكذلك إلى الذين يقومون بخزنه وحراسته، وإلى حراس بوابة مدينة تمنع (عاصمة قتبان) وموظفين آخرين». (اهـ).

ويمكن من ذلك إدراك أمرين:

أ ـ إن قوافل اللبان (البخور) في ذلك العصر كانت تتوجه من شبوة إلى تمنع عاصمة قتبان (وجوبياً). فلماذا؟ لقد لاحظ بعض الدارسين ومنهم (بوين): إن القوافل تستطيع أن تذهب إلى مأرب عبر شبوة، فتتجنب بذلك قتبان، كما تستطيع أن تذهب رأساً إلى الجوف (المعينية) فتتجنب المرور بمأرب والمرور ببيحان (حيث عاصمة قتبان) وذلك لوجود ممر مطروق عبر رملة السبعتين بالقرب من شبوة إلى مأرب وإلى الجوف. ولم يكن من الضروري للقوافل أن تذهب إلى تمنع عاصمة قتبان. (اهـ) ولذلك يمكن إدراك أن وجوب ذهاب القوافل من شبوة، إلى قتبان في ذلك العصر يدل على التنسيق بين حضرموت وقتبان لأن الهدف من ذلك كان تحصيل الضرائب من القوافل في عاصمة قتبان.

ب ـ كان يتم تحصيل العُشر من حمولة القوافل في شبوة عاصمة حضرموت باسم الآلهة ويتم دفعها للكهان والإنفاق من ذلك على المصاريف العامة. فليس تحصيل ذلك العُشر باسم ملك حضرموت، بينما يتم تحصيل الضرائب في تمنع عاصمة قتبان باسم ملك قتبان (الدولة) مما يشير إلى أن دولة قتبان هي الدولة الرئيسية بين الدولتين (قتبان وحضرموت) في ذلك العصر.

وقد تعاقب على حكم حضرموت في الفترة من (١١٥ق.م. ـ ٧٠ ب.م). من ذلك العصر نحو ستة ملوك لا تجود النقوش بأكثر من أسمائهم، ويوجد اختلاف بين الدارسين في ترتيبهم.

أ ـ يذكر البروفيسور ألبرايت ملكين لحضرموت بعد فترة الارتباط بمعين اسم أولهما (غيلان) والثاني (يدع أب غيلان) وإنه حكم حوالي عام ٥٠ق.م.

ب ـ بينما في قائمة (فلبي) لملوك حضرموت بعد (السمع ذبيان بن ملكيكرب) يأتي اسم «يدع إل/بن سمه يفع» وقد يكون هو «يدع إل» الذي يذكر بافقيه إنه قام ببناء قصر في شبوة.

ثم حكم بعده «يدع أب غيلان بن يدع إل» ثم يليه «ميتم بين» ثم «يدع أب غيلان بن ميتم بين» ثم (يدع إل/بن يدع أب غيلان) وفي عهده كان حريق مدينة تمنع حوالي عام ٩٠ ـ ١٠٠م.

جـ ـ وقد ذكر ابن خلدون ستة ملوك حكموا حضرموت، يمكن القول أنهم ملوك تلك الفترة، حيث قال ابن خلدون: «ذكر جماعة من العلماء أن أول من انبسط ملكه على حضرموت منهم وارتفع ذكره: عمرو الأشنب بن ربيعة بن يرام.. ثم خَلفه ابنه نمر الأزج... ثم ملك كريب ذو كراب. ثم نمر الأزج وهلك أخوته في مُلكه. ثم مَلك مرثد ذو مروان بن كريب وكان يسكن مأرب ثم تحول إلى حضرموت. ثم مَلَكَ علقمة ذو قيعان بن مرثد ذي مروان بن كريب بحضرموت ثلاثين سنة»[1].

فإذا ربطنا ذلك بالأسماء التي وردت في النقوش يكون لدينا الترتيب التالي:

١ ـ سمه يفع = «عمرو الأشنب بن ربيعة بن يرام».

٢ ـ يدع إل بن سمه يفع = «نمر الأزج بن عمرو الأشنب».

٣ ـ يدع أب غيلان = «كريب ذو كراب».

٤ ـ ميتم بين = «نمر الأزج بن كريب».

٥ ـ يدع غيلان بن ميتم = «مرثد ذو مروان بن كريب».

٦ ـ يدع إل بن يدع أب غيلان = «علقمة ذو قيعان بن مرثد ذي مروان بن كريب».

وقد تكون الأسماء التي وردت في النقوش هي الألقاب الدينية لأولئك الملوك.

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٢١.

رابعاً

عصر عباهلة حضرموت.. ودولة بني معاهر الحميرية
(٧٠ـ٢٧٠م)

في حوالي عام ٧٠ ميلادية قامت بزعامة (ذي معاهر) دولة حميرية عاصرت دولة ملوك حضرموت العباهلة الذين فيهم قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك تاريخ اليمن التليد:

وعَباهِلُ من حَضْرَمُوتٍ من بني أحماد والأشبا وآل صَباح
والغرُّ من جَدَنٍ وابنا مُرَّةٍ وبني شبيبٍ والأُلَىٰ من شاحِ

وقال: «العباهلة: الملوك الذين أقروا على ملكهم لا يُزالون عنه. وذو أحماد وذو جدن بطنان هما من جمهور ولد الحارث بن حضرموت بن سبأ الأصغر. وكذلك شبا بن الحارث... ومرّة بن حضرموت وفيه العدد، وشبيب بن حضرموت بن سبأ»[١].

وقال نشوان الحميري:

أو ذو مَعاهِرَ غُلِّقتْ أبوابُه فأتى له الحَدَثانُ بالمفتاحِ

ثم قال: «هذا الملك ذو معاهر بن حسان الأضخم. سُمّي ذا مَعاهِر لأنه أول من أحدث المعاهر لباب ظفار، وهي جُرُس من ذهب، كانت هي باب ظَفار إذا فُتح الباب سمع لتلك الجُرس صوت من مكان بعيد»[٢].

وقد تم العثور على نقوش في ردمان بأسماء بني معاهر، زعماء دولة بني معاهر الحميرية، مؤرخة بتقويم حميري، وقد أسفرت دراسة البعثة الفرنسية عن معرفة أن ذلك التقويم يوافق العام الأول فيه عام ٧٠ ميلادية، واسمه (التقويم العبلي) أو (التقويم الأبعلي)[٣] وقد اقترن ذكر (بني معاهر) في تلك النقوش بذكر (ملوك حضرموت) العباهلة، وذلك كناية عن التحالف بين الدولتين، بل إن اسم الملوكية في تلك النقوش هو لملك حضرموت واسم الأذوائية لبني معاهر.

وتتيح النقوش والدراسات الأثرية والمصادر التاريخية إدراك معالم ذلك

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٨٣.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٧.

(٣) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ تقرير البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ السنة ٣/ ١٩٨٥م.

العصر وترتيب ملوك حضرموت العباهلة ورؤساء دولة بني معاهر الحميرية على النحو التالي:

١ ـ عهد ذي معاهر . . . ويدع إيل ملك حضرموت (٧٠ ـ ٩٠م):

في العام الأول للتقويم الأبعلي الحميري (الموافق عام ٧٠ ميلادية) خرجت مناطق حِمْير وردمان من حكم دولة قتبان التي كان يحكمها آنذاك (شهر هلل يهقبض ملك قتبان) فانتهت ملوكيته على تلك المناطق وانعقدت رئاستها للقيل (ذي معاهر) وهو (معاهر) الأول في هذا العصر لأن بني معاهر كانوا من الأقيال الأذواء في العصور السابقة.

وتحالفت دولة بني معاهر الحميرية بزعامة معاهر «ذي معاهر بن حسان» مع «يدع إيل ملك حضرموت» ـ وهو أول ملوك حضرموت العباهلة في ذلك العصر ـ وكان نتيجة ذلك التحالف اجتياح قتبان وإحراق عاصمتها مدينة تمنع. حيث تدل الدراسات الأثرية على: «أن مدينة تَمْنَع قد أُحرقت على عهد (شهر هلل يهقبض) حوالي عام ٩٠ ـ ١٠٠ ميلادية»[١] وكان ذلك على يد «جارتها الشرقية مملكة حضرموت»[٢] وبالتالي على يد «يدع إيل ملك حضرموت» حليف «ذو معاهر» الذي قال عنه نشوان الحميري:

أو ذو مَعاهر غُلِّقت أبوابه فأتى له الحدثان بالمفتاح

وإنه: «أول من أَحدث المعاهر لباب مدينة ظفار وهي جُرُس من ذهب كانت هي باب ظفار، إذا فُتح الباب سُمع لتلك الجُرس صوت من مكان بعيد». ويشير ذلك إلى أن مدينة ظفار عادت واستعادت مكانتها التاريخية كعاصمة في مناطق حمير (ذي ريدان) ـ بمحافظة إب حالياً ـ وتمت فيها أعمال عمرانية في عهد ذي معاهر بن حسان (عام٧٠ ـ ٩٠م).

أما (يدع إيل ملك حضرموت) فقد تم العثور على نقش باسمه في شبوة، وقد ذكر بافقيه أسماء عدد من ملوك حضرموت وقال: «لعل أولهم يدع إيل الذي قام ببناء قصر شقير في شبوة». والأصوب أنه أعاد بناء قصر شقير لأنه كان موجوداً في عصور ملوك سبأ التبابعة.

وكان (يدع إيل) هذا من ملوك حضرموت العباهلة الذين قال ابن خلدون:

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٤٣.

(٢) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيمان ـ ص٧٠.

«كان فيهم ملوك كالتبابعة في علو الصيت ونهاية الذكر» وقد ذكر ابن خلدون هذا الملك (يدع إيل) باسم (ذي عيل) وقال:

«مَلَك ذو عيل بن ذي قيعان (بن مرثد بن كريب حضرموت) عشر سنين، وسكن صنعاء»[١].

ـ أي إن حكمه امتد إلى صنعاء، ويمكن أن يكون ذلك الامتداد لذي معاهر لتحالف الدولتين.

وأهم ما يعود إلى ذلك العهد هو (التقويم الأبعلي الحميري) وقد جاء في كتاب الموسوعة ما يلي: «إن التقويم الحميري... يبدأ في عام 115 ق.م. وبدايته تؤرخ كما يبدو لقيام دولة حِمْيَر في سرو حِمْير... وهناك تقويم حميري آخر يبدأ حوالي عام 79 ميلادية، وقد عُثر على اسمه وهو (أبعلي) ضمن نقوش منطقة المعسال (وعلان التاريخية حاضرة ردمان وذي خولان»[٢].

وقد سلف تبيين أن دولة قتبان الحميرية قامت بزعامة (شهر هلال يهرحب) حوالي عام ١١٥ق.م. وبالعام الأول لقيامها يبدأ التقويم الحميري وكان ملوكها من آل ذي رُعَين، وكان آخرهم (شهر هلل يهقبض) الذي في عهده أُحرقت مدينة تمنع حوالي عام ٩٠م. فانقطع استعمال ذلك التقويم الحميري نحو قرنين من الزمان، وقد تمت العودة إلى استعماله فيما بعد في عصر تبابعة حِمْيَر.

أما التقويم الأبعلي الحميري فإن العام الأول فيه يوافق عام ٧٠م ـ وليس ٧٩م ـ وبدايته تؤرخ لقيام دولة بني معاهر الحميرية بزعامة (معاهر بن حسان) حليف (يدع إيل ملك حضرموت). وقد عاصرها «خل كرب صدق بن أب يدع ملك معين» و«يدع إل وتر مكرب سبأ» فكان أولئك الأربعة زعماء الممالك اليمنية في ذلك العهد بالقرن الأول الميلادي.

٢ـ عهد العزيلط ملك حضرموت وعميدع يحمد بن معاهر (٩٠ـ١٣٠م):

ثم تولى عرش عباهلة حضرموت «العزيلط/ بن يدع إيل/ ملك حضرموت» وعاصره «عميدع يحمد بن معاهر ذي ردمان وخولان..» ثاني رؤساء دولة بني معاهر الحمرية.

وقد دلت الدراسات على أنه ـ كما ذكرت الباحثة البلجيكية جاكلين بيرين ـ

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٢٢.

(٢) الموسوعة ـ د. يوسف محمد عبد الله ومطهر الأرياني ـ ص٢٨٢.

«إن العزيلط ـ ملك حضرموت في نقوش (خور/ روري) ينبغي أن يكون قد عاش في القرن الأول الميلادي»[١].

وقد جاء اسمه مع اسم أبيه في النقش رقم ٨ هاملتون من شبوة باسم «العز/ يلط/ بن/ يدع إل/ ملك حضرموت». ويدل ذلك على أنه ثاني ملوك حضرموت العباهلة.

وقد ذكره ابن خلدون باسم «ذي غيل بن ذي عيل» ـ أي «ذو غيل بن يدع إيل» ـ حيث يبدو أن (العزيلط) قيل له (ذوغيل) لقيامه ببناء مدينة غيل (ذات غيل) التي يذكر د. بافقيه إنه: «توجد نقوش من وادي بيحان تذكر ملوكاً حضرميين حكموا بعد خراب تمنع كما تذكر مدينة ذات غيل التي يُرجح إنهم أقاموها في مكان ما من ذلك الوادي»[٢] وبالتالي نرى أن مدينة غيل (ذات غيل) تم تشييدها في عهد (العزيلط بن يدع إيل ملك حضرموت) ولذلك قيل له «ذو غيل».

قال ابن خلدون: «ثم مَلَك ذو غَيْل بن ذي عيل (يدع إيل) بحضرموت... وتحول ذو غيل إلى صنعاء (سكن صنعاء) واشتدت وطأته. وكان (ذوغيل) أول من غزا الصين من ملوك اليمن ـ [أغزا إليها سنان ذو ألم] ـ فقتل ملكها وأخذ سيفه ذا النور. وكان (ذوغيل أول من أدخل الحرير والديباج إلى اليمن»[٣].

ويتبين من القرائن التاريخية عن ذلك العهد:

ـ إن ذا غيل «العزيلط بن يدع إيل ملك حضرموت» عاصره «عميدع يحمد بن معاهر» وكان عهدهما في الفترة ما بين عام ٩٠ ـ ١٣٠ ميلادية. وكانت زعامة (عميدع يحمد بن معاهر) لمناطق ردمان وحمير تشمل خولان كما يدل على ذلك لقب بني معاهر «قَيْل ردمان وذي خولان...» ويعطينا ذلك الأساس لما ذكره ابن خلدون بأن (ذا غيل/ = العزيلط) تحوّل إلى صنعاء وسكن صنعاء». وذلك لأن بلاد خولان تحيط بصنعاء، وكانت خولان منضوية في زعامة بني معاهر حلفاء ملك حضرموت، فيمكن أن يأتي إلى صنعاء ويقيم بها فترة من عهده لأن صنعاء وخولان جميعها من مناطق دولة بني معاهر الحميرية.

ـ وتدل النقوش المعثور عليها في موقع مدينة سمهرم في ظفار «بسلطنة عُمان

(١) نقوش المعسال ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م.
(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٥٣.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٢٢.

حالياً» على أن حكم «العزيلط ملك حضرموت» كان يشمل منطقة ظفار «عُمان» وهي المنطقة الرئيسية لإنتاج البخور واللبان ـ التي ذكرها بليني ـ. «ففي عام ١٩٥٢م قامت بعثة دراسة الإنسان الأميركية بإجراء أول حفريات في ظفار عمان، وسرعان ما ثبت لها أنها (أرض اللبان) وثبت بالدليل القاطع أنها كانت جزءاً من مملكة حضرموت.. لقد أجريت الحفريات في مكان يدعى (خور روري) ويقع هذا الخور إلى الشرق من صلالة في منتصف الطريق بين قريتي البلد ومرباط، وهو عبارة عن خور مستطيل في نهاية وادٍ سُدّ منفذه إلى البحر بكتلة رملية يمتد خلفها الماء نحو البر مسافة ميل واحد... وتقع الأطلال القديمة على الجانب الشرقي منه.. وتم رفع الأنقاض هناك عن معبد تم العثور فيه على لوح برونزي عليه كتابة بالمسند تذكر اسم المدينة وهو سمهرم (س م هـ ر م) وتذكر في نفس الوقت (سين ذا الم) معبود حضرموت الرئيسي (؟). وبتقدم الحفريات اكتشفت داخل أحد أبواب المدينة سبعة نقوش حُفرت على أحد الجدران تذكر «العز ملك حضرموت» كما تذكر (مدينة شبوة). وبذلك تزيدنا النقوش يقيناً بالعلاقة السياسية التي ربطت ظفار وحضرموت بين القرنين الأول والثالث للميلاد»[١] إن (العزيلط ملك حضرموت) المذكور في نقوش (خور روري/ سمهرم) هو ـ غالباً ـ «العز يلط بن يدع إيل ملك حضرموت» في الفترة ما بين عام ٩٠ ـ ١٣٠م. (بالقرن الأول والثاني الميلادي). وقد يكون هو «العزيلط ـ الثاني ـ ملك حضرموت» المذكور في كتاب (البريبلوس) وكان عهده في الفترة ما بين ٢٠٠ ـ ٢٣٥ ميلادية وكان حكم كليهما يشمل ظفار عُمان.

ـ وقد جاء في النقش البرونزي بمعبد سمهرم اسم سيان ذي ألم (س ي ن/ ذ ألم) حيث قال د. محمد بافقيه إنه «معبود حضرموت الرئيسي»[١] وهو الذي قال ابن خلدون أنه كان قائد جيش الملك ذي غيل (العزيلط) حيث قال: «غزا (ذوغيل) الصين.. ولما شخص سنان ذو ألم لغزو الصين تحول ذو غيل إلى صنعاء واشتدت وطأته. وكان (ذوغيل) أول من غزا (الصين) من ملوك اليمن» (اهـ) وقال الهمداني في الإكليل: «سيان ذو أليم من ملوك حضرموت القدماء»[٢].

فهل كان (سيان ذو أليم) ملكاً؟ أو قائداً لجيش (العز/ يلط ملك

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص٥٦ ـ عن كتاب (عمان المجهولة):
Unknown Oman. Phillips, W. London. 1966.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٨٠ جـ٢.

حضرموت) إلى ساحل الهند والصين؟ أم كان سيان ذو أليم «إلّهاً لحضرموت/ معبود حضرموت الرئيسي»؟.

إن النقوش تدل على أن سيان ذي اليم «سين ذي ألم» كان شخصية مقدسة يتم ذكره والتوسل باسمه في النقوش، وقد فهم بعض الدارسين من ذلك أن «سين ذي ألم هو إله القمر». ونرى إنه ربما كان (نبياً) لورود كلمة «بحنج انبيّ» ـ التي قد يكون معناها «بحنج النبي» ـ في بعض نقوش ذلك العصر، ومنها النقش (رقم ١١ يمن) باسم «نصر يهحمد بن معاهر» ويذكر قيامه بأعمال عمرانية «بردء ومقام سيان ذي اليم (س ي ن/ ذ أ ل ي م) وعم ذي مبرق» في عهد «العزيلط ملك حضرموت». ويدل ذلك على قدسية سيان ذي اليم (س ي ن/ ذ أ ل ي م) وإنه كان من آلهة حضرموت وبني معاهر، أو في مرتبة الآلهة المقدسة.

وبالتالي فإن الذي قاد الحملة التي وجهها (العزيلط) إلى ساحل الهند والصين ليس (سيان ذو أليم) وإنما هو ـ فيما نرى ـ «عميدع يحمد بن معاهر» زعيم دولة بني معاهر الحميرية ـ وربما كانت الحملة باسم النبي أو الإله سيان ذي اليم (سين ذ أليم) ولذلك جاء ذكره في خبر تلك الحملة بتاريخ ابن خلدون.

امتداد ملوكية عميدع يحمد بن معاهر إلى أكسوم (الحبشة):

لقد كان (عميدع يحمد بن معاهر) معاصر (العزيلط ملك حضرموت) زعيماً لدولة بني معاهر الحميرية التي كانت تشمل أراضي ردمان (بمحافظة البيضاء) حيث مدينة وعلان مركز قبالة بني معاهر وذي خولان، وكذلك مناطق حِمْيَر حيث مدينة ظفار (بمحافظة إب حالياً) إلى المعافر وساحل البحر الأحمر.

ويبدو أن زعامة وملوكية بني معاهر امتدت عبر البحر الأحمر إلى أكسوم الحبشة حيث قامت مملكة عاصمتها أكسوم في القرن الثاني الميلادي. ويذكر مطهر الأرياني إنه: «يرى بعض المستشرقين إن ملوك أكسوم الأوائل ربما كانوا من أسرة ملكية يمنية خاضت في اليمن حرباً مع أسرة أخرى، فلما غُلبت على أمرها هاجر من بقي من زعمائها إلى أكسوم حيث استطاعوا أن ينصبوا أنفسهم ملوكاً عليها ـ [نظراً لوجود جالية يمنية كبيرة هناك] ـ . . .»[1].

ويستند ذلك الرأي بصفة أساسية إلى أن من أوائل ملوك أكسوم في هذا

(١) دراسات يمنية ـ مطهر الأرياني ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١/ السنة ١٩٧٨م.

العصر في المصادر الأكسومية «عميدة بن العلاء سكندي» الذي يوصف بأنه «ملك أكسوم وحمير وردمان».

ـ أو «ملك أكسوم وحمير وريدان» ـ وإنه «غزا إلى الهند باسم الملك عيزانا ـ الذي له اسم العرش عيزانا» (اهـ).

ونرى أنه يمكن إدراك أن «عيزانا الذي له اسم العرش» هو «العز/ يلط/ ملك حضرموت» ـ الذي ذكر ابن خلدون أنه «غزا إلى الصين» ـ أي إلى ساحل الهند والصين ـ وكان قائد تلك الحملة «عميدع ابن معاهر». وذلك يقابل ما جاء في المصادر الأكسومية بأنه «غزا (عميدة) إلى الهند باسم الملك عزيانا/ الذي له اسم العرش عيزانا».

وبالتالي يمكن إدراك أن «عميدع يحمد بن ذي معاهر» امتدت زعامته من مناطق ردمان وحمير باليمن إلى أكسوم في الحبشة حيث ذكرته المصادر الأكسومية باسم ولقب (عميدة بن العلا ملك أكسوم وحمير وردمان). وكان عهده إلى حوالي عام ١٣٠م. في القرن الثاني الميلادي.

٣ ـ عهد وهب إل يحوز بن عميدع بن معاهر (١٣٠ ـ ١٥٠م):

ثم تسنم رئاسة دولة بني معاهر الحميرية «وهب إل يحوز بن عميدع يحمد بن معاهر». وقد عثرت البعثة الأثرية الفرنسية على نقش مسند في صخرة جبل المعسال بموقع مدينة وعلان مركز بني معاهر أقيال ردمان وذي خولان، باسم الرئيس القَيْل «وهب إل يحوز بن عميدع يحمد بن معاهر» وهو نقش مؤرخ بعام ٧٢ للتقويم الأبعلي الحميري ويوافق عام ١٤٢ ميلادية وهو النقش التالي صورته:

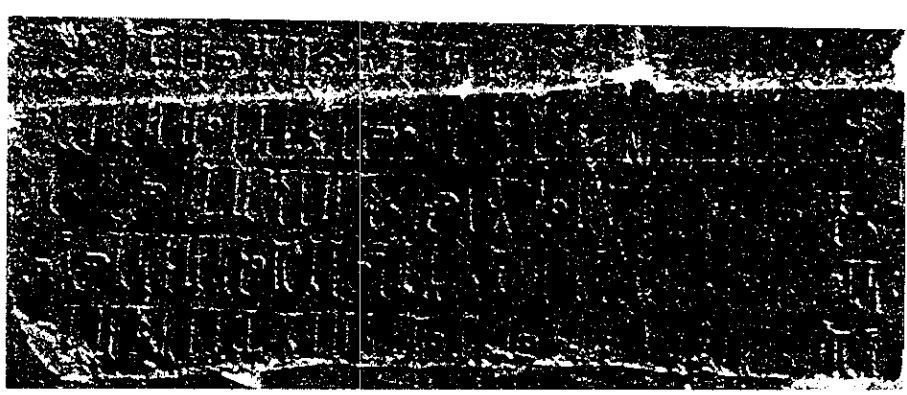

صورة نقش «وهب إل يحوز/ بن عميدع يحمد/ بن معاهر»
المؤرخ بعام ٧٢ للتقويم الأبعلي الحميري/ الموافق عام ١٤٢ ميلادية.

وبفضل هذا النقش توصلت البعثة الأثرية الفرنسية إلى كشف التقويم الحميري الأبعلي، وإن العام الأول فيه يوافق عام ٧٠م. أو عام ٧٩م. لعودة زمن النقش إلى ما بين عام ١٤٢ ـ ١٥٠م، وانتهت دراسة البعثة إلى أن العام المؤرخ به النقش وهو عام ٧٢ للتقويم الأبعلي الحميري يوافق عام ١٤٢ ميلادية. فيكون العام الأول في ذلك التقويم يوافق عام ٧٠ ميلادية.

إن ذلك العام يؤرخ ـ كما سلف التبيين ـ لقيام دولة بني معاهر الحميرية بزعامة (معاهر/ ذي معاهر العلا بن حسان) معاصر «يدع إل/ ملك حضرموت» في الفترة (٧٠ـ٩٠م).

ثم حكم بعده (عميدع يحمد بن معاهر) معاصر (العزيلط/ بن يدع إل/ ملك حضرموت) في الفترة ما بين ٩٠ ـ ١٣٠م.

ثم «وهب إل يحوز بن عميدع يحمد بن معاهر» صاحب هذا النقش المؤرخ بعام ٧٢ للتقويم الأبعلي الحميري الموافق عام ١٤٢م. ويمكن تقدير عهده بالفترة إلى حوالي عام ١٥٠ ميلادية.

وفي ذلك العهد (عهد وهب إل يحوز بن عميدع يحمد بن معاهر):

أ ـ تذكر قوائم ملوك حضرموت (بعد العزيلط بن يدع إيل) ـ ملكاً اسمه (علهان). بينما يذكر ابن خلدون أنه بعد ذي غيل (العزيلط بن يدع إيل): «مَلَك بدعات بن ذي عيل بحضرموت أربع سنين». ونرى أن اسمه قد يكون (أب يدع علهان) فتصحف (أب يدع) إلى (بدعات) وبقي في النقش اسمه (. . . علهان) وهو ثالث ملوك حضرموت العباهلة.

ب ـ ثم يليه في قوائم ملوك حضرموت ملك اسمه «أب يزع». ويقابله في تاريخ ابن خلدون «بدعيل بن بدعات» حيث قال ابن خلدون «ثم مَلَك بدعيل بن بدعات، وبنى حصوناً وخلف آثاراً». وبدعيل هذا هو «أب يزع ملك حضرموت بن (أب يدع) علهان». وهو رابع ملوك حضرموت العباهلة.

جـ ـ وفي تلك الفترة (١٣٠ ـ ١٥٠م) كان من ملوك اليمن أيضاً: «أليفع ريام وابنه هوف عثت ملكي معين» و«ذمر على بين مكرب سبأ» وقد عاصرا (وهب إل يحوز بن عميدع بن معاهر».

٤ ـ عهد لحيعة يرخم . . . ومعدي كرب أسار . . بني معاهر (حوالي ١٥٠ـ١٩٩م)

ثم تسنم رئاسة دولة بني معاهر الحميرية «لحيعة يرخم/ بن وهب إل. . .» وقد تم العثور على نقش مسند باسمه[1] ويحمل (لحيعة يرخم) في النقش لقب

(١) النقش رقم ٢٨٦٧ جام.

«قَيْل ردمان وخولان وذي رفت وكل الشعوب التي يتقيل عليها من قصره هران»[١] فرؤساء دولة بني معاهر لم يحملوا في النقوش لقب (ملك) لأن دولتهم لم تكن مملكة وإنما كانت بمثابة اتحاد لأذوائيات ومناطق ردمان وخولان وحمير بزعامة بني معاهر.

وقد تسنم رئاسة الدولة بعد لحيعة يرخم «معدي كرب أسار بن وهب إل... بن معاهر». وهو خامس رؤساء دولة بني معاهر.

وفي عهد لحيعة يرخم ثم معدي كرب أسار (ما بين ١٥٠ ـ ١٩٩م) تذكر النقوش:

أ ـ (عم ذخر/ ملك حضرموت) وهو والد الملك (العزيلط ـ الثاني ـ ملك حضرموت). وقد ذكر ابن خلدون أنه «مَلَك بديع ذوعيل. ثم ملك بعده ذو أحماد..» [ص٢٣] وذو أحماد هو (العزيلط الثاني) فيكون (بديع ذوعيل) هو (عم ذخر) وكان اليروفيسور ألبرايت قد ذكر أن اسم والد العزيلط هو «أب يدع غيلان» ثم تبين من نقش باسم العزيلط أن اسم أباه «عم ذخر». ونرى إمكانية أن يكون اسمه «أب يدع عم ذخر». وقد حكم بعد «أب يزع» ـ سالف الذكر ـ بحيث يمكن تقدير عهد «أب يزع» ثم عهد «عم ذخر» بالفترة ما بين ١٥٠ ـ ١٩٩م.

ب ـ وفي تلك الفترة عادت دولة قتبان حيث تدل النقوش على أنه «بعد خراب تمنع» أقام القتبانيون لفترة من الزمان عاصمة جديدة لهم في موضع هَجَر بن حميد في وادي بيحان. وهناك كان الملك يقيم في قصر يدعى (حريب) أيضاً. وتم العثور في (هجر بن حميد) على نقش باسم «نبط عم ملك قتبان بن شهر هلال» ونقش باسم ابنه الملك «مرثد بن نبط عم). وقد حكم إلى عام ٢٠٠م.

جـ ـ وفي تلك الفترة أيضاً (١٥٠ ـ ٢٠٠م) كان يحكم مملكة معين «يثع إل ريام وابنه تُبّع كرب ملكا معين» المعثور على نقش من عهدهما في مدينة يثل (براقش) ويذكر النقش «... كل آلهة معين ويثل/ وكل آلهة ومحامي وملوك وشعوب سبأ وجوّ»[٢].

وقد كتب (بطليموس) في عام ١٦٠م عن اليمن (بلاد العربية السعيدة)

---

(١) النقش رقم ٢٨٦٧ جام.

(٢) النقش رقم ٤٨٥ هاليڤي.

فذكر دولة معين ووصف المعينيين بأنهم (شعب عظيم) وذكر في خريطته عاصمتهم (يثل). وكذلك ذكر (بطليموس) القتبانيين، وذكر دولة سبأ وعاصمتها مأرب. ويؤكد ذلك استمرار وجود تلك الدول، وقد حكم مملكة معين بعد «يثع إل ريام وابنه تُبّع كرب» الملك «أب يدع حفنوم» ـ إلى حوالي عام ٢٠٠م ـ بينما كان يحكم سبأ «كرب إل وتر» ثم (كرب ينعم مكرب سبأ) ـ إلى حوالي عام ٢٠٠م ـ وكان يحكم قتبان «مرثد بن نبط عم» وذلك أيضاً إلى عام ٢٠٠م.

خامساً

عهد إلعزيلط الثاني
ملك حضرموت.. ونصر يُهحمد بن معاهر
(٢٠٠ ـ ٢٣٥م)

في حوالي عام ٢٠٠ ميلادية تسنم عرش حضرموت أعظم ملوك حضرموت العباهلة وهو «إلعزيلط ابن عم ذخر ملك حضرموت» المعروف عند المؤرخين العرب الأوائل بلقب (ذي أحماد). قال نشوان الحميري:

وعَباهِلُ من حَضْرَمُوتٍ من بني أحماد والأشباء وآل صباح

وقال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ ذو أحماد بن بدعيل بحضرموت، فأنشأ حصنه المعقرب، وغزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف وخرب وسبى. وكان (ذو أحماد) أول من اتخذ الحجاب من ملوك حضرموت»[١].

وقد عاصره «نصر يهحمد بن معاهر» ـ أعظم رؤساء دولة بني معاهر الحمرية ـ وقد تم العثور على خمسة نقوش باسمه منها ثلاثة نقوش مؤرخة بالتقويم الأبعلي الحميري وقد ذكر فيها «العزيلط/ ملك حضرموت». وتدل النقوش والقرائن على أن عهدهما كان في الفترة (١٣٠ ـ ١٦٥ للتقويم الأبعلي/ ٢٠٠ ـ ٢٣٥ ميلادية)، وقد استقصينا من معالم ووقائع ونقوش عهدهما ما يلي:

١ ـ انتهاء مملكة قتبان بانضوائها في دولة بني معاهر (٢٠٠م):

لقد دلت دراسة البعثة الأثرية الفرنسية «إن مملكة قتبان انتهت عام ٢٠٠ ميلادية»[٢].

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٢٣.

(٢) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية ـ تقرير البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ السنة ٣/ ١٩٨١م.

ويذكر كلاوس شيبمان أنه «يؤرخ موللر Mueller نهاية المملكة القتبانية بالنصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. ويحدد ريكمانز Ryckmans أن نهاية مملكة قتبان كان في نهاية القرن الثاني الميلادي، وربما بعد ذلك بقليل:

Ryckmams La Chronlogie des Rois de Saba et Du. Raydan. 1984

وتحديد بيرين Pirenne دمار تمنع عاصمة قتبان بنحو عام ٢٠٠ ميلادية[١].

وقد أثبتت تنقيبات ودراسة البعثة الفرنسية «إن مملكة قتبان انتهت عام ٢٠٠م»[٢]. وإنه «كانت النهاية التامة لقتبان على يد مملكة حضرموت»[١] فيكون ذلك على يد «العزيلط ـ الثاني ـ ملك حضرموت» وحليفه «نصر يهحمد بن معاهر» لأن منطقة بيحان حيث كانت مدن قتبان أصبحت تحت قيالة (نصر يهحمد بن معاهر) وتم العثور فيها على نقش باسمه (النقش رقم ٣٩٥٨ ريكمانز) وهو مؤرخ بعام ١٤٤ للتقويم الأبعلي الحميري (٢١٤ ميلادية). فانتهاء مملكة قتبان كان بانضواء مناطقها في دولة بني معاهر الحميرية بزعامة نصر يهحمد بن معاهر وكان اسم الملوكية في عهده وفي نقوشه للعزيلط بن عم ذخر ملك حضرموت.

٢ ـ انضواء (ظفار/ عمان) في ملوكية العزيلط... ونهاية سبأ ومعين:

في ذات الوقت الذي انتهت فيه مملكة قتبان (عام ٢٠٠م وربما بعد ذلك بقليل) انتهت أيضاً دولة مكارب سبأ التي كان آخر حكامها (كرب يهنعم مكرب سبأ) و(عمرو مُزَيْقيا)... كما انتهت مملكة معين التي كان آخر حكامها (يدع أب حفنوم ملك معين) في أواخر القرن الثاني الميلادي.

ويؤكد تلك النهاية أن بطليموس ذكر معين وسبأ وقتبان عام ١٦٠م ـ في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي ـ بينما في كتاب (البريبلوس) الروماني الذي يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي لم يعد لقتبان وسبأ ومعين وجود، ويتيح ذلك إدراك أن تلك الممالك الثلاث انتهت في وقت واحد أو متقارب ما بين عام ٢٠٠ ـ ٢١٤م. إذ أنه:

أ ـ أثبتت الدراسات والنقوش أن مملكة قتبان انتهت حوالي عام ٢٠٠م على يد «العزيلط ابن عم ذخر ملك حضرموت» وربما على يد حليفه «نصر

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٧٠ وص١٠٠.

(٢) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية ـ تقرير البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ السنة ٣/ ١٩٨١م.

يهحمد بن معاهر» لانضواء مناطق قتبان تحت رئاسته، ويؤكد ذلك نقش جبل ذي القرنين في بيحان باسم (نصر يهحمد بن معاهر) المؤرخ بعام ١٤٤ للتقويم الأبعلي الحميري (٢١٤ ميلادية) وهو النقش رقم ٣٩٥٨ ريكمانز.

ب ـ في تلك الفترة (ما بين عام ٢٠٠ و٢١٤م) شملت ملوكية (العزيلط ملك حضرموت» منطقة إنتاج اللبان والبخور التي كانت تابعة لسبأ والتي كانت تقع في جهات المهرة وفي ظفار (شرقي حضرموت). فقد ذكر سترابون الروماني (عام ٢٤ق.م). إنه «تقع أرض البخور على بُعد مسيرة يومين من مأرب عاصمة سبأ». (اهـ) ثم ذكر المؤرخ الروماني بليني (عام ٧٩ ميلادية) تلك المنطقة بالتفصيل وقال إنه: «... على بُعد ثمان مراحل من سباتا (شبوة) في اتجاه شمال الشرق تقع منطقة إنتاج اللبان المعروفة باسم سبأ، وهي منطقة محاطة بالجبال من كل جانب، وتفصلها عن البحر الواقع عن يمينها منحدرات شاهقة. وتبلغ مساحة تلك المنطقة مائة ميل طولاً في عرض خمسة أميال، وتنمو فيها أشجار اللبان (البخور) على منحدرات تلال عالية تميل في اتجاه السهول... وتحتكر اللبان (البخور) ثلاثة آلاف أسرة سبئية ولها طقوس دينية تتبّعها عند جني اللبان، وبسبب تلك الطقوس صارت أسعار تلك السلعة مرتفعة»[1]. وقد كانت أرض إنتاج اللبان والبخور تلك المورد الأساسي لازدهار وثراء دولة مكارب سبأ. وكان خروجها من يد سبأ من أسباب نهاية دولة مكارب سبأ.

وقد دلت التنقيبات الأثرية والدراسات في موقع مدينة سمهرم بظفار عُمان «إن منطقة ظفار هي أرض اللبان والبخور. وإنها كانت جزءاً من مملكة حضرموت»[1] ـ وذلك بصفة أساسية وشاملة في عهد «العزيلط ـ الثاني ـ» الذي يقول د. محمد بافقيه: «يُرجح أن العزيلط هو الملك الذي يسميه البريبلوس اليازوس ملك بلاد اللبان» [ص٥٦] وإن زمن كتاب البريبلوس (القرن الثالث الميلادي) [ص١٩١] مما يدل على أن «اليازوس» هو «إلعزيلط ـ الثاني ـ ملك حضرموت» الذي يؤكد زمنه مجيء اسمه في نقوش (نصر يهحمد بن معاهر) المؤرخة بعام ١٤٤ وعام ١٤٦ للتقويم الأبعلي (٢١٤ و٢١٦م) أي في القرن الثالث الميلادي.

جـ ـ إن انبساط ملوكية (العزيلط) على منطقة إنتاج اللبان والبخور قد أدى ـ فيما

(١)تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص١٩١ وص٥٥.

يبدو ـ إلى هجرة القبيلة السبئية التي كانت تسكن تلك المنطقة والتي ذكر بليني أنه كانت تسكن هناك (ثلاثة آلاف أسرة سبئية». فتلك القبيلة السبئية هم «بنو زهران الأزد» وكان اسم كبيرهم «مالك بن فهم» فهاجروا بقيادته من منطقة المهرة وظفار (منطقة اللبان والبخور) إلى منطقة عمان المتصلة بالخليج العربي. قال المؤرخ العوتبي: «كان أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم... دخل عُمان بعسكر جمّ في الخيل والعدة والعدد.. فنزل بمن معه من الأزد إلى جانب قلهات من شاطئ عُمان». قال د. فاروق عمر «... ثم توالت هجرات أزدية أخرى بعد أن قوي نفوذ مالك بن فهم وبسط سيطرته شمالاً إلى الإحساء والبحرين»[١].

وكان مكرب سبأ إذ ذاك «عمرو مُزَيْقيا» وكان في مأرب، فلما سقطت وانتهت مملكة قتبان وسيطر (العزيلط) على منطقة إنتاج اللبان والبخور، وهاجر (مالك بن فهم) وقومه من قبائل الأزد إلى شرق عمان ومنطقة الخليج، أخبر الكاهن عمران بن عامر أخاه الملك (عمرو مزيقيا مكرب سبأ) بأن قومه سيمزّقون كل ممزق، واقترن ذلك بظهور خلل في سد مأرب القديم الثاني. فهاجر (عمرو مزيقيا) وقبائل الأزد من أرض مأرب، وقد أسلفنا ذكر ذلك بالتفصيل وإنه بذلك انتهت دولة مكارب سبأ وبنهايتها انتهت أيضاً مملكة معين لأن مناطقها المركزية في الجوف ترتبط بأرض مأرب وهما الجوف ومأرب من مخاليف سبأ. وقد كان هنالك ترابط وتكامل بين قتبان وسبأ ومعين، ولذلك انتهت الممالك الثلاث في وقت واحد أو متقارب ما بين عام ٢٠٠ و٢١٤م.

د ـ قال ابن خلدون: «... خرج الملك عمرو مُزَيْقيا من اليمن بقومه... واستولى على قصر مأرب بعده الملك ربيعة بن نصر»[٢] وقال: «ثم أقام ربيعة بن نصر ملكاً على اليمن»[٢] والذي تنطق النقوش باسمه في ذلك العهد هو «نصر يهحمد بن معاهر» فيكون ربيعة بن نصر من أبنائه الذين مَلكهم على مناطق اليمن في عهده وحكموا من بعده. وبما أن (ربيعة بن نصر) كان ملكاً في مأرب وما إليها من أرض سبأ، فإن ذلك يشير إلى أن رئاسة (نصر يهحمد بن معاهر) شملت مناطق مأرب وسبأ عند انتهاء دولة مكارب سبأ.

---

(١) مصادر للتاريخ العماني ـ د. فاروق عمر ـ ص٢٨.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٧٧ ـ عن تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٧ جـ٢.

٣ ـ نقوش نصر يهحمد بن معاهر . . . ونطاق دولة بني معاهر الحميرية (٢٠٠ ـ ٢٣٠م)

لقد تم العثور على خمسة نقوش مسندية باسم ومن عهد (نصر يهحمد بن معاهر) في هجر قانية والمعسال (بمحافظة البيضاء) وفي جبل القرنين في بيحان (بمحافظة شبوة) وفي السوا بالمعافر (بمحافظة تعز). وليس بين ملوك وزعماء تلك العصور أي ملك وزعيم تم العثور على مثل هذا العدد من نقوش عهده، وفي ذلك النطاق الجغرافي الواسع من بيحان ـ شرقاً ـ إلى المعافر ـ غرباً، إلا «نصر يهحمد بن معاهر»، وقد اكتفي في النقوش بلقب «قَيْل ردمان وخولان . . .» وكان هو رئيس دولة بني معاهر الحميرية التي تؤكد النقوش أنها كانت تشمل في عهده كل أرجاء النصف الغربي من اليمن (أي من بيحان وتخوم مملكة حضرموت شرقاً إلى المعافر والبحر الأحمر غرباً. ومن ساحل أبين وعدن جنوباً إلى مأرب وأعالي اليمن شمالاً).

وبينما كان (نصر يهحمد) رئيس النصف الغربي من اليمن كان (العزيلط ملك حضرموت) يحكم النصف الشرقي من اليمن (إلى عمان وساحل الخليج) وقد ذكرته نقوش نصر يهحمد باسم الملوكية. . ونظراً لأهمية تلك النقوش نذكرها فيما يلي:

النقش الأول: نقش نصر يهحمد في هَجَر قانية. المؤرخ بعام ١٤٤ للتقويم الأبعلي الحميري:

وهو نقش منحوت على حجر في بقايا جدران هَجَر قانية. قال د. يوسف محمد عبد اللّه: «والهجر قصر أثرى على أكمة وسط وادي قانيه ويقع بين قريتي قانيه والجذمة، وآثار القصر ما زالت قائمة، وقد حلَّ به الخراب وامتدت إليه يد العبث منذ فترة قريبة وذلك نتيجة استعمال سيارات النقل (القلاب) لنقل الحجارة المهندمة (الموقصة) من وسط الهجر إلى القرى المجاورة». وقد قام د. يوسف بنسخ ونشر نص النقش برقم (يمن ١٠) ويتكون النقش من سبعة أسطر، وهو مكتوب بحروف المسند، وفيما يلي:

أ ـ نص النقش المسند بالحروف العربية الحديثة:

ـ نصرم/ يهحمد/ بن/ معهر/ وذخولن/ قيل/ ردمن/ وخولن/ هقح/ وثوب/ وعذب/ وهجباء/ وهقشب/ كل/ خ

ـ دع/ وخبلل/ ومس لفت/ وضء/ وخدع/ بـ/ بيتهمو/ شبعن/ واسقفهم/ وكل/ مورتهو/ ومسودهو/ ومظللتهو/

- وكل/ اخطبهو/ وكل/ مثعد/ وصوبت/ وجنأت/ وضء/ وخدع/ بـ/ هجرن/ قانئتم/ وثوب/
- وجبء/ وحظى/ وذّهَب/ وجير/ كل/ تحظت/ وتذهب/ وعذب/ بيتهمو/ شعبن/ وهجرهمو/ قنتئم/
- برده/ ومقم/ عشتر/ شرقن/ وسين/ ذألم/ وعم/ ذمبرقم/ بعل/ سليم/ ولمم/ وبردء/ ومقمم/
- وأخيل/ مرءهمو/ العز/ يلط/ ملك/ حضرموت/ بن/ عم ذخر/ وبردء/ وأخيل/ وشعث/ شعبهمو/ ردمن/
- وخولن/ وخيل/ أنبى/ وهقح/ وثوب/ بيتهمو/ شبعن/ وهجرهمو/ قنئتم/ بخرفن/ ذلأربعت/ وأربعهي/ ومئت/ خريفت»[1].

ب ـ ومعنى ومحتوى النقش بالعربية الحديثة إن:

- نصر يهحمد بن معاهر وذي خولان، قَيْل رَدْمان وخولان، أنجَزَ وأعاد ورمم (ثَوّبَ) وجَدّد وجَمَّل (عذب) وأصلح (هجباء) وزيّن (هقشب) كل خراب وتهدم وخلل «كل خدع وخبلل ومسلفت وضيئ» بقصرهم شبعان وطوابقه (اسقفهو) وكل مداخلة (مورتهو) والبهو الرئيسي أو القاعة الرئيسية بالقصر (مسودهو) وقاعة العرش المظللة (مظللتهو) وطوابقه السفلى (أخطبهو).

وكل حدائق (مثعد) ومدرجات ـ أو درجات ـ (صوبت) وأسوار مدينة قانئة (هجرن/ قانئتم) وجدد وأصلح وزخرف (ثوب وهجباء وحظى) وزين بالذهب والجير «ذهب وجير» كل زخارف وذهبيات «كل تحظت وتذهب» قصرهم شعبان ومدينتهم قانئة.

- بعون ومقام ـ الآلهة ـ عشتر الشارق وسيان ذي اليم (سين/ ذ أ ل م) وعم ذي مبرق رب سليم ولمم.
- وبعون ومقام وقُوى سيدهم العزيلط ملك حضرموت بن عم ذخر.
- وبعون وقُوى وجهد شعبهم ردمان وخولان. وبحول النبي (خيل أنبى)؟
- وأنجز (نصر يهحمد) بناء قصرهم شعبان وترميم وتجديد مدينتهم قانئة في شهر ذي خريف من سنة ١٤٤ للتقويم. [وهو التقويم الأبعلي الحميري ويوافق عام ٢١٤ ميلادية].

---

(١)مدونة نقوش يمنية ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م.

وبذلك العمل والتفخيم أصبح قصر شعبان أعظم قصور مناطق حمير جميعها وقد ذكر الهمداني في الإكليل أن «من حصون السَّرو : ردمان . . ومنها قصر وعلان بردمان وهو عجيب وهو قصر ذي معاهر ومن حوله أموال عظيمة»[1].

صورة لآثار هجر قانية ويرى وادي قانية إلى الجهة اليسرى

صورة بقايا قصر قانية (شبعن)

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص٨٩/ ٨.

النقش الثاني: نقش نصر يهحمد في جبل القرنين (١٤٤ع./ ٢١٤م)

تم العثور في جبل القرنين بمنطقة بيحان (التي كانت مركز مدن قتبان) على نقش باسم (نصر يهحمد بن معاهر) وقد تم نشره برقم (٣٩٥٨ ركمانز). وكما يذكر د. يوسف محمد عبد اللّه:

«إن نقش جبل القرنين (R3958) يذكر قيام نصر يهحمد بن معاهر وذي خولان بإصلاحات زراعية في منطقة بيحان. وهو مؤرخ بعام ١٤٤» (اهـ).

وبما أن منطقة بيحان هي المركز الرئيسي لدولة قتبان حتى نهايتها حوالي عام ٢٠٠م فإن النقش يدل على انضواء مناطق قتبان ومركزها الأساسي بيحان تحت رئاسة (نصر يهحمد بن معاهر) إذْ أنه ـ وكما ذكر كلاوس شيبمان ـ «إن مملكة قتبان امتدت مناطقها الأساسية في وادي بيحان. ووصل نفوذها حتى المحيط الهندي، وفي الشمال حتى واحة الجوبة التي تبعد مسافة مسير يوم من مأرب»[١].

وبالتالي فإن صيرورة مناطق قتبان الأساسية في بيحان تحت رئاسة نصر يهحمد بن معاهر يدل على أن رئاسته شملت كافة المناطق التي كانت تحت حكم ونفوذ قتبان، وذلك إلى ساحل أبين وعدن وغرب ساحل شبوة جنوباً وإلى الجوبة (بمحافظة مأرب) شمالاً.

وكان (نصر يهحمد بن معاهر) هو (ذو خولان) فرئاسته كانت تشمل كل قبائل خولان وقد ذكرها في نقش هجر قانية بلفظ «شعب خولان» وكانت مناطق خولان تمتد مما يلي أرض ردمان إلى صنعاء ومن صنعاء إلى مأرب وكذلك إلى مناطق خولان في صعدة وما يليها من أعالي اليمن.

النقش الثالث: نقش قيادة نصر يهحمد حملة عسكرية لمناصرة إلعزيلط ملك حضرموت (إلى عمان وفارس؟)

وهو نقش أشار إليه د. يوسف محمد عبد اللّه قائلاً: «وفي النقش الثالث من الجهة اليسرى لنقوش صخرة المعسال الكبيرة (وهو نقش غير منشور) يرد اسم نصر يهحمد بن معاهر مقترناً بحملة عسكرية قام بها ومعه رجال ردمان وخولان من مدينة وعلان وأرض ردمان وذلك لنصرة ملك حضرموت إلعزيلط في شبوة عندما ثارت عليه القبائل هناك»[٢]. والنقش مؤرخ بعام ١٤٨ ويوافق ٢١٨ ميلادية.

ولعل وجود انطماس في النقش أدى إلى افتراض د. يوسف عبارة «...

---

(١) الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ـ كلاوس شيبمان ـ ص٧٠.

(٢) مدونة النقوش ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م.

عندما ثارت عليه القبائل هناك». ونرى أن الحملة التي قادها نصر يهحمد بن معاهر ومعه فرسان وقبائل ردمان وخولان لنصرة إلعزيلط ملك حضرموت انطلقت من شبوة مع قبائل حضرموت التي احتشدت هناك. وذلك:

أ ـ إلى مناطق ظفار ـ عُمان حيث دلت تنقيبات البعثة الأثرية الأميركية أن ملوكية (العزيلط) شملت مناطق ظفار ـ عُمان، فقد تم العثورفي موقع المعبد بمدينة سمهرم على نقش برونزي يذكر اسم المدينة (سمهرم) ويذكر الإله (سين ذألم). وقد حدد (ألبرايت) أن النقش يعود إلى القرن الثاني الميلادي.

وتم العثور على سبعة نقوش في أحد أبواب مدينة سمهرم تذكر «إلعزيلط ملك حضرموت». ورجحت الدراسات أن (العز/ يلط) هو الذي يسميه كتاب البريبلوس (اليازوس ملك بلاد اللبان) وهو (العزيلط الثاني ملك حضرموت» المذكور في نقوش (نصر يهحمد بن معاهر) لأن زمن البريبلوس (القرن الثالث الميلادي). وكذلك فنقشا نصر يهحمد في هجر قانيه وجبل القرنين تاريخهما عام ١٤٤ للتقويم العبلي الحميري (ويوافق ٢١٤م). ونقش الحملة العسكرية لنصر يهحمد في المعسال مؤرخ بعام ١٤٨ ويوافق عام ٢١٨ ميلادية. أي القرن الثالث الميلادي. وكانت (سمهرم) المدينة الرئيسية في منطقة ظفار عمان وكانت تمتد إلى القرب من الساحل والبحر، وقد ذكرها (كلاوس شيبمان) بلفظ (ميناء سمهرم في عمان).

وكذلك عثرت البعثة في منطقة أخرى تدعى حنون واسمها القديم (سانان) على نقش يذكر الإله (سين) ومدينة (شبوة) كما يذكر (سمهرم) واسم حنون القديم وهو (سانان) ويذكر النقش المنطقة كلها (أي ظفار عمان) باسم (ساكلهن)[1]. وقد لاحظنا في خريطة بطليموس للبلاد العربية السعيدة أن اسم المنطقة الواقعة شرق حضرموت والمهرة هو «سخاليت/ سكاليت». وهي (سأكلهن) و(سأكلن) في النقوش اليمنية وهي منطقة ظفار ـ عُمان (بسلطنة عُمان حالياً).

ب ـ وقد ذكر ابن خلدون «إن ذا أحماد ملك حضرموت ـ [وهو العزيلط] ـ غزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف ملك فارس» [ص٢٣] وقد كان اسم ملك فارس أردشير (وحكم أردشير ١٥ سنة قد تكون ما بين ٢٠٥ ـ ٢١٥م. أو ما بين ٢١٥ ـ ٢٣٠م) ثم حكم فارس بعده ابنه الملك سابور وامتدت مملكته إلى العراق عام ٢٤٠م. ولا بد أن الغزو الذي أشار إليه ابن خلدون إلى فارس كان قبل أن يمتد حكم سابور ـ هذا ـ إلى العراق، أي ما

(١) عُمان المجهولة ـ ويندل فيلبس ـ ص١٩٥.

بين عام (٢١٥ ـ ٢٢٠م) وكان (نصر يهحمد بن معاهر) مع (العزيلط ذي أحماد) في ذلك الغزو إلى جزر وساحل بلاد فارس.

ومما يجعلنا نرجح ذلك أن صاحب كتاب (البريبلوس) تحدث عن (اليازوس ملك بلاد اللبان) وإن مملكته تشمل حضرموت إلى عُمان أو إلى جزيرة (زنوبيان) وقال «ووراء هذه الجزيرة منطقة لم تَعُدْ تابعة لممكة بلاد اللبان وإنما أصبحت تابعة للفرثيين (الفُرس)[1] وهذا يعني أن تلك المنطقة كانت في وقت ما تابعة للملك اليازوس (إلعزيلط) ثم باتت تابعة لمملكة الفُرس قبل عام ٢٣٠م. ونرى أن سلطة العزيلط ملك حضرموت كانت قد امتدت إلى تلك المنطقة في العام المؤرخ به نقش (نصر يهحمد بن معاهر) عن الحملة العسكرية وهو عام ١٤٨ للتقويم الأبعلي الحميري ويوافق عام ٢١٨ ميلادية. واستمرت تلك المنطقة الفارسية تابعة للعزيلط ملك حضرموت بضع سنين ثم تخلى عنها حوالي عام ٢٢٥م.

النقش الرابع: نقش نصر يُهحمد في المعسال وعلان (١٤٦ع/ ٢١٦م)

وهو نقش منحوت على صخرة في شمال شرق قاع المعسال ـ (وعلان). وقد نشره د. يوسف محمد عبد اللّه مع صورة للنقش غير واضحة ولكنها وثيقة ذات أهمية لأن الكثير من النقوش تختفي.

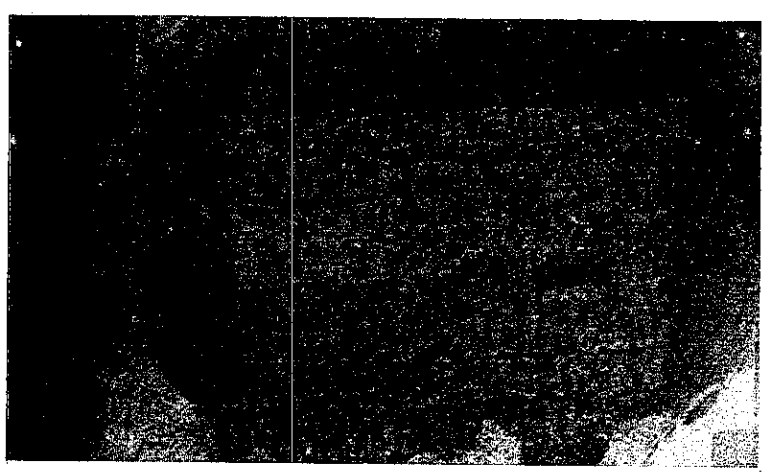

صورة نقش (نصر يهحمد بن معاهر) في قاع المعسال (وعلان)
وهو مؤرخ بعام ١٤٦ للتقويم الأبعلي الحميري (٢١٦ ميلادية)

(١) قال بافقيه: (زنوبيان لعلها كوريا موريا). ونرى أن جزيرة زنوبيان هي (بوبيان) حالياً بالكويت في أعلى الخليج العربي.

ونص النقش بالحروف العربية الحديثة هو:

«نصرم/ يهحمد/ بن/ معهر/ وذخولن/ قيل/ ردمن/ وخولن/
هقح/ وهقشب/ وثقل/ مروهمو/ تجيب/ لوينهمو/ كلنم/
بسرن/ رحبم/ من/ موثره/ عد شقرهو/
بردء/ ومقم/ سين/ ذألم/ وعم/ ذمبرقم/
وبردء/ وتحرج/ مراهمو/ العز/ يلط/ ملك/ حضرموت/
وبخيل/ وشعث/ شعبهمو/ ردمن/ وخولن/
بخرفن/ لسشت/ واربعهي/ ومأت/ خرفتم/ وبحج أنبي».

ومنطوق ومعنى ومحتوى النقش بالعربية الحديثة أن:

ـ نصر يهحمد بن معاهر وذي خولان، قَيْل ردمان وخولان، أنجز وزيّن (هشقب) ورصف (ثفل) ساقية تجيب (مرهمو/ تجيب) لأعناب كل وادي رحبم من أسفله إلى أعلاه (شقرهو).

بعون ومقام سيان ذي أليم (سين/ ذألم) وعم ذي مبرق. وبعون ورعاية آمرهم إلعز يلط ملك حضرموت. وبقوة وتعاون شعب ردمان وخولان. في سنة ١٤٦. وبحنج أنبي. ـ انتهى.

وتاريخ النقش عام ١٤٦ للتقويم الأبعلي الحميري يوافق عام ٢١٦ ميلادية.

النقش الخامس: نقش نائب (نصر يهحمد) في المعافر والأشاعر:

وهو نقش هام من موقع مدينة (السوا) التي كانت العاصمة الإدارية لبلاد المعافر. وهذا النقش منحوت على حجر. وطول الحجر ٨٠ سم وعرضه ٢٢ سم وسمكه ١٧سم. ويتألف النقش من خمسة أسطر وقد تَلَفَتْ وانطمست بعض كلمات وحروف النقش. وفيما يلي نصه بالحروف العربية الحديثة:

ـ كليب/ يهامن/ . . / . . . ر/ يهحمد/ ذ معفرم/ وضبأت/ أشعرين/ و
ـ منشأن/ كلعن/ وعصيفر/ وذحبلم/ هفعل/ وهقشب/ محرم/ الهن/
ـ . . . . / إله/ أمرم/ ذببرحتن/ صيرتن/ ذتحت/ هجرن/ سوم/ والهن/
ـ . . . . / إله/ أمرم/ فليشمن/ وفيّ/ وشرح/ وشوفت/ كليب/ يهامن/
ـ . . . / و/ بني/ ذم . . رم/ أبعل/ بيتن/ شبعن». (اهـ).

وقد اجتهد د. يوسف محمد عبد اللّه في توفية الحروف المنطمسة في الكلمات الأربع الأولى بالسطر الأول بأنها «كليب/ يهامن/ محرج/ شمر/

يهحمد». بينما قال مطهر الأرياني «لعل نص بداية النقش هي (كليب/ يهامن/ بن/ شمر/ يهحمد..) والفراغ المطموس إلى كلمة (شمر) يسمح بهذا الافتراض تماماً.. وهو مجرد افتراض مبني على قرائن، وليس على أدلة قطعية»[١].

وأقول: إن الأصوب هو «كليب/ يهامن/ بن/ نصر/ يهحمد» بدليل أنه يذكر في السطر الأخير «...أبعل/ بيتن/ شبعن» أي (أرباب قصر شبعان) وهو قصر (نصر يهحمد بن معاهر) وقد أسلفنا إيراد النقش رقم (يمن ١٠) من مجموعة د. يوسف محمد عبد اللّه حيث يتحدث ذلك النقش الأول بأكمله عن قيام (نصر يهحمد بن معاهر) بإعادة بناء وتفخيم قصر شبعان (بيتهمو/ شبعن) وذلك دليل قاطع على أن البداية في السطر الأول هي «كليب يهامن/ بن/ نصر/ يهحمد».

بل إن د. يوسف قال في تعليقه على السطر الخامس «شبعن (شبعان) اسم معروف في النقوش.. راجع مثلاً النقش (يمن ١٠) والنقش (يمن ١٢)...»[١] والنقشان يتحدثان عن شبعن (شبعان) قصر بني معاهر.

ويعطينا ذلك أيضاً الأساس لإدراك أن الانطماس في أول السطر الخامس إنما هو:

[ومراهمو[بني [ذمعهرم] أبعل/ بيتن/ شعبن».

ومنطوق ومحتوى النقش بالعربية الحديثة هو:

«كليب يهامن بن نصر يهحمد. ذو معافر وأجناد (ضبأت) الأشاعر (أشعريين).

وقبائل (منشأن) الكلاع وعُصَيْفَرى وذي حبيل. شيّد وزيّن (هفعل وهشقب) معبد.

الإله (محرم/ إلهن).. إله أمرم، في برحة صيرات التي تحت مدينة السوا (سوا)

... فليتعهد الإله بالسلامة والحفظ والحماية (وشوفتن) كليب يهامن وسادتهم بني ذي معاهر أرباب قصر شبعان».

وقد ورد ذكر الأمير (كليب) هذا والمعافر في كتاب البريبلوس، حيث نقل د. يوسف محمد عبد اللّه إنه جاء في الفقرة ٢٢ من الكتاب المذكور ما يلي:

«وعلى بعد ثلاثة أيام إلى الداخل من هذا المرفأ ـ مرفأ MUZA ـ توجد

(١) مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأريتري ـ د. يوسف محمد عبد اللّه مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣٤/ ١٩٨٨م.

مدينة اسمها SAUA وتقع في وسط الإقليم المسمى MAPHARITIS وفيها أمير اسمه CHOLAEBUS ويعيش في المدينة»[١].

وقد علق العالم (ويلفردشوف) على تلك الفقرة بقوله: «أما MAPHARITIS فهي بلاد المعافر، ويتمتع أميرها بامتيازات خاصة يستمدها من ملكه (كرب إل). وأما CHOLAEBUS فهو الاسم العربي كليب»[١].

ويؤكد نقش السوا ـ سالف الذكر ـ اسم الأمير كليب يهامن، واسم المدينة (سوا) وتقع حالياً في مديرية المواسط بمحافظة تعز. وكان (كليب يهامن) أميراً لمخلاف المعافر وبلاد الأشاعر، ويشمل ذلك محافظتي تعز والحديدة إلى ساحل البحر الأحمر حالياً.

وكان (كليب يهامن) يرتبط بالملك (كرب إيل) في مدينة ظفار، ويبدو أنه (كرب إيل بن نصر يهحمد بن معاهر) وكان كرب إيل يحكم مناطق حمير إلى عدن جنوباً كما ذكر كتاب البريبلوس.

ثم تحدث كتاب البريبلوس عن «اليازوس ملك بلاد اللبان» وهو «إلعز/ يلط/ ملك حضرموت» المذكور في نقوش (نصر يهحمد بن معاهر) سالفة الذكر.

وبذلك تتكامل المعرفة بمعالم عهد «العز/ يلط/ ملك حضرموت» وعهد «نصر يهحمد بن معاهر» رئيس دولة بني معاهر الحميرية في الفترة ٢٠٠ ـ ٢٣٥م بالقرن الثالث الميلادي.

سادساً

الفترة الأخيرة لملوك حضرموت العباهلة ودولة بني معاهر
(٢٣٥ ـ ٢٩٠م)

أ ـ ملوك حضرموت العباهلة ونهاية مملكة حضرموت:

كان إلعز يلط ذو أحماد ابن عم ذخر سادس ملوك حضرموت العباهلة. ثم حكم بعده «يدع إل بين ملك حضرموت بن رأب إل». ويذكر د. محمد بافقيه أن «النقش الوحيد ليدع إل (هذا) في العقلة (جام ٩٤٩) يتحدث عن رحلة صيد قام بها ذلك الملك... وقد رافقه في العقلة عدد كبير من أتباعه وأنصاره وأقاربه

(١) مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأريتري ـ د. يوسف محمد عبد الله مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣٤/ ١٩٨٨م.

ومعاونيه ومنهم شخص اسمه شهر أو شاهر بن وائل كبير أمهرن [كبير المهريين] ـ وكان بين مرافقي يدع إل في القلعة صهره (ختنه) عمر بن عوف الأسْدي بسكون السين أو الأزدي وهو الوحيد الذي أشار في ذلك العهد إلى المحفد المسمى (أنود) وهو محفد ما زالت آثاره باقية، ويحتمل أنه شرع في تشييده أيام يدع إل. وكان هناك أيضاً أزديان آخران سجلا إسميهما في الرقعة الخاصة بنقوش ذلك العهد.. وليدع إل نقش آخر ـ يتحدث عن الصيد ـ وهو نقش عقبة فتورة في وادي عرمه»[1].

وقد ذكر ابن خلدون هذا الملك باسم «يشرح ذو المُلك بن وداب بن ذي أحماد، وإنه كان أول من رتب الرواتب وأقام الحرس والروابط»[2] ويبدو أن لقبه كان (ذو المُلك) أما اسمه فهو (يدع إل بين) وهو سابع ملوك حضرموت العباهلة في ذلك العصر.

قال ابن خلدون: «ثم مَلَك حضرموت مُنعم بن ذي المُلك... ثم يشرح جذيمة بن منعم. ثم نمر بن يشرح. ثم ساجن المسمى بن نمر ـ وهو آخر ملوكهم ـ»[2].

بينما في النقوش فقد حكم بعد يدع إل بين (ذي المُلك) ابنه (الريام يدم) ـ الذي سماه ابن خلدون (مُنعم بن ذي المُلك) وربما إن كلمة (يدم) من معانيها (منعم) ـ ثم حكم معه وبعده أخوه (يدع أب غيلان بن يدع إل بين آخر ملوك حضرموت بشبوة» حيث كما ذكر د. محمد بافقيه:

«بعد يدع إل بين حكم ابنه ألريام يدم... وله نقش في العقلة يختتمه بلفظ (هسقلب) ـ التي تُفسر بـ(تولى الحكم أو اتخذ اللقب) ـ وهو النقش (جام ٩٨٨) ـ مما قد يدل على أنه ارتاد الموضع في مناسبة اعتلائه العرش وقصد المحفد أنود. ويلاحظ أن أخاه الأصغر (ربشمس) كان بين مرافقيه في حين أنه لا يوجد في نقوش العهد ذكر ليدع أب غيلان الأخ الأكبر من ربشمس. كما إن من نقوش العهد ما يعتقد أنه أقدم نقش لأحد أذواء يزأن/ يزن (جام ٩٩٤) وهو نقش قصير لا يكاد يتجاوز اسم صاحبه وهو شهر ـ أو شاهر ـ أسأر بن ربيعة ذو يزأن، الذي يوجد له في العهد التالي نقش مشابه (جام ١٠٠٣).

... وقد عبأ الريام يدم تحت قيادته شخصياً قوة كبيرة في أودية قتبان في

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١١١ ـ ١١٢ جـ٢.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٢٣.

محاولة لاسترجاع النفوذ الضائع في تلك الأنحاء... ولكن أقيال ردمان تصدوا للحضارمة بشراسة ظاهرة.. على أن النقش الذي سجل أخبار ذلك الصدام أيام الريام يدم (المعسال ٢) تعرض لتلف كبير في الجزء الأخير منه فضاعت منا النتيجة الختامية للمعركة». (اهـ) ـ وهذا يعني أن التحالف الذي كان قائماً بين ملوك حضرموت وبين بني معاهر أقيال ردمان رؤساء دولة بني معاهر الحميرية انتهى وتحول إلى حرب بينهما في عهد «الريام يدم ملك حضرموت» وعهد «نبط عم زادان بن نشا نبط بن معاهر» مما أدى إلى إضعاف الفريقين وخاصة حضرموت. وكان الريام يدم ثامن ملوك حضرموت العباهلة، وكان عهده إلى حوالي عام ٢٧٠م.

ثم ـ وكما يذكر د. بافقيه ـ «بعد الريام يدم يأتي أخوه يدع أب غيلان بن يدع إل بين ملك حضرموت وهو آخر ملك بشبوة. ولأمر ما خلا نقش يدع غيلان هذا (جام ٩٩٦) من لفظة (هسقلب) مع إنها وردت في نقش لأخيه ربشمس (جام ٩٩٧) الذي كان بين المرافقين، وهو نقش لا يختلف عن نقشه (أي ربشمس) أيام الريام يدم (جام ٩٨٦) إلا من حيث اتخاذه لقباً شخصياً هو (خير أسدن) أي خير الرجال، أو خير المقاتلين... ونقوش عهد (يدع أب) هذا قليلة، ولا نعرف عن أحداث حكمه شيئاً... ومما لا شك فيه أن (يدع أب غيلان) هو آخر ملك حضرمي يترك نقوشاً في العقلة. وهذا في حد ذاته قد يكفي للدلالة على أنه الملك الذي سقطت في عهده شبوة ـ عاصمة حضرموت ـ. نقول سقوط شبوة مع أنه ليس لدينا ما يدل على قيام معركة فيها.. على أن استسلام شبوة بأي صورة من الصور لا يقلل من شأن المقاومة في أودية حضرموت الداخلية وقد كانت قوية ومنظمة»[1] وكانت المقاومة بقيادة «ربشمس خير أسدن بن يدع إل بين» ومعه ـ فيما يبدو ـ «شراحيل ذي خصير» الذي ورد اسمه في أحد نقوش العقلة (جام ٩٧٧) ولكنه لا يتجاوز ذكر اسمه، أي أنه مجرد توقيع يثبت مشاركته في المناسبة مثل نقشي شاهر أسار بن ربيعة ذي يزن.

لقد كان (شاهر أسار بن ربيعة ذو يزن) من كبار الأذواء والأقيال في عهدي الريام يدم ويدع أب غيلان ملكي حضرموت. وقد رافق (شاهر أسار) كلّاً منهما في مسيره إلى (العقلة) وجاء اسمه في النقشين (٩٤٤ و١٠٠٣ جام). وكانت مدينة عبدان مركز قيالة وإذوائية آل ذي يزن وكان فيها القصر (يزن) وكانت

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١١٨/ ٢.

إذوائية يزن تمتد في وادي عبدان [بمحافظة شبوة حالياً] إلى مناطق أبين ويافع وسرو حمير. ويبدو أن (الريام يدم ملك حضرموت) لما اختلف مع بني معاهر الحميريين ووقعت حرب بين الفريقين تحالف مع آل ذي يزن الحميريين بزعامة شاهر أسأر بن ربيعة ذي يزن بحيث أصبح من الأذواء في إطار مملكة حضرموت إلى أيام يدع أب غيلان ملك حضرموت. ثم وقع صراع بين اليزنيين وملك حضرموت مما أدى إلى إخراب مدينة عبدان اليزنية على يد حضرموت ـ كما جاء في نقش عبدان الكبير ـ. ثم تحالفت إذوائيات ومناطق حمير بزعامة (ملشان أريم ذي يزن) فاجتاح (ملشان ذويزن) والحميريون شبوة وقضوا على مملكة حضرموت في آخر عهد (يدع أب غيلان) وهو تاسع وآخر ملوك حضرموت العباهلة. حوالي عام ٢٩٠م.

وقد ذكر ابن خلدون ملكين بعده باسم «نمر بن يشرح» و«ساجن المسمى نمر». ونرى أن أحدهما هو «ربشمس خير أسدن بن يدع إل بين» الذي افترض د. محمد بافقيه أنه قاد المقاومة في أودية حضرموت الداخلية ضد الحميريين وإنه (من المحتمل أن يكون (شراحيل ذو خصير) قاد المقاومة مع ربشمس بعد سقوط شبوة»[(١)]. ولكن لا يوجد أي نقش عن وقوع ذلك. وقد جاء في قائمة البروفيسور البرايت أن «يدع أب غيلان هو آخر ملوك حضرموت». وقد حددت دراسة البعثة الأثرية الفرنسية إنه: «في عام ٢٩٠م انتهت مملكة حضرموت»[(٢)] وكانت نهايتها بانضواء حضرموت في الدولة الحميرية بزعامة ملشان أريم ذي يزن وهو ـ كما سيأتي ـ أول تبابعة الدولة الحميرية.

ب ـ الفترة الأخيرة لدولة بني معاهر الحميرية:

كانت دولة بني معاهر الحميرية قد بلغت ذروة القوة والاتساع في عهد رئاسة «نصر يُهحمدبن معاهر) كما أكدت ذلك نقوش عهده التي أسلفنا ذكرها، ومنها:

ـ نقش جبل القرنين في بيحان. المؤرخ بعام ١٤٤ للتقويم الأبعلي الحميري ويوافق ٢١٤ ميلادية.

ـ نقش المعسال في وعلان (ردمان). المؤرخ بعام ١٤٦ للتقويم الأبعلي الحميري ويوافق ٢١٦م.

---

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١١٨/ ٢.

(٢) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية ـ البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ السنة الثالثة/ ١٩٨٥.

ـ نقش المعسال عن الحملة العسكرية لنصر يهحمد عام ١٤٨ للتقويم الأبعلي الحميري ويوافق ٢١٨م.

ـ نقش كليب يهامن بن نصر يهحمد أمير المعافر والأشاعر. وهو (كليبوس) في كتاب البريبلوس الروماني الذي يرى د. يوسف محمد عبد الله أنه «يعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي» ـ أي عام ٢٥٠م. وقد يكون الأصوب ما بين عام ٢٣٠ ـ ٢٤٠م. «أواسط القرن الثالث الميلادي».

لقد كان نصر يهحمد سادس رؤساء دولة بني معاهر الحميرية، وكانت العواصم الرئيسية للدولة في عهده هي وعلان وهَجَر قانية حيث القصر شبعان بأرض ردمان (في محافظة البيضاء حالياً) ومدينة ظفار في مناطق حمير (ذي ريدان) (في محافظة إب حالياً) ـ ومدينة سوا في مخاليف المعافر والأشاعر (محافظتي تعز والحديدة حالياً) ـ ومدينة مأرب في مخاليف سبأ وأعالي اليمن.

ويبدو أن (نصر يهحمد بن معاهر) وزع الحكم بين أولاده، فقد تولى الحكم بعده أربعة من أولاده، وهُم (كليب يهامن بن نصر) في مدينة سوا ـ عاصمة المعافر والأشاعر وساحل البحر الأحمر ـ و«كرب إل بن نصر) في مدينة ظفار ـ عاصمة مخاليف حِمْيَر إلى عدن ـ و«ربيعة بن نصر» في مأرب عاصمة مخاليف سبأ (من جنوب صنعاء إلى مأرب ونجران وأعالي اليمن) بينما تولى الحكم في ردمان والقصر شبعان القَيْل «نَشَا نَبْط بن معاهر» فيكون هو الأول بينهم وبمثابة رئيس الدولة ويمكن اعتباره سابع رؤساء الدولة. وعاصر (يدع إل بين ملك حضرموت) سابع ملوك حضرموت العباهلة.

عهد (نَبْط عم زادان) ثامن رؤساء دولة بني معاهر (٢٦٠ ـ ٢٩٠م):

ثم تولى رئاسة دولة بني معاهر الحميرية «نَبْط عم زادان/ بن نَشَانَبْط/ بن معاهر». وقد تم العثور على نقشين باسمه ومن عهده هما:

أ ـ النقش رقم (يمن ١١):

وهو نقش بالمسند منحوت على حجر تم العثور عليه «خلال نبش الحجارة في وسط هجرقانية، عام ١٩٧٨م، وقد نقل الأهالي ذلك الحجر ـ فيما بعد ـ إلى قرية الجذمة المجاورة». مما قد يؤدي إلى ضياع ذلك النقش الذي هو وثيقة هامة عن ذلك العهد. وقد أسلفنا ذكر أن «الريام يدم بن يدع إل بين ملك حضرموت» قاد حملة حربية ضد مناطق قتبان وردمان، وبالرغم من أن أقيال ردمان وبني معاهر صدوا تلك الحملة إلا أنها فيما يبدو أدت إلى إلحاق الخراب

بقصر شبعان ومدينة هجرقانية، فقام (نبط عم زادان) بإعادة تشييد وتفخيم قصر شبعان وهو ما يسجله النقش المسند.

نص النقش (يمن ١١) بالحروف العربية الحديثة:

- نَبْط عم/ زأدن/ بن/ معاهر/ وذرفت/ يهعلل/ بن/ نشأم/ نبط
- برء/ ورسع/ وهوثر/ وهقح/ وظرب/ وهشقر/ بيتهو/ شبعن/ بجناء/ هجرن/ قنئتم/ من/ شرسم/ عد/ فرعم/ وكل/ مسودتهمو/ وكل/ محفدتهمو/ وصوبتهو/ وأخطبهو/ وصرحتهو/ وكل/ مصدقتهمو/ كلسم/ جلم/
- بحج/ أنبي/ وأل تعلي/ بعثتر/ شرقن/ وأنبي/ شيمن/ وبعم/ ذمبرقم/ بعل/ سليم/ ولمم/ وبذت/ ظهرن/ وبـ/ شمسهو/ عليت»[١].

ومنطوق ومحتوى النقش هو أن:

- نَبْط عم زادان بن معاهر ذو رفة يهعلل[٢] ابن نشأ نبط، أصلح وسوىٰ وبنىٰ وأنجز وزيّن (هشقر) قصره شبعان (بيتهو/ شبعن) ضمن أسوار مدينة قانية (بجناء هجرن قانئتم) من أساسه حتى قمته بما في ذلك كل قاعته (مسودتهمو) وقلعته (محفدتهمو) ودرجاته (صوبتهو؟) واسطبلاته (اخطبهو) وصرح القصر وكل مرافقه من ملكية خاصة خالصة (مصدقتهمو) جميعها (كلسم).

بتوفيق وعناية ـ الآلهة ـ أنبي، وعثتر الشارق، وأنبى الراعي، وعم ذي مبرقم رب سليم ولممم، وبجاه (الآلهة) ذات ظهران، وبالآلهة شمس العالية. انتهى.

٢ ـ النقش رقم (يمن (١٢)

وهو نقش على حجر في جدار قصر هجر قانية. طول النقش ١٨٠ سم وعرضه ٣٧ سم. وهو نقش جميل يتكون من سطرين:

نص النقش:

«نبط عم/ زأدن/ بن/ معاهر/ وذخولن/ وذرفت/

برأ/ وهشقر/ بيتهو/ شبعن/ أوكن».

---

(١) مدونة النقوش ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ النقش رقم يمن ١١.

(٢) قال د. يوسف (ذورفة يهعلل) القبيلة ذي رفت يهعلل وهي معروفة في نقوش مراد وجبل قرن ووادي قانية ووادي الحجلة وبيت الأحرق. والإضافة في هذا النقش هي ذكر كنية القبيلة ذي رفة باسم يهعلل.

ومنطوق ومحتوى النقش أن:

(نَبْط عم زادان بن معاهر وذو خولان وذو رفة. بنىٰ وزين قصره شبعان بناءً راسخاً). وفيما يلي صورة النقشين.

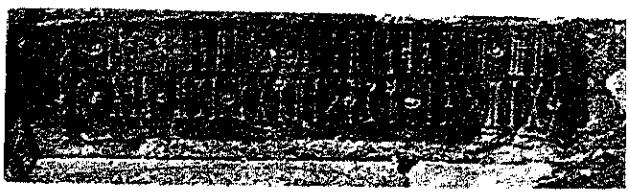

نقش (نَبْط عَمْ زادان بن معاهر وذي خولان وذي رفت)
في قصر شبعان. (رقم ١٢ يمن)

صورة للقسم الاول من النقش (يمن ١١) لنَبْط عم زادان بن معاهر

عهد ربيعة بن نصر يُحمد... آخر رؤساء دولة بني معاهر الحميرية.. ورؤيته المشهورة:

من أشهر ملوك اليمن عند العلماء المؤرخين العرب الأوائل هو «ربيعة بن نصر» الذي كان أميراً ملكاً في مأرب ومخاليف سبأ منذ نهاية دولة مكارب سبأ وخروج «عمرو مزَيقيا» آخر مكارب سبأ من مأرب حين علم بالخلل والتصدع في سد مأرب القديم الثاني وإن السد سينهار في بضع سنين، فخرج (عمرو مُزَيْقيا) من مأرب وخرجت قبائل الأزد الواحدة بعد الأخرى من مأرب ومخاليف سبأ. وكان ذلك ما بين عام ٢٠٠ وعام ٢٣٠ ميلادية كما سلف التبيين.

قال ابن خلدون: «خرج عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا من اليمن بقومه الأزد وأصاب اليمن سيل العرم، واستولى على قصر مأرب بعده ربيعة بن نصر» [ص٥٧ جـ٢] وقال: «ثم مَلَكَ اليمن: ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة.. ويقال: ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر. وأقام ربيعة بن نصر ملكاً على اليمن. ووقع له شأن الرؤيا المشهورة». (اهـ).

ويتبين من ربط ذلك بمعطيات النقوش، وبالذات نقوش «نصر يهحمد» إنه والد «ربيعة بن نصر». وقد اكتفى نصر يهحمد في النقوش بالانتساب إلى جده الأعلى (معاهر) ـ وبينهما عدة أجيال ـ فيمكن أن يكون نسبه (نصر يهحمد بن الحارث أبي حارثة بن عمرو نمارة بن ذي معاهر) فتصحف (معاهر) إلى (عامر) في قول ابن خلدون وابن هشام إنه «... مَلَكَ اليمن ـ وقصر مأرب ـ ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو (نمارة) بن عامر» وإنما هو «... بن معاهر».

وكان ربيعة بن نصر يهحمد ملكاً أميراً في مأرب ومخاليف سبأ منذ نهاية عهد أبيه «نصر يهحمد» وإلى عهد «نَبْط عم زادان/ ابن معاهر/ وذو خولان/ وذو رفة» معاصر «إلريام يدم ملك حضرموت» و«يدع أب غيلان ملك حضرموت» ـ في الفترة ما بين عام ٢٥٠ وعام ٢٩٠م ـ وكذلك «ملشان أريم ذو يزن». فلم يكن (ربيعة بن نصر) ملكاً لكل اليمن وإنما كان ملكاً بين أولئك الملوك.

قال ابن هشام: «كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف [ضِعاف] ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته وفَظِعَ بها، فلم يَدَعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً من أهل مملكته إلا جَمَعَه إليه، فقال لهم: إني قد رأيتُ رؤيا هَالَتْني وفَظِعْتُ بها، فأخبروني بها وبتأويلها. قالوا له: اقْصُصْهَا علينا نُخْبِرك بتأويلها، قال: إني إنْ أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا مَنْ عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح وشقّ فإنه ليس أحدٌ أعلمُ منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه». [ص١١ جـ١].

تفسير سطيح وشق لرؤيا الملك ربيعة بن نصر وتبشيرهما بالنبيّ محمد ﷺ:

وكان سطيح وشقّ من كبار الكهنة العلماء العارفين في اليمن. قال ابن خلدون: «قال الطبري: شقّ هو أبو صعب بن يشكر بن رُهْم بن أفْرَك بن قيس (قسر) بن عبقر بن أنمار. وسَطِيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن غسان. ولوقوع اسم ذيب في نسبه كان يُعرف بالذيبي. فاحضرهما الملك ربيعة بن نصر وقَصّ عليهما رؤياه» [ص٧٨].

قال ابن هشام في السيرة النبوية: «. . . بعث إليهما ربيعة بن نصر، فقَدِم عليه سطيح قبل شق، فقال له: إني قد رأيتُ رُؤيا هَالَتْني وفَظِعْتُ بها فأخبرني بها، فإنك إن أصَبْتَهَا أصبت تأويلها. قال: أفْعَلُ، رأيْتَ حُمَمَةً، خرجت مِنْ ظُلُمَة، فَوَقَعَتْ بأرضٍ تَهَمَة، فأكلتْ منها كُلُّ ذات جُمْجُمَة. [الحممة: هي القطعة من النار. وظلمة: قد تعني من جهة البحر، وأرض تهمة: واسعة متطامنة. والجمجمة: الرأس]. فقال له الملك ربيعة بن نصر: ما أخطأت منها شيئاً يا سَطِيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحْلِفُ ما بين الحَرَّتَيْنِ من حَنَش، لتَهْبِطَنَّ أرضكُمُ الْحَبَش، فليَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أبْيَنَ إلى جُرَش. فقال له الملك: إن هذا لنا لغائِظُ مُوجِعُ فمتى هو كائن؟ أفي زماني هذا أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين. قال: أفيدوم ذلك من مُلكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع. . يُقتلون ويخرجون منها هاربين، قال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه ارم بن ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن. قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع (بمجيء) نَبِيّ زكيّ، يأتيه الوحي من قِبَل العَلِيّ، قال: وممَّنْ هذا النبيّ؟ قال: رجلٌ من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون المُلك في قومه [اتباع دينه] إلى آخر الدهر. قال الملك: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يومُ يُجمع فيه الأولون والآخرون، يَسْعَدُ فيه المحسنون. ، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحَقٌّ ما تُخبرني؟ قال: نعم، والشَّفق والغَسَق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحقٌّ.

ثم قدم عليه الكاهن شق فقال له كقول سطيح. . (إلى أن قال شقٌّ: أحْلِفُ بما بين الحرتين من إنسان، لَيَنزِلَنَّ أرضكم السُّودَان، ولَيَملِكُنَّ ما بين أبين إلى نجران. فقال له الملك. . . أفي زماني أم بعده؟ قال: بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشد الهوان. قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلامٌ من بيت ذي يزن لا يترك أحداً منهم باليمن. قال الملك: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مُرْسَل يأتي بالحق والعدل، يكون الملك في قومه [أهل دينه] إلى يوم الفصل. قال الملك: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تُجزى فيه الوُلاة، ويُدْعَى فيه من السماء بَدَعَوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتّقى الفَوْزُ والخيرات. قال الملك: أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي وَرَبِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْع وخَفْض، إنَّ ما أنبأتك به لحقٌّ. .» [ص١٣ جـ١].

ويتبين من معطيات النقوش والوقائع ما يلي:

ـ إن تلك الفترة (ما بين عام ٢٧٠ وعام ٢٩٠ م) هي فترة قام فيها آخر ملوك حضرموت (يدع أب غيلان) بمحاربة الحميريين اليزنيين وإخراب عاصمتهم مدينة عبدان. فاتحدت أغلب إذوائيات ومناطق حمير بزعامة (ملشان أريم ذي يزن) فاجتاح ملشان أريم مدينة شبوة وقضى على مملكة حضرموت، وقد ذكر ابن خلدون آخر ملوك مملكة حضرموت باسم (ساجن المسمى ابن نمر) وقال: «إنه في أيامه غزت الحبشة اليمن» [ص٢٣] وساجن بن نمر هو «ربشمس خير أسدن» الذي قاد المقاومة للحميريين وملشان أريم.

وكان يحكم الحبشة وأكسوم في ذلك العصر ملوك يمنيون من بني معاهر، كان من أوائلهم (عميدة بن العلا) كما سلف التبيين. فأرسل ملك الحبشة وأكسوم قوة إلى تهامة والمعافر لمناصرة بني معاهر وذلك ضد (ملشان أريم ذي يزن) الذي أخذ في توحيد البلاد تحت زعامته.

ـ في تلك الأجواء حدثت الرؤية التي رآها ربيعة بن نصر، ونرى أن الكاهنين شق وسطيح استنتجا الرؤية وتأويلها من استقراء الواقع، وإن قوة تابعة لملك الحبشة وأكسوم كانت قد نزلت في تهامة بالفعل. وقد جاء في كلام الكاهن سطيح أن الحبشة سيُقتلون ويخرجون هاربين، فقال له الملك ربيعة بن نصر: «ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه ارم بن ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن». وهذا الاسم «إرم بن ذي يزن» هو «ملشان إريم بن ذي يزن» الذي بالفعل ما لبث أن اجتاح مناطق المعافر وتهامة، فهرب من كان بها من أتباع ملك الحبشة ورفرفت رايات ملشان إريم ذي يزن في أرجاء اليمن.

ـ وكان ربيعة بن نصر قد توقع ذلك قبل أن يتم الأمر لملشان إريم ذي يزن، وبعد تأويل سطيح وشق لرؤياه. وقد وقع في كلامهما زيادة من بعض الرواة لتباعد العهد، ولكن جوهر كلامهما صحيح بدليل اسم «إرم بن ذي يزن». قال ابن خلدون: «ووقع في نفس ربيعة بن نصر أنّ الذي حدثه به الكاهنان كائن، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يُقال له سابور بن خُرّزاذ، فأسكنهم الحيرة. ومن بني ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر» [ص٧٨] وهو ما ذكره أيضاً ابن هشام في السيرة النبوية [ص١٤ جـ١].

وانتهى حكم ربيعة بن نصر في مأرب ومخاليف سبأ إما بوفاته وإما بانضواء سائر أرجاء اليمن تحت لواء ورئاسة ملشان إريم ذي يزن أول تبابعة الدولة الحميرية التي شملت اليمن، كل اليمن.

العصر الأول لدولة تبابعة حِمْيَر الاتحادية

(٣٨٠ـ٥٦٠ حميري/ ٢٧٥ـ٤٤٥ ميلادي)

مدخل إلى دولة تبابعة حمير:

إن التبابعة هم الملوك والزعماء الذين حققوا وحدة اليمن وحكموا كل ربوع اليمن بما في ذلك حضرموت والشحر بمدلولها الواسع القديم الذي يمتد إلى مفاوز عُمان. ولذلك فإن عصور التبابعة ليست متسلسلة كلها وإنما تفصل بينها عهود وأحقاب متطاولة لم يكن فيها تبابعة. إذْ إنه ـ وكما قال ابن خلدون ـ «... التبابعة ملوك اليمن، واحدهم تُبَّع.. ولم يكونوا يسمّون الملك منهم تُبَّعاً حتى يَمْلُك اليمن والشحر وحضرموت. وقيل: حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس. ومَنْ لم يكن له شيء من الأمرين فيُسمّى ملكاً ولا يُقال له تُبّع»[١]. وقال الهمداني في الإكليل: «أما تُبَّع فاشتق من كثرة التبع.. وقال بعضهم: لم يكن يُسمّى تُبّعاً حتى تتبعه بنو جشم بن عبد شمس. وقال آخرون: إذا تبعته حضرموت والصدف والسُلف»[٢]. وقال د. محمد بافقيه: «... أما التبابعة فهم على اختلاف التفاسير أولئك الذين حققوا توحيد اليمن»[٣] وقال: «إنه جاء في لسان العرب أنه كان ملك اليمن لا يُسمى تُبّعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير»[٣]. قال نشوان الحميري: «... وهم سبعون تُبّعاً.. قال لبيد بن ربيعة الكلابي:

تبابعة سبعون من قبل تُبَّع ... تولوا جميعاً أزهراً بعد أزهر

وقال النعمان بن بشير الأنصاري:

لنا مِن بني قحطان سبعون تُبَّعا ... أطاعت لها بالخرج منها الأعاجم

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٤٦.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٥ جـ٢.

(٣) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص٤٢ و١٢٩.

وقال عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي:

نَـعُـدُّ تـبـابـعـاً سـبـعـيـن مِـنّـا إذا مـا عـدّ مـكـرمـة قَـبِـيـلُ»[1]

وقد كان أغلب التبابعة السبعين في عصور دولة سبأ العظيمة ومنهم ملوك سبأ التبابعة الذين حملوا في نقوش المسند لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت» ثم لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طوداً وتهامت». فلقب كل منهم يبدأ بأنه «ملك سبأ». ونقوشهم تم العثور عليها في معبد باران ومحرم بلقيس بمأرب. وكانت مدينة مأرب هي عاصمة الدولة في تلك العصور. ونقوش ملوك سبأ التبابعة أولئك مؤرخة بالتقويم السبئي. وأولهم في ذلك العصر «شَمَّر يُهرعش بن ياسر يهنعم» المؤرخ نقشه المسند في محرم بلقيس بعام ٣٨٥ للتقويم السبئي (٨٣٥ق.م). وآخرهم (معدي كرب يعفر) المؤرخ نقشه المسند في محرم بلقيس بعام ٦٣١ للتقويم السبئي (٥٨٩ق.م). وانتهت عصور ملوك سبأ التبابعة أولئك عام ٥٢٧ق.م. في القرن السادس قبل الميلاد.

لقد وقع بعض المستشرقين والدارسين في خطأ الظن بأن ملوك سبأ التبابعة أولئك هم ملوك الدولة الحميرية التبابعة في الفترة (٢٩٠ ـ ٥٣٣م) بالقرن الثالث إلى القرن السادس بعد الميلاد، وشاع ذلك الظن الخاطئ في الكتب والدراسات الأكاديمية والتعليمية، بينما الصحيح أن ملوك سبأ التبابعة كانوا في العصور التليدة التي سلف تبيينها بالتفصيل، وإن لدولة تبابعة حمير تاريخها ونقوشها ونظامها وزمنها ومعالمها الرئيسية. ونذكر هنا الأمور والمميزات الرئيسية التالية:

الأمر الأول: نظام دولة تبابعة حِمْيَر:

إن نقوش وآثار ومصادر تاريخ عصر الدولة الحميرية وتبابعتها (٢٩٠ ـ ٥٣٣م) تدل على أن نظام الدولة لم يكن ملوكياً وإنما كان نظاماً رئاسياً اتحادياً يتمثل في إذوائيات يحكمها أذواء وإقيال. ويتزعم الدولة الحميرية واحد من الأذواء وهو «الأول بين متساويين» وهو بمثابة (الملك) ولكنه لا يحمل في النقوش لقب (ملك) وإنما يحمل لقب الأذوائية أو الأذوائيات.. بينما تذكره المصادر التاريخية بلقب (ملك حمير). ومن الدلائل على ذلك والتي تتيح إدراك طبيعة النظام:

ذكرت المصادر الرومانية أن الملك الروماني (جوستيان) بعث وفداً برئاسة

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٢١٤ جـ١.

نائبه (يوليانوس) إلى (سميفيوس ملك حمير). قال د. عدنان ترسيسي: «وقد وصف (تيوفانس) البيزنطي كيفية استقبال ملك حمير لوفد القيصر برئاسة يوليانوس وذلك في بداية القرن السادس الميلادي»[١].

إن (سميفيوس ملك حمير) في المصادر الرومانية هو «سميفع بن لحيعة يرخم» وقد تم العثور على نقش مسند باسمه مع عدد من إخوته الأذواء وهو النقش رقم (٤٧ ينبق) وصيغته كما يلي:

«سميفع أشوع، ومعدي كرب يمجد، ولحيعة يرخم، وشرحبيل... بنو لحيعة يرخم، ذوويزن وجدن، وبساين، ويلغب، وغيمان، ويصبر، وميفع، وجردان، ورخيه. كبار أقيال ضيفتن ورثحم، وسأكلن، وسكرد، ومطلفتن. كبار سبان وحضرموت»[٢].

إن الأذوائيات والمناطق المذكورة في اللقب تشمل أرجاء اليمن بما في ذلك سقطرى (سكرد) وظفار (سأكلن)[٢] وسُميفع هو «سميفيوس ملك حمير» في المصادر الرومانية ولكنه لا يحمل في النقش لقب (ملك) وإنما هو الأول بين الأسماء «الأول بين متساويين» فهو رئيس الدولة لأن نظام الدولة لم يكن ملوكياً. وهذا النقش مؤرخ بعام ٦٢٥ للتقويم الحميري ويوافق عام ٥١٠ ميلادية.

ويؤكد ذلك أنه (سميفيوس) المبعوث إليه الوفد الروماني برئاسة يوليانوس نائب الملك جوستيان.

وذكرت المصادر السريانية والأكسومية في القرن الخامس الميلادي «شرحبيل يكمل ملك حمير»[٢] وقد تم العثور على نقش باسمه مع عدد من أخوته الأذواء وهو النقش رقم (٤٠٦٩ ركمانز). وقد جاء فيه الاسم واللقب بصيغة «شرحبيل يكمل.. ذو ويزن وجدن ويصبر، كبار أقيال رثحم وضيفتن... الخ». وهو مؤرخ بعام ٥٩٥ حميري ويوافق عام ٤٨٠م. في القرن الخامس الميلادي. فشرحبيل يكمل لا يحمل في النقش لقب (ملك حمير) لأن نظام الدولة الحميرية في عصر التبابعة لم يكن ملوكياً، ولكن المصادر الخارجية ذكرته بلقب (ملك حمير) لأنه كان في الواقع ملك الدولة الحميرية.

وينطبق ذلك على تبابعة الدولة الحميرية ابتداء بـ «ملشان إريم ذي يزن ويلغب كبير أقيال ضيفتن ومشرقن» ـ منذ عام ٢٩٠م ـ وانتهاءً بـ «سميفع بن

(١) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٣٢.
(٢) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٤٧ و١٥٤.

شرحبيل.. ذي كلاع ويزن وجدن... إلخ». المؤرخ نقشه في قنا بعام ٦٤٠ حميري (= ٥٢٥م) وقد ذكرته المصادر الرومانية بلفظ (سمفيوس ملك حمير) ولكنه لا يحمل في النقش لقب (ملك حمير) لأن نظام الدولة كان اتحادياً رئاسياً في عصر تبابعة حمير، ولم يكن ملوكياً مثل عصور ملوك سبأ التبابعة.

الأمر الثاني: المدن العواصم الرئيسية لدولة تبابعة حِمْيَر:

يتميز عصر دولة تبابعة حمير بأن المدن العواصم الرئيسية الثلاث للدولة كانت عَبَدان وظفار وصنعاء. ويكتسب إدراك ذلك أهمية كبيرة.

أ ـ **مدينة عَبَدان عاصمة مشرق اليمن**: كانت مدينة عبدان تقع في وادي عبدان بمنطقة نصاب، في العوالق (بمحافظة شبوة حالياً). وكان عبدان من أقيال ذي رعين، وهو ـ كما ذكر الهمداني في الإكليل ـ «عبدان بن مالك بن جحر بن يريم ذي رُعَيْن»[1] ويمكن أن يكون قد عاصر الملك «شهر يجل يهرحب» مؤسس دولة قتبان الحميرية عام ١١٥ق.م. والذي يبدو أنه المذكور في الإكليل بأنه: «شهر بن كريب بن نعاتة بن شرحبيل بن مثوب بن يريم ذي رُعَيْن» فزمنهما ونسبهما متقارب. وباسم «عبدان بن مالك بن حجر بن يريم ذي رُعَيْن» سُمّي غالباً وادي عبدان ومدينة عبدان التي تأسست آنذاك في القرن الأول ق.م. وكان يسكن عبدان آل ذي رعين وآل ذي يزن. وفي مدينة عبدان كان القصر (يزأن) الذي يُنسب إليه آل ذي يزن. ثم سقطت وانتهت دولة قتبان الحميرية على يد ملوك حضرموت وتم إحراق عاصمتها تمنع سنة ٩٠م واكتملت نهاية قتبان على يد حضرموت عام ٢٠٠م. ثم في وقت لاحق ـ بأواسط القرن الثالث الميلادي ـ تعرضت مدينة عبدان للتدمير على يد حضرموت، فلما سقطت حضرموت وعاصمتها شبوة بيد الحميريين بزعامة (ملشان أريم ذي يزن) قام ملشان بإعادة تشييد مدينة عبدان وتفخيم القصر (يزن) ـ كما هو مذكور في نقش عبدان الكبير ـ حوالي عام ٢٩٠م.

وأصبحت مدينة عبدان عاصمة القسم الشرقي من اليمن بأكمله في عصر دولة تبابعة حمير، ولم يعد لمدينة شبوة في هذا العصر وجود، وإنما كانت مدينة عبدان هي عاصمة كل «مشرقن» بما في ذلك (محافظات) أبين والبيضاء وشبوة وحضرموت والمهرة وظفار عُمان (سأكلن) وجزيرة سقطرى (سكردى).

---

(١) ملحمة أسعد الكامل ـ بيوتروفسكي ـ ص٢٤٢ ـ ٢٤٤ ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٨٧.

وقد جاء ذكر مدينة عبدان في أنباء بعثة (ثيوفيلوس) إلى (ملك حمير) في أواسط القرن الرابع الميلادي ولم تزل مدينة عبدان عاصمة أذوائيات ومناطق القسم الشرقي من اليمن حتى القرن السادس الميلادي.

ب ـ مدينة ظفار عاصمة مناطق حِمْيَر: وهي المدينة الحميرية التليدة منذ عصور ملوك سبأ التبابعة حيث كانت ظفار عاصمة مناطق حمير (ريدان) وجاء ذكرها في نقوش (ملوك سبأ وذي ريدان) منذ مطلع القرن الحادي عشر ق.م. ثم عادت إلى الازدهار في عصر دولة بني معاهر الحميرية بالقرن الأول الميلادي حيث قال نشوان الحميري:

أو ذو معاهر غُلِّقت أبوابه فأتى له الحدثان بالمفتاح

ثم قال: «وذو معاهر هو أول من أحدث المعاهر لباب ظفار وهي جُرُس من الذهب كانت بباب ظفار، إذا فُتح الباب سُمع لتلك الجُرُس صوت من مكان بعيد»[1] ويقول د. يوسف محمد عبد اللّه: «تقع آثار ظفار ـ المدينة القديمة ـ حيث تقوم اليوم قرية صغيرة تحمل الاسم نفسه وذلك على بعد حوالي عشرين كيلومتراً جنوب يريم وشرق الطريق المتجه من تعز إلى صنعاء عبر نقيل سمارة الذي يؤدي إلى حقل قتاب ـ (كتاب حالياً).. وقد ورد ذكر مدينة ظفار في كتاب التاريخ الطبيعي للمؤلف بلينيوس (بليني) في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، حيث ذكر عدداً من مدن العربية السعيدة، ومن جملتها ظفار قاعدة الملك. كما ذكرت أيضاً عاصمة لملك حمير في كتاب الطواف حول البحر الأريتري (البريبلوس) وهو دليل ملاحة يوناني للبحر الأحمر والبحر العربي ـ(في أواسط القرن الثالث الميلادي) ـ وذكرها بطليموس الجغرافي الاسكندري (عام ١٦٠م) ضمن المدن الداخلية للعربية السعيدة ونعتها بكونها عاصمة.، ويقع قصر المملكة بظفار المسمى قصر ريدان على جبل ريدان الشامخ وكان بجانب المصنعة تلك مبان فخمة أخرى في المدينة تحدثت عنها النقوش وتغنّى بها الشعراء حتى في فترات صدر الإسلام كقولهم:

ومصنعة بذي ريدان أُست بأعلى فرع مُتْلِفة حلوق
ومصنعة بذي ريدان أخرى أقاموها ببنيان وثيق

وينقل الحسن بن أحمد الهمداني في الجزء الثامن من كتاب الإكليل أنه كان لظفار تسعة أبواب وينعتها بأسمائها، أحدها باب الحقل وهو باب حقل

(١) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٧.

يحصب الأرض الخصبة الطيبة. ويورد قول الشاعر بلسان أسعد تُبّع:

وريدان قصري في ظفار ومنزل لي بها أسَّ جدي دورنا والمناهلا
وفي البقعة الخضراء من أرض يحصبٍ ثمانون سداً تقذف الماء سائلا»[١]

وأسعد هذا هو (أسعد الثاني ابن حسان) من تبابعة الدولة الحميرية بالقرن الخامس الميلادي.

وكانت ظفار عاصمة أذوائيات ومناطق حمير والقسم الغربي من اليمن في عصر دولة تبابعة حمير منذ قيامها بزعامة (ملشان إريم ذي يزن) عام ٢٩٠م وكان يحكم ظفار والقسم الغربي من اليمن «عبد كلال ابن ذي رُعَيْن» وذلك منذ وفي عهد تُبّع (ملشان أريم) وقد جاء في تاريخ ابن خلدون أنه «. . . مَلَكَ اليمن بعد تُبّع، أخوه عبد كلال بن ذي رعين. . واعتنق عبد كلال هذا دين النصرانية، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان وفد عليه من الشام»[٢] وقد ذكرت المصادر الرومانية أن الملك قسطنطين بعث الراهب ثيوفيلوس إلى ملك حمير فاعتنق المسيحية وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها بمدينة ظفار والثانية بمدينة عبدان[٣] ويذكر د. يوسف إنه: «. . . يفيد مؤلف تاريخ الكنائس اليونانية إنه عهد إلى ثيوفيلوس أن يصل إلى بلاط حمير عام ٣٥٤م بمهمة إنشاء طوائف مسيحية وبناء بعض الكنائس ومن ضمن ذلك تشييد كنيسة في ظفار»[١] وكان ذلك في عهد الملك عبد كلال ابن ذي رُعَيْن، في أواسط القرن الرابع الميلادي، وكانت المسيحية هي الديانة الرئيسية في ظفار ومناطق حمير حتى القرن السادس الميلادي حيث جاء ذكر كنيسة ظفار بلفظ «قليس ظفار» في نقش شرحئيل ذي يزن المؤرخ بعام ٦٣٣ حميري الموافق ٥١٨ ميلادية ـ في القرن السادس الميلادي[٤].

جـ ـ مدينة صنعاء عاصمة تبابعة الدولة الحميرية: لقد كانت مدينة مأرب هي عاصمة دولة سبأ وملوك سبأ التبابعة في عصورهم (١٢٢٠ ـ ٥٢٠ق.م). أما عاصمة التبابعة في عصر الدولة الحميرية (٢٩٠ ـ ٥٩٠م) فكانت مدينة صنعاء. قال ابن خلدون: «صنعاء قاعدة التبابعة قبل الإسلام. وأول مدينة أُختطت باليمن، وَبَنَتْها فيما يُقال عاد، وكانت تُسمى أزال من الأولية بلغتهم»[٥].

---

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ ص٧٠ ـ ٧١/ ٢.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٤ جـ٢.
(٣) ملحمة أسعد ـ بيوتروفكسي ـ ص٢٤٢ ـ ٢٤٤.
(٤) نقش شرحئيل ذي يزن ـ ١٠٢٨ جام.
(٥) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٦٥٣.

وكانت صنعاء إحدى المدن الرئيسية في عصور ملوك سبأ التبابعة، اختطها وسمّاها صنعاء الملك «هلك أمر بن كرب إل وتار يهنعم ملك سبأ وذي ريدان»[1] في القرن العاشر ق.م. وتم تعلية قصرها غُمدان في عهد «إل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان» بالقرن التاسع ق.م. فكانت صنعاء إحدى المدن الرئيسية في عصور ملوك سبأ التبابعة ثم في عصر دولة مكارب سبأ والممالك الوسيطة (٥٢٠ق.م. ـ ٢٠٠م) ولكن صنعاء لم تكن عاصمة في تلك العصور وإنما كانت إحدى المدن الهامة في مناطق مخاليف سبأ وكانت مأرب هي العاصمة في تلك العصور، وقد انتهت مأرب كعاصمة ومدينة رئيسية في القرن الثالث الميلادي، وأصبحت صنعاء عاصمة الدولة الحميرية ـ وكما وصفها ابن خلدون ـ «قاعدة التبابعة قبل الإسلام» وذلك منذ عهد تُبّع ملشان أريم ذي يزن في مطلع القرن الرابع الميلادي إلى عهد سيف ابن ذي يزن ـ حفيد ملشان ـ في القرن السادس الميلادي، وله قال أُمية بن أبي الصلت:

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غُمدان دار منك محلالا
قصرٌ بناهُ أبوك القَيْل ذو يزنٍ ... فهل ترى أحداً نال الذي نالا

ويعني بقوله: «... أبوك القَيل ذو يزن» ملشان أريم ذي يزن أول تبابعة الدولة الحميرية الذي جعل صنعاء عاصمة للدولة الحميرية وقاعدة لملوكها التبابعة وقام بتجديد وتعلية قصر غُمدان، ولم تزل مدينة صنعاء عاصمة للدولة الحميرية إلى عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن آخر ملوك حمير التبابعة.

المبحث الأول

عهد ملشان أريم ذي يزن..

أول تبابعة الدولة الحميرية

(٣٨٠ـ٤٣٧ حميري/ ٢٧٥ ـ ٣٣٢م)

في حوالي عام ٣٨٠ للتقويم الحميري (٢٧٥ ميلادية) تأسست الدولة الحميرية التي شمل سلطانها كل أرجاء اليمن (عام ٢٩٠ ميلادية) بزعامة أول تبابعة الدولة الحميرية وهو ـ كما في نقش عبدان الكبير ـ:

(١) النقش رقم G.I.A٥٤٢.

«ملشان أريم ذو يزن ويلغب، كبير أقيال شعوب ضيفتن ومشرقن»[١].

وهو المقصود بقول ابن خلدون: «غَلَبَ تُبَّعُ ملوك الطوائف باليمن ودوّخ جزيرة العرب... وكان على مقدمته عبد كلال بن مثوب بن ذي رُعَيْن، وكان في أيام سابور ملك فارس»[٢]. ـ وهو «سابور بن يزدجرد (هرمز) ملك فارس معاصر الملك الروماني قسطنطين الأول (٣٠٦ ـ ٣٣٦م) في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي وهو عهد (ملشان أريم) أول تبابعة الدولة الحمرية. ويتفق ذلك مع الزمن الذي يؤرخ له نقش عبدان الكبير فهو يؤرخ لعهد (ملشان أريم) ثم عهد ابنيه (خولي وشرحبيل) ثم حفيده (معدي كرب) الذي قام بتدوين النقش الكبير في عبدان وهو ـ كما يذكر روبان وبافقيه ـ «.... مؤرخ بعام ٤٧٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٣٥٥ ميلادية» وإن النقش عبارة عن «سجل عهود ثلاثة أجيال من الأسرة» ـ أي عهد ملشان ثم أبنائه ثم حفيده معدي كرب الذي قام بكتابة نقش عبدان الكبير ـ الذي كما قال د. بافقيه ـ «فمنه نعلم ـ أي النقش ـ أن ملشان أريم تولى كما تولى أبناؤه معه وبعده قيادة حملات واسعة داخل اليمن، خاصة في مناطق السراة وتهامة وفي أرض المهرة البعيدة عن مركز الحكم، وخارج اليمن في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة خاصة في ما كان يعرف باليمامة وأطراف نجد والبحرين بمدلولها الواسع القديم»[١].

أولًا

توحيد اليمن بزعامة ملشان أريم ذي يزن

في أواسط القرن الثالث الميلادي كان حكم اليمن موزّعاً بين عدة ممالك وملوك وأذواء منهم[٢] «نَبَط عم زادان ابن معاهر قَيْل ردمان وذي رفت وخولان» ـ في القصر شبعان بأرض ردمان ـ والملك «ربيعة بن نصر يهحمد) ـ في مأرب ـ والملك «كرب إيل» ـ في ظفار ـ والريام يدم ملك حضرموت الذي من عهده نقش في موقع العقلة يرى د. بافقيه «... إنه أقدم نقش لأحد أذواء يزأن/ يزن. وهو نقش قصير لا يكاد يتجاوز اسم صاحبه وهو شهر ـ أو شاهر ـ أسأر بن ربيعة ذو يزأن.. وليس في النقش ما يعين على تحديد مكان اليزنيين في تلك

(١)في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٣٨ ـ ومجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣ ـ سبتمبر ١٩٨٣م.

(٢)تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٧ جـ٢.

المرحلة، ولكن (نقش عبدان الكبير) يدل على أنهم من عبدان وفيها كان قصرهم (بيت ذي يزأن)...» [ص١١٤].

وقد ذكر الهمداني في الإكليل أن آل ذي يزن من بني «أسلم بن الحارث...» حيث قال: «أولاد أسلم بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عَدِي [بن مالك بن زيد بن سدد بن زُرعة بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر]: عامراً ذا يزن...»[١] فاليزنيون من بني (أسلم) الذي يبدو أنه «سليم» حيث جاء في (نقش نصر يهحمد بن معاهر) ذكر الآلهة «عشتر شرقن/ وسين ذي أليم/ وعم مبرقم بعل سليم» ـ أي رب بني سليم ـ وذلك عام ١٤٤ للتقويم الأبعلي (٢١٤ ميلادية)[٢]. وكذلك جاء في نقش «نبط عم زادان...» ذكر «... عم مبرم بعل سليم»[٢]. وذلك في القرن الثالث الميلادي. وكان بنو سليم من البيوتات الحميرية الهامة في إطار وفي عصر دولة بني معاهر الحميرية، وكذلك كان آل ذي يزن وآل ذي رُعَيْن.

وقد ذكر الهمداني في الإكليل: «عبدان بن مالك بن حجر بن يريم ذي رُعَيْن»[٣] ـ وعبدان هو الذي باسمه سُمِّي وادي عبدان وسميت مدينة عبدان التي كان فيها قصر يزن (بيت ذي يزأن) مما يدل على علاقة وثيقة بين آل ذي رعين وآل ذي يزن. وقد ذكر الهمداني في أنساب ذي رعين اسم «... مرّة بن ذي يزن بن يريم ذي رعين بن شرحبيل بن يافع بن قاول بن زيد بن ناعتة بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن ذي رُعين (الأكبر) بن سهل بن زيد الجَمْهور»[٣] فوجود «ذي يزن» في نسب آل «ذي رعين» وبالذات آل ذي رعين أقيال «يافع» القريبة إلى منطقة وادي عبدان قد يعني أن «ملشان أريم ذي يزن» من بني ذي رعين بن شرحبيل بن يافع.

ونعود إلى «شاهر أسار بن ربيعة ذي يزن» المذكور في نقش «الريام يدم ملك حضرموت» حيث «قاد الريام يدم حملة كبيرة في أودية قتبان ومنطقة ردمان، ولكن أقيال ردمان تصدّوا لملك حضرموت بشراسة» فتقهقر الريام يدم والذين معه إلى شبوة عاصمة مملكة حضرموت.

وبعد (الريام يدم) تولى حكم حضرموت أخوه «يدع أب غيلان بن يدع إل بين ملك حضرموت» وجاء ذكر «شاهر إسار بن ربيعة ذي يزن» أيضاً في نقش

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٤ جـ٢.

(٢) مدونة النقوش اليمنية ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ النقشان رقم ١٠ و١١ يمن.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٥٧ و٣٤٤جـ٢.

من عهد (يدع أب غيلان) يذكر زيارته لقلعة بالقرب من شبوة ومعه عدد من الأقيال من بينهم (شاهر أسار بن ربيعة ذي يزأن) وهو النقش رقم (جام ١٠٠٣) ويقول د. بافقيه: «ترك شهر أو شاهر أسار بن ربيعة ذو يذأن [بالذال التي تحل محل الزاي في اللهجة الحضرمية آنذاك] توقيعه على صخرة من صخور القلعة الواقعة على مقربة من شبوة عاصمة حضرموت، إلى جانب توقيعات أشخاص آخرين، وذلك حين زار الموقع في ركاب ملكين حضرميين هما الريام يدم ثم أخيه يدع أب غيلان، وهو ما يخول لنا الاستنتاج أن اليزنيين كانوا وقتذاك أذواء صغاراً (؟) ضمن الفلك الحضرمي لا أكثر ولا أقل»[١] وكان ذلك ما بين عام ٢٥٠ و٢٧٠م. ثم قام ملك حضرموت باجتياح وتدمير مدينة عبدان والقصر يزن ـ وقد جاء ذكر ذلك في نقش عبدان الكبير ـ.

وفي حوالي عام ٣٨٠ حميري (٢٧٥م) بدأ عهد «ملشان أريم ذي يزن..» كزعيم لأذوائية يزن في مناطق وادي عبدان (جنوب محافظة شبوة حالياً) وأبين ويافع، بتأييد ومناصرة أذواء رُعَيْن بمناطق عبدان ويافع وسروحمير (محافظات لحج والضالع وأبين وإب ومناطق حمير). حيث اتفق ـ فيما يبدو ـ أغلب أذواء وأقيال حِمْير على رئاسة ملشان أريم ذي يزن وقيام دولة حميرية بزعامته تشمل كل أرجاء اليمن.

ويتبين من معطيات النقوش والمصادر التاريخية:

ـ إن الحميريين في الفترة (٢٧٥ ـ ٢٩٠م) قادوا حملات حربية واسعة بقيادة ملشان أريم ذي يزن لإنهاء حكم (ملوك الطوائف) وتوحيد اليمن. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك حيث قال: «غَلَبَ تُبَّعُ ملوك الطوائف باليمن ودوّخ جزيرة العرب.. وكان على مقدمته عبد كلال بن مثوب بن ذي رُعَيْن» [ص٥٧/ ٢] وجاء في الإكليل أن «من ولد عبدان بن مالك بن حجر بن ذي رُعين» ـ عبد كلال بن ذي حدث بن الحارث بن مالك بن عبدان «وكان عبد كلال هذا قائد تُبّع، وكان على مقدّمته إلى اليمامة» [ص٣٤٧/ ٢ ـ الإكليل].

ـ وقد جاء في نقش عبدان الكبير «إن ملشان أريم ذايزن قاد حملات واسعة في كل أنحاء حضرموت وفي أرض مهرة وكل مشرقن» ـ وقد ترتب على ذلك سقوط ونهاية مملكة حضرموت وعاصمتها شبوة. وكان «يدع أب غيلان آخر ملك حضرمي يترك نقوشاً في العقلة. وهذا قد يكفي للدلالة على أنه الملك

(١) اليزنيون ـ محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد١٣/ ١٩٨٣م.

الذي سقطت في عهده شبوة». ويقول د. بافقيه: «... ليس لدينا ما يدل على قيام معركة في شبوة.. ومن المحتمل أنها أُخذت بحركة التفاف خاطفة بعد الاستيلاء على منطقة المشرق، وخاصة عبدان، أو انحيازها طوعاً إلى حمير، وقد كان لعبدان موقع متميز... على الطريق بين شبوة وأرض قتبان (بيحان). وهي الأهمية التي قد تفسر صعود ملشان وبنيه اليزنيين بعد خراب عبدان على يد حضرموت. على أن استسلام شبوة بأية صورة من الصور لا يُقلل من شأن المقاومة في أودية حضرموت الداخلية وقد كانت قوية ومنظمة.. وكانت بقيادة (ربشمس خير أسدن) وهو شقيق (يدع أب غيلان)... ومن المحتمل أن يكون شراحيل ذي خصير قد قاد المقاومة مع ربشمس بعد سقوط شبوة»[١] ـ وقد جاء في قائمة البروفيسور البرايت أن «يدع أب غيلان هو آخر ملوك حضرموت» وجاء في دراسة البعثة الفرنسية «إن مملكة حضرموت انتهت عام ٢٩٠م على يد الحميريين»[٢] فيكون زمن المقاومة التي أشار إليها بافقيه ما بين عام ٢٧٥ وعام ٢٩٠م. وقال بافقيه: «إن سقوط شبوة في أوائل القرن الرابع.. كان بمثابة شهادة الميلاد لدولة التبابعة التي وحدت اليمن»[١]. ولكن دراسة البعثة الأثرية الفرنسية أثبتت أن سقوط شبوة ونهاية مملكة حضرموت كان في عام ٢٩٠م بأواخر القرن الثالث الميلادي، وكان ذلك ـ كما يدل نقش عبدان الكبير ـ على يد ملشان أريم ذي يزن، وهو أول تبابعة الدولة الحميرية.

ـ وجاء في نقش عبدان الكبير «إن ملشان أريم أعاد بناء مدينة عبدان ـ التي كان أخربها ملك حضرموت ـ فأعاد ملشان أريم بناء مدينة عبدان والقصر يزن (بيت ذي يزأن) بمدينة عبدان». فأصبحت عبدان عاصمة أذوائيات ومناطق (مشرقن) وكان منها أذوائيات ومناطق «... يزأن وجدن... وميفع [شرق ميناء قنا] وجردان، ورخية [في وادي حضرموت] وسكرد [سقطرى] وسأكلن [ظفار عُمان]... وكل حضرموت وقنا وأرض مهرة وسأكلن...» ـ أي (النصف الشرقي من دولة التبابعة) ـ وقد جاء في لقب ملشان أريم ذي يزن أنه «كبير أقيال ضيفتن ومشرقن». وكان أحد أبناء ملشان هو رئيس مناطق وأذوائيات مشرق اليمن ومقره بمدينة عبدان عاصمة النصف الشرقي من اليمن منذ عام ٢٩٠م.

---

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١١٩/ ٢.

(٢) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ تقرير البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١ ـ السنة ٣ ـ ١٩٨٥م.

ـ وكذلك جاء في نقش عبدان الكبير «إن ملشان أريم تولى كما تولى أبناؤه معه قيادة حملات واسعة.. في مناطق السراة وتهامة»[١]. وهي مناطق سرو حِمْيَر ـ وعاصمتها مدينة ظفار ـ ومناطق تهامة، في النصف الغربي من اليمن إلى ساحل البحر الأحمر وكان يحكم تلك المناطق أذواء من بني معاهر ـ رؤساء دولة بني معاهر الحميرية ـ وكان بتلك المناطق أيضاً أقيال من بني ضيفي (ضيفتن) انضموا تحت لواء ملشان أريم ذي يزن. فقد جاء في لقب ملشان أنه «... كبير أقيال ضيفتن...» ـ أي كبير أقيال بني (ضيفي) ـ وهم «بنو صيفي» في الإكليل حيث قال الهمداني أن «... آل ذي يزن وآل خنفر وآل ذي أصبح وآل الصباح بن شرحبيل بن لهيعة كانوا إلباً ويداً واحدة في الجاهلية على حد القرابة والدعوة إلى صيفي»[٢] وهو «صيفي بن زُرعة بن حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر». ونرى أن اسم (صيفي) هو «ضيفي» وإنه «كان آل ذي يزن وآل خنفر وآل ذي أصبح وآل الصباح بن شرحبيل يداً واحدة.. على حد القرابة والدعوة إلى ضيفي».. وذلك منذ عهد ملشان أريم ذي يزن بحيث جاء في لقبه إنه: «كبير أقيال ضيفتن» وهم «بنو ضيفي». وفيهم ـ كما جاء في الإكليل ـ قال الشاعر:

من أبناء صيفيّ ذوي المُلك والحجا وأهل المعالي والحلوم الرواجح

فكان الأقيال من بني ضيفي مع ملشان أريم ذي يزن في الحملات التي قادها بمناطق حمير وتهامة، مما أدى إلى زوال حكم بني معاهر وغيرهم من ملوك الطوائف في النصف الغربي من اليمن وبداية حكم الأقيال بني ضيفي بمناطق حمير والنصف الغربي من اليمن في إطار دولة تابعة حمير بزعامة ملشان أريم ذي يزن كبير أقيال ضيفتن ومشرقن. وأصبحت مدينة ظفار عاصمة مناطق حمير إلى تهامة. [وتشمل بالتسميات الحالية ومناطق ومحافظات إب ولحج والضالع ورداع والبيضاء وذمار ووصاب وتعز والحديدة وأعالي تهامة إلى عسير وساحل البحر الأحمر]. وكان الملك الزعيم بمدينة ظفار ومناطق حمير منذ عهد ملشان هو «عبد كلال بن مثوب بن ذي رُعَيْن» وذلك في إطار دولة تابعة حمير.

ـ وكذلك جاء في نقش عبدان الكبير ـ وكما ذكر بافقيه ـ إن ملشان أريم قاد حملات واسعة في أرجاء اليمن ومنها «كل الأنحاء في السراة ـ بأعالي اليمن ـ

---

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ص١١٩/ ٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٤ جـ٢.

وأرض الأزد». [ص١٤٥] ـ وتشمل مناطق سراة أعالي اليمن ما يلي الجوف وصعدة من مناطق ومخاليف نجران وعسير وتبالة وبيشة إلى تخوم الطائف والحجاز، وقد ذكر الهمداني مناطق السراة تلك بالتفصيل ومنها (سراة الأزد) في صفة جزيرة العرب. وببلوغ حملات ملشان سراة أعالي اليمن ومنها سراة الأزد اكتمل توحيد اليمن بزعامته، وقيل له «تُبَّع» وانتهى بذلك حكم الملك «ربيعة بن نصر يهحمد» في مأرب ومخاليف سبأ.

وقد أسلفنا ذكر نبأ الملك (ربيعة بن نصر) والرؤيا التي رأها وتفسير الكاهنين سَطِيح وشق لرؤيا الملك ربيعة بن نصر. قال ابن خلدون: «فوقع في نفس ربيعة بن نصر أن الذي حدثه الكاهنان كائن، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يُقال له سابور بن خرداذ فأسكنهم الحيرة. ومن بني ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة.. ولما هَلَك ربيعة بن نصر اجتمع مُلك اليمن لحسان تُبَّع...»[1] والمقصود «ملشان تُبَّع» وقد وقع التباس في الأسماء وذكره العديد من الأخباريين باسم (حسان) لوقوع التباس وخلط بينه وبين (تُبّع حسان بن عمرو) وهو من ملوك القرن الخامس الميلادي بينما كان (تُبع ملشان) في القرن الرابع الميلادي[1].

ثانياً

اتخاذ صنعاء عاصمة للدولة الحميرية وتعلية غُمدان في عهد ملشان ذي يزن

لما توحدت أرجاء اليمن بزعامة تُبَّع ملشان أريم ذي يزن اتخذ مدينة صنعاء عاصمة للدولة الحميرية وقام بتجديد وتعلية قصر غُمدان بصنعاء، وذلك في مطلع وأوائل القرن الرابع الميلادي فأصبحت صنعاء عاصمة الدولة الحميرية إلى عهد سيف ابن ذي يزن ـ سليل ملشان ـ في أواخر القرن السادس الميلادي حيث قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة التي مدح بها سيف ابن ذي يزن:

«... إشرَبْ هَنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً منكَ مِحْلالا
قَصْرٌ بناهُ أبوك القَيْلُ ذي يزنٍ ... فهل ترى أحداً نال الذي نالا
مُنطّقاً بالرخام المستزاد له ... ترى على كل ركنٍ منه تمثالاً»[2]

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٧٩.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٦.

فقول أمية بن أبي الصلت «قصرٌ بناه أبوك القَيْل ذي يزن» يعني «ملشان ذا يزن» وكان (سيف) من سلالته ولذلك قال: «. . . أبوك القيل ذي يزن» فجعله بمقام أبيه لأنه جده الأعلى. ويدل ذلك الشعر على تجديد بناء قصر غمدان وتعليته وتفخيمه في عهد ملشان ذي يزن حين جعل صنعاء عاصمة لليمن في أوائل القرن الرابع الميلادي.

لقد نقل ابن خلدون أنه «لما هَلَك ربيعة بن نصر اجتمع مُلك اليمن لحسان تُبّع. . .» ثم قال ابن خلدون «وقيل: إن مُلك حِمْيَر صار متفرقاً في الأذواء من ولد زيد الجمهور، وقام بمُلك اليمن منهم ذو يزن من ولد مالك بن زيد، وهو ـ فيما قال ابن حزم وابن الكلبي والأصفهاني ـ علس ذو يزن بن زيد بن الحارث بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجَمْهور» [ص٦١/ ٢] فهذا النص واضح في أن «تُبَّع الذي اجتمع له مُلك اليمن بعد ربيعة بن نصر» هو «ذو يزن. . .» وقد تصحف اسمه إلى «علس» وهو اسم قريب من «ملشن = ملشان» في النقوش. وجاء في كتاب الأغاني: «إنهم حفروا حفير بصنعاء في زمن مروان، فوقفوا على أزج له باب فإذا هم برِجُل (محنط) على سرير كأعظم ما يكون من الرجال وعليه عصابة من ذهب وخاتم من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالحميرية: أنا علس ذو يزن وجدن، مني النيل ولعدوي الويل، وهذا سيفي ذو الكف، ودرعي ذوات الفروج ورمحي الهزبري وقوسي الفجواء، وقرني ذات الشر فيها ثلاثمائة ـ أو أربعمائة ـ حشر من صنعة ذي نمر، أدركني الموت وأنا ابن مائة سنة من عمري. ووجدوا في القبر كل ما ذكر»[1]. ولا شك أن قراءة اللوح المكتوب بالحميرية لم تكن سليمة، فالاسم (علس) هو (ملشن = ملشان ذويزن) وعبارة «وقرني ذات الشر فيها ثلاثمائة حشر من صنعة ذي نمر» يمكن أن يكون أصلها «مات في شهر (كذا) في (كذا) وثلاثين وأربعمائة خريفم [أي سنة ٤٣٠ للتقويم الحميري] وهو ابن مائة سنة من عمره. إن ذلك الخبر عن كشف قبر ذي يزن (في أزج له باب في حفير بصنعاء في زمن مروان بالقرن الثاني الهجري) يؤكد ويعزز أن مدينة صنعاء كانت عاصمة الدولة الحميرية في ومنذ عهدٍ ملشان ذي يزن وإنه الذي جعل صنعاء عاصمة للدولة وقام بتجديد وتعلية قصر غُمدان في أوائل القرن الرابع الميلادي.

لقد كان قصر غمدان بصنعاء موجوداً منذ عصور ملك سبأ التبابعة، حيث

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص٣٧ جـ٣.

جاء ذكر (قصر غمدان بمدينة صنعاء) في نقشين بمحرم بلقيس بمأرب أحدهما باسم ومن عهد «إل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان»[١] والثاني باسم «شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان»[٢] قال الهمداني في الإكليل: «وكان الذي بنى غُمدان إل شَرْح يَحضُب.. وإن شعرام أوتر هو الذي وصل بنيان القصور وأحاط على صنعاء بحائط» وقد كان قصر غمدان طابقاً واحداً ثم سبعة طوابق (أسقف) ثم عشرة أسقف ثم عشرين سقفاً، ولذلك تعددت أقوال المؤرخين الأوائل. فقد نقل الهمداني عن عمرو بن إسحاق الحضرمي وبعض أهل العلم: إن إل شرح يحضب هو الذي بنى غُمدان، وإنه بناه على سبعة أسقف بين كل سقفين أربعون ذراعاً. ثم قال: «وهذا لا يمكن لأن أربعين ذراعاً بين كل سقفين كثير، والثبت أنه عشرون سقفاً كل سقف على عشرة أذرع»[٣] بينما جاء في تاريخ الرازي إنه «كان غمدان عشرة سقوف إلى أعلى، سقف فوق سقف، بين كل سقفين أربعون درجة»[٤]. ويمكن القول إنه كان كذلك في عصر ملوك سبأ التبابعة وعصر مكارب سبأ والدول الوسيطة حتى القرن الثالث الميلادي، ولم تكن صنعاء عاصمة في تلك العصور.

ثم قام بتجديد بنيان قصر غمدان وتعليته ملشان أريم ذو يزن، وبلغ ارتفاع غمدان عشرين طابقاً. قال الهمداني في الإكليل: «كان غُمدان عشرين سقفاً، وكان فيما بين كل سقفين عشرة أذرع، فذلك مائتا ذراع».. وقال في شرح الدامغة: «كان قصر غمدان عشرين سقفاً بين كل سقفين ثمانية عشر ذراعاً. وكان فيه مائة مسكن بمرافقه، وكان أعلاه غرفة من رخام». وقال في الإكليل: «ولم تزل حِمْيَر تنزله ـ أي قصر غمدان ـ وتزيد فيه»[٣]. وذلك في عصر تبابعة الدولة الحميرية. قال ابن المجاور «كان التبابعة من ملوك اليمن لهم رغبة نفيسة وهمة عالية في عمارة غُمدان، وكل ملك كان يُعلِّي قصراً على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثنين وسبعين سقفاً ويقال ٩٣ سقفاً. وآخر من بنىٰ به أسعد الكامل، بَنَىٰ قصراً من زجاج في غمدان وهو الخاتمة»[٥].

فقول ابن المجاور: «كان كل ملك يُعلِّي قصراً على قصر» قد يتيح إدراك أن قصر غمدان «كان عشرين سقفاً بين كل سقفين ١٨ ذراعاً» ـ كما في شرح الدامغة

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ٥٧٧ جام.
(٢) في تاريخ اليمن ـ مطهر الأرياني ـ النقش رقم ١١ كهالي.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٢ ـ ١٩ جـ٨.
(٤) تاريخ صنعاء ـ الرازي ـ ص٢٠.
(٥) المستبصر ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص١٨٠.

ـ فقام ملشان ذو يزن بتجديد ذلك البنيان وتعلية قصر غمدان «. . . عشرين سقفاً، فيما بين كل سقفين عشرة أذرع، وكان أعلاه غرفة رخام» فإذا كان ذلك الاحتمال صائباً يكون ارتفاع غمدان في عهد ملشان (٤٠ سقفاً) فوق الطابق الأسفل فيكون مع الغرفة العليا (٤٢ سقفاً) ثم ـ كما أشار الهمداني ـ «لم تزل ملوك حمير تسكن غمدان وتزيد فيه». وكان أعظمهم بعد ملشان ذي يزن الملك «حسان بن عمرو» ـ أو «بن غمران» ـ في القرن الخامس الميلادي. قال علقمة بن ذي جدن:

قد كان حسان في ذؤابة غُمْدان ... قريراً بعيش مَنْ رَغَدَا
يخدمه من سُراة حِمْيَر ألفان ... قياماً لن يقعدوا أبدا

ثم قام بتعلية غمدان أسعد تُبَّع بن حسان الذي حكم في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) بالقرن الخامس الميلادي. وقام ببناء عدة طوابق من الياجور، وفوق ذلك غرفة زجاجية في قمة غمدان. ويروى أنه قال:

نحن رفعنا علو آجره ... بألف ألفٍ عدّها القائل
ومن زجاج فوقه خلوة ... خضراء مثل القضبة الباقل

فبلغ ارتفاع غمدان في عهده (٧٢ سقفاً) قصراً فوق قصر.

وقد يكون غمدان مجموعة قصور في فناء واحد، القصر الرئيسي عشرين طابقاً بين كل طابقين ١٨ ذراعاً وفي أعلاه غرفة رخامية، والقصر التالي عشرين سقفاً بين كل سقفين عشرة أذرع، وكذلك قصر ثالث «سبعة أسقف» وقصر رابع «عشرة سقوف إلى أعلى، بين كل سقفين أربعون درجة، وفي رأسه بيت، عشر في عشر، سقف جميعه رخامة مطبقة عليه». وبلغت طوابق تلك القصور مجتمعة ٧٢ طابقاً، ولكن القصر الرئيسي كان ٢٠ طابقاً، وقام أسعد بن حسان ببناء أربعة طوابق من الياجور وغرفة زجاجية في قمة قصر غمدان وهو الخاتمة. وقد جمع الحسن الهمداني ما تواتر من وصف قصر غمدان في قصيدة قال فيها:

مَن بعد غُمدان المنيف وأهله ... وهو الشفاء لقلب مَنْ يتفكرُ
يسمو إلى كبد السماء مصعداً ... عشرين سقفاً سمكها لا يقصرُ
ومن السحاب مُعصّبُ بعمامة ... ومن الرخام مُنَطّقُ ومؤزرُ
وبكل ركن رأس نسر طائر ... أو رأس ليث من نحاس يزأر
والطير واقفة عليه وفودها ... ومياهه قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها ... وبرأسه من فوق ذلك منظر»

وترتبط عظمة قصر غمدان بصيرورة صنعاء عاصمة لليمن ودولتها الحميرية

منذ عهد تُبّع ملشان ذي يزن. وذلك لأن صنعاء تقع في منتصف أرض اليمن. قال الحسن الهمداني في الصفة «مدينة صنعاء هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها، ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز» [ص٨٢] وقال ابن خلدون: «صنعاء قاعدة التبابعة قبل الإسلام». أي عاصمة ومقر تبابعة الدولة الحميرية، وذلك منذ عهد تُبّع ملشان إلى عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن آخر التبابعة.

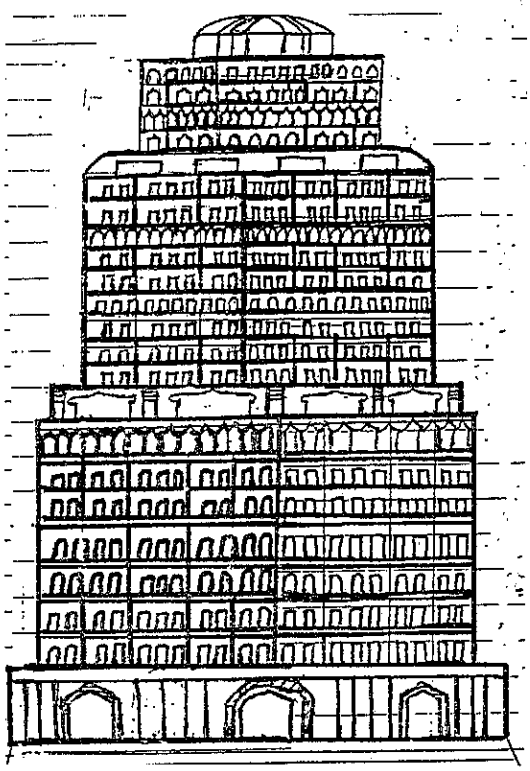

ثالثاً

حملات توحيد تُبَّع ملشان للجزيرة العربية

بعد تحقيق وحدة اليمن الطبيعية بزعامة تُبَّع ملشان ذي يزن بنحو عشرين سنة (حوالي عام ٣١٠م) كان هدف تحقيق انضواء منطقة الخليج العربي (البحرين) واليمامة ونجد والحجاز في الدولة الحميرية قد وجد استجابة واسعة،

فقام تُبَّع ملشان بقيادة حملات إلى تلك الأرجاء لتجسيد ذلك الهدف، وتأسيس الواقع الجديد في تلك الأرجاء من الجزيرة العربية.

وقد سجل نقش عبدان الكبير ـ وكما ذكر د. محمد بافقيه ـ «إن ملشان أريم تولى ـ كما تولى أبناؤه معه وبعده ـ قيادة حملات واسعة خارج اليمن في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة، خاصة في ما كان يُعرف باليمامة، وأطراف نجد، والبحرين بمدلولها الواسع القديم»[١]. وكذلك «إلى أرض الأزد وأرض نزار»[٢].

وجاء في تحقيق روبان لنقش عبدان الكبير: إن الحملات بلغت «بسين على موبأرن سجه بينن أرض نزر وأرض غسن» وشرحها روبان بـ «بالسي على آبار سجا بين أراضي نزار وغسان»[٢] وإن «السي اسم موضع دارت فيه معركة مع عشائر من نزار». وقد جاء ذكر موضع (السي) في الشعر الجاهلي حيث قال زهير بن أبي سلمى:

«أصك مصلم الأذنين أجنى له بالسي تنوم وآء»

وأرض نزار هي الحجاز، وقد بلغت الحملات التي قادها تُبع ملشان والذين معه «إلى آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان». أي: «إلى سجا بين أرض نزار ـ الحجاز ـ وبين أرض غسان ـ بالشام ـ». ونرى أن (سجا) هي (سكا) في خريطة بطليموس لليمن والجزيرة العربية حيث تقع (سكا) بمنطقة تيماء وتبوك بأعالي الحجاز، وبالتالي فإن (سجا) هي (سكا) بين أعالي الحجاز وأرض غسان بالشام.

ويتبين من ذلك أن حملات تبع ملشان لتوحيد الجزيرة العربية شملت كل شرق وشمال الجزيرة العربية ـ أي البحرين بمدلولها الواسع القديم (منطقة الخليج العربي) واليمامة ونجد والحجاز ـ. وقد ذكر ابن خلدون أنه «دوّخ تُبّع جزيرة العرب وكان على مقدمته ـ لما اجتاح اليمامة ـ عبد كلال بن مثوب بن ذي حدث بن حارث بن مالك بن عبدان بن حجر بن ذي رُعَيْن»[٣]. وإنه «لما هَمّ تُبع بالإنصراف استعمل على الحجاز وقبائل نزار حجر آكل المرار بن عمرو الكندي»[٣].

وقد كان من معالم الواقع الخارجي في تلك الفترة التي قامت فيها الدولة الحميرية بزعامة ملشان ما يلي:

---

(١) اليزنيون ـ محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣ ـ سبتمبر ١٩٨٣.

(٢) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٣٨/ ٢.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٧٩ و١٧٦.

١ ـ قيام دولة المناذرة اليمنيين بالعراق:

كان يحكم العرب بجنوب ووسط العراق بنو «مالك بن فهم الأزدي» قال ابن خلدون: «قال أبو عبيدة: مالك بن فهم هو أول ملك كان بالعراق من العرب وأول من نصب المجانيق وأوقد الشموع، ومَلَكَ ستين سنة... وملك من بعده أخوه عمرو بن فهم. ثم مَلَك من بعدهما جذيمة الوضاح، ويقال له الأبرش، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس الأزدي. وكان يكنى بأبي مالك، وهو منادم الفرقدين. فملك (جذيمة) زمان ملوك الطوائف الفرس خمساً وسبعين سنة وأيام أردشير ملك الفرس ١٥ سنة، وثماني سنين أيام سابور.. قال الطبري: كان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم حزماً.. وكانت منازله بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر وأطراف البر إلى العمق والقطقطانية وجفنة، وكانت تُجبى إليه الأموال وتفد إليه الوفود. وغزا في بعض الأيام إلى اليمامة فوجد حسان تُبّع قد أغار عليهم، فانكفأ هو راجعاً بمن معه، وأتته خيول حسان على سراياه فأجاحوها» [ص١٥٠] والمقصود هنا «ملشان تُبّع» فيكون ذلك في أوائل عهد سابور ملك فارس.

وقد سلف قول ابن هشام وابن خلدون: «إن ربيعة بن نصر ملك اليمن.. جهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرداذ، فأسكنهم الحيرة، ومن بني ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة وهو النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر». [ص٧٨] ثم ذكر ابن خلدون والطبري: إن عدي بن ربيعة بن نصر جاء إلى الملك جذيمة الوضاح بن مالك بن فهم الأزدي. وقال: «لما جاءه عدي بن ربيعة بن نصر استخلصه جذيمة لنفسه وولاه شرابة. وهويته رقاش أخت جذيمة فتزوجها وولدت رقاش منه غلاماً وسمّاه عمراً.. ومات عدي. فسرَّ جذيمة بعمرو بن عدي.. واستخلفه على قومه».

قال الطبري: «وعمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر أول من اتخذ الحيرة منزلًا ـ أي عاصمة ـ من ملوك العرب، وأول من يجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق وإليه يُنسبون وهم ملوك آل نصر ـ ومنهم المناذرة ـ ولم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات.. ثم تولى بعده امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال له (البدء) وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر وعمال فارس.. ومات في أيام سابور بن سابور» (اهـ). وكان موت امرئ القيس بن عمرو في النمارة بالشام وهو صاحب نقش النمارة المشهور، ونصه: «هذا قبر امرئ

القيس بن عمرو ملك العرب الذي تقلد التاج، ودانت له الأزد ونزار، ودان مذحج يوم قاد الظفر إلى أسوار نجران. واستعمل بنيه على القبائل وأنابهم لدى فارس والروم... مات يوم ٧ بكسلول عام ٢٢٣ بتقويم النمارة» ويوافق ذلك «١٧ سبتمبر ٣٢٨م».

إن موت امرئ القيس بن عمرو في النمارة بسوريه يشير إلى أن حكمه للحيرة انتهى لسبب ما، ولجأ إلى سورية فعاش فيها إلى أن مات عام ٣٢٨م. فامتداد حكمه إلى الأزد ونزار ومذحج في نجران كان في وقت سابق قبل أن يمتد إليها ويشملها حكم ونفوذ الدولة الحميرية بزعامة تُبّع ملشان في الحملات التي ذكرها نقش عبدان الكبير.

وقد جاء في تاريخ ابن خلدون إنه «مَلَك امرؤ القيس بن عمرو خمساً وعشرين سنة. وهَلَك أيام يزدجرد الأثيم» (اهـ) والأصواب أيام سابور بن هرمز بن سابور الذي اختط مدينة (المدائن) في العراق وجعلها عاصمة للدولة الفارسية حوالي عام ٣٢٥م لأن امرئ القيس بن عمرو مات سنة ٣٢٨م. قال ابن خلدون: «ثم وُلِّي مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو. أمه شقيقة بنت ربيعة بن ذهل بن شيبان. وهو صاحب الخورنق». بينما ذكر المسعودي أن صاحب الخورنق هو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر، وهو الأصوب. وكان النعمان ابن الشقيقة في الفترة (٣٢٥ ـ ٣٥٥م) ثم تتابع الملوك المناذرة بالحيرة وما كان إليها من العراق. وقال ابن خلدون: «كان ملوك الحيرة أقرباء ونسباء ملوك حمير التبابعة». وذلك لأنهم من أبناء ملوك اليمن. وفيهم قال أعشى قيس:

وبنو المنذر الأشاهب في الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

٢ ـ قيام دولة الغساسنة اليمنيين بالشام:

لقد جاء في نقش عبدان الكبير أن حملات تُبّع ملشان بلغت «إلى سجا بين أرض نزار وأرض غسان». ويكتسب ذلك أهمية كبيرة فهذه أول مرة فيما نعلم يأتي فيه اسم قبيلة وأرض غسان في النقوش، ويدل ذلك على أن غسان قد تمكنت من السيادة بالشام بحيث ذكر النقش الشام باسم (أرض غسان). لقد قال الأستاذ أحمد أمين: «إن تاريخ الغسانيين في الشام من الأمور الغامضة في تاريخ العرب»[1] بينما الواقع أنه ليس كذلك. ونذكر فيما يلي معالم النبأ اليقين عن غسان:

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص١٨.

ـ يجمع اسم غسان عدة عشائر يمنية أزدية كانوا يسكنون منطقة من أرض مأرب وسبأ باليمن فيها ماء (وادي) اسمه غسان، فقيل لهم غسان. وفي ذلك قال الشاعر:

إما سألتَ فإنّا معشر نُجُب الأزد نسبتنا والماءُ غسانُ

قال ابن خلدون: «وغسان هم بنو مالك وبنو الحارث وبنو جفنه وبنو كعب فكلهم يسمون غسان» (اهـ). وكذلك «بنو سلم وبنو شظية من غسان».

وكانت غسان ثالث ثلاث قبائل أزدية هاجرت شمالاً عند نهاية دولة مكارب سبأ وانهيار سد مأرب القديم الثاني حوالي عام ٢٠٠ ميلادية وهم: خزاعة وبنو قَيْلة (الأوس والخزرج) وغسان، فسكنت خزاعة في مرّ الظهران ومكة وما إليها من الحجاز وبسطوا سلطانهم عليها، وسكن الأوس والخزرج في يثرب ونواحيها بأعالي الحجاز، وسارت غسان إلى الشام. قال جماعة البارقي الأزدي في قصيدته عن هجرة الأزد من مأرب:

واحتوت منهم خزاعةُ الكعـ ـبة ذات الرسوم والآيات
وإليها رفادة البيت والمر باع يُجبىٰ لها من الغارات
وبنو قَيْلة الذين حووا يثـ ـرِبَ بالقود والأسود العتاة
زحفوا لليهود وهي ألوف مَن دهاة اليهود أيّ دهاة
فأذلوا اليهود منها وأخلوا منهم الحرّتين واللابات
. . وَسمَت منهم ملوكُ إلى الشا م على التُبينية المُضمرات
فاحتووها وشيّدوا لمُلك فيها فلهم مُلك باحة الشامات
تلكمُ الأكرمون من ولد الأزد غسانُ سادة السادات

ولم يبدأ سلطان غسان بالشام عند هجرتهم إليها، وإنما كانت تسكن الشام قبائل عربية كثيرة أصلها من اليمن، وكان أكثرهم من قبيلة جُذَام وقبيلة لخم وقبيلة عاملة وقبيلة قضاعة، وكانت رئاسة العرب بالشام في بني عاملة فترة من الزمن (إلى القرن الأول الميلادي). قال ابن خلدون: «ثم مَلَك أمر العرب بالشام تنوخ من بطون قضاعة، فَمَلَك من تنوخ ثلاثة ملوك: النعمان بن عمرو، ثم ابنه عمرو بن النعمان، ثم أخوه الحوار بن عمرو، وكانوا مملكين من قِبَل الروم. ثم تلاشى أمر تنوخ واضمحل، وغلبت عليهم سليح من بطون قضاعة ثم الضجاعم منهم، وهم بنو ضجعم بن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. فتنصروا، وملكتهم الروم على العرب، وأقاموا على ذلك

مدة، وكان منزلهم [عاصمتهم] ببلاد مؤاب من أرض البلقاء.. وكانت غسان لأول نزولها بالشام طالبها ملوك الضجاعم بالأتاوة، فمانعتهم غسان فاقتتلوا، فكانت الدائرة على غسان وأدّت الأتاوة للضجاعم»[١].

ـ وقد دلت الدراسات على وجود غسان بالشام منذ أوائل القرن الثالث الميلادي، حيث قال الأستاذ حنا الفاخوري: «مملكة الغساسنة.. وكانوا يقيمون في بلاد حوران، أي في بُصَرىٰ وما حولها، وقد امتد عهدهم من أوائل القرن الثالث للميلاد»[٢] وقال أحمد أمين: «كان الغساسنة في مقاطعتي حوران والبلقاء» [ص١٨] ـ ولكن حكمهم لم يبدأ منذ أوائل القرن الثالث للميلاد، وإنما كان ملوك العرب بالشام من بني ضجعم القضاعيين الحميريين، ولما غزا الرومان الشام وقضوا على مملكة تدمر العربية وملكتها زنوبيا (عام ٢٧٤م) كان من الملوك الضجاعم بعد سقوط تدمر: سبطة بن هبوله. وهو سبطه بن منذر بن داود، وكان ملكاً على البلقاء وما كان إليها من الشام ـ أقرّه الرومان على ذلك ـ وكانت غسان تؤدي إليه الأتاوة. وكذلك كان من الضجاعم زياد بن هبولة. قال ابن الأثير: «كان زياد بن هبوله ملكاً على بعض أطراف الشام» (اهـ).

وفي حوالي أواخر القرن الثالث الميلادي اندلعت حرب بين غسان (بزعامة جذع بن عمرو بن المجالد بن الحارث الغساني) وبين الضجاعم. قال ابن خلدون: «وغلب جذع بن عمرو رجال سليح من ولد رئيسهم داود اللثق وهو سبطة بن المنذر بن داود، ويقال: بل قتله. فالتقوا، فغلبتهم غسان، وأقادتهم». فبدأت بذلك رئاسة غسان على العرب بالشام مع استمرار رئاسة الضجاعم حيث كان زياد بن هبولة ملكاً على بعض أطراف الشام.

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي (حوالي عام ٣١٠م) كانت الحملة التي قادها تُبّع ملشان زعيم الدولة الحميرية إلى الحجاز والتي ذكر نقش عبدان الكبير إنها إلى «أرض الأزد وأرض نزار» وهي الحجاز لأن خزاعة من الأزد كانوا يحكمون مكة وما إليها وكان الأوس والخزرج من الأزد بيثرب ونواحيها وكانت تسكن الحجاز أيضاً قبائل نزار العدنانية، ولذلك فإن المقصود بأرض الأزد ونزار في النقش هو الحجاز، وولى تُبّع (ملشن) على الحجاز حجر آكل المرار بن عمرو الكندي.

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٩٤.

(٢) الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ حنا فاخوري ـ ص٧٧.

وكان آخر الملوك الضجاعم بالبلقاء وبعض أطراف الشام زياد بن هبولة ـ بعد مقتل سبطة بن هبولة وأصحابه على يد غسان ـ. قال ابن خلدون: «سار زياد بن هبولة بمن أبقى السيف منهم إلى الحجاز فقتله حجر آكل المرار الكندي، وكان والياً للتبابعة على الحجاز، فأفنى بقية الضجاعم فلم يبق منهم إلا القليل» (اهـ) وكان زياد بن هبولة غزا من البلقاء (بالأردن) إلى الحجاز وعاد بالسبيّ والغنائم فلحق به حجر آكل المُرار الكندي بجيشه فحاربه وهزمه بأطراف الشام، وانتهى بذلك مُلك الضجاعم واكتملت رئاسة العرب بالشام لغسان، مما يعني أن الدولة الحميرية ممثلة بعامل الحجاز حجر آكل المُرار الكندي ساهمت في تحقيق رئاسة غسان للعرب بالشام، وبالتالي في قيام دولة الغساسنة بزعامة «جفنة بن عمرو الغساني. أول ملوكهم. وهو الذي قام ببناء جِلّقْ دمشق».

قال ابن خلدون: «وتفرد الغساسنة بمُلك الشام، وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس، فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فارساً، فكتب إليهم واستدناهم، ورئيسهم يومئذٍ ثعلبة بن عمرو أخو جذع بن عمرو ـ [أو ثعلبة بن جفنة] ـ وكتبوا بينهم الكتاب على أنه: إن دهمهم أمر (من الفُرس) أمدّهم (ملك الروم) بأربعين ألفاً من الروم، وإن دهمه أمر أمدته غسان بعشرين ألفاً. وثبت مُلكهم على ذلك وتوارثوه» [ص٢٨٠/ ٢].

وكان ملك الروم آنذاك قسطنطين الأول (٣٠٦ ـ ٣٣٦م) وهو الذي جعل مدينة بيزنطة (استنبول) عاصمة للدولة الرومانية بدلًا عن روما، واعتنق الديانة المسيحية وجعلها ديانة قانونية، وكان الغساسنة وغيرهم من العرب بالشام يدينون بالديانة المسيحية الأولى مما ساهم في انتشار المسيحية وامتدادها إلى اليمن (عام ٣٥٤م) كما سيأتي في عهد عبد كلال ذي رُعين.

ويتبين مما سلف أن تُبّع ملشان أريم ذي يزن رئيس دولة اليمن الحميرية عاصر قيام دولة الغساسنة بالشام وأوائل ملوكها وعاصر قسطنطين الأول ملك الروم، كما عاصر سابور بن سابور ملك فارس وأوائل الملوك من بني نصر ـ المناذرة ـ بالحيرة وما إليها من العراق. وفي عهده أيضاً بدأ حكم كندة لنجد والحجاز.

٣ ـ قيام مملكة كندة في نجد والحجاز (شمال الجزيرة):

استناداً إلى ما جاء في نقش عبدان الكبير عن حملات ملشان إريم ذي يزن والذين معه إلى «اليمامة والبحرين ونجد وأرض نزار» يقول د. محمد بافقيه: «ولعل الحميريين لم يكونوا بعيدين عن نجاح أسرة حجر بن عمرو آكل المرار

الكندية في بسط نفوذها على قبائل معدية (نزارية) في مناطق موغلة في شمال الجزيرة العربية»[1]. والواقع أن ذلك قد ذكره المؤرخون العرب الأوائل، بالرغم من الالتباس بين اسم (ملشان) واسم (حسان). قال ابن خلدون: «لما دوّخ حسان تُبَّع بلاد العرب وسار في الحجاز وهمّ بالانصراف، وَلّى على معدّ بن عدنان كلها أخاه لأمه حجر آكل المُرّار بن عمرو الكندي، فدانوا له، وسار فيهم أحسن سيرة» [ص١٧٦]. وجاء في كتاب أيام العرب أنه «كان حجر آكل المُرّار الكندي عامل الحجاز لتُبّع ملك اليمن» (اهـ). والمقصود (تُبّع ملشان) بدليل محاربة حجر آكل المرار لزياد بن هبولة في أول قيام دولة الغساسنة بالشام أيام قسطنطين الأول ملك الروم. وكان «حجر آكل المرار الكندي» ملكاً نائباً للتبابعة على الحجاز ونجد والبحرين، وهو أول الملوك الكنديين لشمال الجزيرة، واستمر حكمه مدة طويلة، بعد وفاة تبّع ملشان ذي يزن، ولم يزل ملكاً للحجاز ونجد حتى وفاته.

وفاة تُبّع ملشان ذي يزن بصنعاء واكتشاف مقبرته الملكية:

كانت مدينة صنعاء هي عاصمة اليمن ودولتها الحميرية في ـ ومنذ ـ عهد تُبّع ملشان أريم ذي يزن، وهو الذي قام بتجديد وتعلية وتفخيم قصر غُمدان العظيم بصنعاء. وكان أحد أولاده ملكاً نائباً في مدينة عبدان عاصمة شرق اليمن إلى عُمان، وكذلك كان عبد كلال بن مثوب ذي رُعَيْن ملكاً نائباً في مدينة ظفار عاصمة مناطق حمير وغرب اليمن إلى ساحل البحر الأحمر، وكان حجر آكل المُرّار بن عمرو الكندي ملكاً نائباً على شمال الجزيرة العربية.

وقد توفي تُبّع ملشان ذي يزن بمدينة صنعاء، وذلك ما بين عام ٤٣٠ وعام ٤٣٧ حميري (٣٢٥ ـ ٣٣٢م) وكان مدة حكمه زهاء خمسين سنة (منذ حوالي عام ٣٨٠ حميري/ ٢٧٥م). وتم دفنه (محنطاً) في مقبرة ملكية تُسمى (أزج) يؤدي إليه سرداب منحوت تحت الأرض. وقد حفر بعض أهل صنعاء حفيراً بصنعاء في زمن خلافة مروان بن محمد بالقرن الثاني الهجري (القرن التاسع الميلادي) حيث كما جاء في كتاب الأغاني: «حفروا حفيراً بصنعاء فوقفوا على أزج له باب ـ فدخلوه ـ فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال، وعليه عصابة (تاج) من الذهب، وخاتم من ذهب، وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه كتابة بالحميرية».

(١) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣ ـ سبتمبر ١٩٨٣م.

وقرأ رجلُ تلك الكتابة قراءة غير دقيقة، وقال: إنه مكتوب فيها «أنا علس ذو يزن وجدن، مني النيل ولعدوي الويل، وكانت الوحش تأذن لصوتي، وهذا سيفي ذو الكفـه ودرعي ذات الفروج، ورمحي الهزبري، وقوسي الفجوآء، وقرني ذات الشر فيها ثلاثمائة ـ أو أربعمائة ـ حشر من صنعة ذي ثمر، أدركني الموت وأنا ابن مائة سنة من عمري. ووجدوا في القبر كل ما ذكر، وكان طول السيف اثنا عشر شبراً» [ص٣٧/ ٣].

ولا شك أن قراءة اللوح لم تكن سليمة، فالاسم (علس) إنما هو (ملشن = ملشان ذو يزن . . .) وعبارة « . . . قرني ذات الشر فيها ثلاثمائة ـ أو أربعمائة ـ حشر من صنعة ذي نمر». يمكن أن يكون أصلها «مات في شهر كذا سنة كذا وثلاثين وأربعمائة بهجرن صنعاء . . أدركه الموت وهو ابن مائة سنة». أما سيفه ذو الكف ودرعه ورمحه وقوسه فهي من الأشياء التي وجدوها معه في القبر، فأخذوا ما جدوه في القبر، ودفنوه بالطريقة الإسلامية.

المبحث الثاني

عهد شرحبيل أشوع بن ملشان.. وبني ملشان ذي يزن

(٤٣٧ ـ ٤٧٠ حميري/ ٣٣٢ ـ ٣٥٥ ميلادي)

كان أبناء ملشان أريم ذي يزن يشتركون معه في الحكم، فلما مات ملشان تولى أبناؤه رئاسة الدولة الحميرية، ومنهم ـ كما جاء في نقش عبدان الكبير ـ «شرحبيل أشوع بن ملشان وخولي بني ملشان» ـ وقد انطمست بقية الأسماء ـ وكان «شرحبيل أشوع بن ملشان» بمثابة رئيس الدولة. ثم حكم بعد شرحبيل وأخوته معدي كرب حفيد ملشان الذي قام بكتابة نقش عبدان الكبير عام ٤٧٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٣٥٥ ميلادية.

وقد عثر الأهالي على مقبرة في وادي ضرا بالقرب من وادي عبدان بمحافظة شبوة حالياً، ثم قامت بعثة أثرية فرنسية بالتنقيب في موقع المقبرة فكشفت ثلاث مقابر يزنيه، وحددت البعثة زمن تلك القبور وآثارها بالقرن الرابع الميلادي (ما بين عام ٣٠٠ ـ ٣٥٠م) وبالتالي فهي من عهد ملشان ذي يزن وعهد بني ملشان.

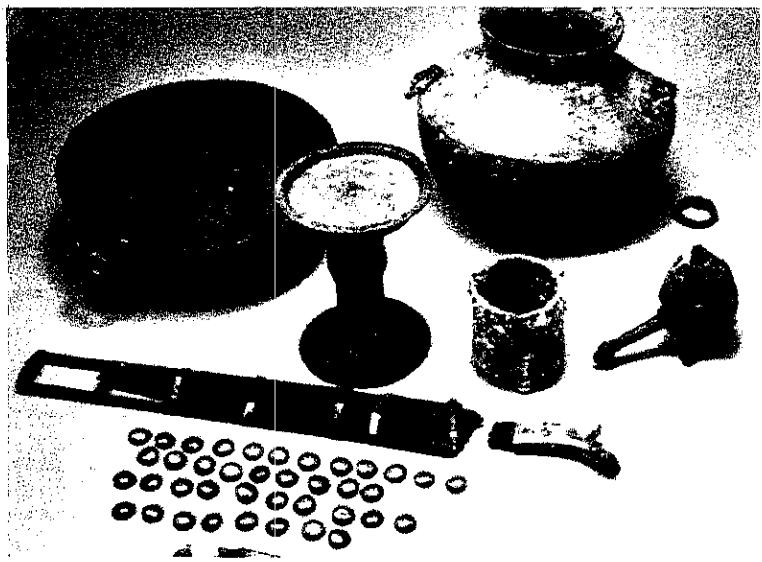

مواد قبورية وجدت في القبر رقم ٢ في وادي ضرا عبارة عن، حوض من البرونز ـ إناء من البرونز ـ ٣٩ زرًا من الفضة خنجر وغمده من الفضة وعلى المقبض طفراء باسم يقع ذو ترف ـ ختم من الذهب نقش عليه طفراء يقع ذو ترف مبخرة من البرونز ـ حلقة زنار ذات صفائح من البرونز عليها نقش باسم هو في عثت ذو رطب ـ حلقة صفيحة من الفضة عليها نقش بالمسند نصه هو في عثت ذو رتب

وتكتسب الأشياء المعثور عليها أهمية تاريخية ذات دلالة على بعض الجوانب الحضارية في ذلك العصر للدولة الحميرية. وقد جاء في تقرير البعثة الفرنسية: إن المدفونين بتلك المقابر من أسرة (ذي يزن) وهم «هو فعثت ذو رتبم = هوف ذورتب» و«يفع ذو ترف» و«ريم بن مرضوم» و«إل يشرح».

وتم العثور في قبورهم كما جاء في تقرير البعثة على الأشياء التالية:

- «سيف له حزامين وإبزيمين من الفضة والذهب. طول السيف ٦٧ سم، وهو مغروز داخل غمد من الجلد ومسنود بأداة من البرونز، ومقبض السيف مزين بثلاثة زرًا من الذهب مزخرفة ببروز على شكل وردة. ومكتوب على السيف (هو فعثت ذو رتبم) ـ وهو (هو في عثت ذو رتب) ـ كما وُجد إلى جانب السيف ٧٣ زراراً من الفضة وعدد من المسامير المثنية المصنوعة من الفضة».
- «ثلاثة خناجر يمنية مقابضها من العاج. منها خنجر وغمده من الفضة ومكتوب على المقبض اسم (يفع ذو ترفم).

وحوض من البرونز، ومبخرة من البرونز، وحلقة زنار ذات صفائح من البرونز عليها نقش باسم (هو في عثت ذورتبم)، وحلقة صفيحة من الفضة عليها نقش بالمسند نصه (هو في عثت ذو رتبم).

ـ «سلسلة من الذهب. وصناديق مزخرفة بالعاج. وإناء أسطواني. وأدوات مصنوعة من الزجاج. وأواني من البرونز والزجاج الأزرق. وقطعة نحاس مزينة بمنظر للصيد. وعلب وحليّ مصنوعة من العاج».

ـ «قطعة من الفضة مزينة بأربعة أشرطة ذهبية وعليها كتابة بالمسند.. وهذه القطعة مزينة بصف من الرسوم ذات أشكال بيضاوية، ثم صورة كلب يطارد الصيد ويحيط به شريط كبير في الوسط مزين بزخارف نباتية مرسوم بداخلها حيوانات متنوعة: صورة كلب يتلوه صورة أسد ثم صورة حيوان مجنح (العنقاء) ثم صورة أسد، وهكذا.

وصندوق من الفضة مزين بزخارف نباتية، وله غطاء مزين برسم لحيوان بحري اسمه ميدوس وهو عبارة عن حيوان هلامي يضيء في الليل.

وملاعق ومغارف من الذهب والفضة عليها زخارف ونقوش رائعة، ومن بينها ملعقة من الذهب والفضة يصل ارتفاعها إلى ١٤سم ومقبضها مزين من الداخل بنقش ومن الخارج بسلسلة من المرصعات البديعة، أما قعر الملعقة فمرسوم عليه صفين مزدوجين من الحيوانات مثل الفهد، الثور، الظبي، ثم أشخاص».

وقال تقرير البعثة الفرنسية: «إن الأدوات المعثور عليها في مقبرة وادي ضرا تدهشنا بدقة صناعتها، فالقطع الشريطية الذهبية وقسمات الرسوم والزخارف محفورة بعناية فائقة، كما أن عفرة الأسد وأجنحة العنقاء قد تم معالجتها بأسلوب متميز... أما العمل الفني الآخر المتميز بجودته وروعته فهي تلك اللوحات المزخرفة بأحرف صغيرة على شكل رسوم شجرة عنب مغطاة جزئياً بأوراق من الذهب والمرسومة على علبة الحليّ المصنوعة من العاج». انتهى[1].

وتدل تلك المكتشفات الأثرية في مقبرة وادي ضرا ـ بقبورها الثلاثة ـ على النهضة والرخاء وإن فن الصناعة والنحت اليمني بلغ مرحلة عالية من التطور والروعة في عصر دولة تابعة حِمْيَر بالقرن الرابع الميلادي. لقد تم كشف مقبرة وادي ضرا والعثور على الآثار المذكورة فيها عام ١٩٨٦م. ومما يثير الدهشة أن أغلب تلك الآثار ـ وبالذات الذهبية والثمينة منها ـ ربما اختفت كما حدث للأشياء المعثور عليها في مقبرة ملشان ذي يزن بصنعاء قبل ألف وثلاثمائة سنة!؟.

وقد كان من معالم الواقع السياسي في الفترة التي تعود إليها مقابر وادي ضرا وآثارها، ما يلي:

---

(١) مكتشفات مقبرة وادي ضرا ـ مجلة اليمن الجديد ـ العدد السادس ـ السنة الخامسة.

ـ تولى رئاسة الدولة الحميرية بعد تُبّع ملشان أبناؤه، ومنهم «شرحبيل أشوع بن ملشان وخولي بن ملشان» ـ وبقية الأسماء مطموسة في نقش عبدان وربما كان منهم أيضاً (عمرو) المذكور في الروايات باسم (عمرو بن تُبّع). وقد جاء في نقش عبدان «. . . إن أبناء ملشان قادوا حملات معه وبعده إلى اليمامة ونجد والبحرين ـ بمدلولها الواسع القديم»[1] ـ فتكون الحملات لتعزيز وتثبيت نفوذ الدولة الحميرية وملوكية حجر آكل المرار بن عمرو الكندي في شمال الجزيرة العربية حيث استمر حجر آكل المُرار ملكاً نائباً على الحجاز ونجد في عهد شرحبيل أشوع بن ملشان وأخوته.

وكان شرحبيل بمثابة رئيس الدولة (تُبّع) وكان أحد أخوته ملكاً نائباً في مدينة عبدان عاصمة القسم الشرقي من اليمن إلى سأكلن (عمان) وجزيرة سكردى (سقطرى). وكذلك كان عبد كلال مثوب ذو رعين ملكاً نائباً في مدينة ظفار ومناطق حمير وغرب اليمن إلى ساحل البحر الأحمر منذ عهد ملشان ثم في عهد بني ملشان، بينما كان حجر آكل المرار ملكاً نائباً على شمال الجزيرة العربية إلى تخوم أرض دولة غسان (الشام) شمالاً وتخوم دولة بني نصر المناذرة في الحيرة (بالعراق).

ثم تولى رئاسة الدولة الحميرية أحد أبناء ملشان (عمرو؟) وكان معدي كرب حفيد ملشان ملكاً نائباً في مدينة عبدان والنصف الشرقي من اليمن حيث قام بكتابة نقش عبدان الكبير المؤرخ بعام ٤٧٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٣٥٥ ميلادية. ثم انعقدت رئاسة الدولة الحميرية لعبد كلال بن مثوّب ذي رُعَيْن.

المبحث الثالث

عهد عبد كُلال ذي رُعَيْن...
ملك حِمْير الذي اعتنق الديانة المسيحية
(٢٩٠ـ٣٦٩م)
والنبأ اليقين عن عصر الديانة المسيحية باليمن

قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ ملوك حِمْيَر:

أم أيْـن عـبـدُ كُـلال الـمـاضـي عـلـى ديـن الـمـسـيـح الـطـاهـر الـمـسّـاح

ثم قال: «هذا الملك: عبد كُلال بن مُثَوّب ذو رُعَيْن بن ذي حدث بن

(١) اليزنيون ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد الثالث عشر ـ ١٩٨٣.

الحارث بن مالك بن عبدان بن مالك بن حجر بن يريم ذو رُعين. مَلَك بعد عمرو بن حسان»[١]. وجاء في الإكليل إنه «كان عبد كلال... قائد حسان تُبّع، وكان على مقدمته لما غزا اليمامة»[٢]. وكذلك قال ابن خلدون: «لما هَلَك ربيعة بن نصر اجتمع مُلك اليمن لحسان تُبّع. وبعث على المقدمة عبد كلال بن مثوب... بن ذي رُعَيْن. قال الجرجاني والطبري.. وكان ولد حسان تُبّع صغاراً لا يصلحون للمُلك ـ (بعد وفاته) ـ وكان أكبرهم قد استهوته الجن، فوثب على مُلك التبابعة عبد كلال بن مثوب، فَمَلَكَ أربعاً وتسعين سنة، وكان يدين بالنصرانية. وقال ابن سعيد: مَلَك بعد ابن حسان تُبّع أخوه لأمه عبد كلال بن مثوب في أيام سابور ـ ملك فارس ـ»[٣].

ويتبين من ربط معطيات النقوش والمصادر التاريخية:

ـ إن المقصود بتُبّع حسان هو تُبّع ملشان، وكان عبد كلال بن مثوّب ذو رَعْين قائداً لمقدمة جيش تُبّع ملشان، وملكاً نائباً بمدينة ظفار ومناطق حمير منذ قيام دولة تبابعة حمير بزعامة ملشان (عام ٢٧٥م) فمدة ملوكية عبد كلال التي ذكرها ابن خلدون إنما هي منذ بداية حكمه في ظفار، أي في عهد تُبّع ملشان نحو خمسين سنة ونيف (إلى عام ٣٣٢م) ثم في عهد شرحبيل أشوع بن ملشان وأخوته حيث استمر عبد كلال ملكاً نائباً في ظفار ومناطق حمير (إلى حوالي عام ٣٥٠م). قال الطبري «... وقتل عمرو بن تُبّع أخاه ومَلَكَ مكانه.. ثم مَلَك بعد عمرو بن تُبّع عبد كلال بن مُثوّب، وذلك أن ولد حسان تُبّع كانوا صغاراً، فأخذ المُلك عَبد كلال بن مثوب مخافة أن يطمع في المُلك غير أهل المملكة، فولّيه بسن وتجربة وسياسة حسنة»[٤].

فتكون بداية عهد ملوكية ورئاسة عبد كلال ذي رعين للدولة الحميرية بعد (عمرو بن تُبّع ملشان) ـ الذي يقال إنه «استهوته الجن» ـ فعقد الأذواء والأقيال رئاسة الدولة الحميرية لعبد كُلال بن مثوب ذي رُعَيْن. فسار عبد كلال بالدولة والبلاد سياسة حسنة بسن وتجربة وهو ملك حمير الذي ذكر المؤرخون العرب وذكرت المصادر الرومانية أنه اعتنق الديانة المسيحية ما بين عام ٣٥٤ وعام ٣٥٧م.

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٧.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٥٧ جـ٢.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٠.
(٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٨٦ جـ٢.

ـ المناخ العام لانتشار الديانة المسيحية:

كانت المسيحية ديانة غير قانونية وغير معترف بها في الامبراطورية الرومانية لأنها كانت تدين بتعدد الآلهة الوثنية وكانت تعتبر «أن المسيحية ديانة لا تتفق مع شروط الرعوية الرومانية»[١]. فكان الاضطهاد ينال الذين يدينون بالمسيحية في روما والبلدان الواقعة تحت الحكم الروماني ومنها الشام، وكان كثير من العرب السريانيين والضجاعم وغسان بالشام يدينون بالمسيحية. وفي عام ٣١١م أصدر قسطنطين الأول (٣٠٦ ـ ٣٣٦م) مرسوم ميلانو بالاعتراف بالمسيحية كديانة قانونية[١] ثم أعلن الملك قسطنطين اعتناقه للدين المسيحي، ونقل العاصمة من روما (معقل الديانة الوثنية الرومانية) إلى مدينة بيزنطة (القسطنطينية/ استنبول في تركيا حالياً) وأصبحت بيزنطة ـ رسمياً ـ عاصمة للامبراطورية الرومانية بدلاً عن روما في عهد قسطنطين عام ٣٣٠م. وفي عهده قامت دولة الغساسنة بالشام، وكانوا يدينون بالمسيحية. قال ابن خلدون: «... كتب ملك الروم إليهم واستدناهم، ورئيسهم يومئذٍ ثعلبة بن عمرو ـ الغساني ـ وكتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمر أمدهم ـ (ملك الروم) ـ بأربعين ألفاً من الروم، وإن دهمه أمر أمدّه غسان بعشرين ألفاً ـ (من العرب) ـ. وثبت مُلكهم (أي غسان) على ذلك وتوارثوه». [ص١٩٥].

وقد ذكرت المصادر الرومانية أحد الملوك الغساسنة بالشام ـ وهو الحارث بن جبلة ـ بأنه «أمير جميع العرب ـ بالشام ـ وحامياً للكنيسة. ويحمل لقب فيلارك وباتريك Phylarc and Patricus وهو أعلى لقب بعد الامبراطور الروماني»[٢] وقد ساهم الغساسنة في نشر الديانة المسيحية.

ـ اعتناق عبد كلال ملك حمير للديانة المسيحية وصيرورتها ديانة رسمية باليمن:

وقد نقل (بيوتروفسكي) عن كتاب (تاريخ الكنائس) للمؤلف الروماني (فيلوستروغ) إن الملك الروماني قسطنسوس بن قسطنطين (٣٣٧ ـ ٣٧٠م) بعث الراهب الأنبا (ثيوفيلوس) إلى (ملك حمير) وإنه: «حمل ثيودوسيوس هدايا من الملك قسطنسيوس إلى ملك حمير.. ونجح ثيوفيلوس في إقناع ملك حمير باعتناق الديانة المسيحية. وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها في مدينة ظفار»[٣].

وقال د. يوسف محمد عبد الله: «لعبت مدية ظفار دوراً مهماً في

(١) العصور القديمة ـ د. جيمس بريستد ـ وكتاب المعرفة ـ ترادكسيم.
(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص١٩،
(٣) ملحمة أسعد ـ ميخائيل بيوتروفسكي ـ ص٢٤٢.

محاولات نقل المسيحية إلى اليمن، حيث يفيد مؤلف تاريخ الكنائس اليونانية إنه عُهِدَ إلى ثيوفيلوس أن يصل إلى بلاد حمير عام ٣٥٤م بمهمة إنشاء طوائف مسيحية وبناء بعض الكنائس ومن ضمن ذلك تشييد كنيسة في ظفار»[١].

بينما الذي جاء في كتاب تاريخ الكنائس ـ كما ذكر بيوتروفسكي ـ هو أن الراهب ثيوفيلوس كان مبعوثاً من الملك قسطنسيوس إلى ملك حمير ـ وليس إلى (بلاط حمير) إلا إذا كان د. يوسف يعني (بلاط ملك حمير) وكان ذلك ما بين عام ٣٥٤م وعام ٣٥٧م. وإنه «نجح ثيوفيلوس في إقناع ملك حمير باعتناق الديانة المسيحية».

ولم يذكر (فيلوستروغ) اسم (ملك حمير) ولكننا نعرف مما ذكره المؤرخون العرب الأوائل إنه «الملك عبد كلال بن مثوّب ذي رُعَيْن» وهو الوحيد المذكور من ملوك اليمن بأنه اعتنق الديانة المسيحية، حيث قال ابن خلدون: «وكان عبد كلال يدين بالنصرانية» وقال الطبري: «وُلِّي عبد كلال بن مثوّب ـ المُلك ـ بسن وتجربة وسياسة حسنة، وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الأولى، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان وَفَدَ عليه من الشام»[٢] وقال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير:

أم أين عبدُ كُلال الماضي على دين المسيح الطاهر المسّاح

إن الرجل من غسان الذي دعاه إلى الديانة المسيحية هو الراهب ثيوفلوس «فوفل» مبعوث قسطنسيوس حيث «... حمل ثيوفلوس هدايا من الملك قسطنسيوس إلى ملك حمير ـ ونجح ثيوفلوس في إقناع ملك حمير باعتناق الديانة المسيحية» ـ وهي «دين النصرانية الأولى/ التوحيدية».

وقام ثيوفلوس وملك حمير عبد كلال بتشييد ثلاث كنائس في المدن العواصم الرئيسية الثلاث باليمن في ذلك العصر وهي ظفار وعبدان وصنعاء. وقد ذكر د. يوسف في النص السالف «... بناء بعض الكنائس ومن ضمن ذلك تشييد كنيسة في ظفار»[١] وذكر (بيوتروفسكي) إنها «... ثلاث كنائس، إحداها في ظفار، والثانية في عدن...» والصواب «في عبدان» ولعل بيوترفسكي لم يسمع باسم مدينة عبدان فظن أن المقصود (عدن) والصواب (عبدن) وهي مدينة عبدان عاصمة النصف الشرقي من اليمن بما في ذلك حضرموت والمهرة

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ د. يوسف محمد عبد الله ـ ص٧١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٨٦ جـ٢.

وسقطرى وسأكلن (عمان) كما سلف التبيين. أما الكنيسة الثالثة فلم يذكر (بيوتروفسكي) نص كتاب تاريخ الكنائس عن اسم المدينة التي بنيت الكنيسة فيها، وافترض أنها في (سأكلن/ عمان) ربما لأن اسم (سأكلن) قريب من اسم (سناءن) ونرى إنها مدينة صنعاء.

وكان اسم الكنيسة (قليس) وهي كلمة مأخوذة من الكلمة اليونانية (كليزيا) وتعني (المجمع العام) ثم تحول الاسم (قليس) إلى (كنيس) في عصور لاحقة، أما الاسم الأصلي وفي عصور الدولة الحميرية فهو (قليس). ويدل بناء الكنائس الثلاث في عهد عبد كلال بن مُثوَّب ذي رُعَيْن ملك حِمْيَر بأن الديانة المسيحية الأولى أصبحت ديانة رسمية في اليمن منذ عهده الذي انتهى بوفاته حوالي عام ٤٨٤ للتقويم الحميري (٣٦٩ ميلادية) حيث مات الملك عبد كلال ـ كما ذكر نشوان ـ «. . . على دين المسيح الطاهر المساح».

دلائل وشواهد عصر الديانة المسيحية في اليمن:

إن من دلائل وشواهد عصر الديانة المسيحية باليمن:

١ ـ ما ذكرته المصادر الرومانية (كتاب تاريخ الكنائس) بأن الملك قسطنسيوس بن قسطنطين (٣٣٧ ـ ٣٧٠م) بعث الراهب ثيوفلوس إلى ملك حمير، ونجح ثيوفلوس في إقناع ملك حمير باعتناق الديانة المسيحية وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها في ظفار (قليس ظفار) والثانية في عبدان (مدينة عبدن) أما الثالثة فكانت بمدينة صنعاء (قليس صنعاء). وذلك الملك هو عبد كلال ذو رعين الذي ذكر المؤرخون العرب الأوائل أنه اعتنق دين النصرانية ومات على دين المسيح الطاهر المساح في أواسط القرن الرابع الميلادي (حـ/ عام ٣٦٩م).

٢ ـ جاء ذكر كنيسة ظفار بلفظ «قليسن ظفار» في النقش الحميري المسند رقم (١٠٢٨ جام) باسم (شراحيل بن ذي يزن) وهو مؤرخ بعام ٦٢٣ للتقويم الحميري ويوافق عام ٥١٨ ميلادية[١]. فذلك النقش دليل مادي على وجود كنيسة ظفار (قليس ظفار) منذ أيام عهد عبد كلال (٣٥٧م) إلى عام (٥١٨م) في القرن السادس الميلادي. وقد أحرقها الملك يوسف أسار ذو نواس. «وتذكر سيرة جرجتنوس أسقف ظفار إنه بعد الغزو الأكسومي إلى اليمن

(١) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص١٦٢ ـ النقش رقم ١٠٢٨ جام.

(٥٢٥م) أُعيد بناء كنيسة ظفار»[١]. وذلك في عهد سميفع ملك حمير وحليف الروم وأكسوم (٥٢٥ ـ ٥٣٣م).

٣ ـ ذكر الهمداني في الإكليل وجود (قليس صنعاء) منذ أوائل عصر التبابعة، وإنه قال الشاعر:

بلاد مُلْكِ ضَلَّ مَنْ يقيسُ ... أرضاً بصنعاء لها تأسيسُ
أرضٌ بها غُمدانُ والقليسُ ... بناهما ذو النجدة الرئيسُ
تُبَّعُ مَلْكٍ، وَبَنَتْ بلقيسُ ... فهو بناء السُّؤدد الأنيسُ

وقال: «فإلى قليس بن عمرو، يُنسب قصر القليس بصنعاء وهو بناء قديم»[٢]. وقال الهمداني في الصفة: «غُمدان والقليس محفدا صنعاء»[٢] وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش: «يذهب الهمداني أن الباني للقليس تُبّع أو أحد ملوك حمير، وإن أبرهة صاحب الفيل إنما اتخذه كنيسة لا هو الذي عمرها»[٣]. فالهمداني لم يجزم باسم الذي بَنَىٰ قليس صنعاء وإنه (تُبّع، أو أحد ملوك حمير) وهو فيما قيل «القليس بن عمرو» أو «ذي القليس بن عمرو» بمعنى (صاحب وباني القليس) ولعله كان أميراً نائباً بصنعاء في عهد الملك عبد كلال ذي رعين، ولم يكن القليس قصراً محفداً وإنما كان كنيسة لأن معنى قليس كنيسة، وربما كان في موضع قليس صنعاء قصراً محفداً قديماً فتم بناء القليس هناك في ذات الوقت الذي تم فيه بناء قليس ظفار وقليس عبدان في عهد الملك عبد كلال بأواسط القرن الرابع الميلادي، فما قام به أبرهة الأكسومي في أواسط القرن السادس الميلادي إنما هو تجديد وتفخيم قليس صنعاء كما حدث في قليس ظفار. فقليسا صنعاء وظفار يدلان على الديانة المسيحية في العصر الحميري منذ القرن الرابع الميلادي كديانة رسمية في اليمن.

٤ ـ ويذكر بيوتروفسكي: «إن من الدلائل النقوشية بصدد الديانة المسيحية في اليمن: خدوش منقورة ورسوم صلبان ونقوش في ضواحي نجران وحضرموت وغيرها.. ومنها نقش باسم برق بن مالك عبد المسيح في القرن الخامس الميلادي»[٤].

---

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ يوسف محمد عبد الله ـ ص٧١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٨٧ جـ٢.
(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص٤٠٨.
(٤) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص١٤٢.

٥ ـ ذكر الهمداني في الأنساب بالإكليل ـ في نسب بني يحصب ـ اسم «بولس بن يحصب»[١] وغني عن البيان إن (بولس) هو «أحد حواري السيد المسيح عليه السلام» فتسمية ابن ذي يحصب باسم (بولس) يدل على الديانة المسيحية، وكان (بولس بن ذي يحصب) من الأقيال في عهد (مرثد بن عبد كلال بن مثوب ذي رُعين) ـ بأواسط القرن الرابع الميلادي ـ قال الهمداني: «فأولد بولس: يوسف بن بولس، فأولد يوسف بن بولس: ودد بن يوسف بن بولس وذا ظرية بن يوسف بن بولس، وذا دَدَاين بن يوسف بن بولس..» ومن سلالته «ذو فايش بن يزيد بن مُرّة بن عَرِيب بن مرثد بن يريم بن ودد بن يوسف بن بولس»[١].

وكان ذو فايش من كبار أذواء اليمن في أواسط القرن السادس الميلادي، وكان أولاده من الأقيال القادة في عهد سيف بن ذي يزن (٥٧٠ ـ ٥٩٠م) وكانوا يدينون بالديانة المسيحية، وكذلك كان «سلامة ذو فايش بن يهبر بن ذي فائش. وفيه قال أعشى قيس الجاهلي:

ببعدان أوريمان أو راس سليّة شِفاءُ لمن يشكو السَّمائم باردُ
وذو فائش من رأسه فوق مشرفٍ تقصّر عنه الهاضبات الرواعدُ

وكان قصر ذي فائش بأرياب «وأرياب في رأس جبل أدم من يحصب العلو، وهو رأس صَيد»[١] وصَيد هو نقيل سُمارة الشاهق بمحافظة إب حالياً. وقد ذكر أعشى قيس قصر إرياب في قصائده التي مدح بها سلامة ذا فايش، والمهم هنا أن ذا فايش من أحفاد يوسف بن بولس بن ذي يحصب، وإن بولس اسم حواري المسيح.

٦ ـ إن الديانة المسيحية التي اعتنقها عبد كلال ملك حمير وأصبحت ديانة رسمية في اليمن هي «دين النصرانية الأولى» التي لم يكن فيها «تأليه المسيح» وإنما كانت توحيدية. وقد جاء التوجه بلفظ «إلهنا الرحمن» في عدة نقوش منها النقش (رقم ٦ سي.آي.اتش) والنقش رقم (Res. 5085) المؤرخ بعام ٥٨٥ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٤٥م وهو من عهد حسان بن غمران (٤٣٠ ـ ٤٥٦م) بأواسط القرن الخامس الميلادي.

وفي تلك الفترة وقع انقسام مذهبي مسيحي امتد إلى اليمن. وتعود جذور ذلك إلى أنه «في السنة السابعة عشرة من حكم الملك الروماني ثيودوسيوس

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٤ ـ ١٩٩ جـ٢ وص٤٠٠ جـ٢.

الثاني (٤٠٤ ـ ٤٥١م) كان نسطوريس بطركاً بالقسطنطينية فأقام بطركاً أربع سنين ثم أظهر مذهبه المعروف بالنسطورية، وبلغت مقالته إلى قيراس بطرك الاسكندرية، فاستنكر ذلك، وخاطب بطرك روما وأنطاكية وبيت المقدس، ثم اجتمع مائتا أسقف بمدينة أفسيس وأجمعوا على تكفير نسطوريس، ونفوه، فسكن في أخميم بصعيد مصر سبع سنين... ثم أخذ مذهبه في الانتشار».

وفي أيام الملك الروماني مركيانوس (٤٥١ ـ ٤٥٧م) ـ الذي عاصره الملك حسان بن غمران ـ «انقسم المسيحيون إلى مركية: وهم أهل الأمانة فنُسبوا إلى الملك مركيانوس الذي جمعهم وعَهَدَ بأن لا يُقْبل ما اتفق عليه أهل المجمع الخلقدوني.. وإلى يعاقبة وهم أهل مذهب ديسقر بطرك الاسكندرية الذي كان منفياً.. وإلى نسطورية وهم أتباع مذهب نسطوريس». ويذكر ابن العميد إنه «أخذ بمذهب نسطوريوس نصارى الجزيرة والموصل إلى الفرات والعراق».. (اهـ).

وكذلك وقع الانقسام المسيحي في اليمن إلى مذهبين هما المذهب النسطوري ومذهب الطبيعة الواحدة الذي يبدو أنه المذهب الذي كانت تتبناه الدولة الرومانية وكنائس الشام ومصر وأكسوم وكنيسة ظفار باليمن. يقول بيوتروفسكي: «استوطن نجران بعض المسيحيين من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والذين لعلهم زاحموا النسطوريين في نجران». ويقول: «إن المذهب الوحديطبيعي كان يتميز على ما يبدو بالميل إلى التيار اليولياني (الخيالي الاختلاقي) وقد نادى سيمون البيتار الشامي بمكافحة تطرفه».

٧ ـ تَبَنّىٰ الملك الحميري أسعد بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) المذهب النسطوري المسيحي، وقد نقل بيوتروفسكي عن رسائل سيمون البيتار الشامي «إن النسطوريين في نجران أيّدوا إجراءات الملك أسعد الحميري» [ص٢٤٣] ويبدو أن المذهب النسطوري يتميز بأنه لا يقول بألوهية المسيح بينما مذهب الطبيعة الواحدة يقول بواحدية (الرب ـ المسيح) أو بصيغة (الرحمن وابنه المسيح).

وقد كان من كبار الأقيال في عهد (أسعد تبع بن حسان) ثم حكم بعده «لحيعة يرخم ذوجدن» وتم العثور على نقوش من عهده، جاء في إحداها وهو النقش (رقم ٥١٣ ركمانز) عبارة «وليَرْحَمَنّ أبناء ملكنا ذي جدن الرحمن. آمين» فذلك التوجه إلى (الرحمن) دون ذكر المسيح هو من معالم المذهب النسطوري المسيحي الذي يبدو أنه كان سائداً في كنائس نجران وصنعاء وعبدان، بينما كان مذهب الطبيعة الواحدة هو مذهب كنيسة ظفار ومناطق حمير.

ثم بدأ الصدام بين المذهبين في اليمن في عهد (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) الذي تم العثور على نقشين من عهده أحدهما مؤرخ بعام ٥٩٦ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٨١ ميلادية. وهو الذي «تذكر وثيقة مسيحية أكسومية أن شرحبيل يكل ملك حمير قام بقتل مبشر مسيحي في نجران»[١] واسم ذلك المبشر «أذكر عرفة» وكان يدعو إلى مذهب الطبيعة الواحدة في نجران التي هي من مناطق المذهب النسطوري، فقام الملك شرحبيل يكمل بقتل ذلك المبشر (أذكر عرفة)، فقد كان شرحبيل يكمل يدين بالمذهب النسطوري التوحيدي.

٨ ـ ثم تولى رئاسة الدولة الحميرية «سميفع بن لحيعة يرخم» وهو صاحب النقش رقم (٤٧ ينبق) المؤرخ بعام ٦٢٥ للتقويم الحميري ويوافق عام ٥١٠ ميلادية. وهو «سميفيوس ملك حمير» الذي بعث إليه جوستيان ملك الروم وفداً برئاسة يوليانوس في أوائل القرن السادس الميلادي[٢] وكان سميفع هذا مسيحياً. وقد ذكر بيوتروفسكي إنه «في القرن السادس الميلاد ترسخت في اليمن أسس مذهب الطبيعة الواحدة». وقال إنه: «اقترض ملك حمير مبلغاً كبيراً من المال من أحد أثرياء المسيحيين من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة.. وكان ملك حمير في حالة تبعية اقتصادية كبيرة للمسيحيين الأثرياء من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة في نجران»[٣] وربما أيضاً في ظفار وكان يحكم ظفار ومناطق حمير آنذاك (الحارث بن عبد كلال الثاني) ـ في إطار الدولة الحميرية الاتحادية ـ وكانت كنيسة ظفار تدين بمذهب الطبيعة الواحدة، فانتشر ذلك المذهب إلى نجران والمناطق التابعة لكنيسة نجران، بينما استمر المذهب النسطوري في كنيستي صنعاء وعبدان. وقد انتهى عهد سميفع هذا بتمليك يوسف أسار عام ٥١٥م. فاجتاح يوسف أسار مدينة ظفار وقتل الحارث بن عبد كلال وأحرق كنيسة ظفار (قليس ظفار) بمن تحصن فيها من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة عام ٥١٧م ولم يكن يوسف أسار يدين باليهودية وإنما كان يدين بالمذهب النسطوري المسيحي، ومما يؤكد ذلك ما نقله بيوتروفسكي-عن سيمون البيتار قائلًا: «في خطابات الملك يوسف (أثناء حصار ظفار ونجران) ينتقد مذهب الطبيعة الواحدة وينادي بالتخلي عن تأليه المسيح والذي تخلى عنه سائر النصارى»[٣].

---

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ عن كتاب بيدستون ص٢٧٢ + النقش رقم Res ٣٩٠٤.
(٢) اليمن وحضارة العرب ـ عدنان ترسيسي ـ ص٣٢.
(٣) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص٢٤٠ ـ ٢٤٦.

وسنذكر الكثير من حقائق عهده في المبحث الخاص بعهده الذي انتهى كما هو معروف بمقتله عام ٥٢٥م.

٩ ـ ثم تولى رئاسة الدولة الحميرية «سميفع بن شرحبيل» وفي عهده (٥٢٥ ـ ٥٣٣) أصبح مذهب الطبيعة الواحدة الديانة الرسمية حيث جاء التوجه في نقشه باسم «الرحمن وابنه المسيح المنتصر»[١] ويتبين من مجمل ما تقدم أن المسيحية كانت ديانة رسمية للدولة الحميرية وملوكها منذ عهد عبد كلال ذي رعين إلى نهاية عصر الدولة الحميرية بالقرن السادس الميلادي.

المبحث الرابع

عهد مَرْثَد بن عبد كُلال...
معاصر ظهور أهل الكهف
(٤٨٤ ـ ٥٢٣ حميري/ ٣٦٩ ـ ٤٠٨م)

في حوالي عام ٣٦٩م (٤٨٤ حميري) توفي ملك حمير الذي ذكرت المصادر الرومانية إنه اعتنق الديانة المسيحية (حـ/ عام ٣٥٧م) وهو (عبد كُلال بن مَثُوّب ذو رُعَيْن) والذي قال عنه نشوان الحميري:

أمْ أينْ عبدُ كُلال الماضي على ... دين المسيح الطاهر المساح

قال الهمداني في شرح الدامغة: «... ثم مَلَكَ مرثد بن عبد كلال إحدى وأربعين سنة»[٢].

ونقل ابن خلدون عن المسعودي أنه «... مَلَكَ مرثد بن عبد كلال أربعين سنة»[٣].

وقال ابن خلدون: «قال الجرجاني... مَلَك مرثد بن عبد كلال إحدى وأربعين سنة»[٣].

ولما يتم العثور على نقش باسمه ومن عهده لندرة النقوش في عصر الديانة المسيحية إلا أنه يتحقق العلم بما ذكره الهمداني والجرجاني والمسعودي وابن خلدون بملوكية ورئاسة مرثد بن عبد كلال للدولة الحميرية وإنه حكم زهاء

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ عن كتاب بيدستون ص٢٧٢ + النقش رقم Res ٣٩٠٤.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص٥٤٠.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٢.

أربعين سنة فيكون عهده في الفترة ٤٨٤ ـ ٥٢٣ للتقويم الحميري الموافق ٣٦٩ ـ ٤٠٨ ميلادي.

وتتيح كتب التاريخ إدراك أن من معالم ذلك العهد وتلك الفترة ما يلي:

كانت الديانة المسيحية قد أصبحت ديانة رئيسية في اليمن باعتناق الملك عبد كلال للمسيحية وبناء ثلاث كنائس في صنعاء وظفار وعبدان (عام ٣٥٧م) ثم بُنيت كنيسة رابعة في نجران فيما بعد. فكانت المسيحية ديانة رئيسية باليمن في عهد مَرْثَد بن عبد كلال بن مُثَوّب ذي رُعَين.

وقد عاصر مرثد بن عبد كلال الملك الروماني ثيودوسيوس الأول (حـ/ ٣٧٩ ـ ٣٩٩م) وهو «تاوداسيوس الكبير» قال ابن خلدون: «قال ابن العميد ـ مؤرخ النصارى ـ: وفي خامسة عشر من مُلك تاوداسيوس ظهر الفتية السبعة أهل الكهف الذين ناموا أيام دقيانوس ولبثوا في نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين كما قصّه القرآن. وبلغ الأمر إلى قيصر تاوداسيوس فبعث في طلبهم فوجدهم قد ماتوا فأمر أن تُبنى عليهم كنيسة ويُتخذ يوم ظهورهم عيداً»[١].

قال الحافظ ابن كثير: «اختلف العلماء في محلة هذا الكهف فقال كثيرون هو بأرض أيلة. وقيل بأرض نينوى. وقيل بالبلقاء. وقيل ببلاد الروم وهو أشبه واللّه أعلم»[٢] أما اسم مدينتهم فيقال «كان اسمها دفسوس»[٢].

وقال ابن المجاور الدمشقي: «في بعض كهوف جبل صَبِرْ ـ باليمن ـ أصحاب الكهف والرقيم وهم الذين قال اللّه عزّ وجل فيهم: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا . . .﴾ [الكهف: ٢٥] فإن قال قائل: ليس القوم في هذا الإقليم (أي اليمن) قلنا: بَلَى لأن دقيانوس هو الملك الذي أسس مدينة الكَدْراء وسكن الجَنَد. . وبنىٰ في فضاء الجَنَد بلداً سمّاه الأفيوس ـ أو الأُفسوس ـ وبه كانت وقعة أهل الكهف مع دقيانوس الملك. . . وكان القوم من أهل الأُفسوس، فلما تمّ لهم ما تمّ وخرجوا من مدينتهم صعدوا جبل صَبِرْ فأوَوْا إلى كهف وجرى عليهم ما جرى، وكلبهم معهم. . . (وما يزال) على باب الغار مسجد، وعلى باب المسجد عين تسمّى عين الكوثر، وهو موضع فاضل مزار في العاشر من رجب»[٣].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢١٤ جـ٢.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١١٥ جـ٢.

(٣) المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٥٨ و١٦١.

ويمكن القول على ضوء ما سلف أن ظهور أهل الكهف كان في زمن الملك الروماني ثيودوسيوس الأول ـ كما ذكر ابن خلدون وابن العميد ـ ولكن مكان كهفهم وظهورهم اختلف فيه العلماء المؤرخون، وينحصر ذلك في ثلاث مناطق إما الشام (إيله ـ البلقاء) وكان يحكمها الغساسنة في إطار الأمبراطورية الرومانية ـ وإما (بلاد الروم) ـ دون تخصيص أي بلدان الأمبراطورية الرومانية ويشمل ذلك الشام ـ وإما في مكان محدد بدقة وهو (جبل صَبِرْ في تعز باليمن) كما ذكر ذلك ابن المجاور، بالتفصيل، وكان ملك اليمن آنذاك مرثد بن عبد كلال وكان له أمير نائب في مخلاف المعافر وكان جبل صبر من مناطق مخلاف المعافر وهو من مناطق حِمْير.

وأياً كان المكان فإن ثيودوسيوس لما بلغه خبر أهل الكهف ربما أصدر مرسوماً بأن يُتخذ يوم ظهورهم عيداً في كل البلدان التي كان فيها الديانة المسيحية وفيها كنائس مسيحية. وشمل الاحتفاء بذلك اليوم الدولة الحميرية في اليوم الموافق العاشر من شهر رجب في كل عام، طيلة زمن الدولة الحميرية.

وكان من معالم فترة عهد مرثد بن عبد كلال استمرار نفوذ الدولة الحميرية في شمال الجزيرة العربية من خلال ملوكية وزعامة كندة التي بدأت بتمليك حُجْر آكل المرار بن عمرو الكندي على الحجاز ونجد وقبائل نزار في عهد تُبع ملشان حيث ـ كما ذكر ابن خلدون ـ «لما دوّخ تُبّع بلاد العرب وسار في الحجاز وهمّ بالإنصراف، ولّى على معد بن عدنان كلها حُجر آكل المُرّار بن عمرو الكندي». وجاء في كتاب أيام العرب إنه «كان حُجر آكل المرّار والي الحجاز لتُبّع ملك اليمن». ويمكن تقدير بداية حكم حجر آكل المرار بحوالي عام ٣٢٠م. وقد مكث ملكاً نائباً بالحجاز ونجد فترة طويلة حيث «دانوا له وسار فيهم أحسن سيرة حتى وفاته». ـ في عهد عمرو بن تُبّع ملشان وعبد كلال بن مثوب ذي رُعَيْن.

قال ابن خلدون: «ثم مَلَك بعد حجر آكل المرّار ابنه عمرو المقصور. قال الطبري... وكان عمرو بن تُبّع ذا رأي ونُبل فأراد أن يكرم عمرو بن حجر، فزوّجه بنت أخيه حسان». (اهـ) ـ وفي تلك الرواية التباس لأن المفروض أن (عمرو بن تُبّع) هو (عمرو بن حسان) والمقصود (عمرو بن ملشان) ـ وجاءفي شرح الدامغة للهمداني إنه «ولّى عمرو بن حسان عمراً المقصور على معد، وهو خاله، كانت أم عمرو المقصور بنت حسان، ورتّبه بالمُشقّر حصن البحرين»[1].

(١) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص١٢٦.

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن أُم عمرو المقصور بن حجر آكل المُرار هي بنت تُبّع ملشان ذي يزن. وقد مكث عمرو بن حُجر آكل المرار ملكاً لشرق شمال الجزيرة والبحرين وكان مقره حصن المشقر ـ إلى عهد مرثد بن عبد كلال ـ وكان (معاوية الجون بن حجر آكل المرار) ملكاً بمنطقة أخرى من شمال الجزيرة فقد كان في كل عهد عدد من الملوك النواب الكنديين بمناطق شمال الجزيرة، ويكون أحدهم بمثابة الملك.

نبأ دولة غسان في ذلك العهد:

وكانت الدولة الحميرية على علاقة جيدة بدولة الغساسنة اليمنيين في الشام وقد جاء ذكر الشام باسم (أرض غسان) في نقش عبدان الكبير المؤرخ بعام ٤٧٠ للتقويم الحميري (٣٥٥م).

ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنه قال الأستاذ أحمد أمين: «إن تاريخ الغسانيين بالشام من الأمور الغامضة في تاريخ العرب... وقد امتد حكمهم على مقاطعتي حوران والبلقاء، ويظهر أنه لم يكن لهم مقر مُلك ثابت، فأحياناً يفهم من قول الشعراء أن الجولان والجابية عاصمتهم، وأحياناً يذكرون جِلق على أنها العاصمة»(١).

ويتبين من البحث في المصادر التاريخية ما يلي:

ـ إن دولة الغسانيين بالشام بدأت بشكل رسمي في أوائل القرن الرابع الميلادي حيث كما قال ابن خلدون: «وتفردت غسان بملك الشام وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس، فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فارساً، فكتب إليهم واستدناهم، ورئيسهم يومئذٍ ثعلبة بن عمرو، كتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمر أمدهم بأربعين ألفاً من الروم، وإن دهمه أمر أمدته غسان بعشرين ألفاً من العرب، وثبت ملكهم على ذلك وتوارثوه... قال ابن سعيد: وأول من مَلَك من غسان بالشام جفنة بن عمرو، ونقل عن صاحب تواريخ الأمم: لما مَلَك جفنة، بَنَىٰ جِلّقْ وهي دمشق، ومَلَك خمساً وأربعين سنة.. وقال المسعودي: أول من ملك منهم الحارث بن عمرو.. وقال الجرجاني: أول من ملك منهم ثعلبة بن عمرو»(٢).

وسبب ذلك أن الملوك الغسانيين كان منهم عدد من الملوك في كل عهد

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص١٧.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٩٥ ـ ١٩٧.

(ربما ثلاثة في كل عهد) يكون أحدهم ملكاً في جِلق دمشق وأحدهم ملكاً في جابية الجولان وحوران وأحدهم ملكاً في البلقاء (الأردن) وهكذا... ويكون أحدهم هو الملك الأعلى «ملك جميع العرب بالشام».

لقد قال أحمد أمين أنه: «... امتد حكم الغسانيين على مقاطعتي حوران والبلقاء. ويظهر أنه لم يكن لهم مقر مُلك ثابت، فأحياناً يفهم من قول الشعراء أن الجولان والجابية عاصمتهم، وأحياناً يذكرون جِلق على أنها العاصمة». بينما قال الأستاذ حنا فاخوري: «مملكة الغساسنة كانت في بلاد حوران، أي في بُصرىٰ وما حولها»[١]، وقال المستشرق (نولدكه): «نستدل من اتخاذ الجولان قاعدة لمُلك بني جفنة ـ الغسانيين ـ ومن الأهمية التي أصبحت للجابية، إن في سهول الجولان كان مركز الجفنيين الخاص»[٢] وقال هنري لامنس: «إن الغسانيين... كانت عاصمتهم وكرسي دولتهم في الجابية في الجولان»[٣].

ولكن جابية الجولان كانت إحدى عواصمهم وليست الوحيدة، لأن المصادر التاريخية ذكرت أيضاً جِلق دمشق، وبصرى في حوران، والبلقاء، وحارب، بأنها عواصمهم، مما دفع د. عمر شرف الدين إلى أن يقول: «لم يكن للغساسنة حاضرة ولا مقر واحد» بينما الصواب أن تلك المدن كلها كانت عواصمهم وكان في كل منها ملك منهم، ولكن واحداً منهم كان الملك الأعلى وهو «الأول بين متساويين».

قال حسان بن ثابت يذكر المدن العواصم لبني جفنة الغسانيين:

لِمن الدار أسفرت بمعانِ ... بين أعلى اليرموك فالصمان
فَجِملىٰ جاسم إلى بيت راسٍ ... فالحواني فجابة الجولان[٤]
فالقريّات من بلاسٍ فداريا ... فسكاء فالقصور الدواني
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر ... وحتى تقادم الأزمان
صلوات المسيح في ذلك الدير ... دعاء القسيس والرهبان
قد دنا الفصح فالولائد ينظ ... من سريعاً أكلّة المُرجان

وبلاس المذكورة في شعر حسان هي (بالس في الدهناء ومنها تخرج إلى

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ حنا فاخورس ـ ص٧٧.
(٢) أمراء غسان ـ ثيودور نولدكه ـ ترجمة جوزي رزيق ـ ص٥٢.
(٣) الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة ـ د. عمر شرف الدين ـ ص١٣٩.
(٤) معان والصمان وجاسم وبيت راس بالأردن ـ البلقاء ـ وجابة الجولان: جابية الجولان.

تدمر)، والقصور الدواني هي قصور جِلَق دمشق. وقال النابغة الذبياني لأحد ملوك غسان:

لئن كان للقبرين، قبرُ بجِلقٍ وقبرٌ بصيدا التي عند حارب
وللحارث الجفني سيد قومه ليلتمسن بالجمع أرض المحاربِ

قال ابن خلدون: ومن الملوك الغسانيين «النعمان بن عمرو بن المنذر بن الحارث الذي بنى قصر السويداء وقصر حارب عند صيدا». [ص٢٠٢] ـ فكان قصر حارب في صيدا بلبنان من عواصم الملوك الغسانيين، وكذلك قصر السويداء في أعالي سورية. ويتبين من مجمل ذلك أن سلطان الملوك الغسانيين كان يمتد في أرجاء الشام من معان ـ في جنوب الأردن ـ إلى صيدا ـ في لبنان ـ ومن الدهناء وتدمر في سورية إلى السويداء.. أما العاصمة الرئيسية للملوك الغسانيين اليمنيين فكانت جِلق دمشق. قال حسان بن ثابت:

للّه درّ عصابة نادمتُهم يوماً بِجِلق في الزمان الأولِ
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المُفْضَلِ
يُسقون مِنْ وردِ البريص عليهمُ بَرَدَىٰ يُصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شُمّ الأنوف من الطراز الأول

وقال حسان بن ثابت للملك جَبَلة بن الأيهم الغساني:

أشْهِرنها فإن مُلكك بالشا م إلى الروم فخر كل يماني

وكان أول الملوك الغسانيين جفنة بن عمرو، حكم ٤٥ سنة، في حوالي ٢٨٠ ـ ٣٢٤م، وعاصر الملك الروماني قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٦م) ومَلِك اليمن تُبع ملشان ذي يزن.

ثم حكم ثعلبة بن جفنة مع أبيه وبعده (٣٠٦ ـ ٣٤٤م). قال المسعودي «ثم الحارث بن ثعلبة بن جفنة، وهو ابن مارية ذات القرطين». وقد حكم في الفترة (٣٤٥ ـ ٣٨٤م) وعاصر الملك الروماني قسطنسيوس بن قسطنطين (٣٣٧ ـ ٣٧٠م) ثم ثيودسيوس الأول (٣٧٩ ـ ٣٩٩م) ومرثد بن عبد كلال ملك اليمن.

دولة المناذرة اليمنيين في ذلك العهد:

وكان المناذرة اليمنيون يحكمون إمارة الحيرة وما إليها من العراق حتى نهر الفرات في إطار الأمبراطورية الفارسية. ويقول الأستاذ أحمد أمين: «كان النظام المتبع أن عرب الحيرة يقدمون الطاعة لملك فارس، وهو يولي عليهم أميراً من

أنفسهم، وعليهم أن يحموا فارس من كل مغير من نواحيهم، والفرس مقابل ذلك يعفونهم من دفع الأتاوة، وفوق هذا كان عرب الحيرة لا يرتبطون بفارس إلا بما توجبه المعاهدات عليهم. وقد اعتاد ملك الفُرس أن يُنَصِّب أميراً من قبيلة لَخْم وهي قبيلة من أصل يمني... وكان عرب الحيرة إذ ذاك في رخاء لخصب أرضهم وغنى إقليمهم، وكانوا هم الصلة بين الفُرس وعرب الجزيرة، يحملون إليهم التجارة الفارسية ويبيعونها في أسواقهم... وفي عهد يزدجرد الأول (٣٩٩ ـ ٤٢٠م) أرسل الملك ابنه (بهرام) إلى عرب الحيرة لينشأ بينهم، ويتعلم الصيد، وينعم بجودة الهواء. وذلك في عهد النعمان الأول...» [ص١٧ ـ فجر الإسلام].

وكان المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر قد حكم في الفترة ما بين (٣٦٥ ـ ٣٩٠) ثم حكم بعده النعمان الأول بن المنذر (حوالي عام ٣٩٠ ـ ٤٢١م) وقد عاصر المنذر والنعمان مرثد بن عبد كلال ملك اليمن. قال ابن خلدون: «... وقال المسعودي: مَلَكَ المنذر خمساً وعشرين سنة. ثم مَلَكَ النعمان بن المنذر خمساً وثلاثين سنة وهو الذي بنى الخورنق... وقال ابن سعيد: إن النعمان باني الخورنق والسرير على مياه الفرات، ومَلَكَ إلى أن ساح وتزهد ثلاثين سنة. [وذكر البيهقي: إن النعمان أول من تنصَّر من ملوك الحيرة]. ومَلَكَ بعده ابنه المنذر بن النعمان وهو الذي سعى لبهرام جور في المُلك حتى تم له». قال أحمد أمين: «وكان بهرام جور هذا يعرف العربية كما يعرف اليونانية، وقد نازعه على المُلك أخوه بعد وفاة يزدجرد، فعاونه العرب وتعصبوا له، فلما اعتلى عرشه لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد عليه، فَقَرّبهم وأعلى شأنهم» [ص١٧] قال ابن خلدون: «لما هلك يزدجرد اجتمع أهل فارس وولوا عليهم شخصاً من ولد أردشير وعَدَلوا عن بهرام لمرباه بين العرب وخلوه عن آداب العجم. وجهز المنذر العساكر لبهرام لطلب مُلكه، وقدم ابنه النعمان فحاصر مدينة الملك، ثم جاء المنذر على أثره بعساكر العرب ـ (قال المسعودي: وسار مما يلي اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعدّ وعليهم العباس الأول وعمرو الأفوه) ـ فاذعن لبهرام أهل فارس وأطاعوه، واستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام فعفا عنهم واجتمع أمره، ورجع المنذر إلى بلاده) [ص١٥٨] وقد حكم بهرام جور في الفترة (٤٢١ ـ ٤٣٨م) وحكم المنذر بن النعمان بن المنذر في الفترة (حوالي ٤٢٢ ـ ٤٤٥م. تقريباً)، وكان المناذرة في الحيرة وغسان بالشام يدينون بالديانة المسيحية التي كانت ديانة رئيسية في الدولة الحميرية حيث انتهى عهد مرثد بن عبد كلال بوفاته حوالي عام ٤٠٨م.

المبحث الخامس

عهد وليعة بن مرثد بن عبد كلال...

وبريل ذي يزن

(٥٢٣ ـ ٥٦٠ حميري/ ٤٠٨ ـ ٤٤٥م)

قال الحسن الهمداني: «... مَلَك مرثد بن عبد كلال إحدى وأربعين سنة، ثم مَلَك وليعة بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة وكان منقطع النظير»[١].

وقال ابن خلدون: «قال الجرجاني... مَلَكَ من بعد مرثد بن عبد كلال ابنه وليعة بن مرثد سبعاً وثلاثين سنة، ثم مَلَكَ من بعده أبرهة ابن الصباح بن لهيعة بن شيبة بن مرثد ينكف.. قال الجرجاني: وبعض الناس يزعم أن أبرهة بن الصباح إنما مَلَكَ تهامة فقط. قال: ثم مَلَكَ من بعده حسان بن عمرو... وقال المسعودي: مَلَكَ مرثد بن عبد كلال أربعين سنة، ومن بعده وليعة بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة، ومن بعده أبرهة بن الصباح بن لهيعة ويدعى شيبة الحمد وكانت له سير وقصص، ومن بعده عمرو ذوقيفان بن شراحيل بن ذي يزن تسع عشرة سنة.. وقال ابن سعيد: مَلَكَ مرثد بن عبد كلال، ثم ابنه وليعة، وكثرت الخوارج عليه، وغلب أبرهة بن الصباح على تهامة اليمن، وكان في ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو»[٢].

وتتبين من مجمل ذلك ومن معطيات المصادر التاريخية والقرائن الزمنية عن ذلك العهد أن أولئك الملوك كانوا في نفس العهد والفترة الزمنية:

١ ـ ملوكية وليعة بن مرثد بن عبد كلال:

وهو وليعة بن مرثد بن عبد كلال بن مُثَوّب بن ذي رُعَيْن. وقد حكم زهاء ٣٧ سنة، فيكون ذلك في الفترة ٥٢٣ ـ ٥٦٠ للتقويم الحميري الموافق ٤٠٨ ـ ٤٤٥ ميلادية. وكان ـ كما قال الهمداني ـ منقطع النظير. إلا أنه ـ كما نقل ابن خلدون عن ابن سعيد ـ «كثرت الخوارج عليه». أي إن العديد من الأذواء والأقيال خرجوا عن طاعته. فلم تعد رئاسته تشمل كل الدولة الحميرية.

وربما يتصل ذلك بفشل حملة عسكرية قادها حسان بن عبد كلال إلى الحجاز. فقد نقل الهمداني عن الخضر عن محمد بن حاتم عن عمار بن الحسن

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤٠.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٢.

عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق رواية تقول إنه: (أقْبَلَ حسان بن عبد كلال بن ذي حرث من اليمن في حِمْيَر وقبائل من اليمن يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكة إلى اليمن، ليجعل حج الناس البيتَ عنده وإلى بلاده، فأقبل حتى نزل موضع نخلة ـ (وهو شرق مكة) ـ فأغار على سَرْح الناس ـ أي ماشيتهم ـ ومنع الطريق، وهاب أن يدخل مكة، فلما رأت كنانة وقريش ومن كان معهم من أفناء مُضَر ذلك، خرجوا إليه ورئيس القوم يومئذٍ فِهر بن مالك فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهُزِمت (جنود) حمير، وأُسر حسان بن عبد كُلَال ملك حمير، أسره الحارث ابن فهر، وقُتل في المعركة فيمن قُتِل من الناس: قيس بن غالب بن فهر، وكان حسان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين، حتى أُفتدي منهم، فخرج، فمات ما بين مكة واليمن»[1].

وقد نفى أبو نصر اليهري إن من ولد عبد كلال حسان بن عبد كلال بن ذي حرث ـ كما جاء في تلك الرواية ـ. وقال الهمداني: «ما سمعتُ العلماء ولا أحد من عُرَّاف (تاريخ) حمير، يثبت هذه الحرب التي كانت بين حمير وقُريش، وإنما كانت خُزاعة الغالبة في عصر فهر على مكة. ولم يكن همّ بحمل حجارة البيت سوى تُبّع بمشورة هذيل بن مدركة»[1].

وأرى أن الرواية أخطأت بقولها إنه «حسان بن عبد كلال بن ذي حرث» وإنه «ملك حمير» فيمكن أن يكون الصواب «حسان بن عبد كلال بن مثوب» والمهم إنه «حسان بن عبد كلال» ولم يكن ملكاً وإنما كان من البيت الملكي، أما الملك فكان وليعه بن مرثد بن عبد كلال... ولم يكن هدف حسان بن عبد كلال نقل أحجار الكعبة من مكة، فآل عبد كلال كانوا يدينون بالديانة المسيحية، فيمكن أن يكون ما قام به حملة حربية. وقد كانت زعامة مكة في قبيلة خزاعة اليمنية ـ كما ذكر الهمداني ـ وباتفاق جميع المؤرخين، فكان ولاة البيت وقادة الحرب من خزاعة. فربما كان من خزاعة قائد اسمه فهر بن مالك لأن الأسماء تتشابه، وكان قريش ومن معهم من عشائر مضر ونزار تابعين لخزاعة فيمكن أن يشتركوا مع خزاعة في التصدي لحملة حسان بن عبد كلال، وانتهت الحملة بالفشل ووقوع حسان بن عبد كلال أسيراً بيد خزاعة وقائدها في مكة، فمكث أسيراً ثلاث سنين حتى أُفتدي منهم فخرج من مكة عائداً إلى اليمن فمات في الطريق.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٥٧ ـ ٣٥٩ جـ٢.

إن تلك الحملة الفاشلة قد أدت ـ فيما يبدو ـ إلى إضعاف قوة وهيبة الملك وليعة بن مرثد بن عبد كلال كرئيس للدولة الحميرية، فخرج عن طاعته العديد من الأذواء والأقيال بمناطقهم، وانحصر حكمه على ظفار والمناطق التي أقيالها من آل ذي رعين وهي مناطق كثيرة، ولكنه لم يعد ملكاً ـ تُبّعاً ـ لكل اليمن.

٢ ـ رئاسة بريل ذي يزن للدولة الحميرية:

وفي نفس عهد وليعة بن مرثد بن عبد كلال وقع ما ذكره ابن خلدون والمسعودي بأنه «مَلَكَ عمرو ذوقيفان بن شراحيل ابن ذي يزن تسع عشرة سنة». وقد ذكره نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير بلقب ذي قيفان حيث قال:

أمْ أيــنَ ذوقَـيْـفــان أو ذو أصْـبَـحٍ لـم يـنـجُ بـالإمـسـاء والإصـبـاح

ثم قال إنه «ذو قَيْفان بن شرحبيل بن أساس»[١]. وكذلك جاء في الإكليل إنه «ذو قيفان بن شرحبيل بن أساس بن ذي جَدَنْ»[٢] فلم يكن اسمه (عمرو) وإنما كان اسمه (بريل) واشتهر بلقب (ذي قيفان) وهو ـ كما ذكر ابن خلدون والمسعودي ـ حفيد ذي يزن. فيكون نسبه «بريل بن شرحبيل بن أساس بن ملشان ذي يزن». وهو في ذات الوقت «ذو يزن» في عهده.

وقد تم العثور على نقش باسمه في موقع (شِعب ينبق) وجاء اسمه ولقبه في النقش كما يلي:

«بريل ذو يزن ويلغب. كبير أقيال رثحم وضيفتن ومشرقن»[٣].

وهذا اللقب يعني أنه بمثابة رئيس الدولة الحميرية، فهو رئيس وكبير أقيال النصف الشرقي من اليمن (مشرقن) وهو في ذات الوقت كبير أقيال ضيفتن ـ أي كبير الأقيال من بني ضيفتن (وهم بنو ضيفي) المذكورين في الإكليل باسم (بني ضيفي) حيث قال الهمداني: «إن آل ذي يزن وآل خنفر وآل ذي أصبح ابن عمرو بن الحارث ذي أصبح وآل الصباح بن شرحبيل بن لهيعة كانوا إلباً ويداً واحدة، على حد القرابة والدعوة إلى صيفي. ويشهد بذلك قول ابن أبان:

فـنـاديـتُ فـي حـيّ الأزوّن وخـنـفـر ورهـط بـني سُـخْـط وحـيّ الأصـابـح
فـجـاءوا عـلـى قُـبّ تـغـادى كـأنـهـا يعاسيب في يوم من الدجن ساجح

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٦٤.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٠٢/ ٢.
(٣) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ النقش رقم ٣٨ ينبق.

من أبناء صيفيّ ذوي المُلك والحجا وأهل المساعي والحلوم الرواجح»[١]

وفي إطار رئاسة بريل ذي يزن كان ما ذكره ابن خلدون عن ابن سعيد من «أن وليعة بن مرثد كثرت الخوارج عليه، وغلب أبرهة بن الصباح بن شرحبيل بن لهيعة على تهامة اليمن» (اهـ).

وكان الصباح بن شرحبيل بن لهيعة من كبار الأقيال والأذواء، وكان مقره مدينة مَوْكل الحميرية في منطقة مخلاف صباح في رداع، محافظة البيضاء حالياً، ويقع حصن موكل في الجنوب الشرقي من مدينة ذمار ببضع ساعات، وهو مقابل لهِكر من الجنوب. وهكر في منطقة عنس (محافظة ذمار حالياً). وكانت قيالة صباح بن شرحبيل ثم أبرهة بن الصباح بن شرحبيل تشمل تلك المناطق وغيرها، ومقره مدينة موكل.

قال نشوان الحميري:

والقَيْلُ أبرهة ابن صباح قضى نحباً وأبرهة أبو الصباح

ثم قال هو: «أبرهة بن الصباح. القيل. بن شرحبيل بن لهيعة بن مرثد الخير بن ينكف ينوف بن شرحبيل شيبة الحمد بن معدي كرب بن مصبح [مضحى] بن عمرو بن الحارث ذي أصبح بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر. وكان قَيْلًا عظيماً جواداً. وفيه يقول قس بن ساعدة الإيادي:

وعلى الذي كانت بموكل داره يعطي القيان وكل أجرد شاحي

وموكل قصر على جبل في بلاد عنس في يماني أفيق». [ص١٧٠] وقال الهمداني في شرح الدامغة: «مَلَكَ أبرهة بن الصباح بن شرحبيل ٩٣ سنة ثم مَلَك حسان بن عمرو» قال الهمداني: «... وفي أبرهة بن الصباح بن شرحبيل بن لهيعة يقول لبيد:

وغَلَبْن أبرهة الذي ألفيْنَه قد كاد يخلُدُ فوق غُرفة مَوكل»

[ص١٥٧/ ٢].

وقد كان أبرهة ابن الصباح رئيساً قَيْلًا على مناطق موكل وهكر ورداع والبيضاء وعنس وذمار، وامتدت قيالته إلى مناطق تهامة اليمن حتى ساحل البحر الأحمر، وذلك في إطار رئاسة بريل ذي يزن للدولة الحميرية والتي كانت تمتد شرقاً إلى حضرموت ومهرة وسأكلن عُمان وكذلك إلى جزيرة سُقطرى جنوباً، وإلى صنعاء ومخاليفها شمالًا...

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٤/ ٢.

وكان من الأقيال في عهد ذي قيفان بريل ذي يزن ـ ثم بعده ـ أيضاً:

ـ «ذو سَبَطَان بن ذي قيفان بن شرحبيل. وذو داعر بن ذي قيفان بن شرحبيل»[١] وإلى ذي سَبَطان يُنسب (بيت سَبَطان) أي قصر سَبَطان في ضواحي صنعاء، ومكان القصر حالياً قرية (بيت سبطان) بضواحي صنعاء والتي ما تزال تحمل اسم بيت سبطان حتى اليوم.

ـ وذو بَيْح بن ذي قيفان بن شرحبيل. قال الهمداني: «ومعنى ذي بيح: ذو خيرة القوم وشرفهم. وفي كلام أهل صنعاء القديم وكلام حِمْير: هو بَيْح القوم أي أكملهم وخيرهم»[١].

وقال نشوان في شمس العلوم: «البيح: العز والشرف. قال طرفة يفتخر:

يحسب مَنْ حاورنا أننا ... حِمْير من صوت الوغى والبُيُوح

شبّه قومه بحِمْيَر لعزهم وشرفهم وكثرة عددهم وأموالهم. وذو بَيْح: اسم ملك من ملوك حمير، مأخوذ من ذلك. أي ذو الشرف والعزّ. وهو ذوبيح بن ذي قيفان بن شرحبيل»[٢].

ـ «وغيمان بن أخنس بن كبر إل». وهم بنو «كَبْر إل بن هامان بن الحارث/ من بني مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن صيفي (ضيفتن/ ضيفي) بن حِمْير الأصغر». قال الهمداني:

«أولد كَبْرَ إل: أخنس، وزيداً. إبني كبر إل.

فأولد أخنس: غيمان والفياض وشرحبيل ويعفر. أربعة نفر بني أخنس بن كبر إل.

فأولد غيمان: زُرعة وحسان، ابنيّ غيمان». [ص١٣٩/ ٢].

وغيمان هذا هو «ذو غيمان» صاحب قصر ومدينة غيمان التي تقع في بني بهلول جنوب مدينة صنعاء، وأذواء غيمان قدماء من عصور سبأ، ولكن في هذا العهد والعصر أصبح (ذوغيمان) هو «غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إلْ». وقد يكون لقبه (ذوغيمان) واسمه الشخصي (غمران) لأن «حسان بن غيمان» هو الملك المذكور باسم (حسان بن عمرو) وهو «حسان بن غمران».

لقد انتهى عهد بريل ذي يزن ـ (الذي هو ذو قيفان بن شرحبيل بن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٩٩ جـ٢.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص٢٠١ جـ١.

أساس بن ملشان ذي يزن) ـ في حوالي عام ٥٤٥ حميري (٤٣٠م) وكانت مدة حكمه كما ذكر المسعودي «تسع عشرة سنة».

ثم اشترك بنو ملشان ذي يزن وبنو غمران (ذي غيمان) في رئاسة الدولة. فقد تم العثور على نقش بأسمائهم، ولكن الأسماء انطمست أغلب حروفها، وبقي اللقب، وذلك كما يلي:

«. . . ن م/ . . . و م/ يزيد/ و. . . / و. . . زيد/ وسفم يهسكر/ وملشن يهنم/ . . . . . ».

ثم «أذواء يزأن ويلغب وذي كبران وخسين وصدقين وذي يصبر/ . . أقيال رثحم وضيفتن»[1].

وقد علّق وتساءل د. بافقيه قائلًا: «ماذا يعني انقسام السلالة إلى فرعين، أحدهما يحمل الاسم القديم (بنو ملشان)، والآخر له اسم جديد هو (بنو نمران) ـ أو (بنو غمران)؟ ومن هو نمران (أو غمران)؟. . .»[1].

وأقول: إن (غمران) هو (ذو غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إل. . .) في الإكليل. وقد جاء في اللقب في النقش «بني ذي كَبْرَ إل وخسين. . .» أي: بني كَبْرَ إل) و(بني خسين بن كبر إل) الذي هو (أخنس بن كبر إل) في الإكليل. ولم تنقسم الأسرة إلى فرعين وإنما اشتركت أسرتان في الحكم وهم بنو ملشان ذي يزن وبنو غمران (ذي غيمان بن أخسين بن كَبْر إل) وهم من بني ضيفي ـ كما تقدم ـ ثم انعقدت رئاسة الدولة لحسان بن غمران والذي باسمه يبدأ ذلك النقش فاجتمع له حكم كل اليمن، وقيل له: تُبّع.

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٤٨.

تاريخ العصر الثاني
لدولة تبابعة حِمْيَر الاتحادية
(٥٦٠ـ٦٤٠ حميري/ ٤٤٥ـ٥٢٥م)

المبحث الأول

عهد تُبَّع حسان الثاني بن غمران ذي غيمان الحميري

هو تُبَّع حسان بن غمران (عمرو) ذي غيمان بن أخسين بن كَبْرَ إل الحميري. وهو المذكور في قول الشاعر الجاهلي المخضرم علقمة بن ذي جدن في أبيات بالإكليل:

قد كان حسانُ في ذؤابة غُمْدَانْ ... قريراً بعيش مَسْ رَغدَا
يخدمه مِنْ سَرَاةِ حِمْيَرِ ألفانْ ... قياماً لن يقعدوا أبدا
إن سار ساروا حواليه صفانْ ... ولا يبعدون إذا بعدا[1]

وإلى عهد حسان يعود نقش مسند مؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري (٤٤٥ ميلادي) تم العثور عليه في مكان يقع إلى الشرق من قرية لماطر في وادي حبان، ويذكر النقش قيام حسان والأذواء المذكورين في النقش بتشييد مدرجات ومنشآت للريّ صنعوها من أعاليها إلى أسافلها بالجير (GYR) والجص (Gss) من أعالي وادي عماقين إلى وادي حبان[2].

وقد انطمست أسماء حسان والأذواء المذكورين معه في النقش (بنو غمرن وملشان) وبقي من حروف الأسماء إنهم: «...ن/ ....وم/ يزيد/ و..../ و.... زيد/ وسفم يهسكر/ وملشن يهنم/ ذوو يزن ويلغب/ وبنو كبر إل/ وأخسين/ وصدقين/ وذي يصبر/ كبار أقيال ردن [ردمان/ ريدان؟)../ وضيفتن/

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٧ جـ٨.

(٢) وادي عماقين يلتقي بعد عزان بوادي حبان ليشكلا معاً في امتدادهما نحو البحر وادي ميفعة الذي تقع إلى جواره مدينة قديمة تعرف خرائبها اليوم بنقب الهجر، ويدل موقعها على أنها لعبت دوراً في التجارة في طريق البحر العربي». مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣/ ١٩٨٣م.

ورثحم/ وصِيدهم/ ومعقبيهم». وينتهي النقش بذكر تاريخ كتابته وهو «خريف سنة خمسمائة وستين» ويوافق عام ٤٤٥ ميلادية[١].

ويمكن القول أن الاسمين الأخيرين «سيفم يهسكر/ وملشن يهنم» هما من بني ملشان ذي يزن، والأسماء الخمسة الأولى من بني (كبر إل/ وأخسين بن كبر إل). وقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه:

«أولد كَبْرَ إل: أخنس [أخسين] وزيداً، ابنيّ كبر إل،

فأول أخنس: ذاغيمان والفياض وشرحبيل ويعفر، أربعة نفر بني أخنس بن كَبْرَ إل،

فأولد غيمان: زُرعة وحسان ابنيّ ذي غيمان. فأولد حسان بن ذي غيمان: يامن ونخفان وذا باقر..

ـ وأولد زرعه بن ذي غيمان: الحارث، فأولد الحارثُ هاتك عرشه واسمه حارث بن حارث، وجذيمة الوضاح بن الحارث بن زرعة بن ذي غيمان.

وأولد الفياض بن أخنس: الدعجوم ويهمجد، وأولد يعفر بن أخنس: ذا سبلان بن يعفر، وأولد شرحبيل بن أخنس فلانا، وأولد فلان بن شرحبيل: مُرّة.

وأولد زيد بن كبر إل: عمراً ذا الكُباس بن زيد بن كبر إل، وقد ذكره علقمة بن ذي جدن بقوله:

وأخلقَ ذا الكلاع وذا رُعَيْن وشمر ذا الجناح وذا الكُباس

والحارث بن زيد بن كبر إل. فأولد عمرو ذو الكُباس: حسان ذا قسد، وتفسيره ذو قوس، لأن القوس عند حمير هو القسد»[٢].

فأولئك هم بنو كبر إل وبنو أخنيس (الأخنس) بن كبر إل المذكور خمسة منهم في نقش وادي حبان، ومنهم ـ غالباً ـ: حسان بن غمران (ذي غيمان)، وزيد بن كبر إل [وقد جاء في النقش اسم زيد]. وحسان بن غيمان في الإكليل هو (حسان بن ذي غيمان). قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير:

أم أين ذوغَيْمانَ أو ذو شَوْذبِ اللاهي ببيض في النساء ملاح

ثم قال: «ذوغيمان، الذي ينسب إليه غيمان ـ هو ـ ابن أخنس بن كبر إل» [ص١٨٢].

---

(١) النقش رقم (٥٠٨٥ روبان) ورقم (Ry. ٣٠٤).

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٣٩ ـ ١٤٣ جـ٢.

صيرورة حسان . . . تُبَّعاً:

لقد كان حسان بن ذي غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إل من كبار الأذواء (منذ حوالي عام ٤٣٠م) في نفس فترة عهد (وليعة بن مرثد بن عبد كلال بن ذي رعَيْن) التي قدّرناها بالفترة (٤٠٨ ـ ٤٤٥م) إذْ إنه ـ كما جاء في تاريخ ابن خلدون ـ «إن وليعة بن مرثد كثرت الخوارج عليه، وغلب أبرهة بن الصباح على تهامة اليمن. وكان في ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو»[1]. ونقل ابن خلدون عن المسعودي إنه:

«. . . مَلَكَ وليعة بن مرثد ٣٩ سنة، ومن بعده أبرهة بن الصباح بن شرحبيل بن لهيعة، ومن بعده ذوقيفان بن شراحيل بن ذي يزن تسع عشرة سنة». قال ابن خلدون: «وقال الجرجاني: مَلَك وليعة بن مرثد ٣٧ سنة، ثم مَلَك أبرهة بن الصباح. . وبعض الناس يزعم أن أبرهة بن الصباح إنما مَلَكَ تهامة فقط، قال: ثم مَلَك بعده حسان بن عمرو سبعاً وخمسين سنة»[1] وقال الهمداني في شرح الدامغة: «. . . مَلَكَ وليعة بن مرثد ٣٩ سنة، ثم مَلَك أبرهة بن الصباح بن شرحبيل. . . ثم مَلَك حسان بن عمرو ٥٧ سنة»[2].

ويتبين من ربط معطيات المصادر التاريخية:

ـ إن عهد (وليعة بن مرثد بن عبد كلال) في الفترة (٤٠٨ ـ ٤٤٥م) قد شهد انقساماً وخرج عن طاعته الكثير من الأذواء والأقيال (بعد فشل الحملة التي قادها حسان بن عبد كلال إلى الحجاز غالباً).

فأصبح (بريل ذو يزن) هو ذو قيفان بن شرحبيل بن أساس بن ملشان ذي يزن رئيساً لأغلب أرجاء وأقيال الدولة الحميرية، وجاء اسمه ولقبه في النقش رقم (٣٨ ينبق) بصيغة «بريل ذي يزن ويلغب، كبير أقيال رثحم وضيفتن ومشرقن». وشملت رئاسته كل أرجاء النصف الشرقي من اليمن (مشرقن) وكل المناطق التي يرأسها أقيال من بني ضيفي، ومنهم أبرهة بن الصباح بن شرحبيل في قصر موكل ومناطق رداع والبيضاء وعنس وذمار ثم امتدت قيالته إلى تهامة اليمن. وكذلك بنو (كبر إل) ـ وهم من بني ضيفي ـ وكان كبيرهم حسان بن ذي غيمان (غمران) بن أخسين بن كبر إلْ. وكان مقره غيمان الواقعة جنوب مدينة صنعاء. ومات ذوقيفان بريل ذي يزن حوالي عام ٤٣٠م.

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٨٢.

(٢) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٥٤٠.

ـ فانعقدت الرئاسة لحسان بن غمران (عمرو) ذي غيمان على أرجاء شاسعة من اليمن اشترك في رئاستها مع ستة أقيال من بني كبر إل وبني ملشان ذي يزن، فكان حسان وإياهم ـ كما في نقش حبان ـ: «ذوو يزن/ ويلغب/ وذو كبر إل/ وأخسين/ وصدقين/ وذي يصبر/ كبار أقيال رد. . . ن/ وضيفتن/ ورثحم/ وصيدهم/ ومعقبيهم». وقد سلف ذكر تلك المناطق أما كلمة «وصيدهم/ ومعقبيهم» فإن كلمة (صِيدهم) بمعنى (قادة فرسانهم وحروبهم) وكلمة (معقبيهم) واحدها (مُعقب/ عاقب) وهي مرتبة زعامة دينية مسيحية، وممن اشتهر بتلك المرتبة (عاقب نجران). وكان مقر حسان في غيمان وصنعاء. بينما كان (وليعة بن مرثد بن عبد كلال) في ظفار، وأبرهة بن الصباح في موكل إلى تهامة.

ـ وفي حوالي عام ٥٦٠ حميري (٤٤٥م) اجتمعت لحسان رئاسة الدولة الحميرية، وأصبح تُبّعاً. وسار إلى مدينة ظفار (مقر وليعة بن مرثد) فانضوت ظفار وسائر بقية مناطق حمير إلى تهامة وساحل البحر الأحمر ـ غرباً ـ تحت رئاسة وملوكية حسان. وكانت رئاسته تمتد منذ ما قبل ذلك إلى أرجاء مشرق اليمن حتى سأكلن (عمان) شرقاً. وإلى ساحل أبين عدن وجزيرة سقطرى (سكرد) جنوباً، وإلى مخاليف صنعاء حتى الجوف ونجران وبيشه شمالاً. وقد جاء في تاريخ ابن خلدون أنه «كان في ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو» وإنه «اجتمع مُلك اليمن لحسان تُبّع. . . واستقر الأمر لحسان تُبّع خمساً وعشرين سنة».

ويبدو أن تلك المدة (٢٥ سنة) هي منذ بداية رئاسته لأغلب المناطق والأذوائيات (عام ٤٣٠م) وكان مقره في غيمان وصنعاء، ثم سار إلى ظفار واجتمع له مُلك اليمن (عام ٥٦٠ للتقويم الحميري/ ٤٤٥ ميلادي) وإن مدة حكمه بعد توحيد اليمن بزعامته كانت زهاء عشر سنوات فقط لأن عهد ابنه أسعد تُبّع بن حسان بدأ عام (٥٧٢ حميري/ ٤٥٧م) ودام عهد أسعد بن حسان عشرين سنة، ثم حكم بعده (لحيعة يرخم ذو جدن) نحو ثلاث سنين ثم (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) المؤرخ أول نقوش عهده بعام (٥٩٥ حميري = ٤٨٠ ميلادي). فيتبين من ربط مجمل ذلك أن عهد حسان تُبّع بن غمران (ذي غيمان) كان في الفترة (٤٣٠ ـ ٤٥٦م) وإن توحيد البلاد بزعامته كان عام ٤٤٥م وحكم إلى حوالي عام ٤٥٦م. ولما سار إلى مدينة ظفار مكث فترة في ظفار ثم عاد إلى صنعاء فكانت صنعاء هي عاصمة الدولة في عهده وكان مقره قصر غُمدان بصنعاء حيث كما قال علقمة:

قد كان حسان في ذؤابة غُمْدَان قريراً بعيش مَنْ رَغَدَا

كبار أذواء وأقيال عهد حسان.. وامتداد حكمه إلى نجد والحجاز:

وكان من أذواء وأقيال اليمن في عهد التُبّع حسان بن غمران ذي غيمان ـ بالإضافة إلى بني كَبْرَ إل وبني ذي يزن المذكورين في نقش وادي حبان ـ:

١ ـ **عبد كُلال الثاني بن ذي رُعَيْن:** وقد يخلط البعض بينه وبين الملك عبد كلال بن مثوّب، وذلك هو عبد كلال الأول (الأكبر) وقد ذكرنا نسبه فيما تقدم، وهو جد الملك وليعة بن مرثد بن عبد كلال. أما عبد كلال هذا (الثاني) فقد جاء في أنساب آل ذي رعين بالإكليل إن منهم:

«عبد كُلال الأوسط بن عَرِيب بن فهد بن زيد بن مُثَوّب بن يريم (ذي رُعَيْن) بن مُرّة بن شراحيل بن معدي كرب ذي غشيم بن الغوث بن يعرب ينكف بن جيدان بن لهيعة بن مثوب بن ذي رُعين...».

«فأولد عبد كلال بن عَرِيب: عَرِيباً، وأفلح، وفهد الأوسط، وكعباً، وعدياً، وزيداً، والنعمان. سبعة نفر بني عبد كُلال الأوسط. وفي فهد الأوسط بن عبد كلال يقول سلمة بن جندل التميمي أو أبوه جندل الشاعر:

ألا إن خير الناس كلُّهم فَهدُ ... وعبد كُلَال خير سائرهم بَعدُ
هما قمرا مُلْكٍ سليلا مكارم، ... وفيّا عهود عندما ينكث العهدُ
وما ذاد عن مُلْكِ المَقَاولِ تُبَّعُ ... ذيادَهما لمّا وَهَى منه ما شدّوا
وقد مال رأس المُلك واضطربت به ... بطون ظهور ما لأكثرها سَدُّ
فقاما بما أعيا قبائل حِمْيَرٍ ... وشدا فتوق الوهي إذ بلغ الجَهدُ
فعبدُ كُلال خيرُ حِمْيَر كلّها ... على رغم مَنْ عادى، وربهم فهدُ»[1]

وقد كان عبد كلال الأوسط (الثاني) ملكاً قَيْلًا في مدينة ظفار ومناطق حمير بعد (وليعة بن مرثد بن عبد كلال) في عهد حسان تُبع، وذلك في إطار الدولة الحميرية (الاتحادية)، وكان عبد كلال من قادة حملة حسان تُبّع بن غمران (غيمان) إلى اليمامة وقبيلة تميم في نجد بشمال الجزيرة حيث جاء في رواية بتاريخ ابن خلدون إنه «بعث تُبّع حسان على مقدمته عبد كلال». وجاء في شرح الدامغة، إن قبيلة بني الحارث بن كعب المذحجية في نجران وقبيلة خولان في صعدة كانتا في الحملة على تميم بموقعة الجفار. وفي ذلك قال شاعر الربيعة بن سعد بن خولان:

بدار تميم غداة الجفار ... وزرق الأسنة يزريـن رزوا

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٢ جـ٢.

إذا الخيل شَمّصهن الطعان أذاقوا عدوك صاباً وعزوا

قال الهمداني: «وقيل: إن الملك الذي أغزاهم وليعة بن مرثد بن عبد كلال، وذا ما لا يمكن لأن وليعة قديم»[1] ولعل الأصواب إن الذي أغزاهم هو الملك حسان بن غمران (غيمان) وكان على مقدمة الجيش عبد كلال الثاني ـ الأوسط ـ ابن ذي رُعَيْن زعيم ظفار ومناطق حِمْيَر والمعافر، وتمّ في تلك الحملة إلى نجد وديار تميم أسر قيس بن عاصم التميمي في جمع من تميم بينهم عشيرة (تيم) وعشيرة (عكل) فسيقوا أسرى إلى اليمن (إلى الملك حسان في صنعاء). فمكثوا أسرى «حتى جمع الأضبط بن قريع التميمي والنمر بن مرّة بن حمان التميمي وفداً عظيماً، فاستوهبوا الأسرى من ملك اليمن فأطلق سراحهم ووهبهم إياهم». وقد ذكر ذلك في زمن لاحق بعد الإسلام الشاعر جرير حيث قال لعشيرة تيّم التميمية:

لم تشكروا نمراً إذْ فَكَّ سادتكم ـ ولا قُريعاً ـ من الحيّ اليمانينا
تدعون تَيْماً، وتيْمُ في قُرى سبأٍ ما التيّم يومئذٍ فيكم ولا فينا

وقد مكث عبد كلال الثاني زعيماً في ظفار ومناطق حمير في عهد (أسعد تُبّع بن حسان) وكان أولاد عبد كلال من الأقيال الأذواء بمناطق حمير والمعافر وتهامة في ـ وبعد ـ عهد أسعد بن حسان، ومنهم فهد الأوسط بن عبد كلال الذي قال فيه جندل السعدي التميمي شعره سالف الذكر، وهو من رجال القرن السادس الميلادي. قال الهمداني: «فأولد فهد: نعمان، فأولد نعمان: فهداً الأصغر، وكان قَيْلًا بالمعافر.. وكان فهد هذا، يجبي من بلد الحبش: زيلع، وجزيرة بربرة» [ص٣٦٣/ ٢ ـ الإكليل].

٢ ـ **الديان بن قَطَن الحارثي زعيم مذحج ونجران**: وهو كبير وزعيم بني الحارث بن كعب المذحجيين وسائر قبيلة مذحج، وخاصة في مناطق مأرب والجوف (براقش) ونجران بمدلولها الواسع القديم الذي كان يمتد إلى جُرش وتخوم الطائف. وكان الديان قائد بني الحارث بن كعب ومذحج في الحملات التي وجّهها الملك حسان ضد بعض قبائل مُضر ونزار ومعد بن عدنان في جهات نجد واليمامة لإعادة بسط نفوذ الدولة الحميرية وتأمين الطرق التجارية بتلك الجهات. فانطلق الديان بفرسان بني الحارث بن كعب ومذحج وطيئ من براقش ونجران إلى تلك المناطق والقبائل. وجاء في

(١) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٢٥٥.

مادة براقش بكتاب شمس العلوم إنه «قال الشاعر:

يقودُ بها ديّانُها غير عاجز ثمانين ألفاً قادها من براقش
فآبوا بالفيّ كاعب مُضَرّيّة على إبلٍ مثل الضباع نواهش»[١]

وكان الديان بن قَطَنْ الحارثي زعيم نجران في عهد حسان وعهد أسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) إلى عهد يوسف أسار ذي نواس (٥١٥م) لأن الديان بن قَطَنْ بن زياد الحارثي خال ذي نواس. قال الهمداني في الإكليل: «وأم ذي نواس: سلمى بنت حزن [قطن] بن زياد الحارثي من بلحارث بن كعب. وقال الأبرهي: قال بعض السُّخطيين: إن أمَّهُ مسكينة بنت زياد بن الحارث ابن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب. قال: وسألت أبا الهيذم السُّخطي فقال لي: خال ذي نواس: عبد المدان بن الديان بن قَطَن»[٢].

وكان الديان من قادة الحملة إلى خزازي في نجد (بعد عهد أسعد بن حسان) وقال في ذلك أبياتاً منها:

صَبَحنا تغلباً وسَراة بكر بداهية يشيب لها الوليد
فَفَلّوا والحديد غداة يعني فليس يفلّه إلا الحديدُ[٣]

وكان الديان وبنو الحارث بن كعب وأهل نجران يدينون بالديانة المسيحية، واستمرت زعامة نجران في بني الديان إلى عهد سيف بن ذي يزن وأيام الجاهلية وكان من آخرهم يزيد بن عبد المدان بن الديان. قال الأعشى:

وكعبة نجران حَتْمُ عليك حتى تُنيخ بأبوابها
تزورُ يزيدَ وعبدَ المسيح وقيساً هُمُ خير أربابها[٤]

قال ابن المجاور: «نجران: إقليم طويل عريض من اليمن.. ومدينة الأصل ـ [أي قاعدة إقليم نجران] ـ مدينة نجران. وسرير مُلْك نجران حصن مانع ما بين نجران والجبال. وكان ولاة نجران بنو عبد المدان بن الديان»[٥].

وقال ابن خلدون: «قال البيهقي: مسافة نجران عشرون مرحلة. وفيها مدينتان: نجران وجُرُش.. وبها كعبة نجران، بُنِيت على هيئة كعبة باليمن،

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص١٥١ جـ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦٣/ ٢.
(٣) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٣٦٧.
(٤) ديوان أعشى قيس الجاهلي.
(٥) كتاب المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص٤٠.

وكانت طائفة من العرب تحج إليها وتنحر عندها، وتُسمى الدير»[١].

ـ ويدل تسميتها الدير على أنها كانت ديراً مسيحياً ـ. وجاء في دراسة عن نجران أنه «تقع آثار كعبة نجران على قمة جبل تصلال على بُعد ٣٥ كلم من مدينة نجران، وقد ذكرت كتب التاريخ أنها بُنيت على أيدي بني عبد المدان بن الديان الحارثي.. وعندما تتجه ببصرك إلى الغرب تجد أمامك جبلًا مخروطياً ذا ارتفاع شاهق يشق وادي نجران، يُسمى جبل رعوم، وفي قمته بناء أبيض صغير هو بقايا قصر من القصور القديمة»[٢].

وكانت زعامة الديان وبني الديان في نجران ومخاليفها مثل زعامة بني ذي رُعَيْن في ظفار ومناطق حمير، ومثل زعامة آل ذي يزن في مدينة عبدان وأذوائيات يزن ومشرق اليمن، قال يزيد بن عبد المدان بن الديان:

إن تَلْق حيّ بني الديّان تَلْقهُمُ ... شمُّ الأنوف إليهم غُرّة اليمن

ما كان في الناس للديّان مِن شَبَهٍ ... إلّا رُعَيْنُ وإلا آل ذي يزن

٣ ـ **عمرو المقصور الكندي ملك نجد والحجاز:** وهو أبو الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرّار بن عمرو الكندي. كان جده (حُجر آكل المُرّار) ملكاً نائباً على الحجاز وقبائل معدّ بن عدنان في عهد تُبّع ملشان وعهد عبد كلال الأول. قال ابن خلدون: «كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم، وكان ممن يخدم حسان تُبّع: عمرو بن حُجر سيد كندة لوقته، وأبوه حجر هو الذي تُسميه العربُ آكل المُرّار.. وكان تُبّع لما دوّخ بلاد العرب وسار في الحجاز، ولّى على معدّ بن عدنان كلها حجر بن عمرو آكل المُرّار، فدانوا له، وسار فيهم أحسن سيرة، ثم مات، ومَلَكَ من بعده ابنه عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرار. وكان أخا حسان تبُّع لأُمه...» وقال الهمداني في شرح الدامغة: «كانت أم عمرو المقصور ابنة حسان، ورَتّبَه بالمشقر حصن البحرين». والأصوب أن الذي كانت أمّه بنت حسان هو الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرّار.

قال الطبري: «... فولدت بنت حسان لعمرو بن حجر: الحارث بن عمرو». وقد مكث عمرو المقصور ملكاً نائباً على قبائل ومناطق معد ونجد والحجاز والبحرين مدة طويلة، وترسخت زعامته في عهد تُبّع حسان بالحملات

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٦٧٠.

(٢) صحيفة الحياة ـ يوليو ١٩٩٢م.

التي وجّهَها تُبّع حسان إلى تلك الجهات ما بين عام (٤٤٦ ـ ٤٥٥م) وكان عمرو المقصور قد بلغ من الكِبر عتيًا، ومات في أواخر عهد حسان، فتم تمليك ابنه الحارث بن عمرو. قال ابن خلدون: «فَمَلَّكَ تُبّع بن حسان على حمير وهابته جميع العرب، وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو المقصور بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها...» ـ فكان الحارث بن عمرو ملكاً على نجد والحجاز إلى تخوم الحيرة بعد أبيه، وذلك في عهد تُبّع أسعد بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وله أنباء وملاحم سيأتي ذكرها في عهده.

ويتبين من مجمل ما سلف أن حكم ونفوذ الدولة الحميرية في عهد تُبّع حسان كان يمتد إلى البحرين واليمامة وتخوم بلاد الحيرة بالعراق شرقاً، وإلى تخوم الشام شمالاً، أي إلى تخوم دولة المناذرة اليمنيين في الحيرة (العراق) وتخوم دولة الغسانيين اليمنيين بالشام.

الملوك الغسانيون وملوك الروم في ذلك العهد:

لقد كان من الملوك الغسانيين بالشام الحارث بن ثعلبة بن جفنة (حوالي ٣٤٥ ـ ٣٨٤م). قال ابن خلدون: «ومَلَك بعده النعمان بن الحارث [بن ثعلبة] بن جفنة. ثم أبو شَمِر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة. ثم أخوه جَبَلَة بن الحارث. ثم بعده عوف بن أبي شمّر» ـ وليس في المصادر تحديداً لمدة ملكهم، وقد يمكن على سبيل الافتراض أن النعمان بن الحارث حكم في الفترة ما بين (٣٨٥ ـ ٤٣٠م) ثم حكم أبو شمّر بن الحارث زهاء ثلاثين سنة (٤٣٠ ـ ٤٦٠م) فيكون معاصراً لحسان تُبّع. وكان أبو شمّر ملكاً مشهوراً فقد مدح حُذَيْفَةُ بن غانم القريشيّ الجاهلي أحد أبناء عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بأنّ أمّه من قبيلة خزاعة اليمنية السبئية في أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية حيث قال حذيفة بن غانم:

«وأُمـكَ سِـرٌ مِـنْ خُـزَاعَـةَ جَـوْهَـرُ ... إذَا حَصَّلَ الأنسَابَ يَوْماً ذَوُو الْخُبْرِ[1]
إلى سَبَأ الأبْطَال تُنْمَىٰ وتَنْتَمِي ... فأكْرِمْ بها مَنْسُوبَةٌ في ذُرَا الزُّهْرِ
أبو شَمِرٍ مِنْهُمْ وعَمْرُو بن مالِكٍ ... وذُو جَدَنٍ مِنْ قَوْمِها وأبُو الْجَبْرِ
وأسعدُ قَادَ النَّاس عشرين حِجَّةً ... يُؤَيَّدُ في تِلْكَ المَوَاطِنِ بالنصر»[2]

وجاء في الهامش إنه «قال السهيلي: أسعد هو أسعد أبو حسان (مَلك

(١) «وأمك سر» أي: خالصة النسب. والخبر ـ بالضم ـ العلم.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٩١ جـ١.

اليمن) وأبو شمر: يحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغساني والد الحارث. وعمرو بن مالك وذو جدن وأبو جبر من ملوك اليمن. وإنما جعل (الشاعرُ) هؤلاء مفخرة (للممدوح) لأنّ أمّه خزاعية من سبأ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ... قال أبو ذر: وكان أسعد أعظمهم»[١]. وقد كان أبو شمر الغساني ملكاً للعرب بالشام في الفترة حوالي (٤٣٠ ـ ٤٦٠م) وكان عهد تُبّع أسعد بن حسان في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) فعهدهما متقارب في الزمن...

وقد حكم بعد أبي شَمِر الغساني بالشام «أخوه المنذر بن الحارث، ثم بعده عوف بن أبي شَمِر» ـ فيكون عهدهما في الفترة حوالي (٤٦٠ ـ ٥٢٧م) لأنه مَلَكَ بعدهما الحارث بن أبي شمِر ـ وهو الحارث بن جَبَلَة ـ أشهر وأعظم الملوك الغساسنة وقد حكم في الفترة (٥٢٧ ـ ٥٦٩م) وهو مذكور في المصادر الرومانية.

وكان مُلك الغساسنة بالشام في إطار الأمبراطورية الرومانية وملوكها القياصرة. وكان الملوك القياصرة الروم في ذلك الزمن: ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ ـ ٣٩٩م) ثم أركاديوس (٣٩٩ ـ ٤٠٤م) ثم الملك ثيودوسيوس الثاني في الفترة حوالي عام ٤٠٤ ـ ٤٥١م. فيكون قد عاصره تُبّع حسان ملك اليمن، وأبو شمّر الغساني ملك الشام.

الملوك المناذرة وملوك فارس في ذلك العهد:

وأما الملوك المناذرة في إمارة الحيرة بالعراق، فقد حكم النعمان الأول (ابن المنذر) في الفترة (٤٠٣ ـ ٤٢٢م)... قال أحمد أمين: «وفي عهد يزدجرد الأول ـ ملك فارس ـ (٣٩٩ ـ ٤٢٠م) أرسل الملك أكبر أبنائه (بهرام جور) إلى عرب الحيرة لينشأ بينهم، ويتعلم الصيد، وينعم بجودة الهواء، وذلك في عهد النعمان الأول. وكان بهرام جور هذا يعرف العربية كما يعرف اليونانية. وقد نازعه على المُلك أخوه بعد وفاة يزدجرد، فعاونه العرب وتعصبوا له، فلما اعتلى العرش لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد عليه فقرّبهم وأعلى شأنهم»[٢].

وكان بهرام جور قد نشأ عند النعمان في الحيرة «فأحسن تربيته وتأديبه، وجاءه بمن يلقنه الخلال من العلوم والآداب والفروسية والنقابة حتى اشتمل على ذلك كله بما يرضيه، ثم رده إلى أبيه يزدجرد فأقام عنده قليلًا ولم يرض بحاله.

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٩١ جـ١.

(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص١٧.

ووفد على أبيه وافد قيصر وهو أخوه قيادوس، فقصده بهرام أن يسأل له من أبيه الرجوع إلى بلاد العرب، فرجع ـ إلى الحيرة ـ ونزل عند المنذر. ولما هلك يزدجرد اجتمع أهل فارس وولوا عليهم شخصاً من ولد أردشير وعدلوا عن بهرام لمرباه بين العرب وخلوّه عن آداب العجم. وجهز المنذر بن النعمان العساكر لبهرام لطلب مُلكه، وقدّم ابنه النعمان بن المنذر فحاصر مدينة الملك [المدائن] ثم جاء المنذر على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه، واستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام فعفا عنهم واجتمع أمره. ورجع المنذر إلى بلاده... ومَلَك المنذر بن النعمان ٣٥ سنة، وقيل ٢٥ سنة ـ كما ذكر المسعودي»[1] ـ فيكون عهده في الفترة إما (٤٢٢ ـ ٤٤٧م) وإما في الفترة (٤٢٢ ـ ٤٥٦م) أما بهرام جور فكان عهده في الفترة ما بين ٤٢١ ـ ٤٣٨م ثم تلاه يزدجرد الثاني وابنه فيروز (إلى حوالي عام ٤٥١م).

وجاء في تاريخ ابن خلدون: «إن النعمان بن المنذر ابن النعمان، مَلَكَ عشرين سنة، منها في أيام فيروز بن يزدجرد عشر سنين، وأيام بلاوش بن يزدجرد أربع سنين، وفي أيام قباذ بن فيروز ست سنين» ـ وكان ذلك إلى حوالي عام ٤٦٧م. أي إلى فترة من عهد أسعد بن حسان.

نهاية عهد التُبّع حسان.. وخبر مقبرته:

وقد انتهى عهد تُبّع حسان ملك حمير بن ذي غيمان بموته في صنعاء أو غيمان ـ موتاً طبيعياً ـ وتم دفنه في مقابر الملوك بغيمان.

قال ابن خلدون: «قال أبو المنذر هشام ابن الكلبي في كتاب الأنساب، ونقلته من أصل عتيق بخط القاضي المحدّث أبي القاسم ابن عبد الرحمن بن حبيش. قال: ذكر الكلبي عن رجل من ذي الكلاع قال: أقْبَلَ رجلٌ ـ اسمه قيس ـ يحرق موضعاً باليمن فأبدى عن أزج فدخل فيه، فوجد سريراً عليه رجل ميت وعليه جباب وشيّ مذهبة، في رأسه تاج وبين يديه محجن من ذهب وفي رأسه ياقوتة حمراء، وإذا لوح مكتوب فيه: بسم اللّه رب حمير أنا حسان بن عمرو القَيْل، مات في زمان هيد وماهيد هلك فيها اثنا عشر ألف قبيل فكنت آخرهم قبيلًا فابتنيت ذا شعبين ليجيرني من الموت فأخفرني». [ص٤٨/ ٢].

ولا شك في أن قراءة ذلك الرجل للوح المكتوب بالحميرية في قبر حسان

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٦٠.

لم تكن دقيقة. وربما إنه كان مكتوباً في اللوح «بسم اللّه رب حمير. هذا قبر حسان بن عمرو [غمرن/ غيمن]. . . كبير أقيال شعبنهن ضيفتن ومشرقن. . مات ودُفن في ذي شعبين. . بخريف [كذا وكذا] خريفم».

وقد ذكره النعمان بن بشير الأنصاري باسم حسان ذي الشعبين. حيث قال النعمان في قصيدة بالإكليل:

لنا من بني قحطان سبعون تُبّعاً ... دانت لهم بالخرج منها الأعاجمُ
. . فمنّا ملوك الناس فهدُ وتُبَّعُ ... وعبد كُلال والقروم القماقمُ
وحسان ذو الشعبين مِنّا ويُرعش ... وذو يزن تلك البحور الخضارم

وكان موت حسان في حوالي عام اثني وسبعين وخمسمائة من التقويم الحميري ويوافق عام ٤٥٧ ميلادي، فتسنم عرش التبابعة بمدينة صنعاء ابنه الزعيم العظيم أسعد بن حسان الثاني.

المبحث الثاني

عهد تُبَّع أسعد بن حسان..
أعظم تَبَابعة الدولة الحِمْيَرية
(٥٧٢ ـ ٥٩٢ حِميري/ ٤٥٧ ـ ٤٧٧م)

هو الملك تُبَّع أسعد الثاني ابن حسان بن غمران (عمرو/ ذي غيمان) بن أخسين بن كَبْرَ إل الحميري. وفيه قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي اللّه عنه:

وأسعدُ كان الناسُ تحت سيوفه ... حواهم بِمُلْكٍ شامخ ليس يُقْهَرُ
تَواضَعُ أشراف البرية كلها ... إذا ذُكِرَتْ أشرافها الصِيد حِمْيَرُ[1]

وقال حذيفة بن غانم القريشي:

وأسعدُ قَادَ النَّاس عشرين حِجَّةً ... يُؤَيَّدُ في تِلْكَ المواطِنِ بالنصر[2]

وقوله: «عشرين حجة» أي عشرين عاماً وهي مدة حكم أسعد بن حسان، وكان حكمه بعد أبيه تُبع حسان فيكون ذلك في الفترة ٥٧٢ ـ ٥٩٢ للتقويم الحمري ويوافق ٤٥٧ ـ ٤٧٧ ميلادي.

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٠٠.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٩١ جـ١.

التمييز بين أبي كرب أسعد وبين أسعد بن حسان:

ويخلط كثير من الأخباريين والدارسين بين أبي كرب أسعد ملك سبأ وبين أسعد ـ الثاني هذا ـ ملك حمير، وقد استوفينا تبيين تاريخ أبي كرب أسعد في الفصل الخاص بعهده ونشير هنا إلى نقاط التمييز الرئيسية التالية:

ـ إن أبا كرب أسعد من ملوك سبأ التبابعة وقد تم العثور على نقوش سبئية باسمه وأسماء أسلافه من ملوك سبأ التبابعة ومنها:

ـ نقش ذمر علي يهبر وابنه ثاران يهنعم ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت[١].

ـ نقوش ثاران يهنعم وابنه ملكيكرب يهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت[٢].

ـ نقش ملكيكرب يهامن وابنيه أبي كرب أسعد وذرا أمر أيمن ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وهو نقش بناء قصر كلعن سنة ٤٩٣ للتقويم السبئي ويوافق ٧٢٧ قبل الميلاد[٣].

ـ نقش أبي كرب أسعد وابنه حسان يهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودا وتهامت في موقع ماسل الجمح[٤]. وكذلك نقش موقع ريدة المؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي ويوافق ٦٧٧ قبل الميلاد[٥].

ـ يتبين من تلك النقوش النسب التالي: حسان يهامن بن أبي كرب أسعد بن ملكيكرب يهامن بن ثاران يهنعم بن ذمر على يهبر. وجميعهم من ملوك سبأ التبابعة، فذلك هو نسب أبي كرب أسعد ملك سبأ وهو «أسعد تُبّع الأول» وكذلك ابنه حسان يهامن وهو «حسان الأول».

ـ إن زمن أبي كرب أسعد ملك سبأ هو القرن السابع قبل الميلاد، وقد أشار الحسن الهمداني إلى زمنه في الإكليل حيث قال ما يلي نصه: «أما اليمنية فقد كان ذهب علمهم في أيام بُخت نصّر ـ ملك بابل ـ لفتكه بقيولهم في عهد أسعد تُبّع وفي أيام حسان بن أسعد وتخريبه حصونهم، وقَتْل حسان لجديس

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ٦٦٨ جام.

(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ٦٦٩ ـ ٦٧١ جام.

(٣) نقش بيت الأشول ٢.

(٤) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص١٥٩ ـ النقش رقم ٥٠٩ ركمانز.

(٥) نقش موقع ريدة ـ ٥٣٤ ركمانز.

التي أفنت طسم»[١]. وبُخت نصَّر هو نبوخذ نصر ملك بابل الذي تولى حكم دولة بابل عام ٦٠٤ق.م. في القرن السابع قبل الميلاد. وكان أبو كرب أسعد قد افتتح بلاد بابل وفارس في أوائل ذلك القرن. قال نشوان:

والكاملُ الملك المتوَّجُ أسعدُ ... فيه تقصِّر مِدحةُ المدّاحِ
كم قادَ من جيشٍ أجشَّ لبابلٍ ... وكتيبةٍ تغشى البلادَ رَداحِ
حتى استباح بلاد فارسَ بالقنا ... وبكلِّ أجردَ في الجِياد وَقاحِ

ثم في عهد لاحق فتك نبوخذ نصر بعدد من الأقيال والقادة اليمنيين في بلاد بابل واليمامة أيام حسان أو عمرو بن حسان بن أسعد، والمهم هنا أن ما ذكره الهمداني يدل على معرفة دقيقة بأن زمن أبي كرب أسعد ملك سبأ كان في القرن السابع قبل الميلاد، وهو ما تنطق به نقوشه السبئية فهي مؤرخة بالتقويم السبئي، فنقش موقع ريدة المؤرخ بعام ٥٤٣ للتقويم السبئي يوافق عام ٦٧٧ق.م. في القرن السابع قبل الميلاد.

ـ بينما أسعد تُبّع الثاني من ملوك الدولة الحميرية وهو ابن الملك حسان الذي جاء نسبه في الإكليل بأنه «حسان بن ذي غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إل بن هامن بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عَدِي بن صيفي (ضيفتن) بن زُرعة بن حمير الأصغر»[٢].

وقد تم العثور على نقش باسم حسان ومعه ستة أذواء ويحملون في النقش لقب «ذوو يزن ويلغب/ وذو كَبْرَ إل/ وأخسين/ وصدقين/ وذي يصبر/ كبار أقيال ردان.. وضيفتن/ ورثحم/ وصيدهم/ ومعقبيهم». وذلك النقش مؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٤٥ ميلادي[٣].

وقد جاء في النقش ذكر بني «كبر إل/ وأخسين» وهم بمثابة بيت الأسرة الحاكمة في ذلك العهد لأن حسان ـ رئيس الدولة ـ هو «حسان بن غمران (غيمان/ ذي غيمان) بن أخسين بن كبر إل». ومن الأذواء المذكورين معه في النقش جاء اسم «زيد» وهو في الإكليل «زيد بن كبر إل». قال الهمداني:

«وأولد زيد بن كبر إل: عمراً ذا الكباس بن زيد بن كبر إل وقد ذكره علقمة بن ذي جدن بقوله:

وأخلق ذا الكلاع وذا رعين ... وشمر ذا الجناح وذا الكُباس

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٣٩ جـ٢.
(٣) نقش موقع وادي حبان ـ ٥٠٨٥ روبان.

والحارث بن زيد بن كبر إل»[١] وسيأتي نبأ الصراع بين أسعد وبين عمرو ذي الكباس ويدل ذلك على ترتيب عهد أسعد تُبّع بعد أبيه الملك حسان، فقد حكم حسان إلى حوالي أوائل عام ٥٧٢ للتقويم الحميري الموافق ٤٥٧ ميلادي، وكان مقرّه قصر غمدان بصنعاء. قال علقمة بن ذي جدن:

قد كان حسان في ذؤابة غُمْدان قريراً بعيش مَنْ رغَدا

وكذلك كان قصر غُمدان مقر أسعد تُبّع بن حسان.

زمن ومدة حكم أسعد بن حسان:

إن أسعد تُبّع بن حسان هو «أسعد الثاني» وهو: أسعد تبان بن حسان بن غمران (غيمان/ ذي غيمان) بن أخسين بن كَبْرَ إل.. وهو من ملوك الدولة الحميرية في القرن الخامس بعد الميلاد. وقد ذكره ابن خلدون والجرجاني والهمداني في عدة مواضع باسم (تُبّع بن حسان) ـ ربما بسبب الالتباس الذي أدى إليه اسم أسعد والذي تحاشاه بعض علماء المؤرخين الأوائل بذكرهم أسعد هذا باسم تُبّع بن حسان. فقال الهمداني: «خرج تُبّع بن حسان في بعض غزواته فلما قَفَل رتب ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في حصن المُشقر ـ (بالبحرين) ـ»[٢] وقال ابن خلدون: «... مَلَكَ تُبّع بن حسان على حِمْيَر وهابته حِمْير والعرب، وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها... وذلك أيام قباذ ملك فارس»[٣]. وقال ابن خلدون: «قال ابن الكلبي: جاء الحارث بن عمرو الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وقد ولّاه تُبّع بن حسان.. أما ابن إسحاق فعنده أن تُبّع هو تبان أسعد»[٣] وقال ابن خلدون: «قال السهيلي: تبان أسعد: اسمان جُعلا اسماً واحداً، وتبان من التبانة وهي الذكاء والفطنة، وقال المجد في القاموس المحيط: تبان لقب تُبع الحميري، يُقال له أسعد تبان»[٤].

وبما أن الحارث بن عمرو الكندي نائب تُبّع أسعد بن حسان كان في أيام قباذ ملك فارس ـ بإجماع المؤرخين ـ يتبين من ذلك أن تُبّع أسعد بن حسان عاصر قباذ ملك فارس وقد حكم قباذ في الفترة ما بين ٤٦٤ و٥١٧م ـ بالقرن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤١ جـ٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص١٢٦.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٦ وص٢٦٤ جـ٢.
(٤) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٩ جـ٢ وص٥٨ جـ٢.

الخامس الميلادي ـ ويتطابق ذلك مع زمن أسعد بن حسان إذْ إنه:

أ ـ حكم حسان بن غمران (ذي غيمان) ٢٥ سنة، في الفترة (٥٤٥ ـ ٥٧٢ حميري/ ٤٣٠ ـ ٤٥٧ ميلادي) ومن عهده نقش موقع وادي حبان المؤرخ بعام ٥٦٠ حميري = ٤٤٥م.

ب ـ ثم حكم تُبّع أسعد بن حسان. وليس لدينا نقشاً من عهده، ولكن فترة حكمه معروفة بدقة حيث قال ابن خلدون: «قال الجرجاني: مَلَكَ تُبَّع بن حسان ٢٣ سنة». وهو تحديد قريب من قول حذيفة بن غانم:

وأسعدُ قَادَ النّاس عشرين حِجَّةً يُؤيِّد في تِلْكَ المواطِنِ بالنصر

فيكون عهده في الفترة (٥٧٢ ـ ٥٩٢ للتقويم الحميري = ٤٥٧ ـ ٤٧٧م) ويتفق ذلك مع معاصرته لقباذ ملك فارس.

جـ ـ وقد حكم بعد أسعد بن حسان «لحيعة يرخم ذو جدن». زهاء سنتين، ويوجد نقش من عهده، ثم حكم «شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم» وله نقش مؤرخ بعام ٥٩٥ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٨٠ ميلادي[1]. وقد ذكرته المصادر الأكسومية باسم «شرحبيل يكل ملك حمير». ثم حكم بعده «سميفع أشوع بن لحيعة يرخم» وقد ذكرته المصادر الرومانية باسم «سيمفيوس ملك حمير» وله نقش مؤرخ بعام ٦٢٥ حميري ويوافق عام ٥١٠ ميلادي[1] ثم حكم بعده يوسف أسار ذو نواس (٥١٥ ـ ٥٢٥م) قال ابن خلدون والجرجاني هو «ذو نواس بن أسعد تبان»[2]. ويوجد نقش من عهده مؤرخ بعام ٦٣٣ حميري ويوافق عام ٥١٨ ميلادي. وهو النقش رقم ١٠٢٨جام.

ويتبين من مجمل تلك النقوش والمصادر التاريخية ترتيب ملوك ذلك العصر وهم:

١ ـ حسان بن غمران ـ ذي غيمان. وقد حكم ٢٥ سنة. (٥٤٥ ـ ٥٧٢ حميري/ ٤٣٠ ـ ٤٥٧م).

٢ ـ أسعد بن حسان بن ذي غيمان. وقد حكم ٢٠ سنة (٥٧٢ ـ ٥٩٢ حميري/ ٤٥٧ ـ ٤٧٧م). وقال الجرجاني: ٢٣ سنة.

٣ ـ لحيعة يرخم ذو جدن.

---

(١) نقش قرن أملح ٤٠٦٩ ريمي. والنقش ٤٧ ينبق.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٩ جـ٢ وص٥٨ جـ٢.

٤ ـ شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم. وله نقش مؤرخ بعام ٥٩٥ حميري الموافق عام ٤٨٠ ميلادي.

٥ ـ سميفع أشوع (سيمفيوس ملك حمير) وله نقش مؤرخ بعام ٦٢٥ حميري الموافق ٥١٠م.

٦ ـ يوسف أسار ذو نواس بن أسعد بن حسان. وقد حكم من ٥١٥ ـ ٥٢٥م وله نقش مؤرخ بعام ٦٣٣ حميري ٥١٨ ميلادي.

ويتبين من مجمل ذلك أن عهد أسعد بن حسان كان في الفترة (٥٧٢ ـ ٥٩٢ حميري/ الموافق ٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي.

قصر غُمدان بصنعاء مقر وعاصمة أسعد.. وتعلية غُمدان في عهده:

لقد كان قصر غُمدان بمدينة صنعاء مقر تبابعة الدولة الحميرية منذ عهد تُبّع ملشان ذي يزن ـ (في أوائل القرن الرابع الميلادي) ـ وفي عهد حسان بن غمران ـ ذي غيمان ـ والد أسعد. قال علقمة بن ذي جدن:

قد كان حسان في ذؤابة غُمدان ... قريراً بعيش مَنْ رَغَدَا
يخدمه من سَرَاة حِمْيَر ألفان ... قياماً لن يقعدوا أبدا

وفي القصر غمدان والمدينة صنعاء كان مولد ونشأة تُبّع أسعد بن حسان، ولما توفي أبوه الملك حسان في غُمدان ـ أو في غيمان (التي تقع جنوب صنعاء) تَسَنّم أسعد بن حسان عرش التبابعة في قصر غمدان فكانت صنعاء هي عاصمة اليمن ودولتها الحميرية في عهده وكان مقره هو قصر غُمدان. وكان له أيضاً قصر في غيمان ما يزال موقعه يعرف باسم (قصر أسعد) حتى اليوم، وكان له أيضاً قصر في ظفار وقصر في هِكَر وقصر في بينون وقصور عديدة في أرجاء اليمن بالمدن الرئيسية لأنه رئيس الدولة (الملك) ولكن قصره ومقره الرئيسي كان قصر غُمدان بصنعاء، وكانت صنعاء عاصمة الدولة في عهده.

وقد أجمع المؤرخون الأوائل على أن تُبّع أسعد كان شاعراً وكان يقول الشعر وذكروا كثيراً من أشعاره، وبما أن زمن تُبّع أسعد بن حسان هذا كان في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م). أي قبل مولد النبي محمد ﷺ بمائة سنة فقط، فقد كان الشعر شائعاً في ذلك الزمن مما يعزز ما ذكره المؤرخون الأوائل عن أسعد وأشعاره. قال نشوان الحميري: «كان أسعد تُبّع ملكاً عظيماً، شاعراً فصيحاً،

عارفاً بالنجوم وأحكام القرانات». ثم ذكر نشوان قصيدة لأسعد عن عودته من حملة خارجية حيث قال فيها:

فأمسيتُ في غُمدان في خير محتدٍ منيعاً (وصنعا من حذاها المآجلا)[1]

وذلك من القرائن على أن مقره كان قصر غُمدان وإليه عاد من اليمامة وشمال الجزيرة. وقال الهمداني في حديثه عن قصر غمدان وصنعاء بالإكليل: «قال أسعد تُبّع:

وغُمدان قصر لنا مشرفُ مآجله حوله تُزهرُ
«وإن معسكرنا في أزال به عسكر دونه عسكرُ»[2]
وغيمانُ محفوفة بالكروم لها بهجة وله منظر»

قال الهمداني: «وقال تُبّع يصف صنعاء وما حولها:

دارنا الدار ما تُرامُ اهتضاماً من عدو ودارنا خير دار
إن قَحْطان إذْ بناها بناها بين بريّة وبين بِحَار
نُطّقتْ بالكروم والنخل والزر ع وأصناف طيّب الأشجار..»[3]

وقوله: «إن قحطان إذ بناها...» يريد (أبناء قحطان) فالباني الأقدم لأزال هو «أزال بن قحطان»، وأزال هو الاسم الأقدم لصنعاء. وكانت السيول والغيول في الزمن القديم غزيرة لذلك قال «وبين بحار» فشبهها بالبحار.

وكان قصر غُمدان عشرين سقفاً (طابقاً) في أعلاه غرفة من الرخام، فقام تُبّع ملشان ذي يزن بتجديد ذلك البناء الأول وتعلية غمدان عشرين سقفاً ـ وربما قام ببناء عشرين طابقاً بجوار القصر الأول وليس فوقه ـ وكذلك قام الملك حسان بالبناء والتعلية في غمدان، ثم قام أسعد بن حسان بتعلية غُمدان فبنى عدة طوابق بالياجور وغرفة من الزجاج الأخضر في رأس غُمدان. قال ابن المجاور الدمشقي:

«كان التبابعة من ملوك اليمن لهم رغبة نفيسة وهمّة عالية في عمارة

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٢٤ ـ وقد يكون الأصوب في صدر البيت «... خير محفد» وفي عجز البيت اختلاف.

(٢) أورد الهمداني هذا البيت في الجزء الثامن بلفظ:

«وكان معسكرنا دائماً أزال وعسكره عسكر

بينما أورده في الجزء الثاني بلفظ:

«وكان معسكرنا في أزال لنا عسكر دونه عسكر»

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٦ جـ٨.

غُمدان، وكلُّ ملك تولّى منهم كان يُعلّي قصراً على قصر حتى ارتفعتْ تلك القصور اثنين وسبعين سَقْفاً. ويُقال ثلاثة وتسعين سقفاً. وآخر من بنى به أسعد الكامل، بنى قصراً من زجاج وهو الخاتمة»[1].

وقد أورد نشوان الحميريّ وعُبيد بن شريّه الجرهميّ شعراً منسوباً إلى أسعد تُبّع وهو:

«حُمّيْك يا غُمدان مِنْ بَعْدنا ... ولست للتعطيل مُستأهل
نحن رفعنا علو آجرّه ... بألف ألفٍ عدّها القائلُ
ومن زجاج فوقه خلوة ... خضراء مثل القضبة الباقلُ
أبصارها للناس عليَّة ... لا شارب فيها ولا آكلُ
حُميّك يا غُمدان مِن بعدنا ... حُمّيْك يا غيمان والماجلُ
فيه ثمانون من أموالنا ... كيلًا، وألفا ذهب حاصلُ
ألفُ لجام فيه من مُذهبٍ ... لألف مهرٍ أدهم صاهلُ
ألفا لجام فيه من عسجد ... أيضاً لألفيّ مهرة حائل»[2]

وأياً كان قائل ذلك الشعر فإنه يتيح معرفة أن التعلية لقصر غمدان في عهد أسعد بن حسان كانت ببناء عدة طوابق بالياجور فوق القصر وغرفة من الزجاج الأخضر في قمة القصر وكان ذلك كما ذكر ابن المجاور هو «الخاتمة».

لقد قال ابن المجاور: «كان كل ملك من التبابعة يُعلّي قصراً على قصر حتى ارتفعت تلك القصور ٧٢ سقفاً..» وقال: «كان فوق كل قصر قصرٌ طويل، كل قصر أربعين ذراعاً في عرض مثله في ارتفاع مثله» [ص١٨١] ـ فكلمة «كان فوق كل قصر قصرٌ طويل» وكلمة «ارتفعت تلك القصور ٧٢ سقفاً» تجعلنا نميل إلى أن غُمدان كان عدة قصور يجمعها فناء واحد، وربما كان غُمدان بالتحديد أربعة قصور، وإن ارتفاع القصور الأربعة هو الذي بلغ ٧٢ سقفاً. وهذا يستلزم اختلاف الأوصاف الرئيسية لقصور غمدان الأربعة، أي وجود أربعة أوصاف لقصر غمدان، وقد حفظ لنا المؤرخون الأوائل بالفعل أربعة أوصاف لقصر غمدان، وبالرغم من أنها أربعة أوصاف لنفس القصر الواحد فإن اختلافها

(١) المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص١٨٠.
(٢) أخبار الملوك الماضيين ـ عُبيد بن شرية ـ ص٤٦٩ ـ والسيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٣١.

الجذري يعزز ما نميل إليه بأنها أربعة قصور وإن مجموع طوابق القصور الأربعة هو الذي بلغ ٧٢ سقفاً، وذلك كما يلي:

أ ـ كان غُمدان في البدء معبداً ضخماً يتكون من طابق واحد. قال المسعودي وابن خلدون «. . . بناهُ الملك الضحاك على اسم كوكب الزهرة وحجت إليه الأُمم»[١]. وكان ذلك في الزمن الأقدم، ثم حوله إلى قصر الملك (هلك أمر) وقام «إلِ شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان» ببناء القصر الأول سبعة طوابق فوق الطابق الأول. وقد جاء في الإكليل إنه «كان الذي بنى غُمدان إل شرح يحضب. . بناه على سبعة أسقف بين كل سقفين أربعون ذراعاً. . ولما بلغ غرفته العليا أطبق سقفها برخامة واحدة»[٢]. وكذلك جاء في هامش مروج الذهب. فيكون مجموع تلك الطوابق بما في ذلك الغرفة العليا ٩ طوابق وارتفاعها حوالي «٨ × ٤٠ = ٣٢٠ ذراعاً + الغرفة العليا = ٣٣٠ ذراعاً». فذلك هو القصر الأول.

ب ـ وجاء في تاريخ صنعاء للرازي إنه: «كان غُمدان عشرة سقوف إلى أعلى، سقف فوق سقف، بين كل سقفين أربعون درجة. وكان في رأسه بيت، عشر في عشر، سقف جميعه رخامة مطبقة عليه»[٣]. فيكون ذلك هو القصر الثاني، وكان ارتفاعه مع الطابق الأول والغرفة العليا ١٢ طابقاً. وذلك حوالي «١١ طابقاً × ٤٠ درجة = ٤٤٠ درجة + ١٠ (الغرفة العليا) = ٤٥٠ درجة».

جـ ـ وقال الهمداني في الإكليل: «كان غمدان عشرين سقفاً، وكان فيما بين كل سقفين عشرة أذرع. . فذلك مائتا ذراع. . وكان في أعلاه غرفة لها لُهج وهي الكوى، كل كوة منها بناء رخام في مفتل من الساج والأبنوس ـ قال عمرو بن إسحاق: وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة، وقال آخر: كانت الغرفة تحت بيضة رخام من ثمان قطع مؤلفة. وذلك أحرى لأنهم كانوا يُثقبون فيها السرج فتُرى من رأس جبل عجيّب ولا ترى فيها حمرة النار مع الرخامة المسطوحة. ويؤيد ذلك قول علقمة حيث يقول:

مصابيح السَّليط يلحن فيه إذا يُمسي كتوماض البروق»

[ص١٩/ ٨]

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٦٥٣.

(٢) تاريخ صنعاء ـ الرازي ـ ص٢٠.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٨ ـ ١٩ جـ٨.

فذلك القصر كان ٢٠ طابقا × ١٠ أذرع = ٢٠٠ ذراعا + ١٢ (الغرفة العليا) = ٢١٢ ذراعاً، وتتميز الغرفة العليا بأن سقفها لم يكن رخامة واحدة وإنما كان بيضة رخام مؤلفة من ثمان قطع، على شكل قبة بيضاوية في قمة القصر.

جـ ـ وقال الهمداني في شرح الدامغة: «كان غمدان عشرين سقفاً بين كل سقفين ثمانية عشر ذراعاً، وكان فيه مائة مسكَن بمرافقه..» (اهـ) وهذا وصف وتحديد رابع لقصر غمدان (٢٠ طابقاً × ١٨ ذراعا = ٣٦٠ ذراعاً). وقد قال الهمداني: «ولم تزل (ملوك) حمير تنزل غُمدان وتزيد فيه» [ص١٥/٨] ـ ويمكن أن تكون الزيادة في عهد أسعد حوالي ٩ طوابق من الياجور والغرفة الزجاجية في قمة القصر، فإذا جمعنا تلك التحديدات، يكون قصر غمدان:

أ ـ ٨ طوابق × ٤٠ ذراعاً = ٣٢٠ + ١٠ (الغرفة العليا) = ٣٣٠ ذراعاً.

ب ـ ١١ طابقاً × ٤٠ درجة = ٤٤٠ + ١٠ (الغرفة العليا) = ٤٥٠ درجة.

جـ ـ ٢٠ طابقاً × ١٠ أذرع = ٢٠٠ + ١٢ (الغرفة العليا) = ٢١٢ ذراعاً. (وربما ٣ طوابق ياجور أيضاً).

د ـ ٢٠ طابقاً × ١٨ ذراعاً = ٣٦٠.

هـ ـ ٦ طوابق ياجور وغرفة من الزجاج الأخضر وهي الخاتمة..

يكون مجموع طوابق وارتفاع قصور غمدان (٩ + ١٢ + ٢٤ + ٢٧ = ٧٢ سقفاً) ولكنها ليست بعضها فوق بعض وإنما أربعة قصور متجاورة يجمعها فناء واحد. قصران من عصور سبأ (وهما الأول والثاني) وقصران في عصر الدولة الحميرية بناهما تُبع ملشان ذويزن وتُبّع حسان بن ذي غيمان، وعلّاهما أسعد بن حسان، ولعل ما جاء في الإكليل ومروج الذهب بأن قصر غمدان «كانت له أربعة أوجه في ترابيعه: وجه مبني بحجارة بيض، ووجه بحجارة سود، ووجه بحجارة خضر، ووجه بحجارة حمر» لعل أصل ذلك أن القصر الأول كان مبنياً بحجارة بيضاء والثاني بحجارة سوداء والثالث بحجارة خضراء والرابع بحجارة حمراء. وذلك غير الشرفات والأحزمة واللهوج والأعمدة الرخامية.. وكان القصر الرئيسي من ٢٠ طابقاً.. قال الهمداني في الإكليل:

من بعد غُمدان المنيف وأهله ... وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مُصعداً ... عشرين سقفاً سمكه لا يقصر
ومن السحاب مُعَصب بعمامة ... ومن الرخام مُنطّقُ ومؤزرُ
متلاحكاً بالقطر منه صخره ... والجزع بين صروحه والمرمر

وبكل ركن رأس نسرٍ طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر

وقال علقمة بن ذي جدن:

فذاك غُمدان محزبلاً بناؤه العجب العجيب
أعلاه مبهمة رخام عالٍ وأسفله جروب
وذاك غمدان محزئلاً كأنّه جبلٌ منيف
يسكنه ماجدُ أبيٌّ تُرغم قدامه الأنوف

وقال ربيع بن ضبع الفزاري الجاهلي:

وغُمْدان إذْ غُمدان لا قصر مثله زهاءً وتشييداً يحاذي الكواكبا

قال ابن المجاور: «كان أواخر فَيْء قصر غُمدان يصل إلى وادي ظهر. وذلك إذا قربت الشمس للغروب لأن في مثل ذلك الحين يكون الظلّ والفيء إلى أن يرجع مثل الشيء ثلاث أربع مرات. ويقال إن ضياء سُرُجه كان يُنظر من المدائن وقيل إلى المدينة ـ يثرب ـ» [ص١٨١] ولعل أصل ذلك أن حمرة النار في رأس الغرفة العليا كانت تُرى من رأس جبل عجيّب، وكان يتم استخدام تلك النار للإشارات في المناسبات كالأعياد والاستنفار للحروب، فعندما يرى المرابطون في جبل عجيّب وميض النار في رأس قصر غمدان يعطون إشارة مماثلة فيتألق وميض النار من جبل إلى جبل ومن موقع إلى موقع حتى يصل إلى يثرب شمالاً وإلى نجد وتخوم الحيرة شرقاً وكذلك داخل أرجاء اليمن، ويعرف الجميع أن ذلك وميض رأس قصر غمدان بأمر تُبّع أسعد بن حسان.

كبار أذواء وقادة اليمن في عهد أسعد بن حسان:

١ ـ نبأ أسعد وعمرو ذي الكباس بن زيد بن كَبْر إل:

جاء اسم «زيد بن كَبْرَ إل» كواحد من كبار الأذواء في نقش وادي حبان المؤرخ بعام ٥٦٠ حميري (٤٤٥م) في عهد حسان بن ذي غيمان بن أخسين بن كبر إل[١].

قال الهمداني في الإكليل: «وأولد زيد بن كبر إل: عمراً ذا الكباس بن زيد بن كبر إل، والحارث بن زيد بن كبر إل، فأولد عمرو ذو الكباس: حسان وذا قسد، ابنيّ عمرو ذو الكباس»[٢].

---

(١) النقش رقم (٥٠٨٥ روبان) ورقم (٣٠٤ ركمانز).
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٣ جـ٢.

وكان عمرو ذو الكباس يتزعم مناطق واسعة من اليمن وكان بمثابة «ملك» وذلك في أوائل عهد أسعد بن حسان. فاندلع بينهما صراع على ملوكية ورئاسة الدولة الحميرية، وانقسم أذواء وأقيال حِمْيَر بينهما، فسار أسعد إلى حقل شرعة لقتال عمرو ذي الكباس. قال الهمداني في شرح الدامغة:

«لما صار أسعد تُبّع بحقل شرعة ناصبه ذو الكباس الحرب، وأخذت حِمْيَر مصاف الحرب بينهما، فقال له أسعد: لا يحسن أن نصادم بين حِمْيَر ولا نولغ أسيافها بدمائها ولكن أبرز لي فإن ظفرت بي كنتَ أملك بهم وإن ظفرتُ بك احتويتُ عليهم ولم نهرق بينهم محجم دم. فبرز له ذو الكباس فقتله أسعد في أول جولة واستولى على أمره. وفي ذلك قال علقمة بن ذي جدن:

ومنّا الذي وافَىٰ لشِرعة مُعْلماً ... مُظَاهِر سربال الحديد ظهارا»[1]

يعني أسعد تُبّع. ومما يدل على أن ذا الكباس كان ملكاً قول عمرو بن معدي كرب لعمر بن الخطاب:

أتُوعِدُني كأنّك ذو رُعَيْنٍ ... بأنْعَم عِيشَةٍ أو ذُو كُباسِ[2]
فكم قد كان قبلك من مليكٍ ... عظيم ظاهر الجبروت قاسي
فأصبح أهلُه بادُوا، وأمْسَىٰ ... يُنَقَّلُ مِن أُناس في أُناسِ
فلا يغرُرْك مُلكك، كل مُلْكٍ ... يصيرُ مذلّة بعد الشَّماسِ[3]

وقال النعمان بن بشير الأنصاري:

ومنّا ملوك الناس: فهدُ وتُبَّع ... وعبد كُلال والقروم القماقمُ
وحسان ذو الشعبين مِنَّا ويُرعشُ ... وذو يزن تلك البحور الخضارم
ومِنّا (كُباسُ) ثم أسعد بعده ... وعمرو وحسان النجيدُ الضُبارم[4]

فقوله: «ومنا كباس ثم أسعد بعده» يدل على أن ذا الكباس كان ملكاً ثم اجتمع المُلك لأسعد بعد مبارزته لذي الكباس ومقتل ذي الكباس في حقل شرعة. وعندئذٍ انضوى سائر أذواء وأقيال حمير تحت ملوكية أسعد، وشمل حكمه سائر أرجاء اليمن الطبيعية.

---

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٩٥.

(٢) ويروى «بأنعم عيشة أو ذو نواس».

(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٣٣٥ جـ٢.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢١٢ جـ٢.

٢ ـ يزيد بن يعفر ذو الكُلَاع. قائد حِمْيَر في عهد أسعد:

هو القائد القَيْل يزيد ذو الكلاع بن يعفر بن زيد بن النعمان بن زيد بن شُهال بن وحاظة. من بني سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زُرعة بن حمير الأصغر.

قال الهمداني: «... أولد يعفر بن زيد: يزيدَ ذا الكلاع، وهو أحد قواد أسعد تُبّع، وفيه يقول تُبّع:

وجعلنا على المجنبة اليُمنى أخا الحرب ذا الكلاع يزيدا

... وعليه تكلعت الكلاع من الكلاع وغيرها من قبائل حمير، مثل غَربه وعنَّة والأشروع ونخلان ويكالم وشقحب وزُنجع وبهيل والقَفاعة وذي مناخ وبعدان وريمان وعروان ونعيمة والخبايز والسحول ودمت وحميم. والتكلع والتبكل والتقرش والتحبش: الاجتماع... فلما قَوّد أسعد تُبّع يزيدَ بن يعفر على هذه القبايل سُمِّي ذا الكلاع، أي قائد الكلاع»[١].

وكان مقر ذي الكلاع مصنعة وقصر وحاظة في أعلى جبل حُبيش في عزلة شُبَع بمديرية حُبَيش شمالي غرب مدينة إب. وكانت مناطق الكلاع تشمل بالتسميات الحالية: إب، والسحول، وحبيش، والعدين، وذي سُفال، ومذيخرة، والمخادر، وسمارة، وبعدان، وكذلك مناطق ذي رُعَيْن: يريم، السدة، النادرة، الشعر، الرضمة، دمت، يافع، الضالع، وغيرها. فكان يزيد بن يعفر ذو الكلاع القائد الحربي لقبائل حمير في تلك المناطق وغيرها من مناطق حمير. وهو نظام حربي استحدثه أسعد تُبع بن حسان. واستمر ذلك النظام وتوارث بنو ذي الكلاع تلك المرتبة القيادية الحربية لقبائل حمير حتى ظهور الإسلام حيث كان قائد حِمْير: السميفع ذو الكلاع بن يعفر بن ناكور بن زيد بن شرحبيل بن الأسود بن عمرو بن مالك بن يزيد ذي الكلاع بن يعفر. وكان السميفع ذو الكلاع قائد حِمْيَر في فجر الإسلام وفي فتوحات الشام وله تاريخ مجيد[٢].

٣ ـ عبد كُلال ذو رُعَيْن... حاكم ظفار وغرب اليمن في عهد أسعد:

هو القَيْل (الملك) عبد كلال الثاني (الأوسط) بن عَرِيب بن فهد بن زيد بن مثوَّب بن يريم ذي رُعين بن مُرّة بن شراحيل بن معدي كرب ذي غُشيم بن الغوث بن يعرب ينكف بن جيدان بن لهيعة بن مثوّب بن ذي رُعَيْن.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٦٤ جـ٢.

(٢) يمانيون في موكب الرسول ـ محمد حسين الفرح ـ ص٤١١ ـ ٤٤٢.

وكان عبد كُلال هذا ملكاً نائباً بمدينة ظفار ومناطق حمير إلى المعافر وتهامة ـ غرب اليمن ـ حتى ساحل وجزر البحر الأحمر في عهد تُبّع حسان وعهد أسعد تُبّع بن حسان. وقد ذكر ابن خلدون رواية تزعم إنه لما مات الملك حسان كان ابنه (تُبع بن حسان) ـ وهو أسعد ـ قد استهوته الجن، فوثب على مُلك التبابعة عبد كلال، ثم رجع ابن حسان تُبّع من استهواء الجن فَملَكَ على حِمْيَر وهو تُبّع ذو المغازي والآثار البعيدة[1]. وقال في موضع آخر: «استهوت الجن تُبّع بن حسان، فَمَلكوا عبد كلال، وكان على دين النصرانية. ثم رجع تُبّع بن حسان عن استهواء الجن وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من يُعلم في زمانه وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون، فَمَلَك على حمير وهابته حمير والعرب»[1].

ولعل الزعم بأن أسعد بن حسان استهوته الجن كان دعاية من عمرو ذي الكُباس عند تمليكه في أوائل عهد أسعد، ثم اجتمع الأمر لأسعد ـ ليس لأنه رجع عن استهواء الجن وإنما ـ لأنه انتصر على ذي الكباس وقتله، فعندئذٍ هابته أذواء وأقيال حمير وأجمعوا على ملوكيته. وكان عبد كلال وأولاده من أذواء عهده حيث قال أسعد:

ومِـن ذي رُعَـيْـن ومِـن ذي مـنـاخ لـي الـرأس والـصـلـب والأبـهـر

وكان فهد بن عبد كلال ذي رعين قَيْلًا بالمعافر (محافظة تعز حالياً) ويحكم المعافر وتهامة إلى جزر البحر الأحمر في إطار ملوكية وزعامة أبيه عبد كلال في ظفار (بمحافظة إب حالياً) وذلك في إطار الدولة الحميرية التي كانت ذات نظام اتحادي وكان أسعد بن حسان هو الأول بين الأذواء ورئيس الدولة، ولذلك كان كثيراً ما يقيم في مدينة ظفار (التي هي مقر قيالة عبد كلال وبني ذي رعين). قال الهمداني: «وفي ظفار قال أسعد:

وريدان قصري في ظفار ومنزلي بها أسّ جدي دورنا والمناهلا

وقال:

ظفرنا بمنزلنا في ظفار وما زال ساكنها يظفر»

غير أن المقر الرئيسي لأسعد كان قصر غُمدان بمدينة صنعاء عاصمة تبابعة الدولة الحميرية، وكان عبد كلال ذو رعين ملكاً نائباً في ظفار ومناطق حمير وغرب اليمن في إطار ملوكية ورئاسة أسعد للدولة الحميرية.

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٠ وص١٨٧.

٤ ـ ذو يزن. . حاكم عَبْدَان وشرق اليمن في عهد أسعد:

قال الهمداني في الإكليل: «عامر ذو يزن أحد أقيال حِمْير العظماء. . فأولد عامر ذو يزن: سيف بن عامر. قال أبو نصر اليهري: سيف بن عامر ذي يزن صهر أسعد تُبّع في عصره كان» [ص٢٥٦/ ٢].

وسيف بن عامر ذي يزن هو ـ غالباً ـ «سيفم يهسكر/ بن ذي يزن» المذكور في نقش وادي حبان المؤرخ بعام ٥٦٠ حميري (٤٤٥م) في عهد حسان والد أسعد، فقد ذكر النقش (سيفم يهسكر/ وملش يهنم/ بني. . ذي يزن ويلغب. . كبار أقيال ضيفتن ورثحم» [النقش رقم ٥٠٨٥ روبان].

وكان ذو يزن وابناه سيفم يهسكر وملش يهنم يحكمون مناطق أذوائيات يزن وجدن وبني ضيفي ومناطق مشرقن بما فيها حضرموت والمهرة وسأكلن عُمان وجزيرة سقطرى، وكانت مدينة عبدان في وادي عبدان ـ (بمحافظة شبوة حالياً) ـ عاصمة النصف الشرقي من اليمن ومقر القصر يزن والأذواء اليزنيين وكانت أذوائية يزن تشمل مناطق أبين ولحج ويافع والبيضاء والضالع وعدن وغيرها.

قال الهمداني في الإكليل: «قال ابن الصرحي اليعفري: إن عامراً ذا يزن تزوج ابنة أسعد تُبّع، وكان عنده مكيناً، فمرت به يوماً في مجلسه من بعض قصوره، بُنيَّةٌ لذي يزن من بنته، فقرّبها، ثم قال:

يـا ابـنـة الـقـيـل ذي يـزن ... جـدّك الـيـوم خـيـر مَـنْ

حَـلّ فـي ذروة الـيـمـن ... بـيـن صـنـعـاء إلـى عـدن

قال الهمداني: ويمكن أن يكون الصهر سيف بن عامر ذي يزن، وأقامه أسعد في اللفظ مقام أبيه». [ص٢٥٦/ ٢] ـ أي إن الذي تزوج ابنة أسعد وكان عنده مكيناً هو سيف بن عامر ذي يزن ـ وهو «سيفم يهسكر» ـ وكان حاكماً لمدينة عبدان وأذوائيات يزن وكبير أقيال بني ضيفي ومشرق اليمن إلى سأكلن (عمان) وجزيرة سُقطرى في عهد أسعد «خير من حلّ في ذروة اليمن بين صنعاء إلى عدن».

وكذلك كان من كبار الأقيال لحيعة يرخم ذو جدن اليزني، وقد تم تمليكه ـ كما سيأتي ـ بعد عهد أسعد، وكان آل جدن من نفس بيت آل ذي يزن في ذلك الزمن.

٥ ـ جعّال بن عبد. . رئيس بكيل في عهد أسعد:

هو: (جعال بن عبد بن ربيعة بن جشم بن حرب بن نهم البكيلي

الهمداني) رئيس قبائل بكيل. وكانت قبائل بكيل تنتشر في (محافظات) صنعاء وعمران والجوف وصعدة (وائلة) إلى أطراف نجران.

قال الهمداني: «وكان جَعّال مكيناً عند أسعد تُبَّع، وَملَّكه على بكيل، وله معه أخبار عجيبة يطول ذكرها، وهو القائل:

بَنَى لنا أوّلُونا فوق عالية ... مجداً دعائمه من تحته زلق
حتى استوينا على أشراف رابية ... عند الثريا بها الأرواح تختفق

... وقَدِمَتْ إلى جعال جُذامُ (من الشام) في حمالات (ديات قتلى) كانت بينهم وبين إخوانهم بني عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد (وهم لَخْم بالشام). فقال لهم جعال: وكم ما جئتم تسألوني؟ قالوا: نسألك ألفيّ ناقة وأربعمائة. فحمل لهم بها (أي تحملها وأعطاهم إياها) وقال يذكر ذلك:

لقد علمت أفناء قَحطان أننا ... إلينا يصير المجد في كلّ مجمعِ
وإنّا قَبيلُ في عصانا صلابة ... إذا زُعزعت أحلامُنا لم تُزْعَزعِ
ويوم جُذام قد كفيتُ عشيرتي ... حَمَلت بألفيّ ناقة وبأربعِ
بأكلبها سلّمتُها ورعاتها ... وذلك من كل لمرأى ومسمع
ولو حمّلوني ضعفها لحملتُها ... عليّ ولم أنكل ولم أتخشع»[1]

وكان جعال رئيساً لقبائل ومناطق بكيل في عهد أسعد ثم بعد أسعد فترة من الزمن (إلى القرن السادس الميلادي).

٦ ـ الديان بن قَطَن الحارثي رئيس نجران وعسير:

هو الديان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث رئيس قبيلة بني الحارث بن كعب المذحجية وقبائل مذحج ومخلاف نجران. قال ابن خلدون: «وأما بنو الحارث بن كعب: فالحارث أبوهم ابن كعب بن عُلّة بن جَلْد بن مذحج. وكان من بني الحارث بن كعب هؤلاء بنو زياد وابنه يزيد بن قَطَنْ بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث، وهُم بيت مذحج وملوك نجران. وكانت رياستهم في بني عبد المدان بن الديان»[2]. قال عبد الحارث بن أنس بن الديان:

ونحن بحمد اللّه هامة مذحج ... بنو الحرث الخير الذين هُمُ مَدَر

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٧ ـ الجزء العاشر.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٣٤ وص٨٥.

وكان من أول رؤساء بني الحارث ونجران: زياد بن الحارث ثم قَطَن بن زياد ثم الديان بن قَطَن بن زياد. وفيه قال الشاعر:

يقود بها ديّانُها غير عاجزٍ ثمانين ألفاً قادها من براقش

وكان الديان زعيم نجران ومخاليفها ورئيس قبائل مذحج بالجوف ونجران وعسير في عهد حسان وعهد أسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٨٠م) إلى عهد يوسف أسار ذي نواس (٥١٥ ـ ٥٢٥م). قال ابن خلدون: «اتفق أهل الأخبار كلهم على أن ذا نواس هو ابن تبان أسعد ـ بن حسان ـ»[1] ومؤدي ذلك أن أخت الديان كانت زوجة أسعد تُبع. قال الهمداني في الإكليل: «وأُمّ ذي نواس: سلمى بنت قَطَن بن زياد الحارثي. من بني الحارث بن كعب. وقال الأبرهي، قال بعض السُّخطيين: إن أمّه مسكينة بنت زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب. وسألتُ أبا الهيذم السُّخطي فقال لي: خال ذي نواس: عبد المدان بن الديان». [ص٦٣/ ٢] والصواب أن خال ذي نواس الديان بن قطن لأن زمن عبد المدان بن الديان متأخر. وكان الديان بن قطن رئيس نجران بمدلولها الواسع القديم إلى تخوم الطائف ونجد في عهد تُبّع أسعد حيث كان سلطان الدولة الحميرية يشمل كل أرجاء اليمن الطبيعية.

وقد جاء في الإكليل: «إن الملوك التبابعة كان حُجابهم: من جهة الجنوب بعدن. وفي الشرق بعُمان، وفي الغرب بغلافقة [في ساحل البحر الأحمر] ومن الحجاز بطلحة الملك [في أعالي عسير وتخوم أعمال مكة والحجاز] ـ وسُمّيت الطلحة بذلك. فإذا قدم قادم أو وَفَدَ وافدُ، أقام في الكرامة وطُلِب له الإذن من الملك، فإما أُذن له وقَدِم، وإما وُصِلَ [أي مُنِح صلة وعطاء] وصُرِف» [ص٢٥٦/ ٢].

فمراكز أولئك الحُجّاب كانت في أطراف اليمن الطبيعية ومداخلها الرئيسية، في عدن جنوباً وفي عُمان شرقاً وفي غلافقة بساحل البحر الأحمر غرباً وفي طلحة الملك بتخوم الحجاز شمالاً في عصور تبابعة الدولة الحميرية ومنهم تُبّع أسعدبن حسان، فبالرغم من امتداد سلطان ونفوذ الدولة إلى اليمامة ونجد والحجاز والبحرين فإن النطاق الرسمي والثابت للدولة كان أرض اليمن بحدودها التاريخية الطبيعية والتي في أطرافها ومداخلها كان حُجاب التبابعة في عصر الدولة الحميرية.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص١٣٤ وص٨٥.

نبأ حلف اليمن وربيعة في السنة السادسة من عهد تُبّع أسعد بن حسان:

كانت قبيلة ربيعة تسكن في زمن أقدم بمنطقة تهامة في اليمن ثم انتقلت إلى مناطق من اليمامة ونجد ومنطقة البحرين (الخليج العربي). وينسبهم النسابون إلى قبائل نزار العدنانية فيقولون إنهم (ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان». ولكن وجودهم السابق بمنطقة تهامة في اليمن قد يعني أنهم دخلوا في نزار بعد انتقالهم إلى شمال الجزيرة. وقد تفرعت ربيعة إلى عدة بطون وقبائل أشهرهم: عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وبكر بن وائل بن قاسط بن رهنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وتغلب بن النمر بن عمرو بن رهنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ومازن بن منعة بن أوس بن نذير بن أحمس بن ربيعة، وعنزة بن أسد بن ربيعة.

فأجمع رؤساء قبيلة ربيعة بمناطق نجد واليمامة والبحرين على عقد حلف مع اليمن تكون ربيعة واليمن بموجبه طرفاً واحداً، وأرسلت ربيعة وفداً يضم مائة شخص من وجوه ربيعة إلى الملك أسعد تُبّع بن حسان لعقد الحلف، وكان وفد ربيعة برئاسة عوف بن ربيعة من أشراف بكر بن وائل، وذهل بن شيبان، وسميع بن معشر من سادة ربيعة. فاستدعى تُبع أسعد بن حسان رؤساء كافة قبائل اليمن وقحطان، فأخبرهم بما سألت ربيعة، فاستحسنوا ذلك، وأجمعوا على الحلف. وعندئذٍ ـ كما جاء في شرح الدامغة.

«أمر تُبّع بن حسان بجفنة من ذهب ففصد فيها من دمه ودم خيار قومه من الرجال والنساء، ثم دعا وفد ربيعة ففصد من دم رجالها والنساء، ثم صبّ على الدم خمراً ثم شرب وسقاهم دائراً، ثم قَلَمَ أظافر يديه ورجليه وأمرهم فَقَلَموا أظافير أيديهم وأرجلهم، وجَزَّ من نواصيهم [أي من شعر رؤوسهم] ثم خلطها جميعاً وجعلها في تابوت فضة [مع نسخة من كتاب الحلف] ثم دفنها على شاطئ البحر، وفَجَّرَ من البحر لساناً على مكان التابوت. وكتب كتاب الحلف بينهم». قال الهمداني: «وهذه نسخة كتاب الحلف» ـ ومن ذلك ما يلي نصه:

«باسمك اللهم. هذا ما احتلف عليه اليمن وربيعة بن نزار، احتلفوا على سواء السواء، على النصر والإخاء ما احتذا رجل حذا، وما راح مرح وغدا.. حلفاً يرويه الأخيار عن الأخيار والأشرار عن الأشرار والصغار عن الكبار آخر الدهر والأبد.. يفنى الأمدُ ويبقى. ويُنسى المهم ولا يُنسى، على ذلك يهرم الكبير وينشأُ الصغير. حلفهم هذا مُزكي محفوظ بأمر العليّ ما طلعت شمس وما غربت، وما لمعت نجوم وما أفَلَتْ... بالتناصر آخر الدهر، لا غش ولا

خذلان، ولا تواصل دونهم لإنسان، العهد عليهم بذلك وثيق، يجيب عليه الداع، ويرعى عليه الراع، ويخلط عليه العيال بالعيال، والمال بالمال، ما اختلفت الأيام والليال. فإنْ مَلِكٌ أجبرهم على أمر وجمعهم على إثم فله عون الكارهين ولهم صلة الواصلين.. تحمل على هذا أولادهم الحوامل وتقبلهم عليه القوابل.. اللّه أذن به، وعقده عقد مليك صمد. اللهم ألهم منه الرشد. لا يستطيع نقضه أحد. إن أصلح مُصلحُ قُبِل عمله، وإن أفْسَدَ مُفسد لم يُقبل منه، وإن نقض ناقض على عمد لم يؤاخذ بها أهل الحجا والقصد، وعلى هذا المحيا والممات. وكُتب في شهر ناجر سنة ست من مُلْك تُبّع بن حسان»[1].

قال الهمداني: «فصارت ربيعة بذلك الحلف من بني قحطان كما صارت قبلهم إياد. وحليف القوم منهم»[1].

ونشير هنا إلى النقاط التالية:

- إن عقد ذلك الحلف بين اليمن وربيعة كان في السنة السادسة من عهد تُبّع أسعد بن حسان. فيكون ذلك سنة ٥٧٨ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٦٣ ميلادية. أي قبل نحو مائة سنة من مولد النبي محمد ﷺ (٥٧٠م) وقبل نحو مائة وأربعين سنة من البعثة النبوية (٦١٠م).
- وقد تكرر في نسخة كتاب الحلف الذي أورده الهمداني ذكر اسم اللّه مثل «باسمك اللهم... اللّه أذن به... اللهم ألهم منه الرشد» كما جاء ذكر اللّه باسم العليّ: «حلفهم هذا مُزكى بأمر العَليِّ...» وقد كان أسعد تُبع بن حسان وقومه يؤمنون باللّه الرحمن العليِّ ـ كما تؤكد ذلك نقوش المسند ـ وقد جاء لفظ اللّه (ا ل ل ن) والرحمن العليِّ في عدة نقوش من ذلك العصر، منها:

أ ـ النقش رقم (٥٠٨٥ روبان) المؤرخ بعام ٥٦٠ حميري (٤٤٥ ميلادي) وقد جاء التوجه فيه بلفظ «ا ل ل ن/ ذي سمين» ـ أي (اللّه ذي السماء) ـ وهو من عهد حسان والد أسعد.

ب ـ النقش رقم (٥١٣ ركمانز) في موقع وادي كوكب بنجران وقد جاء فيه اسم «لحيعة يرخم ذو جدن) وعبارة «وليَرْحمن أبناء ملكنا ذي جدن الرحمن. آمين». وكان لحيعة يرخم ذو جدن من كبار الأذواء في عهد تُبّع أسعد بن حسان. وتم تمليكه بعد وفاة أسعد ما بين عام ٤٧٧ ـ ٤٨٠م.

جـ ـ النقش رقم (١٠٢٨ جام) من عهد يوسف أسار ذي نواس ـ الذي ذكر ابن

(١) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٤١٤ ـ ٤١٦.

خلدون إنه ـ ابن تُبع أسعد، وهو مؤرخ بعام ٦٣٣ حميري (٥١٨ ميلادي) ويبدأ النقش بالنص التالي: «ليباركن إلهنا (ا ل هـ ن) ذي له السماء والأرض يوسف أسار يثأر ملك كل الشعوب». وجاء في ختام النقش ما يلي نصه: «وضع هذا المسند في حماية السماء. ويستعيذ بالرحمن العليّ من كل مخادع يحاول طمسه. صِيغ وسُطر وقُدِّم باسم الرحمن» (اهـ) فقد ورد في ذلك النقش ذكر اللّه باسم «الرحمن العليّ» وهو نفس اللفظ الذي ورد في نسخة كتاب الحلف بين اليمن وربيعة. وذلك يؤكد صحة كتاب الحلف الذي أورده الهمداني عن مصادره الأقدم، والمكتوب في السنة السادسة من عهد تُبّع أسعد بن حسان (أي عام ٥٧٨ حميري/ ٤٨٢ ميلادي) ـ بدليل ورود لفظ «اللّه. العليّ»، في نقش عهد يوسف أسار بن تُبع أسعد المؤرخ بعام ٦٣٣ حميري/ ٥١٨ ميلادي.

ـ وكان دين التوحيد ديناً رئيسياً باليمن في ذلك العصر وهو دين المسيحية الأولى، وكان عبد كلال الثاني بن ذي رُعين حاكم ظفار ومناطق حمير وغرب اليمن يدين بالديانة المسيحية (النصرانية الأولى) وكانت بظفار كنيسة مذكورة باسم «قليس ظفار» في النقش رقم ١٠٢٨ جام كما كان هناك قليس في عبدان وقليس في صنعاء ودير في نجران. وكانت صنعاء وظفار وعبدان ونجران هي المدن الرئيسية العواصم باليمن في عهد أسعد تُبع بن حسان. وكان أسعد مؤمناً بدين التوحيد المسيحي الأول الذي ليس فيه تأليه إلا اللّه الرحمن العليّ. ولذلك جاء في كتاب حلف اليمن وربيعة أن «حلفهم هذا مُزكى محفوظ بأمر العليّ... اللّه أذن به، وعقده عقد مليك صمد».

مسير تُبَّع أسعد بن حسان إلى شمال الجزيرة وقيامه ببناء الملحاء:

بعد عقد حلف اليمن وربيعة بأمد يسير سار تُبع أسعد بن حسان بجيش حمير (الدولة) وأقيال وفرسان قبائل اليمن إلى اليمامة ونجد والبحرين بمدلولها الواسع القديم (منطقة الخليج العربي). وكانت أرض اليمامة إقليماً شاسعاً يشمل أغلب نجد ويمتد إلى تخوم البحرين والحيرة. وقد ذكر الهمداني في الصفة أن «من أرض اليمامة: حجر ثم جوّ... والعرض وهو واد باليمامة... وفوق ذلك واد آخر يُقال له وادي قُرّان، وبه قرية يقال لها قرّان، وفوق ذلك قرية يُقال لها القُرَيَّة.. ومن جانب اليمامة الآخر قرية يقال لها المجازة... وقرية ماوان.. وقرية بنبان.. والنقب.. وتلعة، والسدوسية وهي حُزوى ـ من ديار تميم ـ والضبيعة لبني قيس، والملحاء لبني قيس، والخرج لبني قيس. والنقيرة

والعويند... إلخ» [ص٣٠٩] وقد ذكر الهمداني قرى ومناطق كثيرة في اليمامة بمدلولها الواسع القديم. وقال: «وعارض اليمامة جبل مسيرة أيام.. وهو جبل منقاد عشرة أيام يعارض من خرج عن نجران أربع مراحل فلا يزال يماشي الإنسان حتى يقطع الفقيء وهو أقصى اليمامة». [ص٣١١].

وقد سار أسعد تُبّع بالجيش والقبائل من مناطق مخلاف نجران وطريق جبل العارض إلى أرجاء اليمامة وكانت تسكن العارض والمجازة من أرض اليمامة بنو سُلي وبنو صبيح وبنو كبير وهم من جَرْم من قبيلة قضاعة بن مالك بن حمير ـ وسار أسعد إلى قرى ومناطق تميم التي منها «السدوسية وهي حُزوى» وقد شارك الديان بن قطن الحارتي وبنو الحارث بن كعب والربيعة بن سعد بن خولان في الحملة على مناطق تميم التي منها حزوى وقال شاعر الربيعة بن سعد بن خولان يذكر ذلك:

فـهـا تـلـك أعـظـم مـا قـد رأيـتُ وكـانـوا الـفـوارس يـومـاً بـحُـزوى
بـدار تـمـيـم غـداة الـجـفـار وزرق الأسـنـة يـزريـن رزوا

فأذعنت تميم للطاعة. ومضى تُبّع أسعد إلى منطقة الملحاء باليمامة ـ التي ذكر الهمداني بأن من أرض اليمامة «الضبيعة لبني قيس، والملحاء لبني قيس، والخرج لبني قيس» فقام تُبّع أسعد بعمارة مدينة وسوق تجارية في منطقة جبل الملحاء باليمامة، حيث قال ابن المجاور ما يلي نصه:

«لما مَلَكَ تُبّع اليمن وحضرموت وبلاد الأحقاف والحجاز وأراد أن يخرج إلى ناحية العراق جاء إلى جبل المَلْحاء وهو جبل عظيم، وحفر فيه سِرْباً عظيماً فحفر تحت الأرض مسيرة ثلاثة فراسخ أو أكثر من ذلك، مُتسفلٍ مُنحدر، فلما حفر هذا القدر أمر أن يُحفر في أواخر السرب بلداً عظيماً والأصح سوقاً عظيماً بدكاكين متقابلة مصطفة على خيط واحد ما مقداره ألف دكان، ونقر من وراء الدكاكين الدُور والأملاك. فلما تمّ عمله ملأ كل دكان من الدكاكين صنفاً من الأمتعة والأطعمة ومن الحوائج والعقاقير، وحفر في وسط السوق بئراً واسعاً عميقاً في الطول والعرض»[1].

ويتبين من ذلك أن العمل الهام في مسير أسعد تُبّع إلى اليمامة ونجد كان قيامه ببناء تلك المدينة في الملحاء بأرض اليمامة كمركز تجاري للدولة الحميرية وهمزة وصل للنشاط التجاري إلى العراق وإلى مناطق من الشام وكذلك إلى

(١) المستبصر ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص٢٧.

البحرين منطقة الخليج العربي. ومن تلك الأرجاء أيضاً إلى الملحاء واليمامة ثم إلى اليمن. أما الحملات التي تذكر الروايات التاريخية قيام أسعد تُبّع بشنها على بعض قبائل وعشائر معدّ بن عدنان التميمية والقيسية والمُضَرية فقد كانت يسيرة ومن أجل تثبيت وترسيخ سيادة ونفوذ الدولة وتأمين الطرق التجارية والسكان من الغارات والنهب بتلك المناطق من اليمامة ونجد إلى تخوم العراق والشام. ويدل تشييد تلك المدينة في الملحاء باليمامة على أن تحقيق الأمن والاستقرار بتلك المناطق قد تمّ على أكمل وجه، بل ويذكر ابن المجاور أن تُبّعاً لما حفر في وسط السوق التجاري بالملحاء بئراً واسعاً عميقاً «جَمع الأموال التي كانت معه وكنزها في البئر وجعل الذهب يَبانُ، لأنّه قد نصب على خَرَزة البئر عُوداً معرَّضاً وفيه طِلَسْم إذا أنزل إنسان رِجْله على العود المعارض دار العود وفي العود سيف مصنوع قاطع يضرب الإنسان نصفين يرميه في البئر... وقال: سيوف الصواعق ثلاثة وقيل سبعة.. وإحدى تلك السيوف في جبل المَلَحاء في البئر التي فيها الكنز. الذي أودعه تُبّع». [ص٢٨] ونرى إنه إنما وضع مالاً وذهباً عند البئر وجعله يبان لتأكيد وجود الأمن وهيبة الدولة فلم يتعرض أحد لذلك المال والذهب لاستمرار الأمن ورُسوخ الهيبة في النفوس، ولم يكن السيف إلا رمزاً لذلك. وكان في السرب الذي أمر تُبع أسعد بحفره في الملحاء «ثلاث طرق، إحداها تنفذ إلى سوق عُكاظ، والثانية طريق وُسْطى وهي بجبل الملحاء، والثالثة تنفذ إلى برية فيد» [ص٣١]. وبرية فيد هي الطريق إلى العراق، وكانت تسكن برية فيد عشائر قوية من قبيلة طيئ اليمنية، تمتد مناطقهم إلى الحيرة بالعراق وإلى بادية الشام، وكان لهم دور هام في النشاط التجاري وفي تأمين الطرق والقوافل التجارية وهُمْ بصفة عامة من قوم تُبّع.

مسير أسعد تُبع إلى أرض البحرين (منطقة الخليج العربي):

كان سلطان ونفوذ الدولة الحميرية يمتد إلى منطقة البحرين منذ عهد تُبّع ملشان ذي يزن حيث جاء في نقش عبدان الكبير «إن ملشان تولى كما تولى أبناؤه معه وبعده قيادة حملات في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة خاصة في ما كان يعرف باليمامة وأطراف نجد والبحرين بمدلولها الواسع القديم»[١] وجاء في النقش إن الحملات شملت «أرض الأزد وأرض نزار» وذكر النقش قبيلة «عبد قيس»[٢]. وقد

(١) اليزنيون ـ محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣ ـ سبتمبر ١٩٨٣.
(٢) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٤٥ و٣٨.

انضوت تلك المناطق والقبائل تحت سلطان ونفوذ الدولة الحميرية منذ عهد وحملات ملشان ذي يزن في أوائل القرن الرابع الميلادي (حـ/ عام ٣١٠م) وكذلك كانت عند كتابة نقش عبدان الكبير وهو مؤرخ بعام ٤٦٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٣٥٥م.

وكانت أرض البحرين بمدلولها الواسع القديم تمتد من شمال شرق عُمان إلى كاظمة (الكويت حالياً) وتشمل كل ما يعرف الآن باسم منطقة الخليج العربي. قال الهمداني في الصفة: «مدينة البحرين العظمى: هَجْرُ، وهي سوق بني محارب من عبد القيس، ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين فالقطيف ـ وساكنها من عبد القيس ـ ثم العُقَير وهو ساحل وقرية ـ ويسكنه عبد القيس ـ ثم السِّيف سِيف البحر وهو من جزيرة أوال على يوم، وأوال جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم في يوم.. ثم السَّتار وهو منادي بني تميم. والفطح وهو طريق بين الستار والبحر إلى البصرة. ومن المياه المتصلات: معْقلات ثم خمس ثم معقلا طويلع وهو عن يمين سنَام ثم كاظمة.. ومن مياه ستار البحرين ثَيْتَل والنَّباح والنّباك وماء يُقال له قَطَر»[1] وقال: «إذا أجمَلنا أرض البحرين وهي أرض المُشقر فهي: هَجَرُ مدينتها العظمى، والعقير، والقطيف، والإحساء، ومُحَلّم نهرهم. ومما يطوف بها ويقع بينها وبين البصرة وبينها وبين اليمامة ونجد: فسفوان، والنقار، وكاظمة، ومُسلحة بثر، والنقيرة»[1]. ويتبين من ذلك أن أرض البحرين كانت تشمل بالتسميات الحالية دولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة البحرين، ودولة قطر، ودولة الكويت، والمنطقة الشرقية من السعودية، وشمال شرق سلطنة عُمان. أي كل بلاد منطقة الخليج العربي.

قال الهمداني: «والبحرين إنما سميت البحرين من أجل نهرها مُحَلِّم ولنهر عين الجريب»[1] وقال: «نهر مُحَلِّم بهجر البحرين. ومُحَلِّم نهر عظيم. يُقال: إن تُبَّعاً نزل عليه فهاله»[1] وقال ابن المجاور: «يُقال إن البحرين في بحر مالح فوق بحر عذب فلأجل ذلك سُمّي البحرين. قالوا: إذا غاص الإنسان بين الماءين وشرب فيشرب ماءً عذباً فراتاً وأعلاه ماءُ مالح ملحاً أُجاجاً»[2]. ويمكن على ضوء مجمل ذلك إدراك أن تلك البلاد سُميت البحرين لأنها كانت تمتد في بحرين أحدهما بحر مالح أُجاج وهو الخليج، والآخر عَذبُ فرات وهو نهر مُحَلِّم الذي ذكره الهمداني وكان نهراً عظيماً في تلك العصور بمنطقة

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣١٧ و٢٨١ و٣٠٦.
(٢) المستبصر ـ ابن المجاور ـ ص٣٠٠.

هجر البحرين، ولذلك سميت تلك البلاد قديماً باسم البحرين.

وكانت تسكن أرض البحرين بمدلولها الواسع القديم قبائل من الأزد اليمنيين وقبيلة ربيعة وعشائر من تميم النزارية المُضرية.. وقد جاء في نقش عبدان الكبير ذكر «أرض الأزد وأرض نزار» بصفة عامة، وذكر قبيلة (عبد قيس). فأما الأزد، فقد ذكر الهمداني إنه «قال بعض آل أسعد تُبّع:

وأزدُ لـهـا الـبَـحْـران والـسِّـيـف كُـلُّه وأرض عُمان بعد أرض المُشَقَّرِ»[١]

وأما (عبد قيس) فهم قبيلة عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وكانوا يسكنون هجر البحرين والقطيف والعقير وغيرها من أرض البحرين. وقال الأخنس بن شهاب التغلبي:

لُكَيْزُ لـهـا الـبحـران والـسِّـيـف كُـلُّه وإن يـأتـهـا بـأس مـن الـهـنـد كـاربُ

قـال الـهـمـدانـي: «الـسِّـيـف ضـفـة الـبـحـريـن، ولـكـيـز بـن أفـصَـى بـن عبد القيس»[١]. وقال: «... وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سِيف كاظمة إلى البحر وأطراف سواد العراق»[١]. وهم «بكر بن وائل بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة». وكذلك كانت قبيلة تميم تسكن بمناطق من البحرين واليمامة ونجد، وهم من قبائل مُضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكان تُبّع ملشان ذو يزن لما ضم تلك المناطق ـ في أوائل القرن الرابع الميلادي ـ ولّى الأمير حُجر آكل المُرار بن عمرو الكندي على البحرين ونجد والحجاز فلم يزل حجر آكل المُرار ملكاً نائباً على البحرين وشمال الجزيرة حتى وفاته، وقد دام حكمه فترة طويلة. قال ابن خلدون: «ثم مَلَك من بعده ابنه عمرو المقصور ابن حجر آكل المُرَّار.. فلما وُلِّي عمرو بن تُبّع أراد أن يكرم عمرو بن حُجر فزوّجه بنت أخيه»[٢]. وجاء في شرح الدامغة أنه «ولّى عمرو بن تُبّع عَمْراً المقصور الكندي على معدّ، ورَتَّبه بالمشقر حصن البحرين»[٣]. ومكث عمرو المقصور ملكاً نائباً على البحرين ونجد إلى عهد تُبّع حسان بن غيمان (٤٤٥ ـ ٥٢٥م) وتزوج عمرو المقصور ابنة تُبّع حسان فأنجبت له الحارث بن عمرو المقصور، ومكث عمرو المقصور حاكماً للبحرين حتى وفاته وكان مقرّه حصن المُشقّر.

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٩ و٣٦٧ و٣١٧.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٧٦.

(٣) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص١٢٦.

قال ابن خلدون: «فلما مَلَكَ تُبّع بن حسان على حمير وهابته حمير والعرب، بعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ»[١]. وكان ذلك بعد عقد حلف اليمن وربيعة في السنة السادسة من عهد تُبّع أسعد بن حسان (عام ٤٦٣م) حيث سار أسعد تُبّع إلى نجد واليمامة وقام ببناء المدينة التجارية في الملحاء باليمامة ثم سار إلى أرض البحرين (منطقة الخليج العربي) وكان معه ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي، وكان من أنباء مسير أسعد تبع إلى البحرين أنه قام بزيارة نهر مُحَلِّم في هجر البحرين حيث كما جاء في الصفة «نزل تُبّع على نهر مُحَلِّم فهاله» أي استعظم ذلك النهر وكان نهراً كبيراً في ذلك الزمن وقد غار ذلك النهر بسبب زحف الرمال وغير ذلك من أسباب اندراس بعض الوديان والأنهار التي كانت بالجزيرة العربية قبل الإسلام.

وقام تُبّع أسعد بن حسان بتوطين بعض القبائل والحاميات بأرض البحرين، وكان من الذين أوطنهم هناك عشائر من كندة وحضرموت وطيئ والأشعريين وجُرم وقُضاعة امتدت مناطق انتشارهم إلى أرض الحيرة بالعراق. وكذلك أوطن تُبع أسعد عشائر من قبيلة ربيعة في مناطق من البحرين وعروض اليمامة ونجد. قال الهمداني: «وقد يرى قوم من الجُهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت في تهامة ـ باليمن ـ بسردد وبلد لعسان من عك، وأنّ تُبّعاً أقطعهم هذه البلاد ـ أي عروض اليمامة ونجد ـ لما حالفوه. وهذا من الأخبار المصنوعة لأن الملوك أجَلّ من أن يحالفوا الرعايا، وإنما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى فقالوا في المهجم وهي خزة: خزازي، وفي الأنعوم: الأنعمين، وفي الذّنبات الذنائب، وفي العارضة: عويرض»[٢]، أي إن أسماء بعض المناطق في تهامة باليمن (مثل خزة والأنعوم والذنبات والعارضة) تشابه أسماء مناطق ربيعة في العروض ونجد مثل (خزازي، والأنعمين والذنائب وعويرض) ولذلك قيل إنهم كانوا في تهامة باليمن. ونرى صحة أن بعض قبيلة ربيعة كانوا يسكنون تهامة ـ كما ذكر ذلك ابن المجاور ـ ثم أوطنهم أسعد تُبّع بمناطق من البحرين والعروض ونجد، وكان قسم من قبيلة ربيعة يسكنون هناك منذ زمن أقدم وبالذات (عبد القيس) وبعض عشائر ربيعة بدليل ذكر (عبد القيس) في نقش عبدان الكبير، أما «بكر بن وائل» فلعلهم كانوا في تهامة وساروا في جملة قبائل وجنود اليمن مع تُبّع أسعد بن حسان فأقطعهم وأوطنهم المناطق التي سكنوها بالبحرين واليمامة وقد جاء في الصفة: «إن ديار

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص١٢٦.
(٢) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص٣١٩.

بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سِيف كاظمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالأُبُلَّة فهِيت» [ص٣١٩] فيمكن أن تكون بكر بن وائل توطنت تلك المناطق في مسير تُبّع أسعد بن حسان إلى تلك الأرجاء كما توطنت بها عشائر يمنية عديدة في ذلك العهد.

ولما تهيأ تُبع أسعد بن حسان للعودة من البحرين واليمامة إلى اليمن قام بتولية الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي على البحرين واليمامة ونجد. وقد جاء في هامش شرح الدامغة ما يلي نصه: «خرج تُبّع بن حسان في بعض غزواته فلما قَفَلَ رَتَّبَ ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي بالمُشقَّر». [ص١٢٦] وجاء في الصفة إن: «المشقَّر بالبحرين نحو هجر، وبه نخل لا يبرح الماء في أصوله». [ص٣٣٠] ـ وكان حصن المشقَّر في مدينة هجر أو بالقرب منها وهو مركز القوة العسكرية والحكم لأرض البحرين بمدلولها الواسع القديم في عصر الدولة الحميرية.

عودة تُبّع أسعد بن حسان إلى اليمن:

لقد نسبت بعض الروايات إلى تُبّع أسعد (هذا) إنه غزا واجتاح بلاد بابل (العراق) وبلاد فارس وبلدان الشرق إلى الهند وما جاورها وشملت فتوحاته آسية الوسطى وبلاد الترك والشام ومصر وبلاد المغرب، وإنه أول من كسا الكعبة. والصواب أن ذلك إنما هو أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ في القرن السابع قبل الميلاد. وقد استوفينا ذكر وثائق ونقوش عهده وفتوحاته في الفصل الخاص بعهده وإنه تُبّع المذكور في القرآن الكريم والأحاديث النبوية. أما تُبع أسعد هذا فهو أسعد الثاني ابن حسان بن غيمان ملك الدولة الحميرية في أواسط القرن الخامس بعد الميلاد وكان مسيره إلى شمال الجزيرة العربية وشرقها وأرض البحرين إلى تخوم أرض الحيرة (العراق) لم يتجاوز ذلك، وقام بتولية الحارث بن عمرو الكندي على البحرين واليمامة ونجد، ورفرفت راياته في أرجاء الجزيرة العربية، وعاد إلى اليمن. ويروى أنه قال قصيدة ذكر فيها ذلك المسير على أسماء منازل النجوم، وتؤكد تلك القصيدة على أن مسيره كان داخل مناطق الجزيرة العربية. قال نشوان الحميري: «قال عبيد بن شريه الجرهمي: كان تُبّع أسعد إذا أراد أن يخرج للغزو أو في سفر طويل أرسل إلى أهل النجوم وأصحاب المعرفة بالعلم، وكان أيضاً يعرف علم النجوم، وإنما كان يأمرهم ليتفقوا بإجماعهم على ما كان عنده من الأحكام. وقال في ذلك [عند عودته من مسيره وغزواته يذكر ذلك المسير قصيدة منها]:

طال ليلي لما تذكرت نحفي ... ودعاني هواي نحو المسير
برجال إذا همُ ركبوا الخيـ ... ـل وساروا في الجحفل الجمهور
تتهادى كأُسد غاب عليها ... كل درع مسرّد مشهور
. . . فكمشت الجموع كمشاً رحيباً ... وارتحلنا بصمّة اليحمور
ثم سرنا مسير صدقٍ نؤم الجـ ... ـديّ في سيرنا بيُمن المسير
ثم بالدبران دارت رحانا ... بالصناديد كالرّحى المستدير
ثم (بالهقة) التقينا فكانت ... ليلة كرَّها لكل مغير[1]
ثم سرنا وبالذراع نزلنا ... فظللنا بنعمة وحبور
ثم بالنثر شطَّ عني نوى البعـ ... ـد فأغنيت كل عانٍ فقير[2]
ثم بالجبهة ارتفعنا فكنّا ... جبهة الرأس فوق عين النظير
ثم بالزبرة ازبأرت عليهم ... خيلنا بالأسود ذات الزئير
ثم بالصرفة استقريت أرضاً ... بوعيدي وعسكري ونكيري
. . ثم بالغفر سرت بالخيل قُدماً ... بكماةٍ وكل قرم جسور
ثم بالكوكب الزبانا مَعَدُّ ... أذعنت بالعواء بعد الهرير
. . ثم سرنا وبالنعام نزلنا ... يوم رهج وصولة وهدير
ثم بالبلدة اعترضنا الأعادي ... بجموع وكان ذاك سروري
وبسعد ذبحتُ أبناء سعد ... ووضعتُ المدى بها في النحور[3]
وبسعد البلوع دمرت قومهم ... بلعتهم منقرات النسور[3]
وبسعد السعود أُسعد جدي ... فاستوى المُلك واستقام سريري[3]
. . ثم بالفرغ مقدم الدلو حولي ... كل قرم متوج محبور
ثم بالفرغ آخر الدلو صرنا ... بعد إيغالنا بخير مصير
ثم بالحوت قد حويتُ الأعادي ... بالعناجيج والسيوف الذكور
ثم بالنطح لم نزل ننطح النا ... س بسقرن مذلق مطرور
ووطئنا بالبطن أرض مَعَدٍّ ... بالعناجيج نعتلي بالوعور
ورجعنا إلى الثريا فثرنا ... يوم نقع وظلمة ديجور

---

(١) لعل الهقة تصحيف (العوقة) وهي قرية من أرض اليمامة كان يسكنها ناس من تميم.
(٢) لعل (النثر) هي (مسلحة بثر) بين اليمامة والبحرين.
(٣) سعد ذبح وسعد البلوع وسعد السعود أسماء نجوم. وقوله (أسعد جدي) أي (أُسعد حظي).

أجعل الفرقدين والجديّ منها حيث دارت بنات نعش تدور
لا أبالي النسرين حيث استقلا وسهيلاً إذا أجدّ مسيري
ثم أمّيْتُ زهرة الردف قصداً لمقامي في نعمتي وحبوري
إنما طيرة النجوم لغيري ولنا يُمنها بلا تطيير
قد كتبنا مساناً في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور
وذكرتُ الذي يكون لحيني إن مُلكي للفاضل المنصور

قال عبيد بن شرية: (وقال تُبّع يذكر ما صنع بأرض معدّ وغيرها من البلاد:

رُبَّ هَمّ مؤرق بعد نوم غير ما باطل ولكن بجدِّ
يا بني مازن فوارس سعدٍ[1] سرّني ما فعلتمُ بمعدِّ
إذْ أثرتم مع العجاج عجاجاً وانتضيتم لها صفائح هند
. . وصرفنا إلى كنانة جنداً فتوافت إلى كنانة جُندي
وتركنا ثقيف تنضح للجنـ ـد بقهر على هوانٍ وكدّ
وجعلنا للخرج منزل قيسٍ قد أقرّوا بالخرج من غير عهد
وجعلنا بني نزار هداة يرشدون الطريق في كل قصد

ويروى أيضاً إنه قال أبياتاً منها:

سيذكر قومي بعد موتي وقائعي وما فعلت قومي بقيس أفاعلا
وما دوخت أرض اليمامة بالقنا وما صبحت فيها تميماً وواثلا
فحِمْيَرُ سادات الملوك وخيرها وهم من قديم الدهر سادوا القبائلا
بكل قضيب حادث العهد صقله وسهم متين يفتق الدرع داخلا
فلما قضيتُ (الأمر) من كل بلدة توجهت أرضي أعمد الدار قافلا
فأمسيتُ في غُمدان في خير محتدٍ منيعاً وصنعا من حذاها المَاجلا
. . مآثرنا في الأرض تُصدق قولنا إذا ما طُلبنا شاهداً ودلائلا
ومُلك جميع الناس يبلى ومُلكنا على الدهر باق ذكره ليس زائلا

فتلك الأشعار التي قالها أسعد أو التي قيلت على لسانه تذكر أن مسيره كان إلى مناطق شمال الجزيرة وشرقها وإنه أخضع بعض عشائر وقبائل معدّ بن عدنان بتلك الأرجاء فأذعنوا للطاعة، وعاد من ذلك المسير إلى قصر غُمدان بمدينة صنعاء.

(١) بنو مازن من سعد العشيرة من قبيلة مذحج وكانوا يسكنون منطقة نجران.

ملوكية الحارث بن عمرو الكندي ـ نائب أسعد ـ لشمال وشرق الجزيرة

وقد كان الأثر الهام الذي ترتب على مسير أسعد تُبع بن حسان إلى شمال الجزيرة والبحرين هو تعزيز ملوكية وولاية الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي على تلك المناطق والقبائل التي كان أبوه وجده قد تولاها قبله.

قال ابن خلدون: «مَلّك تُبّع بن حسان على حمير وهابته حمير والعرب، وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها»[1]. وقال ابن خلدون في موضع آخر: «قال الطبري: كان حسان تُبّع قد زوّج ابنته من عمرو بن حُجر آكل المرار بن عمرو الكندي، فولدت له ابنه الحارث بن عمرو، فكان الحارث بن عمرو مع تُبّع بن حسان هذا، فبعثه على بلاد معدّ»[1] وقال ابن خلدون في موضع ثالث: «قال هشام ابن الكلبي: جاء الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وقد ولاه تُبّع بن حسان»[1]. والمقصود ببلاد معدّ بن عدنان هو نجد والحجاز واليمامة. وقد جاء في هامش شرح الدامغة أنه: «خرج تُبع بن حسان في بعض غزواته فلما قفل رتب ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي بالمشقر ـ حصن البحرين ـ» [ص١٢٦].

ويتبين من تلك النصوص أن ملوكية الحارث على مناطق وقبائل شمال وشرق الجزيرة لم تكن بالوراثة بعد وفاة أبيه فحسب وإنما اقترنت أيضاً بمسير تُبّع أسعد بن حسان إلى تلك الأرجاء وإنه الذي بعث وولّى الحارث بن عمرو الكندي على قبائل ومناطق معدّ ونجد واليمامة والبحرين، وكان ذلك في نحو السنة السابعة من عهد تُبّع أسعد بن حسان، حوالي عام ٤٦٤م.

قال ابن خلدون: «وفرّق الحارث بن عمرو الكندي ولده ملوكاً على قبائل معد، فمَلّك حُجراً على بني أسد، وشرحبيل على بني سعد والرباب، وسَلَمْة على بكر وتغلب، ومعدي كرب على قيس وكنانة. ويُقال: بل كان سلمة على حنظلة وتغلب، وشرحبيل على سعد والرباب وبكر، وكان قيس بن الحارث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم. وفي كتاب الأغاني: إنه مَلّكَ ابنه شرحبيل على بكر بن وائل، وحنظلة علي بني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب، وغلفا وهو معدي كرب على قيس، وسلمة بن الحارث على بني تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة»[1].

فكان أبناء الحارث الستة (سَلَمَة، وشُرحبيل، وحنظلة، ومعدي كرب،

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٨ وص٢٦٤ جـ٢.

وقيس، وحُجر». حكّاماً نواباً على المناطق التي تسكنها تلك القبائل والعشائر في شمال وشرق الجزيرة العربية بينما كان والدهم الحارث بن عمرو الكندي بمثابة الملك، وذلك في إطار الدولة الحميرية والملوكية العليا لتُبّع أسعد بن حسان. ويستفاد مما جاء في شرح الدامغة أن مقر الحارث بن عمرو الكندي كان حصن المشقر في هجر البحرين، وكانت منطقة أرض البحرين والعروض تمتد إلى تخوم دولة المناذرة بالعراق.

ملوكية الحارث الكندي ـ نائب أسعد ـ لدولة المناذرة بالعراق:

كان الملوك المناذرة اليمنيون يحكمون بلاد الحيرة بالعراق في إطار الولاء للدولة الفارسية. وكانت بلاد الحيرة ـ أو إمارة الحيرة ـ تمتد إلى نهر الفرات، وكان الفرات فاصلًا بين العرب والفرس بالعراق حيث كما ذكر الأستاذ أحمد أمين: «كان النظام المتبع أن عرب الحيرة يقدمون الطاعة لملك فارس وهو يولي عليهم أميراً من أنفسهم، وعليهم أن يحموا فارس من كل مُغير من نواحيهم، والفرس مقابل ذلك يعفونهم من دفع الأتاوة، وفوق هذا كان عرب الحيرة لا يرتبطون بفارس إلا بما توجبه المعاهدات عليهم، وقد اعتاد ملك الفُرس أن يُنصِّب أميراً من قبيلة لخم، وهي قبيلة من أصل يمني.. وفي عهد يزدجرد الأول (٣٩٩ ـ ٤٢٠م) أرسل الملك أكبر أبنائه (بهرام جور) إلى عرب الحيرة لينشأ بينهم ويتعلم الصيد وينعم بجودة الهواء، وذلك في عهد النعمان الأول. وكان بهرام جور هذا يعرف العربية كما يعرف اليونانية، وقد نازعه على الملك أخوه بعد وفاة يزدجرد، فعاونه العرب وتعصبوا له؛ فلما اعتلى عرشه لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد عليه فقربهم وأعلى شأنهم» [ص١٧]. وكان الذي قام بمناصرة بهرام جور حتى تم له المُلك هو المنذر بن النعمان الأول. قال ابن خلدون: «جهَّز المنذر العساكر لبهرام لطلب مُلكه، وقَدّم ابنه النعمان فحاصر مدينة الملك، ثم جاء المنذر على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه». ولم يكن عساكر العرب من أهل الحيرة وإنما ذكر المسعودي إنه «سار مما يلي اليمن عسكر عظيم للعرب من قحطان ومعد، عليهم العباس الأحول وعمرو الأفوه». ولما تم الأمر لبهرام عاد الملك المنذر ابن النعمان بعساكر العرب إلى الحيرة. وقد حكم بهرام جور في الفترة (٤٢١ ـ ٤٣٨م) ثم يزدجرد الثاني (٤٣٩ ـ ٤٥١م) وابنه فيروز بن يزدجرد.. أما المنذر فقال المسعودي: «هو الذي بنى الخورنق، ومَلَك ٣٥ سنة. وقيل ٢٥ سنة». ـ فيكون ذلك في الفترة ما بين ٤٢٢ و٤٤٥م. ـ ثم حكم بعده النعمان (الثاني) ٢٠ سنة (حوالي ٤٤٦ ـ ٤٦٥م).

قال ابن خلدون: «قال هشام ابن الكلبي: ثم جاء الحارث بن عمرو الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وقد ولاه تُبَّع بن حسان فسار إليه النعمان ابن الشقيقة وقاتله، فَقُتِل النعمان وعدد من أهل بيته وانهزم أصحابه، وأفلت المنذر ابن النعمان. . وتشتت مُلك آل النعمان، ومَلَك الحارث بن عمرو ما كانوا يملكونه. وقال غير هشام ابن الكلبي: إن النعمان الذي قتله الحارث هو ابن المنذر ابن النعمان وهو الذي أسرته فارس. مَلَكَ عشرين سنة منها في أيام فيروز بن يزدجرد عشر سنين وأيام يلاوش بن يزدجرد أربع سنين وأيام قباذ ست سنين» [ص٥٨/ ٢].

وقال ابن خلدون في موضع آخر: «بعث تُبّع بن حسان بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ـ ابن الشقيقة ـ فقاتله، فقُتِل النعمان وعدة من أهل بيته وهُزم أصحابه، وأفلت المنذر بن النعمان. . . وذهب مُلك آل النعمان ومَلَك الحارث بن عمرو ما كانوا يملكون. وفي كتاب الأغاني: لما مَلَكَ قباذ وكان ضعيف المُلك توثبت العرب على المنذر بن النعمان ابن الشقيقة فأخرجوه، فخرج هارباً منهم حتى مات في إياد، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أنكى ولده، وجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المُرّار فملّكوه على بكر بن وائل وحشدوا له وقاتلوا معه وظهر على من قاتله من العرب. وأبَى قباذ ـ ملك فارس ـ أن يمدّ المنذر بجيش، فلما رأى ذلك كتب إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنّي في غير قومي وأنت أحقّ من ضَمّني وأنا متحوّل إليك. فتحول إليه، وزوّجه بنته هنداً. وقال غير هشام بن محمد: إن الحارث بن عمرو لما ولّي على العرب بعد أبيه اشتدت وطأته وعظم بأسه ونازع ملوك الحيرة وعليهم يومئذٍ المنذر بن امرئ القيس، وكان كسرى قباذ زنديقاً [أي مزدكياً] على رأي ماني فدعا المنذر إلى رأيه فأبى عليه وأجابه الحارث بن عمرو فملّكه على العرب وأنزله بالحيرة». [ص٢٦٤/ ٢] ـ والصحيح كما قال ابن خلدون نفسه حرفياً: «إن الحارث بن عمرو الكندي أبىٰ أن يتزندق مع قباذ ملك فارس» [ص٢٦٧/ ٢].

ويتبين من التأمل في النصوص التاريخية ما يلي:

ـ إن الحارث بن عمرو الكندي لما ولّاه وبعثه تُبع أسعد بن حسان في جيش كبير إلى نجد وتخوم الحيرة لم يحارب ولم يقتل النعمان الذي كان ملكاً للحيرة وإنما تصادف إن مات ذلك النعمان بنفسه. وليس هو النعمان بن امرئ القيس

ـ ابن الشقيقة ـ فذلك قديم لأن والده امرؤ القيس بن عمرو هو صاحب نقش النمارة ومات سنة ٣٢٨م وحكم ابنه النعمان الأكبر في الفترة (٣٢٥ ـ ٣٥٥م) فالذي كان ملكاً بالحيرة عندما تولى الحارث بن عمرو الكندي شمال وشرق الجزيرة في عهد تبع أسعد بن حسان (سنة ٤٦٤م) هو ـ كما في الرواية الثانية التي ذكرها ابن خلدون ـ (النعمان بن المنذر ـ معاصر بهرام جور ـ ابن النعمان الأول، وقد حكم ٢٠ سنة، أيام فيروز بن يزدجرد ويلاوش بن يزدجرد وست سنين في أيام قباذ بن فيروز) ـ ومات النعمان ـ المذكور ـ (حوالي عام ٤٦٥م) وتولى مكانه ابنه المنذر ابن النعمان، وكان قباذ ملك فارس ضعيفاً لأن أخاه نازعه الحكم وانقسم الفرس بينهما واندلعت بينهما حروب وصراعات طويلة. وقد ذكر ابن خلدون عن كتاب الأغاني أنه «لما مَلَك قباذ وكان ضعيف الملك توثبت العرب على المنذر ابن النعمان فأخرجوه فخرج هارباً منهم حتى مات في إياد». وكذلك قال أبو عبيدة في كتاب النقائض ما يلي: «أنّ قُبادَ مَلِك فارس لما مَلَكَ كان ضعيف الملك فوثبت ربيعة على المنذر فأخرجوه فخرج هارباً منهم حتى مات في إياد، وترك ابنه المنذر بن المنذر وكان أرجاء ولده عنده فانطلقت ربيعة فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي فَمَلّكوه على بكر بن وائل [الذين كانوا بمناطق من الحيرة] وحشدوا له وقاتلوا معه فظهر على ما كانت العرب تسكُنُ من أرض العراق. وأبَىٰ قُبادُ أن يُمِدَّ المُنذِرَ بجيش، فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمرو: إنّي في غير قومي وأنتَ أحقُّ مَنْ ضَمَّني واكتنفني وأنا متحوِّل إليك. فحَوَّله إليه وزَوَّجَهُ ابنته هنداً»[1].

وبذلك أصبح الحارث بن عمرو الكندي ملكاً لبلاد الحيرة التي كانت تمتد إلى نهر الفرات، وهي أرض دولة المناذرة ـ الذين هم آل النعمان بن المنذر بن ربيعة بن نصر ولذلك قال ابن خلدون: «ذهب ملكُ آل النعمان ومَلَكَ الحارث بن عمرو ما كانوا يملكون». وقال ابن خلدون: «قال الطبري: بعث تُبّع بن حسان الحارث بن عمرو على بلاد معدّ، ومَلَكَ الحارث على العرب بالحيرة مكان آل ربيعة بن نصر» ـ وقد انضوى المنذر بن المنذر نفسه تحت لواء الحارث بن عمرو الكندي ـ نائب أسعد تُبَّع بن حسان ـ وزوجّه الحارث بابنته هند بنت الحارث، واحتفظ له بمكانته كأمير، وكان يعاونه في الحكم.. ويمكن تقدير زمن ملوكية الحارث لبلاد الحيرة بالسنة العاشرة من عهد أسعد بن حسان (حوالي عام ٤٦٧م).

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص١٠٧٣.

ـ قال ابن خلدون: «قال هشام بن محمد: ولما ملك الحارث بن عمرو مُلْك آل النعمان بعث إليه قُباذُ يطلب لقاءه وكان مضعفاً، فجاءه الحارث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات.. وقال الطبري: مَلَكَ الحارث على العرب بالحيرة مكان آل ربيعة بن نصر، وانعقد الصلح بينه وبين قباذ ملك فارس على أن يكون الفرات حدّاً بينهم». (اهـ) وكان ذلك اعترافاً من الدولة الفارسية وملكها قباذ باستقلال إقليم الحيرة عن أي نفوذ فارسي وبملوكية الحارث ودولة العرب للبلاد وإن نهر الفرات حدّاً بين الدولتين.

غارات العرب وغزوة أسعد تُبّع إلى سواد العراق:

بعد الصلح سالف الذكر بين الحارث وقُباذ بأمد يسير ـ نحو سنة واحدة ـ بدأ الحارث بتنفيذ ما يبدو أنه خطة لتحرير أرض شرق الفرات وهي أخصب أرض العراق وكانت تُسمّى (سواد العراق). ويروى أن أسعد تُبّع قال:

لستُ بالتُبَّع اليمني إن لم تركض الخيل في سواد العراق

قال ابن خلدون: «قال هشام بن محمد: لما مَلَكَ الحارث بن عمرو مُلك آل النعمان بعث إليه قباذ يطلب لقاءه وكان مضعفاً، فجاءه الحارث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات. ثم استضعفه فأطلق العرب للغارة في نواحي السواد وراء الفرات. فسأله قباذ اللقاء بابنه، واعتذر الحارث إليه بإشظاظ العرب وإنه لا يضبطهم إلا المال. فأقْطَعَه جانباً من السواد. فبعث الحارث إلى ملك اليمن تُبّع يستنهضه بغزو فارس ويخبره بضعف ملكهم. فجمع تُبّعُ وسار حتى نزل الحيرة، وبعث ابن أخيه شمّر ذا الجناح إلى قُباذ فقاتله واتبّعه إلى الريّ»[1] وقال ابن خلدون: «قال الطبري... انعقد الصلح بين الحارث بن عمرو وبين قباذ ملك فارس على أن يكون الفرات حدّاً بينهم، ثم أغارت العرب على شرقي الفرات، فعاتبه قُباذ على ذلك فقال: لا أقدر على ضبط العرب إلا بالمال والجند [أي بدخول جنوده إلى السواد] فأقطعه قُباذ بلاداً من السواد. وكتب الحارث إلى تُبّع بن حسان يغريه بملك الفرس وضعف أمر قُباذ، فغزاهم»[1].

وكانت غزوة أسعد تُبّع بن حسان إلى سواد العراق في السنة ١٢ من حكمه (حوالي عام ٤٦٩م) وكان كسرى قباذ ملك فارس ضعيفاً بسبب الصراع والحرب بينه وبين أخيه (يلاوش) فدخل جيش أسعد سواد العراق، فانهزم جنود قُباذ وانسحب قُباذ إلى منطقة الريّ. وقد جاء في الشعر المنسوب إلى أسعد أنه قال:

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٦٠ و٨١ و٦١.

ولما هبطنا سواد العراق تولى قُباذُ سريع الهرب

وقال:

أنا أبو الجيش الذي شمَّروا إلى العراق الموكب الهائلِ
يقودهم من حِمْيَر شمَّرُ وأسعدُ من بعده ناهلِ
يا أيها السائل عن خيلنا ما العالمُ المخبرُ كالجاهل
تسعون ألفاً عدداً بُلقها ودهمُها كالعارض الوابل
والكمت والجرد تغادي بنا بكل قرم بطل صائل
أولها من زمزم شاربُ آخرها من عُلّب راحل

وقد خلطت الأشعار والروايات بين أنباء فتوحات أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ بن ملكيكرب في الزمن الأقدم ـ بالقرن السابع ق.م. ـ والتي شملت بلاد فارس وآسية الوسطى لتكوين مستوطنات تجارية وبين غزوة تُبع أسعد بن حسان إلى سواد العراق ـ في القرن الخامس الميلادي ـ (عام ٤٦٩ ـ ٤٧٠م) ولم يتجاوز أسعد بن حسان سواد العراق، وكان كسرى قباذ ملك فارس ضعيفاً فانسحب من السواد، ونرى أن الأمر انتهى باتفاق بين الطرفين على أن يُسلم الفرس مناطق من السواد (شرق الفرات) وعدة مناطق أخرى بالعراق إلى العرب وتم ضم تلك المناطق إلى إمارة الحيرة وملوكية الحارث بن عمرو الكندي وأوطن أسعد تُبّع هناك الذي أوطنهم. وقد ذكر ابن خلدون إنه: «خَلَفَ ـ أي أوطن ـ تُبّع بالحيرة قوماً من الأزد وقضاعة، واجتمع إليهم ناس من طيئ وكلب والسكون وإياد والحارث بن كعب، فأقاموا هنالك وبنو الآطام»[1]. قال ابن الكلبي: «وسار تُبّع حتى قَدِم مكة ونزل شِعب أجياد، ومضى إلى اليمن».

وقد مكث الحارث بن عمرو الكندي ملكاً لبلاد الحيرة طيلة حياته[2]. ثم عاد مُلك الحيرة إلى المناذرة في إطار الطاعة لملوك فارس. واستمر المناذرة ملوكاً لإمارة الحيرة بالعراق إلى عام ٦٠٢ ميلادية، وكان آخرهم النعمان بن

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص١٦٠ و٨١ و٦١.

(٢) مكث الحارث بن عمرو الكندي ملكاً للحيرة طيلة فترة حكم قباذ ملك فارس وكانت مدة حكم قباذ ٤٣ سنة (بعد انتهاء الصراع بينه وبين أخيه على الحكم) ـ وذلك إلى حوالي عام ٥٢٧م «ثم هلك قباذ وولّى ابنه أنو شروان فردّ ملك الحيرة إلى المنذر بن ماء السماء وصالحه الحارث على أن له ما وراء الفرات من السواد، فاقتسما مُلك العرب بالعراق. ولما قوي سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث إلى المنذر فملّكه الحيرة وما كان يليه الحارث بن عمرو الكندي. ومات الحارث في بني كلب وقد بلغ من الكبر عتيًا..» وذلك بعد عام ٥٢٨م.

المنذر ابن ماء السماء ابن النعمان بن المنذر بن النعمان الأول بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر.

نبأ الكتابة الحميرية في عصر أسعد وتبابعة حمير وابتكار الخط العربي الحديث

لم تكن الكتابة في عصر أسعد وتبابعة الدولة الحميرية هي كتابة المسند النقوشية فقط وإنما كانت هناك أيضاً كتابة حميرية زبورية عامة كانت هي الكتابة التي تتم بها كتابة المراسلات والكتب وسائر الشؤون في عصر تبابعة الدولة الحميرية. قال نشوان الحميري: «قال أسعد تُبّع...

قد كتبنا مساناداً في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور»

فذكر الكتابتين؛ كتابة المسند النقوشية والكتابة الحميرية العامة الزبورية ـ أو الزُبرية ـ والتي ذكرها امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي حيث قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طللُ أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان

وقال امرؤ القيس أيضاً:

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقال ابن دريد في كتاب الجمهرة، قال الشاعر:

وزبر حِمْيَر أخبارها بالحميرية في عبب ذابل

قال ابن خلدون في المقدمة: «وكان الخط العربي بالغاً مبلغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المُسَمَّى بالخط الحِمْيَريّ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نُسَبَاءِ التبابعة في العصبيَّة والمُجَدّدين لِمُلك العرب بأرض العراق، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لِقُصُور ما بين الدّولتين، وكانت الحضارةُ وتَوابعُها من الصنائع وغيرها قاصرةً عن ذلك. ومِنَ الحيرة لُقِّنَهُ أهل الطائف وقريش فيما ذُكِرَ. ويقال إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أُميَّة ويُقال حربُ بن أميّة وأخذها من أسْلَمَ بن سُدْرة وهو قولُ مُمْكنُ وأقْرَبُ مِمَّنْ ذهب إلى أنَّهم تعلموها من إياد أهل العراق.. وهو قول بعيد لأنّ إِيادَ وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة، والخط من الصنائع الحضرية.. فالقولُ بأنّ أهل الحجاز إنما لُقِّنُوهَا من الحيرة ولُقِّنَهَا أهل الحيرة من التَّبابعة وحِمْيَر هو الأليقُ من الأقوال. وكان لحمير كتابةٌ تُسَمَّى المُسْنَدَ حُرُوفُها

مُنْفَصِلَةٌ وكانوا يمنَعُونَ من تَعلُّمها إلا بإِذْنهم. ومِنْ حِمْيَر تعلَّمَتْ مُضَرُ الكتابة العربية»[1].

ويتبين مما ذكره ابن خلدون ومن المصادر التاريخية والنقوش ما يلي:

١ ـ إن كتابة المسند كانت كتابة نقوشية خاصة ذات طبيعة وصفة مقدسة منذ عصور دولة سبأ والممالك اليمنية القديمة الوسيطة (معين ـ قتبان ـ أوسان ـ مكربية سبأ ـ حضرموت ـ حمير) وحتى عصر دولة التبابعة الحميريين. وقد أوردنا في الفصول والمباحث السابقة المئات من نقوش المسند. وتتكون كتابة المسند من (٢٨) حرفاً ـ هي نفس حروف الهجاء العربية ـ وتتم كتابة المسند بنحت وسطر حروفها على قطعة من الحجر أو البرونز والمعادن، وربما لم يكن يجوز الكتابة بها في غير مثل تلك المواد التي تتسم بالبقاء والخلود. وقد أشار ابن خلدون إلى الطبيعة الخاصة للمسند بقوله: «وكان لحمير كتابة تُسَمَّى المُسْنَدَ حُرُوفُها مُنْفَصِلَةٌ كانوا يمنعُون مِنْ تَعَلُّمِهَا إلا بإِذْنِهِم». وذلك لأن المسند كان كتابة نقوشية خاصة مقدسة، فلم يتغير شكل حروفها ولا قواعد الكتابة بها عبر الأزمنة والعصور.

٢ ـ أما الكتابة الحميريّة العامة في عصر دولة التبابعة الحميريين فهي الكتابة الزبورية ـ أو الزُبرية ـ التي تُزْبَرُ حروفها بالقلم بقصبة مبرية يتم غمسها في الدواة (الحبر) ويتم رقم الكتابة على أوراق مصنوعة من النبات أو الجلد وهي الصُحف والزُبُر، وكذلك تتم الكتابة بها على أعواد خشبية خاصة تُسمى (خشب الرَّحل). وقد تم العثور في اليمن على عدد من الأعواد الخشبية المكتوبة بهذه الكتابة الحميرية (الزُبرية). ونذكر هنا ما يلي:

أ ـ إن هذه الكتابة الحميرية هي التي قال عنها ابن خلدون: «كان الخط العربي بالغاً مبلغه من الإحكام والجودة والإتقان في دولة التبابعة ـ الحميريين ـ لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسَمّى بالخط الحميريّ. وانتقل من اليمن إلى الحيرة لِمَا كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لمُلك العرب بالعراق.. ومن الحيرة لُقِّنَه (أي تعلمه) أهل الحجاز.. ومن حمير تعلمت مُضرُ الكتابة»[1].

ب ـ كان ظهور تلك الكتابة الحميرية في اليمن ـ باشتقاق حروفها من حروف المسند ـ في أوائل عصر دولة التبابعة الحميريين ـ بالقرن الثالث الميلادي ـ

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص٤١٨.

كما يشير إلى ذلك كلام ابن خلدون. وقد جاء ذكر تلك الكتابة في قول أسعد تُبّع بن حسان «وكتبنا أيامنا في الزبور» وفي قول امرئ القيس بن حجر الكندي:

لِمَنْ طَلَلُ أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان

وقوله:

أتت حججٌ بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقال لبيد العامري الجاهلي:

وجلا السيول عن الطلول كأنّها زُبُرُ تَجِدُّ متُونَها أقلَامُهَا

وقال أبو ذؤيب الهذلي الجاهلي:

عرفتُ الديار كرقم الدواة يزبره الكاتبُ الحميريّ
برَقْمٍ ووشيٍّ كما زُخْرِفتْ بمشيعها المزدهاة الهديّ
فنمنم في صحف كالرياط فيهن إرث كتابٍ مُحيّ

وقد أورد ابن قتيبة في كتاب (الشعر والشعراء) خمسة أبيات كتبها الشاعر الجاهلي المُرقش الأكبر في حادثة وقعت له، وقال ابن قتيبة: «كتب المُرقشُ هذه الأبيات على خشب الرَّحْل وكان يكتب بالحميرية»[1]. وكذلك جاء في أخبار الشاعر (قيسبة بن كلثوم السكوني الكندي) بكتاب الأغاني إنه كتب أبياتاً إلى قومه في حادثة وقعت له وقد كتبها على «خشبة رَحْلٍ وكان يكتب بالحميرية». كما هو الحال بالنسبة للمرقش الأكبر.

٣ ـ وقد تم العثور في اليمن على عدد من الأعواد الخشبية المكتوبة بتلك الكتابة الحميرية. ويُسمّي الباحث الفرنسي جاك ريكمانس تلك الأعواد بأنها «قضيب خشبي» بينما يذكرها د. يوسف محمد عبد اللّه باسم (أعواد خشبية) والواحد (عود خشبي). ويمكن القول إنها (خشب الرَّحْل).

وقال جاك ريكمانس «.. كشفت حفرياتُ في الجمهورية العربية اليمنية عن قضيبين من الخشب الصلب بحجم سيجار هاڤانا كبير، على كل واحد منها أربعة عشر سطراً محفورة بدقة، بخط غير معروف من قبل في الكتابة العربية الجنوبية للنقوش.. وهناك قُضبان أخرى من هذا النوع ـ تم العثور عليها ـ وأُدخلت مؤخراً إلى المتحف الوطني بصنعاء.. وقد استطاع الأستاذ محمد

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص٢١١ جـ١.

الغول فك كتابة قضيبين بهذا الخط، وهما رسالتان خاصتان، ويزودنا أسلوبهما لأول مرة بسلسلة من الأشكال في صيغة المتكلم وبأمثلة جديدة في أشكال صيغ المخاطب»[1].

ويُسمي الدارسون الأكاديميون هذه الكتابة الحميرية باسم «خط المسند الشعبي التحريري» أو «الخط الحميري التحريري». وقد ذكره ابن خلدون باسم «الخط العربي المُسَمّى بالخط الحميري» وذكرته الأشعار القديمة باسم «خط الزُبُر الحميري» فهو الخط الحميري الزبوري العام.

ويتكون هذا الخط من ٢٨ حرفاً وهو نفس عدد حروف خط المسند وعدد حروف الهجاء العربية. وفيا يلي شكل حروف الخط الحميري العام (التحريري) والحروف المقابلة له بخط المسند (الخاص) وبحروف الخط العربي الحديث وحروف الخط اللاتيني:

م	الخط المسند تحريري	الخط المسند رسمي	العربي	اللاتيني
١			ا	ʾ
٢			ب	b
٣			ت	t
٤			ث	ṯ
٥			ج	ǧ
٦			ح	ḥ
٧			خ	ḫ
٨			د	d
٩			ذ	ḏ
١٠			ر	r
١١			ز	z
١٢			س	s
١٣			ش	š
١٤			ص	ṣ
١٥			ض	ḍ
١٦			ط	ṭ
١٧			ظ	ẓ
١٨			ع	ʿ
١٩			غ	ġ
٢٠			ف	f
٢١			ق	q
٢٢			ك	k
٢٣			ل	l
٢٤			م	m
٢٥			ن	n
٢٦			هـ	h
٢٧			و	w
٢٨			ى	y

حروف الخط الحميري العام وما يقابله بخط المسند وبالخط العربي الحديث وبالخط اللاتيني. عن «دراسة: د. يوسف محمد عبد اللّه».

وقد قام د. يوسف محمد عبد اللّه بنشر دراسة عن بعض الأعواد الخشبية المكتوبة بهذا الخط الحميري الزُبري العام التحريري. ونقتطف من ذلك قوله: «... إن النصوص تحتوي مصطلحات ومفردات وتعابير جديدة قَلّ أن ترد في نقوش المسند، فنقوش المسند يندر أن تتحدث بغير ضمير الغائب المفرد أو الجمع وتعابيرها نمطية متكررة.. أما هذه النصوص الخشبية فتتحدث ـ أيضاً ـ بضمير المتكلم وبصيغة الفعل المضارع وفعل الأمر، وقد يُعثر فيها على تعبيرات ومفردات مما يجري على ألسنة العامة، وتُعنى بمسائل شخصية

(١) حضارة اليمن قبل الإسلام ـ جاك ريكمانس ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٢٨/ يونيو ١٩٨٧م.

ومعاملات يومية.. وتزداد هذه النصوص الخشبية (الحميرية) أهمية عندما نعلم أن معانيها لا تقل فائدة عن مبانيها، وإن محتواها يحمل مضامين مثيرة بالنسبة لدارسي اللغة اليمنية والتاريخ اليمني في تلك الحقب... ومعظم هذه الأعواد الخشبية عبارة عن رسائل تبدأ باسم المُرسل ثم المُرسل إليه أو بالعكس، ويتلو ذلك التحية والدعاء، ثم ذكر الغرض من الرسالة، وأخيراً تختم بالدعاء مرة أخرى.. ومنها، مثلاً: رجل يبعث بكراء جمل استأجره من صاحبه... ورجل آخر يرسل مكتوباً إلى قريب له يستهله بالتحية والدعاء له بالبركة ويبعث له مع حامل المكتوب هدية طيبة ويخبره أن حامل المكتوب سيعلمه ببقية الأخبار. ورجل آخر يبعث لأجرائه في الأرض رسالة تتضمن التحية ثم الحث على دفع المستحقات وما يتوجب دفعه من خراج ومصروفات، كما يذكر بعض المحاصيل الزراعية مثل العتر والبلسن (العدس) والجلجلان (السمسم) والحُمَر (التمر الهندي) والحلف والقضيب وغير ذلك من المحاصيل...»[١] وقال د. يوسف عن زمن أقدم تلك الأعواد الخشبية المكتوبة بالخط الحميري العام «من الممكن أن يؤرخ لهذا النص الخشبي في حوالي الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي»[١]. ويمكن القول أن زمن الأعواد الخشبية المكتوبة بالخط الحميري العام يمتد بصفة عامة إلى القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس الميلادي.

٤ ـ إن هذا الخط الحميري العام هو الذي ذكر ابن خلدون أنه «... انتقل من اليمن إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر [اليمنيين] نسباء التبابعة في العصبية والمُجددين لمُلك العرب بالعراق.. ومن الحيرة لُقِّنَهُ أهل الطائف والحجاز...» وقال: «... ومن حمير تعلمت مُضرُ الكتابة العربية». ولذلك قال منير الديب: «ربط ابن خلدون ابتكار الخط العربي بالحضارة والتمدن فقد جاء من اليمن ثم انتقل إلى الحيرة في عصر المناذرة ووصل الطائف وقريش»[٢].

وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية العربية أنه تم جزم وقطع حروف الخط العربي من الخط الحميري. وقال القلقشندي والبلاذري إنه: «سُمِّي هذا الخط العربي بالجزم ـ أي القطع ـ لأنه مقتطع من الخط الحميري»[٣].

---

(١) خط المسند الشعبي ـ د. يوسف محمد عبد اللّه ـ مجلة اليمن الجديد ـ العدد ٦ ـ السنة الخامسة.

(٢) الأبجدية العربية والخط العربي ـ منير الديب ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد العاشر/ ١٩٨٢م.

(٣) صبح الأعشى ـ القلقشندي ـ ص٣ جـ٩ + فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص٤٥٦ + أصل الخط العربي ـ منير الديب ص٣ و٤.

وقد قارن بعض الدارسين في العصر الحديث بين حروف كتابة المسند الحميرية وبين حروف الكتابة العربية (خط الجزم) حيث كما قال صلاح الدين المنجد «. . . يوجد اختلاف كبير بين شكل الخط العربي وخط المسند»[١]. بينما الواقع أن المؤرخين العرب الأوائل ومنهم ابن خلدون لم يقولوا أن الخط العربي جاء من خط وحروف المسند وإنما قالوا إنه جاء من الخط الحميري العام (الزُبري) الذي بحروفه تنطق الأعواد الخشبية الحميرية المعثور عليها في اليمن، وهي حروف الخط العربي الحميري الذي منه تم جزم حروف خط الجزم الذي أصبح الخط العربي (الحديث) ويدل شكل حروف الخط الحميري العام على أنه بالفعل الخط الذي تم منه جزم حروف الخط العربي (خط الجزم) في حوالي القرن السادس الميلادي. وتذكر الروايات أن ثلاثة أفراد من قبيلة بولان الطائية اليمنية في الأنبار بأمارة الحيرة وضعوا حروف الخط العربي الحديث وسموه خط الجزم لأنه مقتطع من الخط الحميري فتعلم منهم قوم من الأنبار ثم جماعة من الحيرة، وتعلمه منهم جماعة من قريش[٢]. والأصوب والأليق ـ كما قال ابن خلدون ـ «إن أهل الحجاز إنما لُقِّنُوهُ من الحيرة، ولُقِّنهُ أهل الحيرة من التبابعة وحمير» وإنه «من حمير تعلمت مُضَرُ الكتابة العربية»[٣] أي: إن الخط العربي ـ خط الجزم ـ انتقل وانتشر من اليمن ـ في عصر تبابعة الدولة الحميرية ـ إلى إمارة الحيرة بالعراق ـ في عصر المناذرة ـ وإلى الطائف وقريش والحجاز، وكذلك إلى دومة الجندل بأعالي الحجاز وأداني الشام ـ وكان يسكن ويحكم دومة الجندل عشائر من قبيلة كلب القضاعية الحميرية اليمنية، كما انتشر ذلك الخط إلى ديار الغساسنة اليمنيين بالشام حيث تم العثور على نصين مكتوبين بخط الجزم ـ العربي ـ وهما:

أ ـ نص في جبل أسيس ـ جنوب شرق دمشق ـ كتبه قائد من قبيلة الأوس اليمنية المشهورة. ونصه كما يلي: «إبراهيم بن مغيرة الأوسي. أرسلني الحارث الملك على سلمن مسلحة» (اهـ) والملك الحارث هو الحارث بن جبلة الغساني الذي حكم في الفترة (٥٢٨ ـ ٥٦٩م) بالقرن السادس الميلادي.

ب ـ نقش حجر حرّان وهو مكتوب بخط الجزم العربي في جانب وبالرومانية

---

(١) اللغات الجزرية ـ د. سامي الأحمد ـ ص٦.

(٢) صبح الأعشى ـ القلقشندي ـ ص٣ جـ٩ + فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص٤٥٦ + أصل الخط العربي ـ منير الديب ص٣ و٤.

(٣) مقدمة ابن خلدون ـ ص٤١٨.

في جانب آخر. ونصه كما يلي: «أنا شرحبيل بن ظلمو. بنيت ذا المرطول سنة (كذا) بعد مفسد.. بعام» (اهـ). ويقابل العام المذكورفي النقش عام ٥٦٨م. ـ بالنصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

وكان أول من تعلم الكتابة بخط الجزم العربي من قريش ومُضَر بالحجاز هو حرب بن أمية ـ جد معاوية بن أبي سفيان ـ وقد كان عبد المطلب بن هاشم وأُميّة بن عبد شمس وعبد اللّه بن جدعان من وفد قريش إلى الملك سيف بن ذي يزن الحميريّ عام ٥٧٢م. فيكون زمن حرب بن أُمية بن عبد شمس في أواخر القرن السادس الميلادي. وقد جاء في كتاب أصل الخط العربي أنه «قال أبو أنعم لابن عباس: من أين أخذتم يا معشر قريش هذا الكتاب ـ أي الخط ـ قبل أن يبعث النبي محمد ﷺ؟ فقال: أخذناه عن حرب بن أُمية، وأخذه حرب من عبد اللّه بن جدعان، وأخذه عبد اللّه بن جدعان من أهل الأنبار أخذوه من أهل الحيرة، وأخذه أهل الحيرة من طارئ طرأ عليهم من اليمن ومن كندة»[1]. وتقول رواية أخرى في نفس المصدر: «إن أول من حمل الكتابة إلى مكة هو حرب بن أُميّة، تعلّمها من بشر بن عبد الملك ـ الكلبي الحميري ـ صاحب دومة الجندل. ومن حرب بن أُمية تعلم الكتابة عمر بن الخطاب ومعاوية وآخرون من قريش»[1].

ويتبين من مجمل تلك النصوص والروايات التاريخية والنقوش أن الخط الحميريّ (الزُبري العام) كان هو الخط العربي في عصر تُبّع أسعد بن حسان وتبابعة الدولة الحميرية ـ إلى حوالي أوائل القرن السادس الميلادي ـ. ومن ذلك الخط الحميري تم أخذ حروف خط الجزم، وانتشر خط الجزم من اليمن إلى الحيرة والأنبار ودومة الجندل والشام في أواسط القرن السادس الميلادي، وأصبح خط الجزم هو الخط العربي وتعلم الكتابة به ناس من قريش ومُضر ـ في أواخر القرن السادس الميلادي ـ ثم أصبح خط الجزم هو الخط العربي العام بعد ظهور الإسلام وكتابة القرآن بذلك الخط في القرن السابع الميلادي.

خاتمة أنباء تُبّع أسعد بن حسان:

ونختتم هذا المبحث عن عهد تُبّع أسعد بن حسان بالتنويه إلى ما يلي:

١ ـ إن عهد تُبع أسعد بن حسان ـ وهو أسعد الثاني ـ كان في القرن الخامس الميلادي ـ وقد ذكر ابن خلدون عن الجرجاني أن «تُبع أسعد مَلَك ٢٣ سنة» فيكون ذلك ما بين عام ٤٥٧ وعام ٤٧٩م. وقد عاصره نائبه على

(١) أصل الخط العربي ـ منير الديب ـ ٣ ـ ٤.

الحجاز وملك الحيرة الحارث بن عمرو الكندي، وقُباذ ملك فارس. ومن الغساسنة ملوك الشام: جَبَلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة الغساني وعوف بن جبلة ـ وكان عهدهما في الفترة حوالي ٤٦٠ ـ ٥٢٨م. ومن ملوك الروم الملك زينون (٤٧٥ ـ ٤٩٢م). وأولئك جميعاً في أواسط القرن الخامس والنصف الثاني من القرن الخامس الميلادي.

٢ ـ وكان مسير تُبع أسعد بن حسان إلى الحيرة وسواد العراق حوالي عام ٤٦٩م. قال هشام ابن الكلبي: «ثم سار تُبّع حتى قَدِم مكة، ونزل شِعب أجياد..». قال ابن خلدون: «وقال ابن إسحاق: إن الذي سار إلى المشرق من التبابعة تُبّع الآخر وهو تبان أسعد.. وتبان أسعد هو (ابن) حسان تُبّع.. وذكر ابن إسحاق أنه لما غزا إلى المشرق ـ [أي إلى الحيرة وسواد العراق] ـ مرّ بالمدينة يثرب فملكها.. ونقل السهيلي عن ابن قتيبة في هذه الحكاية أن غزاة تُبّع هذه إنما هي استصراخة أبناء قَيْلة [الأوس والخزرج] على اليهود، فإنهم كانوا نزلوا ـ يثرب ـ مع اليهود حين خرجوا من اليمن على شروط فنقضت عليهم اليهود فاستغاثوا بتُبع وعند ذلك قَدِمها. وقد قيل إن الذي استصرخه أبناء قَيْلة على اليهود إنما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشام، جاء به مالك بن عجلان فقتل اليهود بالمدينة وكان مالك بن عجلان من الخزرج. ويعضد هذا أن مالك بن عجلان بعيدٌ عن عهد تُبّع بكثير، يُقال إنه كان قبل الإسلام بسبعمائة سنة. ذكره ابن قتيبة»[1]. ونشير هنا إلى ما يلي:

أ ـ كان أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ قد سار إلى يثرب ونواحيها في القرن السابع قبل الميلاد، فامتلكها، وأوطن بها قبائل من اليمن وحامية عسكرية، ثم جاء من الشام إلى يثرب قوم من اليهود ـ لما اجتاح نبوخذ نصر ملك بابل دولة يهودا الإسرائيلية بفلسطين ـ فنزح قوم من اليهود إلى يثرب ونواحيها فسيطروا عليها، فسار إليهم (ذرا ـ أمر/ بن حسان بن أبي كرب أسعد/ ملك سبأ..) وهو (عمرو بن حسان) فحارب اليهود وفتك بكثير منهم، ثم أُصيب بمرض فعالجه حبران يهوديان، فاعتنق تُبع عمرو بن حسان الأول ملك سبأ دين اليهودية وعاد مع الحبرين إلى اليمن، وفرض اليهودية، ثم قتله أقيال وقادة الجيش وذلك عام ٥٨٩ق.م. بالقرن السادس قبل الميلاد.

ب ـ وفي زمن لاحق انتقل من اليمن وسكن بيثرب الأوس والخزرج ـ بنو قَيْلة ـ وتعاهد بنو قَيْلة مع اليهود الذين كانوا بها على شروط ثم نقضت عليهم

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٦٥ و٦٧.

اليهود، فاستغاثوا بأبي جبلة الغساني، جاء به مالك بن عجلان الخزرجي، ففتك أبو جبلة والأوس والخزرج باليهود، وخضع اليهود لزعامة بني قَيْله (الأوس والخزرج) في يثرب ونواحيها عدة قرون، وكذلك قام تُبّع ملشان ذو يزن بتوطيد زعامة بني قيلة بيثرب في القرن الرابع الميلادي.

جـ ـ ثم انتقض اليهود ونكثوا وحاربوا بني قَيْلة (الأوس والخزرج) فاستغاثوا بتُبَّع أسعد بن حسان... وذلك في أواسط القرن الخامس الميلادي ـ وقد نقل ابن خلدون أنه «كان رئيس بني قَيْلة عمرو بن الطلة من بني النجار، فلما أَقْبَلَ تُبّع من المشرق ـ سواد العراق ـ جعل طريقه على يثرب، فقاتل اليهود»[1] وكانت غزوة تُبّع أسعد بن حسان تلك إلى يثرب لمناصرة الأوس والخزرج بني قَيْلة. وقد خلط ابن إسحاق أحداث التاريخ وتوهم أن تُبع أسعد هذا هو الذي اعتنق اليهودية على يد الحبرين. والصواب أن ذلك إنما هو «ذرا أمر/ بن حسان يهامن/ بن أبي كرب أسعد» ملك سبأ في القرن السادس قبل الميلاد، أما تُبّع أسعد بن حسان هذا فكان في القرن الخامس بعد الميلاد وقام بمناصرة وترسيخ زعامة الأوس والخزرج بني قيلة بيثرب ونواحيها. وقد ذكر الهمداني في الصفة أنه «قال بعض آل أسعد تُبّع ـ [يذكر الأوس والخزرج وغسان] ـ:

وفي يثرب منّا قبائل إن دُعُوا ... أَتَوْا سُرُباً من دَارِعينَ وحُسَّرِ
هُمُ طَرَدُوا عنها اليَهُودَ فأَصْبَحُوا ... على معزل منها بساحة خيبَر
وغسَّانُ حيٌّ عزّهم في سُيُوفهم ... كرام المساعِي قد حووا أرض قَيصرِ»

٣ ـ كان الملك الغساني بالشام في عهد أسعد تبع بن حسان هو جَبَلة بن الحارث الجفنيّ، وكان قيصر الروم هو الملك مركيانوس (٤٥١ ـ ٤٥٧م) ثم عدة ملوك ثم الملك زينون (٤٧٥ ـ ٤٩٢م). وكانت قبيلة غسان وغيرهم من العرب بالشام والموصل والمناذرة في العراق يدينون بالديانة المسيحية والتي كانت هي ديانة رئيسية في اليمن ودولتها الحميرية، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه «انقسم المسيحيون إلى مركية: وهم أهل الأمانة فَنُسبوا إلى الملك مركيانوس الذي جمعهم وعهد بأن لا يُقبل ما اتفق عليه أهل المجمع الخلقدوني.. وإلى يعاقبة: وهم أهل مذهب ديسقر بطرك الإسكندرية الذي كان منفياً.. وإلى نسطورية وهم أتباع مذهب

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٦٥ و٦٧.

البطرك نسطوريس وكان قد نُفيّ إلى صعيد مصر. . وأخذ مذهبه في الانتشار» وقد ذكر ابن العميد مؤرخ النصارى أنه «أخذ بمذهب نسطوريس نصارى الجزيرة والموصل إلى الفرات والعراق. . .»[١] (اهـ). وبذلك المذهب المسيحي النسطوري التوحيدي كان يدين أسعد تُبع بن حسان الحميري وليس باليهودية ولا غيرها. فقد وقع الانقسام المسيحي في اليمن إلى مذهبين هما المذهب التوحيدي النسطوري ومذهب الطبيعة الواحدة للرب والمسيح. ويذكر (بيوتروفسكي) أنه «استوطن نجران بعض المسيحيين من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والذين لعلهم زاحموا النسطوريين في نجران» ويقول: «إن المذهب الوحد يطبيعي كان يميل إلى التيار اليولياني وقد نادى سيمون البيتار الشامي إلى مكافحة تطرفه». ويقول: «إن النسطوريين في نجران أيدوا إجراءات الملك أسعد الحميري»[٢]. ويمكن أن نستنتج أن الملك أسعد بن حسان جعل المذهب المسيحي النسطوري التوحيدي مذهباً رئيسياً في دولة اليمن الحميرية بكنائس نجران وظفار وعبدان وقليس صنعاء. ويتميز ذلك المذهب المسيحي النسطوري بأنه توحيدي لا يقول بتأليه المسيح وإنما يقول بتوحيد اللّه الرحمن ويسميه بعض المؤرخين دين النصرانية الأولى.

٤ ـ لما سار أسعد تُبّع بن حسان إلى يثرب وقام بمناصرة وترسيخ زعامة الأوس والخزرج ـ بني قَيْلة ـ في يثرب ونواحيها، تَوجّه بعد ذلك من يثرب إلى مكة في طريقه إلى اليمن وقد خلط الرواة بين ثلاثة أحداث وملوك:

أ ـ نبأ كسوة أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ للكعبة وهو أول من كسا الكعبة وسنّ تعاليم خاصة بالحج والطواف، وذلك في القرن السابع قبل الميلاد، وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل والوثائق في الفصل الخاص بعهده، وهو تُبّع المذكور في القرآن الكريم والأحاديث النبوية. قال القرطبي: «. . . وهو تُبّع أبو كرب أسعد الذي كسا البيت، وكان من اليوم الذي مات فيه تُبّع إلى اليوم الذي بُعث فيه النبي محمد ﷺ ألف سنة. . وقد أُختُلِف هل كان تُبّع نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان تُبّع نبياً. وقال كعب: كان ملكاً مؤمناً»[٣]. وقال نشوان الحميري: «كان أبو كرب أسعد مؤمناً وهو أول من كسا الكعبة، وهو

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٩.
(٢) ملحمة أسعد الحميري ـ بيوتروفسكي ـ ص٢٤٢.
(٣) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٤ ـ ٣/١٤٦.

تُبّع الذي نهى النبيّ ﷺ عن سبّه.. ومن الناس من يقول: كان تُبّع نبيّاً، لأن اللّه عدّه من الأنبياء عند قصصهم، وقد ذكر اللّه قوم كل نبيّ قبله. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [قّ: ١٢ ـ ١٤] ويتعزز ذلك بما ذكره القرطبي في التفسير أنه «قال ابن عباس كان تُبّع نبياً»[١]. وقال ابن كثير: «قوم تُبّع هُم سبأ»[٢] وقال ابن كثير: «وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ: «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم». والحديث: «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً»[٣]. وجاء في الفتح الكبير للنبهاني «قال النبي ﷺ: «لا تسبّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم». أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه»[٤] فذلك هو تُبّع أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ وكان مؤمناً مسلماً، وقال بعض العلماء: كان نبياً. وهو أول من كسا الكعبة، وقام بتطهيرها من الأصنام وجعل لها باباً وإقليداً، وولى الجرهميين سدانة البيت ورئاسة مكة. وبشّر وأخبر بنبيّ سيأتي اسمه أحمد، وكان ـ كما ذكر القرطبي في التفسير ـ «كان تُبّع أبو كرب أسعد قبل البعثة النبوية بألف سنة» وذكر الهمداني في الإكليل أنه كان تبّع أسعد وابنه حسان بن أسعد في أيام بُختنصّر ملك بابل»[٥] وهو نبوخذ نصر ملك بابل في القرن السابع قبل ميلاد المسيح فذلك هو زمن تُبّع أبو كرب أسعد الأول صلوات اللّه عليه.

ب ـ أما تُبّع الذي اعتنق اليهودية على يد الحبرين بيثرب فإنما هو الملك ذرا ـ أمر (عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد). قال الهمداني: «فأعجب تُبّع عمرو بن حسان هذا دين اليهودية فدخل مع الحبرين في دينهم» وقال: «أما الحبران اللذان ذكرهما العلماء فذلك في تُبّع عمرو بن حسان بن أسعد فهو صاحب الحبرين»[٦] وأراد عمرو (ذرا ـ أمر) هدم البيت فنهاه الحبران عن ذلك، فقام بكسوة الكعبة فكان هو ثاني من كساها في الزمن السبئي التليد. وقد استمرت ولاية الكعبة وزعامة مكة في الجرهميين القحطانيين إلى أن

(١) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٤ ـ ١٤٦/ ٣.
(٢) تفسير القرآن ـ ابن كثير ـ سورة الدخان.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٦ جـ٢.
(٤) الفتح الكبير ـ النبهاني ـ ص٣٢٤ جـ٢.
(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.
(٦) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٢١ ـ والإكليل ـ الهمداني ـ ص٢٢١ جـ٨.

هاجرت وانتقلت من أرض مأرب باليمن قبيلة خزاعة الأزدية اليمنية حوالي عام ٢٠٠م فاستقرت خزاعة في نواحي مكة، ثم حاربت خزاعةُ جرهماً بمكة، فنفت الرئاسة الجرهمية من مكة وأصبحت ولاية البيت وزعامة مكة في خُزاعة. قال ابن هشام في السيرة النبوية: «قال عون بن أيوب الخزرجي الأنصاري:

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ ... خُزَاعَةُ مِنَّا فِي خُيُولٍ كَرَاكِرِ
حَمَتْ كُلَّ وَادٍ مِنْ تِهَامَةَ واحْتَمَتْ ... بِصُمِّ القَنَا والمُرَهَفَاتِ البواترِ

وقال إسماعيل بن رافع الأوسي الأنصاري:

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَكَّةَ أَحْمَدَتْ ... خُزَاعَةُ دَارَ الآكِلِ المُتَحَامِلِ
فَحَلَّتْ أكاريساً وشَنَّتْ قَنَابِلا ... على كُلِّ حَيٍّ بين نَجْدٍ وسَاحِلِ
نفوا جُرْهُماً عن بَطْنِ مَكَّةَ واحْتَبَوْا ... بِعِزٍّ خُزَاعِيٍّ شَدِيدِ الكواهِلِ»[١]

قال ابن هشام: «... ثم إن غُبْشَانَ من خُزاعةَ وَلِيَت البيت، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشَانِيُّ، وقريش إذ ذاك حُلُول وصِرْمُ وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة، فوليت خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر»[١] وقال ابن كثير: «... وُلِيتَ خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر.. واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة»[٢]. ـ وكان ذلك من أوائل القرن الثالث الميلادي.

جـ ـ إن أسعد تُبّع بن حسان الحميري لما عاد من غزوته إلى الحيرة وسواد العراق ومن مناصرته للأوس والخزرج في يثرب توجه إلى مكة، وكان ذلك حوالي عام ٤٧٠م (في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي). وقد نقل ابن خلدون عن ابن إسحاق أنه «مضى تُبع أسعد ولقيه دون مكة نفر من هذيل، وأغروه بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز ـ (وهي النذور) ـ فنهاه الحبران عن ذلك، فقتل النفر من الهذليين، وقَدِم مكة، ثم كسا الكعبة». وهو فيما يقال أول من كساها، وأوصى ولاتها من جرهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات، وجعل لها باباً ومفتاحاً [ص٦٤] وقد خلطت رواية ابن إسحاق بين تُبّع أبي كرب أسعد وهو أول من كسا الكعبة وولى الجرهميين سدانة البيت وكان مؤمناً مسلماً. وقال ابن

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٠١ وَ١٣٠ جـ١.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٨٧ جـ٢.

عباس: كان نبيّاً ـ كما سلف التبيين ـ وبين تُبَّع الذي اعتنق اليهودية وهو ذرا ـ أمر (عمرو بن حسان) صاحب الحبرين، وهو ثاني من كسا الكعبة في الزمن السبئي التليد، وبين أسعد تُبّع بن حسان الحميري ـ في القرن الخامس الميلادي ـ وكانت تتولى البيت ومكة في أيامه خُزاعةُ وليست جرهم، فأراد أسعد بن حسان هذا مصادرة أموال الكعبة بمشورة نفر من الهذليين فنهاه عن ذلك بعض أصحابه، فقام بتكريم وكسوة الكعبة، فكان تُبع أسعد بن حسان آخر من كسا الكعبة من ملوك حمير وكان يدين بالنصرانية الأولى بالمذهب المسيحي النسطوري التوحيدي. وأقرّ أسعد ولاية خزاعة للبيت ومكة، وكان يتولى البيت في أيامه «سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي» إذْ أنه قال ابن هشام: «تولت خُزاعةُ البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهم حُلَيلُ بن حُبْشِيَّةُ بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزاعي» [ص١٣٠ جـ١].

وكان الولاة الخزاعيون للبيت وقبيلة خزاعة وقريش بمكة يدينون بعبادة الأوثان المنصوبة في الكعبة، فتركهم أسعد على حالهم وديانتهم وكسا البيت، ثم عاد من مكة إلى قصر غُمدان بصنعاء.

٥ ـ تذكر كتب التاريخ العربية أن أبا كرب أسعد تُبَّع بشَّر وأخبر بمجيء النبي محمد ﷺ وكان ذلك في القرن السابع قبل المسيح، وقال القرطبي: «... قبل البعثة النبوية بألف سنة». وكذلك جاء في أنباء تُبّع أسعد بن حسان أنه أخبر وبشَّر بمجيء النبي محمد ﷺ. ونرى أنه ليس هنالك تعارض بين الخبرين، وأن الملك أسعد بن حسان بشَّر وأخبر بالنبي محمد ﷺ وذلك في أواخر عهده بالنصف الثاني من القرن الخامس الميلادي ـ أي قبل البعثة النبوية بمائة وأربعين سنة فقط ـ وكان أسعد بن حسان يؤمن بالديانة النصرانية الأولى وقد كان في كتاب الإنجيل الصحيح تبشير السيد المسيح عليه السلام بنبيّ سيأتي اسمه أحمد. وتذكر كتب التاريخ العربية أنه (قال تُبع أسعد ـ الأول أو الثاني:

شهدتُ على أحمدٍ إنّه ... رسولٌ مِنَ اللّه باري النسم
نبيٌّ وجدناه في كُتْبنا ... به يُهتدى وبه يُعْتَصَم
فلو مدّ عمري إلى عُمره ... لكنتُ وزيراً له وابنَ عمّ
وألزمت طاعته كل من ... على الأرض من عرب وعجم)

قال ابن كثير: «قال السهيلي: ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار

ويحفظونه بينهم، وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي اللّه عنه وأرضاه»[١] وبما أن زمن أبي كرب أسعد الأول بن ملكيكرب ملك سبأ قديم فإن الأقرب إلى الصحة أن قائل هذا الشعر أسعد الثاني بن حسان بن ذي غيمان مَلك حمير..

٦ ـ وكانت مدة حكم أسعد بن حسان ٢٣ سنة في قول الجرجاني. بينما جاء في مصدر أقدم هو شعر حذيفة بن غانم الجاهلي أن مدة حكم أسعد عشرين سنة. حيث قال حذيفة بن غانم:

وأسْعَدُ قَادَ النَّاسَ عِشْرِينَ حِجَّةً يُؤَيَّدُ في تِلْكَ المَوَاطِنِ بالنَّصْرِ

وقد انتهى عهد أسعد بن حسان بن ذي غيمان بوفاته في صنعاء وتم دفنه في غيمان ـ جنوب صنعاء ـ حيث ما تزال بعض مآثر أسعد ومنها قلعة أسعد أو أطلال قصر أسعد باقية في غيمان حتى اليوم.

المبحث الثالث

عهد لحيعة يرخم ذو جَدَن.. المشهور بلقب ذي شناتر

(٥٩٢ ـ ٥٩٤ حميري/ ٤٧٧ ـ ٤٧٩م)

بعد «تُبَّع أسعد بن حسان بن ذي غيمان» تولى رئاسة الدولة الحميرية «لُحيعة/ يرخم» الذي تذكره كتب التاريخ العربية باسم «لخنيعة» أو «لخيعة» وهو تصحيف يسير لاسمه «لحيعة» وتذكره أيضاً بلقب «ذي شناتر». وقد تم العثور على أربعة نقوش مسندية قصيرة من عهد «لحيعة» جاء اسمه ولقبه في اثنتين منها بلفظ «لحيعة ذي جدن»[٢] وفي الثالث بلفظ «لحيعة يرخم ذو جدن ويزن/ وتف/ لقيب ذي يزن»[٣].

أولًا

تبيين أن لحيعة حكم بعد أسعد

إن لحيعة هو الذي حكم بعد تُبّع أسعد بن حسان، لأن مدة حكم أسعد

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٦ جـ٢.

(٢) النقشان رقم ٥١٣ ـ ٥١٤ ركمانز. نقش موقع وادي كوكب ـ JA/ ١٠٣٠.

كانت عشرين سنة وذلك في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م). بقرينة الملوك الذين عاصرهم وبقرينة قول حذيفة بن غانم:

وأسعدُ قَادَ الناسَ عشْرين حِجَّة يُؤيَّدُ في تلك المواطِنِ بالنصر

فقد انتهى عهد أسعد بوفاته حوالي عام ٥٩٢ حميري (٤٧٧ ميلادي) وقد حكم لحيعة نحو ثلاث سنين أو أربع لأن ابنه (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) حكم بعد أبيه وقد تم العثور على نقش من عهد شرحبيل يكمل بن لحيعة مؤرخ بعام ٥٩٥ حميري (٥٨٠م). وسيأتي نص النقش ـ وبالتالي فإن فترة حكم لهيعة تكون بعد أسعد مباشرة وهي فترة نحو ثلاث سنين فقط. وقد وقع التباس فيما ذكره بعض المؤرخين والأخباريين العرب من أنه «حكم بعد أسعد: ابنه حسان بن أسعد الذي في عهده هلكت قبيلة طسم وجديس باليمامة، ثم قتله وحكم بعده أخوه عمرو بن أسعد وكان حكمهما ٣٧ سنة، ثم ملك لخيعة ذو شناتر»[١]. ويتمثل الالتباس والخلط في أن أبا كرب أسعد الأول بن ملكيكرب ـ ملك سبأ ـ هو الذي مَلَك بعده ابنه حسان يهامن وفي عهده كان هلاك طسم وجديس ثم قتله وحكم بعده أخوه، وقد ذكرنا عهدهما بالتفصيل والنقوش في ملوك سبأ التبابعة. أما أسعد الثاني بن حسان فقد حكم بعده مباشرة لحيعة كما يدل على ذلك الزمن.

ثانياً

وثوب لحيعة على الحكم

قال ابن خلدون: «ثم مَلَك لخيعة ولم يكن من أهل المملكة»[٢] وقال ابن كثير: «وثب لخنيعة ذو شناتر على مُلك اليمن. قال ابن إسحاق: مرج أمر حمير فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المُلك يقال له لخنيعة ذو شناتر»[٣]. وكذلك قال ابن هشام: «لما هلك عمرو بن تُبَان أسعد مرج أمر حمير عند ذلك ـ أي اضطرب وقلق أمرهم ـ فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يُقال له لخنيعة ذو شناتر»[٤]. وجاء في هامش ابن

(١) سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق + البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٦/ ٢.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٣.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٧ جـ٢.
(٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٧ جـ١.

هشام: «قال أبو ذر: قال ابن دريد: المعروف لخيعة بغير نون، مأخوذ من اللخع ـ بفتحتين ـ وهو استرخاء اللحم» وفي القاموس مادة لخع: «اللخع محركة استرخاء الجسم، وذو الشناتر لخيعة بن ينوف من حمير»[١] وجاء ذكره في الإكليل باسم (خنيعة ذو شناتر بن مضحا) قال الهمداني: «وقد يظن كثير من الناس أن خنيعة الذي وثب على مُلك آل حسان هو هذا»[٢]. وجاء في هامش الإكليل: «ذو شناتر من ملوك اليمن اسمه لختيعة»[٢].

فتلك الروايات جميعاً للاسم (لخيعة/ لخنيعة/ خنيعة/ لختيعة) قريبة من الاسم الأصلي الذي تنطق به النقوش وهو (لحيعة). أما اللقب (ذو شناتر) فجاء في هامش السيرة النبوية لابن هشام: «قال أبو ذر: الشناتر: الأصابع، بلغة حمير، واحدها شنتر» وفي القاموس: «ذو الشناتر اسمه لخيعة، لقب به لأصبع زائدة له»[١] وجاء في هامش الإكليل «الشناتر ما بين الأصبعين، لُقب به ذو شناتر لأصبع زائدة»[٢] ويتبين من ذلك أن (ذا شناتر) لم يكن لقباً رسمياً ولا لقب إذوائية وإنما هو نبز للحيعة لأن له أصبع زائدة.

وقد ذكرت الروايات والنصوص السالفة أن لحيعة «لم يكن من أهل المملكة» أو «لم يكن من بيوت الملك» أو «لم يكن من بيوت المملكة». وأصل ذلك أنه لم يكن من آل حسان تبّع، ولذلك جاء تعبير الهمداني في الإكليل دقيقاً بقوله إنه: «وثب على مُلك آل حسان».

وقد كان لحيعة من كبار الأذواء والأقيال في عهد حسان وعهد أسعد بن حسان بل كان أقرب الأذواء لآل حسان ويجمعهما بيت واحد وفرع واحد من بيوت آل صيفي بن زرعة بن حمير الأصغر، وقد ذكر الهمداني في الإكليل: «إن آل ذي يزن وآل خنفر وآل ذي أصبح بن عمرو بن الحارث ذي أصبح وآل الصباح بن شرحبيل بن لهيعة كانوا إلْباً ويداً واحدة على حد القرابة والدعوة إلى صيفي بن زرعة»[٣].

وقد كان آل حسان تُبع بن ذي غيمان ولحيعة ـ الملقب بذي شناتر ـ من بيت واحد هو بيت القَيْل «أصبح بن زيد بن قيس بن صيفي» وفيما يلي نسب أهم عظماء ذلك البيت من بيوت أذواء وملوك حمير:

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٧ جـ١.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٣ جـ٢.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٢ جـ٢.

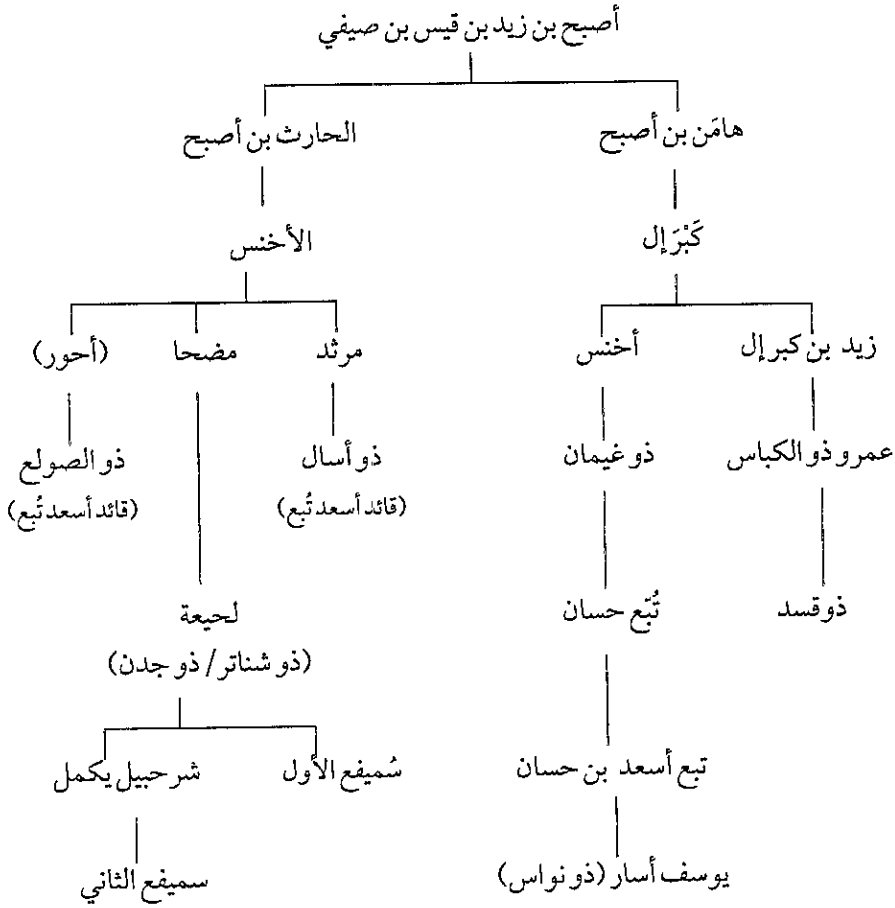

ويتبين من ذلك أن لحيعة كان من صميم أذواء ذلك البيت، وكان ابن عمه (ذو أسال بن مرثد) قائد أسعد تُبّع، كما كان ابن عمه الآخر (ذو الصولع) قائد أسعد تُبع ـ كما جاء في الإكليل ـ بينما كان لحيعة هو (ذوجدن) أي زعيم أذوائية جدن المجاورة لأذوائية يزن، وكانت أذوائية يزن وجدن من كبار أذوائيات اليمن في ذلك الزمن.

إن وثوب لحيعة على الحكم لم يكن بالمعنى الذي توحي به كلمة (وثوب) فعندما توفي تُبع أسعد بن حسان كان أولاده صغاراً، فوقع مرج واضطراب وقلق بين أذواء حمير بسبب من يتولى الحكم ورئاسة الدولة، فوثب لحيعة إلى رئاسة الدولة وأصبح بمثابة ملك حمير، وحمل لقب (ذي جدن).

وتقول الروايات التاريخية التي ذكرت لحيعة بلقب ذي شناتر أنه «مكث ملكاً لليمن ٢٧ سنة ثم وثب عليه ذو نواس بن أسعد، وكان ذو

نواس صبيًا حين مات أبوه، ثم شبّ... ففتك بلحيعة»[١].

وقد دمجت تلك الروايات عهد (لحيعة/ يرخم) ثم عهد ابنه (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) وعهد أخيه (سميفع بن لحيعة يرخم) فنسبت مدة حكمهم (وهي ٣٧ سنة) إلى لحيعة الذي (وثب على الملك) وإنه حكم إلى أن قتله وتولى الحكم ذو نواس، وليس ذلك الدمج صائباً، ولكنه يتيح إدراك أن لحيعة يرخم هو المقصود بلحيعة ذي شناتر لأنه حكم ثم حكم أبناؤه إلى أن تولى الحكم ذو نواس. وقد أشار د. محمد بافقيه إلى ذلك قائلًا ما يلي: «إن اسم لحيعة يرخم يذكرنا بلحيعة ذي شناتر الذي تتهمه المصادر الإسلامية باغتصاب الحكم قبل ذي نواس، وهذا يعني خلطاً من الأخباريين بين أحداث حقيقية»[٢].

ثالثاً

النبأ اليقين عن عهد لحيعة يرخم ذي جدن

لقد تولى (لحيعة) الحكم في العام الذي مات فيه تُبع أسعد بن حسان وهو عام ٥٩٢ حميري (٤٧٧ ميلادي) وحكم لحيعة ٣ سنوات فقط لأن ابنه (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) تولى الحكم بعد وفاته وله نقش مؤرخ بعام ٥٩٥ حميري ويوافق عام ٤٨٠ ميلادي، ويدل ذلك عن أن عهد لحيعة كان نحو ثلاث سنين وذلك في الفترة ٥٩٢ ـ ٥٩٤ حميري الموافق ٤٧٧ ـ ٤٧٩م.

وقد جاء اسم ولقب لحيعة في نقشين من عهده بصيغة «لحيعة ذي جدن» وجاء في نقش ثالث بصيغة «لحيعة يرخم ذي جدن..» مما قد يعني أن اللقب الشخصي (يرخم) أُضيف إلى اسمه الشخصي (لحيعة) في أوائل عهده. ومعنى (يرخم) يتصل بالعظمة والشرف. قال الهمداني في الإكليل: «إذا رأى الرجل باليمن آخر مُتَعَظّماً.. يقول القائل: أنت تُترخم علينا، أي تَعَظّم وتَشَرّف»[٣].

وكان لحيعة يرخم أول من حمل لقب (ذي جدن) في نقوش العصر الحميري، فقد كان في عصور ملوك سبأ التبابعة (بنو جدن/ ذي جدن) من المثامنة وأنسابهم قديمة وبعيدة، وكذلك كان هناك (بنو غيمان/ ذي غيمان) وغيرهم. فانتهت تلك الأُسر والعصور، ثم ظهرت أُسر وظهر زعماء أعادوا

(١) سيرة ابن هشام + البداية والنهاية + تاريخ ابن خلدون.
(٢) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٩/ ٢.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٢٥/ ٢.

تعمير بعض المدن والقصور وحملوا نفس الألقاب في العصر الحميري، فذوغيمان في هذا العصر هو (ذو غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إل) والد (حسان بن ذي غيمان). وكذلك (ذو جدن) في هذا العصر هو (لحيعة يرخم ذو جدن) ولا بد أن (جدن) كان اسم قصر أو محفد مثل القصر (يزن) في مدينة عبدان والذي إليه نُسب (ملشان أريم ذو يزن) ثم آل ذي يزن، ولم يكن مكان (جدن) بعيداً عن أذوائية (يَزن) وربما قام لحيعة يرخم ببناء أو إعادة بناء قصر أو محفد (جدن) وجعله مركزاً رئيسياً للحكم في المناطق التي يقع فيها، ولذلك حمل لقب «ذي جدن». فإذا قيل (ذو جدن ملك حمير) فالمقصود بصفة خاصة (لحيعة يرخم ذو جدن). وقد جاء ذكر «ذي جدن» بين ملوك الدولة الحميرية، حيث قال علقمة:

وأبـــــاد ذا جـــــدن وأردى بـــعـــده مُـــلـــك الـــصـــرادف

وقال آخر:

صـافـحـتُ ذا جدن وأدرك مـولـدي عـمـرو ابـن مـرثـد يُـتّـقـى بـالـراح

وفي عهد لحيعة يرخم أصبحت أسرته الجدنية والأسرة اليزنية أسرة واحدة، وهو ما يدل عليه نقش يقول د. محمد بافقيه إنه «نقش عبارته غريبه وهو النقش (J.1030) الذي يقول:

«تميم/ ذو حذية/ مقتوى/ بنيهن/ لحيعة/ يرخم/ ذوجدن/ وذويزن/ وتف/ لقيب/ ذو يزن».

ويقول بافقيه «هل المراد من (ذوجدن) و(ذو يزأن) مجرد إيراد اللقب بصيغة مختلفة، أم أريد به التأكيد على أن السلالة مركبة من فرعين..؟ على أن ملاحظة أخرى لا تخلو من دلالة وهي تقدم اسم (جدن) في النقش ذاته على (يزأن) وهو ما لم يحدث في نقش آخر معروف. واقتصار نقش آخر (للشخص نفسه غالباً) على وصف لحيعة يرخم بذي جدن (RY513 & 514) دون إضافة (يزأن). ألا يكفي هذا ليجعلنا نتصور أن التغيير الذي حدث مهما كانت طبيعته وأبعاده إنما كانت اليد الطولى فيها لبني/ أذواء جدن؟.. فقبل ذلك كانت الأسرة أو السلالة اليزنية (أي التي تحمل لقب ذي يزن) هي أسرة ملشان أو بني ملشان (نقش عبدان الكبير)، أما الأسرة اليزنية الملكية المتأخرة فهي من (بني لحيعة يرخم) الجدني الأصل»[1]. والظاهر أن الأسرتين أصبحتا أسرة واحدة.

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٧.

وقد كان حكم لحيعة يرخم ذو جدن شمل كل أرجاء اليمن الطبيعية إلى (سأكلن) وهي منطقة ظفار عمان شرقاً وإلى الركب ـ تهامة ـ غرباً وإلى نجران بمدلولها الواسع القديم شمالاً، بل إلى مأسل الجمح في منطقة اليمامة ونجد شمال الجزيرة العربية. وقد ذكر الهمداني في الصفة: «أرض البحرين واليمامة ونجد» إن منها «الأنيعم، والدخول، وحومل، وتوضح، والمقراة، ومأسل، ودارة جُلْجُل»[1] وقال: «... وقرْقرى من اليمامة والهزمة.. والدَّخول ناحية الهزمة وقرقرة وتوضح وإياهما عنى امرؤ القيس بقوله:

بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل
وتوضِح فالمقراة لم يعف رسمها

ومأسل الجُمح لبني ضِنَّة من بني نمير»[1]. وقال: «ثم مأسل الجُمح وفي فرعها صحراء يقال لها جَراد والرملة ومن ورائهما هضيبات حُمر يُقال لهن مجيرات، وعن أيمانهن هضب يقال لها هضب السمنات»[1].

وكان القائد (تميم ذو حذية مقتوى لحيعة يرخم) ـ أي من كبار قادة لحيعة يرخم ـ هو نائبه في مخلاف نجران ومأسل الجُمح (اليمامة ونجد) كما تدل على ذلك أربعة نقوش من عهده هي:

ـ نقش منقور على صخرة في وادي مأسل الجُمح مكتوب عليه اسم (تميم/ ..../ .../ لحيعة ذوجدن» وبجوار النقش «رسم منحوت لشخص ذي ربطة مخططة حول فخذيه ويحمل رمحاً في يده وخنجر خلف حزامه»[2].

ـ ونقش في وادي كوكب شمال نجران وهو النقش رقم (٥١٤ ركمانز/RY514) مكتوب فيه «تميم/ ...../لحيعة ذو جدن» وبجوار النقش «رسم منحوت لرجل ذي لحية يحمل رمحاً مقلوباً وسيفاً ذا ربطة ملفوفة حول فخذيه»[2].

ـ ونقش ثالث في وادي كوكب شمال نجران وهو النقش رقم (٥١٣ ركمانز/ Ry513) مكتوب فيه «تميم/ ...../ لحيعة يرخم ذو جدن» ومكتوب في النقش أيضاً عبارة ينقلها بيوتروفسكي بلفظ «ليرحم على أبناء ملك ذي جدن الرحمن. آمين»[2]. ولعل القراءة الأصوب «ليرحمن أبناء ملكنا ذي جدن الرحمن آمين».

ـ والنقش الرابع في موقع بئر الحمة بنجران وهو النقش رقم (JA. 1030) ونصه:

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٩٢ و٣١١ و٣٢٩.

(٢) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي.

«تميم ذو حذية/ مقتوى/ لحيعة يرخم ذو جدن وذو يزن/ وتف/ لقيب/ ذي يزن».

وقد انتهى عهد لحيعة يرخم بوفاته حوالي عام ٥٩٤ حميري الموافق عام ٤٧٩ ميلادية.

المبحث الرابع

عهد شرحبيل يكمل
ملك حمير بن لحيعة يرخم
(٥٩٥ـ٦١٤ حميري/ ٤٨٠ـ٥٠٠م)

بعد لحيعة يرخم ذو جدن تولى رئاسة الدولة الحميرية ابنه (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) بالاشتراك مع أخوته وأبنائه كما ينطق بذلك نقشان من عهده تم العثور على أحدهما في موقع (قرن أملح) ـ بمحافظة شبوة حالياً ـ حيث وادي عبدان الذي كانت فيه مدينة عبدان والقصر (يزن) ـ وهو نقش مؤرخ بعام ٥٩٥ للتقويم الحميري يوافق عام ٤٨٠ميلادية[١]. والنقش الثاني عثرت عليه وقامت بنسخه بعثة أثرية فرنسية عام ١٩٨٥م في موقع (حزمة أبو ثور) الذي كان موقع مدينة اسمها (م ن هـ ت م) في محافظة الجوف حالياً بأعالي شمال اليمن، وهو نقش مؤرخ بعام ٥٩٦ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٨١ ميلادية[٢]. وقد جاء ذكر (شرحبيل يكمل) بلقب (ملك حمير) وذلك في «وثيقة مسيحية أكسومية تقول: إن شرحبيل يكف (يكل) ملك حمير قام بقتل راهب مبشر مسيحي في نجران» أو كما يقول د. محمد بافقيه: «ذُكر شرحبيل ـ (وهو ملك لا نعرف عنه ما يشفي غليلاً) ـ في وثيقة مسيحية حبشية اتهمته بقتل مُبشر في نجران، وهذا الخبر إذا صح فله دلالات تصعب الإحاطة بها»[٣].

والواقع أننا نعرف أن شرحبيل يكمل ملك حمير هو رئيس الدولة الحميرية في الفترة ما بين عام ٥٩٥ و٦١٥ للتقويم الحميري (٤٨٠ ـ ٥٠٠ ميلادي) ومن وثائق ومعالم عهده:

---

(١) نقش قرن أملح ـ رقم ٤٠٦٩ ريمي أدوان.

(٢) البعثة الفرنسية ـ روبان ـ ١٩٨٥م.

(٣) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٩/ ٢.

أولًا

نقش شرحبيل يكمل في موقع قرن أملح

وهو «النقش رقم (R.4069) المؤرخ بعام ٥٩٥ حميري (= ٤٨٠م) وهو باسم: شرحبيل يكمل وشراحيل يقبل، ومرثد ألن أحصن، وسميفع أشوع، بنو لحيعة يرخم. ولحيعة يرخم وسميفع أشوع ابنا شرحبيل يكمل. ذو يزن، وجدن، ويلغب، ويصبر، كبار أقيال شعوب ضيفتن، ورثحم، ومهره، وكبار (كبور) سيبان»[1] ويتبين من هذا النقش ما يلي:

أ ـ يبدأ النقش باسم شرحبيل يكمل لأنه رئيس الدولة، ولم يحمل لقب (ملك) في النقش لأن نظام الدولة الحميرية لم يكن ملوكياً وإنما كان رئيس الدولة أحد الأذواء وهو «الأول بين متساويين» ولذلك فهو الأول بين الأذواء المذكورين في النقش، ولكنه هو رئيس الدولة وهو من الناحية الواقعية ملك حمير، وقد ذكرته وثيقة أكسومية في ذلك العهد بلقب ملك حمير.

ب ـ ويتبين من النقش صيرورة الأسرتين اليزنية والجدنية أسرة واحدة، وقد بدأ ذلك في النقش رقم (JA.1030) المعثور عليه في موقع بئر الحمة بنجران باسم القائد «تميم ذو حذية مقتوى لحيعة يرخم ذو جدن وذو يزن/ وتف/ لقيب/ ذو يزن». ففي العهود السابقة كانت الأسرة أو السلالة اليزنية ـ أي التي تحمل لقب ذي يزن ـ هي أسرة ملشان أريم ذي يزن، وكان منهم في عهد الملك حسان بن ذي غيمان وعهد تُبَّع أسعد بن حسان القيل (سيفم يهسكر) وهو «سيف الأكبر بن عامر ذي يزن» في كتاب الإكليل حيث ذكر الهمداني أنه «أولد عامر ذو يزن: سيف بن عامر. قال أبو نصر: سيف صهر أسعد تُبَّع في عصره كان. ويُقال إنه سُمّي سيفاً لنجدته وشجاعته وإن اسمه شراحيل بن عامر.. وقال ابن الصرحي: إن عامراً ذا يزن تزوج ابنة أسعد (تُبّع) وكان عنده مكيناً، فمرت به يوماً في مجلس من بعض قصوره بُنيَّة لذي يزن من بنته، فقرّبها، ثم قال:

يـا ابـنـة الـقَـيْـل ذي يـزن ... جـدك الـيـوم خـيـر مـن
حـلّ فـي ذروة الـيـمـن ... بـيـن صـنـعـاء إلـى عـدن

قال الهمداني: ويمكن أن يكون الصهر سيف بن (عامر) ذي يزن، وأقامه

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٩/ ٢.

في اللفظ مقام أبيه». وقال: «يقول بعض حمير: إن ذا يزن كان على ابنة أسعد تُبّع»[١] وقد سلف القول بأن اسمه (شراحيل بن عامر ذي يزن). ولعل (شراحيل) هو (شراحيل يقبل) في نقش قرن أملح، وذلك لأن صيرورة الأسرتين الجدنية واليزنية أسرة واحدة في عهد لحيعة يرخم ذي جدن (الذي حكم بعد أسعد تُبع بن حسان) قد ترتب عليه مجيء الأسماء في نقش قرن أملح بصيغة «شرحبيل يكمل، وشراحيل يقبل، ومرثد ألن أحصن، وسميفع أشوع. بنو لحيعة يرخم.. ذوو يزن وجدن..» وقال د. بافقيه عنهم «... يفترض أنهم أخوة أو في مصاف الأخوة فهم جميعاً يوصفون بأنهم بنو لحيعة يرخم» وقال: «هل كان من ذكروا في النقشين كأخوة لأب واحد؟ وهل لحيعة هو الأب المباشر؟.. أم أن السلالة مركبة من فرعين (آل ذي جدن وذي يزن) يجمعهما من هم بمثابة الأبناء إليه، وتكون البنوة في هذه الحالة من الصلب بالنسبة إلى أحدهما ومن خلال البنات بالنسبة للآخر مثلًا»[٢]. ولعل الأصوب «من خلال التبني بالنسبة للفرع الآخر اليزني». فقد كان «شرحبيل يكمل» هو ابن لحيعة يرخم، أما الثلاثة المذكورين معه «شراحيل يقبل/ ومرثد ألن أحصن/ وسميفع أشوع» فيمكن أن يكون «شراحيل يقبل» هو «شراحيل بن عامر ذي يزن» في الإكليل، ويمكن أيضاً أن يكون «سميفع» هو «سيف بن عامر ذي يزن» في الإكليل ـ الذي أمه بنت أسعد تُبّع ـ إذْ أن الأسرتين اليزنية والجدنية أصبحتا أسرة واحدة.

جـ ـ وجاء في النقش أنهم أذواء يزن وجدن ويلغب ويصبر. ويرى د. بافقيه «ارتباط يصبر أو (ذي يصبر) برثحم التي وردت لأول مرة في النقش (R.5085) بين القبائل التابعة لليزنيين، وهم غالباً سكان المدينة القديمة رثحم التي ذُكرت بين أراضي ومدن سيبان وذكرت بعدها مباشرة عبدان»[٢].

د ـ وجاء في النقش أيضاً أنهم كبراء أو كبار (كبور) سيبان. وكانت سيبان أهم القبائل الحميرية في حضرموت. وجاء في الإكليل: (سيبان: بطن من حمير، وهم بنو سيبان بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زُرعة بن حمير الأصغر». وقال الهمداني: «إن المسيرات والأثيلات ـ وهم من الصدف بحضرموت ـ دخلوا في سيبان ولهم يقول بعض بني حريم:

مضى نفر منّا لسيبان فانتووا فقد ملكوا سيبان واكتسبوا عزّا

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٤ و٢٥٦ جـ٢.

(٢) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٤٩ و١٥٦ و١٥١.

وما زال منّا كوكب يفضح الدجى يضيء له نوراً إذا ما بدا شزّا»[١]

قال الهمداني: «وبحضرموت قبائل كثيرة دخلت فيها من غيرها، من همدان وأكثرهم من نشق[٢] ومن سيبان بن أسلم بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زُرعة وهو حمير الأصغر، ومن الأيزون ـ [وهم يزنيون] ـ. . .»[٣] وقد ذكر النقش (سيبان) لأن أقيال مناطق حضرموت في ذلك العصر كانوا من سيبان ـ غالباً ـ ولكنهم يتبعون رئيس الدولة (شرحبيل يكمل) فهو كبير سيبان.

هـ ـ وذكر النقش أيضاً «مهرة» وهي منطقة وقبيلة المهرة ـ المعروفة باسم المهرة حتى اليوم ـ وتقع محافظة المهرة شرق حضرموت إلى منطقة ظفار في سلطنة عمان حالياً، وكانت منطقة محافظة ظفار عمان من مناطق المهرة، وكانت مهرة قبيلة كبيرة وهم من قبائل قضاعة بن مالك بن حمير التليدة، وكانت جزيرة سقطرى أيضاً تسكنها عشائر من المهرة، وكان سلطان الدولة الحميرية يمتد إلى كل تلك الأرجاء من اليمن.

ثانياً

نقش شرحبيل يكمل من موقع منهتم بالجوف

وقد كشفت تنقيبات البعثة الأثرية الفرنسية أطلال مدينة قديمة اسمها (منهتم/ منهيتم) في موقع يعرف اليوم بحزمة أبي ثور في محافظة الجوف. وبين بقايا خرائب تلك المدينة تم العثور على نقش مسند يذكر القيام بإنجازات عمرانية في مدينة منهتم في عهد وبرعاية:

«شرحبيل يكمل/ وشراحيل يقبل/ ومرثد ألن أحصن/ وسميفع أشوع/ بنو لحيعة يرخم/ وبنوهم لحيعة يرخم/ وسميفع أشوع/

ذوو يزن/ وجدن/ . . . . كبار أقيال شعوب رثحم وضيفتن وسأكلن وركبن/ كبور شعبهم سيبان/ بتاريخ خريف سنة ٥٥٦ ـ من التقويم الحميري». ويوافق عام ٤٨١ ميلادي[٤].

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٤ جـ٢.

(٢) نشق: قبيلة مشهورة كانت تسكن منطقة الجوف وبها كانت مدينة نشق التليدة.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٧٥ جـ٢.

(٤) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٥٤ و١٥٦ و١٥٩.

ويتبين من ذلك النقش:

أ ـ إن مدينة (منهتم) كانت المدينة الرئيسية لمناطق الجوف وما جاورها من مأرب وبلاد همدان وغيرها. وقد كانت تسكن الجوف قبائل من مذحج ومن همدان، وتمتد مناطقها إلى صعدة ونجران. وكان في مدينة (منهتم) نائب لشرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم قد يكون من بني ذي جدن. ويقول د. بافقيه «ينبغي ألّا يخامرنا شك في عراقة وجود أسرة بني ذي جدن في الجوف»[١].

ب ـ ويتميز النقش بذكر امتداد سلطان الدولة الحميرية ورئيسها شرحبيل يكمل وأخوته إلى (سأكلن) وإلى (ركبن) إذْ أنه ـ وكما يذكر د. بافقيه أيضاً ـ «إن أرض سأكلن هي التي تعرف اليوم بظفار من سلطنة عمان في أقصى الشرق. وبلاد قبيلة الركب (ركبن) في أقصى الغرب»[١] ـ وهي تهامة وساحل البحر الأحمر. وقد كان شرحبيل يكمل هو كبير أقيال (رثحم وضيفتن وسأكلن وركبن). وكذلك ـ كما في نقش قرن أملح ـ هو كبير أقيال «يلغب ويصبر.. ومهرة». ويتبين من النقشين شمولية سلطان الدولة الحميرية ورئاسة شرحبيل يكمل لكل أرجاء اليمن الطبيعية إلى المهرة وسأكلن (عُمان) شرقاً وإلى رثحم وساحل أبين والبحر العربي وسقطرى جنوباً وإلى بلاد الركب وهي تهامة وساحل البحر الأحمر غرباً وإلى الجوف ونجران شمالاً، بل وإلى مأسل الجمح باليمامة حيث كان تميم ذو حذية ما يزال قائداً لمحور نجران ـ مأسل الجمح وكانت السلطة المباشرة للدولة الحميرية تمتد إلى مأسل الجُمح.

ثالثاً

الأذواء الملوك في عهد شرحبيل يكمل

وكان كبار الأذواء بمناطق اليمن الرئيسية بمثابة ملوك بمناطقهم في عصر تبابعة الدولة الحميرية، وكان منهم في ذلك العصر في فترة عهد شرحبيل يكمل (٤٠٨ ـ ٥٠٩م).

١ ـ ذو شَوْذب بن ذي جدن:

قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير:

---

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٥٤ و١٥٦ و١٥٩.

أم أين ذو غَيْمانَ أو ذو شَوْذبِ اللاهِي ببيض في النساء ملاحِ

ثم قال: «ذو الشوذب ابن علقمة ذي جدن، الذي قال فيه النعمان بن بشير الأنصاري:

وذو الشوذب السمح الذي كان قد سما تُصانُ له حور النساء النواعم»[١]

وبما أن ذا شوذب هو ابن ذي جدن، وذو جدن هو في النقوش لحيعة يرخم، فغالب الظن أن ذا شوذب هو أحد أبناء لحيعة يرخم، وربما بالتحديد هو «مرثد ألن أحصن» المذكور اسمه في نقش شرحبيل يكمل بموقع قرن أملح ـ في شبوة ـ وكان ذو شوذب بن ذي جدن قَيْلًا وبمثابة ملك في مناطق شرق اليمن التي تشمل فيما تشمل (محافظات) شبوة وحضرموت والمهرة ومنطقة سأكلن (عُمان) إلى أقصى الشرق.

٢ ـ شراحيل بن ذي يزن وسميفع أشوع:

وهو «شراحيل بن عامر ذي يزن» في الإكليل، وقد يكون «شراحيل/ بن سيف يهسكر/ بن ذي يزن» وكان هو وأخوه «سيف بن عامر ذي يزن» من كبار الأقيال، وهما ـ فيما يبدو ـ «شراحيل يقبل وسميفع أشوع» المذكورين في نقشيّ شرحبيل يكمل بموقع قرن أملح وموقع منهتم.

وكان مقر قيالة وزعامة آل ذي يزن القصر يزأن بمدينة عبدان في وادي عبدان ـ (بمديرية نصاب وبلاد العوالق جنوب محافظة شبوة إلى ساحل البحر) ـ وكذلك مدينة أحور في أبين حيث جاء في شعر بالإكليل:

«وقصر أحور أسّ القَيْلُ ذو يزن»

وكانت قيالة شراحيل ذي يزن وسميفع تشمل مناطق وادي عبدان وأبين وعدن ويافع والضالع إلى مناطق من سرو مذحج وسرو حمير مثل البيضاء ورداع إلى تخوم أذوائية غيمان تقريباً. قال الهمداني: «فأولد سيف بن عامر ذي يزن: عبيد بن سيف، ومعدي كرب بن سيف الأكبر بن ذي يزن»[٢].

٣ ـ فهد بن عبد كلال ذي رُعَيْن ملك ظفار ومناطق حِمْيَر:

قال نشوان الحميري:

أمْ أين فهد أو هُمال وابنه زيد عفاهم دهرهم بمساح

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٨٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٦ جـ٢.

ثم قال: «هذا فهد الملك ابن عبد كلال بن عريب بن فهد بن زيد بن مثوّب بن ذي رعين. وكان ملكاً عظيماً يُجبى إليه من بلاد الحبش إلى جزيرة زيلع وجزيرة بربرة، وجميع اليمن»[١].

ولم يكن فهد بن عبد كلال يحكم جميع اليمن وإنما كان هو وأخوته أقيال مدينة ظفار ومناطق حمير ـ التابعة لمدينة ظفار وآل ذي رعين ـ وهي مناطق شاسعة تشمل فيما تشمل (محافظات) إب وتعز ومناطق وصاب وتهامة (محافظة الحديدة) إلى جزر البحر الأحمر بما في ذلك جزيرة زيلع وجزيرة بربرة في ساحل الحبشة. وكان فهد بن عبد كلال بمثابة الملك على ذلك الجزء الشاسع من اليمن في إطار الدولة الحميرية ورئاسة شرحبيل يكمل لأن رئاسته كانت تمتد إلى تهامة كما في نقش موقع منهتم. وإنما كان فهد بن عبد كلال ملكاً في ظفار ومناطق حمير إلى تهامة لأن نظام الدولة الحميرية كان اتحادياً. ومما يدل على أن فهد بن عبد كلال ذي رعين كان ملكاً مشهوراً قول النعمان بن بشير الأنصاري:

ومنّا ملوك الناس فهدُ وتُبّعُ وعبد كلال والقروم القماقمُ
وذو الشوذب السمح الذي كان قد سما تُصانُ له حور النساء النواعمُ

قال الهمداني: «أولد عَريب بن فهد: عبدَ كُلال الأوسط بن عَريب، فأولد عبد كُلال: عَريباً وأفلح وفهدَ الأوسط وكعباً وعَدِياً وزيداً والنعمان، سبعة نفر بني عبد كلال الأوسط»[٢] فكان فهد وأخوته يحكم كل منهم منطقة من مناطق حمير التابعة لمدينة ظفار (بمحافظة إب حالياً)، وكانت مدينة ظفار عاصمة أذوائيات مناطق حمير إلى تهامة وساحل البحر الأحمر.

وكانت الديانة المسيحية هي الديانة الرئيسية بمناطق حمير، وكانت كنيسة ظفار (قليس ظفار) من أهم الكنائس في ذلك العصر، وقد شهدت في العهد التالي أحداثاً هامة سيأتي ذكرها.

٤ ـ جذيمة الوضاح وهاتك عرشه ابنا ذي غيمان:

قال قس بن ساعدة الأيادي الجاهلي:

وجذيمة الوضّاح أخبرني أبي عنه فيالجذيمة الوضاح

(١) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٨٠.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٢ جـ٢.

وهو جذيمة الوضاح بن الحارث بن زُرعة بن ذي غيمان، وكان من الأذواء الأقيال في عهد شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم وعهد أخيه سميفع أشوع، كما يدل على ذلك ترتيب النسب، إذْ أن ذا غيمان هو «ذو غيمان بن أخنس بن كَبْرَ إل...» قال الهمداني في الإكليل: «فأولد ذو غيمان: زُرعة وحسانَ ابني ذي غيمان.. فأولد زُرعة بن ذي غيمان: الحارثَ بن زُرعة بن ذي غيمان: هاتك عرشه، واسمه الحارث بن الحارث، وجَذيمة الوضّاح. وفي جذيمة الوضاح يقول قُسّ بن ساعدة:

وجذيمة الوضّاح أخبرني أبي عنه فيالجذيمة الوضّاح

وقد يظُنّه كثير من الناس يعني جذيمة بن مالك الأزدي، وإنما جذيمة الأزدي هو جذيمة الأبرش، وكان به نمش من بياض. والحميريّ جذيمة الوضاح، قِيل: كان ذلك لبياضه ووضُوحة لونه. وفي أخيه هاتك عرشه يقول النابغة الذُّبياني:

بعدَ ابن جَفْنة وابن هَاتك عرشه والحارثَيْن يُؤَمّلَنَّ فَلَاحَا

... وقد ولد ذو غيمان آل ذي مرب من همدان. قال حارثة بن بدر الغداني يمدح سعيد بن قيس الهمداني:

نماه زيدُ وقيسُ والفتى مَرب وذو الجبابر من أولاد غيمانا»[1]

وقد كان الحارث بن زُرعة بن ذي غيمان من أقيال عهد تُبّع أسعد بن حسان بن ذي غيمان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وبالتالي يكون جذيمة الوضاح وأخوه هاتك عرشه من أقيال عهد شرحبيل يَكمل وسميفع أشوع ابني لحيعة يرخم (٤٨٠ ـ ٥١٤م) وقد ذكرهما نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير حيث قال نشوان:

وسطا على الصيفيِّ هاتك عرشه وعلى أخيه جذيمة الوضاح
وجَذيمة الوضّاح غير جذيمة الـ ـزباء عن علم وعن إصحاح

ثم قال: «هاتك عرشه، اسمه الحارث، وأخوه جذيمة الوضاح القيلان، ابنا الحارث بن زُرعة بن ذي غيمان بن أخنس بن كبر إل... وجذيمة الوضاح سُمّي بذلك لبياض لونه» [ص١٧٢].

وكان جذيمة الوضاح ملكاً قيلًا بمدينة وقصر غيمان ـ جنوب صنعاء ـ وتتبعه مناطق أذوائية غيمان مثل سنحان وبني بهلول وخولان وبني حشيش إلى

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٠ جـ٢.

مناطق همدان (حاشد وبكيل) التي كان يتزعمها ذو مرب من آل ذي غيمان. وكان جذيمة الوضاح وأخوه هاتك عرشه من كبار الأذواء ومشاهير الأقيال الذين تُضربُ بِمُلكهم الأمثال. قال قس بن ساعدة يذكر نوائب الدهر في شعر طويل:

أخنىٰ على صيفي بحادث صرفه ... مستأثراً بجذيمة الوضاح
وجذيمة الوضاح أخبرني أبي ... عنه فيالجذيمة الوضاح
لا تأمنن مكر الزمان فإنه ... أودى الزمان بشمَّر الصياح
بَرَكَ الزمان على ابن هاتك عرشه ... وعلى أُذينة سالب الأنواح
وعلى الذي كانت بموكل داره ... يَهَبُ القيان وكل أجرد شاحي
.. أفبعد أملاك مضوا من حِمْيَر ... أرجو الفلاح ولات حين فلاح

قال نشوان: «وقال النابغة الذّبياني:

بعد ابن جفنة وابن هاتك عرشه ... والحارثين يؤملنّ فلاحا

يريد الحارث بن عمرو الكندي والحارث بن جَبَلة الغساني:

ولقد أرى أن الذي هو غالهم ... قد بزّ حِمْيَر قَيْلها الصَباحا
والتُبَّعين وذا نواس عنوة ... وعلى أذينة سلّب الأنواحا»

[ص١٦٤]

وأذينة من أقيال حمير الأذواء وهو أذينة ذو الأنواح بن ذي الرمحين أخو ذي ترخم الحميري.

٥ ـ الديان بن قَطَن زعيم نجران وتميم ذو حذية:

وكان الديان بن قَطَن الحارثي رئيس قبيلة بني الحارث بن كعب المذحجية بنجران وكبير قبائل مذحج وزعيم نجران منذ عهد تُبّع حسان وعهد تُبّع أسعد بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وإلى عهد لحيعة يرخم وعهد شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم وسميفع أشوع (٤٨٠ ـ ٥١٤م). قال الهمداني: «وكان قَطَن (بن زياد) بن مالك بن ربيعة بن الحارث بن كعب يُسمَّى مُهَتّك عرشه. قال بشر الحارثي يذكر ذلك:

أبي عبد المدان ألا وجدّي ... مُهتّك عرشه قَطَن الشريف»

[ص١٤٠/ ٢]

وعبد المدان هو عبد المدان بن الديان بن قَطَن بن زياد الحارثي، ومما يدل على زمن الديان أنه خال ذي نواس، قال الهمداني: «وأُم ذي نواس سلمى بنت حزن [قَطَن] بن زياد الحارثي. وقال الأبرهي: إن أمَّهُ مسكينة بنت زياد بن

الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب» [ص٦٣/ ٢ ـ الإكليل].

وكان الديان وبنو الحارث بن كعب وبقية أهل نجران يدينون بالديانة المسيحية التي كانت ديانة رئيسية في الدولة الحميرية. وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في مواضع سابقة. وكان الديان زعيماً قيلًا ـ بمثابة ملك في نجران ومخاليفها، بينما كان (تميم ذو حذية) قائداً للحيعة يرخم ذي جدن ثم لأبناء لحيعة يرخم في نجران ومخاليفها وإلى مأسل الجمح ونواحيها بأرض الميامة ونجد، وقد ذكرنا نقوش تميم ذي حذية المعثور عليها في مأسل الجمح ونجران، ومنها النقش رقم (٥١٤ ركمانز) في وادي كوكب شمال نجران باسم «تميم ذي حذية مقتوى لحيعة يرخم ذي جدن» وقد جاءت فيه الجملة التي ترجمها بيوتروفسكي بأنها «ليرحم على أبناء ملك ذي جدن الرحمن آمين». والأصوب «ليرحمن العليّ ـ الرحمن ـ أبناء ملكنا ذي جدن. آمين». لا تعني كلمة (يرحم) أنهم ماتوا وإنما هي دعاء له كما نقول: (السلام عليكم ورحمة الله) وأبناء ذي جدن هم شرحبيل يكمل وأخوته. وقد استمر تميم ذو حذية قائداً لمحور نجران ـ مأسل الجمح في عهد شرحبيل يكمل وعهد أخيه سميفع أشوع إلى عهد يوسف أسار ذي نواس حيث جاء اسم (تميم ذي حذية) في نقش بموقع بئر الحمّة في نجران مؤرخ بعام ٦٣٣ حميري الموافق عام ٥١٨ ميلادي[١].

٦ ـ الحارث بن عمرو الكندي ملك الحيرة... وأبناء الحارث ملوك نجد والبحرين:

كان الحارث بن عمرو الكندي ملكاً نائباً على أرض البحرين ونجد واليمامة للملك أسعد تُبّع بن حسان. وقد أسلفنا ذكر قول ابن خلدون إنه لما «مَلَكَ تُبّع بن حسان على حمير وهابته حمير والعرب بعث ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في جيش عظيم إلى معد والحيرة وما والاها»[٢] وجاء في شرح الدامغة أنه «خرج تُبّع بن حسان في بعض غزواته فلما قَفَل رتب ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي بالمشقر ـ حصن البحرين ـ» [ص٢٦] وقال ابن الكلبي: «جاء الحارث بن عمرو الكندي إلى بلاد معد في جيش عظيم وقد ولاه تُبّع بن حسان» [٢] فكان الحارث بن عمرو الكندي ملكاً نائباً لتُبّع أسعد بن حسان على بلاد معد ـ وهي نجد وما يليها من عروض اليمامة إلى تخوم العراق، وكذلك أرض البحرين بمدلولها الواسع القديم. ثم تقدم الحارث بن عمرو

(١) النقش رقم ١٠٢٨ جام.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٥٨ جـ٢ وص٢٦٤ جـ٢.

الكندي إلى أرض إمارة الحيرة بالعراق وهي أرض دولة المناذرة المرتبطة بملوك فارس، فمال عرب الحيرة إلى الحارث بن عمرو الكندي فانسحب المنذر بن ماء السماء ـ وكان غلاماً شاباً ـ من الحيرة إلى قباذ ملك فارس، بينما مَلَك الحارث أرض إمارة الحيرة. قال أبو عبيدة: «وأبَى قُباذُ أن يُمِدَّ المنذر بجيش فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنِّي في غير قومي وأنتَ أحَقُّ مَنْ ضَمَّني واكتنفني وأنا متحوِّل إليك. فحَوَّله إليه وزوَّجه ابنته هنداً»[١]. فأصبح الحارث ملكاً لبلاد الحيرة واعترف قُباذ ملك فارس بملوكية الحارث لبلاد الحيرة، وامتد حكم الحارث إلى سواد العراق ـ شرق الفرات ـ وذلك في إطار الملوكية العليا لأسعد تبع بن حسان، في حوالي عام ٤٧٠م وكان قُباذ ملك فارس ضعيفاً بسبب الصراع على الحكم مع بعض أخوته، فاستتب للحارث بن عمرو الكندي حكم بلاد الحيرة بقية عهد أسعد تُبّع بن حسان ثم عهد لحيعة يرخم ذي جدن (٤٧٧ ـ ٤٧٩م) وعهد شرحبيل يكمل وأخيه سميفع أشوع (٤٨٠ ـ ٥١٤م) وعهد يوسف أسار ذي نواس (٥١٥ ـ ٥٢٥م) لأن الحارث بن عمرو الكندي مكث ملكاً للحيرة طيلة عهد قُباذ ملك فارس الذي استمر ملكاً إلى حوالي عام ٥٢٧م.

وبينما كان الحارث بن عمرو الكندي ملكاً لبلاد الحيرة بالعراق كان أولاده ملوكاً نواباً ببلاد نجد واليمامة والبحرين. قال أبو عبيدة: «فرّق الحارث بنيه ـ ملوكاً ـ في قبائل العرب (يعني في قبائل معدّ) فصار شُرحبيل بن الحارث في بَكْر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أُسَيِّد وطوائِفَ من بني عمرو بن تميم والرِّباب، وصار مَعْدِي كَرب في قيس، وصار سَلَمَةُ بن الحارث في بني تَغْلِب والنَّمِرِ بن قَاسِط وسعد بن زيد مناة»[١].

وقال ابن خلدون: «فَرّق الحارث ولده في معد، فَمَلَكَ حُجْراً على بني أسد، وشرحبيل على بني سعد والرباب، وسلمة على بكر وتغلب، ومعدي كرب على قيس وكنانة. ويُقال: بل كان سَلَمة على حنظلة وتغلب، وشرحبيل على سعد والرباب وبكر، وكان قيس بن الحارث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم» [ص١٧٩].

فكان أبناء الحارث بن عمرو الكندي أولئك ملوكاً على تلك القبائل ومناطقها في نجد واليمامة والبحرين إلى تخوم بلاد الحيرة بالعراق شرقاً وإلى

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص١٠٧٣.

أطراف الحجاز غرباً وتخوم فلاة اليمن (الرَبْع الخالي) ومخلاف نجران جنوباً منذ عهد أسعد تُبع بن حسان ـ عام ٤٧٠م ـ إلى عهد شرحبيل يكمل ملك حمير ثم أخيه سميفع أشوع (٤٨٠ ـ ٥١٤م) ثم يوسف أسار ذي نواس (٥١٥ ـ ٥٢٥م). وكان أشهر أبناء الحارث بن عمرو الكندي هو حُجر بن الحارث والد امرئ القيس بن حجر الكندي أمير الشعراء وأخبارهم مذكورة بالتفصيل في كتب التاريخ والأدب.

نبأ قتل مبشر مسيحي في نجران بأمر الملك شرحبيل يكمل:

لقد ذكرت المصادر الأكسومية «إن شرحبيل يكمل ملك حمير قام بقتل مبشر مسيحي في نجران» ومن المفيد والمهم هنا إعادة الإشارة إلى النقاط التالية.

ـ إن الديانة المسيحية الأولى كانت ديانة رئيسية في اليمن منذ اعتنقها عبد كلال الأول ملك حمير في أواسط القرن الرابع الميلادي على يد الراهب ثيوفيلوس الغساني مبعوث قسطنسيوس بن قسطنطين ملك الروم (٣٣٧ ـ ٣٧٠م) إلى ملك حمير. وقام ثيوفيلوس وملك حِمْير (عبد كلال) ببناء ثلاث كنائس إحداها في ظفار والثانية في عبدان والثالثة في صنعاء ـ غالباً ـ ثم امتدت المسيحية إلى نجران. وقد ذكر ابن خلدون والطبري إنه «كان الملك عبد كلال على دين النصرانية الأولى». وقال نشوان الحميري:

أم أين عبدَ كُلال الماضي على دين المسيح الظاهر المساح

ـ وقد جاء ذكر كنيسة ظفار (قليس ظفار) في النقش رقم (١٠٢٨ جام). وقال بيوتروفسكي: «إن من الدلائل النقوشية بصدد الديانة المسيحية في اليمن: خدوش منقورة ورسوم وصلبان ونقوش في ضواحي نجران وحضرموت وغيرها.. ومنها نقش باسم برق بن مالك بن عبد المسيح في القرن الخامس الميلادي» [ص٢٤٢/ ملحمة أسعد].

ـ وقد انقسمت المسيحية إلى مذهبين في أواسط القرن الخامس الميلادي هما المذهب النسطوري المسيحي التوحيدي ومذهب الطبيعة الواحدة للرب والمسيح. وقد ذكر ابن العميد أنه: «أخذ بمذهب نسطوريس نصارى الجزيرة والموصل إلى الفرات والعراق». وقد وجد المذهب النسطوري تشجيعاً وتبنياً من الملك أسعد بن حسان ملك حمير (٤٥٧ ـ ٤٧٧م). ويذكر بيوتروفسكي أنه «استوطن نجران بعض المسيحيين من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة،

والذين لعلهم زاحموا النسطوريين في نجران». ويقول: «إن المذهب الوحد يطبيعي كان يتميز بالميل إلى التيار اليولياني وقد نادى سيمون البيتار شامي إلى مكافحة تطرفه». وقال: «إن النسطوريين في نجران أيدوا إجراءات الملك أسعد الحميري» [ص٢٤٢/ ملحمة أسعد]. وقد أصبح المذهب المسيحي النسطوري الذي يتميز بعدم تأليه المسيح هو المذهب الرئيسي للديانة المسيحية في اليمن في عهد أسعد بن حسان، وبالتالي إلى عهد شرحبيل يكمل وعهد أخيه سميفع أشوع.

- وقد قام شرحبيل يكمل بالتصدي لمذهب الطبيعية الواحدة - وهو مذهب تأليه المسيح - وقد تمثل ذلك في قتل مبشر مسيحي في نجران واسم ذلك المبشر (أذكر عرفة) كما في الوثيقة الأكسومية التي اتهمت شرحبيل ملك حمير بقتل مبشر في نجران، وكذلك في «رسالة استشهاد أذكر عرفة». وكان أذكر عرفة من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (تأليه المسيح) وكانت دعوته إلى ذلك المذهب في نجران من جهة وارتباطه بكنائس خارجية مثل كنيسة أكسوم - غالباً - من جهة أخرى سبباً لقتله بأمر شرحبيل يكمل.
- وقد عاصر شرحبيل يكمل الملك الروماني زينون (٤٧٥ - ٤٩٢م) وفترة من عهد الملك الروماني نيستوس (٤٩٢ - ٥١٩م) الذي بعث وفداً إلى (سميفيوس ملك حمير) وهو (سميفع بن لحيعة يرخم) الذي أصبح رئيساً للدولة الحميرية بعد شرحبيل يكمل في بداية القرن السادس الميلادي.

المبحث الخامس

عهد سُمَيْفع الأول..

ملك حمير

(٦١٤-٦٢٩ حميري/ ٥٠٠-٥١٤م)

هو «سميفع أشوع بن لحيعة يرخم» المذكور في مصادر رومانية باسم (سميفيوس ملك حمير) وإن ملك الروم أرسل وفداً إليه. يقول د. عدنان ترسيسي: «وقد وصف (تيوفانس) البيزنطي كيفية استقبال ملك حمير لوفد قيصر في القسطنطينية برئاسة يوليانوس وذلك في بداية القرن السادس للميلاد، وقال إنه رأى ملك حمير واقفاً على مركبة تجرها أربعة أفيال وهو يلبس مئزراً محوّك بالذهب حول حقويه وأساور ثمينة في ذراعه ويحمل بيده ترساً ورمحين وحوله

رجال من حاشيته وعليهم الأسلحة يتغنون بإطرائه وتفخيمه»[١].

إن (سميفيوس ملك حمير) هو (سميفع..) وقد تولى رئاسة الدولة الحمرية بعد أخيه «شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم» فإذا كان د. عدنان ترسيسي دقيقاً في أن قدوم الوفد الروماني كان «في بداية القرن السادس الميلادي» فإن مؤدى ذلك:

أ ـ إن الملك الروماني الذي بعث الوفد هو الملك نيستوس الذي حكم في الفترة (٤٩٢ ـ ٥١٩م) وكان الوفد برئاسة يوليانوس، وقد كان يوليانوس هذا بمثابة نائب الملك القيصر الروماني جوستنيان الذي تولى الحكم عام ٥٢٧م ولكن ذلك لا يمنع من أن يوليانوس كان من كبار رجال الدولة الرومانية في عهد نيستوس ثم أصبح نائباً في عهد جوستنيان، ويمكن أن يكون قد وفد إلى اليمن في العهدين.

ب ـ إن سميفع كان رئيس الدولة الحميرية (ملك حمير) في بداية القرن السادس الميلادي ـ أي حوالي عام ٥٠١م ـ وقد تم العثور على نقش من عهده مؤرخ بعام ٦٢٥ للتقويم الحميري (= ٥١٠م) وسيأتي نص ذلك النقش. وقد حكم سميفع إلى أواخر عام ٥١٤م.

ومن وثائق ومعالم عهده:

أولًا

نقش سميفع أشوع في موقع شِعب ينبق

وهو النقش المسند (رقم ٤٧ ينبق) ويذكر النقش قيام (سميفع أشوع بن لحيعة يرخم) بزيارة تفقدية لمناطق ساحل حضرموت ومدينة الأسعى. حيث ـ كما يذكر د. محمد بافقيه ـ «إن سميفع أشوع قام بجولة في الساحل الحضرمي بلغ فيها مدينة الأسعى (الأسعاء = الشحر حالياً) وهي ميناء آخر له أهميته. وترك في طريق عودته عند توقفه بوادي عماقين نقشاً في شِعب صغير اسمه ينبق. وكان يرافق سميفع أشوع ـ كل من ـ معدي كرب يمجد، ولحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل، وشرحبيل يكمل (II)بن لحيعة يرخم (II) والكل ـ كما يقول النقش ـ بنو لحيعة يرخم (I).

(١) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٣٣.

ويحمل سميفع أشوع وإياهم في النقش لقب:

«ذوو يزن وجدن/ وبساين/ ويلغب/ وغيمان/ ويصبر/ وميفع/ وجردان/ ورخيه/

ـ كبار أقيال شعوب ضيفتن/ ورثحم/ وسأكلن/ وسكرد/ ومطلفتن/

ـ قبض (قباض) وكبور (كبار) شعبهم/ سيبان/ وحضرموت/ وقنا/ وأمر. . .»[١]

وينتهي النقش بتاريخ كتابته وهو عام ٦٢٥ للتقويم الحميري. ويوافق عام ٥١٠ ميلادي[١].

ويتبين من ذلك النقش ما يلي:

أ ـ إن سميفع أشوع هو رئيس الدولة الحمرية، لأن النقش يبدأ باسمه، ولأن نظام دولة تبابعة حمير لم يكن ملوكياً وإنما كان يرأس الدولة أحد الأذواء وهو «الأول بين متساويين» ولكنه بمثابة الملك بل هو الملك. وقد ذكرت المصادر الرومانية سميفع هذا بلفظ ولقب (سميفوس ملك حمير)، فالظن بأن النقش لم يذكر اسم الملك في ذلك العهد ظن خاطئ لأن سميفع نفسه هو الملك/ رئيس الدولة، وكان يساعده في الحكم أقاربه الثلاثة المذكورين في النقش.

ب ـ وقد ذكر النقش الأذوائيات التي يحكمها سميفع ـ مباشرة ـ وهي أذوائيات يزن وجدن وبساين ويلغب، وأذوائية غيمان (وتقع غيمان جنوب مدينة صنعاء وكانت أذوائية غيمان تشمل مناطق واسعة) وأذوائية يصبر (وليس هنالك ما يدل على منطقتها) وميفع (على مصب وادي حجر إلى الشرق من ميناء قنا ـ بئر علي حالياً ـ) وجردان (من أودية المشرق) ورخية (من الأودية الفرعية لوادي حضرموت).

جـ ـ وكان سميفع هو في ذات الوقت كبير أقيال وشعوب (قبائل) ضيفتن (بني ضيفي) ورثحم، وسأكلن: وهي كما ذكر بافقيه أيضاً «أرض سأكلن التي تعرف اليوم بظفار من سلطنة عُمان»[٢].

وسكرد: وهي كما ذكر بافقيه أيضاً «جزيرة سقطرى. وهو ما قرره العالم فالتر مولر وحبذهُ آخرون»[١] ومطلفتن: وهي غير معروفة، وقد تكون جزيرة أو منطقة ساحلية في أقصى عُمان.

---

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٠ ـ ١٦٢.

(٢) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٥٩.

د ـ ثم يذكر النقش أنهم «قبض وكبور شعبهم سيبان وحضرموت وقنا وأمر...» وقد تكون كلمة قُبض بمعنى حُماة وكلمة (كبور) بمعنى كبار كبراء، وكلمة (شعبهم سيبان... إلخ) أي شعب سيبان وحضرموت.. إلخ. فليست شعبهم بمعنى شعب سميفع والذين معه وإنما شعب المذكورين بعد كلمة (شعبهم) والشعب القبيلة الكبيرة. قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وشعبٌ عظيم من قُضَاعة فاضلُ على كل شعب من شعوب العمائر

وسيبان قبيلة من حمير، وهم سيبان بن أسلم بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زُرعة بن حمير الأصغر[١] وحضرموت قبائل كثيرة، قال الهمداني: قال أسعد تُبّع:

حِمْيَرُ قومي على علاتها حضرموت الصِيد منها والصدف

وأما (قنا) فهو ميناء اليمن الرئيسي في ساحل حضرموت. قال الأستاذ مطهر الأرياني: «قنأ مركز مهم تاريخياً في شاطئ حضرموت. ويرى فون فيسمان إنه كان الميناء الوحيد بحضرموت الصالح للاتجار مع الهند وأفريقية. وذكره مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) فقال) «قنا ميناء حضرموت وله تجارة واسعة مع الخليج ومع سواحل الهند ومع سواحل الصومال في أفريقية». وحصن ماوية (عرّن موية) هو حصن مدينة قنأ وفيه نقش (سميفع أشوع) الشهير»[٢]. وهو سميفع الثاني.

هـ ـ وتدل زيارة سميفع أشوع (الأول) لساحل حضرموت وميناء قنأ وميناء الأسعى، وقيامه بتدوين نقش عنها، تدل على أهمية تلك الزيارة. خاصة وإن نقش عهد شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم في موقع منهتم بالجوف جاء فيه ذكر منطقة الركب/ تهامة. بينما في نقش سميفع أشوع هذا لم يأت ذكر منطقة الركب بين المناطق المذكورة في اللقب. ويقول د. بافقيه: «إن اختفاء اسم الركب في هذا النقش مسألة مثيرة للتساؤل إذ نراه من المستبعد أن يكون ناتجاً عن سهو أو رغبة في اختصار، فهل خرجت الركب عن دائرة نفوذ الأسرة؟»[٣] ـ أي الأسرة اليزنية الجدنية الحاكمة ـ وسوف يأتي نبأ ذلك.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٧٥ جـ٢.

(٢) نقوش مسندية وتعليقات ـ مطهر الأرياني ـ ص١٢٢.

(٣) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٦٣.

ثانياً

تغلغل مذهب الطبيعة الواحدة المسيحي في عهد سميفع

لقد كان المذهب المسيحي النسطوري الذي يمثل الديانة النصرانية الأولى هو مذهب الديانة المسيحية التي كانت ديانة رئيسية ـ وليست الديانة الوحيدة ـ باليمن في عصر تبابعة الدولة الحميرية، ويتميز المذهب النسطوري بعدم تأليه المسيح وإن الإله هو اللّه الرحمن العليّ. بينما كان المذهب المسيحي الرئيسي الآخر في ذلك الزمن هو الذي يذكره الدارسون باسم مذهب الطبيعة الواحدة الذي يبدو أنه يتلخص في القول بواحدية اللّه والمسيح وإن المسيح ابن اللّه. وقد وجد المذهب المسيحي النسطوري القائل بعدم تأليه المسيح تبنياً وتشجيعاً من الملك تُبّع أسعد بن حسان ملك حمير (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) ويذكر د. بيوتروفسكي: «إن المذهب الوحد يطبيعي كان يتميز بالميل إلى التيار اليولياني وقد نادى سيمون البيتار شامي إلى مكافحة تطرفه» وإنه «استوطن نجران بعض المسيحيين من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والذين لعلهم زاحموا النسطوريين في نجران» وقال: «إن النسطوريين في نجران أيدوا إجراءات الملك أسعد الحميري»[١] ولم يذكر تلك الإجراءات وهي غالباً تبني المذهب المسيحي النسطوري ومنع مذهب الطبيعة الواحدة ولم يكن ذلك في نجران فقط، وإنما في كنائس المدن العواصم الرئيسية الأربع في اليمن آنذاك وهي قليس ظفار وقليس صنعاء وقليس عبدان ودير نجران. وقد ذكر ابن العميد أنه «أخذ بالمذهب النسطوري نصارى الجزيرة والموصل إلى الفرات والعراق» ـ بينما كان مذهب الطبيعة الواحدة هو المذهب الرسمي في الدولة الرومانية وكنائس الشام والاسكندرية وأكسوم.

وقد تصدى شرحبيل يكمل ملك حمير (٤٨٠ ـ ٥٠٠م) لمذهب الطبيعة الواحدة حيث «ذكرت وثيقة مسيحية حبشية (أكسومية) إن شرحبيل ملك حمير قام بقتل مبشر مسيحي في نجران»[٢] وكان ذلك الراهب من دعاة مذهب الطبيعة الواحدة واسمه (أذكر عرفة) وكانت دعوته إلى ذلك المذهب (تأليه المسيح) في نجران وارتباطه بكنائس خارجية مثل كنيسة أكسوم ـ غالباً ـ سبباً لقتله بأمر شرحبيل يكمل وليس لأنه مبشر مسيحي فقد كان شرحبيل يكمل أيضاً مسيحياً.

---

(١) ملحمة أسعد ـ د. ميخائيل بيوتروفسكي ـ ص٢٤٢.

(٢) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٥٩ و١٦٤ عن كتاب بيستون ص٢٧٢ و١٧٤.

وقد ذكر د. محمد بافقيه في هامش صغير أنه: «قد توصل بيستون إلى احتمال تولي ملك حميري مسيحي قد يكون أسبق من سميفع أشوع»[١] وهذا يعزز ما ذكرناه من أن شرحبيل يكمل كان مسيحياً ولكنه تصدى لمذهب الطبيعة الواحدة.

ثم في عهد سميفع أشوع (٥٠٠ ـ ٥١٤م) أخذ مذهب الطبيعة الواحدة في الانتشار، وقد يكون الوفد الذي بعثه ملك الروم برئاسة يوليانوس إلى سميفوس ملك حمير قد هيأ المجال لذلك، وخاصة إذا كان ما ذكره د. عدنان ترسيسي دقيقاً في أن ذلك الوفد كان «في بداية القرن السادس الميلادي» ـ أي حوالي عام ٥٠١م ـ وقد ذكر تيوفانس البيزنطي كيفية استقبال سميفع ملك حمير للوفد ولم يذكر مهمة الوفد ـ فيما نعلم ـ. وأياً كانت مهمة ذلك الوفد الروماني، فقد ذكرت دراسة الدكتور بيوتروفسكي إنه «منذ أوائل القرن السادس الميلادي استوطن نجران بعض أتباع مذهب الطبيعة الواحدة والذين زاحموا النسطوريين فيها، وقد ورد في رسائل (سيمون البيتار شامي) إن ملك حمير أصبح في حالة تبعية سياسية واقتصادية كبيرة للمسيحيين أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، وقد اقترض مبلغاً كبيراً من المال من أحد أثرياء نجران المسيحيين»[٢].

وقد أورد بيوتروفسكي في النص السالف «... إن معدي كرب ملك حمير أصبح في حالة تبعية... الخ». فإذا كان اسم معدي كرب قد جاء فعلًا في رسائل سيمون البيتار شامي فإن المقصود (معدي كرب يمجد) وهو أخو (سميفع ملك حمير) وقد أسلفنا ذكر نقش سميفع (النقش رقم ٤٧ ينبق) بأنه باسم:

«سميفع أشوع/ ومعدي كرب يمجد/ ولحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل/ وشرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل/ بنو لحيعة يرخم/ ذوو يزن وجدن وبساين ويلغب وغيمان.. الخ».

فكان سميفع هو رئيس الدولة (ملك حمير) وكان معدي كرب يمجد هو الشخصية الثانية وكان يحكم عدة مناطق وأذوائيات وهو بمثابة الملك فيها، ويوجد نقش في متحف المكلا باسم «معدي كرب يمجد» وهو ناقش ناقص جاء فيه ذكر «ذي منكرم... وبساين... أقوال ومـ....» بين عناصر لقب معدي كرب يمجد[٣]. فكان معدي كرب قَيْلًا بمثابة ملك على تلك المناطق التي تشمل بعض مناطق شرق اليمن ما بين حضرموت وشبوة إلى الجوف وربما إلى نجران.

---

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٥٩ و١٦٤ عن كتاب بيستون ص٢٧٢ و١٧٤.

(٢) ملحمة أسعد ـ بيوترفسكي ـ ص٢٤٠.

(٣) في العربية السعيدة ـ ص١٦١ ـ نقش متحف المكلا رقم ١٥٧.

وذلك في إطار رئاسة سميفع للدولة الحميرية وقد أشار د. بافقيه إلى «أننا نعلم من مصادر أخرى أن معدي كرب ربما كان يعاني من ضائقة مالية وإنه ربما كان واقعاً تحت تأثير المسيحيين في نجران» [ص١٦٤] ـ والمهم هنا إن لا يجمح خيال بعض الدارسين بأن معدي كرب هو من ملوك سبأ التبابعة القدماء فمملكة سبأ انتهت قبل مئات السنين، بينما معدي كرب هذا في أوائل القرن السادس بعد الميلاد في نفس عهد سميفع (سميفيوس ملك حمير) فهو «معدي كرب يمجد بن لحيعة يرخم» المذكور في نقش سميفع المؤرخ بعام ٦٢٥ حميري (٥١٠ ميلادي).

ويذكر د. بيوتروفسكي إنه «في القرن السادس الميلادي ترسخت في اليمن أسس مذهب الطبيعة الواحدة»[1] . . ولكن ذلك سبقته أحداث كبرى.

ثالثاً

اعتناق الحارث بن عبد كلال
ملك أذوائيات ظفار وكنيسة ظفار مذهب الطبيعة الواحدة

كان آل عبد كلال بن ذي رُعَيْن يحكمون مدينة ظفار ومناطق حمير التابعة لها إلى المعافر وتهامة وساحل وجزر البحر الأحمر في إطار الدولة الحميرية، ففي عهد شرحبيل يكمل كان يحكم ظفار ومناطق حمير التابعة لها والممتدة إلى تهامة والبحر الأحمر فهد بن عبد كلال الأوسط (الثاني) الذي ذكره النعمان بن بشير الأنصاري حيث قال:

ومنّا ملوكُ الناسِ فهدُ وتُبّعُ وعبدُ كُلال والقرومُ القماقمُ

وقال نشوان الحميري: «هذا فهد الملك ابن عبد كلال بن عريب بن فهد بن زيد بن مثوّب بن ذي رُعَين، وكان ملكاً عظيماً يُجبى إليه من بلاد الحبش جزيرة زيلع وجزيرة بربرة».

ثم تولى الزعامة في ظفار ومناطق حمير التابعة لها إلى تهامة الحارث بن عبد كلال (الثاني) وكان بمثابة ملك تلك المناطق، وكان هو الأقرب إلى أكسوم (الحبشة) في الساحل الآخر للبحر الأحمر، ويبدو أنه في أوائل عهد سميفع أشوع (ملك حمير) اعتنق الحارث بن عبد كلال مذهب الطبيعة الواحدة المسيحي

(١) ملحمة أسعد ـ بيوترفسكي ـ ص٢٤٠.

وأصبح هو مذهب وديانة كنيسة ظفار (قليس ظفار) مما يعني علاقة وثيقة بكنيسة أكسوم وكنائس الاسكندرية والشام والدولة الرومانية، وبعثت تلك الدول والكنائس ممثلين لها إلى ظفار.

ويبدو أنه في خطوة تالية انفصل الحارث بن عبد كلال عن الارتباط بالدولة وبرئاسة سميفع، ولذلك لم يأت ذكر منطقة الركب ـ تهامة ـ في نقش سميفع المؤرخ بعام ٦٢٥ حميري (٥١٠ ميلادي).

ويبدو أيضاً أنه في خطوة ثالثة استقدم الحارث بن عبد كلال قوة أكسومية تمركزت في منطقة الركب (تهامة) وتمركز ثلاثمائة من أفراد القوة الأكسومية الحبشية في معسكر بالقرب من ظفار ـ أو في إحدى المدن ـ ومجموعة أخرى في مدينة ظفار، وذلك لإظهار التأييد للملك الحارث بن عبد كلال، ولا بد أن ذلك كله اقترن بمذهب الطبيعة الواحدة (تألية المسيح) الذي وجد موطأ قدم في نجران ولكنه شمل ظفار ومناطقها الحميرية الشاسعة وأدى إلى ما يشبه الانفصال والانقسام للدولة والبلاد وقدوم تلك القوة الأكسومية الحبشية، ربما عام ٥١٤ ميلادية.

وقد أدى ذلك التطور إلى انتهاء عهد سميفع أشوع بن لحيعة يرخم (ملك حمير) بتنازله عن الحكم وتمليك يوسف أسار ذي نواس الذي اجتاح ظفار وقضى على الحارث بن عبد كلال وأتباع مذهب تأليه المسيح وأولئك الأحباش وحمل لقب ملك كل الشعوب.

المبحث السادس

عهد يوسف أسأر ذي نُوَاس..

ملك كل الشعوب ـ الملك الحميري المسيحي المتهم باليهودية ـ

(٦٣٠ ـ ٦٤٠ حميري/ ٥١٥ ـ ٥٢٥م)

من أشهر ملوك الدولة الحميرية هو (يوسف أسأر يثأر) المشهور بلقب (ذي نواس) والذي فيه قال علقمة بن ذي جدن:

أوَ ما سمعتَ بقَيْلِ حِمْيَر يُوسفِ ... أكلَ الثعالفُ لحَمَه لَمْ يُقْبَرِ[1]

ورأىٰ بأن الموتَ خيرُ عنده ... من أن يَدِينَ لأسودٍ ولأحمرِ

(١) قال الهمداني: «الثعالف: الحيتان واحدها ثعلوف» ص٦٣/ ٢ ـ الإكليل.

وقد حكم يوسف أسار ذو نواس من عام ٦٣٠ ـ ٦٤٠ للتقويم الحميري الموافق ٥١٥ ـ ٥٢٥ ميلادية، وحمل لقباً فريداً هو «ملك كل الشعوب» كما في نقش شراحيل ذي يزن المؤرخ بعام ٦٣٣ حميري (٥١٨م) حيث يبدأ النقش بالنص التالي:

«ليباركن إلّهنا ذي له السماء والأرض يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب»[١].

أولًا

تبيين أن يوسف أسأر (ذو نواس) نجل تُبّع أسعد بن حسان

لقد ذهب بعض النسابين إلى نسبة ذي نواس إلى أبي كرب أسعد الأول بن ملكيكرب ملك سبأ، فجاء في الإكليل أنه «زُرعة ذو نواس بن حسان بن أسعد تُبع بن ملكيكرب» ثم قال الهمداني: «زُرعة ذو نواس بن عمرو بن زُرعة بن حسان الأصغر بن زُرعة بن عمرو بن حسان بن تُبّع أسعد بن ملكيكرب. وإن زُرعة ذا نواس تَسمَّى يوسف..» ثم قال: «سألتُ أبا الهيذام عن ذي نواس فقال: هو يوسف بن زُرعة بن حسان، ولم يذكر عَمْراً، واللّه أعلم بأصح القولين»[٢] ومن المفيد بصدد ذلك تبيين ما يلي:

أ ـ إن أبا كرب أسعد بن ملكيكرب كان من ملوك سبأ التبابعة الأوائل، وكان عهده في القرن السابع قبل الميلاد وكذلك ابنه الملك حسان يهامن بن أبي كرب أسعد. وقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه: «كان بُخت نصّر ـ ملك بابل ـ في عهد أسعد تُبّع وفي أيام حسان بن أسعد»[٣] وبُخت نصّر هو «نبوخذ نصر» وقد تولى حكم بابل عام ٦٠٤ق.م. ـ أي في القرن السابع قبل الميلاد ـ فذلك هو زمن أسعد ملك سبأ بن ملكيكرب. وقد سلف تبيين زمنه بالنقوش والآثار بأنه حكم في النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد ثم حكم بعده ابناه حسان وشرحبيل ثم ذرا أمر (عمرو) بن حسان بن أسعد معاصر نبوخذ نصر، ويتفق ذلك ويؤكد ما ذكره الهمداني في الإكليل عن زمن حسان بن أسعد وكذلك عمرو بن حسان أيام بخت نصر.

---

(١) النقش رقم ١٠٢٨ جام.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦١ ـ ٦٣ جـ٢.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.

ب ـ إن عمرو بن حسان هو نفسه زُرعة بن حسان، ولذلك قال أبو الهيذام «يوسف بن زرعة بن حسان. ولم يذكر عَمْراً». بمعنى أن (زُرعة هو عمرو). واسمه الصحيح كما في النقوش هو «ذُرأ أمر.. ملك سبأ». فأصل (زُرعة) هو (ذرأ) وأصل عمرو هو (أمر) فقيل (زُرعة بن عمرو) أو «زُرعة عمرو بن حسان» وهو «ذُرا ـ أمر/ بن حسان/ بن أبي كرب أسعد/ بن ملكيكرب». قد حكم في الفترة من ٦٠٤ ـ ٥٨٩ ق.م. وعاصر نبوخذ نصر ملك بابل (٦٠٤ ـ ٥٦٢ق.م). وفي عهده نزحت فرقة من اليهود من كيان دولة يهودا بفلسطين إلى نواحي يثرب بأعالي الحجاز واستولوا عليها فسار الملك ذرا ـ أمر (زرعة عمرو بن حسان) من اليمن وحاربهم بيثرب وحاصرهم في حصن يثرب، فأصابه مرض أثناء الحصار فخرج إليه حبران يهوديان وقاما بمعالجته وتمكنا من التأثير عليه باعتناق اليهودية، بحيث كما ذكر الهمداني في شرح الدامغة «أعجب تُبّع عمرو بن حسان هذا دين اليهودية فدخل مع الحبرين في دينهما وخالف دين أهل اليمن». فذلك هو «زرعة عمرو بن حسان» الذي اعتنق اليهودية وحاول فرضها بالقوة وبإرهاب الناس بالنيران في حادثة (نار ضروان) بمنطقة همدان في اليمن مما يدل على أنه هو أيضاً صاحب أخدود نجران، وقد انتهى عهده بمقتله على يد أخيه معدي كرب والأقيال عام ٦٣١ للتقويم السبئي الموافق عام ٥٨٩ق.م. وذلك في القرن السادس قبل الميلاد.

جـ ـ إن يوسف أسار ذا نواس لا يمكن أن يكون ابن «زرعة عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد» لأن بينهما أكثر من ألف سنة، ويكفي لإدراك ذلك ما ذكره الهمداني نفسه بأن حسان بن أسعد كان في أيام بُخت نصر ملك بابل[1] بينما يوسف أسار (ذو نواس) من تبابعة الدولة الحميرية الذين كان منهم الملك (حسان بن عمرو ذي غيمان بن أخنس بن كَبْر إل) وقد حكم في الفترة (٤٤٥ ـ ٤٥٦م) ثم حكم بعده تُبّع أسعد بن حسان وهو (تُبان أسعد) معاصر الحارث بن عمرو الكندي ملك نجد والحيرة ومعاصر قُباذ ملك فارس، وكان عهده من ٤٥٧ ـ ٤٧٧م ـ في القرن الخامس الميلادي ـ وهو والد يوسف أسار ذي نواس.

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٠١ جـ٨.

القول الصحيح في نسب ذي نواس:

قال ابن هشام في السيرة: هو «زُرْعَةَ ذو نُوَاس بن تُبَان أَسْعَد أخي حَسَّان.. وتَسمَّى يوسف»[١].

وكذلك قال ابن كثير إنه «زرعة ذو نواس بن تُبان أسعد أخي حسان، ولما مَلّكوه تَسمَّى يوسف»[٢].

وقال ابن خلدون هو «زُرعة ذو نواس بن تُبّع تبان أسعد وهو ابن حسان بن ذي معاهر فيما قال ابن إسحاق»[٣] ثم قال ابن خلدون: «أما الخبر عن ذي نواس، فاتفق أهل الأخبار كلهم أن ذا نواس هو ابن تُبان أسعد واسمه زرعة وأنه لما تغلب على مُلك آبائه التبابعة تَسمَّى يوسف»[٣].

ويتبين من ذلك ومما أسلفنا ذكره عن نسب تُبّع أسعد الثاني ابن حسان ما يلي:

أ ـ إن يوسف أسار ذا نواس هو ابن الملك تُبّع أسعد الثاني (تُبان أسعد) ابن الملك حسان بن ذي غيمان بن أخنس (أخسين) بن كَبْرَ إل... وقد حكم جده حسان في الفترة (٤٤٥ ـ ٤٥٦ ميلادية) ثم حكم أبوه الملك تُبّع أسعد بن حسان ـ وهو تُبّان أسعد ـ في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وفيه قال حذيفة بن غانم:

وأسعدُ قادَ الناس عشرين حِجةً يُؤيدُ في تلك المواطنَ بالنصر

ب ـ إن خال ذي نواس هو الديان بن قَطَن الحارثي زعيم نجران وقبيلة بني الحارث بن كعب المذحجية وكبير قبائل نجران في الجوف وما جاورها ومخلاف نجران، وهو الذي فيه قال الشاعر:

يقود بها ديّانُها غير عاجز ثمانين ألفاً قادها من براقشِ

قال الهمداني في الإكليل: «وأُم ذي نواس: سلمى بنت حزن (قَطَن) بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب، وقال الأبرهي: قال بعض السُّخطيين: إن أمَّهُ مسكينة بنت زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب، قال: وسألتُ أبا الهيذام السُّخطي فقال لي: خال ذي نواس: عبد المدان

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٨ جـ٢.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٧ جـ٢.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٣ و٨٤.

ابن الديان بن قَطَن، ولم يذكر اسم أم ذي نواس»[1]. والصواب أن عبد المدان ابن الديان هو ابن خال ذي نواس، أما خاله فهو الديان بن قطن الحارثي لأن عبد المدان كان في عهد سيف بن ذي يزن، أما الديان فكان زعيم نجران في عهد أسعد بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وعهود لحيعة يرخم (٤٧٧ ـ ٤٧٩م) وشرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم (٤٨٠ ـ ٥٠٠م) وسميفع بن لحيعة يرخم (٥٠٠ ـ ٥١٤م) إلى عهد ذي نواس. فالديان هو خال ذي نواس، وكان بيت الديان ثالث ثلاثة أكبر بيوت أذواء اليمن وهم آل ذي رُعَيْن ـ زعماء ظفار ومناطق حمير ـ، وآل ذي يزن ـ زعماء أذوائيات يزن والنصف الشرقي من اليمن، وآل الديان زعماء نجران ومذحج. قال الشاعر:

والبيتُ بيت بني الديان نعرفه ... في آل مَذْحَج مثل الجوهر الغالي

وقال يزيد بن عبد المدان ابن الديان:

إن تلق حيّ بني الديان تَلْقَهُمُ ... شُمّ الأنوف إليهم غُرّة اليمنِ

ما كان في الناس للديان من شبه ... إلا رُعَيْنُ وإلّا آل ذي يزنِ

جـ ـ إن اسم ذي نواس الذي تؤكده النقوش هو يوسف. أما القول بأن اسمه كان (زُرعه) وإنه (زُرعه بن عمرو) ثم تَسمَّى يوسف، فإن ذلك محاولة للدمج بين (زرعه عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد) الذي هو (ذرأ ـ أمر) الذي اعتنق اليهودية في زمن ملوك سبأ التبابعة القدماء وبين (يوسف ذي نواس)، وبما أن هذا غير ذاك فإن ذا نواس لم يكن اسمه زُرعة (ذرا ـ أمر) وإنما كان اسمه يوسف.

وقد ذكر الهمداني في الإكليل: «ذا نواس الأكبر الذي ذكره امرؤ القيس في شعره حيث قال:

أزال من المصانع ذا نواس ... وقد مَلَكَ الحَزُونة والرمالا

... وإن ذا نواس (يوسف) لم يكن مَلَكَ مثل ما مَلَك ذو نواس الأول، وإنما مَلَكَ اليمن وأطراف الحجاز» [ص٦٣/ ٢].

وعلى ذلك فيمكن أن يكون ذو نواس الأول هو (زُرعة عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد بن ملكيكرب) وهو (ذرا ـ أمر) الذي اعتنق اليهودية وحاول فرضها بالقوة والنيران في أيام نبوخذ نصر ملك بابل، وإن (يوسف أسار بن تُبّع

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦٣ جـ٢.

أسعد بن حسان بن ذي غيمان) هو ذو نواس الثاني. والمهم أن اسمه لم يكن زُرعه وإنما كان اسمه يوسف، ولا بد أن اسمه منذ مولده كان يوسف أسار.

ثانياً

أنباء يوسف أسار ذي نواس قبل تمليكه

كان يوسف أسار ابن نحو ثلاث سنين حين مات والده الملك تُبّع أسعد بن حسان (عام ٤٧٧م)، وتقول بعض الروايات: إنه تولى الحكم بعد أسعد أحد أبنائه واسمه (حسان بن أسعد) فقتله أخوه (عمرو) وعندئذٍ «وثب على مُلْك آل حسان لحيعة ذو شناتر، ولم يكن من أهل المملكة. فمكث لحيعة ملكاً سبعاً وعشرين سنة ـ أو ٣٧ سنة ـ ثم وثب عليه ذو نواس بن تُبان أسعد بن حسان، وكان ذو نواس صبياً حين قُتِل أخاه حسان ـ (أي حين تولى الحكم لحيعة) ـ ثم شبّ غلاماً جميلًا ذا هيئة وفضل ووضاءة، ففتك بلحيعة في خلوة أراده فيها على مثل فعلاته القبيحة، لأن لحيعة ـ فيما تزعم تلك الرواية ـ كان ينكح ولدان حمير ـ أي أبناء الأذواء ـ يريد بذلك أن لا يُملكوا عليهم، وكانوا لا يُملكون عليهم من نكح. فلما أراد لحيعة أن يفعل ذلك بذي نواس قتله ذو نواس. وعلمت بذلك حمير وقبائل اليمن فملّكوه وأجمعوا عليه، وجدّد ملك التبابعة وتَسمَّى يوسف»[1].

وأغلب تلك الرواية يفتقر إلى الصحة، ويتمثل النبأ الصحيح عن يوسف ذي نواس قبل تمليكه في المعالم الرئيسية التالية:

كان يوسف أسار بن تُبّع أسعد ابن نحو ثلاث سنين حين مات أبوه الملك أسعد بن حسان (عام ٤٧٧م) ولم يحكم بعد أسعد أحد أبنائه وإنما حسان الذي حكم بعد أسعد وقتله أخوه هو «حسان الأول بن أبي كرب أسعد ملك سبأ» أما الملك الحميري أسعد الثاني ابن حسان بن ذي غيمان فقد مات وأولاده صغاراً، وعندئذٍ تم تمليك لحيعة ذي شناتر وهو «لحيعة يرخم ذو جدن» وقد حكم لحيعة ثلاث سنين فقط (٤٧٨ ـ ٤٧٩م) وكان تمليكه وقد بلغ من الكبر عتيًا. فليس صحيحاً ما نسبته إليه رواية ابن إسحاق بأنه كان ينكح الولدان وقتله ذو نواس، لأن لحيعة مات قبل تمليك ذي نواس بأكثر من ثلاثين سنة، فالمدة التي نسبتها الرواية إلى لحيعة هي مدة حكمه (٣ سنوات) ثم مدة حكم ابنه شرحبيل

(١) أوجز ابن خلدون تلك الرواية عن ابن إسحاق، وذكرها ابن هشام وابن كثير بتوسع عن رواية ابن إسحاق أيضاً.

يكمل بن لحيعة (٢٠ سنة) ثم مدة حكم أخيه سميفع أشوع بن لحيعة (١٤ سنة) فتكون مدة حكم آل لحيعة ٣٧ سنة بعد موت أسعد تُبّع بن حسان، فتلك هي مدة حكم لحيعة يرخم وأولاده من بعده وليست مدة حكم لحيعة فقط.

لقد كان يوسف أسار ذو نواس صبياً بالفعل حين مات أسعد وتم تمليك لحيعة يرخم. وقد ذكر ابن هشام وابن كثير إنه «شَبَّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعَقْلٍ»[١] وذكر ابن خلدون أنه «شبَّ غلاماً جميلاً ذا هيئة وفضل ووضاءة»[٢] ولا غرو فقد اشتهر بنو الديان وبنو عبد المدان ابن الديان ـ أخوال ذي نواس ـ بالوسامة والهيئة الجسمانية والبيان. قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وقد كنّا نقولُ إذا رأينا ... لذي جسمٍ يُعدُّ وذي بيانِ
كأنك أيها المُعْطَىٰ بياناً ... وجسماً مِنْ بني عَبْد المدان

ثم أصبح يوسف أسار من الأقيال الأذواء وسُمِّي «ذو نُواس». قال الهمداني: «وذو نُوَاس نبزٌ ـ أي لقب ـ» وجاء في هامش الإكليل ما يلي: «ويُقال إنه سُمّي ذو نواس لأنه كان جميل الطلعة وسيم الخلقة، له ذؤابتان تنوسان على رأسه» [ص٦٢/ ٢] وقال نشوان الحميري: «قِيل سُمّي ذو نواس. لذؤابتين كانتا له تنوسان على رأسه»[٣].

ونرى أن الأصوب أن (نواس) اسم قصر أو محفد أو منطقة من الأذوائيات التي كان أقيالها من بني ذي غيمان. إذْ أنه تم العثور على نقش مسند باسم «دومان يأزم/ بني/ ذي غيمان/ . . أقيال/ شعب/ غيمان/ وارباعهمو/ ذي يكن/ ومورتم/ ونأسم» ـ أي كما ذكر مطهر الأرياني ـ «دومان يأزم من بني ذي غيمان. . حكام قبائل غيمان وحلفائه وأتباعه من قبائل ذي يكن وماوره ونؤاس». ثم قال مطهر الأرياني: «. . . أما غيمان كقصر أو مركز (بيتن غيمان = قصر غيمان) وكأسرة أو عائلة من الأقيال (بنو ذي غيمان) وكقبيلة (شعبن غيمان = قبيلة غيمان) فإنها مذكورة في عدد من النقوش. . . ولا أعرف عن مكان (يحضر) شيئاً ومثيله (ذويكن) و(ماورة)، أما (نوأس) فهو مذكور ـ أيضاً ـ في النقش ـ (جام ٦٢٦) وفي المراجع العربية إذ أن الملك ذا نواس وهو (يوسف اسأر يثأر) هو أولاً قَيْل (نوأس

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٨ جـ١ ـ والبداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٦٧ جـ٢.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٨٤.
(٣) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٨.

= ذي نواس) ثم الملك (يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب»[١].

ويتبين من ذلك أن (نُوّاس) كان اسم منطقة تسكنها إحدى القبائل الأربعة التابعة لذي غيمان وهي (غيمان/ وذويكن/ وماورة/ ونُوّاس) وبما أن (غيمان) هو في الأصل اسم (قصر غيمان) فكذلك هو غالباً (نُوَاس) وكان في إحدى المناطق التابعة لأذوائية غيمان التي كان مركزها غيمان ـ في جنوب صنعاء ـ وربما كانت تمتد إلى (ماور) في منطقة رداع وإنها (ماوره). وقد تجددت أسرة ذي غيمان في العصر الحميري. قال نشوان الحميري:

«أمْ أينَ ذو غَيْمان أو ذو شَوْذبِ اللاهي ببيض في النساء مِلاح».

ثم قال: «ذو غيمان ـ الذي يُنسب إليه غيمان ـ ابن أخنس بن كِبرَ إل بن هامن بن أصبح بن زيد بن قيس بن صيفي»[٢] وكذلك هو في الإكليل، ومن ولده كان الملك حسان بن ذي غيمان ثم الملك تُبّع أسعد بن حسان، وبما أن يوسف أسار ذا نواس هو ـ كما سلف التبيين ـ ابن أسعد بن حسان، فهو يوسف أسار ذو نواس بن تُبّع أسعد بن حسان بن ذي غيمان. وبما أن (نواس) هي من محافد ومناطق أذوائية غيمان فقد اتخذ يوسف أسار من (نواس) مركزاً لقيالته ولذلك سُمِّي ذو نواس، إذ أنه كان قَيْل (نُواس = ذي نواس) قبل أن يصبح ملكاً زهاء عشرين سنة.

وفي الفترة التي كان فيها يوسف أسأر من الأقيال الأذواء وكان مقر قيالته قصر أو محفد «نواس» أنجب ابناً يُقال له (الحارث) ومن ولده سُخط بن عمرو بن الحارث بن ذي نواس. قال الهمداني: «قال أبو نصر اليهري: هو سُخط بن عمرو بن الحارث بن ذي نواس. وولده السُّخطيون بِمَنْكث: بطن مخصوص بالشرف والسؤدد» [ص٦٠/ ٢] وقال نشوان الحميري في المنتخب «سُخط بن زُرعة بن الحارث بن ذي نواس» وقال: «وولده السُّخطيون أشرف بيت في العرب» [ص١٨٢] ـ ويهمنا من ذلك هنا أن مقر القيل (سخط بن عمرو بن الحارث بن ذي نواس) كان مدينة مَنْكث. حيث قال الهمداني: «وولده السُّخطيون بمنكث...» وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «مَنْكث: كانت إحدى مدن اليمن الجبلية الواقعة في أعلى حقل قتاب ـ قاع الحقل حالياً ـ وتقع بين ربوات كأنّها السور ولها باب واحد وفيها نبع ماء

(١) نقوش مسندية وتعليقات ـ مطهر الأرياني ـ ص١٦١ و١٦٣.
(٢) قصيدة نشوان الحميري ـ ١٨٢.

عذب جار.. وكان ينزلها الأمراء والقواد ورجال الدولة. وهي اليوم قرية آهلة بالسكان في الجنوب الغربي من مدينة يريم»[١]. قال الهمداني: «والسُّخطيون اليوم على قلتهم بقية بيت المملكة، ولا يقدر أحد من حِميَر يقول: إنه أشرف منهم، وهم من أكرم حمير رجالهم ونسائهم»[١] ونرى أن كون مدينة منكث ـ الواقعة جنوب مدينة يريم ـ هي مقر سُخط حفيد ذي نواس وسلالته قد يشير إلى أن قيالة يوسف أسار كانت تمتد من (نواس) التابعة لأذوائية غيمان ـ جنوب صنعاء ـ إلى مَنْكث في حقل قتاب المعروف اليوم باسم قاع الحقل في يريم بمحافظة إب. وإن بين (غيمان) و(نواس) و(منكث) ارتباط أكيد في ذلك الزمن.

وقد كان يوسف أسار ذو نواس على علاقة خلال تلك الفترة بأخواله في نجران حيث كان خاله الديان بن قَطَن الحارثي زعيم نجران ورئيس قبيلة بني الحارث بن كعب المذحجية التي كانت أهم وأكبر القبائل في نجران ـ وهم أخوال ذي نواس ـ وكان آل الديان وبنو الحارث بن كعب يؤمنون بالديانة المسيحية، وكان الدير المسيحي في نجران يُسمّى (كعبة نجران) وهو المذكور في قول أعشى قيس الجاهلي حين وفد إلى يزيد بن عبد المدان بن الديان:

وكعبة نجران حتم عليك ... حتى تنيخ بأبوابها
تزور يزيداً وعبد المسيح ... وقيساً، هُمُ خير أربابها
إذا الحبراتُ تلوت بهم ... وجروا أسافل هدّابها[٢]

والحبرات نوع من البرود (الأثواب) اليمنية كان يلبسها الأقيال وكبار القوم.

ثالثاً

الديانة المسيحية في نجران والانقسام المسيحي حتى تمليك ذي نواس

وقد دخلت الديانة المسيحية نجران كما دخلت ظفار وعبدان وصنعاء وغيرها من المناطق في اليمن، وذلك حين اعتنق الديانة المسيحية الملك عبد كلال الأول ملك حِمْيَر حيث أرسل إليه الملك الروماني قسطنسيوس (٣٣٧ ـ ٣٧٠م) الراهب الغساني ثيوفيلوس. وقد ذكر (فيلو ستروغ) في كتاب (تاريخ الكنائس) إنه «... نجح ثيوفيلوس في إقناع ملك حمير باعتناق الديانة المسيحية

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦٠ و٦٤ جـ٢.
(٢) ديوان الأعشى.

وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها كنيسة ظفار»[١] ـ وهي (قليس ظفار) والثانية في عبدان وربما كانت الثالثة قليس صنعاء، وكان ذلك عام ٣٥٦م ـ في أواسط القرن الرابع الميلادي ـ وقد ذكر الطبري وابن خلدون أنه «كان الملك عبد كلال على دين النصرانية الأولى وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان وفد عليه من الشام». وقال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير:

أمْ أينَ عبد كلالٍ الماضي على دين المسيح الطاهر المساح

وقد أصبحت المسيحية ديانة رئيسية في الدولة الحميرية منذ ذلك العهد وكذلك في عهد تُبّع حسان بن ذي غيمان (٤٣٠ ـ ٤٥٦م) وعهد تُبّع أسعد بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) والد يوسف أسار ذي نواس، وكان المذهب المسيحي النسطوري التوحيدي ـ الذي ليس فيه تأليه المسيح ـ هو الذي انتشر في اليمن.

وقد ذكر ابن هشام وابن خلدون إنه «كان أهل نجران يدينون بالنصرانية، وكان هذا الدين وقع إليهم من رجل من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يُقال له فيميون...» وجاء في هامش السيرة أنه «رجلٌ من آل جفنة من غسان، جاءهم من الشام، فحملهم على دين عيسى عليه السلام»[٢]. وكان أهل نجران ـ فيما تقول الرواية ـ يعبدون نخلة، فدعاهم فيمون إلى دينه فأجابوه، قال ابن خلدون: «أطبق أهل نجران على اتباع دين عيسى صلوات اللّه عليه. ومن رواية ابن إسحاق: إن فيمون نزل بقرية من قرى نجران، وكان يمرّ به غلمان أهل نجران يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية، وفي أولئك الغلمان عبد اللّه بن الثامر فكان يجلس إلى فيمون ويسمع منه فآمن به واتبعه وحصل على معرفة اسم اللّه الأعظم فكان مجاب الدعوة لذلك، واتبعه الناس على دينه، وأنكر عليه ملك نجران وهمّ بقتله، فقال له عبد اللّه بن الثامر: لن تطيق قتلي حتى تؤمن وتوحد فآمن، ثم قتله، فهلك ذلك الملك مكانه، واجتمع أهل نجران على دين ابن الثامر»[٣].

وكذلك ذكر ابن هشام خبر عبد اللّه بن الثامر وملك نجران ـ بتوسع ـ وإنه «قال عبد اللّه بن الثامر للملك: إنك لن تقدر على قتلي حتى توحِّد اللّه فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت ذلك سُلِّطتَ عليَّ فقتلتني. فوحَّد اللّه تعالى ذلك الملك، ثم ضرب عبد اللّه بن الثامر بعصا في يده فشجَّه شَجَّةً غير كبيرة، فقتله،

(١) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص٢٤٢.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٠ جـ١.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٥.

ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد اللّه بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى عليه السلام من الإنجيل وحكمه. ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث؛ فمن هناك كان أصل النصرانية بنجران، واللّه أعلم بذلك»[1]. ثم قال ابن هشام: «قال ابن إسحاق: ويُقال: كان فيمن قتلَ ذو نواس عبد اللّه بن الثامر رئيسهم وإمامهم»[1] بينما في الرواية الأولى «إن مقتل عبد اللّه بن الثامر كان قد حدث في عهد ملك قبل ذي نواس»[1] وكذلك في تاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون.

ويبدو أن تلك الرواية خلطت بين عبد اللّه بن الثامر تلميذ فيمون ـ وكان في عهد تُبّع حسان أو تُبّع أسعد ـ ولم يُقتل، وبين الراهب (أذكر عرفة) الذي ذكرت وثيقة أكسومية مسيحية «إن شرحبيل ملك حمير قتل راهباً مبشّراً بنجران اسمه أذكر عرفة». وقد سلف تبيين الانقسام المسيحي إلى مذهبين:

أ ـ المذهب المسيحي النسطوري: وهو مذهب توحيدي يتمثل في عبادة اللّه الرحمن ذي له السماء والأرض، وليس فيه تأليه المسيح. وقد تبنت الدولة الحميرية ذلك المذهب المسيحي في عهد حسان وعهد أسعد بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وكذلك في عهد شرحبيل يكمل (٤٨٠ ـ ٥٠٠م) وحتى عهد ذي نواس.

ب ـ مذهب الطبيعة الواحدة: وهو مذهب يقول بتأليه المسيح ويقول: «الرحمن وابنه المسيح» وكان ذلك هو المذهب المسيحي الرسمي للدولة الرومانية وللمسيحيين في الشام ومصر وأكسوم. وكان الراهب (أذكر عرفة) يدعو إلى ذلك المذهب في نجران فقتله شرحبيل يكمل ملك حمير، فكان المذهب المسيحي النسطوري التوحيدي هو السائد في كنائس اليمن الأربعة بظفار وصنعاء ونجران وعبدان.

ثم أخذ مذهب الطبيعة الواحدة ينتشر في ظفار ونجران في عهد (سميفع أشوع بن لحيعة يرخم ذي يزن وجدن) المذكور في المصادر الرومانية باسم (سميفيوس ملك حمير) وقد حكم سميفع هذا في الفترة (٥٠٠ ـ ٥١٤م)، وكان يوسف أسار ذو نواس من كبار الأقيال الأذواء في تلك الفترة والتي كان من معالمها:

أ ـ إن الملك الروماني (نيستوس ٤٩٢ ـ ٥١٩م) بعث وفداً إلى سميفع ملك حمير (في بداية القرن السادس الميلادي: أي حوالي عام ٥٠٢م ـ وربما

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٤ ـ ٣٥ جـ١.

كان ذلك سبب تساهل الملك سُميفع بشأن مذهب الطبيعة الواحدة، ولم يؤمن سميفع بذلك المذهب، وإنما ـ وكما ذكر بيوتروفسكي ـ «منذ أوائل القرن السادس استوطن نجران بعض أتباع مذهب الطبيعة الواحدة والذين ـ لعلهم ـ زاحموا النسطوريين فيها. وقد ورد في رسائل (سيمون البيتار شامي) إن معدي كرب ملك حمير [وهو معدي كرب يمجد بن لحيعة يرخم، أخو سميفع ملك حمير] ـ أصبح في حالة تبعية سياسية واقتصادية كبيرة للمسيحيين من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، وقد اقترض مبلغاً كبيراً من المال من أحد أثرياء نجران المسيحيين»[١]. وكان معدي كرب ملكاً نائباً لأخيه سميفع على مناطق من بينها شبوة ومأرب والجوف ونجران، فاستدان مبالغ كبيرة من أحد أثرياء نجران المسيحيين من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة مما أتاح انتشار ذلك المذهب الذي يقول بتأليه المسيح في نجران بحيث زاحم أتباع ذلك المذهب النسطوريين المسيحيين في نجران، وكان آل الديان وبنو الحارث بن كعب ـ أخوال يوسف أسار ذي نواس ـ من النسطوريين.

ب ـ وكذلك انتشر مذهب الطبيعة الواحدة في ظفار ومناطق حمير التابعة لها وكان يحكمها الحارث بن عبد كلال المذكور في مصادر رومانية باسم (الحارث بن تلال) وكان ملكاً لظفار ومناطق حمير التابعة لها والتي تشمل مناطق (محافظات) إب وتعز ـ المعافر ـ وتهامة ـ إلى ساحل وجزر البحر الأحمر، وذلك في إطار الدولة الحميرية ورئاسة سميفع ملك حمير، وكان الحارث بن عبد كلال مثل أخيه فهد بن عبد كلال الذي ذكر نشوان الحميري أنه «كان يُجبىٰ إليه من بلاد الحبش إلى جزيرة زيلع وجزيرة بربرة»[٢] ـ أي إن نفوذه كان يمتد إلى ساحل وجزر الحبشة ولا بدّ أنه كان على علاقة جيدة بمملكة أكسوم (الحبشة) فاعتنق الحارث بن عبد كلال مذهب الطبيعة الواحدة الذي فيه (تأليه المسيح) وأصبح هو السائد في كنيسة ظفار (قليس ظفار) ومناطقها، ووصلت الوفود والبعثات من أكسوم وكنائس مصر والشام والروم إلى ظفار، فعظم ـ فيما يبدو ـ شأن الحارث بن عبد كلال، فلم يعد مرتبطاً بسميفع أشوع بن لحيعة يرخم رئيس الدولة الحميرية (ملك حمير) وذلك منذ حوالي عام ٥١٠ ميلادية

(١) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ ص٢٤٠.

(٢) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٨٠.

حيث إن نقش سميفع أشوع في موقع ينبق جاء خالياً من ذكر مناطق الركب وتهامة ضمن لقبه في ذلك النقش المؤرخ بعام ٦٢٥ للتقويم الحميري الموافق عام ٥١٠ ميلادية. ثم اندفع الحارث بن عبد كلال إلى الاستقلال ـ أو الانفصال ـ بمناطق ظفار وما يتبعها من مناطق حمير إلى تهامة والبحر الأحمر، واستقدم الحارث بن عبد كلال قوات حبشية أكسومية بعثها الملك (كالب ملك أكسوم) وتمركزت في منطقة الركب (تهامة) وفي إحدى المدن كما وصلت جماعة منها إلى مدينة ظفار معقل الحارث بن عبد كلال ومذهب الطبيعة الواحدة، وأدى ذلك التطور الخطير ـ حوالي عام ٥١٤م ـ إلى تنازل سميفع أشوع عن الحكم وتمليك يوسف أسار ذي نواس.

رابعاً

تمليك يوسف أسأر ذي نُوَاس

(٦٣٠ حميري/ ٥١٥م)

في مطلع عام ٥١٥ ميلادية بدأ عهد يوسف أسار ذي نواس بن تُبّع أسعد تُبَان بن حسان بن ذي غيمان. وقد ذكر ابن خلدون وابن هشام وابن كثير «إن ذا نُواس هو ابن تُبَان أسعد، وكان صبياً صغيراً حين قُتِل أخوه حسان ووثب على المُلك لحيعة ذو شناتر. ثم شَبَّ (ذو نواس) غلاماً جميلًا وسيماً ذا هيئة وعَقْل وفضل» ـ ثم تزعم رواية ابن إسحاق إن الملك لحيعة كان امرءاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ـ الأذواء ـ فيقع عليه، لئلا يُمَلَّك بعد ذلك. ولم يزل يفعل ذلك حتى بعث إلى ذي نواس بن تُبَان أسعد فلما أتاه رسوله عرف ما يريد أن يفعل به، فأخذ سكيناً فخبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب عليه، فواثبه ذو نواس، فوجأه حتى قتله، ثم حَزَّ رأسه، فوضعه في الكُوَّة التي كان لحيعة يُشرف منها على الناس، ثم خرج على الناس، فنظروا إلى الكوَّة فإذا رأس لحيعة مقطوع. فقالوا لذي نواس: ما ينبغي أن يَمْلِكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث. فملّكوه وأجمعت عليه حِمْيَرُ وقبائل اليمن، وتَسمَّى يوسف، وتعصب لدين اليهودية[1] وإنه «كان اسمه زُرعة بن عمرو، وتَسمَّى يوسف لما تهوّد، وكان على دين اليهودية»[2].

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٨٣ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٩ جـ١.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان ـ ص١٤٨.

بينما تبيّن لنا من البحث في الروايات والوقائع والنقوش ما يلي:

أ ـ إن زُرعة عمرو الذي تهوّد وكان على دين اليهودية إنما هو الملك (ذرا ـ أمر) وكان في أيام نبوخذ نصر ملك بابل، وقد ذكرنا نبأ الملك ذرا أمر (زرعة عمرو) بالتفصيل والوثائق في المبحث الخاص بعهده، أما يوسف أسأر ذو نواس فكان اسمه يوسف ـ منذ مولده ـ وما كان على دين اليهودية وإنما كان يدين بالمذهب المسيحي النسطوري كما كان أبوه أسعد وخاله الديان وملوك الدولة الحميرية ومنهم لحيعة يرخم ذو جدن وهو لحيعة ذو شناتر) ثم (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) ثم (سميفع أشوع بن لحيعة يرخم) الذي بعده تولى الحكم يوسف أسار ذو نواس.

ب ـ إن رواية ابن إسحاق عن الملك لحيعة وقتل ذي نواس إياه غير صحيحة، لأن لحيعة مات وتولى الحكم بعده ابنه شرحبيل يكمل بدليل نقش شرحبيل يكمل المؤرخ بعام ٥٩٥ حميري (٤٨٠م) والذي أوردناه في المبحث الأسبق عن عهده، ثم حكم بعده أخوه (سميفع أشوع بن لحيعة يرخم) بدليل نقش سميفع المؤرخ بعام ٦٢٥ حميري الموافق عام ٥١٠ ميلادي وهو النقش (رقم ٤٧ ينبق) الذي يُسجل زيارة (سميفع أشوع) لمناطق ساحل حضرموت والمهرة وإنه كان معه في تلك الزيارة أخوه «معدي كرب يمجد بن لحيعة يرخم، ولحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم، وشرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل ذوو يزن وجدن وبساين ويلغب وغيمان... إلخ. اللقب.

وكان يوسف أسار ذو نواس من كبار الأقيال الأذواء في عهد سميفع أشوع (٥٠٠ ـ ٥١٤م) حيث كان ذو نُواس ـ وابنه الحارث بن ذي نواس ـ يحكم مناطق أذوائية نواس التي كانت تمتد ما بين منكث في منطقة يريم وغيمان في جنوب مدينة صنعاء.

وقد تم تمليك ذي نواس في مطلع عام ٥١٥م ويدل ذلك على أنه كان في نحو الأربعين من عمره عند تمليكه لأن أباه أسعد تُبان بن حسان مات عام ٤٧٧م فإذا افترضنا أنه كان ابن نحو ثلاث سنين آنذاك يكون عمره عند تمليكه زهاء أربعين سنة مما يؤكد بطلان رواية ابن إسحاق سالفة الذكر، وحتى لو افترضنا أن (لحيعة) الذي زعمت الرواية أن ذا نواس قتله قد يكون (لحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) المذكور في نقش سميفع أشوع، فإن ذلك لا يصح، لأن (لحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل) كان من كبار قادة يوسف أسار ذي نواس بعد تمليكه.

جـ ـ إن السبب الحقيقي لتمليك ذي نواس يكمن فيما أدت إليه سياسة (سميفع أشوع بن لحيعة يرخم) وأخيه (معدي كرب يمجد) من انتشار مذهب الطبيعة الواحدة (تأليه المسيح) في نجران وفي ظفار ثم قيام الحارث بن عبد كلال باستقدام قوات أكسومية حبشية لتدعيم مركزه والانفصال بحكم ظفار والمناطق التابعة لها ـ عام ٥١٤م ـ ويمكن القول على سبيل الاستنتاج أن أغلب أقيال وأذواء اليمن مالوا إلى خلع سميفع أشوع بن لحيعة يرخم وتمليك يوسف أسار ذي نواس بن أسعد تُبع بن حسان، ثم سار يوسف أسار إلى قصر الملك سميفع بن لحيعة يرخم وأبلغه بأن يخلع نفسه عن الحكم، وكان بعض الأقيال والقادة والناس خارج القصر ينتظرون ما يكون، فاقتنع سميفع بن لحيعة يرخم بخلع نفسه، وأطلّ على الناس من الكُوّة التي كان يُشرف منها على الناس في قصره وأعلن أنه خلع نفسه، وخرج ذو نواس إلى القادة والناس فقالوا: ما ينبغي أن يَمْلِكنا غيرك. وربما قالوا أيضاً: لن يُريحنا من هذا الخبيث غيرك، ويعنون بالخبيث فيما يبدو الحارث بن عبد كلال الذي استقدم قوات أكسومية حبشية وفرض مذهب تأليه المسيح في المناطق التي تحت حكمه، وعندئذٍ وقع ما ذكره ابن خلدون وابن هشام من أن الناس «مَلّكوا ذا نواس، وأجمع على تمليكه أقيال حمير وقبائل اليمن».

د ـ وعندما تم تمليك ذي نواس تَسمّى بلقب جديد وليس ذلك (يوسف) لأن (يوسف) اسمه الشخصي فاسمه (يوسف أسأر يثأر) ـ اسمٌ ونعتٌ ـ أما اللقب الجديد الذي تسمّى به عند تمليكه فهو «ملك كل الشعوب». وقد أسلفنا ذكر قول الأستاذ مطهر الآرياني «إن الملك ذا نواس وهو يوسف أسأر يثأر هو أولاً قَيْل (نواس ـ ذي نواس) ثم الملك (يوسف أسأر يثأر) ملك كل الشعوب»[1]. وهو أول وآخر من حمل ذلك اللقب الفريد.

هـ ـ يرى د. فوزي مكاوي: «إن جنوب الجزيرة العربية خضعت لسيطرة أكسومية خلال عهد الملك كالب ملك أكسوم (٤٩٤ ـ ٥٢٥م) ـ قبل ذي نواس ـ وإن هناك خطاباً يُنسب إلى ذي نواس يشير بوضوح إلى وجود سيطرة أكسومية... وقد حاول الأكسوميون تدعيم وجودهم في جنوب الجزيرة العربية عن طريق محاولاتهم استغلال الجهود المبكرة لنشر المسيحية في تلك البلاد... وقد كانت محاولة الأكسوميين نشر المسيحية

(١) نقوش مسندية وتعليقات ـ مطهر الأرياني ـ ص١٦٣.

في جنوب الجزيرة العربية ذات مغزى سياسي فهي تعني ضمناً تحولهم من مجرد محتلين إلى حماة للمسيحية في تلك البلاد. . ولذلك لجأ بعض أمراء جنوب الجزيرة العربية فيما يبدو لاعتناق الدين اليهودي كراهية في الاحتلال الأكسومي والذي يمثله أناس مسيحيون. وكانت هذه هي صورة الأحوال في جنوب الجزيرة العربية في الفترة المبكرة من عهد كالب عندما اعتلى العرش في جنوب الجزيرة العربية الأمير الحميري ذو نواس، إن هذا الأمير الوطني اعتنق اليهودية وسلك طريق الكفاح في سبيل استقلال بلاده ضد الأكسوميين والمجتمعات المسيحية المتعاطفة معهم والتي كانت تُمثل في نظر الحميريين جواسيس وأعوان للأكسوميين»[1].

وأقول: إن الوجود الأكسومي قبل عهد ذي نواس لم يكن احتلالاً لجنوب الجزيرة العربية كما افترض فوزي مكاوي وإنما كان عبارة عن قوات أكسومية محدودة بعثها الملك كالب ـ لدعم الحارث بن عبد كلال ـ وتمركزت تلك القوات في منطقة من تهامة وفي إحدى المدن وكذلك في مدينة ظفار مقر الحارث بن عبد كلال، وكان ذلك حوالي عام ٥١٤م ـ قبل تمليك ذي نواس بعام واحد ـ واقترن ذلك التواجد الأكسومي الحبشي بشعار حماية المسيحيين الذين يُراد بهم أتباع مذهب تأليه المسيح. وقد وقع خلط والتباس بين اليهودية وبين المذهب المسيحي النسطوري التوحيدي وهو الذي كان يعتنقه ذو نواس وبعض أمراء جنوب الجزيرة العربية وليس اليهودية. ثم إن د. فوزي مكاوي قال في النص السالف: «كانت هذه هي صورة الأحوال عندما اعتلى العرش في جنوب الجزيرة العربية الأمير الحميري ذو نواس». . فهذا القول يتناقض مع افتراضه بأن الأكسوميين كانوا يحتلون جنوب الجزيرة العربية، فالصواب هو ما ذكرناه عن وجود قوات أكسومية في منطقة من تهامة وفي ظفار مقر الحارث بن عبد كلال، بينما معظم اليمن كان تحت حكم سميفع أشوع ملك حمير، وقد حمل سميفع ـ في نقشه المسند بموقع ينبق ـ لقب: «ذو يزن وجدن وبساين ويلغب وغيمان [جنوب صنعاء] ويصبر وميفع وجردان ورخية. كبير أقيال شعوب ضيفتن ورثحم وسأكلن وسكرد [سقطرى] ومطلفتن وسيبان وحضرموت وقنا ومهرة» فالأذوائيات والمناطق والقبائل التي ذكرها في اللقب تشمل معظم أرجاء اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ بما في ذلك سأكلن (عمان) والمهرة وحضرموت وشبوة وأبين ولحج والضالع وعدن والبيضاء وذمار وغيمان وصنعاء

(١) مجلة دراسات يمنية العدد الثالث / ١٩٧٩م.

إلى الجوف ونجران، وقد اعتلى ذو نواس عرش اليمن ملكاً لتلك الأرجاء الواسعة من اليمن ـ جنوب الجزيرة العربية ـ وقد جاء في هامش خبر مسيره إلى نجران في الإكليل أنه «قال الهمداني: فلما رجع ذو نواس بجنده إلى صنعاء»[١]. ويدل ذلك على أن مدينة صنعاء كانت مقر وعاصمة ذي نواس حين اعتلى عرش جنوب الجزيرة العربية عام ٥١٥ ميلادية. وكان قصر غمدان بمدينة صنعاء هو مقر وعرش تابعة الدولة الحميرية.

خامساً

حملة ذي نواس إلى ظفار وإحراق كنيستها وقتل الحارث بن عبد كلال والأحباش

وفي عام ٥١٦ ـ ٥١٧م قاد الملك يوسف أسأر ذو نواس حملة عسكرية إلى ظفار وتهامة، وقد ذكرت المصادر الرومانية والخارجية ما حدث بالتفصيل، ولكن الأهم من ذلك هو وجود نقش مسند يذكر ذلك. وهو نقش تم العثور عليه في موقع بئر الحمة في نجران، «وقد كتبه ـ أو أمر بكتابته ـ القيل شرحئيل ذو يزن عندما رابط في نجران بقبائل همدان حضراً وأعراباً وبرماة من اليزنيين وبأعراب كندة ومراد ومذحج. وقد استهل شرحئيل النقش بالنص التالي:

«ليُبَاركنْ ألن (إلٰهنا) ذي له السماء والأرض الملك يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب، ولْيُبَاركن الأقيال لحيعث يرخم وسميفع أشوع وشرحئيل أشوع وشرحبيل أسعد بني شرحبيل يكمل ذوو يزن وجدن، الذين عاضدوا (خصروا) سيدهم الملك يوسف أسأر يثأر عندما دمر حرقاً (دهر) كنيسة ظفار (قليسن) وقتل الأحباش بظفار. وعاضدوه في محاربتهم في الأشاعر والركب وفرسان والمخا (مخون) والمرابطة في نجران. وفي تقوية دفاع (تصنع) ساحل وجزر المندب (سسلتن مندب). وعندما التفوا حوله (كجمع عمهو) وأمدهم بجيش، وظفر وغنم الملك في هذه الغزوة (٥٢) ألف قتيل و(١١) ألف أسير و(٢٩٠) ألف من الإبل والبقر والضأن»[٢] ـ وذلك عندما تصنعوا سسلتن المندب وغزوا بحراً إلى ساحل الحبشة «قرنم بحرن بحبشت» وكان شرحئيل مرابطاً في نجران بالحشود التي ذكرها، «أما أخوته الأقيال لحيعث وسميفع وشرحبيل فكانوا ـ كما

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦٢ جـ٢.

(٢) النقش رقم ١٠٢٨ جام ـ تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٢ ـ ١٦٤.

جاء في النقش ـ مع الملك بالبحر من حبشة (قرنم بحرن بحبشت) ويقومون بتقوية استحكامات سلسلة المندب. وكل ما ذكره (شرحئيل) بهذا المسند من مقتلة وغُنم ومرابطة فكان في حملة تمت قبل ثلاثة عشر شهراً ـ كما قال في النقش ـ ثم يدعو مرة أخرى لأبناء الأسرة فيقول: «وليباركن الرحمن أبناءهم شرحبيل يكمل وهعن أسأر بني لحيعة، ولحيعث يرخم بن سميفع، ومرثد ألن يمجد بن شرحئيل، ذوو يزن ـ سادة يزأن ـ».

ثم يختتم النقش بالنص التالي: «أرخه ذي مذرأن من عام ثلاثة وثلاثين وستمائة. ووضع هذا المسند في حماية وولاء وقوة الجند من كل خسيس ومخادع، ويستعيذ بالرحمن العليّ ضد كل مخادع يحاول مسخه. صيغ وسُطر وقُدم باسم الرحمن. صاغه تميم ذو حذية ربهد. بمحمد». انتهى[1].

وقد كتب شرحئيل ذو يزن ذلك النقش المسند عام ٦٣٣ للتقويم الحميري ويوافق عام ٥١٨ ميلادية ولكن الحملات التي ذكرها كانت «قبل ثلاثة عشر شهراً».

ويتبين من ذلك النقش المسند، ومن المصادر السريانية والأكسومية والرومانية المعاصرة ما يلي:

١ ـ إن الملك يوسف أسار ذا نواس اجتاح مدينة ظفار ومناطقها ـ عام ٥١٦م ـ وكان معه أقيال وأذواء وفرسان وجنود اليزنيين والجدنيين وهمدان (بكيل وحاشد) ومذحج وكندة. أي معظم اليمن. ولم تكن ساحة الحملة التي قادها ذو نواس مدينة نجران ـ كما في الروايات ـ وإنما كانت مدينة ظفار. ويقول د. فوزي مكاوي: «نعرف من المصار السريانية والأثيوبية وتؤيدها في ذلك بعض النصوص التي نُشرت حديثاً ـ أي النقوش ـ إن الصراع بدأ في ظفار المدينة المحصنة. لقد قدّر ذو نواس أنه يستطيع باستيلائه على تلك المدينة أن يضعف الأكسوميين وأعوانهم المسيحيين في كل البلاد [أي مناطق ظفار وتهامة]. وقد حاول ذو نواس أن يستولي على المدينة بقوة السلاح ولكنه واجه مقاومة عنيدة اضطرته إلى أن يُغيّر خططه وأن يعتمد على الخديعة، فأرسل وفداً من القساوسة يحمل خطاباً يتضمن وعداً منه يُؤمّن فيه الجنود الأكسوميين على حياتهم، ويعدهم بإعادتهم سالمين إلى بلادهم إذا ما خرجوا إليه طائعين. ويُفهم من هذا التصرف أن الأكسوميين

(١) النقش رقم ١٠٢٨ جام ـ تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٢ ـ ١٦٤.

كانوا واقعين تحت الحصار وهو ما يشير إليه المصدر ـ [يعني كتاب سيرجو Sergew] ـ وخرج الجنود الأكسوميون بعد تردد حيث استقبلهم ذو نواس في معسكره ولكنه كان قد رتب للتخلص منهم جميعاً، ولذا أمر جنوده أن ينام كل جندي إلى جانب جندي أكسومي على أن يقوم بذبح الأخير أثناء الليل. ونجحت الخطة وقُتِل ٣٠٠ مسيحي. وتوجه ذو نواس بعد ذلك إلى مدينة ظفار»[1] ـ وهنا يتبين من قوله (توجه ذو نواس بعد ذلك إلى مدينة ظفار» يتبين من ذلك أن القوة الأكسومية التي حاصرها ذو نواس لم تكن في مدينة ظفار وإنما كانت في مدينة أو قلعة أخرى غير بعيدة عن ظفار، وكانت تلك القوة تتكون من ثلاثمائة محارب من الأكسوميين الأحباش فاستسلموا ووضعهم ذو نواس في معسكر مع كتيبة من جنوده وسار إلى ظفار، ثم قام الجنود بقتل أولئك الأكسوميين الأحباشْ، ويدل مقتلهم بعد مسير ذي نواس إلى ظفار أن مقتلهم لم يكن بأمره ولا كان خطة مبيّتة كما زعم سيرجو وإنما كان تصرفاً من جانب الجنود بسبب شيء دفعهم إلى ذلك.

ثم يذكر د. فوزي مكاوي ما حدث في ظفار بأنه حدث في نجران وهو التباس لأن ذا نواس توجه بعد الواقعة سالفة الذكر إلى ظفار وليس إلى نجران، وقد ذكر فوزي مكاوي نفسه في النص السالف أنه: «توجه ذو نواس بعد ذلك إلى مدينة ظفار». وذلك يؤكد أن الأحداث التالية لم تكن في نجران وإنما كانت في مدينة ظفار. حيث يذكر فوزي مكاوي ـ عن كتاب فاسيليف Vasiliev ـ إنه «تعرضت المدينة لخدعة في البداية فقد أرسل ذو نواس خطاباً إلى الحارث بن كلال ـ أو الحارث بن عبد تلال ـ [وهو الحارث بن عبد كلال ملك ظفار] ـ طالباً منه أن يرسل إليه الجنود الأكسوميين ـ الذين عنده بالمدينة ـ وبعد أن استجاب الجنود وبدأوا رحلة الذهاب إلى معسكره، قابلهم من كشف لهم نية ذي نواس وقصّ لهم ما حدث لإخوانهم في المدينة السابقة، ومن ثم عاد الجنود إلى المدينة وتحصنوا بها، فأرسل ذو نواس جيشاً من جنوده فشل في اقتحام المدينة ولكنه أحدث أضراراً بمداخلها، فحضر ذو نواس بنفسه وحاصر المدينة وبدأ في تهديد أهلها بالموت واستباحة أملاك من يقاومه، وتحت هذا الضغط أرسلوا إليه مائة وخمسين شخصاً من مختلف الجنسيات كوفد للمفاوضة ولكنه خيّرهم بين الارتداد عن المسيحية أو القتل (القتال) ففضلوا القتل (القتال) ثم

(١) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٠م ـ دراسة د. فوزي مكاوي.

احتل ذو نواس المدينة وقتل كل من رفض ترك المسيحية. وقد ذكر أحد الكتّاب قصة استشهاد الحارث بن كلال، وكتب آخر كتاباً بعنوان كتاب الحميريين[١]. . وذكرت المصادر أن ذا نواس أحرق كنيسة ظفار بمن فيها وكانوا (٢٨٠) شخصاً. . وإنه سقط ثلاثة آلاف من القتلى المسيحين في تلك المعارك وأُسر تسعمائة وخمسين فضلًا عن استيلاء ذي نواس على العديد من الغنائم»[٢].

وقد ذكر نقش شرحئيل ذي يزن ـ سالف الذكر ـ أن الأقيال اليزنيين عاضدوا الملك يوسف أسار (ذو نواس) عندما دمّر حرقاً (دهر) كنيسة ظفار (قليسن) وقتل الأحباش بظفار. ولم يذكر النقش سبب إحراق الكنيسة. ولا بد أن سبب ذلك إجبار الذين تحصنوا داخلها على الخروج وكان عددهم (٢٨٠) شخصاً، ولكن النيران حاصرتهم فاحترقوا ولم يتمكنوا من الخروج. وقد امتدت الحملة من ظفار إلى المناطق التي ذكرها النقش وهي الأشاعر والركب ـ في جنوب تهامة ـ وجزيرة فرسان ومدينة وميناء المخاء وجزر باب المندب، ولم يسقط في كل تلك الحملة سوى (ثلاثة آلاف من القتلى غالبيتهم من القوة الحبشية الأكسومية) مع أسر تسعمائة وخمسين شخصاً فقط.

وقد أدت تلك الحملة إلى بسط سيادة الدولة الحميرية بزعامة يوسف أسار ذي نواس على كل أرجاء اليمن الطبيعية من المهرة وسأكلن (عمان) شرقاً إلى ساحل وجزر البحر الأحمر غرباً ومن جزيرة سقطرى (سكرد) والبحر العربي وعدن جنوباً إلى نجران وعسير وأطراف الحجاز شمالًا.

٢ ـ قام الملك يوسف أسار ذو نواس والقادة الأقيال والجنود الذين معه بما سماه النقش «تصنع سلسلة المندب» ـ أي تحصين وتقوية دفاعات باب المندب غالباً ـ وتوجيه قوات إلى ساحل الحبشة بحراً، كان من قادتها لحيعث يرخم بن شرحبيل يكمل وسميفع أشوع بن شرحبيل يكمل وشرحبيل أسعد بن شرحبيل يكمل ذوو يزن وجدن، وأمدهم الملك يوسف أسار ذو نواس بجيش، فشنوا حملة بحرية على مناطق ساحل الحبشة وتمركزوا فيها «قرنم بحرن حبشت» وكانت تلك الحملة عام ٥١٧م، وعادوا بالظفر والغنائم التي بلغت ـ كما جاء في النقش ـ (٥٢) ألف قتيل و(١١) ألف أسير و(٢٩٠) ألف من الإبل والبقر والضأن. وكانت تلك الحملة قبل ١٣ شهراً من كتابة نقش شرحئيل ذي يزن في شهر ذي مذران

(١) وهو كتاب Mobers. The Book of The Himyarites.

(٢) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٠م ـ دراسة د. فوزي مكاوي.

من عام ٦٣٣ للتقويم الحميري ويوافق شهر يوليو من عام ٥١٨ ميلادية.

سادساً

أحداث نجران وحقيقة ديانة ذي نواس

لقد سلف تبيين أن أهل نجران جميعاً كانوا يدينون بالديانة المسيحية، وقد ذكر ابن هشام أنهم «كانوا على ما جاء به عيسى عليه السلام من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث»[1].

وقد دلت المصادر التي تعود إلى ذلك الزمن على أن المذهب المسيحي النسطوري ـ الذي ليس فيه تأليه المسيح ـ كان السائد في نجران إلى عهد الملك شرحبيل يكمل (٤٨٠ ـ ٥٠٠م) الذي ذكرت وثيقة أكسومية «إن شرحبيل ملك حمير قام بقتل مبشر مسيحي في نجران هو الراهب أذكر عرفة». وكان (أذكر عرفة) يدعو إلى مذهب الطبيعة الواحدة الذي فيه (تأليه المسيح) والقول بالإيمان باللّه (الرحمن وابنه المسيح) ولذلك قتله الملك شرحبيل يكمل ومنع ذلك المذهب في نجران، ثم انتشر ذلك المذهب في عهد الملك سميفع أشوع بن لحيعة يرخم (٥٠٠ ـ ٥١٤م) حيث كما ذكر د. بيوتروفسكي «في أوائل القرن السادس الميلادي استوطن نجران بعض أتباع مذهب الطبيعة الواحدة الذين ـ لعلهم ـ زاحموا النسطوريين في نجران، وقد ورد في رسائل (سيمون البيتار شامي) أن الملك الحميري معدي كرب ـ [وهو شقيق الملك سميفع] ـ أصبح في حالة تبعية اقتصادية كبيرة للمسيحيين من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، فقد اقترض مبلغاً كبيراً من المال من أحد أثرياء نجران المسيحيين (من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة)...». مما أتاح لذلك المذهب أن ينتشر في نجران ويزاحم المذهب النسطوري المسيحي كما حدث في ظفار نتيجة اعتناق الحارث بن عبد كلال ذلك المذهب وما رافق ذلك من الارتباط بكنيسة أكسوم كما سلف التبيين فلما تم تمليك يوسف أسار ذي نواس قام باجتياح ظفار وما سلف ذكره من أحداث بما في ذلك إحراق كنيسة ظفار وقتل الحارث بن عبد كلال والذين سقطوا معه من اليمنيين والأحباش الأكسوميين في تلك الحملة عام ٥١٦م.

ولم تذكر المصادر السريانية والأكسومية والرومانية التي ذكرت أحداث عهد ذي نواس ضد المسيحيين وقوع أي شيء في نجران، بينما روايات

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٤ جـ١.

الأخباريين التي نقلها المؤرخون العرب تذكر أن الملك يوسف ذا نواس هو صاحب الأخدود. قال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ ملوك حمير:

أو ذو نُـواسٍ حـافـرُ الأُخـدودِ فـي نَـجْـرانَ لـم يـخـش احـتـمـالَ جُـنـاحِ
ألـقـى الـنَّـصـارىٰ فـي نِـيـارٍ أُجِّـجـتْ بـوقُـودِ جـمـرٍ مُـضـرَم لَفَّـاحِ

ثم قال: «هذا الملك، ذو نواس الأصغر، واسمه زرعة بن عمرو.. وهو صاحب الأخدود، وسُمِّي يوسف لما تهوّد، وكان على دين اليهود، فشكا إليه يهود نجران غلبة النصارى، وذلك إنه وقع بين اليهود والنصارى فتنة بنجران، فنهض ذو نواس بالجنود إلى نجران، فحفر الأخدود وأضرم النار فيه، وخيَّر النصارى بين الرجوع عن دينهم أو إحراقهم بالنار، فمنهم من رجع عن دينه، ومنهم من لم يرجع فأحرقه بالنار»[1].

ويتبين من ربط الوقائع والمصادر التاريخية ما يلي:

١ ـ إن «زرعة بن عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد» كان من ملوك سبأ التبابعة في زمن نبوخذ نصر ملك بابل، واسمه (ذرا/ أمر) وهو الذي تهوّد على يد الحبرين وكان على دين اليهود، وحاول فرض اليهودية بالنيران والسيف على المؤمنين بدين تُبّع أبي كرب أسعد الذي قال عنه ابن عباس «كان تُبّع نبياً» وقال النبي محمد ﷺ: «لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم». فقام زرعه عمرو بن حسان (ذرا/ أمر) بمحاولة فرض اليهودية على المؤمنين بدين تُبّع في ضروان ونجران وغيرها بالنيران والسيف، ولم يتهود من ملوك اليمن سواه، وقد قتله أخوه وأقيال اليمن في ذلك الزمن، فيمكن أن يكون زرعه عمرو (ذرا/ أمر) هو صاحب أخدود نجران المذكور في القرآن الكريم وهو ذو نواس الأكبر الأول فوقع الالتباس والخلط بينه وبين يوسف أسار ذي نواس بن أسعد تُبّان بن حسان بن ذي غيمان، لأن يوسف أسار ذا نواس أحرق كنيسة ظفار بمن تحصن فيها، وربما أحرق البعض في أُخدُود خدّه لهم في نجران أيضاً، أما الأخدود المذكور في القرآن فهو ـ فيما نرى ـ الأخدود الأقدم في زمن ذي نواس الأول، وقد دمج الرواة بين زرعة عمرو (ذرا/ أمر) وبين يوسف أسار ذي نُواس الأصغر ـ الثاني ـ، قال ابن هشام: «سار ذو نُوَاس إلى أهل نجران بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخَيَّرَهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فَخَدَّ لهم الأُخْدُوَد، فحرَّقَ من

(١) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٨.

حرق بالنار. . ففي ذي نواس ذلك وجنده أنزل اللّه تعالى على رسوله ﷺ ـ قوله تعالى ـ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤ ـ ٨] صدق اللّه العظيم.

قال ابن هشام: الأَخْدُود: الحَفْرُ المستطيل في الأرض كالخندق والجدول ونحوه. وجمعه أخاديد، قال ذو الرُّمَّةِ:

مِنَ العِرَاقِيَّةِ الَّاتي يُحِيلُ لَهَا بَيْنَ الفَلَاةِ وَبَيْنَ النَّخْلِ أَخْدُودُ

يعني جَدْولًا. ويُقال لأثر السيف والسكين في الجلد وأثَرِ السَّوْطِ ونحوه: أَخْدُود، وجمعه أخاديد»[1].

٢ ـ إن مسير الملك يوسف أسار ذي نواس إلى نجران كان ـ كما قال نشوان في نصه السالف ـ إنه «شكا إليه يهود نجران غلبة النصارى وذلك إنه وقع بين اليهود والنصارى فتنة بنجران، فنهض ذو نواس بالجنود إلى نجران. .» (اهـ) ونرى أن أصل ذلك أن المسيحيين النسطوريين من أهل نجران شكوا إليه غلبة المسيحيين أتباع مذهب تأليه المسيح، وإنه وقع بين الفئتين فتنة بنجران، وذلك لأن أهل نجران جميعاً كانوا نصارى وإنما كان أغلبهم نسطوريون وبعضهم من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (تأليه المسيح) الذين زاحموا النسطوريين بنجران وكانوا أثرياء فكانت الغلبة لهم. وبما أن الرواة لم يعرفوا بوجود مذهبين مسيحيين في ذلك الزمن فقد ظنّوا أن الصراع كان بين اليهود والنصارى، أي أنهم اعتبروا المسيحيين النسطوريين يهوداً بما في ذلك الملك يوسف أسار ذي نواس بينما ليس الواقع كذلك.

٣ ـ إن الملك يوسف أسار ذا نواس لم يكن يهودياً وإنما كان مسيحياً يدين بالمذهب المسيحي النسطوري التوحيدي الذي ليس فيه تأليه المسيح، بينما كان الذين حاربهم وقتلهم في ظفار ونجران من أتباع مذهب تأليه المسيح. وقد استدلينا على ذلك بالأدلة والقرائن التالية:

أ ـ جاء في نبأ المواجهة في ظفار الذي نقله د. فوزي مكاوي عن المصادر السريانية والرومية في واقعة حصار ذي نواس للأكسوميين وللحارث بن عبد كلال وأصحابه في ظفار أنه: «أرسل ذو نواس وفداً من القساوسة يحمل خطاباً يتضمن وعداً منه بتأمين الجنود الأكسوميين على حياتهم إذا خرجوا

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٥ جـ١.

إليه طائعين.. وطلب من الحارث بن عبد كلال أن يرسل إليه الجنود الأكسوميين الذين عنده»[١].. فيتبين من ذلك أن وفد ذي نواس كان من القساوسة المسيحيين ـ النسطوريين ـ وهو أمر له دلالته في أن ذا نواس كان مسيحياً نسطورياً لأن الوفد كان يمثله ويتفاوض باسمه وينقل خطابات باسمه.

ب ـ ويؤكد ذلك أكثر ما ذكره ونقله د. بيوترفسكي عن رسائل (سيمون البيتار شامي) حيث قال د. بيوتروفسكي ما يلي نصه: «في خطابات الملك يوسف ذي نواس نَجِدُ أنه يُدِينُ مَذهب الطبيعة الواحدة ويُنادي بالتخلي عن تأليه المسيح والذي تخلى عنه سائر النصارى ـ (أي النسطوريين) ـ»[٢] وذكر بيوتروفسكي أيضاً «إن النسطوريين في نجران أيّدوا الملك يوسف ملك حمير»[٢].

جـ ـ إن نقش عهد الملك يوسف أسار ـ ذي نواس ـ الذي كتبه نائبه وقائد جيشه في نجران القيل (شرحئيل أشوع ذي يزن) يعطينا الدليل واليقين المادي بأنهم لم يكونوا يهوداً وإنما كانوا نصارى يدينون بالمذهب التوحيدي الذي ليس فيه تأليه المسيح لأن النقش ليس فيه التوجه إلى (يهوه رب اليهود) وإنما فيه التوجه إلى اللّه الرحمن حيث يبدأ النقش بالنص التالي:

«ليبارك إلّهنا (ا ل هـ ن) ذي له السماء والأرض يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب» وجاء في خاتمة النقش ما يلي نصه:

«وضع هذا المسند في حماية السماء من كل خسيس ومخادع. ويستعيذ بالرحمن من كل مخادع يُحاول طمسه. صِيغ وسُطّر وقُدِّم باسم الرحمن ـ صاغه تميم ذو حذية الربهدي»[٣].

وتميم ذو حذية الذي صاغ هذا النقش المسند هو تميم ذو حذية الذي كان قائد محور نجران ـ ماسل الجمح في عهد (لحيعة يرخم ذي جدن) وعهد (شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم) ـ عام ٤٧٨ ـ ٥٠٠م ـ وله نقش من تلك الفترة ينطق بنفس العقيدة وهو النقش رقم (٥١٣ ركمانز) بموقع وادي كوكب شمال نجران حيث جاء في النقش ما يلي نصه «... ليرحمن أبناء ملكنا ذي جدن الرحمن آمين»، وقد مكث تميم ذو حذيه قائداً لمحور نجران إلى أن قام بصياغة نقش عهد يوسف أسار ـ سالف الذكر ـ والمؤرخ بعام ٦٣٣ حميري (٥١٨

(١) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٤/ ١٩٧٩.

(٢) بيوتروفسكي ـ ص٢٤٦.

(٣) النقش رقم ١٠٢٨ جام.

ميلادي) والذي ينطق بعبادة اللّه ذي له السماء والأرض الرحمن العليّ، فذلك هو الدين الذي كان يؤمن به يوسف أسأر ذو نواس وهو الدين والمذهب المسيحي النسطوري التوحيدي الذي ليس فيه تأليه المسيح.

٤ ـ يتبين من ربط مجمل ما سلف أن الملك يوسف أسأر ذا نواس لما سار إلى نجران أيّده أهل نجران ـ المسيحيون النسطوريون ـ وجمع الذين يدينون بمذهب تأليه المسيح من أهل نجران وعرض عليهم ـ كما حدث في ظفار ـ أن يتخلوا عن مذهب تأليه المسيح الذي تخلى عنه سائر النصارى أو القتل ومصادرة أملاكهم، فتخلى أكثرهم عن تأليه المسيح ورفضت جماعة قليلة منهم ذلك فاحترقوا في أخدود خدّه لهم بنجران، وكان كبيرهم فيما تقول بعض الروايات عبد اللّه بن الثامر، والصحيح أنه مات في زمن سابق، فقد يكون ابن الثامر الذي قتله ذو نواس حفيد عبد اللّه بن الثامر وإن اسمه أيضاً كان عبد اللّه، فامتنع عن الرجوع عن تأليه المسيح فأمر ذو نواس بقتله فتم قتله وإعدامه بالسيف. وجاء في هامش الإكليل إنه قال الهمداني: «فلما رجع ذو نواس إلى صنعاء ندم على فعله وقال:

فيا ليت أُمي لم تلدني ولم أكن عشيّة عضّ السيفُ رأس ابن ثامر»[1]

وقد ولّى الملك يوسف أسار ذو نواس على نجران ومخاليفها إلى أطراف الحجاز واليمامة القائد القَيْل شرحئيل أشوع اليزني حيث رابط شرحئيل في نجران على رأس فرقة عسكرية ـ ذكر النقش أنهم ـ (من قبائل همدان حضراً وأعراباً، ورماة من اليزنيين، وقوة من كندة ومراد ومذحج». وقام شرحئيل بتدوين النقش المسند ـ سالف الذكر ـ والمعثور عليه في موقع بئر الحمة في نجران، والمؤرخ بشهر ذي مذران من عام ٦٣٣ للتقويم الحميري. ويوافق شهر يوليو من عام ٥١٨ ميلادية[2].

سابعاً

من أنباء خارج اليمن في عهد ذي نواس

لقد حكم يوسف أسار ذو نواس من عام ٥١٥ ـ ٥٢٥ ميلادية، وكانت الدولة الحميرية في عهده تمتد إلى سأكلن (عمان) شرقاً وساحل وجزر البحر

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٦٢ جـ٢.

(٢) جاء في الموسوعة إن «ذو مذرأن: شهر المذار: البذار. ويوافق شهر يوليو/ تموز» ـ ص٢٨١،

الأحمر غرباً وجزيرة سقطرى وعدن جنوباً ونجران ومخاليفها شمالاً إلى أطراف اليمامة ونجد وكذلك إلى أطراف الحجاز، وقد ذكر الهمداني في الإكليل إن حكم ذي نواس كان يشمل (أطراف الحجاز) [ص٦٣/ ٢].

وكان أبناء الحارث بن عمرو الكندي يحكمون مناطق وقبائل نجد واليمامة والبحرين إلى تخوم إمارة الحيرة بالعراق التي كان يشترك في حكمها الحارث بن عمرو الكندي والمنذر ابن المنذر ابن ماء السماء، وقد ذكر ابن خلدون ملكية أبناء الحارث بن عمرو الكندي بأنه:

أ ـ كان سلمة بن الحارث ملكاً على بكر وتغلب. وفي كتاب الأغاني أنه كان سَلَمة بن الحارث على بني تغلب، والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة. قال ابن خلدون: ويقال بل كان سلمة على حنظلة وتغلب.

ب ـ وكان شرحبيل بن الحارث ملكاً على بني سعد والرباب. وفي كتاب الأغاني والنقائض إنه كان شرحبيل ملكاً على بكر بن وائل. قال ابن خلدون: ويقال كان شرحبيل على سعد والرباب وبكر.

جـ ـ وكان معدي كرب بن الحارث ملكاً على قيس وكنانة.

د ـ وكان حجر بن الحارث بن عمرو الكندي ملكاً على قبيلة بني أسد ومن جاورها، وهو والد امرئ القيس بن حجر الكندي. وكان مولد امرئ القيس عام ٤٩٧م. وقد جاء في ترجمته أنه «امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرّار الكندي. وُلد عام ٤٩٧م تقريباً وتوفي عام ٥٤٥م. وهو آخر السلالة الملكية من بني آكل المُرّار الذين كانوا ملوك مملكة كندة التي حكمت اليمامة ونجداً وأصقاعاً أخرى من شمال الجزيرة العربية بدعم من ملوك اليمن، ووصلت سلطتهم أحياناً إلى مملكة الحيرة في العراق، وإلى بسط شيء من نفوذهم على أرجاء من بادية الشام». [ص١٣٠/ الموسوعة]. وقد اشتهر امرؤ القيس في صباه وشبابه بالشعر والغزل واللهو في ربوع اليمامة ونجد التي ذكرها في أشعاره، وانتقل من منطقة حكم أبيه إلى منطقة حكم عمه معدي كرب، وأخباره مشهورة. ويهمنا من ذلك هنا أن تلك الفترة من حياته كانت ما بين عام ٥١٥ وعام ٥٢٦م تقريباً، وإن ذلك يدل على أن أبناء الحارث بن عمرو الكندي (سلمة، وشرحبيل، ومعدي كرب، وحجر) كانوا ملوكاً على اليمامة ونجد وغيرها إلى تخوم أرض الحيرة بالعراق في تلك الفترة التي تقابل عهد يوسف أسار ذي نواس ملك اليمن. وجاء في ترجمة امرئ القيس إنه «لما

ضاق والده بسلوكه نفاه إلى منطقة كندة في حضرموت فاستقر في مدينة (دَمُّون) وتنقل في أنحاء حضرموت وغيرها من المناطق اليمنية.. وبقي في دَمُّون خمساً من السنين» [ص١٣١] ـ وذلك حتى حادثة مقتل أبيه حوالي عام ٥٣٠م ـ أي بعد عهد ذي نواس، أما في عهده فكان أبناء الحارث بن عمرو الكندي ملوك نجد واليمامة والبحرين إلى الحيرة.

بينما كان الحارث بن عمرو الكندي ما يزال ملكاً لبلاد الحيرة ـ بالعراق ـ وقد أسلفنا ذكر أنباء تمليكه وأيلولة حكم دولة المناذرة إليه في أواخر عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان، وإنه «طلب المنذر بن ماء السماء من ملك فارس أن يمدّه بجيش لمحاربة الحارث، فأبَىٰ أن يمدّه، فلما رأى المنذر ذلك كتب إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنّي في غير قومي وأنتَ أحق من ضَمَّني وأنا متحول إليك. فتحوّل إليه، وزوّجه ابنته هنداً.. ثم إن قُباذ ملك فارس بعث إلى الحارث بن عمرو الكندي يطلب لقاءه وكان قُباذ مضعفاً، فجاءه الحارث وصالحه.. فملّكه قباذ ـ أي اعترف به ملكاً ـ على الحيرة والعرب في العراق...» وذكر ابن خلدون أنه لما «هَلَك قُباذ وولِّي أنوشروان ردّ ملك الحيرة إلى المنذر وصالحه الحارثُ فاقتسما مُلك العرب بالعراق»[1]. ولكن فترة حكم قُباذ تدل على أن الحارث بن عمرو الكندي والمنذر بن ماء السماء اشتركا في الحكم ـ أو تقاسما المُلك ـ عندما قوي سلطان قُباذ وانتهى الصراع بينه وبين أخوته على العرش، فأظهر الحارث والمنذر اتفاقهما واشتركا في الحكم، فكانا يحكمان إمارة الحيرة وما إليها سوياً في الفترة التي كان فيها يوسف أسار ذو نواس ملك اليمن ويمتد حكمه إلى أطراف اليمامة ونجد، وكان فيها شرحئيل أشوع اليزني نائباً لذي نواس في نجران ومخاليفها ومعه فرقة عسكرية من قبائل همدان وكندة ومذحج، كما في نقش شرحئيل المؤرخ بعام ٥١٨م. ولا بد من وجود علاقة وثيقة بين سلطة الدولة الحمرية وبين أبناء الحارث بن عمرو الكندي حكام اليمامة ونجد والبحرين وبين الحارث بن عمرو الكندي والمنذر ابن المنذر في إمارة الحيرة وما كان إليها من العراق، لأن الجميع يمنيون.

وفي عام ٥٢١م اشتركت قوة عربية كبيرة بقيادة المنذر ابن المنذر مع الجيش الفارسي في غزو بلاد الروم ـ أي الأراضي التابعة للأمبراطورية الرومانية في بلاد الجزيرة الفراتية المتصلة بتركيا ـ وذلك في عهد الملك الروماني البيزنطي

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٨٧ وص١٦٠.

جوستيان (٥١٩ ـ ٥٢٦م) وقد ذكره ابن خلدون باسم (قيصر يشطيانش) وقال: «مَلَك يشطيانش قيصر لثمانٍ وثلاثين سنة من ملك قُباذ. وفي السنة الثالثة من مُلك يشطيانش غزت الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة وزحف كسرى (قُباذ) في آخرها ومعه المنذر ملك العرب فبلغ الرها وغلب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير، وحمل الفرس أسارى الروم وسباياهم، ثم وقع الصلح بينهما بعد موت قيصر يشطيانش»[١]. ـ ولعله يعني صلحاً نهائياً ـ وإلا فقد وقع الصلح عام ٥٢٢م ـ في عهد يشطيانيش (جوستيان) نفسه، حيث ذكر الأستاذ أحمد أمين أنه: «... لما عُقد الصلح بين الفرس والرومان عام ٥٢٢م كان من شروطه أن يدفع الرومان قدراً من المال لملك الفرس والمنذر»[٢]. وكان ملك الفرس آنذاك قباذ، وكان المنذر يحكم الحيرة مع الحارث بن عمرو الكندي، ولا بد أن الجيش العربي الذي قاده المنذر كان من عرب الحيرة وعرب مناطق شمال شرق الجزيرة التي يحكمها أبناء الحارث بن عمرو الكندي وربما أيضاً من القوات اليمنية المرابطة في محور نجران ـ اليمامة من قبائل وفرسان همدان وكندة ومذحج واليزنيين، مما قد يعني مساهمة الدولة الحميرية في تلك الحملة الفارسية العربية إلى أراضي تابعة للأمبراطورية الرومانية عام ٥٢١م. وأياً كان مدى احتمال تلك المساهمة فإن المنذر والعرب الذين معه كانت غالبيتهم من اليمنيين وربيعة حلفاء اليمن. وقد اضطر القيصر الروماني جوستيان إلى مصالحة فارس على أن يدفع الروم قدراً من المال لملك الفُرس والمنذر ـ عام ٥٢٢م ـ وهو أمر بالغ الأهمية. وخاصة لأن المراسلات والاتصالات بين الملك جوستيان وبين كالب ملك أكسوم والعديد من الأطراف لغزو اليمن جرت عام ٥٢٣ ـ ٥٢٤م ثم وقع الغزو عام ٥٢٥م.

ونشير قبل ذلك إلى أنه ـ كما جاء في تاريخ ابن خلدون ـ «هلك يشطيانش [جوستيان] لتسع سنين من مُلكه. ثم مَلَكَ يشطينانش [يوستنيانوس] قيصر لإحدى وأربعين سنة من ملك قُباذ. وهو ابن عم يشطيانش الملك قبله». [ص٢١٨/ ٢]. وكذلك ذكر ابن خلدون أن قُباذ ملك فارس حكم ٤٣ سنة، وكان الحارث بن عمرو الكندي ملكاً لبلاد الحيرة بالعراق حتى وفاة قُباذ. ويتبين من ذلك:

ـ إن الملك الروماني جوستيان قد حكم من ٥١٩ ـ ٥٢٦م ـ أو إلى أوائل عام

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢١٨ جـ٢.

(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص١٧.

٥٢٧م ـ ثم حكم بعده يوستنيانوس وقد ذكر د. جيمس بريستد أنه «تُوِّج يوستنيانوس إمبراطوراً في القسطنطينية عام ٥٢٧م».

ـ إن قُباذ ملك فارس حكم ٤٣ سنة ـ سوى فترة النزاع على الحكم بينه وبين أخوته التي سبقت ذلك ـ وقد مات قُباذ وتولى الحكم (ابنه) كسرى أنوشروان عام ٥٢٨م ـ أو مطلع عام ٥٢٩م ـ.

ـ إن الحارث بن عمرو الكندي كان ملكاً لبلاد الحيرة إلى وفاة قُباذ، وكان المنذر ابن المنذر ابن ماء السماء ـ وهو زوج هند أخت الحارث ـ شريكاً له في الحكم. قال ابن خلدون: «... وولى أنوشروان بعد الحارث بن عمرو الكندي المنذر.. قال هشام بن محمد: لما قوي سلطان أنوشروان بعث إلى المنذر فملّكه الحيرة وما كان يليه الحارث بن عمرو» [ص١٦٢] ـ ويتبين من ذلك أن الحارث بن عمرو الكندي كان ملكاً لبلاد الحيرة وكان أبناء الحارث (سلمة، وشرحبيل، ومعدي كرب، وحجر) يحكمون اليمامة والبحرين ونجد وغيرها من شمال الجزيرة طيلة فترة عهد الملك يوسف أسأر ذي نواس ملك اليمن (٥١٥ ـ ٥٢٥م) وإن السلطان اليمني كان يمتد في ذلك العهد إلى نهر الفرات بالعراق وإلى بادية الشام.

ثامناً

الغزو الأكسومي المسنود من الرومان لليمن والنهاية التاريخية لذي نواس عام ٥٢٥م

لقد ربطت المصادر التاريخية بين ما قام به الملك يوسف أسار ذي نواس عام ٥١٦م من قتل الحارث بن عبد كلال وبعض الحميريين المسيحيين والأكسوميين وإحراق كنيسة ظفار وبين الاتصالات والكتابات والمراسلات التي جرت لغزو اليمن والقضاء على ذي نواس بعد ثمان سنوات من أحداث ظفار ونجران. وهو أمر يلفت الانتباه، مما قد يشير إلى وجود أسباب إضافية أدت إلى تحريك تلك القضية. وقد ذكرت بعض الدراسات قيام سفن حميرية بمهاجمة سفينة رومانية في البحر الأحمر، وربما كانت تلك الحادثة ـ عام ٥٢٣م ـ من أهم أسباب التحرك والإثارة لأحداث ظفار ونجران في أرجاء المعسكر المسيحي (الذي يؤمن بتأليه المسيح) ـ وخاصة في عام ٥٢٤م ـ بحيث (هاج العالم المسيحي وماج).

وقد جاء في دراسة د. فوزي مكاوي أنه:

«تبارى الكُتاب في تسجيل أحداث ظفار ونجران، وكان الهدف من ذلك إثارة حمية المسيحيين، ومن ثم جاءت مليئة بالمبالغات. لقد ذكر أحد الكتّاب قصة استشهاد الحارث، وكتب آخر كتاباً بعنوان كتاب الحميريين ـ [أو: الشهداء الحميريين] ـ كما كتب سمعان أسقف بيت أرشام خطاباً حول هذه المذبحة ـ [أي مذبحة ظفار] ـ يقال إنه أرسله إلى إمبراطور القسطنطينية وهاج العالم المسيحي وماج وبدأت الاتصالات تُعدُّ لأول حرب صليبية في التاريخ.

وكان أهم الشخصيات المؤهلة بحكم مركزها في العالم المسيحي للاشتراك في الصراع ضد الحميريين هو الامبراطور البيزنطي جستين [جوستيان] والملك الأكسومي كالب، وقد يكون الحافز الديني أحد الأسباب التي استنهضت همة كل منهما ولكنه لم يكن السبب الوحيد، فالامبراطور جستين كان يتحرك من خلال اهتمامات بلاده سياسياً وعسكرياً بالمنطقة كما كان الملك الأكسومي كالب غاضباً لهزيمة جنوده. إن اهتمامهما بما حدث في جنوب الجزيرة العربية يُبين سبب تركيز المصادر على إبلاغ كل منهما بأحداث الاضطهاد للمسيحيين في جنوب الجزيرة العربية. ورغم اتفاق المصادر على إبلاغهما كليهما، واتصالاتهما معاً من أجل تنسيق الجهود المسيحية في المعركة المقبلة، فإن كل مصدر يختلف في تفصيل عملية الإبلاغ. يذكر هشام بن محمد أن رجلًا من أهل نجران خرج حتى قدم على ملك أكسوم فأعلمه بما نكبوا به وأتاه بالإنجيل وقد أحرقت النار بعضه، ويذكر إسحاق أن دوس ذا ثعلبان خرج حتى قدم على «قيصر صاحب الروم» يقصد جُستين، فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما بلغ منهم، وبينما يقوم ملك أكسوم بإبلاغ الأمبراطور البيزنطي في الرواية الأولى يتم العكس في الرواية الثانية[١]. وتذكر مصادر أخرى شخصيات أنيط بها عملية الإبلاغ عن ذلك الاضطهاد ـ من بينها ـ بطريرك الاسكندرية الأنبا ثيموثاوس الثالث (٥١٨ ـ ٥٣٥م) كوسيط في الاتصال بين الأمبراطور البيزنطي ـ الذي هو رعيته ـ وبين الملك الأكسومي ـ الذي هو راعيه ـ. وتذكر الروايات عقد مجمع لآباء كنيسة الاسكندرية تقرر خلاله إرسال بعثة من القسس لإثارة حماس ملك أكسوم[٢] كما تذكر رواية أخرى اشتراك الأنبا (يوتروبيوس) مطران أكسوم في إثارة حماس

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص١٢٤ ـ ١٢٥ جـ٢.

(٢) ذكر ذلك (فاسيليف) في كتاب: ـ

. Vasiliev. Justin the First. Combridge. 1950

الملك الأكسومي كالب[١]. . ويذكر مصدر آخر أن البطريرك السكندري أرسل مع وفد الكنيسة المصرية إلى الملك الأكسومي وعداً بإرسال فرق من الجنود البليميين والنوبيين الخاضعين للامبراطور البيزنطي[٢]. . وانتهت الجهود المسيحية إلى قيام الملك كالب بالدور الرئيسي. . وتركزت جهود بقية القوى المسيحية خاصة بيزنطة في تدعيم هذا الجهد فأرسل الامبراطور جستين دعماً مادياً وأدبياً للملك الأكسومي»[٣].

وليس بين تلك المصادر والروايات أي تعارض فقد شاركت كل تلك الشخصيات والجهات الرئيسية في ذلك، ومن بينهم شخصية يمنية هامة من الأقيال والأذواء هو «دَوْس ذو ثُعْلُبَان الأصغر. وهو من بني نوف ذي ثعلبان الأكبر بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر».

قال الهمداني: «أولد نوف ذو ثعلبان بن شرحبيل: ذا المنصب، وثَقْبان، وذَهْبَان وحسان، أربعة نفر بني ذي ثعلبان. بطون كلها». وجاء في الهامش أنه «إلى ثَقْبان وذَهْبان يُنسب وطن ذهبان وثقبان الواقعان شمال مدينة صنعاء بمسافة ساعتين أو دون ذلك»[٤]. وجاء في القاموس المحيط «ذو ثُعلبان ـ بالضم ـ من الأذواء». قال نشوان الحميري: «لما صنع ذو نواس ما صنع بالنصارى ـ (في نجران) ـ غضب ذو ثُعلبان الأصغر، ومضى إلى ملك الحبشة ودينه دين النصارى، فاستنجده وشكا إليه ما صنع ذو نواس»[٥] وقال ابن هشام: «مضى دَوْس ذو ثُعْلُبَان حتى أتى قَيْصَرَ ملكَ الروم، فاستنصره على ذي نُواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بَعُدَتْ بلادك منا، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره»[٦]. ونرى أن من دوافع ذي ثعلبان أن الملك يوسف أسار ذا نُواس ربما قام بتقليص صلاحيات الأذواء والأقيال إلى حد كبير، فقد كان ملوك العهود السابقة يحملون لقب «. . . كبر أقيال شعوب كذا وكذا. . إلخ» فكان الأقيال هم

---

(١) ذكر ذلك (سيرجو) في كتاب: ـ Sergew. Ancient and Medieval Ethiopian History. AA, 1972.

(٢) ذكر ذلك (فاسيليف) في كتاب: ـ Vasiliev. Justin the First. Combridge. 1950.

(٣) العلاقات بين أكسوم وجنوب الجزيرة العربية في عصر كالب ـ د. فوزي مكاوي ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٢١ جـ٢.

(٥) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٨.

(٦) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٦.

الذين يحكمون تلك الشعوب (أي القبائل الكبيرة ومناطقها) وكان الملك هو كبيرهم فهو الأول بين متساويين. بينما حمل يوسف أسار ذو نواس لقب «ملك كل الشعوب» فهو الملك المباشر لكل شعوب وقبائل أرجاء الدولة الحميرية، فيمكن أن يكون بعض الأذواء والأقيال لم يروقهم ذلك، وإن دافع ذا ثعلبان لم يكن دينياً مذهبياً فقط، ولم يكن يُمثل نفسه فحسب، بل وربما اتفق سرًا مع العديد من الأقيال على أن يتخذوا موقفاً سلبياً عند وقوع الغزو، وهو ما حدث بالفعل.

ولكن دور ذي ثعلبان ـ أيًا كان مدى أهميته ـ فهو أحد الأدوار والشخصيات التي تلتقي خيوطها عند الامبراطور البيزنطي جوستيان قيصر الروم والتي تشمل دور (سمعان أسقف بيت أرشام) ودور (الأنبا ثيموثاس بطريرك الاسكندرية) التابع لجوستيان، وانعقاد مجمع الآباء بالاسكندرية، وتم بذل جهود كبيرة واتصالات واسعة لإقناع الملك كالب ملك أكسوم (الحبشة) للقيام بالدور الرئيسي في الغزو من خلال الرسائل والوفود التي بعثها جوستيان، وقيام (ثيموثاس) بدور الوساطة في الاتصالات لإقناع ملك أكسوم، ثم مسير وفد من الرهبان القساوسة ـ تجمعوا في الاسكندرية ـ إلى ملك أكسوم لإثارة حماسه، وقد بعث بطريرك الاسكندرية وعداً مع وفد الرهبان القساوسة بإرسال فرق من الجنود البليميين والنوبيين للمشاركة في الغزو، بينما التزم الملك جوستيان بالدعم المادي وبإرسال سفن رومانية كثيرة بقادتها وملاحيها الروم لنقل القوات الحبشية الأكسومية والمشاركة في الغزو، وإزاء ذلك كله اقتنع كالب ملك أكسوم، بحيث ـ كما ذكر د. فوزي مكاوي ـ «أرسل الامبراطور جستين دعماً مادياً وأدبياً للملك الأكسومي. وذكر هشام أنه أرسل إليه بسفن كثيرة. فجمع كالب ـ أو اجتمعت لديه ـ (٢٣٠) سفينة من مصادر متعددة ـ (أهمها سفن الامبراطور جستين قيصر الروم) ـ وبدأ كالب في الإعداد لحملته في ميناء جيز (Gabaza) الذي يقع بالقرب من عدُول وربما كان اختيار هذا الميناء لأنه أكثر اتساعاً من ميناء عدول كما يرى سرجيو، وربما كان نوعاً من إحاطة استعداداته بشيء من السرية بعيداً عن عدول الميناء التجاري الذي يتردد عليه كثير من البحارة مختلفي الجنسيات. وعندما أتم كالب استعداداته عبرت قواته البحر»[١].

ويتبين من النقش (رقم ١٠٢٨ جام) أن الملك يوسف أسار ذا نواس كان قد قام بتقوية دفاعات سلسلة المندب والمخاء وساحل تهامة وجزيرة فرسان[٢] ـ

(١) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م. (٢) نقش شرحئيل ذي يزن ـ ١٠٢٨ جام.

أي كل المناطق الرئيسية على الساحل اليمني للبحر الأحمر ـ كما كانت هناك قوة يمنية كبيرة في نجران ومناطقها بقيادة شرحئيل ذي يزن[١] ولم تذكر الروايات منطقة الساحل اليمني التي توجهت إليها قوات الغزو الأكسومية بالسفن الرومانية، ونرى بكل تأكيد أنها ليست نجران وكذلك ليست تهامة والمخاء ـ على ساحل البحر الأحمر ـ وإنما منطقة ميناء قنأ على الساحل الجنوبي لليمن ـ ساحل شبوة وحضرموت ـ حيث ميناء قنأ الكبير في موقع بئر علي حالياً.

وقد جاءت قوات الغزو على متن (٢٣٠) سفينة رومانية بيزنطية كان قادتها وملاحوها من الرومان (الحُمر) أما عدد القوات الأكسومية فقد ذكر نشوان الحميري أنهم: «ثلاثين ألفاً بقيادة كالب ومعه ذو ثُعلبان»[٢] وقال ابن هشام: «قَدِم ذو ثُعلبان على ملك الحبشة بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة، وأقرَّ عليهم رجلًا منهم يقال له أرياط، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثُعلبان»[٣] والصواب أن أرياط كان قائد الغزو الثاني عام ٥٣٣م ـ كما سيأتي ـ أما في الغزو (الأول) عام ٥٢٥م فكان بقيادة كالب ملك أكسوم نفسه، ويؤكد ذلك أن د. فوزي مكاوي نقل عن بروكوبيس أنه «يذكر بروكوبيس أن كالب كان على رأس قواته»[٤] فيكون عددهم كما ذكرنشوان «ثلاثون ألفاً» وذلك سوى الرومان (الحمر) والرهبان (القساوسة) الذين جاءوا في سفن الغزو، ولما نزل الغزاة وملكهم كالب بمنطقة ساحل اليمن (منطقة ميناء قنأ غالباً) كان ذلك قد بلغ الملك يوسف أسار ذو نواس، قال ابن هشام: «وسار إليهم ذو نواس في حِمير ومن أطاعه من قبائل اليمن»[٣] وذلك لأن بعض الأقيال والأذواء لما استنفرهم ذو نواس امتنعوا عن المشاركة وقالوا (كل واحد يدافع عن مقولته)، وكذلك لأن غالبية القوات اليمنية كانت في محور مناطق ظفار ـ تهامة بقيادة (سميفع أشوع بن شرحبيل يكمل ذي يزن وجدن) وأخوته، وكذلك في محور نجران بقيادة شرحئيل ذي يزن، فلم يستنفرهم ذو نواس أو لم ينتظر قدومهم، وإنما بادر بالمسير بمن معه من الجيش (حمير) ومن أجابه من القبائل إلى منطقة الساحل اليمني التي نزلت فيها قوات الغزو بقيادة كالب ملك أكسوم.

قال نشوان الحميري «فلقيهم ذو نواس بمن معه فقاتلهم، فلما رأى إنه لا

---

(١) نقش شرحئيل ذي يزن ـ ١٠٢٨ جام.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٨.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٦ ـ ٣٧ جـ.
(٤) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م.

طاقة له بهم، اقتحم البحر بنفسه وفرسه، فغرق فيه»[١] وقال ابن هشام: «لما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وَجَّهَ فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضَاحَ البحر حتى أفضى به إلى غَمْره[٢] فدخل فيه، وكان آخر العهد به»[٣]. وكذلك جاء في تاريخ الطبري أنه «رأى ذو نواس ألّا طاقة له بهم، فركب فرسه، واعترض البحر فاقتحمه فكان آخر العهد به»[٤].

وقال نشوان الحميري في قصيدته عن تاريخ ملوك حمير:

أوْ ذو نُـواسٍ حـافـرُ الأُخـدود فـي ... نَـجْـرَانَ لـم يَـخْـشَ احـتـمـالَ جُـنـاحِ
ألـقـى الـنَّـصـارى فـي نِـيـار أُجِّـجَـتْ ... بـوَقُـودِ جـمـرٍ مُـضـرَمٍ لَفَّـاحِ
فـدعـا لـه ذو ثُـعـلـبـانَ أحـابـشـاً ... مـنـهـم بـقـاعُ الأرض غـيـرُ ضَـواحِ
فـتـقـحَّـمَ الـبـحـرَ الـعـمـيـقَ بـنـفـسـه ... وسـلَاحِـه وجـوادِه الـسَّـبّـاحِ
فـغـدا طـعـامـاً بـعـد عـزٍّ بـاذِخ ... لـلـحـوت مـن نُـونٍ ومـن تِـمْـسـاحِ[٥]

وقال علقمة بن ذي جدن يذكر تلك النهاية التاريخية للملك يوسف أسار ذي نواس:

أوَ مَـا سـمـعـتَ بـقَـيْـلِ حِـمْـيَـرِ يـوسـف ... أكـل الـثـعـالـفُ لـحـمـه لـم يُـقْـبـر
ورأى بـأن الـمـوت خَـيـر عـنـده ... مـن أن يـديـن لأسـود أو أحـمـر[٥]

يعني بالأسود الأحباش وبالأحمر الرومان.

وبتلك النهاية التاريخية انتهى عهد ذي نواس عام ٥٢٥م وتمركزت قوات الغزو الأكسومية بقيادة كالب ملك أكسوم والذين معه من الرومان (الحمر) والرهبان (القساوسة) بمنطقة الساحل اليمني، ثم ما لبث أن زحف إليهم سميفع أشوع بن شرحبيل يكمل بغالبية الجيش الحميري وقبائل اليمن فحاربهم وهزمهم وقتل ملكهم كالب وتتبع فلولهم إلى ساحل الحبشة وذلك في نفس العام كما سجل ذلك نقش سميفع في موقع حصن الغراب بميناء قنا والمؤرخ بعام ٦٤٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٥٢٥ ميلادي، وأصبح سميفع أشوع بن شرحبيل يكمل أول ملوك العصر الثالث للدولة الحميرية الذي إليه ننتقل.

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٨.
(٢) الضحضاح من الماء هو الماء القليل الذي يظهر منه القعر والذي بلغ الكعبين. والغَمْر: هو الماء الكثير.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٦ ـ ٣٧ جـ.
(٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص١٢٧. (٥) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٧ و١٤٩.

تاريخ العصر الثالث
للدولة الحميرية
(٦٤٠ ـ ٧٠٨ حميري/ ٥٢٥ ـ ٥٩٣ ميلادي)

المبحث الأول

عهد سميفع ذي الكلاع
ملك حمير . . الذي قضى على الغزو الحبشي الروماني الأول
(٦٤٠ ـ ٦٤٨ حميري/ ٥٢٥ ـ ٥٣٣م)

يظن البعض أن الدولة الحميرية انتهت بالغزو الحبشي الأكسومي المسنود من الرومان ونهاية ذي نواس عام ٥٢٥م بينما ليس الأمر كذلك، ففي نفس ذلك العام تولى زعامة اليمن واليمنيين الأمير القائد القيل (سميفع أشوع ذو الكلاع ويزن وجدن . . .» فحارب وهزم الأحباش وملكهم كالب والذين معه من القادة الرومان (الحمر) والقساوسة (الرهبان) في منطقة الساحل اليمني التي كان يقع فيها ميناء قنأ المشهور في ساحل شبوة ـ حضرموت، كما يسجل ذلك نقش سميفع أشوع في موقع قلعة ماوية ـ (حصن الغراب حالياً) ـ في موقع مدينة وميناء قنا ـ (بئر علي حالياً) ـ والمؤرخ بعام ٦٤٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٥٢٥ ميلادية[١] فأصبح سميفع ملكاً للدولة الحميرية، وقد ذكرته المصادر الرومانية وذكره بروكوبيوس باسم اسيمافيوس ملك حمير ESIMIAFAEOS. وتم العثور أيضاً على نقش ثان من عهده يحمل فيه لقب (ملك حمير) وجاء التوجه الديني في هذا النقش الثاني للملك سميفع باسم «الرحمن وابنه المسيح الغالب»[٢] بما يعني أن الملك سميفع اعتنق ديانة مذهب الطبيعة الواحدة، وكذلك ارتبط بعلاقة مع الملك البيزنطي الروماني جوستنيان (يوستنيانوس) حيث بعث الملك جوستنيان ـ قيصر الروم ـ الذي تولى الحكم عام ٥٢٧م وفداً إلى

(١) نقش سميفع أشوع في حصن الغراب ـ النقش رقم (C.I.H. 620).
(٢) نقش سميفع في متحف استنبول ـ النقش رقم ٣٩٠٤ ركمانز.

سميفع ملك حمير حوالي عام ٥٢٩م وقد استمر عهد سميفع هذا إلى عام ٥٣٣م وانتهى بالغزو الأكسومي الحبشي الثاني عام ٥٣٣م وفيما يلي النبأ اليقين عن عهد سميفع أشوع ذي الكلاع ووثائق ومعالم عهده.

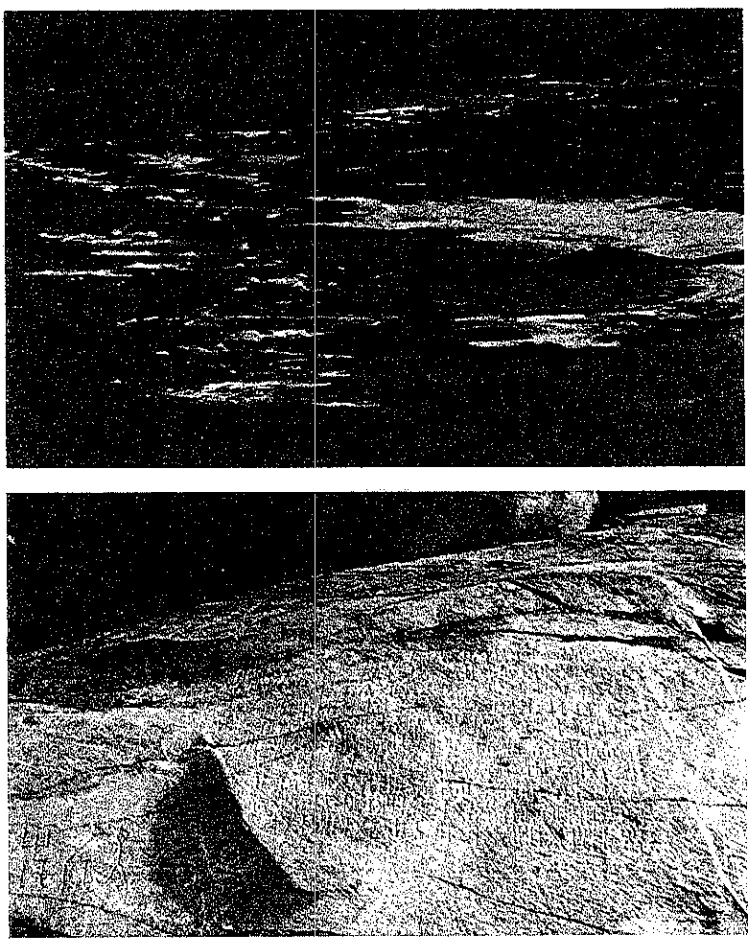

نقش سميفع ذي الكلاع في ميناء قنا بموقع حصن ماويه (حصن الغراب)

أولًا

نقش سميفع أشوع ذي الكلاع في حصن الغراب عن دحر الأحباش عام ٥٢٥م

تقع مدينة ميناء قنا على ساحل البحر وهي «مدينة مسورة يرتفع بالقرب منها على صخرة بركانية (عرّ/ ماوية) أي (حصن ماوية) الذي يعرف حالياً بحصن

الغراب. وتوجد على قمة الصخرة بقايا معبد كبير كما توجد أنظمة لحفظ المياه»[١] وأهم أثر تاريخي في قنأ ـ في موقع حصن الغراب ـ هو نقش سميفع المؤرخ بعام ٦٤٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٥٢٥ ميلادي:

ويبدأ النقش باسم (سميفع أشوع) واثنين من الأقيال هما (شرحبيل يكمل) و(معدي كرب يعفر) بني (لحيعث يرخم) ـ بن شرحبيل يكمل ـ ويحمل سميفع أشوع معهما في النقش اللقب الطويل التالي نصه:

«الهت الكلاع (كلعن) وذو يزن، وجدن، ومثلن، وشرفن، ويثعن، ويسرم، ويرس، ومكربم، وعقهت، وبساين، ويلغب، وغيمان، ويصبر، وجبحم، وجدوين، وكسرن، ورخية، وجردان، وقبلن، وشرجن، وملحم.

ـ كبار أقيال قبائل ـ وحاظه، والهان، والسلف، وضيفتن، ورثحم، والركب، ومطلفتن، وسأكلن، وسكرد. كبار ومحارج سبأن ذي نسف» (سطر ١ ـ ٦).

ثم يذكر النقش أن سميفع أشوع والذين معه سطروا هذا النقش المسند في حصن ماويه (عر/ماويه) عندما رمموا سوره وبابه وصهاريجه وطريق العقبة الصاعدة إليه وحصنوه عندما عادوا من أرض الحبشة (حبشت) بعد أن زرفوا (زرفتن) الأحباش الذين بأرض حمير وقتلوا ملكهم وقادته (أقياله) الحُمر (أحمرن) والرهبان (أرهبن) ـ [سطر ٦ ـ ٩].

وينتهي النقش بتاريخ كتابته وهو عام ٦٤٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٥٢٥ ميلادية[٢].

ويتبين من ذلك النقش ما يلي:

١ ـ إن الغزو الحبشي إلى اليمن (أرض حمير) كان عام ٥٢٥م، وتتفق المصادر والدراسات على ذلك التاريخ، بل ويتخذ الدارسون من تاريخ النقش (عام ٦٤٠ حميري) أساساً لمعرفة أن العام الأول في التقويم الحميري يوافق عام (١١٥ ق.م). لأن عام ٦٤٠ حميري يوافق عام ٥٢٥ ميلادية[٣].

٢ ـ ويؤكد النقش أيضاً أن أولئك الغزاة الأحباش كانوا مع ملكهم وقادته الحُمر والرهبان (أحمرن/ وارهبن) وقد افترض بعض الدارسين المستشرقين والذين

---

(١) الدليل السياحي ـ عدن ص١٧٠.

(٢) النقش رقم (C.I.H. ٦٢٠) + تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٦ + في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ص١٦٦ ـ ١٦٨.

(٣) الموسوعة ـ مطهر الأرياني ـ ص٢٨١/١.

حذا حذوهم د. محمد بافقيه وآخرون أن المقصود ملك حمير (ذو نواس) وقادته الحميريين والأرحبيين، وهو تصحيف وتأويل بعيد عن منطوق النقش وعن الحقيقة، فالنقش إنما يذكر الأحباش الذين غزوا أرض حمير وملكهم وقادته الحمر والرهبان (أحمرن/ وأرهبن). وقد ذكر نشوان الحميري أن الأحباش كانوا بقيادة (كالب) وكذلك «ذكر بروكوبيس أن الملك كالب كان على رأس قواته»[1] أما قادته الحمر (أحمرن) فهم الرومان وقد ذكرهم بنفس اللفظ علقمة ن ذي جدن حيث قال:

أوَ ما سمعت بقيل حِمْيَر يوسف أكل الثعالفُ لحمَه لم يُقْبَرِ
ورأى بأن الموت خير عنده من أن يدين لأسود ولأحمر

ويعني بالأسود الأحباش وبالأحمر الرومان، وقد كان معهم أيضاً جمعٌ من القساوسة الذين كانوا ساروا إلى الحبشة لإثارة حماس كالب ملك أكسوم ثم اشتركوا معه في الغزو، وهم الرهبان (أرهبن) في النقش. وكان الملك يوسف أسار ذو نواس قد تعجل في مواجهتهم، فلما رأى أن لا طاقة له بهم اندفع بحصانه إلى البحر وغاب في أعماق البحر، فتمركز ملك الحبشة وقواته وقادته الحُمر والرهبان في المنطقة الساحلية التي من ضمنها ميناء قنا واحتلوا تلك المنطقة وانتشروا فيها.

٣ ـ وفي نفس ذلك العام ـ ٥٢٥م ـ فإن سميفع أشوع (ذي الكلاع) ـ الذي كان من كبار الأقيال في عهد يوسف أسار ذي نواس ـ قام بقيادة جيش وقبائل مناطق اليمن الذين ذكرهم في لقبه بالنقش فهاجموا وقتلوا الأحباش وملكهم (كالب) وقادته الحمر (الرومان) والقساوسة (الرهبان) بتلك المنطقة من الساحل اليمني، حيث ـ كما ذكر النقش ـ إن سميفع والذين معه «زرفوا الأحباش الذين بأرض حمير وقتلوا ملكهم وقادته الحمر والرهبان». ومن ثم قاد سميفع ذو الكلاع وشرحبيل ومعدي كرب مطاردة فلول الأحباش إلى ساحل بحر الحبشة ثم عاد سميفع والذين معه إلى ميناء قنا وقام بترميم وتحصين قلعة ماوية وكتابة هذا النقش في ذلك العام ٦٤٠ حميري/ ٥٢٥م، حيث أصبح سميفع رئيس وملك الدولة الحميرية. ونشير هنا إلى ما يلي:

أ ـ إن ثبوت صيرورة سميفع ملكاً للدولة الحميرية في نفس العام الذي وقع فيه

---

(١) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م ـ فوزي مكاوي عن كتاب بروكوبيس: Procopius, The History of Wars.

الغزو بقيادة كالب ملك أكسوم ـ أي عام ٥٢٥م ـ قد أدى إلى أن بعض الدارسين المستشرقين والذين حذا حذوهم بعض الدارسين العرب ومنهم د. فوزي مكاوي ود. محمد بافقيه قاموا بتأويل ذلك بحيث قال د. فوزي مكاوي: «إن الملك كالب عيّن على اليمن أحد المسيحيين الحميريين ويدعى سميفع أشوع كما ورد في النقوش العربية الجنوبية أو الملك ESIMIFAEOS كما يطلق عليه بروكوبيس». ثم يضيف فوزي مكاوي قائلاً «الطريف حقاً هو أن شخصية سميفع أشوع تجهلها تماماً المصادر العربية»(١).

ب ـ والواقع أن المصادر العربية ذكرت ما قام به سميفع أشوع ولكنها نسبت ذلك إلى ذي نواس ـ أي إنها دمجت بين ذي نواس وسميفع ـ فبينما كانت نهاية ذي نواس كما سلف التبيين، يذكر نشوان الحميري أنه كان «بعث النجاشي قائداً يقال له كالب في ثلاثين ألفاً إلى اليمن، فلقيهم ذو نواس، فقال لهم: نحن سامعون مطيعون فدونكم اليمن فهذه مفاتيح خزائنها فابعثوا إلى مخاليفها.. فافترقت الحبشة في المخاليف، فلما صاروا بها كتب ذو نواس إلى رؤساء حمير: أن يذبحوا كل ثور أسود عندهم، فعلموا ما أراد، فوثبوا على الحبشة فقتلوهم حتى أفنوهم»(٢). أي الثلاثين ألفاً وقائدهم الملك كالب.

وكذلك يذكر د. فوزي مكاوي عن تاريخ الطبري وهشام ابن الكلبي: «إن ذا نواس نجح في خداع الحملة الحبشية وفرّقها في البلاد عندما تظاهر بالتسليم للأكسوميين وأغراهم بالحصول على خزائن الأقاليم اليمنية، ووقع القائد الأكسومي (كالب) في الخطأ ووثق بعدوّه وفرّق جنوده في البلاد، فما كان من ذي نواس وأبناء القبائل إلا أن هبوا هبة رجل واحد على الحبشة فقُتِل منهم من قُتل ولم يبق منهم إلا الشريد»(١).

فذلك القضاء على الغزاة الأحباش وقائدهم الملك كالب هو الذي تم بقيادة سميفع أشوع في نفس العام الذي وقع فيه ذلك الغزو الحبشي الأكسومي الأول ـ عام ٥٢٥م ـ ولذلك وقع الالتباس في الروايات العربية بأن الذي قضى عليهم هو ذو نواس وإن كالب كان قائد أولئك الأحباش ـ الثلاثين ألفاً ـ الذين

(١) مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩ ـ دراسة فوزي مكاوي.

(٢) قصيدة نشوان ـ ص١٤٨.

بعثهم النجاشي ملك الحبشة، والصواب أن كالب هو نفسه ملك الحبشة (نُجشت حبشت = نجاشي الحبشة) وإن الذي قضى على أولئك الأحباش وملكهم كالب هو (سميفع أشوع) وأقيال وقبائل اليمن الذين معه حيث ـ كما جاء في نقش سميفع ـ «زرفوا الحبشة وقتلوا ملكهم وأقياله الحمر والرهبان» ـ فذلك يُقابل تماماً ما ذكره نشوان بأنهم «وثبوا على الحبشة فقتلوهم حتى أفنوهم». وما ذكره هشام الكلبي بأنهم «هبوا هبة رجل واحد على الحبشة فَقُتل منهم من قُتِل، ولم يبق منهم إلا الشريد» فالذي قام بذلك هو (سميفع أشوع)، فالمصادر العربية ـ وإن التبس فيها النبأ ـ ولم تذكر اسم سميفع ـ فقد ذكرت ما قام به وهو القضاء على أولئك الغزاة الأحباش وملكهم كالب وإنه «لم ينج منهم إلا الشريد». ثم ذكرت الغزو الثاني (عام ٥٣٣م) الذي وقع بعد تسع سنين من القضاء على الغزو الأول، ويهمنا هنا الغزو الأول الذي تم القضاء عليه في نفس عام الغزو ـ عام ٥٢٥م ـ ولم ينجُ من أولئك الثلاثين ألفاً إلا الشريد.

جـ ـ وقد ذكر نقش سميفع أشوع أن سميفع أشوع وشرحبيل يكمل ومعدي كرب سطروا هذا النقش عندما عادوا من أرض الحبشة. وقد تساءل د. بافقيه تعليقاً على ذلك قائلاً: «السؤال هنا هو ماذا كان يفعل سميفع [والذين معه] في الحبشة؟»[١] ـ ولم يُجب على التساؤل ـ والجواب الذي يتبين من مجمل ما سلف هو إنهم طاردوا فلول الحبشة الذين شردوا عند مقتل ملكهم وأغلب جيشه وقادته الحمر والرهبان، فتم مطاردة وتعقب الشاردين إلى ساحل الحبشة ثم عاد سميفع والذين معه إلى ميناء قنا وقام بترميم وتحصين قلعة ماوية وكتابة نقشه المسند في ذلك العام ـ عام ٦٤٠ حميري الموافق عام ٥٢٥ ميلادي.

د ـ وقد ذكر د. فوزي مكاوي في عنوان دراسته أن عهد الملك كالب من عام ٤٩٤ ـ ٥٢٥م[٢]. وهذا يؤكد أن الملك كالب انتهى عام ٥٢٥م، ويؤكد بالتالي أنه ملك الحبشة الذي ذكر نقش سميفع مقتله عام ٥٢٥م.

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٦.

(٢) العلاقات بين أكسوم وجنوب الجزيرة العربية في عهد الملك كالب ٤٩٤ ـ ٥٢٥م ـ فوزي مكاوي ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م.

ثانياً

من هو سُميفع أشوع ذو الكلاع.. ملك حِميَر؟

لقد أصبح سميفع أشوع ذو الكلاع رئيساً للدولة الحميرية منذ ذلك العام (٦٤٠ حميري/ ٥٢٥ ميلادي) وأياً كان رأي (بروكوبيوس) حول تمليكه فقد ذكر أنه «تولى حكم اليمن ملكٌ من نصارى حمير اسمه أيسميفوس «ESImifaeos» وهو كما ذكر د. فوزي مكاوي ود. محمد بافقيه أيضاً (سميفع أشوع) وكذلك ذكر «ثيوفانس البيزنطي أن الملك جوستنيان بعث وفداً إلى سميفوس ملك حمير» وذلك حوالي عام ٥٢٩م ـ كما سيأتي ـ وقد استعرض د. محمد بافقيه لقب سميفع أشوع في نقش حصن الغراب ثم قال: «هذا هو إذن سميفع أشوع.. فمن هو سميفع هذا؟...» ثم قال: «إن ما يهمنا هنا هو هوية سميفع هذا الذي خذل ذا نواس والذي اعتلى العرش بعد ذلك كما يقول بروكوبيس، والذي يعود إليه ـ أيضاً ـ نقش مثلوم (من مقتنيات متحف اسطنبول) يظهر منه إنه اعتنق المسيحية»[1] وقد حاول د. محمد بافقيه أن يربط بين سميفع أشوع هذا وبين القيلين المذكورين معه في نقش حصن الغراب «شرحبيل يكمل ومعدي كرب يعفر بني لحيعة يرخم/ ذو يزن وجدن» فافترض أنهما ابنا أخيه، ولكن مما يخل بتلك الفرضية أن النقش لم يقل ذلك، ولو كان سميفع من بني ذي يزن وجدن لبدأ اللقب بذلك، ولكنه بدأ اللقب بأنه (ذو الكلاع) وقد أشار بافقيه نفسه إلى ذلك في هامش قال فيه «لاحظ تقدم (الكلاع) في اللقب»[1] ونرى أن النقش بذلك ينطق بوضوح بأن سميفع من آل الكلاع وإنه ذو الكلاع ثم إن النقش ذكر القبائل التي هو كبير أقيالها بأنها (وحاظه، والهان، والسلف.. إلخ). فبدأ بذكر (وحاظه) كقبيلة ومنطقة، وهي قبيلة وقاعدة ذي الكُلاع.

وبالبحث في كتاب الإكليل وجدنا النبأ اليقين عن سميفع ذي الكلاع، فقد ذكر الهمداني «نسب الكلاع» بأنهم: (بنو وحاظة بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر) ثم ذكر تفرع نسبهم وبطونهم وهو نسب طويل، يأتي في الجيل الثالث عشر منهم ناكور، وهو: ناكور بن زيد بن شرحبيل بن أسود بن عمرو بن مالك بن يزيد ذي الكلاع

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٦٩ و١٧٠ و١٧٢.

الأكبر بن يعفر بن زيد بن نعمان بن زيد بن شهال[١] بن وحاظه.

فأنجب ناكور بن زيد: عمرو بن ناكور، ويعفر بن ناكور، ورَوْح بن ناكور. فأنجب عمرو بن ناكور: يزيد ذا الكلاع الأصغر بن عمرو بن ناكور. ويرى بعض حمير أن تُبّعاً ذكر يزيد ذا الكلاع الأصغر هذا. أي أن يزيد ذا الكلاع هذا هو الذي كان قائد أسعد تُبّع. وقد انتقد الهمداني ذلك لأن أسعد تُبّع بن ملكي كرب قديم. ونرى أنهم يقصدون أن يزيد ذا الكلاع هذا هو قائد أسعد تُبّع الثاني بن حسان، وإن قولهم صحيح، فقد حكم أسعد تُبع بن حسان في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وكان يزيد ذا الكلاع بن عمرو بن ناكور من قادته وهو المذكور في الشعر المنسوب إلى أسعد تُبّع أنه قال:

وجعلنا على المجنبة اليمنى أخا الحرب ذا الكلاع يزيدا

قال الهمداني: «وأولد يعفر بن ناكور: السميفع بن يعفر، وحيّ بن يعفر، وشرحبيل بن يعفر، ومرّاً ذا سخيم بن يعفر. والسُميفع ـ بن يعفر بن ناكور ـ هو الذي بني مصنعة وحاظه، وعليه تكلعت الكلاع من الكلاع وغيرها من قبائل حمير، مثل غربَة وعنّة والأشروع ونخلان ويكالم وشقحب وزُنجع وبهيل والقَفَاعة وذي مناخ وبعدان وريمان وعروان ونعيمة والخباير والسحول ودمت وحميم»[٢]. قال الهمداني: «والتكلع: الاجتماع»[٢].

ونتهي من ذلك إلى إدراك ما يلي:

١ ـ إن يزيد ذا الكلاع بن عمرو بن ناكور كان من قادة عهد أسعد تُبع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) فهو ـ أي يزيد ـ ذو الكلاع وقائد قبائل الكلاع في حروب أسعد تُبّع بن حسان، ولا بد أنه استمر كذلك بعد عهد أسعد، أي حتى وفاة يزيد ذي الكلاع، ويمكن أن يكون عاش إلى ما بعد أسعد بثلاثين سنة.

٢ ـ إن سميفع ذا الكلاع بن يعفر بن ناكور أصبح هو (ذو الكلاع) بعد يزيد بن يعفر بن ناكور، فيكون ذلك في عهد يوسف أسأر ذي نواس بن أسعد بن حسان (٥١٥ ـ ٥٢٥م) وبالتالي فهو (سميفع أشوع ذو الكلاع) الذي تولى

---

(١) قال الأكوع في هامش الإكليل: «شهال بضم الشين ويقال لهم الشهالي، وهي عزلة ملحقة بمدينة جبلة مربوطة بناحية إب، ويسكنها بنو الشهالي وهي من أكثر بلد الكلاع نخلاً وفيها شجرة البن». [ص٢٦٤/ ٢].

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٦٥ ـ ٢٦٦ جـ٢.

رئاسة الدولة الحميرية بعد نهاية ذي نواس وقام بالفتك بالحبشة وقَتْل ملكهم وقادته الحمر والرهبان، كما في نقش حصن الغراب ـ عام ٥٢٥م ـ وأصبح ملك حمير.

٣ ـ إن مما أهّل سميفع ذو الكلاع للقيام بذلك الدور ما جاء في الإكليل من أن السُميفع هو الذي «عليه تكلعت الكلاع من الكلاع وغيرها من قبائل حمير».

فهو ـ أولًا ـ زعيم قبيلة وبلد الكلاع، وهو ـ ثانياً ـ اجتمعت تحت قيادته أيضاً غير الكلاع من قبائل حمير ـ أي تكلعت ـ فصارت جميعها كلاع لأن قائدها سميفع ذو الكلاع. قال الهمداني: «... وسُمّي ذا الكلاع أي قائد الكلاع».

وقد ذكر الهمداني بلاد الكلاع ومناطقها وبطون الكلاع في عدة مواضع من كتاب صفة الجزيرة، حيث قال الهمداني:

«بعدان وريمان والشِّعر من بلد الكلاع» [ص١٣٣].

وقال: «... من بلد الكلاع: نخلان، والثجة، والسحُول، والملحة، وظبا، وقلامة، والمذيخرة، وريمة، وقرعد، وحرقة، وملحَّة، وموضان، والخنن، والرَّبادي، وتعكر، والزواحي. وغور سراة الكلاع: الجبجب، ووحفات، ووحاظه. وقبلة بلد الكلاع: قينان، ومنوب، وشيعان والصَّنع وهما واديان وفيهما الوَرْسُ الناهي، ويخار، وصَيْد. ومغرب الجميع في بلد الكلاع الوحش» [ص١٠١].

وقال: «وادي رسيَان مآتيه الجَنَد من شرقيه، وشمالي جبل صبر، ومن حدود الكلاع: الثُجَّة من يمانيها، ونَخْلان، وظَبَا، والعلى، والمنحج، والعشش، والمطلوع، ووادي أبنة، وجميع شعاب شظة، والشعبانية من وجوه صبر، وقاع الأخباش، ووادي الظبّاب إلى القرعاء من مناهل برداد، وشرقي ذخر وشآميه، وجميع الجُريبَة من أوطان الكلاع أرض القفاعة وأرض شرعب» [ص١٢٩].

وقال: «وادي نخْلة مصابةُ من قتاب بلد الكلاع فمن معاين وقرْعد وبلد القُفاعة وهي جنوبي الوادي. ملتقى هذه المياه إلى الموكب ثم وادي نخلة فيه الموز والمُضار والحِنَّاء وجميع الخُضر وإليه أيضاً بعد أن تنتهي إليه المياه من الموكف تنتهي إليه مياه أرض حُبل وأرض شرعب وطلاق وحصن جوالة وجبل الصيرة وكل هذه جنوب وادي نخلة، ومن شماليها جبل دمت، وحميم، وعذاق، ووادي نزال، والرواهد، والوزيرة، وجبل المرير، والفواهة، ثم يلقاه

وادي الملح من أرض الرْكب وجنوب نخلة فيسكبان بحيس ويقطعانها إلى البحر» [ص١٣٢].

فمن مناطق بلد الكلاع سالفة الذكر:

أ ـ بَعْدَان: وهي مديرية بعدان حالياً بمحافظة إب، قال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع: «بَعْدَان مخلافٌ رحيب، جليل أمره، جميل وصفه، خصيب التربة، رقيق الهواء، نضر الأرجاء، عذب المياه، كثير المنتجات».

ب ـ رَيْمان: وريمان هو من نفس جبل بعدان وهو الجبل الشامخ الذُرى الذي تربض على سفحه مدينة إب. وقد ذكر الهمداني أيضاً بعدان وريمان في بطون الكلاع حيث قال: «وبطون الكلاع وهي بطون من حمير، منها السحول بن سواده، والخبايِر بن سواده، ونعيمة، وغلاَس، وعُنَّة، وجباء الذي ينسب إليه جبأ المعافر، وزَنْجع، وبهيل، والقفاعة بن عبد شمس، وذو مناخ، وبعدان، وريمان، وعرْوَان، والسّلف بن زُرْعَة، والصرادف، والمواجد، وبنو علقان، ومن هذا المخلاف جبل بعدان، وجبل أَدِم، وسْلْيَة، وإرياب موضع ذي فائش الذي مدحه الأعشى ـ أعشى قيس الجاهلي ـ وفيه يقول:

بِبَعْدان أوْ رَيْمَان أو رأسِ سَلْيةٍ ... شِفَاء لمنْ يَشْكوُ السَّمائمَ بارِدُ
وبالقصر من إرياب لوْ بِتَّ ليلةً ... لجاءَك مثلُوجٌ مِن الماءِ جامِدُ»[1]

جـ ـ إرياب: قال الهمداني في الإكليل: «إرياب في رأس جبل أدَم من يحصب العلو وهو رأس صَيد»[2] ـ أي رأس نقيل سمارة حالياً. وجبل أدم هو كما ذكر الأكوع «الجبل الناتئ المطلّ على قرية سمارة» [ص٢١٢] ـ وذلك في مديرية يريم حالياً حيث كان يقع قصر إرياب.

د ـ سَلية: حصن جبل شَخَبْ عمار في مخلاف عَمار بقضاء النادرة. وكان اسم جبل شَخَبْ عمار سلية. وقد ذكر الهمداني في النص السالف: إن من مواطن الكلاع (جبل أدم. وسَلْيَة). وقال أيضاً في الصفة: «مخلاف العود وذي رُعين: وفيه جبل حبّ وسحلان ووراخ لبني موسى من الكلاع» [ص٢١٥].

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٢١٠ ـ ٢١٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص١٩٩ جـ٢

وقال في الإكليل: «العَوْد: وإليه يُنسب جبل العود بناحية سحلان» [ص١٤٧/ ٢] وجبل العود معروف حتى اليوم في قضاء النادرة، وهذا يعني أن عمار والعود كانت كلاعية، وهي ـ والشِّعر ـ من ذي رعين.

و ـ **الشِّعْر**: قال الهمداني: «بَعْدَان وريمان والشِّعر من بلد الكلاع» [ص١٣٣] ـ والشِّعر مخلاف ما يزال اسمه (الشِّعر) حتى اليوم في قضاء النادرة. ويمتد في ثلاث مديريات هي النادرة والرضائي والسدة. قال القاضي الأكوع في هامش الإكليل «الشِّعر: مخلاف رَحْبُ يشتمل على عدة عزل، كثير المنتوجات، كثير الغلال» [ص٣٦٧/ ٢] ويتاخم مخلاف الشعر مخلاف بعدان سالف الذكر الذي في سفح جبله تقع مدينة إب.

ز ـ **الثجّة والسحول**: الثجه بلدة كانت عامرة في جبل التعكر. قال الأكوع: «وقد يطلق المعاصرون عن أسلافهم أن الثجة مدينة إب» ـ أي اسم قديم لمدينة إب ـ أما السحول فما يزل اسمه السحول حتى اليوم وهو وادي مشهور يمتد من عقبة الذهوب في مدينة إب جنوباً إلى القفر شمالاً وما اكتنف ذلك من الهضاب والآكام والشعاب شرقاً وغرباً. وقد ذكر الهمداني أيضاً (مَلَحة) وهي من السحول.

ح ـ **صَيْد والمخادر**: صَيْد ـ بفتح الصاد ـ وهو جبل سُمَارة الممتد في عدة مديريات من محافظة إب. وقد سلف قول الهمداني «وقبلة بلد الكلاع قينان ومنوب وشيعان والصَّنع ويخار وصَيْد». وقال أيضاً: «من بطون الكلاع.. وادي النُّهى، وينان، وصَيْد»[1] وتقع قينان شمال مركز المخادر، أما شيعان والصَّنع فهما واديان، ويطلُّ جبل سمارة على وادي الصنع من الجنوب، ويخار يطلُّ على شيعان من الشمال. وأما وادي النُّهى فيقع ما بين علقان وبلدة المخادر، وعلى عدوته تقع قرية الدليل اليوم.

ط ـ **الرَّبَادي والتَعْكر**: قال الهمداني «من بلد الكلاع.. الربادي وتَعْكر والزواحي». وقال أيضاً: «من بطون الكلاع.. وادي النُّهى وعلقان وقينان وصَيْد والزَّوَاحي والربادي وتعكر» [ص٢١٢].

وتقع الربادي في مديرية جِبْله بمحافظة إب حالياً وكذلك التعكر. قال الأكوع في هامش الصفة: «الربادي عزلة خصبة تقع جنوب مدينة جبله، وفي أعلاها يقوم حصن التعكر الشهير وهو حصن عظيم الشأن ومن أقدم معاقل اليمن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص١٩٩ جـ٢

وأحصنها. قال ابن سمرة في كتاب الطبقات: حدثني السلطان وائل بن عليّ بن أسعد الكلاعي الحميري أن التعكر أُسس قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة) [ص١٩٥] وذكره الأمير محمد بن أبان الخنفري بقوله في قصيدة له في الإكليل:

وفوق التعكرين لنا قصورُ تشايد الشرامخة الطوال

وقال شاعر للملك علي بن محمد الصليحي:

طالت ذُرىٰ تعكر فيها بكونك في عليائها علماً أو في عُلا علم

ي ـ **الزَّوَاحي وثومان**: أما الزّواحي فتقع في جبل حُبَيْش بعزلة العارضة. وقد ذكر الهمداني في بطون الكلاع «... الزَّوَاحي... وثومان». والثومان قرية كبيرة في أعلى جبل خضرا في حُبَيْش. وكذلك ذكر الهمداني «... الضمادي» وهي أيضاً قرية كبيرة في أعلى جبل خضرا في حُبَيش.

ك ـ **وُحَاظَة قاعدة الكُلَاع**: لقد استهل (سميفع أشوع ذو الكلاع) القبائل التي ذكرها في نقش حصن الغراب بذكر «وُحَاظة» وهي قاعدة أرض قبائل الكلاع كلها بصفة عامة، وقاعدة وبلدة آل الكلاع وسميفع ذي الكلاع بصفة خاصة، فقد سلف تبيين نسب آل الكلاع بأنهم من (بني وُحَاظة) وإن سميفع من الجيل الخامس عشر من بني وحاظة فهو:

(سُميفع أشوع بن يعفر بن ناكور بن زيد بن شرحبيل بن سود بن عمرو بن مالك بن يزيد بن يعفر بن زيد بن نَعْمان بن زيد بن شُهال بن وحاظة).

قال الأكوع في هامش الصفة «كانت وحاظه تُشكل مخلافاً يشتمل على جبل حُبَيْش وأغواره وغيره، وكانت عامرة بالعلماء والأعيان والأدباء والرؤساء الأماثل والفواكه والأعناب وغير ذلك» [ص١٤٢].

وقد سلف ذكر قول الهمداني في الصفة: «وغور سراة الكلاع الجبجب ووحفات ووحاظة» [ص١٠٤].

قال الأكوع: «الجبجب معروف بهذا الاسم إلى هذه الغاية وهو من وحاظة جبل حبيش ثم من عزلة يريس وهو غور.. ووحفات هضاب ومزارع وأودية في عزلة يريس». [ص١٠٤] وذكر الهمداني في بطون الكلاع: «... وحفات ومذنات». قال الأكوع: «مذنات ووحفات والجبجب من غور عزلة يريس من حبيش الكلاع». [ص٢١٣] ـ وحبيش هي مديرية حبيش بمحافظة إب حالياً.

ل ـ **قُزعة والعدين**: وقد ذكر الهمداني في بطون الكلاع: «... خَلِقة وقُزعه...» [ص٢١٣] وخلقه: جبل فيه حصن أثري وقرية مندثرة في عزلة

الشارة. وقُزْعة ـ بضم القاف وسكون الزاي ـ حصن منيع وبلدة في عزلة الأفيوش من العدين. وكانت العدين جميعها من بلاد الكلاع. وقال الأكوع في هامش الصفة: «الكُلاع: كان يطلق قديماً على العدين وبلاد ذي السُفال وبلد حبيش وبلاد إب» [ص١٠٢].

م ـ **مُذَيْخرة**: قال الهمداني: «ومن بلاد الكلاع.. مذيخرة، وقُلاّمة، وقُرعد، وحَرقة، وملحَّة، ومَوْضان والخنن. وريمة الكلاع» [ص١٠٢] ـ وجميعها مواضع في المذيخرة من قضاء العدين. فقلامة: بلدة وجبل غربي المذيخرة. وقرعد: جبل مذيخرة الشرقي. وحَرَقَة ـ بفتح الحاء والراء ـ بلدة عامرة في أيفوع، أعلى غربي المذيخرة. وموضان ـ بفتح الميم ـ قرية آهلة بالسكان في عزلة حمير جنوب المذيخرة. والخَنن: ـ بفتح الخاء ـ بلد وجبل غربي مذيخرة. وريمة الكلاع: قلعة شماء تطل على مذيخرة من الغرب. قال الأكوع في الهامش: «وتعتبر المذيخرة روضة فواحة بالشذى، ذات ينابيع غزيرة وزروع وفواكه. وفي ذلك يقول بعض الأدباء:

مذيخرة تخضرُّ في زمن الشتا وتزهو بأسنى بهجة وسرور
وفي بطنها الأنهار تزهو كأنها سلوك لجين في بساط حرير»

ن ـ **ظباء وذي سُفَال**: وقد ذكر الهمداني من بلاد الكلاع «...ظباء». وهو وادي ظباء، وتقع في أعلاه مدينة ذي سُفال وفي أسفله مدينة القاعدة، وعلى جنبات وادي ظباء ما يزيد عن ثلاثين قرية، وكان قضاء ذي سُفال بأكمله من بلاد الكلاع. ويشمل مديريات ذي سُفال والسياني والسبرة بمخافظة إب حالياً. ووادي ظباء ووادي نخلان متعاندان فظبا في الغرب الجنوبي ونخلان في الشرق الجنوبي ليس بينهما فاصل. وقد ذكر الهمداني أيضاً من مناطق الكلاع «... العلى، والمنحج، والعَشش، والمطلوع، ووادي أبنه، وشعاب شظه» [ص١٢٩] وجميعها في ذي سُفال.

س ـ **المناطق الكلاعية في تعز**: قال الهمداني: «ومن الكُلاع... نخْلان، والشعبانية من وجوه صَبِر، وقاع الأخباش، ووادي الظباب إلى القرعاء من مناهل برداد، وشرقي ذخر وشآمية، وجميع الجُريبة من أوطان الكلاع، وأرض القُفاعة، وأرض شرعب» [ص١٣٠].

ونخلان هو وادي نخلان وفيه قرى عامرة، ويقع في الشرق الشمالي من تعز. والشعبانية العليا منطقة الحوبان والشعبانية السفلى منطقة الكلابية. وقاع الأخباش: غرب تعز على الطريق بين تعز والمخاء. ووادي الظباب من أشهر

وديان تعز، والقرعا قريتان أسفل الوادي، وبرداد عزلة من صبر أعلى وادي الظباب، وجبل ذخر هو جبل حبشي حالياً. والجريبة: في جبل ذخر وفي يمني موزع، والقُفاعة في شمال مدينة تعز. وشرعب مخلاف كبير من محافظة تعز. وكذلك ذكر الهمداني: إن جباء المعافر كانت لآل ذي الكلاع.

ع ـ **المناطق الكلاعية في تهامة**: قال الهمداني: «... ومن مناطق بطون الكلاع: وادي نخلة... وما اكتنف سائلة زبيد ومنها الجفنة والفنج والملاحيظ وحجر قمران. وهذه البلاد ـ بلاد الكلاع ـ من السراة، فرأسها ببعدان وريمان وجبل أدم ودلال، وأسافلها جبال نخلة وأشراف حَيْس من وادي الملح وجبال الرَّكَب، ومشرقها نجد المخرَب، ومن شمالي مشرقيها حقل قَتّاب» [ص٢١٤].

ويقع نجد المخرب ما بين شرعب وشمير (مقبنة). وأما وادي نخلة فما يزال يحتفظ باسمه حتى اليوم، ويمتد إلى زبيد. وكانت منطقة زبيد وفروعها وسائلتها كلاعية ومنها الملاحيظ في الحصيب من أرض زبيد. وحيس منطقة ما تزال تحمل اسم حيس حتى اليوم. ووادي الملح في الشمال الشرقي من حيس. ووادي نخلة ووادي الملح (يسكبان بحيس ويقطعانها إلى البحر».

ويتبين من مجمل ما سلف أن بلاد الكلاع من قبيلة الكلاع وغيرها من قبائل حمير التي تكلعت على سميفع أشوع ذي الكلاع وشملها في عهده اسم (كلاع) كانت تشمل كل المناطق والأرجاء سالفة الذكر، وبصفة خاصة بالتسميات الحالية ـ كل محافظة إب، وأغلب محافظة تعز، وأغلب محافظة الحديدة إلى ساحل البحر الأحمر. وكذلك منطقة نَعْمَان. وقد ذكرها الهمداني وسُميت باسم (نَعْمَان بن زيد بن شُهال بن وحاظة) وهي منطقة وصاب السافل ووصاب العالي بمحافظة ذمار حالياً. وقد ذكر الهمداني في نسب الكلاع أيضاً أن منهم أهل ملاح بمنطقة رداع ـ بمحافظة البيضاء حالياً ـ.

وقال الهمداني في سياق آخر بكتاب الصفة «... والسكاسك وسط بلد الكلاع» [ص٢٧٨] ـ وليست السكاسك كلاعية وإنما تكلعت في ذلك العهد. ومن السكاسك: الجَنَد، وخدير، والأعروق، والقبيطة، والحُشا، والعارة، والعميرة، والصِّلو، وذُبحان، وغيرها. وهي بقية محافظة تعز ومحافظة لحج، وكذلك الحُشا وغيرها بمحافظة الضالع.

قال الهمداني: «ومن أوطان السكاسك: الصَّرْدف، وأرض السلف

والربيعيين ومِنْجل» [ص١٣٤] والصردف هو جبل سورق في شرقي الجَنَدْ وفيه قرى ومزارع، وكذلك تقع قرية الربيعيين ومنجل شرقي جبل سورق، وهذا يعني أن أرض السلف بالقرب من تلك المنطقة ـ بمحافظة تعز ـ وقد جاء ذكر «السلف» في نقش سميفع أشوع ذي الكلاع في حصن الغراب، مما يدل على أهمية (السلف) في ذلك الزمن.

ثالثاً

المناطق والقبائل الرئيسية في لقب سُميفع ذي الكلاع بنقش حصن الغراب

لقد حمل سميفع أشوع ذو الكلاع ومعه شرحبيل يكمل ومعدي كرب يعفر ابنا لحيعة يرخم في نقش حصن الغراب لقباً طويلًا خص فيه سميفع بالذكر الأذوائيات والمناطق والقبائل الرئيسية التي تحت حكمه ـ هو وشرحبيل ومعدي كرب ـ وربما خصّها بالذكر لأنها شاركت معه في القضاء على الحبشة الذين كانوا بمنطقة ساحل اليمن الجنوبي ـ قنأ وما جاورها ـ لأن ذلك الحدث هو مناسبة كتابة النقش.

وقد سلف ذكر اللقب الذي جاء في النقش وهو:

«الهت ذي كلاع، وذي يزن، وجدن، ومثلن، وشرفن، ويثعن، ويسرم، ويريس، ومكربم، وعقهت، وبساين، ويلغب، وغيمان، ويصبر، وجبحم، وجدوين، وكسر، ورخيه، وجردان، وقبلن، وشرجن، وملحم.

كبار أقيال قبائل: وحاظه، والهان، والسلف، وضيفتن، ورثحم، والركب، ومطلفتن، وسأكلن، وسكرد كبار ومحارج سبأن».

فالأذوائيات والقبائل والمناطق المذكورة في اللقب منها:

١ ـ الكلاع: وتشمل القبائل والمناطق التي أسلفنا ذكرها بالتفصيل، وهي ـ بالتسميات الحالية ـ محافظة إب، ومحافظة تعز، وأغلب محافظة الحديدة، ومنطقة وصاب، ومنطقة رداع، ومحافظة لحج، ومحافظة الضالع. فاسم (الكلاع) يشمل كل تلك الأرجاء وقبائلها الحميرية في ذلك الزمن.

٢ ـ أذوائية يزن وجدن: وقد سلف تبيين أنها كانت تشمل ـ محافظات ـ أبين وعدن وشبوة إلى البيضاء وغيرها. وكانت مدينة عبدان في وادي عبدان مركز أذوائية يزن وجدن. وكان شرحبيل يكمل ومعدي كرب يعفر ابنا

لحيعة يرخم بن شرحبيل يكمل هما ذو يزن وجدن في ذلك العهد.

٣ ـ أذوائيات مثلن، وشرفن، ويثعن، ويسرم، ويريس، ومكربم، وعقهت. منها:

أ ـ مُثلن/ مُثال: وهي ذات مُثال. قال الهمداني في الصفة: «ذات مُثال لبني ربيعة ـ من مذحج ـ وهم الربيعيون برداع» [ص١٨٩] وقد ذكر الهمداني أيضاً أن «وادي يوجح كان للقلحانيين من الكُلاع» [ص١٨٩] وكانت الطريق القديمة من ذمار إلى رداع تخرج على ذلك الوادي. وكذلك ذكر الهمداني أن منطقة «تنهب، وملاح للرمانيين من الكُلاع» [ص١٩٠] وملاح ما تزال تحمل اسمها إلى اليوم بمنطقة رداع. ويبدو أن (ذات مثال) كانت مركز منطقة رداع وما جاورها من البيضاء وذمار في ذلك العهد.

ب ـ شرفن/ الشرف: قال د. محمد بافقيه عند ذكره للقب سميفع في نقش حصن الغراب: «شرفن: الشرف. انظر الصفة» [ص١٦٧] ـ وبالعودة إلى الصفة فقد ذكر الهمداني أنه «يعرف مخلاف شبام بمخلاف الشرف الأعلى والشرف الأسفل من بلد جشم بن حاشد لهمدان» [ص٢٣٤] ـ والشرف الأسفل هو مخلاف كبير في محافظة حجة، أما شبام فهو شبام وكوكبان ـ بمحافظة المحويت حالياً ـ ويمتد الشرف غرباً إلى تخوم تهامة (محافظة الحديدة).

جـ ـ يثعن، ويسرم.. وعقهت. لم يتبين لنا أين كانت، ولعلها كانت تمتد إلى تخوم نَعْمان (وصاب) وأرض الكلاع.

د ـ يريس: هي منطقة يريس في قلب أرض الكلاع، في منطقة حُبيش بمحافظة أب، وقد ذكر الهمداني أن: (غور سراة الكلاع: الجبجب، وحفات، ومذنات، ووحاظة). وقد سلف تبيين أن جميعها في عزلة يريس من وحاظة جبل حُبيش.

هـ ـ مكربم/ ذي مكرب: قال الأكوع في هامش الإكليل: (توجد في الكلاع قطع أرضية تُسمى ذي مكارب وذو مكرب» [ص٣٦٨/ ٢].

٤ ـ أذوائية غيمان: وتقع غيمان جنوب مدينة صنعاء ولكنها كأذوائية كانت تمتد إلى (ماور) في رداع وإلى خولان وإلى مناطق بلاد همدان (بكيل وحاشد) فكانت تمتد في عدة محافظات، وخاصة صنعاء وعمران وذمار ومأرب إلى الجوف، وربما إلى مخلاف نجران كما سلف التبيين. وقد ذكر النقش

«. . . غيمان، ويصبر، وجبحم». ولا يوجد ما يدل على مكان يصبر وجبحم.

٥ ـ أذوائيات (بساين ويلغب وجدون والكسر ورخيه وجردان) وهي مناطق شبوة وحضرموت إلى المهرة. وقد سلف ذكرها إلا جدون وهي (جودون). قال الهمداني في الإكليل: «جودون من الهجرين، مدينة عظيمة على جبل منيف، والجبل بين جودون ودمون كالجمل البارك، وفيهما يقول القائل:

جودون ودمون كفه بكفه والنخل والذبر بها محفه»
[ص٣٩/ ٢]

٦ ـ أذوائيات (قبلن، وشرجن، وملحم) لعل ملحم (مَلَح) هو وادي الملح في الشمال الشرقي من حيس. ويصب مع وادي نخلة في البحر الأحمر. قال الهمداني: «وادي الملح يسكنه الأشاعر» [ص١٠١].

٧ ـ قبيلة وحاظة، وهي التي منها قبيلة الكلاع ومنها سميفع ذو الكلاع، وتقع وحاظة في منطقة حُبيش بمحافظة أب وكان مخلاف وحاظه يمتد إلى نَعْمان ـ وصاب العالي ـ بمحافظة ذمار.

٨ ـ قبيلة ألهان، وهي قبيلة ومنطقة آنس ـ بمحافظة ذمار ـ قال الهمداني في الصفة: «سراة ألهان: ظاهرهُ: ضوران، ومذاب، وألهان، ومقرى، والحقلين، وعشار، وبُقلان، ونقيل السود، وحقل سهمان، وجبل حضور. وأسفله وادي سهام، وصابح، والأخروج، وحراز» [ص١٠٧] ـ فكان اسم الهان وسراة ألهان يشمل بلاد آنس، وكذلك جبل حضور وحراز والأخروج ـ الحيمة ـ بمحافظة صنعاء ـ وكانت سراة ألهان تمتد إلى وادي سهام المشهورفي تهامة ـ بمحافظة الحديدة حالياً ـ.

٩ ـ قبيلة السلف: قال الهمداني في الصفة «أرض السلف من السكاسك» [ص١٣٤] ـ وكانت السكاسك قبيلة كبيرة تمتد مناطقها من الجَنَد ـ بضواحي مدينة تعز ـ إلى الصلو، وذبحان، وسامع، وخدير، والأعروق، والقبيطة، والعارة، والعميرة، وغيرها ـ بمحافظتي تعز ولحج حالياً ـ والحشا، وكذلك إلى شمير (مقبنة) ومنها إلى تهامة. وكانت قبيلة ومنطقة السلف هي رأس السكاسك، وكانت مدينة ومنطقة الجَنْد هي ذاتها السلف.

١٠ ـ الرّكْب: قال الهمداني في الصفة: «الرّكْب من الأشاعر» [ص٢٩٠] وقال: «ومن بلد الركب: جبال شمير (مقبنه) والحُدْوم، وموزع وطن فرسان وحلال لهم من الركب. . . ويسكن شاطئ البحر خلطاء من عك والركب وبني مجيد وفرسان» [ص١٣٠] ـ وقال: «بلد الركب: وادي الملح

وحيس... وجُبلان بين وادي رمَح ووادي سَهَام ووادي صيْحان» [ص٢٢٢] ـ فمنطقة وبلد الركب تشمل مقبنة وموزع وبقية قضاء المخَاء وواي الملح وحيس ووادي رمح ووادي سهام ووادي صيحان إلى الشاطئ اليمني للبحر الأحمر.

١١ ـ سكرد: وهي جزيرة سقطرى. وقد جاء ذكر «سكرد» قبل هذا النقش في النقش رقم ٤٧ ينبق حيث قال بافقيه: «سكرد = سقطرى. وهذا ما ذهب إليه فالتر موللر وحبذه آخرون» [ص٢٦٣/ في العربية السعيدة].

١٢ ـ سأكلن عُمان: قال بافقيه: «أرض قبيلة سأكلن هي التي تعرف اليوم بظفار من سلطنة عمان في أقصى الشرق» [ص١٥٩].

ونتهي من مجمل ما سلف إلى أن الأذوائيات والمناطق والقبائل المذكورة في لقب سميفع أشوع ذي الكلاع بموقع حصن الغراب تشمل كل أرجاء اليمن الطبيعية لقد كان سميفع هو رئيس الدولة الحميرية، وهو بمثابة الملك. ويدل النقش على امتداد سلطته وزعامته في سائر أذوائيات ومناطق وقبائل اليمن، وقد ذكرته المصادر الخارجية بلقب (ملك حمير) لأنه كذلك كان.

رابعاً

تشييد سُميفع ذي الكلاع لقلعة ماوية ومصنعة وحاظة:

لقد حفظت لنا المصادر التاريخية نبأ قيام سميفع أشوع ذي الكلاع بإنجازين معمارين، أحدهما: ترميم وتشييد قلعة ماوية في ميناء قنأ بساحل حضرموت، وثانيهما: تشييد مصنعة وحاظه في قلب أرض الكلاع بمنطقة حُبيش في محافظة إب.

١ ـ **قلعة ماوية (حصن الغراب)**: لقد سجل نقش سميفع أشوع ذي الكلاع في موقع حصن الغراب أنه قام «بترميم قلعة ماوية (عرّ/ ماوية) وبناء سوره وبوابته وصهاريجه وطريق العقبة الصاعدة إليه».

ـ وتقع قلعة ماوية في مدينة ميناء قنأ ـ بساحل شبوة حضرموت ـ حيث ترتفع بالقرب من قنا صخرة بركانية تقع فوقها قلعة ماوية وتوجد على قمة الصخرة بقايا معبد وأنظمة لحفظ المياه. وقد قام سميفع ذو الكلاع بتجديد بناء القلعة عام ٦٤٠ حميري الموافق عام ٥٢٥م وتُعرف القلعة حالياً باسم حصن الغراب.

من أطلال موقع ميناء قنا حيث كانت قلعة ماوية

٢ ـ مصنعة وُحَاظة في أرض الكُلاع (حُبيش/ إب):

وقد ذكر الهمداني في الإكليل: «إن السميفع ـ ذا الكلاع ـ الذي بَنَىٰ مصنعة وحاظة، وعليه تكلعت الكلاع من الكلاع وغيرها من قبائل حمير»[١].

وقد ذكر الهمداني مصنعة وحاظة في المآثر بكتاب الصفة حيث قال ما يلي نصه:

«ومنها مصنعةُ وحاظة، واسمها سُباع، وهي تُشابه ناعِطَ في القصور والكُرُف. وعلى باب القلعة من شرقيها موظأ في القاع وكريف درداع ويكون ستمائة ذراع في مثلها»[٢].

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٦٥ جـ٢.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٢.

وتقع مصنعة وحاظة في عزلة شُبع في أعلى جبل حبيش، وقد أصبحت تلك القصور والكُرُف (الصهاريج) أطلالاً وحروثاً ومزارع، وبقي من الستمائة ذراع التي ذكرها الهمداني نحو ستين ذراعاً.

قال الهمداني: «ومنها قلعة خَدِد معاندة لقلعة وُحَاظة، بينهما ساعة من نهار، وقلعة خَدِد هذه فيها قصر عظيم يقصر عنه الوصف، والقلعة بطريقين، على باب كل طريق ماؤه، فطريق القلعة من جنوبها عليه كريف يسمى الوفيت منقور في الصفا الأسود وعمقه في الأرض خمسون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً والطول خمسون ذراعاً، محجوز على جوانبه جدار يمنع السقوط فيه. والماء الثاني من شمال الحصن على باب الحصن الثاني في جوبة من صفا كالبئر مطويّ بالبلاط ودرج ينزل إليه من رأس الحصن بالسرج في الليل والنهار على مسيرة ساعة حتى يؤتى إلى الماء، ولا يعلم من يكون على باب البئر من فوق»[1].

وتقع قلعة خَدِد في عزلة العارضة من جبل حبيش وحاظة، وما تزال بعض آثاره باقية ـ كما وصفها الهمداني ـ حتى اليوم.

قال الهمداني: «ومنها جَبَل في مشرق وُحَاظة، في رأس الجبل جُثْوة قصر منهدم باقية، لا يزال يوجد فيه الجوهر والذهب. والناس يغزونه كما يغزون خربات الجوف»[1]. ـ أي بحثاً عن الذهب والفضة في أطلال ذلك القصر.

وقد كانت مصنعة وُحَاظة وقصورها وقلعة خَدِد وقصرها مقر آل ذي الكلاع منذ تشييد الملك سميفع أشوع ذي الكلاع إياها ـ حوالي عام ٥٢٧م ـ إلى أيام حفيده (ذو الكلاع) قائد كتائب حمير الذي أدرك الإسلام وآمن برسول الله ﷺ وقاد كتائب حمير في فتوح الشام في فجر الإسلام.

خامساً

نقش سميفع ذي الكلاع في متحف استنبول

لقد تولى سميفع أشوع ذو الكلاع رئاسة الدولة الحميرية من عام ٦٤٠ ـ ٦٤٨ حميري (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) وذلك بعد يوسف أسأر ذي نواس مباشرة. وقد ذكره بروكوبيوس وثيوفانس باسم (أسميفيوس ملك حمير». وقد تم العثور على نقشين من عهده، أحدهما: نقش موقع حصن الغراب ـ سالف الذكر ـ المؤرخ

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٢.

بعام ٦٤٠ للتقويم الحميري (٥٢٥ ميلادي). وثانيهما: النقش رقم (Ist. 7608. bis) في متحف استنبول، وقد أشار إليه د. محمد بافقيه قائلًا (بعد ذكر ذي نواس) ما يلي:

«لا نلبث أن نرى على العرش ملكاً باسم سميفع أشوع ترك لنا نقشاً مثلّماً ـ هو من مقتنيات متحف اسطنبول ـ ورغم ما نراه من سكوت المصادر العربية الإسلامية عن عهد ذلك الملك فإن مصادر أجنبية معاصرة [بوركوبيوس + ٥٦٠م] تُصرح بتنصيبه»[١].

ثم أشار إلى النقش مرة ثانية قائلًا: «إن سميفع أشوع الذي اعتلى العرش ـ كما ذكر بروكوبيوس ـ يعود إليه نقش مثلوم يظهر منه أنه اعتنق المسيحية»[١].

ثم أشار إلى النقش مرة ثالثة قائلًا: «نقرأ في نقش سميفع، كثير الثلمات، عبارة (باسم) الرحمن وابنه المسيح (كريشت) الغالب. كما نجد في النقش لفظة (نفس قُدس)»[١].

وقد جاءت في النقش أيضاً ـ في سياق كلام مثلوم منطمس ـ عبارة «عاقب نُجشت أكسوم» وتعني (ممثل ملك أكسوم) فافترض بافقيه وكرر القول: إن سميفع وصف نفسه بذلك وإنه مُعينٌ من قِبل ملك الحبشة. ولم يذكر المستشرق الذي نقل عنه ذلك الافتراض، وخاصة كلمة (عاقب نجش أكسوم) جاءت في سياق كلام مثلوم منطمس ولا تحتمل مثل ذلك الافتراض، وخاصة لأن (كالب ملك اكسوم) هلك عام ٥٢٥م على يد سميفع وجيشه كما هو مذكور في نقش حصن الغراب.

ويتبين من نقش سميفع في متحف استنبول ثلاثة أمور:

١ ـ إن سميفع أشوع ذا الكلاع هو ملك الدولة الحميرية (ملك حمير).

٢ ـ إن سميفع كان يدين بالديانة المسيحية، وبمذهب الطبيعة الواحدة، إذْ أن نقشه لا يذكر «الرحمن» فقط كما في نقوش عهود الملوك الحميريين السابقين الذين كانوا يدينون بالمذهب المسيحي النسطوري، وإنما يذكر نقش سميفع «الرحمن وابنه المسيح الغالب والروح القدس نفس قُدس». وقد كان سُميفع مسيحياً وكذلك كانت مناطق وبلاد الكلاع/ حمير جميعها تدين بالديانة المسيحية منذ عهود سابقة، وذلك بالمذهب المسيحي النسطوري التوحيدي ـ غالباً ـ، بينما في عهد سُميفع وقع تحول إلى مذهب

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٧٠ و١٨٥ و١٨٨.

الطبيعة الواحدة الذي تدل عليه عبارة «. . . الرحمن وابنه المسيح الغالب». وربما وقع ذلك التحول عندما بعث الملك الروماني البيزنطي القيصر جوستنيان ـ يوستنيانوس ـ الذي تولى الحكم عام ٥٢٧م وفداً إلى (سميفع ملك حمير) برئاسة يوليانوس (يولينايوس) الذي ذكر ابن خلدون إنه أصبح (بطرك الإسكندرية)[١] وباعتناق سميفع لذلك المذهب المسيحي أصبح المذهب المسيحي في اليمن نفس المذهب المسيحي في الدولة الرومانية والشام ومصر وأكسوم، وكان ذلك الوفد الروماني إلى سميفع ملك حمير في حوالي عام ٥٢٩م.

٣ ـ يتبين من النقش أيضاً أن علاقة طيبة قامت بين الدولة الحميرية بزعامة سميفع ذي الكلاع ملك حمير وبين دولة أكسوم ـ الحبشة ـ بحيث بات لملك أكسوم ممثل في اليمن (عاقب نُجش أكسوم) ـ ربما بمثابة سفير ملك أكسوم (أليسباس) في بلاط سميفع ملك حمير.

سادساً

الملوك المعاصرون لسميفع ذي الكلاع ملك حِمْيَر والأحداث ذات الصلة باليمن

لقد كانت الدولة الحميرية في عهد سميفع أشوع ذي الكلاع ملك حمير (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) تشمل كل أرجاء اليمن الطبيعية إلى سأكلن عُمان ـ شرقاً ـ والبحر الأحمر ـ غرباً ـ وسقطرى ـ جنوباً ـ ومخلاف نجران إلى أطراف الحجاز وتخوم اليمامة ـ شمالاً ـ وكان من ملوك وأنباء ذلك العهد ذات العلاقة باليمن واليمنيين:

١ ـ جوستنيان قيصر الروم ووفده إلى سميفع ملك حمير:

في عام ٥٢٧م تولى العرش الروماني البيزنطي في القسطنطينية الملك القيصر جوستنيان (يوستنيانوس) وقد ذكر د. جيمس هنري بريستد في كتاب العصور القديمة: «إن يوستنيانوس تُوِّج امبراطوراً في القسطنطينية عام ٥٢٧م» وقد ذكره ابن خلدون باسم (يشطينانش) وقال «مَلَكَ يشطينانش قيصر لإحدى وأربعين من ملك قُباذ ـ ملك فارس ـ. . . ومَلَكَ يشطينانش أربعين سنة باتفاق

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢١٩ جـ٢.

المؤرخين.. وبعث قيصر يشطينانش قائداً من قواده اسمه يولينياريوس وجعله بطرك الإسكندرية»[١].

وقد أصدر القيصر جوستنيان عام ٥٢٩م مرسوماً ينص على صيرورة الحارث بن جَبَلة الغساني ملكاً للعرب في الشام مع منحه لقب فيلارك وبطريك (Phylarch and patricus) وهو أعلى لقب بعد الامبراطور»[٢].

وكان تقليد الحارث بن جبلة الغساني ذلك المركز الرفيع محل رضا الغساسنة اليمنيين والعرب في الشام الذين يمثلون الغالبية العظمى من أهل الشام وهم في الأصل من اليمن.

وفي حوالي عام ٥٢٩م بعث القيصر جوستنيان وفداً إلى سميفع ملك حمير برئاسة يوليانوس ـ وهو (يوليارنوس) الذي ذكر ابن خلدون أن القيصر جعله بطركاً للاسكندرية ـ وقد ذكر المؤرخ ثيوفانس البيزنطي نبأ استقبال سميفع ملك حمير للوفد الروماني حيث قال د. عدنان ترسيسي: «وقد وصف ثيوفانس البيزنطي كيفية استقبال ملك حمير لوفد قيصر القسطنطينية برئاسة يوليانوس. قال إنه رأى ملك حمير واقفاً على مركبة تجرها أربعة أفيال وهو يلبس مئزراً محوّك بالذهب وفي ذراعه أساور ثمينة ويحمل بيده ترساً ورمحين، وحوله رجال من حاشيته وعليهم الأسلحة يتغنون بإطرائه وتفخيمه»[٣].

ولم يذكر المصدر مهمة ذلك الوفد الروماني، ونرى أنها كانت لتحسين العلاقة بين الدولة الحميرية وبين الامبراطورية الرومانية ودولة أكسوم، وكذلك لتوحيد مذهب الديانة المسيحية بحيث أصبح مذهب الطبيعة الواحدة هو المذهب المسيحي الرسمي للدولة الحميرية في عهد الملك سُميفع هذا كما يؤكد ذلك نقشه المسند الذي جاء فيه ذكر «الرحمن وابنه المسيح الغالب والنفس القدس» وبذلك أصبح المذهب المسيحي في اليمن نفس المذهب المسيحي في الدولة الرومانية وفي الدولة الغسانية بالشام وفي الإسكندرية (مصر) وفي دولة أكسوم (الحبشة). وقد سلفت الإشارة إلى أن ملك أكسوم هو رعية بطريرك الإسكندرية، ويمكن استنتاج أن مهمة يوليانوس أدت أيضاً إلى تحسين العلاقة بين الدولة الحمرية ودولة أكسوم وتعيين سفير لملك أكسوم في بلاط السميفع ملك حمير.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢١٩ جـ٢.

(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص٢٠.

(٣) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص٣٣.

وغني عن البيان أن الملك القيصر جوستنيان هو آخر عظماء قياصرة الامبراطورية الرومانية البيزنطية وقد حكم من عام ٥٢٧ ـ ٥٦٧م وهو قيصر الذي قصده امرؤ القيس بن حجر الكندي ما بين عام ٥٣٤ و٥٣٩م.

٢ ـ انتهاء حكم الحارث بن عمرو الكندي وتمليك المنذر في الحيرة:

كان الحارث بن عمرو الكندي ـ جد امرئ القيس بن حُجْر الكندي ـ ملكاً لإمارة الحيرة بالعراق منذ أواخر عهد تُبّع أسعد بن حسان ملك اليمن الذي كان الحارث نائباً له على اليمامة ونجد والبحرين، ثم امتد حكم الحارث إلى إمارة الحيرة وتغلب على المنذر بن النعمان ملك الحيرة حيث كما ذكر ابن خلدون «لما مَلَكَ الحارث بن عمرو الكندي مُلك آل النعمان ـ المناذرة ـ بعث إليه قُباذ ـ ملك فارس ـ وكان مُضعفاً، فجاءه الحارث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات». وإنه «كان المنذر استمد قُباذ، فأبَىٰ قُباذ أن يمده بجيش، فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمرو: إنّي في غير قومي وأنت أحقّ من ضمّني وأنا متحوّلٌ إليك. فتحوّل إليه، وزوّجه ابنته هنداً»[1].

وكان أبناء الحارث بن عمرو الكندي ملوكاً نواباً على مناطق وقبائل نجد واليمامة والبحرين إلى تخوم بلاد الحيرة بالعراق وأداني الشام، حيث «كان سَلَمة بن الحارث ملكاً على بكر بن وائل وتغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة، وكان شُرحبيل بن الحارث ملكاً على بني سعد والرباب وطوائف من بكر، وكان معدي كرب بن الحارث ملكاً على قيس وكنانة، وكان حُجر بن الحارث ـ والد امرئ القيس ـ ملكاً على بني أسد وطوائف من تميم والرباب، وكان قيس بن الحارث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم». وكانوا على علاقة جيدة بدولة اليمن الحميرية.

ومكث الحارث بن عمرو الكندي ملكاً لبلاد الحيرة بالعراق طيلة عهد قباذ ملك فارس الذي حكم ٤٣ سنة، واشترك المنذر مع الحارث بن عمرو في الحكم وقيادة الجيش. وقد استمر الحارث بن عمرو ملكاً لبلاد الحيرة وأولاده ملوكاً لشمال وشرق الجزيرة في عهود ملوك اليمن شرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم (٤٨٠ ـ ٥٠٠م) وسميفع بن لحيعة يرخم ذي يزن وجدن (٥٠٠ ـ ٥١٤م) ويوسف أسار ذي نواس (٥١٥ ـ ٥٢٥م) وسميفع ذي الكلاع (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) لأن كسرى قُباذ مكث ملكاً للدولة الفارسية إلى عام ٥٢٨م.

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٧٨ و١٦٣.

قال ابن خلدون: «ثم هلك قُباذ ووُلِّي ابنه أنوشروان فردّ مُلك الحيرة إلى المنذر وصالحه الحارث على أن له ما وراء نهر الفرات من السواد فاقتسما مُلك العرب ـ بالعراق ـ . . . وقال هشام بن محمد: ولّى أنوشروان بعد الحارث بن عمرو المنذر بن النعمان. فلما قوي سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث إلى المنذر فملكه الحيرة وما كان يليه الحارث بن عمرو الكندي»[1]. وجاء في ترجمة امرئ القيس بكتاب الموسوعة ما يلي: «. . بعد قُباذ الذي كان على مملكة فارس والذي تحالف مع جد امرئ القيس الحارث بن عمرو الكندي وساعده على مدّ نفوذه إلى العراق وإخراج الملوك اللخميين ـ (المناذرة) ـ من الحيرة، كان قد صعد على عرش مملكة فارس كسرى أنوشروان، ألدّ خصوم قُباذ، وخصم كل من تعاون معه ومنهم ملوك كندة، وكان أنوشروان قد أعاد المنذر بن ماء السماء اللخمي إلى عرشه في الحيرة، فطرد الحارث بن عمرو جد امرئ القيس منها فلجأ إلى بادية الشام وكان له نفوذ فيها»[2].

والمعروف أن كسرى أنوشروان لم يكن ألدّ أعداء قُباذ وإنما هو ابن قُباذ وقد تولى الحكم عام ٥٢٨م أو عام ٥٢٩ م، فلما قوي سلطان أنوشروان واشتد أمره قام بتمليك المنذر بن ماء السماء بن النعمان على إمارة الحيرة وما كان يليه الحارث بن عمرو، وخرج الحارث من الحيرة فنزل في ديار قبيلة كلب اليمنية بالبادية، وكان قد بلغ من الكبر عتيًا، فمات في ديار كلب، وكان ذلك حوالي عام ٥٣٠م.

ولما خرج الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو الكندي من الحيرة ـ إلى ديار كلب بالبادية ـ وسيطر عليها المنذر بن ماء السماء ـ عامل كسرى أنوشروان ـ وقع في أسر المنذر ٤٨ شخصاً من آل حجر بن عمرو آكل المرّار الكندي وكبار كندة الذين كانوا في الحيرة، فأعدمهم المنذر في ديار مرينا بالحيرة، فأتى الخبر إلى امرئ القيس بن حُجر بن الحارث بن حُجر بن عمرو الكندي وهو في دمون بمنطقة حضرموت في اليمن، فقال امرؤ القيس يرثيهم:

ملوكٌ من بني حُجْر ابن عمرو ... يُساقون العشيّة يُقْتلونا
فلو في يوم معركةٍ أُصيبوا ... ولكنْ في ديار بني مَرْينا
ولم تُغْسَلْ جماجمهم بسدر ... ولكنْ بالدِّماء مرمَّلينا

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٧٨ و١٦٣.
(٢) الموسوعة ـ مطهر الأرياني ـ ص١٣٢.

تظلُّ الطيرُ عاكفةً عليهمْ وتنتزعُ الحواجب والعيونا

٣ ـ أبناء الحارث الكندي ملوك شمال وشرق الجزيرة ونهايتهم :

منذ زهاء أربعين سنة مضت وإلى زمن عهد سميفع ملك حمير (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) كان أبناء الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرّار بن عمرو الكندي ملوكاً على مناطق وقبائل نجد واليمامة والبحرين ـ شمال وشرق الجزيرة إلى تخوم بلاد الحيرة بالعراق ـ. حيث قال ابن خلدون: «فرّق الحارث بن عمرو الكندي ولده ملوكاً في معدّ، فَمَلَّكَ حُجْراً على بني أسد، وشرحبيل على بني سعد والرباب، وسَلَمَة على بكر وتغلب، ومعدي كرب على قيس وكنانة. ويُقال بل كان سَلَمةُ على حنظلة وتغلب، وشرحبيل على سعد والرباب وبكر، وكان قيس بن الحارث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم. وفي كتاب الأغاني إنه ملَّك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل، وحُجْراً على بني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب، وغلفاء وهو معدي كرب على قيس، وسلمة بن الحارث على بني تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة» [ص١٧٨].

وجاء في كتاب النقائض إنه: «فَرَّقَ الحارثُ بن عمرو الكندي بنيه ـ ملوكاً ـ في قبائل العرب، فكان شُرْحَبيلُ بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أُسَيِّد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرِّباب، وكان مَعْدِي كَرِب ـ وهو غَلْفَاءُ ـ في قيس، وكان سَلَمَةُ بن الحارث في بني تَغْلِبَ والنَّمِرِ بن قاسِط وسعد بن زيد مَناة، وكانت معه طوائف من بني وَبَرَة بن تَغْلِبَ بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة.. ومع مَعْدِي كَرِب الصَّنائِعُ وهم الذين يُقال لهم بنو رُقَيَّةَ أُمٌّ لهم يُنْسَبون إليها وكانوا يكونون مع الملوك من شُذَّان النّاس»[1].

وفي منطقة نجد التي كان ملكها حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو الكندي كان مولد ابنه الشاعر امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي حوالي عام ٤٩٧م وقد جاء في الموسوعة إنه: «امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو الكندي، ينتهي نسبه إلى قبيلة كندة اليمنية الكهلانية السبئية، وُلد عام ٤٩٧م تقريباً.. وهو آخر السلالة الملكية من بني آكل المرّار الذين كانوا ملوك مملكة كندة التي حكمت اليمامة ونجداً وأصقاعاً أخرى من شمال شبه الجزيرة العربية بدعم من ملوك اليمن، ووصلت سلطتهم أحياناً إلى مملكة الحيرة في العراق، وإلى بسط شيء من نفوذهم على أرجاء من بادية

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص١٠٧٣.

الشام.. وكان امرؤ القيس أصغر أبناء الملك حُجر بن الحارث، ولقي تدليلاً واستجابة لرغباته ونزواته، فأخرجه ذلك عن الطريق القويم الذي يجب عليه أن يسلكه كأمير في أسرة مالكة، وانشغل عنه والده ولم يحاول إصلاحه إلّا بعد فوات الأوان، فأخذ يكلفه بأعمال خشنة.. حتى لقد كلفه بمهمة الرعيّ، ولكن ذلك لم يغن عنه فتيلاً، حيث كان يقوم بهذه المهمات واحدة بعد أخرى بدون رغبة ولا حافز ثم يعود إلى عبثه ومجونه. وسجع ـ امرؤ القيس ـ في الخيل ثم في الأغنام التي كلفه أبوه برعيها فضاق بها، وشعر بالمهانة في رعيها، ثم تمرد على أبيه بسببها، فأخرجه عنه، أو خرج هو عن أبيه مختاراً، وتنقل في ربوع اليمامة ونجد التي نجد ذكرها في أشعاره مصطحباً لخلانه من صعاليك القبائل ومُجّانها، يرتادون مواطن الصيد، ويأمون الغدران فيأكلون ويشربون ويعابثون النساء. ولما ضاق والده بسلوكه نفاه إلى الموطن الأول لكندة في حضرموت، فاستقر في مدينة (دَمُّون) وتنقل في أنحاء حضرموت وغيرها من المناطق اليمنية.. وبقي في دمون خمساً من السنين في الحياة المترفة». [ص١٣٠/ الموسوعة].

وقال ابن قتيبة: «.. كان امرؤ القيس رأى من أبيه جَفْوَةً، فلحق بعمه شُرحبيل بن الحارث، فأقام في بني دارم حيناً»[1].. وفي تلك الفترة كانت غرامياته في يوم (دارة جُلْجُل) وغير ذلك مما ذكره امرؤ القيس في معلقته المشهورة. قال ابن قتيبة: «وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنعَ، وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها، وكان يطلب منها غِرّةً، حتى كان منها يومَ الغدير بدارة جُلْجُل ما كان، فقال:

(قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ ومَنْزِلِ)

ـ وهي معلقته المشهورة ـ فلما بلغ ذلك حُجْراً أباه دعا مولى له يقال له ربيعة.. فردّه إلى أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال:

(أَلَا أَنْعَمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البالي)

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتلُ أبيه وهو بَدَمُّون»[1].

وقد أقام امرؤ القيس في دمُّون وغيرها من مناطق اليمن خمس سنين قبل مقتل أبيه، حيث استقر في دَمُّون وغيرها من مناطق كندة في حضرموت وتنقل أيضاً في غيرها من المناطق اليمنية. قال الهمداني: «بلد كندة من أرض حضرموت؛ فإذا خرج الخارج من العَبْر لقي أول ذلك درب العُجَيْز الكندي ثم

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص١٠٧ جـ١.

هَيْنَن.. ثم صُورَان قرية مقتصدة لتُجيب من كندة، ثم قُشَاقِش قرية في رأس جبل لتجُيب، ثم عَنْدَل مدينة عظيمة للصَّدَف وكان امرؤ القيس بن حُجر قد زار الصدف إليها وفيها يقول:

كأني لم أَلهو بِدَمُّونَ مَرَّة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

وعنْدَل وخَوْدُون وهَدُون ودَمُّون مُدُن للصدف بحضرموت. ثم الهجران وهما مدينتان مقتبلتان في رأس جبل حصين يُطلع إليه في منعة من كل جانب، يقال لواحدة خودون.. ودَمُّون وهي ثنية الهَجر. والهجر القرية بلغة حمير والعرب العاربة.. وساكن خودون الصَّدَف وساكن دَمُّون بنو الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرار الكندي.. وبلد كندة مرتفع كأنه سراة وتصب أوديته في وادي حضرموت ثم يصب وادي حضرموت إلى بلد مهرة»[١].

وكان امرؤ القيس يتنقل في العديد من مناطق اليمن ويقيم فترات في مناطق حِمْير ويعيش حياة الترف مع أقوال حمير ـ أي أقيال حمير ـ وقال في ذلك:

لَعَمْرُكَ ما إنْ سرَّني وَسْطَ حِمْيَرٍ وأقْوَالِها إلَّا المَخْيَلَةُ والسَّكَرْ

وجاء في هامش البيت بديوان امرئ القيس: «حمير: قبيلة يمنية شهيرة. وأقوالها: ملوكها لأن القيل عندهم بمنزلة الملك أو هو الذي يليه في السلطان»[٢] وقد كان الأقيال الأذواء بمثابة ملوك على مناطقهم وأذوائياتهم في إطار الدولة الحميرية وملكها وكان ملك اليمن آنذاك هو سميفع أشوع ذو الكلاع ويزن... وقال امرؤ القيس:

هُمَا ظبيتان من ظباء تَبَالَة على جُؤذُرَيْن أو كبعْضِ دُمَى هَكِرْ

وجاء في هامش البيت: «تبالة: مدينة خصبة باليمن.. والدمى: الصور (التماثيل والرسوم المنحوتة). وهكر: مدينة باليمن يظهر أنه كانت بها مدينة قديمة وصور منحوتة على شبه النساء كأبدع ما يصور الإنسان»[٢] وتقع هكر في بلاد عنس بمحافظة ذمار ـ حالياً ـ وتبالة في شمال مخلاف نجران بأعالي اليمن. وقال امرؤ القيس:

تَبَصَّرْ خَلِيْلي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ الدُّجَاء بالليل من سَرْوِ حِمْيَرا[٢]

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) ديوان امرئ القيس ـ ص٥٩ و٥٨ و٥١.

وسرو حمير جنوب غرب ووسط اليمن بينما دمون وديار كندة في حضرموت شرق اليمن.

وبينما كان امرؤ القيس في اليمن انتهت ملوكية جده الحارث بن عمرو الكندي لإمارة الحيرة بالعراق وبات المنذر بن ماء السماء اللخمي ملكاً للحيرة بتولية كسرى أنوشروان، ومات الحارث في ديار كلب وذلك حوالي عام ٥٣٠م كما سلف التبيين. وكان حجر بن الحارث الكندي ـ والد امرئ القيس ـ ملكاً على بني أسد وغيرهم بمنطقة نجد واليمامة، وسَلَمة بن الحارث الكندي وشرحبيل بن الحارث الكندي ملكان على مناطق وقبائل شرق شمال الجزيرة إلى تخوم الحيرة.

قال أبو عبيدة: «فلما هلك الحارث بن عمرو الكندي تشتت أمر شُرحْبيلَ وسَلَمَة وتفرّقت كَلِمَتُهما ومشى الرجالُ بينهما، فكانت المُغاوَرَةُ بين الأحياءِ الذين معهما وتَفاقَمَ أمرهما حتّى جمع كلّ واحد منهما لصاحبه الجُموعَ وزَحَفَ إليه بالجيوش، فسار شُرَحْبيلُ في بني بَكْر ومن معه من القبائل فنزلوا الكُلابَ وهو ماء بين الكوفة والبصرة وهو من اليمامة على سبع ليالٍ أو نحوها، وأقبل سَلَمَةُ بن الحارث في تَغْلِبَ والنَّمِرِ ومَنْ معه من القبائل والصنائع يريدون الكُلاب. وكان نُصحاء سَلَمَة وشُرَحبيل نَهْوَهما عن الفساد والتَّحاسُد وحَذَّروهما الحربَ وعَثَراتِها وسُوء مَغَبَّتِها فلم يقبلا ولم يَنْزَجِرا وأَبَيا إلا التَّتايُعَ واللَّجاجةَ، فقال امرؤ القيس في ذلك [أبياتاً بعثها إليهم منها]:

أَنِّـي عَـلَيَّ اسْـتَـتَـبَّ لـوْمُـكُـمـا ... ولَمْ تَـلـومـا عَـمْـراً ولا عُـصُـمـا
كـلَّا يَـمـيـنَ الإلـهِ يَـجْـمَـعُـنـا ... شَـيْءٌ وأخـوالـنـا بـنـي جُـشَـمـا
حَـتَّـى تَـزورَ الـسِّـبـاعُ مَـلْـحَـمَـةً ... كـأَنَّـهـا مِـنْ ثَـمـودَ أَوْ إرَمـا»[1]

وكان المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة يغري بين الملكين سلمة وشرحبيل ويؤجج الخلاف بينهما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حتى التقى سلمة وشرحبيل بجيشهما في منطقة ماء الكُلاب، بين اليمامة والحيرة فتقاتلا قتالًا شديداً في موقعة يوم الكُلاب فلما كان آخر النهار قُتِل شرحبيل بن الحارث الكندي، قتله رجلٌ يقال له أبو حنش، وكان سَلَمة بن الحارث أعلن عن جائزة مائة من الإبل لمن يقتل شُرحبيل، فلما قتله أبو حنش رأى الندم في وجه سلمة فهرب. وندم سلمة على مقتل أخيه شرحبيل وقال في ذلك:

«ألا أبْـلِغْ أبـا حَـنَـشٍ رَسـولًا ... فـمـا لـكَ لا تـجـيءُ إلـى الـثَّـوابِ

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص١٠٧ ـ ١٠٧٨.

تَـعَـلَمْ أنَّ خَـيْـرَ الـنـاسِ طُـرًّا قَـتـيـلٌ بَـيْـنَ أحـجـار الـكُـلَابِ
قَـتـيـلٌ مـا قَـتـيـلُكَ يـابْـن سَـلْمَـى تَـضُـرُّ بـه صـديـقَـكَ أوْ تُـحـابـي
تَـداعـتْ حـولـه جُـشَـمُ ابـن بَـكْـرٍ وأسـلـمـه جَـعـاسـيـسُ الـرِّبـابِ»[1]

وقال معدي كرب بن الحارث، أخو شرحبيل، وكان معدي كرب معتزلًا عنهما وعن حربهما، وربما كان في منطقة كندة في حضرموت باليمن، قال معدي كرب يرثي أخاه الملك شرحبيل قصيدة أولها:

إنَّ جَـنْـبِـي عَـنِ الـفِـراشِ لَـنـابِ كـتـجـافـي الأسَـرِّ فَـوْقَ الـظِّـرابِ
مِـنْ حَـديـثٍ نـمـا إلـيَّ فـمـا تَـرْ قـأُ عَـيْـنـي ومـا أسـيـغُ شـرابِ
مِـن شُـرَحْـبـيـلَ إذْ تـعـاوَرَهُ الأرْ مـاحُ مِـن بَـعْـدِ لـذَّةٍ وشَـبـابِ

ولما قُتل شُرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة دون عياله وأهله ومنعوا الناس عنهم وساروا بعيال وأهل شرحبيل حتى أوصلوهم إلى اليمن وكان الذي تولى ذلك عُوَيْر بن شجنة العوفي السعدي فقال امرؤ القيس يثني عليهم أبياتاً منها قوله:

عُـوَيْـرُ ومَـنْ مِـثْـلُ الـعُـوَيْـر ورَهْـطِـهِ وأسْـعَـدَ فـي يـوم الـتَّـلاتِـلِ صَـفْـوان
هُـمُ مـنـعـوا حـيَّ الـمُـضَـلَّلَ أهـلـه وساروا بِـهِـمْ بَـيْـنَ الـفـرات ونـجـران

قال ابن خلدون: «وأما سَلَمْة بن الحارث الكندي فإنه فلج فمات»[2] ـ وبذلك زال سلطان كندة عن مناطق شرق شمال الجزيرة العربية وباتت تحت نفوذ المنذر بن ماء السماء ـ غالباً ـ وكان ذلك حوالي عام ٥٣١ ميلادية.

قال ابن خلدون: «وأما حُجْر بن الحارث ـ والد امرئ القيس ـ فلم يزل أميراً على بني أسد ـ [وغيرهم في نجد إلى تهامة الحجاز] ـ إلى أن بعث رسله في بعض الأيام لطلب الأتاوة من بني أسد فمنعوها وضربوا الرُّسل، وكان حُجْر بتهامة فبلغه الخبر فسار إليهم في ربيعة وقيس وكنانة فاستباحهم وقتل أشرافهم وسَرَواتِهم وحبس عبيد بن الأبرص في جمع منهم فاستعطفه بشعر بعث به إليه، فسرّحه وأصحابه وأرفدهم»[2].

وقال ابن قتيبة: «ملك حُجْر بن الحارث على بني أسد، فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً، فامتنعوا منه، فسار إليهم فأخذَ سَرَواتِهم فقتلهم بالعصيّ، فسُمُّوا «عبيد العَصَا» وأسَر منهم طائفةً، فيهم عبيدُ بن الأبرص، فقام بين يدي الملك حُجر بن الحارث فقال:

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص١٠٧ ـ ١٠٧٨.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٨٠.

مَـهـلًا ـ أبَـيْـتَ الـلَّـعْـنَ ـ مـهـلًا إنَّ فـيـمـا قُـلْتَ آمـهْ
فـي كـل وادٍ بـيـن يـتـرب والـقـصـور إلـى الـيـمـامـة
تـطـريـب عـان أوصـيـا حُ مُـحَـرَّقٍ وزُقَـاء هـامَـهْ
أنـت الـمـلـيـكُ عـلـيـهـمُ وهُـمُ الـعـبـيـدُ إلـى الـقـيـامـة

فرحمهم الملك حُجر وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم»[1].

ثم في وقت لاحق كان الملك حُجر بن الحارث في ديار بني حنظلة ومعه جماعة صغيرة من كندة، فعلمت قبيلة بني أسد بذلك. . قال ابن قتيبة: «فركبتْ بنو أسد كلَّ صَعبٍ وذَلول، فما أشرقَ لهم الضُّحىٰ حتى انتهَوْا إلى حُجْر، فوجدوه نائماً فقتلوه». وقال ابن قتيبة في موضع آخر «بعثت بنو أسد إلى بني حنظلة تستكفُّها وتسألها أن تخلّي بينها وبين كندة، فاعتزلت بنو حنظلة، والتقتْ كندةُ وأسدُ، فانهزمت كندةُ وقُتِل حُجر»[1] وكان ذلك حوالي عام ٥٣١م أو ٥٣٢م.

قال ابن قتيبة «فبلغ أمراء القيس مقتلُ أبيه وهو بدَمُّون، فقال:

تَـطَـاوَلَ الـلَّـيْـلُ عَـلَـيْـنَـا دَمُّـونْ دَمُّـونُ إنَّـا مَـعْـشَـرٌ يَـمَـانُـونْ
وإنَّـنَـا لأهْـلِـنَـا مُـحِـبُّـونْ

ثم قال: ضَيَّعني صغيراً، وحمَّلني دمه كبيراً، لا صحوَ اليومَ، ولا سُكر غداً، اليومَ خمر، وغداً أمرُ، ثم قال:

خَلِيلَيَّ ما في اليوم مَصْحًى لشاربٍ ولا في غَدٍ إذْ كان ما كان مَشْرَبُ

ثم آلىٰ لا يأكلُ لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه، فلما كان الليلُ لاح له برقٌ فقال:

أرقْـتُ لـبَـرْق بـلَـيْـل أهَـلّ يُـضـيءُ سَـنَـاهُ بـأعـلـىٰ الـجَـبَـلْ
بـقَـتْـل بـنـي أسَـدٍ رَبَّـهُـمْ ألا كُـلُّ شَـيْءٍ سِـوَاهُ جَـلَـلْ»[1]

استنصار امرئ القيس بمرثد بن ذي جدن ويزن ومسيره إلى نجد:

وتكتسب واقعة استنصار امرئ القيس بن حُجر الكندي بمرثد بن ذي جدن الحميري أهمية كبيرة في تأكيد الزمن وفي مسار الأحداث وكذلك في إدراك علاقة حكم كندة في شمال الجزيرة بدولة اليمن الحميرية. وقد أشار ابن قتيبة إلى ذلك قائلًا: «وحلفَ امرؤ القيس لا يَغسلُ رأسَهُ ولا يشرب

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص١٠٥ و١١٥ و١٠٨ و١١٦.

خمراً حتى يدرك ثأره ببني أسدٍ، فأتَى ذا جَدَنٍ الحميريَّ فاستمدَّه فأمدّه»[١].

وقال ابن خلدون: «سار امرؤ القيس إلى مرثد الخير بن ذي جدن من ملوك حِمْيَر صريخاً، فنصره بخمسمائة رجل من حمير وبجمع من العرب سواهم»[١].

وقال ابن خلدون في حديثه عن ملوك الدولة الحميرية ما يلي: «مَلَكَ ذو يزن بعد مهلك ذي نواس.. ولما هلك ذو يزن، وُلِّي ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد»[١].

وقد جاء اسم مرثد بن ذي يزن وجدن ـ وهو (مرثد ألن يمجد) ـ في نقش القائد القيل شرحئيل أشوع بن شرحبيل يكمل ذي يزن وجدن في عهد الملك يوسف أسأر ذي نواس، وهو النقش الذي كتبه شرحئيل وهو أمير قائد في مخلاف نجران عام ٦٣٣ حميري (= ٥١٨م) حيث استهل النقش بالدعاء التالي:

«ليبارك ألّن ذي له السماء والأرض الملك يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب، وليبارك الأقيال لحيعث يرخم، وسميفع أشوع، وشرحئيل أشوع، وشرحبيل أسعد، بني شرحبيل يكمل سادة يزن وجدن»[٢].

ودعا مرة أخرى لأبناء الأسرة فقال: «وليبارك الرحمن أبناءهم شرحبيل يكمل وهعن أسأر بني لحيعث، ولحيعث يرخم بن سميفع، ومرثد ألن يمجد بن شرحئيل سادة يزن»[٢].

وجاء في نقش الملك سميفع أشوع ذي الكلاع في موقع حصن الغراب ـ المؤرخ بعام ٦٤٠ حميري/ ٥٢٥م ـ إنه كان معه:

«شرحبيل يكمل ومعدي كرب يعفر بني لحيعث يرخم.. ذوي يزن وجدن»[٣].

ويتبين من النقشين أن آل ذي يزن وجدن كانوا من كبار الأقيال الأمراء الأذواء في عهد يوسف أسار ذي نواس (٥١٥ ـ ٥٢٥م) وعهد سميفع ذي الكلاع ملك حمير (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) ويوضح الشكل التالي الأقيال اليزنيين الجدنيين في ذلك العهد:

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٨١ وص٨٩.

(٢) النقش رقم ١٠٢٨ جام + تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص١٦٤.

(٣) نقش سميفع أشوع في موقع حصن الغراب ـ ٦٢٠ سي.أي. أتش.

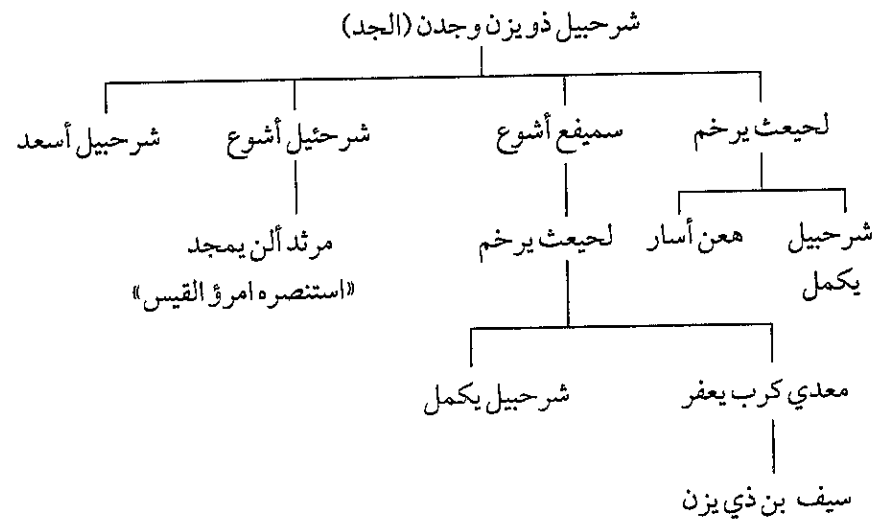

فالذي استجاشه امرؤ القيس هو «مرثد الن يمجد بن شرحئيل أشوع بن ذي يزن وجدن» وكان مرثد قيلًا أميراً بالمناطق الشرقية من اليمن (شبوة ـ حضرموت) ربما إلى (الجوف ـ نجران) لأن أباه شرحئيل كان قائد وأمير مخلاف نجران إلى تخوم نجد وأطراف الحجاز وذلك في إطار الدولة الحميرية، فلم يكن مرثد ملك الدولة الحميرية وإنما كان ـ وكما وصفه ابن خلدون ـ «من ملوك حمير» أي من الأقيال الأذواء الذين كانوا كالملوك في مناطقهم وأذوائياتهم أما الملك فكان هو «سميفع ملك حمير». وجاء في ديوان امرئ القيس ما يلي: «استنصر امرؤ القيس مرثد الخير وهو من أقيال حمير، فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير، ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس فأنفذ له ذلك قرمل الذي جلس في مكان مرثد» [ص١٤] وجاء في كتاب الأغاني وأيام العرب أنه: أمدّ مرثدُ الخير بن ذي جدن أمرأ القيس بخمسمائة رجل من حمير، ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس، وقام بالمُلك بعده رجل يقال له قرمل، فتلكأ في إنفاذ القوة التي أمر بها مرثد، فقال امرؤ القيس في ذلك:

وإذْ نحنُ ندعو مرثد الخير ربنا وإذْ نحن لا ندعو عبيداً لقرمل

فأنفذ له قرمل القوة التي أمر بها مرثد وهي قوة رسمية (خمسمائة من فرسان حمير) ـ أي جنود الدولة ـ وقوة من القبائل سواهم، وكان مع امرئ القيس أيضاً قوة من فرسان كندة من حضرموت.

فسار امرؤ القيس من طريق نجران إلى تَبالة في أعالي اليمن وكان بها بيت الصنم ذي الخُلصة وكان يقال له (الكعبة اليمنية) فاستقسم امرؤ القيس عند ذي

الخلصة بقداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربص فأجالها فخرج الناهي ثلاث مرات، وكلما أجال القداحة يخرج الناهي فكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال (لو كان المقتول أباك ما عقتني). ومضى امرؤ القيس بفرسانه إلى نجد، ودخل المدينة ـ القريّة ـ التي كانت عاصمة أبيه، فهيأ الخزائن والسلاح بما يدل على أنه أصبح الملك في عاصمة أبيه، وأطاعته قبيلتا بكر بن وائل وتغلب وحشدت معه، وأتى إليه بعض كبار بني أسد يحاولون إصلاح الأمر فأنذرهم الحرب وقال لهم فيما قال:

«فرويداً ينشكف لكم دجاها عن فرسان كندة وكتائب حِمْيَر»

فلما علمت قبيلة أسد بذلك وبالمهلة التي أمهلهم إياها للحرب رحلوا من ديارهم ومنطقتهم إلى ديار قبيلة كنانة بن خزيمة قاصدين الهروب إلى المنذر بن ماء السماء في الحيرة بالعراق. قال ابن قتيبة: «أتى امرؤ القيس ذا جَدَنٍ الحميريَّ فاستمدّه فأمدّه، وبلغ الخبرُ بني أسدٍ فانتقلوا عن منازلهم، فنزلوا على قوم من بني كنانة بن خُزيمة، والكنانيُّون لا يعلمون بمسير امرئ القيس إليهم، فطرَقهم في جند عظيم، فأغار على الكنانيين وقَتَل منهم، وهو يظنُّ أنهم بنو أسد، ثم تبيَّن أنهم ليسوا هم، فقال [القصيدة التي منها قوله]:

ألا يـالَهْـفَ نَـفْـسِـي إثْـرَ قَـوْمٍ هُـمُ كـانُـوا الـشِّـفَـاءَ فـلـم يُـصـابُـوا

ثم تَبِعَ بني أسدٍ فأدركهم وقَتَل فيهم قتلًا ذريعاً، وقال في ذلك [القصيدة التي منها قوله]:

قُـولا لِدُودَان عَـبِـيـدَ الـعَـصَـا مـا غَـرَّكُـمْ بـالأسـد الـبـاسـل

قـد قَـرَّتِ الـعَـيْـنـان مـن وائـلٍ ومـن بـنـي عَـمْـرو ومـن كـاهِـلِ

حَـلَّتْ لـيَ الـخَـمْـرُ وكـنـتُ امْـرأً عَـنْ شُـرْبِـهـا فـي شُـغُـلٍ شـاغِـل

فـالـيَـوْمَ أشـرَبُ غَـيْـرَ مُـسْـتَـحْـقِـبٍ إثْـمـاً مِـنَ الـلَّـه ولا واغِـلِ»

[ص١١٦]

ثم سار امرؤ القيس في اتباع بقية بني أسد الذين تمكنوا من النجاة ولحقوا بالمنذر ملك الحيرة، فلم يظفر منهم امرؤ القيس بشيء لأنهم دخلوا بلاد الحيرة (العراق). وبذلك انتهت قضية بني أسد وتم لامرئ القيس الأخذ بثأر أبيه فقد قتل منهم قتلًا ذريعاً وهرب بقيتهم إلى بلاد الحيرة بالعراق، بل إن أمرأ القيس أصبح الملك مكان أبيه في نجد.

أما الأحداث التي تلت ذلك فلا علاقة لها بالثأر من بني أسد وإنما كانت صراعاً بين امرئ القيس وبين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة المرتبط بكسرى

أنوشروان ملك الامبراطورية الفارسية، فقد استشعر المنذر الخطر من ملوكية امرئ القيس لنجد والتي يمكن أن تمتد إلى تخوم الحيرة ثم يمكن أن ينازع المنذر على ملوكية الحيرة لأن جده ـ الحارث بن عمرو الكندي ـ كان ملك الحيرة. ولما بدأت مؤشرات الصراع بين المنذر وامرئ القيس تخلّت بكر وتغلب عن المسير أو القتال مع امرئ القيس بذريعة أنه قد أخذ بثأره ورجعوا إلى ديارهم، وما لبث أن اندلع الصراع بين المنذر وامرئ القيس.

قال ابن خلدون: «جمع المنذر لامرئ القيس ومن معه، وأمدّه كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة (الفُرس)، والتقوا، فانهزم امرؤ القيس وفرّت حمير ومن كان معه، ونجا امرؤ القيس» [ص١٨٢].

وجاء في ديوان امرئ القيس ما يلي: «ظفر امرؤ القيس ببني أسد، ثم إن المنذر حارب امرأ القيس وألّب العرب عليه وأمدّه أنوشروان بجيش من الأساورة، فسرحهم في طلبه، فانفضت جموعه، فنجا مع عصبة من بني آكل المُرار ـ أي من فرسان كندة ـ» [ص١٤].

وقال ابن قتيبة: «ثم إنَّ المنذرَ بن ماء السماء غزا كندةَ فأصاب منهم، وأسر اثني عشر فتًى منهم، فأمر بهم فقُتلوا بمكان يُقال له جَفْرُ الأملاك بين الحيرة والكوفة، وكان امرؤ القيس يومئذٍ معهم، فهرب حتى لجأ إلى سعد بن الضباب الأيادي، سيّد إياد، فأجاره. ثم تحول إلى جبلي طيئ» [ص١١٧].

وبذلك انتهى الحكم الكندي اليمني لنجد واليمامة وشرق وشمال الجزيرة والذي دام زهاء مائتي سنة منذ حُجْر آكل المرار الكندي في عهد تُبَّع ملشان ـ حوالي عام ٣٢٠م ـ إلى امرئ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي في عهد سميفع ملك حمير ـ حوالي عام ٥٣٢م ـ وكان ذلك الحكم بدعم من ملوك اليمن.

ومكث امرؤ القيس فترة يتنقل في بلاد جبال طيئ القبيلة اليمنية المشهورة في نجد وما جاورها. قال ابن خلدون: «وما زال ـ امرؤ القيس ـ يتنقل في القبائل، والمنذر في طلبه.. وجاء في كتاب الأغاني: إن أمرأ القيس.. طلبه المنذر بن ماء السماء وبعث في طلبه جموعاً من إياد وبهراء وتنوخ وجيوشاً من الأساورة أمدّه بهم كسرى أنوشروان، فالتجأ إلى السمؤال بن عاديا الغساني ـ صاحب الحصن الأبلق في تيماء بأعالي الحجاز ـ» [ص١٨٢] ـ وأخبار وأشعار امرئ القيس في تلك الفترات كثيرة ومذكورة في كتب التاريخ والأدب وإنما ذكرنا فيما سلف معالم الأحداث التي وقعت في عهد سميفع أشوع ذي الكلاع

ملك اليمن (عام ٥٢٥ ـ ٥٣٣م) لأنها جزء من تاريخ اليمن في ذلك العهد الذي انتهى بالغزو الحبشي الأكسومي الثاني لليمن عام ٥٣٣م.

ونذكر هنا بإيجاز أن أمرأَ القيس سار من تيماء إلى الملك الحارث بن جبلة الغساني اليمني ملك العرب بالشام يستنصره لمحاربة المنذر ملك الحيرة. وقد أسلفنا ذكر أن القيصر الروماني البيزنطي جوستنيان أصدر مرسوماً في عام ٥٢٩م باعتماد تمليك الحارث بن جبلة ملكاً لكل العرب في الشام ومنحه لقب فيلارك وبتريك وهو أعلى لقب بعد القيصر الروماني. وكان الحارث بن جبلة ثامن ملوك الشام الغساسنة، وكان مسير امرئ القيس إليه ـ مابين عام ٥٣٤ وعام ٥٣٨م تقريباً ـ فأقام فترة في الشام وله فيها أشعار، ثم كتب له الحارث بن جبلة كتاباً إلى القيصر جوستنيان بشأن مناصرته لمحاربة المنذر ملك الحيرة واستعادة ملوكيته، فسار امرؤ القيس ومعه صاحب له، فلما أجازا درب الشام ـ وهو ما بين طرسوس وتركيا ـ قال امرؤ القيس:

بكىٰ صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقَنَ أنَّا لا حقان بقيصرا
فقلت له: لا تبكِ عينُك إنَّما ... نُحاولُ مُلكاً أو نموت فنُعذرا
وإنِّي أذينُ إن رجعتُ مُملكاً ... بسيرٍ ترى منه الفُرانِق أزورا

والتقى امرؤ القيس بالقيصر جوستنيان ـ في أنقرة ـ فأكرمه وكانت له عنده منزلة، ووعده بالنصرة، فمكث فترة هناك، وأمر القيصر بتجهيز قوة كبيرة للمسير معه والاشتراك مع جيش الحارث بن جبلة الغساني لمحاربة المنذر، فتقول الروايات إن أمرأ القيس مات بارتداء حلة مسمومة في أنقرة بمكيدة الطماح، وقد جاء في كتاب تاريخ الأدب العربي أنه مات عام ٥٤٠م. بينما جاء في الموسوعة إنه مات عام ٥٤٥م، أما ديوان امرئ القيس فجاء فيه أنه «مات سنة ٨٠ قبل الهجرة الموافق ٥٦٥م» وهذا القول إذا صح يجعل من المحتمل أن يكون امرؤ القيس قد شهد المعركة التي انتصر فيها الحارث بن جبلة الغساني انتصاراً كبيراً على المنذر ملك الحيرة وسقط فيها المنذر قتيلاً وهي موقعة قنسرين في يونيه عام ٥٥٤م، ولكن الأرجح أن امرأ القيس مات بأنقرة سنة ٥٤٠م ـ وربما ٥٤٥م ـ وكان الحارث بن جبلة الغساني أعظم ملوك الشام اليمنيين الغساسنة وقد حكم من ٥٢٨ ـ ٥٧٠م. قال أحمد أمين: «وسار الحارث بن جبلة سنة ٥٦٣م إلى القسطنطينية ليفاوض الامبراطور (جوستنيان) في شؤون الحرب التي بينه وبين الحيرة، وفي من يخلفه على كرسيه. ومات سنة ٥٦٩م أو ٥٧٠م» (اهـ).

سابعاً

الغزو الحبشي الأكسومي الثاني ونهاية الملك سميفع عام ٥٣٣م

كانت علاقة جيدة قد نشأت بين سميفع أشوع ذي الكلاع ويزن ملك الدولة الحميرية وبين الدولة الرومانية وقيصرها جوستنيان وكذلك مع دولة أكسوم وملكها اليسباس، كما يدل على ذلك:

أ ـ الوفد الذي بعثه جوستنيان إلى سميفع ملك حمير برئاسة القائد البطرك يوليانوس حوالي عام ٥٢٩م.

ب ـ نقش سميفع في متحف استنبول والذي يتوجه فيه إلى ـ ويذكر ـ «الرحمن وابنه المسيح الغالب».

جـ ـ وجود ممثل لملك الحبشة في بلاط سميفع ملك حمير باليمن وقد أشار إليه النقش بلفظ: «عاقب نجش أكسوم» ـ أي ممثل ملك أكسوم (الحبشة). مما دفع بعض الدارسين إلى افتراض أن الملك سُميفع كان مُعيناً من ملك أكسوم، وقد سلف تفنيد ذلك الافتراض وإن وجود ممثل لملك أكسوم في اليمن إنما يعني وجود علاقة جيدة وإن ذلك الممثل هو بمثابة سفير في عصرنا.

ثم في عام ٥٣٢ ـ ٥٣٣م ساءت العلاقة بين الدولة الحيمرية وبين الروم وأكسوم، ولم نجد أي تفاصيل عن ذلك، إلا أن إحدى الروايات تشير إلى أن الحميريين عادوا إلى قطع طريق الملاحة في البحر الأحمر على السفن الرومانية، ويبدو أن أصل ذلك هو قيام الدولة الحميرية بفرض ضرائب على السفن التي تمرّ في البحر الأحمر، وكانت الأمبراطورية الرومانية قد بلغت ذروة القوة والتوسع في عهد جوستنيان فلم تقبل بذلك. فجرَت اتصالات رومانية أكسومية أسفرت عن قبول اليسباس ملك أكسوم القيام بغزو اليمن وتجهيز سبعين ألف مقاتل من الأحباش والأكسوم للقيام بغزو واحتلال اليمن بينما قام الروم بتوفير السفن والدعم المادي اللازم. وكانت الدولة الحميرية آنذاك في مرحلة ضعف ـ يدل عليها سقوط ونهاية حكم كنده في شمال وشرق الجزيرة العربية ـ وربما أيضاً أن العديد من الأقيال الأذواء في مناطق وقبائل اليمن أخذوا يعارضون الملك سميفع وأن الوضع الداخلي لم يعد متماسكاً.

وفي عام ٥٣٣م وقع الغزو الحبشي الأكسومي بالسفن الرومانية إلى اليمن. وقد أسلفنا ذكر النصوص بأنه في الغزو الأول كان عدد جيش الغزو ثلاثون ألفاً وكانوا بقيادة كالب ملك أكسوم شخصياً ـ كما ذكر بروكوبيوس ـ وكان غزوهم إلى منطقة الساحل الجنوبي الشرقي لليمن حيث ميناء قنأ، فلما رأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم اندفع بحصانه إلى البحر وغاب في أعماقه، ثم قام سميفع ذو الكلاع ويزن بالقضاء على أولئك الأحباش وملكهم كالب وقادته الحمر والرهبان. بينما في هذا الغزو الثاني عام ٥٣٣م كان جيش الغزو سبعون ألفاً وكانوا بقيادة أرياط الحبشي، وكان غزوهم إلى منطقة ساحل تهامة اليمني الغربي على البحر الأحمر وقد ذكر ابن خلدون أنه «لما مَلَك ذو يزن ـ يعني سميفع ـ بعد مهلك ذي نواس، جهز ملك الحبشة إلى اليمن سبعين ألفاً فساروا إليه وعليهم أرياط. ولقيهم ذو يزن (سميفع) فيمن معه فانهزم واعترض البحر فأقحم فرسه وغرق» [ص٨٩] ـ وقال سميفع يومئذٍ: «ما الفعل إلا ما فعل ذو نواس» فاقتحم البحر بفرسه وغاب في أعماقه، وذلك سنة ٥٣٣ ميلادية.

المبحث الثاني

عهد مَعْدِي كَرِب يُعفر ذي يزن..
معاصر أبرهة الأكسومي في فترة الاحتلال
الحبشي الأكسومي لمناطق من اليمن
(٦٤٨ ـ ٦٨٥ حميري/ ٥٣٣ ـ ٥٧٠م

عندما وقع الغزو الحبشي الأكسومي لليمن بقيادة أرياط الحبشي وأبرهة الأكسومي وأغرق سميفع أشوع ملك حمير نفسه عام ٥٣٣م تولى الزعامة الحميرية اليمنية الملك معدي كرب يعفر بن لحيعث بن سميفع ذي يزن وجدن ـ وهو والد سيف ابن ذي يزن ـ وقد جاء اسمه بلفظ «معدي كرب بن سميفع» في نقش أبرهة المؤرخ بعام ٦٥٨ حميري (= ٥٤٣م) والذي يصف معدي كرب بأنه «ملك مشرقن» ـ أي ملك النصف الشرقي من اليمن ـ ولم يزل معدي كرب كذلك حتى هلاك أبرهة عام ٥٧٠م.

صورة نقش أبرهة عن الحرب
مع معدي كرب بن سميفع ذي يزن وأقياله سنة ٥٤٢م

أولًا

مَعْدِي كَرِب يعفر ذو يزن
يتصدى للغزو الحبشي عام ٥٣٣م

لقد ذكر المؤرخون اليمنيون معدي كرب يعفر باسم (النعمان بن عفير بن زُرعة بن سيف بن عامر ذي يزن». قال الهمداني: «والنعمان بن عفير هو الذي قام باليمن بعد ذي نواس هو وأولاده. قال أهل السجل: هو المنذر بن عفير، ويكنى أبا النعمان. وقال بعض حمير: إن النعمان بن عفير كان يُعرف بذي يزن الأصغر. وليس كذلك ولكنه يُنسب إلى جده الأعلى، كما يقال علقمة بن ذي جدن، وبينهما عدة آباء.. وكان عبد الله بن رزام الحارثي وهو علّامة اليمن في عصره يقول: إنما هو النعمان بن معدي كرب بن قيس بن عبيد بن سيف بن عامر ذي يزن»[1]. فإذا ربطنا ذلك بما ذكره الهمداني عن (أهل السجل الأول) بأن اسمه ليس النعمان وإنما كان «يكنى أبا النعمان» يمكن أن ننتهي من ربط ذلك إلى أنه:

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٨ و٢٥٧ جـ٢.

«أبو النعمان معدي كرب عفير [يعفر] بن زُرعة [لحيعث] بن سيف [سميفع] بن عامر ذي يزن».

وقد كان معدي كرب يعفر من كبار الأذواء وبمثابة الرجل الثالث في الدولة في عهد سميفع أشوع ـ ذي الكلاع ـ ملك حمير الذي حكم بعد ذي نواس، حيث جاء اسمه ثالث اسم في نقش سميفع بموقع حصن الغراب حيث جاءت الأسماء في النقش مع اللقب كما يلي:

«سُميفع أشوع. وشرحبيل يكمل ومعدي كرب يعفر بني لحيعث يرخم. الهت الكلاع. وذوو يزن وجدن، ومثلن، وشرفن، ويثعن، ويسرم، ويريس، ومكربم، وعقهت، وبساين، ويلغب وغيمان، ويصبر، وجبحم، وجدوين، والكسر، ورخيه، وجردان، وقبلن، وشرجن، وملحم. كبار أقيال وحاظه. وألهان، والسلف، وضيفتن، ورثحم، والرَّكْب، ومطلفتن، وسأكلن، وسكرد (سقطرى). كبار ومحارج سيبان»[١].

ويتبين من الربط بين معطيات النقوش والروايات والأحداث التاريخية:

- إن معدي كرب يعفر بن لحيعث يرخم بن سميفع بن ذي يزن ـ في نقش حصن الغراب عام ٥٢٥م هو «معدي كرب بن سميفع» ـ في نقش أبرهة عام ٥٤٣م ـ وهو (النعمان بن عفير)؛ أو «أبو النعمان معدي كرب عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن» في الإكليل. وكان يُقال له (ذو يزن).
- قال ابن خلدون: «لما مَلَك ذو يزن بعد مهلك ذي نواس، جهز ملك الحبشة إلى اليمن سبعين ألفاً فساروا إليه وعليهم أرياط، ولقيهم ذو يزن فيمن معه، فانهزم، فاعترض البحر فأقحم فرسه وغرق»[٢]. وقد وقع التباس في الرواية التي ذكرها ابن خلدون بين الملك سميفع وبين ذي يزن، فالذي مَلَك بعد ذي نواس هو سميفع أشوع (ذو الكلاع) وكان معدي كرب يعفر ذو يزن من الأقيال الأذواء الكبار في عهده وبمثابة الملك في الأذوائيات والمناطق التي تحت حكمه. فلما وقع الغزو الحبشي الأكسومي بقيادة أرياط وأبرهة عام ٥٣٣م حاربهم الملك سميفع في منطقة الرَّكب بساحل تهامة على البحر الأحمر، فانهزم، فقال: (ما الفعل إلا ما فعل ذي نواس)، ثم ـ كما ذكر ابن خلدون ـ «اعترض البحر فأقحم فرسه وغرق». وبذلك تشابهت نهاية ذي

---

(١) نقش حصن الغراب + في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٨٩.

نواس ونهاية سميفع فدمجت أغلب الروايات بينهما واكتفت بذكر ذي نواس لتشابه الواقعتين، ويتميز نص ابن خلدون بذكر الواقعتين بصرف النظر عن الالتباس في لقب سميفع، ويمكن اعتبار سميفع بمثابة ذي نواس الثاني. فلما أغرق سميفع نفسه تقهقر جنوده ودخل أرياط وجيشه الحبشي الأكسومي منطقة تهامة وساروا منها مباشرة إلى منطقة السُّحول الكلاعية ـ في إب ـ أي من منطقة الرَّكب في تهامة إلى الجَنَدْ في تعز ثم إلى السّحول.

ـ قال نشوان الحميري: «ثم جمع النعمان بن عفير والد سيف بن ذي يزن جموعاً من أهل اليمن، وقَاتَل الحبشة في السحول، فهزموه إلى حقل شِرعة فيمن تبعه من أهل اليمن، ولحقهم الحبشة فقاتلوهم، فلم يكن لهم بهم طاقة»[1]. ويتبين من ذلك النص التاريخي الهام:

أ ـ إن أبا النعمان معدي كرب يعفر ذا يزن قام برئاسة اليمنيين بعد هلاك سميفع أشوع (ذي نواس الثاني)، وقد أشار الهمداني إلى ذلك حيث قال: «إن النعمان بن عفير هو الذي قام باليمن بعد ذي نواس هو وأولاده» وإنه «قال أهل السجل: كان يُكنى أبا النعمان.. وقال الحارثي: هو النعمان بن معدي كرب عفير» ـ فيكون هو «أبو النعمان معدي كرب يعفر ذو يزن» ومعنى قول الهمداني «وهو الذي قام باليمن» أي قام بالرئاسة وأصبح ملكاً باليمن بعد سميفع ذي الكلاع الذي أغرق نفسه في بحر ساحل تهامة.

ب ـ إن أبا النعمان معدي كرب يعفر ـ وكما ذكر نشوان ـ «جمع جموعاً من أهل اليمن، وقَاتَلَ الحبشة في السحول»[1] وهي منطقة السحول الكلاعية ـ بمحافظة إب «وتمتد منطقة السحول من عقبة الذهوب في مدينة إب جنوباً إلى مديرية القفر في قضاء يريم» حيث تصدّى معدي كرب يعفر والذين معه لجيش الغزو الحبشي الأكسومي بقيادة أرياط وأبرهة في منطقة السحول، ولكن الكثير من الأقيال التزموا الحياد ـ غالباً ـ فانهزم وتقهقر أبو النعمان معدي كرب يعفر والذين معه من أهل اليمن إلى منطقة حقل شرعة ـ ببلاد عنس بمحافظة ذمار حالياً ـ وهي الطريق إلى صنعاء. وقد ذكر الهمداني أن الطريق كانت «... من الجَنَد، ثم السَّحول، ثم حقل قتاب [وهو قاع الحقل في يريم] ثم ذمار ثم خدار ثم صنعاء»[2] وإنه «يمرُّ ـ الطريق ـ من

(١) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٤٩.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٤٣ و٢١٨ و٢١٠.

أرض رُعَيْن ثم أعلى شِرعة من ناحية عباصر [وهي بلدة في ظاهر شرعة من عنس جنوب ذمار بمسافة فرسخين] ثم يكلى، ثم صنعاء»[١]. وكان قاع شِرعة يعدّ من مخلاف ذي رعين. قال الأكوع في هامش الصفة: «قاع شِرعة ـ بكسر الشين ـ وهي أحد الحقول وفيها كانت معركة ضارية بين الأحباش الغزاة وحمير بقيادة النعمان بن عفير أبي سيف بن ذي يزن»[١] ـ وكان الأحباش والأكسوم زهاء سبعين ألفاً بقيادة أرياط وأبرهة، وربما كان معهما قادة من الرومان، بينما كان جيش معدي كرب يعفر أقل من ذلك بكثير، حيث ـ كما ذكر نشوان: «. . لحقهم الحبشة إلى حقل شرعة فقاتلوهم، فلم يكن لهم بهم طاقة» [ص١٤٩] ـ وكان مسير الغزاة الأحباش إلى شرعة لأنها الطريق إلى صنعاء فحاربهم معدي كرب يعفر ذو يزن والذين معه في شرعة، فلم يكن لهم بهم طاقة، فانسحب معدي كرب يعفر والذين معه من الأقيال والجنود والقبائل من حقل شرعة إلى المناطق الشرقية والجنوبية، ومضى أرياط وجيشه إلى صنعاء. قال ابن هشام: «ودخل أرياط اليمن»[١] وقال: «بَيْنُونُ وسِلْحِينُ وغُمْدَانُ من حصون اليمن التي هدم أرياط، ولم يكن في الناس مثلها. قال ذو جدن الحميري:

هَـوْنَـكِ لَيْـسَ يَـرُدُّ الـدَّمْـعُ مـا فَـاتَـا ... لا تَـهْـلِكِـي أَسَـفَـاً فـي إِثْـرِ مَـنْ مَـاتَـا
أَبَـعْـدَ بَـيْـنُـونَ لا عَـيْـنٌ ولا أَثَـرُ ... وبَـعْـدَ سِـلْـحِـينَ يَـبْـنِـي الـنَّـاسُ أَبْـيَـاتَـا

وقال ذو جدن أيضاً ـ [وهو علقمة بن ذي جدن]:

. . وغُـمْـدانُ الـذي حُـدِّثْـتِ عَـنْـهُ ... بَـنَـوْهُ مُـسَـمَّـكـاً فـي رأس نِـيـقِ[٢]
بِـمَـنْـهَـمَـةٍ وأَسَـفْـلُهُ جُـرُونُ ... وَحُـرٌّ الـمـوْحَـلِ الـلَّـثِـقِ الـزَّلِـيـقِ[٣]
مـصـابـيـحُ الـسَّـلِـيـطِ تَـلُوحُ فـيـه ... إذا يُـمـسِـي كَـتَـوْمَـاضِ الـبُـرُوق
فـأَصْـبَـحَ بَـعْـدَ جِـدَّتِـهِ رَمَـاداً ... وغَـيَّـر حُـسْـنَـهُ لَهَـبُ الـحـرِيـقِ»[٤]

ويدل ذلك على وقوع ثلاث معارك بعد معركة شرعة إحداها في منطقة حصن وقصر بَيْنون بحيث هدم أرياط حصن وقصر بينون ـ بمحافظة ذمار حالياً ـ وكذلك في منطقة ألهان (أنس) حيث هدم أرياط حصن ضوران، والثالثة بمدينة

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٤٣ و٢١٨ و٢١٠.
(٢) مسمكاً: مرتفعاً. ونيق ـ بكسر النون ـ هو الجبل. ورأسه: أعلاه.
(٣) جرون: حجارة سوداء. وحُر ـ بضم الحاء ـ وهو الخالص من كل شيء. والموحل: الطين الرقيق. والسليط: دهن الزيت.
(٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٣٩ جـ١.

صنعاء حول حصن وقصر غُمدان حيث هدم أرياط وجيشه الحصن وأحرقوا جانباً من قصر غُمدان مما يدل على أن دخولهم صنعاء كان بعد معركة ضارية، فبات أرياط ملكاً للحبشة في القسم الذي احتله الأحباش والأكسوم من اليمن والذي يمتد على طول الطريق من منطقة الرَّكب في تهامة إلى صنعاء ثم الطريق من صنعاء إلى مأرب ونجران، أما المناطق والمخاليف الداخلية فلم يجازفوا بالدخول إليها واستمرت بيد وتحت حكم الأقيال الأذواء الذين ربما قبلوا بالسلطة الحبشية الأكسومية ـ التي تركزت في منطقة ساحل تهامة وفي الطريق إلى صنعاء وبعض الحصون التي تقع على الطريق وكذلك مدينة صنعاء ثم الطريق إلى مأرب والعَبْر ونجران، وذلك في القسم الذي بات تحت الاحتلال والنفوذ الحبشي الأكسومي في النصف الغربي من اليمن.

ثانياً

استمرار الدولة الحميرية بزعامة معدي كرب يعفر ذي يزن

بينما استمرت الدولة الحميرية في النصف الشرقي والجنوبي من اليمن بزعامة الملك أبي النعمان معدي كرب يعفر بن سميفع ذي يزن فعندما انسحب بجيشه من قاع شِرعة إلى المناطق الشرقية والجنوبية ـ عام ٥٣٣م ـ ومضى الأحباش والأكسوم بقيادة أرياط وأبرهة إلى صنعاء، تم تمليك معدي كرب يعفر في النصف الشرقي والجنوبي من اليمن فأصبح هو ملك حمير والدولة الحميرية. والدليل المادي على ذلك أن نقش أبرهة عن حرب وأحداث عام ٥٤٢ و٥٤٣م يذكر حرفياً:

«معدي كرب بن سميفع ـ ذو يزن ـ وأقياله الذين يافقوا بقاه ملكن بمشرقن هعن وأخوته بنو أسلم وذو جرة ومرّة وثمامة وحنش ومرثد الأساحر السيبانيين وحنف ذو خليل»[1].

ويتبين من ذلك:

١ ـ إن معدي كرب يعفر بن سميفع ذا يزن كان ملك النصف الشرقي من اليمن «ملكن بمشرقن». وقد جاء في نقوش حميرية سابقة ذكر «مشرقن» بأنها تشمل أذوائيات (يزن وجدن ويلغب وبساين ويلغب وجردان ورخيه، وقبائل

(١) نقش أبرهة في مأرب ـ رقم C.I.H. 541.

ضيفتن ورثحم وسأكلن وسكرد، وشعبهم سيبان وحضرموت ومهرة». فمصطلح (مشرقن) يشمل كل النصف الشرقي والجنوبي من اليمن، وقد سلف تبيين أن أذوائية يزن كانت تشمل مناطق شبوة وأبين ويافع والضالع والبيضاء وما جاورها من سروحمير، وإن «ميفع: عند مصب وادي حجر إلى الشرق من قنأ. وجردان: من أودية المشرق. ورخية: من الأودية الفرعية لوادي حضرموت في الغرب. وسيبان قبيلة حميرية كبيرة في حضرموت. ومهره هي المهرة، وسأكلن: ظفار عمان. وسكرد: جزيرة سقطرى».

٢ ـ كان من الأقيال الذين جعلوا معدي كرب يعفر بن سميفع ذا يزن ملكاً بمشرقن «هعان وبنو أسلم» فأما بنو أسلم فهم بطن كبير من قبائل حمير وهم ـ كما في الإكليل ـ «بنو أسلم بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عَدِي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر» [ص٢٥٤/ ٢] ـ وكان اليزنيون والجدنيون من بني أسلم. قال الشاعر المجيدي في سيف ابن ذي يزن ـ في أبيات بالإكليل ـ:

«مِنْ فرع كعبٍ وذُرى أسلم وعبد شمس جده الأشهر»

وأما (هعان) فهو من آل ذي يزن. قال الهمداني في الإكليل: «أولد هعان بن عمرو: زُرعة بن هعان بطن» [ص٢٥٩/ ٢] ـ وكان هعان من أقيال معدي كرب يعفر ذي يزن.

٣ ـ وذكر النقش من الأقيال الذين (يافقوا) معدي كرب في بقاه (ملك مشرقن) الأقيال «مرّة، وثمامة، وحنش، ومرثد: أقيال أسحار وبني سيبان». وقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه «أولد ثوي بن جُمَّان الصدِفي: مُرّة، واحنا، وهو أبو آل ثمامة وهم أرمى الصدِف، بل ليس في الصدف وحضرموت من يرمي سواهم. والأيمن بن ثوي وهو أبو الأيامنة بالحيق، والحيق بأقصى حضرموت مما يصل الساحل» [ص١٨] وكانت مناطق الصدِف وسيبان في حضرموت متداخلة، والصدِف من كندة، وسيبان من حمير. قال الهمداني: «وهدون، وجودون، ودمون، وعندل: مدن للصدف بحضرموت. وفي دمون وعندل يقول امرؤ القيس:

كأني لم أزجر بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل»

[ص٢٠/ ٢]

وذكر الهمداني: أن من أبناء جُليبَة الصدفي «خُواري أبا حسان خال امرئ القيس بن حُجر الكندي» [ص٢٧/ ٢] بينما قال امرؤ القيس:

«خالي ابن كبشة قد علمت مكانه»

وهو يزيد بن كبشة الصدفي الكندي، ويمكن أن يكون «يزيد خواري بن جُليبة كبشة الصدفي الكندي» وكان يزيد بن كبشة من كبار الأقيال مع معدي كرب يعفر ذي يزن في محاربة أبرهة عام ٥٤٢م كما سيأتي.

٤ ـ وذكر النقش «حنف ذو خليل» وهو سليل القَيْل «مُرّة ذو خليل بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر». وقد ذكر الهمداني أن من بني ذي خليل «بُحر بن بُحر، وهُم بُحر حمير» قال الأكوع: «بُحر حمير لهم بقية في مخلاف أقيان بلاد شبام» [ص٣٢١/ ٢] وهذا قد يعني أن أذوائية خليل كانت منطقة شبام أقيان ـ بمحافظة صنعاء ـ وقد ذكر النقش أيضاً «رؤساء ذي جُرت» وهي سنحان وما جاورها من خولان. مما يعني أن سلطة وملوكية معدي كرب ذي يزن كانت تمتد إلى مناطق قريبة من صنعاء. وكان مقر معدي كرب هو القصر (يزن) في مدينة عبدان في وادي عبدان بمحافظة شبوة حالياً، وكذلك قصر أحور في مدينة أحور بساحل أبين والمذكور في قول الشاعر:

«وقصر أحور أسّ القيل ذو يزن»

ثالثاً

مقتل أرياط وتمليك أبْرَهَة في القسم المحتل من اليمن

ـ عام ٥٤١م ـ

ورسالة معدي كرب ذي يزن ملك حمير إلى المنذر ملك الحيرة بشأن ذلك

قال ابن هشام: «أقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهةُ الحبشي، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم ثار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنَّكَ لا تَصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً، فأبرُزْ إلي وأبرز إليك، فأيُّنا أصاب صاحبَهُ انصرف إليه جُندُه، فأرسل إليه أرياط: أنصفت. فخرج إليه أبرهة، وكان رجلًا قصيراً لحيماً، وخرج إليه أرياط وكان رجلًا عظيماً طويلًا، وفي يده حربة له، وخَلْفَ أبرهة غلامٌ له، يقال له

عَتَوْدَةُ، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربةَ فضرب أبرهة، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فَشَرَمت حاجبه وأنفهُ وعينه وشفته، فبذلك سُمي أبرهة الأشرم، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله. وانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن»[١] وقال المسعودي: «وثب أبرهة على أرياط فقتله»[٢] وكذلك في أغلب المصادر أن أبرهة هو الذي قتل أرياط وليس عتودة غلام أبرهة. قال ابن هشام: «فلما بلغ ذلك النجاشيَّ ـ ملك الحبشة ـ غضب غضباً شديداً، وقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري، ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويَجُزَّ ناصيته»[٢] ـ وكان مقتل أرياط بعد ٩ سنين من تأميره. أي عام ٥٤١م.

وكانت الدولة الحميرية في النصف الشرقي والجنوبي من اليمن بزعامة الملك معدي كرب ذي يزن تُتابع ذلك الانقسام في الصف الحبشي بالقسم المحتل من اليمن. ورأى الملك معدي كرب ذو يزن أن الوقت مناسب لمحاربة الحبشة وتحرير القسم المحتل من اليمن وكتب رسالة إلى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة. وقد نقل د. فوزي مكاوي عن كتاب سيرجو (Sergew) قوله: «إن هناك خطاباً يُنسب إلى أمير حمير ـ (ملك حمير) ـ بعثه إلى المنذر، وذكر في ذلك الخطاب موت الملك الذي عينه الأكسوميون ويشير إلى حدوث ذلك في فصل الشتاء مما أدى إلى عجز الأكسوميين عن تعيين ملك آخر»[٣] وقد توهم فوزي مكاوي أن ملك حمير الذي بعث الرسالة إلى المنذر هو ذو نواس. ولم يتنبه إلى أن المنذر لم يصبح ملك الحيرة إلا في عهد كسرى أنوشروان ـ عام ٥٣٠م ـ وإن ذا نواس مات قبل تمليك المنذر بخمس سنين ـ فالصواب أن ملك حمير الذي كتب الرسالة إلى المنذر هو معدي كرب يعفر بن سميفع ذي يزن، وإنه ذكر في ذلك الكتاب هلاك الملك الذي عينه ملك أكسوم بالقسم المحتل من اليمن وهو أرياط الحبشي وكان هلاكه في فصل الصيف ـ أي فصل القياظ (ذي قياظ) بالتقويم الحميري ويوافق شهر مايو من تلك السنة التي توافق عام ٥٤١ ميلادية، مما أدى إلى انقسام الأحباش والأكسوم على تعيين ملك آخر في القسم المحتل من اليمن، وقد ذكر ابن هشام والمسعودي والطبري أن النجاشي ملك

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٤٢ جـ١.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٧٨ جـ٢.

(٣) العلاقات بين أكسوم وجنوب الجزيرة العربية ـ د. فوزي مكاوي ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ٣/ ١٩٧٩م.

الحبشة غضب غضباً شديداً على أبرهة لقتله أرياط، وحلف لا يدع أبرهة حتى يطأه ويجز ناصيته، فذلك هو الانقسام الحبشي الذي أشار إليه ملك حمير في رسالته إلى المنذر ملك الحيرة المرتبط بالدولة الفارسية وملكها كسرى أنو شروان، أما الهدف من رسالة ذي يزن ملك حمير إلى المنذر ملك الحيرة فلا بد أنه الحصول على تأييد المنذر وملك فارس لعملية تحرير القسم المحتل من اليمن التي كان يخطط ويتهيأ ملك حمير للقيام بها. أما النجاشي (نُجش) ملك الحبشة وأكسوم الذي توعد بأن يطأ أبرهة ويجز ناصيته فهو الملك اليسباس المرتبط بالدولة الرومانية وملكها القيصر جوستنيان.

وقد ذكر بروكوبيس: إن اليسباس ملك الحبشة وأكسوم بعث ثلاثة آلاف جندي من الحبشة بقيادة أحد أقربائه لكي يقضي على أبرهة ويتولى الحكم. فلما وصل قريب اليسباس وجنوده إلى اليمن ـ وكما ذكر بروكوبيس ـ «بعث إليه أبرهة أنه يجمعني وإياك البلاد والدين، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لمصير من معي ومعك، فإن شئت فبارزني فأيّنا ظفر بصاحبه كان المُلك له» ـ وقال بروكوبيس ـ «إن القوة الحبشية الجديدة دخلت في مفاوضات مع أبرهة دون علم قائدها ثم انضمت إليه»[1] ونرى أن ذلك كان بسبب الخوف من خطر الحرب والثورة اليمنية التي أكمل الملك معدي كرب يعفر ذو يزن الإعداد لها لتحرير القسم المحتل من اليمن، وقد تجاوب أغلب أقيال وأذواء القسم المحتل من اليمن للإشتراك في الحرب والثورة التحريرية في الموعد الذي حُدد لها في سنة ٥٤٢م. إن الشعور بذلك الخطر أدى إلى أن القوة الحبشية التي بعثها الملك اليسباس دخلت في مفاوضات مع أبرهة دون علم قائدها ثم انضمت إليه وكذلك انضمت إليه القوة التي كانت موالية لأرياط، أما القائد الذي بعثه الملك اليسباس فربما قُتِل غدراً وربما عاد إلى الحبشة. وقد ذكر ابن هشام: «إن أبرهة كتب إلى ملك الحبشة: أيها الملك، إنما كان أرياط عُبْدَك، وأنا عبْدك، فاختلفنا في أمرك، وكُلُّ طَاعَتُهُ لك، إلا أني أقوى على أمر الحبشة. وأضْبَطَ لها، وأسوس منه، وقد حلقتُ رأسي كلَّه حين بلغني قَسَمُ الملك وبعثت إليك بجراب ترابٍ ليضعه تحت قدميه. فلما انتهى ذلك إلى النجاشي ـ ملك الحبشة ـ رضي عن أبرهة وكتب إليه: أن أثْبُتْ بأرض اليمن حتى يأتيك أمري. فأقام أبرهة باليمن»[2] ولا بد أن اليسباس ملك الحبشة علم أيضاً بالخطر المحدق بالأحباش

(١) Procopius. The History of Wars.

(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٤٣ جـ١.

والأكسوم في القسم المحتل من اليمن نتيجة الحرب التي يعدّ لها معدي كرب يعفر بن سميفع ذو يزن ملك النصف الشرقي والجنوبي من اليمن والتي ما لبث أن اندلعت.

رابعاً

حرب معدي كرب ذي يزن وأقيال اليمن ضد أبرهة والأحباش عام ٥٤٢م

لقد كتب أبرهة ـ في عام ٥٤٣م ـ نقشاً مسنداً ذكر فيه الحرب والثورة اليمنية التي قادها معدي كرب بن سميفع ذي يزن وأقيال اليمن في عام ٥٤٢م وكيفية انتهاء تلك الحرب والثورة في شهر ذي قياظ من ذلك العام وما تلي ذلك من محاولة إعادة بناء سد مأرب والاعتراف به ملكاً حتى كتابته للنقش في شهر معن سنة ٦٥٨ للتقويم الحميري (مارس ٥٤٣م). ولذلك فقد تحدث النقش عن تلك الحرب والثورة بإيجاز وذلك كما يلي:

١ ـ قال أبرهة في النقش: «إن يزيد بن كبشة ـ خليفته الذي استخلف على كندة ـ ومعه معدي كرب بن سميفع ذو يزن وأقياله الذين يافقوا بقاه ملكن بمشرقن هعان وأخوته بنو أسلم ورؤساء جرت ومرة وثمامة وحنش ومرثد الأساحر أقيال سبأن (سبأ/ سيبان) وحنف ذو خليل، هاجموا مصنعة كدر (كدور) وقتلوا ذي زبانر الذي ولاه أبرهة عليها»[1] ـ ويقع حصن كدور في منطقة العبر التي تقع في الطريق بين مأرب وحضرموت.

ويقول د. محمد بافقيه: «إن يزيد بن كبشة، الذي قد يكون من أخوال امرئ القيس ابن حجر الشاعر، هو ولا شك من فرع الأمراء والزعماء الكنديين.. وكان يزيد، كما حرص النقش أن يسجل، خليفة (أي عاملاً) لأبرهة قبل حدوث التمرد أو الثورة.. إن يزيد لم يكن إلا زعيماً للأعراب في تلك المنطقة الحساسة، وإذا كان له نفوذ آخر فلا يعد أطراف وادي حضرموت الغربية كمنطقة الكسر، أما قلب الوادي وقبيلة حضرموت فكانت تابعة لليزنيين.. إن غارة يزيد على حضرموت وأخذه وأسره لمازن هجان الأذموري هو العمل الوحيد الذي شارك به يزيد في ثورة المشرق إذا صح أن حركته كانت جزءاً منها.. ولا بد أن اطمئنان أبرهة لولاء الأعراب في نواحي الغرب إلى جانب

(١) نقش أبرهة ـ ٥٤١ سي.آي.اتش.

خضوع حضرموت له ـ [أو ولاء يزيد بن كبشة له] ـ هو الذي سهّل انطلاق جره ذي زنابر لفرض نفوذ الملك الجديد (أبرهة) في المشرق معقل اليزنيين، واتخاذه من حصن كدور المنيع مركزاً للإدارة الجديدة. على أن ذلك العمل في ذاته... إنما هو دليل على أن الأمر لم يكن قد استتب تماماً لأبرهة في تلك المناطق قبل إحداث النقش.. وقد ربط بعض الدارسين للنقش بين تمرد يزيد وتمرد، أو بالأحرى ثورة، الأقيال من سبأ وآل ذي يزن ربطاً محكماً يجعل من الحركتين حركة واحدة ووصفها بأنها ثورة وطنية.. أما الأقيال الثائرون فبعضهم، حسب الترتيب في النقش، من سبأ وهم: مرّة وثمامة وحنش ومرثد من الأساحر (أو آل ذي سحر) وحنيفة ذو خليل (من آل خليل)، ومن اليزنيين وهم: معدي كرب بن سميفع (الملك) وهعّان وأخوته بنو أسلم. وقد اعترض الأقيال المذكورون سبيل جره ذي زنابر الذي أنفذه أبرهة ليدير المشرق (أعالي المشرق) وقتلوه ودكوا مصنعة كدور الحصن المنيع الذي سبقت الإشارة إليه. وإذا كان أبرهة قد حرص على أن يبدأ نقشه بالتنديد بتمرد عامله يزيد، وربط بينه وبين ما اعتبره تمرداً من الأقيال، فإنه عندما جاء إلى تفاصيل أحداث ذلك التمرد وتلك الثورة بدأ بمقتل جرة ذي زنابر وتدمير مصنعة كدور من قبل الأقيال، ثم انثنى ليذكر ما فعله يزيد، وكان ما فعله لا يزيد عن جمع بعض من أطاعه من كندة للإغارة على حضرموت ـ (أو على جماعة من حضرموت) ـ موالية للملك أبرهة، وأسر مازن هجان الأذموري والعودة إلى العبر.. وخلاصة القول أن يزيد الذي سارع إلى مبايعة أبرهة، سارع أيضاً إلى الإنقلاب عليه حين رأى أقيال المشرق وفيهم معدي كرب بن سميفع يثورون»[1].

وكان الملك معدي كرب بن سميفع ذي يزن ملك المشرق هو قائد تلك الحرب والثورة الوطنية ومعه أقيال شرق اليمن ومنهم يزيد بن كبشة الكندي ـ خال امرئ القيس ابن حجر الكندي ـ وتذكر فقرة لاحقة في النقش أن قبائل وزعماء التراخم والعود وخبيش ومضرفة ذافان وغيرهم من أقيال النصف الغربي من اليمن قد انضموا إلى الثورة. وقد اتخذ أقيال معدي كرب بن سميفع مصنعة كدور مقراً للتجمع والحشد، وربما كانت خطتهم استكمال التجمع والحشد ـ في كدور والعبر ـ والتقدم منها إلى صرواح ثم منطقة خولان ثم صنعاء.

٢ ـ يذكر أبرهة في النقش إنه حين بلغ أبرهة الصارخ أو الصريخ ـ [ربما من فلول زنابر الذين هربوا من مصنعة كدور] ـ بادر أبرهة إلى جمع المقاتلين

(١) في العربية اسيعدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص١٩١ ـ ١٩٦ جـ٢.

من الأحباش وحمير بالآلاف. وكان ذلك في شهر القياظ من عام ٦٥٧ [حميري ـ [يونيو ٥٤٢م] ـ وانطلقوا عن طريق المرتفعات إلى صرواح ثم من صرواح إلى (نبط) ـ [وهو مكان لا يعرف أحد موقعه الآن] ـ ولما بلغوا (نبط) بعث أبرهة القوات إلى كدور، وكانت القوات مكونة من قبائل (إلو) و(لمد) و(حمير)، ومع القوات عاملان من عمال أبرهة اسم أحدهما (علي نبط) فقام (علي نبط) بمفاوضة الأقيال في كدور، فأبرموا عهداً بالطاعة للملك أبرهة. وعند ذلك ـ كما ذكر النقش ـ دخل في الطاعة ـ قبائل وأقيال ـ (التراخم) و(العود) و(خبيش) و(مضرفة ذافان) ثم رؤساء (دا) و(جبا = المعافر). كما قدِم يزيد بن كبشة من العبر إلى أبرهة في (نبط) ودخل في الطاعة، واستخلفه على كندة»[1].

وبذلك انتهت تلك الحرب والثورة التي كان هدفها تحرير القسم المحتل من اليمن، ودخل أغلب الأقيال والرؤساء في طاعة أبرهة بإبرام عهد ـ أي معاهدة ـ بالطاعة لأبرهة، وقد اكتفى النقش بذكر العهد ولم يذكر مضمون ذلك العهد والذي يبدو أنه يتضمن استقلالية الأقيال والأذواء بحكم مناطقهم وقبائلهم وبقاء كل واحد منهم قَيْلًا ـ حاكماً ـ على منقطته وقبيلته، مقابل الطاعة والولاء للملك أبرهة. وكذلك أعلن أبرهة أنه سيعيد بناء سد مأرب الذي انهار منذ مئات السنين وإن إعادة بناء السد سيعود بخير عظيم للبلاد، وحدد أبرهة للأقيال والقبائل موعداً للبدء في إعادة بناء سد مأرب وهو شهر ذي الصراب (اكتوبر) فكان ذلك من عوامل استجابة الأقيال لإنهاء الحرب والثورة وإبرام العهود بالطاعة للملك أبرهة الذي ذكر في النقش نفسه ابنه «أكسوم بن أبرهة» بلفظ «أكسوم ذو معاهر ابن الملك». وهذا يعني أن أبرهة أظهر أنه في الأصل من اليمنيين الحميريين آل ذي معاهر الذي كان بعضهم هاجروا إلى أكسوم وتولوا الحكم بها في عهود سابقة، فالنص في النقش على أن أكسوم بن أبرهة من ذي معاهر يعني أن أبرهة من آل ذي معاهر اليمنيين الذين كانوا في أكسوم، ومما يتصل بالأصل اليمني لأبرهة قول الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم:

متى نلحق بأبرهة اليماني أو النعمان يوجهنا وعمرو

وأياً كان مدى صحة انتساب أبرهة إلى آل ذي معاهر واليمن فإن ذلك لا

(١) نقش أبرهة ـ ٥٤١ سي.آي.اتش.

يُغير من كونه رأس الاحتلال الأكسومي الحبشي ونائب ملك أكسوم والحبشة ـ اليسباس ـ في القسم المحتل من اليمن.

خامساً

ما بين انتهاء حرب وثورة ٥٤٢م وهلاك أبرهة ووفاة معدي كرب ذي يزن عام ٥٧٠م

بعد انتهاء الحرب والثورة الوطنية في شهر ذي قياظ من عام ٦٥٧ حميري (يونيو ٥٤٢م) بدخول أغلب الأقيال في العهد والطاعة لملوكية أبرهة أصبح أبرهة ملكاً لأغلب اليمن وعاصمتها صنعاء بينما استمر معدي كرب يعفر بن سميفع ذي يزن ملكاً في النصف الشرقي من اليمن (ملكاً بمشرقن) وعاصمته مدينة عبدان حيث كان القصر (يزن) وكذلك في قصر أحور الذي بناه ذو يزن في مدينة أحور بساحل أبين.

والتزم أبرهة بتعهده بالبدء في إعادة بناء سد مأرب في شهر ذي الصراب (اكتوبر ٥٤٢م) حيث وصل أبرهة إلى مأرب ووصل إليها أقيال وقبائل اليمن وكذلك الجيش الحبشي الذي باليمن، وبدأت عملية إعادة بناء السد في موعدها المحدد (اكتوبر ٥٤٢م) وأدى ذلك إلى وصول أغلب أقيال اليمن إلى أبرهة في مأرب وعاهدوه، وهم ـ كما جاء في النقش ـ «أقيال كدور والعبر ـ الذين منهم يزيد بن كبشة الكندي ـ وأقيال وأعيان كنع/ وعادل ذو فايش/ ومرجزف ذو ذرانح/ وذو ثوطن [لعلها ثوجمن/ الثوجم]/ وذو شعبان/ وذو رعين/ وذو همدان/ وذو الكلاع/ وذو مهدم/ وذوثاة/ وعلس اليزني/ وكبير حضرموت وذي فرنه وكوصه/».

وكان لذلك الاعتراف الداخلي الواسع من أغلب أقيال اليمن بملوكية أبرهة أثره في الاعتراف الخارجي فقد وصل إليه ـ وهو بمأرب في فترة العمل لإعادة بناء السد ـ وكما ذكر النقش ـ «وفد ملك الحبشة، ووفد ملك الروم (جوستنيان) ووفد ملك فارس (كسرى أنوشروان) ورسل المنذر (ملك الحيرة) ورُسل الحارث بن جبلة الغساني (ملك الشام) ورسل أبي كرب بن جبلة (شقيق الحارث بن جبلة).

وانتهى مشروع أبرهة لإعادة بناء سد مأرب بالفشل، حيث ـ كما جاء في النقش ـ «إن الجميع حميريين وأحباش أبدوا تظلمهم من الاستمرار في العمل

بعد عدة أشهر، فرأى أبرهة أن من العدل أن يأذن بالإنصراف، فكتب هذا النقش المسند وانصرف وإياهم من مأرب في شهر ذي معن سنة ٦٥٨ للتقويم الحميري «مارس ٥٤٣م). وبذلك فشل مشروع أبرهة لإعادة بناء سد مأرب ولكن ملوكيته ترسخت في ذلك القسم من اليمن.

وفي زمن لاحق قام أبرهة ببناء كنيسة قليس صنعاء. وقد كان قليس صنعاء موجوداً منذ عهود سابقة حيث بناه بعض ملوك الدولة الحميرية كما ذكر ذلك الهمداني في الإكليل والصفة. قال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في هامش الصفة: «يذهب المؤلف ـ أي الحسن الهمدني ـ إن الباني للقليس تُبَّع أو أحد ملوك حمير، وإن أبرهة إنما اتخذه كنيسة لا هو الذي عمرها»[١]. وليس ذلك رأي الهمداني بل هو علم متواتر نقله الهمداني عن الأوائل بأن قليس صنعاء كان موجوداً منذ ـ وفي ـ عصور تبابعة الدولة الحميرية وإن أبرهة إنما قام بتجديد وتفخيم القليس. ومعنى قليس كنيسة. وقال ابن هشام: «إن أبرهة بَنَى القُلَّيْسَ بصنعاءَ، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيء من الأرض». وجاء في الهامش ما يلي: «القليس: الكنيسة. قال السهيلي: وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وجشمهم فيها أنواعاً من السخر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر الملكة بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام، فاستعان بذلك على ما أراده في هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس»[٢].

قال ابن هشام: «ثم كتب أبرهة إلى النجاشي ـ ملك الحبشة ـ إني قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبنَ مثلُها لملك كان قبلك، ولست بِمُنْتَهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجلٌ من النَّسَأَة، فخرج حتى أتى القُليس فَقَعَدَ فيها، أي أحدث فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فعلم بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل البيت الذي تحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك: «أصْرِفُ إليها حَجَّ العرب» فجاء فقعد فيها، أي: إنها ليست لذلك بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف لَيَسِيَرَنَّ إلى البيت حتى يهدمه»[٢].

أما الملك معدي كرب يعفر بن سميفع ذي يزن فكان خلال تلك العقود

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٠٨.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٤٣ و٤٦ جـ١.

ملكاً بالنصف الشرقي من اليمن، هو وأولاده (النعمان، وعمرو، وأبو منذر، وشراحيل، وسيف»[١] وكان معدي كرب يُعفر «يكنى أبا النعمان»[١] ولذلك شاع في الروايات والأنساب القول بأن اسمه (النعمان بن عفير) وهو اختصار واختزال لكنيته واسمه «أبو النعمان معدي كرب يعفر» وكان يُقال له (ذو التاجين)، ولذلك قال علقمة بن زيد الخولاني في سيف بن ذي يزن:

إليك ابن ذي التاجين سرن ركائباً مـوقـعـةً كـأنـهـنَّ جُـنـودُ[٢]

وكان أبو النعمان معدي كرب يعفر ذو يزن ينتظر ظروفاً مؤاتية لتحرير القسم المحتل من اليمن الذي يحكمه أبرهة. وفي حوالي عام ٥٦٣م بعث الملك معدي كرب يعفر ذو يزن ابنه (عمرو) إلى الحارث بن جبلة الغساني ملك العرب بالشام وإلى القيصر جوستنيان ملك الروم طالباً التأييد لتحرير القسم المحتل من اليمن ويلتزم بما يمكن التعبير عنه بالارتباط بالمعسكر الروماني. فقد ذكر الهمداني في الإكليل أن «عمرو هو الذي خرج إلى قيصر وقبائل قحطان بالشام برسالة أبيه ـ أبي ـ النعمان بن عفير»[١] وجاء في الهامش أن قوله: (قبائل قحطان بالشام: أي الغساسنة ملوك الشام»[١]. وكان الملك هو الحارث بن جبلة الغساني وكان أخوه (أبو كرب بن جبلة الغساني) ملكاً على بعض مناطق الشام مثل الجولان وغيرها في إطار ملوكية الحارث بن جبلة. وربما كانت رسالة معدي كرب يعفر ذي يزن إلى الحارث بن جبلة وقبائل قحطان وغسان بالشام وقيصر الروم من أسباب سفر الحارث بن جبلة إلى القسطنطينية حيث كما ذكر الأستاذ أحمد أمين «سافر الحارث بن جبلة سنة ٥٦٣م ليفاوض الامبراطور (جوستنيان) في شؤون الحرب التي بينه وبين الحيرة، وفي من يخلفه على كرسيه»[٣].

ونرى أن من الممكن أن يكون الحارث بن جبلة اصطحب معه عمرو بن معدي كرب يعفر ذي يزن ونقل إلى القيصر جوستنيان رسالة وطلب معدي كرب يعفر ذي يزن، ولم تذكر الروايات أي تفاصيل عن ذلك لأن جوستنيان لم يتجاوب مع ذلك، فتباحث الحارث بن جبلة معه في الأمور التي تباحث معه فيها، وعاد إلى الشام بينما عاد عمرو إلى اليمن. وفي عام ٥٦٧م مات القيصر جوستنيان ـ وهو أخر عظماء القياصرة الروم اليزنطيين ـ وتولى الحكم مكانه

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٨ جـ٢.

(٢) صفة جيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٨٥.

(٣) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص١٩ ـ ومات الحارث بن جبلة سنة ٥٦٩ أو ٥٧٠م وخلفه ابنه المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني.

الملك القيصر جوستين الثاني (٥٦٨ ـ ٥٧٨م) واندلعت حرب واسعة بين الروم والفرس ـ عام ٥٦٨م ـ فرأى الملك معدي كرب يعفر ذي يزن ظروفاً مؤاتية للحصول على تأييد الامبراطورية الفارسية، وقد ذكر الهمداني أنه بعث ابنه سيف بن ذي يزن برسالة إلى كسرى أنوشروان[١] بينما ذكر المسعودي أنه سار بنفسه إلى كسرى أنوشروان فوعده بالدعم في سنة لاحقة لأنه منشغل بحرب الروم[٢] وكان ذلك ما بين عام ٥٦٨ و٥٦٩م، وكان معدي كرب يعفر ذو يزن ـ والد سيف ـ قد بلغ من الكبر عتيًّا، وكذلك كان أبرهة.

وفي عام ٥٧٠م سار أبرهة من صنعاء يريد هدم بيت اللّه الحرام بمكة. قال ابن هشام: «أمر أبرهةُ الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه، ورأوا جهاده حقًّا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت اللّه الحرام، فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يُقالُ له ذُو نَفْر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت اللّه الحرام. فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فانهزم ذو نفر وأصحابه»[٣]. وكانت المعركة بين ذي نفر وأبرهة في منطقة صعدة وما جاورها من نجران، ولم يكن حكم أبرهة قد وصل إلى تلك المنطقة من اليمن ولا ما يليها من منطقة خثعم اليمنية في عسير وبيشه بأعالي اليمن، ووقع ذو نفر أسيراً. قال ابن هشام: «ثم مضى أبرهه حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي في قبيلَيْ خثعم: شهران، وناهس ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله، فهزمه أبرهة، وأخذ نُفيل أسيراً، فلما هَمّ أبرهة بقتله، قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلني فأنا دليلك، وهاتان يَدايَ لك على قبيليّ خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيله، وخرج به معه»[٣].

ومضى أبرهة إلى الطائف ثم إلى المغَمّس بضواحي مكة، وبعث خيلًا أغارت إلى مكة، وساقت إليه أموال قريش وغيرها من الإبل والغنم، وكان فيها نحو مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذٍ كبير قريش. ثم سار عبد المطلب ومعه بعض بنيه إلى معسكر أبرهة، فدخل عبد المطلب إلى أبرهة وسأله أن يرد إليه بعيره، فقال له أبرهة: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ فقال

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٨ جـ٢.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٠ جـ٢.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٤٦ ـ ٤٧ جـ٢.

عبد المطلب: إني أنا رَبُّ إبلي وإن للبيت ربًّا سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك. فردّ أبرهة لعبد المطلب الإبل التي أخذها جنوده. وخرج أهل مكة إلى الجبال والشعاب تخوفاً من مَعَرَّة الجيش أي شدته وبطشه، ولم يكن مع أبرهة كل جيشه وإنما كان معه قوة من جيشه الأحباش وكان معظم جيشه في صنعاء وغيرها باليمن.

قال ابن هشام: «فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهَيَّأ فيله، وعَبَّأ جيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مُجْمع لهدم البيت ثم الإنصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقْبَل نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي (اليمني) حتى قام إلى جانب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: أبْرُكْ محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد اللّه الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل. وضرب الأحباشُ الفيل ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك. فأرسل اللّه عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطِيف والبَلَسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجرٌ في منقاره، وحجران في رجليه، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاءوا منه ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيل حين رأى ما أنزل اللّه بهم من نقمته:

أَيْنَ الْمَفَرُّ والإلهُ الطَّالِبْ ... والأَشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبْ

وقال نُفَيل أيضاً:

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُمْ مع الإصْبَاح عَيْنَا
رُدَيْنَةُ، لو رَأَيتِ فَلَا تَرَيْهِ ... لَدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ ما رأينا
إذاً لَعَذَرْتِنِي وحَمِدْتِ أمْري ... ولَمْ تأسَيْ على ما فَاتَ بَيْنَا
حَمِدْتُ اللّه إذْ أبصرتُ طَيْراً ... وخِفْتُ حجارةً تُلْقَى علينا
وكُلُّ القَوْمِ يسألُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كأنّ عليَّ لِلْحِبْشَانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، وأُصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً ـ أي جسمه أخذ يتناثر قطعة فقطعة ـ كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مِدة تَمُثُّ قَيْحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فمات ـ بصنعاء»[1].

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٥٢ ـ ٥٥ وص٦٥ جـ٢.

وكان هلاك أبرهة في ذلك العام وهو عام الفيل الذي فيه كان مولد النبيّ محمد عليه الصلاة والسلام وذلك عام ٥٧٠م. قال ابن هشام: «فلما هلَكَ أبرهة مَلَكَ الحبشةَ ابنه يكْسُوم بن أبرهة، فلما هلك يكسوم بن أبرهة مَلَكَ أخوه مَسْرُوق بن أبرهة»[١].

وفي أواخر نفس ذلك العام ـ عام ٥٧٠م ـ مات في القصر يزن بمدينة عبدان ـ بمحافظة شبوة ـ الملك معدي كرب يعفر بن سميفع ذي يزن وتم تمليك ابنه الملك الزعيم سيف ابن ذي يزن الذي قاد حرب تحرير القسم المحتل من اليمن وقضى على مسروق بن أبرهة والأحباش سنة ٥٧٢ ميلادية.

المبحث الثالث

عهد سيف بن ذي يزن..
ملك اليمن ورأس العرب
(٦٨٦ ـ ٧٠٥ حميري/ ٥٧١ ـ ٥٩٠م)

هو الملك الزعيم سيف بن ذي يزن، نجل الملك ذي التاجين أبي النعمان معدي كرب يعفر ذي يزن. قال علقمة بن يزيد الخولاني في قصيدة مدح بها سيف بن ذي يزن:

«إليك ابن ذي التاجين سرن ركائباً ... موقعةً كأنهنَّ جُنودُ
. . إلى طلق لم يعقد اللؤمُ كفَّه ... وما زندُه في المكرمات صَلودُ
نماهُ إلى العلياء نفسٌ أبية ... وبأس غداة البأس منه، وجُودُ
. . تكامل فيه منصبٌ لم يلت به ... ومُلكٌ نماهُ طارفٌ وتليدُ
ومدّ إليه يوم غيمان إذْ دَعَا ... من أبناء عمرو أشبلُ وأسودُ[٢]

ويوم غيمان هو يوم معركة التحرير التي قادها سيف بن ذي يزن وهزم فيها الأحباش وملكهم في القسم المحتل من اليمن مسروق بن أبرهة، وكان ذلك النصر على الأحباش ـ وكما ذكر ابن كثير ـ «بعد مولد النبي محمد ﷺ بسنتين»[٣] ـ فيكون ذلك سنة ٥٧٢م ـ وأتت الوفود إلى سيف بن ذي يزن في

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٥٢ ـ ٥٥ وص٦٥ جـ٢.
(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٨٥ ـ ٣٨٦.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٩ جـ٢.

قصر غمدان بصنعاء وكان فيهم عبد المطلب بن هاشم الذي قال في كلمته مخاطباً سيف بن ذي يزن:

«. . . فأنتَ ـ أبيتَ اللعنَ ـ ملك العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد، ورأس العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد»[١].

فكان سيف بن ذي يزن ملك اليمن ورأس العرب. قال الهمداني: «مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة، ثم مَلَكَ أخوه شُرحبيل ثلاث سنين»[٢]. ويتبين من ذلك أن مدة حكم سيف بن ذي يزن كانت عشرين سنة وذلك منذ تمليكه بعد وفاة أبيه في النصف الشرقي من اليمن في مطلع عا م٦٨٦ حميري (= ٥٧١ ميلادي) وحتى نهاية العام ٧٠٥ حميري (الموافق عام ٥٩٠ ميلادي) في أواخر القرن السادس الميلادي.

ونذكر فيما يلي معالم النبأ اليقين عن عهد سيف بن ذي يزن ملك اليمن ورأس العرب:

أولًا

تمليك سيف بن ذي يزن في النصف الشرقي من اليمن

لقد كان ذو التاجين معدي كرب يعفر بن سميفع ذي يزن ملكاً في النصف الشرقي من اليمن حيث ذكره نقش أبرهة بلفظ: «معدي كرب بن سميفع ـ ذي يزن ـ ملكن بمشرقن»[٣] ـ أي الملك بالمشرق ـ وكانت ملوكيته بالنصف الشرقي من اليمن تشمل بالتسميات الحالية مناطق ومحافظات شبوة وأغلب حضرموت والمهرة ـ باستثناء مناطق قبيلة الصدف بأعالي حضرموت التي دخلت في طاعة أبرهة ـ كما كانت ملوكية معدي كرب يعفر تشمل مناطق أذوائية يزن والتي منها مناطق ومحافظات أبين ولحج وعدن ويافع والضالع والبيضاء وبعض مناطق سرو حِمْيَر. وكان أبناء معدي كرب يعفر ذي يزن يشاركونه في الحكم، وهم ـ كما جاء في الإكليل ـ (النعمان، وأبو منذر، وشراحيل، وعمرو، وسيف). وقال علقمة بن زيد الخولاني في القصيدة التي مدح بها سيف بن ذي يزن:

«تُعالي إلى باب امرئٍ ذي مركبٍ تكامل فيه العقل وهو وليدُ

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٩ جـ٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤١.
(٣) النقش رقم ٥٤١ C.I.H.

أقبُّ طويل الباع من بيت أسلم صبور على رزء الزمان جليدُ»[١]

وفي حوالي عام ٥٦٣م بعث الملك ـ أبو النعمان ـ معدي كرب يعفر ذو يزن إبنيْه الأميرين سيف وعمرو في مهمة ذكرها الهمداني قائلًا: «وسيف هو النازع إلى كسرى أنوشروان. وعمرو هو الذي خرج إلى قيصر وقبائل قحطان بالشام برسالة أبيهما ـ أبي ـ النعمان بن عفير»[٢] ـ أي رسالة معدي كرب يعفر ذي يزن.

ويبدو أن الأميرين سيف وعمرو ـ كليهما ـ سارا آنذاك إلى الحارث بن جبلة الغساني ملك العرب بالشام ثم إلى القيصر جوستنيان ملك الروم. فقد ذكر ابن هشام في أنباء سيف بن ذي يزن ما يلي: «خرج سيف بن ذي يزن الحميريّ، وكان يُكنى بأبي مُرّة، حتى قدم على قَيْصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويبعث إليهم من شاء من الروم.. فلم يُشْكِهِ»[٣] وجاء في الهامش: «أشكاه: أي أزال شكواه، يريد أنه لم يؤيده ولم يقض حاجته. وفي الطبري: (ولم يجد عنده شيئاً مما يريد»[٣] وكذلك قال ابن خلدون: «خرج سيف بن ذي يزن وقَدِم على قيصر ملك الروم، وشكا إليه أمر الحبشة وطلب أن يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم، فلم يسعفه عن الحبشة، وقال: الحبشة على دين النصارى»[٤].

ويتبين من ربط ذلك بما ذكره الهمداني في الإكليل والقرائن الزمنية أن مسير سيف بن ذي يزن كان مع أخيه عمرو برسالة من أبيهما الملك معدي كرب يعفر ذي يزن إلى الحارث بن جبلة الغساني ملك العرب بالشام وإلى الملك جوستنيان قيصر الروم. وقد سار الحارث بن جبلة ـ بنفسه ـ إلى القسطنطينية عام ٥٦٣م للتباحث مع الملك جوستنيان بشأن الحرب ضد الفرس والحيرة وأمور أخرى من بينها ـ فيما نرى ـ رسالة وطلب الملك معدي كرب يعفر ذي يزن، وإن الأميرين سيف بن ذي يزن وأخاه عمرو لما وصلا إلى الحارث بن جبلة الغساني بالشام سار معهما إلى الملك جوستنيان. فعرض سيف وأخوه رسالة وطلب أبيهما على جوستنيان، ولم يذكر الهمداني مضمون الرسالة ولكن الواقع يدل على أنها كانت طلب تأييد قيصر الروم لتحرير القسم الذي يحتله الأحباش

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٨٦.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٨ جـ٢.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٦٥ جـ٢.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٣.

ويحكمه أبرهة في اليمن مقابل ارتباط الدولة الحميرية بالمعسكر الروماني وأن يبعث القيصر ممثلاً له من الروم يقيم في اليمن ويشرف على ذلك، فلم يستجب القيصر جوستنيان لذلك، أما القول بأنه قال لسيف: إن الحبشة على دين النصارى، فلعلّ المقصود مذهب تأليه المسيح وإلا فإن اليزنيين وأغلب حمير كانوا يدينون بالديانة المسيحية وغالب الظن أن قيصر الروم رأى أن من الأفضل لمصلحة الروم بقاء الوضع في اليمن على ما هو عليه بوجود دولتين إحداهما تحت حكم ذي يزن والأخرى تحت حكم أبرهة والأحباش، فعاد سيف وعمرو ـ مع الحارث بن جبلة ـ إلى الشام، ومن ثم عاد سيف وعمرو إلى أبيهما الملك معدي كرب يعفر ذي يزن في عاصمته بالنصف الشرقي من اليمن.

وفي عام ٥٦٧م مات القيصر جوستنيان وتولى العرش الروماني البيزنطي الملك جوستين الثاني، واندلعت حرب واسعة بين الفرس والروم ـ حوالي عام ٥٦٨ ـ ٥٦٩م ـ وعندئذٍ رأى الملك معدي كرب يعفر ذو يزن التحالف مع كسرى أنوشروان ملك الفرس والحصول على تأييده لتحرير القسم المحتل من اليمن من الأحباش المسنودين من الروم. وقد ذكر الهمداني أن سيف بن ذي يزن سار برسالة من أبيه إلى كسرى أنوشروان، بينما ذكر المسعودي أن ذا يزن ـ والد سيف ـ سار بنفسه إلى كسرى أنوشروان: «فوعده كسرى بالنُصرة، ولكنه شُغل بحرب الروم وغيرها من الأمم»[1]. ـ أي إن كسرى وعده بالنصرة في سنة لاحقة لانشغاله بحرب الروم، فعاد الملك معدي كرب ذو يزن ـ ومعه ابنه الأمير سيف ـ إلى الحيرة ثم بحراً إلى اليمن.

وفي عام ٥٧٠م هلك أبرهة عند عودته من حملته الفاشلة إلى الكعبة، فهلك أبرهة في صنعاء وتولى الحكم مكانه ابنه أكسوم بن أبرهة فما لبث أن مات وتولى الحكم مسروق بن أبرهة. بينما في القسم الشرقي من اليمن مات الملك معدي كرب يعفر ذو يزن وتم تمليك نجله سيف بن ذي يزن في مطلع عام ٥٧١م. فتولى سيف بن ذي يزن حكم القسم الشرقي من اليمن الذي كان يحكمه أبوه، وامتد نفوذه إلى مناطق من النصف الغربي من اليمن الذي كان تحت حكم أقيال وأذواء مرتبطين بمعاهدات مع الأحباش وأبرهة مثل مناطق وأذوائيات العود والتراخم وذي رُعين وذي الكلاع وذي فائش وخولان. ومما يشير إلى ذلك قول عمرو بن يزيد المجيدي في سيف بن ذي يزن:

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٠ جـ٢.

ألْفَىٰ أبـاه (يـعـفـراً) قـد سَـمَـا فـذاد مـا أسّ لـه (يـعـفـرُ)[١]
وزاد سـيـفُ وسـمـا لـلـعـلـىٰ فـبـحـره يـطـمـىٰ بـه الأبْـحُـر

وأخذ سيف يتهيأ لتحرير القسم المحتل من اليمن واستجاب له أغلب أقيال وقبائل اليمن، واتفق معهم على أن يلتقوه بفرسانهم في منطقة ساحل اليمن عند عودته بالدعم الفارسي الموعود من كسرى أنو شروان، ويدل على ذلك أنه عند عودة سيف ـ وكما ذكر نشوان الحميري ـ: «كان قد اجتمع أهل اليمن للقاء سيف بن ذي يزن»[٢].

ثانياً

مسير سيف إلى كسرى وعودته بالدعم الفارسي الرمزي

في عام ٥٧٢م أبحر الملك سيف بن ذي يزن من ميناء قنأ ـ في الساحل الجنوبي الشرقي لليمن ـ إلى ميناء الأبُلة ـ في موقع البصرة ـ وتوجّه إلى مدينة الحيرة مقر وعاصمة الملوك المناذرة اليمنيين ملوك بلاد الحيرة وما إليها من العراق في إطار الامبراطورية الفارسية. حيث قال ابن هشام: «خرج سيف بن ذي يزن حتى أتى النعمان بن المنذر، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وِفَادَةً كل عام، فأقِمْ حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج النعمان معه إلى كسرى»[٣] وقال ابن خلدون: «قَدِم سيف بن ذي يزن الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب، فشكا إليه واستمهله النعمان إلى حين وفادته على كسرى، ووفد معه»[٤] وذكر نشوان الحميري أنه «لما دخل سيف قام له النعمان بن المنذر من مجلسه وعظمه»[٢] ولا بد أن سيف بن ذي يزن أخبر النعمان بن المنذر بالاستعدادات لتحرير القسم المحتل من اليمن وبالدعم الفارسي المنشود لردع احتمال تدخل الروم. ويدل مسير النعمان بن المنذر بنفسه مع سيف بن ذي يزن إلى كسرى ـ وكذلك مسير الحارث بن جبلة

(١) جاء هذا البيت في الإكليل بأنه «ألفى أباه منذراً قد سما...» وذلك للقول بأن اسم أبيه (معدي كرب المنذر) والصواب (معدي كرب يعفر) كما في النقوش فصوبناه إلى (يعفر).
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥١.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٦٥ جـ٢.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٣.

الغساني قبل ذلك مع سيف بن ذي يزن وأخيه إلى قيصر الروم ـ يدل على تعظيم الغساسنة اليمنيين بالشام والمناذرة الميانيين بالعراق لملك اليمن. وقد استمهل النعمان بن المنذر سيفاً أياماً أو أسابيع أقام خلالها سيف بن ذي يزن في الحيرة، ثم سار موكب الملكين سيف بن ذي يزن والنعمان بن المنذر من الحيرة إلى المدائن ـ في شمال دجلة بالعراق ـ وكانت المدائن هي عاصمة ومقر كسرى أنوشروان ملك الدولة الفارسية، فسبق النعمان بن المنذر بالدخول إلى كسرى ثم دخل سيف بن يزن. قال نشوان: «لما استأذن سيف ودخل فرآه النعمان بن المنذر قام له من مجلسه وعظّمه، فقال كسرى للنعمان: من هذا الملك أملك سمران؟ ـ [أو: أهذا ملك سمران؟] ـ فقال النعمان لكسرى: هذا ملك سمران، يعني ملك العرب. فقربه كسرى وعظّمه، وقال له: ما حاجتك؟ فقص عليه قصته وسأله النصرة»[1] وجاء في مروج الذهب أنه قال لكسرى: «أنا ابن الشيخ الذي وعدته بالنصرة على الحبشة»[2] وقد ذكر بعض الأخباريين في بعض الروايات أخباراً واهية عن كلام سيف بن ذي يزن مع كسرى وكيفية استنصاره إياه، والصحيح أن كسرى أنوشروان كان قد وعد معدي كرب يعفر ـ والد سيف ـ بالنصرة والدعم الفارسي الرمزي المنشود عند فراغه من الحرب مع الروم وبعض الأمم، فلما قَدِم سيف إلى كسرى قال له: «أنا ابن الشيخ الذي وعدته بالنصرة على الحبشة». ولا بد أنه أخبر كسرى عن الاستعداد الذي تم في اليمن لحرب التحرير وإن زهاء مائة ألف مقاتل من فرسان اليمن ينتظرون عودته بالدعم الفارسي الذي كان الهدف منه ردع الروم عن التدخل وتشجيع اليمنيين بأن الدولة الفارسية ستكون إلى جانبهم إذا تدخل الروم بعد حرب التحرير، فلم يكن المطلوب من كسرى جيشاً لتحرير اليمن من الأحباش وإنما كان دعماً رمزياً للغاية التي ذكرناها، ولذلك لم يطلب سيف سوى ألف جندي فارسي لإظهار التأييد الفارسي، أما الحرب فهي مسؤولية الجيش اليمني وقد تهيأ لذلك زهاء مائة ألف من فرسان ورجالات اليمن. ومما يؤكد محدودية ورمزية الدعم الفارسي ما تذكره كافة المصادر التاريخية من أنه «استشار كسرى مرازبته ـ [والمرازبة: جَمْعُ مرزبان وهم وزراء ملك الفرس] ـ وقال لهم: ما ترون في أمر هذا العربي ـ ملك سمران ـ وقد وعدته بالنصرة؟ فقالوا له: في سجونك قوم ـ ثمانمائة رجل ـ استوجبوا القتل لتمردهم، فانظر رجلًا من أساورتك فقوّده

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٠.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٠ جـ٢.

عليهم، وجهزهم بالسلاح، فإن ظفروا كانوا باسمك، وإن هلكوا فهو الذي أردت بهم»[١]. فأخبر كسرى سيفاً بذلك الرأي وإنه سيجهز أولئك الأسرى بملابس الجنود الفرس ويهبهم له يبقون معه باليمن، فوافق سيف على ذلك. وكان أولئك المساجين من الفُرس الديلم تمردوا على كسرى فحبسهم لذلك.

قال نشوان: «فأمر كسرى بمن في سجونه، فوجههم مع سيف، واختار رجلًا يقال له وهرز فأمّره عليهم، وكانوا ثمانمائة في مركبين في كل مركب أربعمائة فغرق أحدهما وسلم الآخر، فخرجوا بساحل عدن» [ص١٥١].

وقال ابن خلدون: «كانوا ثمانمائة، وقدم عليهم كسرى أفضلهم بيتاً ونسباً وهو وهرز الديلمي، وركبوا البحر في ثماني سُفُن فغرقت منها سفينتان وخلصت ست إلى ساحل عدن». [ص٩٤].

وقال ابن هشام: «فبعث كسرى مع سيف من كانوا في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل، واستعمل عليهم رجلًا منهم يُقال له وَهْرِز، وكان ذا سِنٍّ فيهم وأفضلهم حسباً وبيتاً، فخرجوا في ثمان سُفُن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن» [ص٦٧/ ١].

ويتبين من ذلك أن الدعم الفارسي الذي وصل مع سيف بن ذي يزن كان ستمائة رجل فقط من الفُرس الديلم بملابس وهيئة الجنود الفرس الرسميين، ومما يشير إلى أن كسرى وهبهم لسيف بن ذي يزن قول الشاعر عبد الخالق الشهابي عنهم في زمن لاحق في قصيدة له بالإكليل:

عبيد القَيْل ذي يزن حَبَاهُم ... له كسرى، وقَلَّ له الحباءُ

وكان وصول سيف بن ذي يزن بأولئك الفُرس الستمائة إلى ساحل أبين عدن ـ حيث مدينة أحور اليزنية ـ وجاء في إحدى الروايات أنهم وصلوا إلى (ساحل مثوب في حضرموت)، والمقصود ميناء قنأ بساحل شبوة وحضرموت في موقع بئر عليّ حالياً. قال نشوان: «وكان قد اجتمع أهل اليمن في لقاء سيف» [ص١٥١] وهم جيش وقبائل النصف الشرقي الجنوبي من اليمن الذي كان ملكه سيف بن ذي يزن، وكانوا عشرات آلالاف من فرسان أذوائية يزن ولحج والضالع ويافع وأبين وشبوة وحضرموت ومن العود والتراخم ذي رُعين. فدخل سيف بن ذي يزن عاصمته وقصره في وادي عبدان في موكب عظيم، وبعث إلى أقيال

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٠.

وقبائل النصف الغربي من اليمن فتدفقوا من كل حدب وصوب للمشاركة في حرب تحرير القسم المحتل من اليمن.

ثالثاً

حرب التحرير والقضاء على الأحباش (موقعة يوم غيمان)

اجتمع إلى سيف بن ذي يزن زهاء مائة ألف من فرسان اليمن وزحف بهم وبالستمائة فارسي لمحاربة مسروق بن أبرهة والأحباش في صنعاء. قال المسعودي: «ونما خبرهم إلى مسروق بن أبرهة فأتاهم في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس»[١]. وقال ابن خلدون: «... سار إليهم مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن»[٢]. وقال الطبري: «... سار إليهم مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب. ولحق بابن ذي يزن بشركثير»[٣].

ويتبين من تلك النصوص والمصادر التاريخية وغيرها:

- إن جيش مسروق بن أبرهة بلغ مائة ألف مقاتل، لم يكونوا من الأحباش فقط وإنما كان منهم زهاء ثلاثين ألفاً من اليمنيين «من حمير وكهلان والأعراب» بقيادة «مالك بن يزيد الصدفي» وهو ابن (يزيد بن كبشة) الذي كان عامل أبرهة على كندة والصدف والأعراب بمنطقة العبر وأعالي حضرموت، مما يشير إلى أن مالك بن يزيد الصدفي كان عامل مسروق بن أبرهة على تلك المناطق وكان قيلًا بمثابة ملك عل قبائل الصدف والأشباء والأعراب بتلك المناطق، فولاه مسروق بن أبرهة قيادة اليمنيين الذين معه في المسير لقتال سيف بن ذي يزن والذين معه، بينما تولى مسروق بن أبرهة قيادة الأحباش وكانوا زهاء سبعين ألفاً من الحبشة والأكسوم والبربرة (أهل جزيرة ومنطقة بربرة بالساحل الحبشي الصومالي)، فكان مجموع جيش مسروق بن أبرهة مائة ألف، وقد ذكرت النصوص السالفة أن مسروق بن أبرهة «سار إليهم..» ـ أي إلى سيف وجيشه ـ وكان مسير مسروق وجيشه من صنعاء، ويدل ذلك على أن المعركة لم تكن

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٠ جـ٢.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٦٣ جـ٢.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص١١٨ جـ٢.

في صنعاء كما توهمت إحدى الروايات وإنما سار مسروق من صنعاء إلى حيث زحف سيف بن ذي يزن واجتمعت إليه الحشود وذلك في مشارف منطقة غيمان التي تقع جنوب صنعاء.

ـ أما سيف بن ذي يزن فلم تذكر الروايات عدد جيشه سوى أنه كان معه الستمائة فارسي بقيادة وهرز، وقد كان جيش سيف بن ذي يزن لا يقل عن مائة ألف من فرسان وقبائل اليمن، فقد ذكر نشوان الحميري إنه: «اجتمع أهل اليمن في لقاء سيف، فحضروا معه الوقعة»[١] وجاء في تاريخ الطبري أنه «... لحق بابن ذي يزن بشر كثير»[٢] وكان منهم قبيلة بني شهاب حيث ذكر الهمداني في الإكليل أنه «سار بنو شهاب إلى سيف بن ذي يزن مُنجدين ومناصرين»[٣] وكذلك كان منهم القَيْل حُجر بن زُرعة الخنفري الحميري وهو قَيْل أبين وسرو يافع، والقَيْل عمرو بن الصباح الحميري وهو قَيْل مناطق صباح ورداع وسرو مذحج، والقَيْل ابن ذي الكلاع الحميري وهو قَيْل وقائد قبائل الكلاع ورُعين (بمحافظة إب)، وقد ذكر الهمداني أولئك الأقيال، وكذلك انضوت تحت لواء سيف بن ذي يزن لما وصل إلى مشارف غيمان قبيلة خولان جميعها والتي تمتد مناطقها من غيمان وتخوم صنعاء إلى صرواح في مأرب وكذلك قبيلة خولان بن عمرو التي أَقْبَلَ فرسانها ورجالاتها من صعدة ونجران بقيادة يعلى بن سعد المالكي الخولاني مجيبين نداء سيف بن ذي زين، وقد أشار إلى دورهم علقمة بن زيد الخولاني في قصيدته التي مدح بها سيف بن ذي يزن حيث قال:

ومـدّ إلـيـه يـوم غـيـمـان إذْ دَعَـا مـن أبـنـاء عـمـرو أشْـبُـلُ وأُسُـودُ

ـ وكانت منطقة غيمان هي ساحة الحرب بين مسروق بن أبرهة الذي سار من صنعاء في مائة ألف مقاتل من الأحباش واليمنيين من جهة وبين سيف بن ذي يزن الذي وصل إلى مشارف غيمان وبلغ جيشه زهاء مائة ألف من فرسان وقبائل اليمن وستمائة من الفرس. فاندلعت الحرب بين الفريقين بمنطقة غيمان، وذلك في السنة الثانية من مولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام ويوافق ذلك سنة ٦٨٧ للتقويم الحميري وسنة ٥٧٢ ميلادية، وكان من أبطال وأقيال اليمن في تلك الحرب ـ يوم غيمان ـ القَيْل عمرو بن الصباح والقيل ذو

(١) قصيدة نشوان الحميري ـ ١٥١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص١١٨ جـ٢.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٢٠ جـ١.

نعامة اليزني. قال الهمداني: «. . . وفيه يقول بعض بني عمه في حرب الحبشة:

نَادَتْ فوارسُنا عمرو الصباح فتًى ... يرمي المنية لاعنها بعريد
نادى نُعامة يا عمرو الندىٰ فمضىٰ ... بين القيول وأبناء الصناديد»[1]

وكذلك كان من الأقيال الأبطال حُجْر بن زُرعة الخنفري وهو قَيْل وقائد فرسان أبين ويافع وسرو حمير في معركة يوم غيمان، وقال يذكر دوره في تلك الحرب والانتصار فيها:

لنا فخر غيمان في مشهدٍ ... بدا الفخر فيه لِمَنْ يفتخر
بكل قضيب من الشرعبيّ ... معالي الكعوب، طويل العشر
وكل فتى أنسلته الملوك ... كريم المساعي عظيم الخطر

وهو القائل في أبيات بالإكليل:

ما زلتُ أرمي بنفسي القومَ مصطبراً ... حتى استفاقت وقد زالت رواسيها
جادت سحابتنا فيهم وأسعدها ... حضور آجالهم، والموتُ حاديها

وقال حفيده ابن أبان الخنفري:

ونحن نَصَبْنا يوم غيمان عارضاً ... . . نُحَامِي على العزّ الذي أسَّ يعربُ
ورُحْنَا لواء العزّ يخفق فوقنا ... كذات جناح في الهواء تَقَلَّبُ

وكذلك كان من الأقيال الأبطال يعلى بن سعد المالكي زعيم صعدة. قال الهمداني: «رمىٰ يعلى بن سعد بين يدي سيف بن ذي يزن، فقال سيف: أغرق المالكي في القوم، فلزمه لقب مُغرق»[2].

وكذلك كان من أبطال اليمن في تلك الحرب عمرو بن يزيد العوفي الخولاني. قال الهمداني: «كان عمرو بن يزيد فارس العرب، وحُمّة البلد، ولسان خولان، وشهد مع ابن ذي يزن حروبه. وخولان تقول: لم يقتل أحدٌ مثل من قتل عمرو بن يزيد من السادة والعظماء، وعَقَلَ ـ عمرو بن يزيد ـ نفسه زُويداً ورمىٰ مالك بن يزيد الصدفي فقتله في يوم غيمان»[2] ومما قاله عمرو بن يزيد في ذلك:

ولقد جلستُ مجالساً محمودة ... وحَزَزْتُ من حَلْقِ المليك وريدا
فقتلتُ ذا التاج المُذَّهب مالكاً، ... ولَكَمْ أفَتُّ مهذباً صنديدا»[2]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٧ جـ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٠٧ وص٣٧١ جـ١.

وكان مالك بن يزيد الصدفي هو قائد قبائل الصدف والأشباه وغيرهم من همدان والأعراب الذين كانوا في جيش مسروق بن أبرهة، وكانوا زهاء ثلاثين ألفاً من اليمنيين فلما قُتِل مالك بن يزيد الصدفي تفرق سائر اليمنيين الذين كانوا مع مسروق بن أبرهة وانسحبوا من ساحة الحرب في غيمان، وفتك جيش التحرير اليمني بقيادة سيف بن ذي يزن والأقيال بالجيش الحبشي الأكسومي إلى أن بقي مع مسروق بن أبرهة عدد غير كبير، فقال وهرز لسيف بن ذي يزن: أرني مَلِكهم، فقال له: أترى رجلًا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتةٌ حمراء؟ قال: نعم، قال: ذاك ملكَهم، فرماه وهرز بسهم ففلق الياقوتة التي في جبهته وتغلغل السهم في رأسه فسقط وأحاطت الحبشة به. فحمل عليهم سيف بن ذي يزن بقوة من الفرسان، وهو في كثيب ـ مرتفع ـ بغيمان، ففتكوا بهم، وعندئذٍ ـ غالباً ـ وليس عندما رماه وهرز بالسهم سقط مسروق بن أبرهة قتيلًا مع من معه من الحبشة، ويدل على ذلك ما ذكره ابن هشام من أنه قال سيف بن ذي يزن:

قَتَلْنَا القَيْلَ مَسْرُوقاً وَرَوَّيْنَا الكَثِيبَ دما

قال نشوان: «فانهزمت الحبشة، وكان أهل اليمن حضروا الوقعة مع سيف، فقُتِلت الحبشةُ قتلًا عظيماً، ومَلَك أهل اليمن من سَلَم منهم من القتل». وجاء في تاريخ الطبري وغيره من المصادر أنه «انكشفت الحبشة وقُتِل منهم نحو ثلاثين ألفاً بينهم مسروق بن أبرهة وخوّاص الحبشة، ولحق الحميريون بمن هرب من الحبشة فأسروهم وامتلكوهم» ـ أي اتخذوهم عبيداً ـ وقال عَدِي بن زيد العبادي عن ذلك اليوم وهو يوم غيمان:

يوم يُنادون: آل بربرة والأ كسوم لا يُفلحنّ هاربها
وكان يوم باقي الحديث وزا لت أمة عن مراتبها

وقال نشوان الحميري:

فغدا الأحابشُ للأعاربِ أعبُداً يَشْرونهم بخسارةٍ ورَبَاح

وقد بالغ بعض الإخباريين في دور الفرس وقائدهم وهرز، بينما لم يتجاوز دورهم حجمهم حيث كانوا ستمائة رجل فقط بينما كان جيش مسروق بن أبرهة مائة ألف، فكان الدور الأعظم في قتالهم وهزيمتهم لجيش وقبائل اليمن بقيادة سيف بن ذي يزن والأقيال الذين ذكرنا معالم دورهم وبطولتهم والنصوص والأشعار الدالة على ذلك، ثم سار سيف وإياهم من غيمان إلى مدينة صنعاء حيث كما قال ابن أبان الخنفري:

ونحن نَصَبْنا يوم غيمان عارضاً . . نُحامي على العزّ الذي أسَّ يعربُ
ورحنا لواء العزّ يخفق فوقنا كذات جناحٍ في الهواءِ تَقَلَّبُ

ودخل سيف بن ذي يزن مدينة صنعاء في موكب عظيم وتَسَنَّم سدة عرش تبابعة حمير في قصر غُمدان بصنعاء. قال ابن دريد الأزدي في قصيدته المقصورة:

وسيفُ اسْتَعْلَتْ به همّته حتى رمىٰ أبعد شأو المُرتمىٰ
فجرّعَ الأحبوشَ سُمّاً ناقعاً واحتلّ من غُمدان محراب الدُمىٰ

وأسكن سيف بن ذي يزن الفُرس الستمائة في صنعاء ـ لأن كسرى وهبهم له ـ وهُم «الأبناء»، وعاد وهرز إلى كسرى أنوشروان بالمدائن. ورفرفت رايات الملك سيف بن ذي يزن والدولة الحميرية في سائر ربوع اليمن.

وولى سيف بن ذي يزن على منطقة صعدة ونجران إلى تخوم الحجاز ونجد ـ أي إلى الطائف واليمامة ـ الأمير نوال بن عتيك وكان مقره حصن تَلَمُص في صعدة. قال الهمداني في حديثه عن سدود اليمن بالإكليل: «وسد الخانق بصعدة، وهو الذي بناه نوال بن عتيك على عهد سيف بن ذي يزن. ومظهره بالخنفرين من رُحبان صعده»[1]. وقال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «كان نوال بن عتيك والٍ للملك سيف بن ذي يزن على مخاليف صعدة وما جاورها من نجد والحجاز، وكان يُلقب بنازع الأكتاف، وكان مقر إمارته حصن تلمص، وفيه يقول الشاعر:

تلمص القِبَاب في تَلَمُصِ كالبِيضِ من تحت الجلا المجلصِ
فيه نوالُ مثل ثعبان النصيّ فحلُ لديه كل فحلٍ كالخصي
شرُّ نوال زايدٍ لم يَنْقُصِ يخلع أكتاف الرجال إن عُصِي»[2]

وتؤكد تولية نوال بن عتيك على مخاليف صعدة وما جاورها إلى أطراف نجد والحجاز على أن ملوكية سيف بن ذي يزن كانت تشمل كل أرجاء وربوع اليمن الطبيعية وهو من الملوك التبابعة الذين حكموا كل اليمن.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١٥ جـ٨.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص٣٧٥ جـ١.

رابعاً

وفادة عبد المطلب بن هاشم
وكبار قُريش إلى سيف بن ذي يزن بصنعاء

قال ابن خلدون: «لما استقل سيف بن ذي يزن بمُلك اليمن، وفدت العرب لتهنئته بالمُلك ولِمَا أرجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم، وكان فيمن وَفَدَ عليه مشيخة قريش وعظماء العرب ـ في مكة ـ لعهدهم وأهل بيتهم المنصوب لحجهم، فوفدوا في عشرة من رؤسائهم فيهم عبد المطلب بن هاشم»[١].

وقال الحافظ ابن كثير: «لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد رسول اللَّه ﷺ بسنتين أتته وفود العرب وشعراؤها تُهنئه وتمدحه وتذكر حسن بلائه، وأتاه فيمن أتاه وفد قريش، فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأُمية بن عبد شمس، وعبد اللَّه بن جدعان، وخويلد بن أسد، في أناس من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء، فإذا هو في رأس غُمدن الذي ذكره أُمية بن أبي الصلت بقوله:

واشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً في رأس غُمدانَ داراً منك محلالا

فدخل عليه الآذن، فأخبره بمكانهم فأذَنَ لهم»[٢].

وقال نشوان الحميري: «وَفَدَ إلى سيف بن ذي يزن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد رسول اللَّه ﷺ في وجوه قريش يهنئونه بالظفر على الحبشة وما أيّده اللَّه به، فاستأذنوا بالدخول عليه، فأذن لهم سيف بن ذي يزن ـ فدخلوا إليه ـ وعن يمينه ويساره المقاولُ وأبناء المقاول ـ أي الأقيال ـ وهو ينفح بالمسك والعنبر، وعليه حُلل القزّ والحرير»[٣].

قال ابن كثير: «فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: قد أذنا لك. فقال له عبد المطلب: إن اللَّه قد أحَلَّك أيها الملكُ محلّاً رفيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعَذَبَتْ جرثومته، وثَبَتَ أصله، وبَسَقَ فرعه، في أكرم موطن وأطيب معدن، فأنتَ ـ أبيت اللعنَ ـ ملكُ العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد، ورأس العرب الذي

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٦.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٩ جـ٢.
(٣) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٢.

إليه تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خَلف، ونحن أيها الملك أهل حرم اللّه وسدنة بيته، أَشْخَصَنَا إليك الذي أبهجك من كشف الكرب الذي فدحنا، وفد التهنئة لا وفد المرزئة. فقال سيف: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال سيف: ابن أختنا، قال: نعم، قال: ادن، فأدناه»[1]. وكذلك ذكر نشوان الحميري كلمة عبد المطلب بين يدي سيف بن ذي يزن في قصر غمدان بصنعاء وإن عبد المطلب قال في كلمته مخاطباً سيف بن ذي يزن «. . . وأنتَ ـ أبيتَ اللعنَ ـ [2] رأس العرب الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، وربيعها الذي تخصب به البلاد. . ونحن أيها الملك، أهل حرم اللّه، وسدنة بيته الحرام، أَشْخَصَنَا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكرب الذي أفدحنا والغمّ الذي أقلقنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة، فهذا الذي أوفدنا إليك أيها الملك. فقال الملك سيف: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال الملك: ابن اختنا سلمى، قال: نعم، قال: ادْنُ يا عبد المطلب» [ص١٥٣].

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن زعامة مكة وسدانة البيت كانت في قبيلة جرهم بن قحطان اليمنية زمناً طويلًا ثم في قبيلة خُزاعة الأزدية اليمنية ثلاثمائة سنة حيث ـ كما ذكر ابن كثير ـ «تولت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر. . واستمرت خُزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة، وقيل خمسمائة سنة. . وكان آخرهم: حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخُزاعيّ الذي تزوج قُصيُّ بن كلاب ابنته حُبيّ فولدت له بنيه الأربعة: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العُزَّى، وعبدا، ثم صار أمر البيت إليه»[3] وذلك حين مات حُلَيْل الخزاعيّ فأوصى بولاية البيت وأمر مكة لزوج ابنته قُصَيّ بن كلاب ـ والد عبد مناف ـ فكان قُصيّ أول من تولى البيت ومكة من قريش، ثم تولى البيت عبد مناف بن قُصيّ ـ وكانت والدته يمنية وهي حُبيّ بنت حُليل

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٩ جـ٢.

(٢) أبيتَ اللعنَ: تحية الملوك. قال الشاعر النعمان بن يعفر الحميري:

تُحيّا أبيتَ اللعنَ ما ذرّ شارقٌ ... تحية ذي نعمن تدوم إلى الحشر

وقال النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

أتاني أبيتَ اللعنَ أنك لُمتني ... وتلك التي أهتم منها وأصنع

(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص١٨٧ جـ٢.

الخزاعي. وكذلك كانت والدة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يمنية وهي: سَلْمَىٰ بنت عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي الأزدي[١] ولذلك لما قال سيف لعبد المطلب: «وأيهم أنت أيها المتكلم؟ فقال عبد المطلب: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال سيف: ابن أختنا، فقال: نعم، فقال: اذْنُ يا عبد المطلب، فأدناه، وأجلسه في مكان قريب منه بين الأقيال وأبناء الأقيال.

وكذلك تكلم بين يدي سيف بن ذي يزن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب، وهو جد بني أميّة، وكان أُمية بن عبد شمس من كبار قريش. وقد ذكر الحافظ ابن كثير ونشوان الحميري إنه: «قال أُمية بن عبد شمس:

جَلَبْنا المدحَ تحقُبه المطايا ... على أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ
مُغَلْغلةً مرابِقُها تُعالي ... إلى صنعاءَ من فجٍّ عميقِ
تَؤمُّ بنا ابنَ ذي يَزَنٍ وتفري ... ذوات بطونها أمّ الطريقِ
وترعىٰ من مخائله بروقاً ... مَوَاصَلة الوميض إلى بروق
فلما وافقتْ صنعاءَ صَارتْ ... إلى ذي المُلْكِ والحسب العريق»[٢]

وكان من أعيان الوفد والمتكلمين أيضاً عبد اللّه بن جدعان.

قال نشوان وابن كثير: «ثم قال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب والذين معه: مرحباً وأهلًا، ومستناخاً سهلًا، وملكاً ربحلًا يعطي عطاء جزلًا.. فأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم. ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود»[٢].

خامساً

تبشير سيف بن ذي يزن بالنبي محمد ﷺ

وأثناء إقامة عبد المطلب وبقية وفد قريش الذين معه في دار الكرامة والوفود بصنعاء، وقد أقاموا شهراً كاملًا لا يؤذن لهم بالإنصراف وفي نهاية الشهر ـ وكما ذكر الحافظ ابن كثير صاحب تفسير القرآن والبداية والنهاية ـ «انتبه سيف بن ذي يزن انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه، ثم قال: يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١١٩ جـ١
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٥ ـ والبداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٣٠ جـ٢.

ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مطوياً حتى يأذن اللّه فيه فإن اللّه بالغ أمره، إنّي أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجزناه دون غيرنا خبراً عظيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولك خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سَرّ وبرّ ـ وبَشَّر ـ فما هو فداؤك أهل الوبر ـ والمدر ـ زُمراً بعد زمر؟ قال: إذا وُلد بتهامة غلام به علامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة ولكم ـ أو لقومه ـ الزعامة إلى يوم القيامة. قال عبد المطلب: أبيتَ اللعنَ لقد أبتُ بخير ما آب به وافد، ولولا هيبة الملِك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما ازداد به سروراً. فقال سيف بن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد وُلد، واسمه محمد، يموت أبوه ويكفله جده وعمه، ولدناه مراراً واللّه باعثه جهاراً وجاعلُ له منّا أنصاراً يعزّ بهم أولياءه ويُذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويُخمد النيران، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان، قوله فَصلٌ وحكمه عدلٌ، يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويُبطله. فقال عبد المطلب: هل الملك سار لي بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح. فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، فخرّ عبد المطلب ساجداً. فقال سيف بن ذي يزن: ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئاً مما ذكرتُ لك؟ فقال: أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوجته كريمة من كرائم قومه آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمداً فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه. قال سيف بن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل اللّه لهم عليه سبيلًا، وأطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن من أن تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل فهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجالي حتى أصير بيثرب دار مملكته فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أنّي أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عقبه، ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك»[1].

قال ابن كثير: «وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار القعنبي، ثم قال أبو نعيم: أُخبرت عن أبي الحسن

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٩ ـ ٣٣٠ جـ٢.

علي بن إبراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن (وقال) حدثني أبو يزن إبراهيم حدثنا عمي أحمد بن محمد أبو رجاء به، حدثنا عمي محمد بن عبد العزيز (قال) حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زُرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال: لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحبشة. وذكره بطوله»[١].

ومن المفيد هنا الإشارة إلى ما يلي:

١ ـ إن التبشير بنبيّ سيأتي اسمه محمد يكون خاتم الأنبياء قد تتابع في تاريخ عصور ملوك سبأ وحمير واتخذ السياق التالي:

أ ـ تبشير الملك تُبّع الحارث الرائش بنبي سيأتي وإنه «نبيٌّ لا يُرخص في الحرام، يفارق أهله وله كتاب عظيم واسمه أحمد»[٢] وكان تُبّع الرائش مؤمناً وهو جد الملك الصعب تُبّع ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، وكان قبل النبي موسى عليه السلام في العصر الأول لملوك سبأ التابعة.

ب ـ تبشير الملك تُبع أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ بن ملكيكرب يهامن ملك سبأ. قال نشوان الحميري: «كان أبو كرب أسعد تُبّع ملكاً عظيماً، وكان مؤمناً باللّه تعالى وأخبر بالنبي ﷺ ـ أي بشّر به ـ وكان مصدر معرفة أبي كرب أسعد كتاب زبور عند الكاهن شافع بن كليب الصدفي بمدينة ظفار في اليمن فقد جاء في تاريخ الطبري إنه «كان قَدِم على تُبع ـ أسعد ـ شافع بن كليب الصَدَفيّ وكان كاهناً فأقام عنده فلما أراد توديعه، قال تُبّع: ما بقي من علمك؟ قال: بقي خبر ناطق وعلم صادق ـ خبرُ ـ بارٍ مبرور، وُصِفَ في الزَّبور، أحمد النبيّ طوبى لأمته حين يجيء، فبعث تُبّع إلى الزبور فنظر فيه فإذا هو يجد صفة النبي ﷺ»[٣] فبشّر أبو كرب أسعد بنبيّ سيأتي اسمه أحمد، وقد ذكرت ذلك سائر كتب التاريخ. قال القرطبي: «وكان بين اليوم الذي مات فيه تُبع أسعد إلى اليوم الذي بعث فيه النبي محمد ﷺ ألف سنة»[٤] وقال الهمداني: «كان أسعد تُبع في أيام بُختنصّر ملك بابل»[٥] وهو نبوخذ نصر ملك بابل، وذلك في القرن السابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٩ ـ ٣٣٠ جـ٢.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٦٨.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٩٨ جـ٢.
(٤) تفسير أحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص١٤٦ جـ٣.
(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١١ جـ٨.

جـ ـ تبشير الكاهن سَطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن الغساني الملك ربيعة بن نصر يهحمد ملك اليمن في مأرب حيث قال سطيح للملك: «سيأتي نبيٌّ زكيٌّ، يأتيه الوحيّ من قِبل العليّ، يكون المُلك في قومه إلى آخر الدهر. قال الملك: وهل للدهر من آخر؟ قال سطيح: نعم، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون، يَسْعَدُ فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال الملك: أحقٌ ما تخبرني؟ قال سطيح: نعم، والشَّفَق والغَسَق، والفلق إذا اتسق، إنّ ما أنبأتك به لحقٌّ»[1].

ثم قَدِم إلى الملك ربيعة بن نصر الكاهن شق بن صعب بن يشكر القسري البجلي فأخبر الملك بأمور إلى أن قال: «ثم يأتي رسولُ مُرْسَل بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه ـ أي أُمته ـ إلى يوم الفصل. فقال الملك: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تُجزي فيه الوُلَاة، ويُدْعَى فيه من السماء بَدَعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوزُ والخيرات. قال الملك: أحقٌ ما تقول: قال: إي وَرَبِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْع وخَفْض، إن ما أنبأتك به لحقٌّ ما فيه من أمْض»[1]. وكان الملك ربيعة بن نصر يهحمد في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي.

د ـ تبشير الملك تُبّع أسعد الثاني بن حسان بالنبي ﷺ، وكان تُبّع أسعد بن حسان ملك الدولة الحميرية في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) بالقرن الخامس الميلادي، وكان يدين بالديانة المسيحية التوحيدية الأولى، وهو قائل الأبيات ـ التي تُنسب أيضاً إلى أبي كرب أسعد ـ وهي قول أسعد تُبّع:

شهدتُ على أحمدٍ أنه ... رسولُ منَ اللّه باري النسم
نبيّ وجدناه في كُتبنا ... به يُهتدى وبه يُعتصم
فلو مُدّ عمري إلى عُمره ... لكنت وزيراً له وابن عم
وألزمتُ طاعته كل من ... على الأرض من عرب أو عجم

قال ابن كثير: «قال السهيلي: ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي اللّه عنه وأرضاه»[2].

هـ ـ تبشير الملك سيف بن ذي يزن عبد المطلبَ بن هاشم بأن النبيّ محمد ﷺ

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٢ ـ ١٣ جـ٢.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٦٦ جـ٢.

قد وُلِد، وإن عبد المطلب جده، وقد ذكر سيف بن ذي يزن لعبد المطلب ما تقدم ذكره من أمور تفصيلية عن كتاب مزبور توارثه ملوك حمير. وكان تبشير سيف بن ذي يزن عبد المطلب بن هاشم لسنتين من مولد النبي محمد ﷺ وذلك عام ٥٧٢ ميلادية (في القرن السادس الميلادي).

٢ ـ كان زُرعة بن سيف بن ذي يزن حاضراً ذلك اللقاء الخاص بين أبيه وعبد المطلب بن هاشم في قصر غُمدان بصنعاء، فحفظ زُرعة الحديث الذي دار بينهما وهو الذي رواه بعد البعثة والهجرة النبوية، وقد ذكر ابن كثير عن الحافظ أبي نعيم سند ذلك الحديث والخبر ـ كما تقدم ـ بأنه عن «عفير عن زُرعة بن سيف بن ذي يزن» مما يدل على أن زُرعة بن سيف بن ذي يزن حضر ذلك اللقاء، وقد كان زُرعة بن سيف بن ذي يزن من الأقيال الملوك بمناطق حمير بعد البعثة والهجرة النبوية وهو أول حمير إسلاماً.

٣ ـ وقد شاع في الروايات القول بأنه «قال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب بن هاشم: ائتني بخبر محمد وما يكون من أمره عند رأس الحول، فمات سيف قبل أن يحول الحول». أي قبل أن تتم السنة التي تلت اللقاء ـ بينما الثابت في سجل ملوك حمير ومدد حكمهم التي ذكرها الهمداني أنه «مَلَك سيفُ بن ذي يزن عشرين سنة»[1] وبالتالي فإن رواية موت ابن ذي يزن «قبل أن يحول الحول» قد وقع فيها التباس يعود إلى أحد أمرين:

أ ـ إما الظن بأن ابن ذي يزن الذي حكم أربع سنين هو سيف بن ذي يزن، والصواب كما ذكر الهمداني أو كما ذكر المسعودي أنه بعد سيف بن ذي يزن «مَلَكَ معدي كرب بن سيف بن ذي يزن أربع سنين»[2].

ب ـ وإما أن الذي مات قبل أن يحول الحول على ذلك اللقاء بين سيف وعبد المطلب هو عبد المطلب بن هاشم، فوقع الالتباس والظن بأنه سيف بن ذي يزن، والصحيح أن سيف بن ذي يزن حكم عشرين سنة.

---

(١) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص٥٤١.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٥ جـ٢.

سادساً

عطاء سيف بن ذي يزن لعبد المطلب ووفد قريش

قال ابن خلدون: «كان فيمن وَفَدَ على سيف بن ذي يزن مشيخة قريش.. وَفَدوا في عشرة من رؤسائهم فيهم عبد المطلب، فأعظمهم سيف، وأجلّهم، وأوجب لهم حقهم، ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم، وذكر له شأن النبي محمد ﷺ.. فأوصاه به وحضّه على الإبلاغ في القيام عليه والتحفظ عليه من اليهود وغيرهم، وأسرَّ إليه البشرى بنبوءته.. وأسنى ـ سيف ـ جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمتها، لبُعدِ غايتها في الهمة وعلو نظرها في كرامة الوفد، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الأول، فقد ذكر صاحب الأعلام وغيره أن سيفاً أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وعشرة أرطال من الورِق والذهب وكرش مليء من العنبر، وبأضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب»[1].

وكذلك ذكر نشوان الحميري أنه ـ بعد اللقاء الخاص الذي بشَّر فيه سيفُ بن ذي يزن عبدَ المطلبَ بن هاشم بالنبي محمد ﷺ، استدعى سيف بقية وفد قريش من دار الكرامة والوفود ـ «ثم أمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء، وعشرة أرطال من التبر، وعشرة أرطال من الفضة، وكرش مملوء من عنبر. وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك»[2].

وقال ابن كثير: «أمر سيف بن ذي يزن لكل رجل منهم بعشرة أعبد، وعشر إماء، وبمائتين من الإبل، وحلتين من البرود، وبخمسة أرطال من الذهب، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوء عنبراً. وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك»[3].

ويدل ذلك العطاء ـ كما قال ابن خلدون ـ «على شرف الدولة اليمنية وعظمتها، وبُعد غايتها في الهمة، وعلو نظرها في كرامة ـ أو مكانة الوفد» لأنهم سدنة بيت اللّه الحرام ورؤساء قبيلة قريش وكبار قبائل مُضرّ العدنانية بمكة وما يليها من الحجاز، فقد كان فيهم عبد المطلب بن هاشم جد رسول اللّه ﷺ، وأُمية بن عبد شمس بن عبد مناف جد معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الأمويين،

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٦.

(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص٩٦.

(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٣٠ جـ٢.

وعبد اللَّه بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بني تيم وهو ابن عم والد الخليفة أبي بكر الصديق. وخويلد بن أسد.

فلما عادوا من صنعاء إلى مكة بذلك العطاء الوافر من سيف بن ذي يزن ـ وكما ذكر ابن كثير ـ «كان عبد المطلب كثيراً ما يقول: لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره وفخره وشرفه، فإذا قيل له: ما ذلك؟ قال: سيُعلم ولو بعد حين» [ص٣٣٠/ج٢].

وأما عبد اللَّه بن جدعان فصار من أثرياء قريش، ولكن الأهم من ذلك أن عبد اللَّه بن جدعان أثناء إقامته مع الوفد بصنعاء ربما تعلم الكتابة بخط الجزم العربي المشتق من الخط الحميري التحريري العام وكان خط الجزم العربي قد تم ابتكاره واستعماله في اليمن وانتشر في مراكز الزعامة اليمنية في الحيرة ودومة الجندل.

قال ابن خلدون: «وقد كان الخط العربي بالغاً مبلغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغته من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميريّ وانتقل منها إلى الحيرة لِمَا كان بها من دولة آل المنذر نُسباء التبابعة في العصبية.. ومن الحيرة لُقِّنه أهل الطائف وقريش فيما ذُكِر، ويُقال إنّ الذي تَعلَّمَ الكتابَةَ من الحيرة هو سفيان بن أُميَّة، ويُقال حَرْبُ بن أُميّة، وهو قولٌ مُمكنٌ.. فالقولُ بأنّ أهل الحجاز إنَّمَا لُقِّنُوها من الحيرة ولُقِّنَهَا أهل الحيرة من التَّبَابعة وحِمْيَر هو الأليق من الأقوال.. ومِنْ حِمْيَر تعلمَتْ مُضَرُ الكتابة العربية»[1].

وجاء في كتاب أصل الخط العربي أنه: «قال أبو أنعم لابن عباس: من أين أخذتم يا معشر قريش هذا الكتاب ـ أي الخط ـ قبل أن يبعث النبي محمد ﷺ؟ فقال: أخذناه عن حرب بن أُمية، وأخذه حرب من عبد اللَّه بن جدعان، وأخذه عبد اللَّه بن جدعان من أهل الأنبار أخذوه من أهل الحيرة، وأخذه أهل الحيرة من طارئ طرأ عليهم من اليمن»[2] ويمكن أن يكون عبد اللَّه بن جدعان أخذ وتعلم الكتابة بخط الجزم العربي من اليمن مباشرة عندما كان في صنعاء مع عبد المطلب بن هاشم وأُميّة بن عبد شمس الذي ربما كان معه أيضاً ابنه حرب بن أُميّة، فكان عبد اللَّه بن جدعان أول من حمل الكتابة بالخط العربي إلى

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص٤١٨.

(٢) أصل الخط العربي ـ منير الديب ـ ص٣ ـ ٤.

مكة. وقد سلف قول ابن خلدون: «ومن حِمْيَر تعلمت مُضْرُ الكتابة العربية»[١] فكان أولهم عبد اللّه بن جدعان ومنه تعلم الكتابة حرب بن أُمية ـ كما في حديث ابن عباس ـ وجاء في رواية أخرى: «إن أول من حمل الكتابة إلى مكة هو حرب بن أُمية، ومن حرب بن أمية تعلم الكتابة عمر بن الخطاب ومعاوية وآخرون من قريش»[٢].

ويتبين من ذلك أن الكتابة بحروف الخط العربي كان العطاء الأخلد للحضارة والدولة المينية الحميرية في عهد سيف بن ذي يزن، حيث تعلم عبد اللّه بن جدعان الكتابة وأدخلها إلى قريش وتعلمها منه حرب بن أُميَّة، ومنهما تعلم الكتابة نفر من قريش قبل أن يُبعث النبي محمد عليه الصلاة والسلام، أي ما بين عهد سيف بن ذي يزن (٥٧٠ ـ ٥٩٠م) والبعثة والهجرة النبوية (٦١٠ ـ ٦٢٠م) فكانت الكتابة هي العطاء الخالد عبر التاريخ.

سابعاً

وفادة أُميّة بن أبي الصَّلت إلى سيف بن ذي يزن

وكان من أعلام رجالات وشعراء العرب الذين وفدوا إلى سيف بن ذي يزن أُميّة بن أبي الصَّلت الثقفي. قال الحافظ ابن عساكر: (هو أُميّة بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن. ويُقال له أبو الحِكم الثقفي. شاعر جاهلي.. وقيل إنه كان نبياً ـ يتنبأ ـ وإنه كان في أول أمره على الإيمان ثم زاغ عنه، وإنه هو الذي أراده تعالى بقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. قال ابن كثير: «وقال عبد الرزاق قال الثوري: أخبرني حبيب بن أبي ثابت عن عبد اللّه بن عمرو قال في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ هو أُميّة بن أبي الصلت.. قال الزبير بن بكار: ولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أُميّة الشاعر بن أبي الصلت. وقال غيره: كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف وكان أُميّة أشعرهم»[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص٤١٨.

(٢) أصل الخط العربي ـ منير الديب ـ ص٣ ـ ٤.

(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٢٢١ جـ٢.

قال نشوان الحميري: «وكان في الوفد إلى سيف بن ذي يزن أُميّة بن أبي الصَّلت الثقفي فقال فيه:

لا يطلب الثأر إلّا كابن ذي يَزَنٍ ... في البحر خيّم للأعداء أحوالا

إلى آخر الأبيات[١]. وهي ١٣ بيتاً. وذكر ابن هشام أن أولها:

لِيَطْلُبِ الوِتْرَ أمثَالُ ابن ذي يَزَنٍ ... رَيَّم في البَحْرِ للأعداء أحوالا

ثم ذكر ابن هشام عشرة أبيات وقال: «هذا ما صح مما روى ابن إسحاق منها»[٢] ويتبين مما ذكره نشوان وابن هشام والمسعودي اختلاف الرواة في البيت الأول، ونرى أن البيت هو:

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يَزَنٍ ... في الحرب ـ رَيَّم ـ للأعداء أهوالا

وإن الأبيات الصحيحة بعد ذلك قول أُميّة بن أبي الصلت مادحاً سيف بن ذي يزن:

أرْسَلْتَ أُسْداً عَلَى سُودِ الكِلَابِ فَقَدْ ... أمْسَى شَرِيدُهُمُ في الأرضِ فُلَّالَا[٣]

«اللَّهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا ... ما إنْ أرَى لَهُمُ في النَّاسِ أمْثَالَا

بِيضاً مَرَازِبَةً، غُلْباً جَحَاجِحَةً، ... أُسْداً تُرَبِّبُ في الغَيْضَاتِ أشْبَالا[٤]

يَرْمُونَ عَنْ شَدَفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ ... بِزَمْخَرٍ يُعْجِلُ الْمَرْمِيَّ إعْجَالَا»[٥]

فاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... في رَأسِ غُمْدَانَ داراً مِنْكَ مِحْلالا

قصر بناه أبوك القَيِّلُ ذو يَزَنٍ ... فهل يُرَىٰ أحداً نال الذي نالا[٦]

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٥.

(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٧٠ جـ٢.

(٣) الأُسد: الفرسان الحميريين في نقوش المُسند. وفُلال ـ بضم الفاء وتشديد اللام ـ جمع فُل، وهم القوم المنهزمون.

(٤) مرازبة: جمع مرزبان وهي كلمة فارسية بمعنى وزراء. وغُلبا: جمع أغلب وهو الشديد ذي البأس ويعني الأقيال وهم الجحاجحة. وأسداً: فرساناً في النقوش الحميرية. وتربب: من التربيب وهو التربية. والغيضات: جمع غيضة وهي الشجر الملتف ومأوى الأسود.

(٥) شدف: أراد بها القسيّ. وغبط: جمع غبيط وهو العود من عيدان الهودج، شبه به القسي. والزمخر: أصله القصب اليابس، وأراد به قصب النشاب. وقوله (يعجل المرمى) يعني أنه يُسرع إلى قتله فلا يبقي عليه.

(٦) قوله: أبوك القَيْل ذو يزن: يعني تُبَّع ملشان ذي يزن أول تبابعة الدولة الحميرية لأنه جَدّد وأعلى قصر غمدان في القرن الرابع الميلادي. وسيف من سلالة ملشان ذي يزن فأقامه مقام أبيه لأنه من سلالته.

مُنَطَّقاً بالرُّخَام المستزادِ له ... تَرَىٰ على كل ركنٍ منه تمثالا
واشربْ هَنِيئاً فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ[1] ... وأَسْبِلِ اليَوْمَ في بُرْدَيْكَ إِسْبَالاَ[2]
تِلْكَ المكارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوالا[3]

وقد أجاز سيف بن ذي يزن أُمية بن أبي الصَّلت بمثل ما أجاز به رجالات وفد قريش، فقد أجازه بكل بيت من الأبيات العشرة: عشرة من الإبل (أي مائة من الإبل) وعبداً وجارية (أي عشرة عبيد وعشر إماء) ورطل من التبر الذهب (أي عشرة أرطال) وكذلك عشرة أرطال من الفضة، بالإضافة إلى كرش مملوء بالعنبر. فعاد معاوية بن أبي الصَّلت إلى الطائف بهيئة عظيمة وثراء ومال جزيل. وكان له بعد ذلك نشاط في التجارة إلى الشام والبحرين واليمن. وذكر ابن كثير وابن عساكر أن أمية بن أبي الصلّت الثقفي وأبا سفيان سارا إلى الشام ودمشق فلقيا راهباً نصرانياً عالماً. فسأله عن أشياء ثم قال له: أخبرني عن هذا النبي الذي يُنتظر، فقال: هو رجل من العرب، قال: فَمِن أي العرب؟ قال: من أهل بيت تحجه العرب وهو من قريش. فأصاب أُميّة شيء ما أصابه قط مثله وكان يرجو أن يكون هو النبيّ. فقال للراهب: فإذا كان ما كان فصفه لي ـ أي حين يُبعث ـ، فقال: رجل شاب دخل في الكهولة، يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو كريم الطرفين متوسط في العشيرة. فقال أبو سفيان: هذا واللّه الباطل لئن بعث اللّهُ رسولًا لا يبعثه إلا مُسنًّا شريفاً. فقال أمية: إن هذا لكهذا يا أبا سفيان فقول الراهب حقٌ. ثم قدما مكة فقضيا ما كان معهما، ثم ـ كما جاء في الخبر ـ «انطلق إلى اليمن فمكث بها خمسة أشهر».

وكان أُمية بن أبي الصَّلت يتردد إلى اليمن، ويَفِد إلى أقيال وأذواء مناطق اليمن في نفس عهد سيف بن ذي يزن، وكان من أقيال اليمن في ذلك العهد عبد المدان ابن الديان بن قَطَن الحارثي المذحجي زعيم نجران. قال أبو علي القالي: «... قال أُميّة بن أبي الصَّلْت: أتيتُ نجران فدخلتُ على عبد المَدان بن

---

(١) أورد ابن كثير صدر هذا البيت هكذا «واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم» وكذلك أورده ابن هشام. بينما أورده نشوان والمسعودي: «أطِلْ بالمسك إذْ شالت نعامتهم». ومعنى شالت نعامتهم: أي هلكوا يعني الأحباش.

(٢) الإسبال: إرخاء الثوب، أي إسباله اختيالًا. والبُرد: ثوب ملوك وأقيال اليمن وهي البرود اليمانية.

(٣) قعبان: تثنية قعب، وهو قدح يُحلب فيه. وقد جاء قوله «لا قعبان» على لغة قديمة للعرب، كانوا يلزمون المثنى الألف في الأحوال كلها. و(شِيبا): خلطا ومُزجا.

الدَّيَّان، فإذا به على سريره، وكأنَّ وجهه قَمَرٌ، وَبَنُوهُ حولَه كأنَّهم الكواكب، فدعا بالطعام، فأُتِيَ بالفَالُوذَج، فأكلتُ طعاماً عجيباً، ثم انصرفتُ وأنا أقول:

ولقد رأيتُ القائلين وفِعْلَهُمْ ... فرأيتُ أكْرَمَهم بني الدَّيَّان[1]
ورأيتُ من عَبْدِ المَدَانِ خلائقاً ... فَضَل الأنامَ بهن عَبْدُ مَدَان
البُرُّ يُلْبَك بالشهاد طعامُه ... لا ما يُعَلِّلُنا بنو جُذْعان

فبلغ ذلك عبد اللَّه بن جُذْعان، فوَجَّه إلى اليمن من جاءه بمن يَعْمَل الفَالُوذَج بالعسل، فكان أول من أدخله مكة»[2].

ومما يدل على الزمن أن عبد المدان بن الديان مات قبل البعثة النبوية بسنين وكان زعيم نجران عند ظهور الإسلام يزيد بن عبد المدان بن الديان، وأسلم يزيد بن عبد المدان وَوَفَد إلى رسول اللَّه ﷺ في وفد بني الحارث بن كعب. وقد أدرك أُمية بن أبي الصَّلت البعثة النبوية وكان يريد أن يكون هو النبيّ ولذلك استاء وأعرض عن الإيمان، وكان قد آمن ثم ترك الإسلام ومات في نحو السنة الثانية من الهجرة. ويروى أنه قال:

إنْ تغفرِ اللهُم تغفر جمّا ... وأيّ عبدٍ لكَ لا أَلَمَّا

ثم شهق، ومات.

ثامناً

وفادة عَلْقَمَةُ بن زيد الخولاني إلى سيف بن ذي يزن وقصيدته النادرة

وفي نحو السنة العاشرة من عهد سيف بن ذي يزن وقعت فتنة وحرب بين القبائل اليمنية في مخلاف نجران وصعدة من جهة وبين قبائل هَوَازِن وبني سُليم وتميم بالطائف ونجد من جهة أخرى، فأتى وفد من رجالات خولان بن عمرو وقضاعة بمخاليف صعدة ونجران إلى سيف بن ذي يزن وفيهم الشاعر علقمة بن زيد. قال الهمداني: «وقال عَلْقمةُ بن زيد بن بشر أخو بني صحَار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة يطلُبُ المدد على هوازن وبني سُليم ـ قصيدة ـ ووصفَ ـ فيها ـ البلاد التي سلكها من بلده إلى صعدة ثم من صعدة إلى صنعاء

(١) القائلين: يعني الأقيال.
(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص٣٨ جـ٣.

في وسط بلد همدان»[١] ـ مع ذلك الوفد إلى سيف بن ذي يزن، وهي من درر الشعر اليمني قبل الإسلام، وقد ألقاها بين يدي سيف بن ذي يزن في قصر غمدان بصنعاء، وقد أوردها الهمداني في الصفة[١] وهي القصيدة التالية:

سَقىٰ طَلْلًا بالجَهْلتين رعودُ ... وغُرُّ سَوَارٍ سَيْلهنَّ مَجُودُ[٢]
منازل من أُم الحصين عهدتُها ... تقادم منها العهدُ وهو جديدُ
وَقدْمَا أراها وهي جامعةُ الهوى ... يَنُوسُ بها عَصْرُ الصِّبَا ويَرُودُ
تقولُ التي مِنْ بيتها شَخَصْت بِنَا ... ركائبُ أمثال العطائف جودُ[٣]
أراك طويت الكشح هجراً على التي ... كلفْتَ بها والقلبُ منك عميدُ[٣]
فقلتُ لها: إني أؤمِّلُ رحلةً ... إلى مَلِكٍ مَحْض نَمَتْهُ جُدُودُ[٣]
إليك ابن ذي التاجين سرنّ ركائباً ... موقعةً كأنهنّ جنودُ
إذا انبعثت غادرْن للسبع سنّة ... قرى، وقَرَاهُنَّ البلاد وخيدُ[٤]
إلى طَلِقٍ لم يعقد اللؤمُ كفَّه ... وما زندُه في المكرماتِ صَلودُ[٤]
نَماهُ إلى العلياء نفسُ أبيةٌ ... وبأسُ غَداة البأس منهُ وجُودُ
فلما بطنا السهل مِن تحتِ بهترٍ ... وأسفرَ في ضوء الصباح عمودُ[٥]
سلكنا بهنَّ السهل سهل سحامةٍ ... لها ذَمِلُ من تحتنا وسميدُ[٥]
تَرَامى بنا مثلَ السعالي فجافجُ ... وذو خفقةٍ فوق القتود يَميدُ[٥]
طوينَ جُبيل الخانقين بسحرَةٍ ... ومرتْ بماءِ الحبطِ وهي تَهُودُ
وقد ودعت هضبي ثقيف مع العما ... بأوسط ليلٍ، والعبادُ هجودُ
تعدَّت على ماء العُميش وقد بَدَا ... من الظل ميَّاح الجناح ركودُ
إلى ملكٍ يُعطي البرية مَالهُ ... وقالَ لهمْ: عودوا فسوف أعودُ
فلما تعدّى الرَّكْبُ سارت نواعجُ ... سواء عليها سبسبُ ونجودُ[٦]
إذا مسحتْ أخفافَها الأرضُ في الخطا ... ظننت أكفًّا تحتهنّ خدودُ[٦]

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٨٥ ـ ٣٨٧.
(٢) الجهلتين: اسم موضع. وغُرّ سوّار: سحُبُ تسري ليلًا.
(٣) الركائب: الإبل. العطائف: المنحنيات من طول السفر. الكشح: ما تحت الأضلاع. المحض: الخالص من الشوائب.
(٤) الوخيد: نوع من السير. طلق المحيا: كناية عن المبتسم البشوش. الزند: الذي يُقرع منه النار.
(٥) بطنا: دخلنا بطن السهل. بهتر: موضع. سحامة: بلد من حقل صعدة. الذمل والسميد: نوع من السير. السعالي: جمع سعلاة.
(٦) سارت نواعجُ: أي الإبل. والسبسب والنجود: السهول والمرتفعات. وخدود: شقوق.

تُعالي إلى باب امرئٍ ذي مُرَكَّبٍ ... تَكاملَ فيه العقلُ وهو وليدُ[١]
أقَبُ، طويلُ الباع، من بيت أسلم، ... صُبورٌ على رزء الزمانِ، جليدُ[٢]
تَرامَتْ ببوبانٍ بأولِ ليلها، ... وماء أثاف، والعُرَيْبُ رُقودُ[٣]
فصبَّحن ذا قَيْنٍ وكبّر وفدُنا ... وقد قابلتنا أنجُم وسُعود[٣]
تَؤِمُّ فتًى مِن خير مَنْ حَمَلتْ به ... كرائم ذهلٍ والمجيد مجيدُ[٤]
تَكاملَ فيه منصبٌ لم يلت به ... ومُلكُ نَماه طارفٌ وتليدُ
ومَدّ إليه يوم غَيْمان إذْ دَعَا ... من أبناء عمروٍ أشْبُلٌ وأسودُ
ومالت إلى ركنيّ عجيب ركابنا ... يُقلّبها خَفْضٌ له وصعودُ[٥]
يُؤمِّلنَ نصراً منك يا خير سَيّدٍ ... وأنتَ وصولٌ للقريب وَدودُ
وحامٍ لسرح الجار عن بُعد داره ... لخوفك عنها حيث كان حيودُ
فلما استوينا رأس طود مُنَفْنِفٍ ... هبطنَ وبطن القاع منه بعيدُ[٦]
إلى الغولة الفيحاء تهوي بفتية ... أضرَّ بهم منا سَرَىً وسهودُ[٦]
وقد فارقَتْ داري جُماع وأهلها ... إليك وفيها ثروةٌ وعديدُ[٧]
ودارَ أطاف الكرم والزرع حولها ... وما بينها أطمٌ تنيف مَشيدُ[٧]
ومالت إلى أجزاع حَيْفَة ضمَّراً ... شوازب في تسيارهن وئيدُ

---

(١) تعالي ـ بضم التاء ـ: تقصد. ذي مركب: ذي عقل راجح.

(٢) طويل الباع: عالي المكانة. بيت أسلم: بنو أسلم، لأن آل ذي يزن من بني أسلم بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عَدِيّ بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر.

(٣) بوبان: بلدة من أرض سفيان. وأثاف: أثافت وكانت تقع في بني صريم من حاشد. وذاقين: قرية لم يبق إلا ماجلها الكبير.

(٤) كرائم ذهل: بنات ذهل بن عبد شمس. «أولد ذُهل بن عبد شمس ريًّا فتزوج بها زيد بن الغوث، فأولدها أسلم.. وكانت الشعراء تمدح آل ذ ي يزن بولادة ذهل بن عبد شمس أكثر من مدحهم لهم بالآباء» ـ (ص١١٠/ ٢ ـ الإكليل).

(٥) عجيب: جبل ومنقل في شمال ريدة. قال الهمداني: «وعجيب منقل رفيع مصلول للركب في المحامل عليه».

(٦) طود منفنف: نقيل الغولة ويطل على قاع البون في عمران. والغولة: شِعب عظيم له غول أي عمق.

(٧) داري جُماع: ديار قبيلة جماعة في صعدة. وكذلك دار أطاف التي بينها أطمٌ تنيف.

فلما رأينا مِنْ أزالَ قُصورَها ... تبادر منّا مخبرٌ وبريدُ[١]
ولم نر إلا مردف الأرض دَحْلةً ... لإعظامها داراً ونحن حُفُودُ[١]
أبا المنذر الفياض يا خير حِمْيَرٍ ... وخير بني ذُهلٍ إليك تُريدُ[٢]
تُريد نوالًا من سجالٍ غزيرة ... فأنت لها في النائبات مَفيدُ
شوازب قد تطوي نقيلًا وسَبْسَباً ... ورَوْحاً بليل قرُّهُنَّ شديدُ[٣]
وقَطّعْنَ تيه الأرض من دمنتي دَفا ... إليك وقد تُعطى المنى وتزيد[٤]
صَرَفْنَ إليك القوم تدمي كُلومهم ... ليدمل قرْح منهم ولهودُ
ويرتاشُ قدح منهم ذو تمرطٍ ... ويفتاق يوماً منك وهو سديدُ
وتَصْدُر منكَ بالتي تترك العِدَىٰ ... عباديد منهم خائفٌ وشريدُ
لَعَمْرَك ما أُدلي بغير مودَّتي ... وما لي سوى ما قد علمت شهودُ

وكان وفد خولان وقضاعة إلى سيف بن ذي يزن ـ كما ذكر الهمداني ـ «كانوا سبعين رجلًا» وكان منهم أيضاً الشاعر عمرو بن يزيد المجيدي.

قصيدة عمرو بن يزيد المجيدي في سيف بن ذي يزن:

قال الهمداني: «كانت الشعراء تمدح آل ذي يزن بولادة ذُهل بن عبد شمس بن كعب[٥] أكثر من مدحهم لهم بالآباء، يوجد ذلك في أشعار وفد خولان وغيرها على سيف بن ذي يزن، من ذلك قول عمرو بن يزيد المجيدي في سيف بن ذي يزن:

دَعْ عنكَ رَبْعاً قد عَفَا رَسْمُه ... وأمدح مليكاً فخره المفخرُ
من فرع كعبٍ وذُرى أسلم ... وعبد شمس جده الأشهرُ
أعلاه ذُهلٌ وبَنَىٰ بيته ... مُسامي النجم لمن ينظرُ

---

(١) أزال: مدينة صنعاء. وقوله (فلما رأينا) إنما هو (فلما رأينَ) أي الإبل. ودَحْلَة: أنقاباً أو حفراً صغيرة، يريد أن الإبل حفرن الأرض السوية ابتهاجاً وتعظيماً لرؤيتهن صنعاء.

(٢) أبا المنذر القياض كُنية سيف بن ذي يزن. والأصوب «أبا مرّة القياض» لأنه كان يُكنى أبا مرّة كما ذكر ابن هشام.

(٣) شوازب: صفة لحالة الإبل. وروحاً: رياحاً. قرُّهُنَّ: بردهن، أي برودة الرياح.

(٤) دفا: من ديار صحار بن خولان وهي موطئة إلى تهامة عسير. قال الحارث بن عمرو الخولاني:

ويسنم دار العزّ من دمنتي دفا ... إلى أسفل المعشار فرع التهائم

(٥) هو الملك ذُهل بن عبد شمس بن كعب بن زيد الرائد بن الهمال، وكان ملوك سبأ قبل عصر الدولة الحميرية.

وقد سمىٰ بعدُ به أسلمُ وما اتَّلَى مال ولا خنفر
فجاد سيفُ وسما للعُلا فبحره يطمىٰ به الأبحر»[١]

قصيدة كثير بن الصَّلت الكندي في استنجاد سيف بن ذي يزن:

وكان كثير بن الصَّلت الشهابي الكندي من رجالات وفد خولان وقضاعة إلى سيف بن ذي يزن. قال الهمداني: «ومنهم كثير بن الصلت، وكان أحد وفد خولان على ابن ذي يزن مستنجدين على هوازن وبني سُلَيم، وكانوا سبعين رجلًا، وقال في قصيدة امتدحه بها:

يا خير من أصبحت خولان تأمله وقد أتته بأُخرى جرعة الذَّقن
مال العدوّ علينا ميلة عركتْ منّا المقدم والعرقوب بالثفن[٢]
فسار نحوك أمجادُ غطارفةٌ من آل خولان حمّالون للمنن
هم خير قومهم فابسط رجاءهم يثنوا بخيرٍ لما أوليت من حسن
فاعطف علينا بخيلٍ منك تبلغنا دار العدو وتنفي ريبة الظنن[٣]
حتى نكافئهم مثل الذي فعلوا إنّ المضيم لذو بث وذو شجن[٣]
كيلًا بكيلٍ وإن جرنا فلا حَرجُ فالجور أشفىٰ لصدر الثائر الأحن[٤]
إني لَمِن كندة الشمِّ الذين إذا جرّوا الرمّاح أزالوا نخوة البَطِنِ[٤]
والضاربين حبيك البِيضِ إن نزلوا ضرب المورع عن أحواض ذي العطن»[٥]

خبر عمرو بن يزيد العوفي وسيف بن ذي يزن:

وكان من رجالات الوفد عمرو بن يزيد العوفيّ الخولاني القضاعي الذي جاء في الإكليل أنه: «كان عمرو بن يزيد العوفي فارس العرب، وحمّة البلد، وشهد مع ابن ذي يزن حروبه.. وخولان تقول: لم يقتل أحدُ مثل من قتل عمرو بن يزيد من السادة والعظماء. وعَقَل نفسه زويداً ورمى مالك بن يزيد الصدفي..» وذلك في موقعه يوم غيمان التي كان عمرو بن يزيد العوفي من أبطالها الذين شهدوا الموقعة بقيادة سيف بن ذي يزن. ـ كما سلف التبيين ـ ثم

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١٠ جـ٢.
(٢) الثفن: اللحمة الغليظة في بطن الإبل، أو ما يبرك عليه البعير، أو موصل الفخذ من الساقين.
(٣) الريبة: الشك. الظنن: بكسر الظاء جمع ظِنة وهي التهمة. والظنن: بفتح الظاء وكسر النون: المتهم. والمضيم: المظلوم.
(٤) نخوة البطن ـ بكسر الطاء ـ: أي نخوة النهم والبطر.
(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٤٦٣ ـ ٤٦٤ جـ١.

سار إلى منطقة خولان وقضاعة بمخلاف صعدة وعسير وأعالي اليمن، ثم بعد نحو ثمان سنين قَدِم عمرو بن يزيد في وفد خولان وقضاعة إلى سيف بن ذي يزن حيث جاء في الإكليل أنه «قال سيف بن ذي يزن لعمرو بن يزيد: شِبتْ بعدنا يا أخا بني عوف. فقال عمرو بن يزيد:

وما كِبَرُ يشيبُ لدات مثلي ولكن شيّبت رأسي الحروب»

إلى آخر الأبيات، وأكرمه سيف أكثر من سائر الوفد.

إمداد سيف بن ذي يزن خولان وقضاعة:

وأمد سيف بن ذي يزن رجالات خولان وقضاعة أولئك الذين وفدوا إليه بمئات الخيول الجياد وبما طلبوه من سلاح. وفي ذلك قال عمرو بن يزيد العوفي لما أغاروا على هوازن وبني سُليم أبياتاً منها قوله:

من أسفل غُمدان جلبنا جيادنا ترامى إليكم بالمثقفة السجم

كما أمدهم سيف بن ذي يزن بثلاث كتائب حميرية ـ على الأقل ـ بقيادة أقيال وأبناء أقيال مناطق حمير، فقد كان من أقيال مناطق حمير القيل حُجْر بن زُرعة الخنفري وهو قَيْل مناطق أبين ويافع وغيرها هو وابنه حريز بن حُجر بن زُرعة. قال الهمداني: «حُجر بن زُرعة: وازر أبا مُرّة سيف بن ذي يزن في أمره، وقام معه بيوم غيمان.. فأولد حُجر: حريزاً ـ بالزاي ـ فأولد حريز: الحصين بن حريز، وميمون بن حريز، وهما من الأقوال ـ [أي الأقيال] ـ التي أمدّ بها سيفُ أبو مُرّة إلى بلد خولان في حرب خولان وهوازن وبنو سُليم»[1].

وكانت الكتيبة الثانية بقيادة يزيد بن سلامة ذي فايش، وكان سلامة ذو فايش قَيْل إرياب ـ في قضاء يريم ـ وما جاور إرياب من المناطق والقبائل منذ عهد سيف بن ذي يزن وله أخبار وهو ممدوح الأعشى، قال الهمداني: «وأولد سلامة ذو فائش: يزيد بن سلامة، وهو أحد الأقوال الذين أمدّ بهم ابنُ ذي يزن خولان، وإليه تُنسب بئر القَيْل بصعدة في شق يُرسم»[1].

وكانت الكتيبة الثالثة بقيادة مُرّ بن الحارث ابن ذي الكُلاع، وهو من أقيال مناطق الكلاع التي منها حُبيش والعدين وذي سُفال. قال الهمداني في نسب آل ذي الكلاع: «... مُرّ بن الحارث.. وهو أحد الأقوال المدد لخولان»[1].

وكان لكتائب حمير بقيادة أولئك الأقيال وكذلك لخولان وقضاعة الذين

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١٨ و٢٠٠ و٢٧١ جـ٢.

أمدّهم سيف بن ذي يزن بالخيول الجياد والسلاح دور حاسم في تأديب هوازن وبني سُليم بالطائف وأطراف نجد، وفي ضبط مناطق أطراف أعالي اليمن إلى منتهى التخوم بأطراف نجد والحجاز. وقد رابط أولئك الأقيال وكتائبهم هناك إلى ما بعد عهد ابن ذي يزن.

تاسعاً

الملوك الغساسنة
والمناذرة الذين عاصروا سيف بن ذي يزن

لقد حكم سيف بن ذي يزن دولة اليمن الحميرية عشرين سنة، وكان الملوك الغساسنة اليمنيون يحكمون الشام والملوك المناذرة اليمنيون يحكمون بلاد الحيرة وما إليها من العراق وشرق شمال الجزيرة العربية.

أ ـ الملوك الغساسنة بالشام:

لقد سلف تبيين أن الحارث بن جَبَلة الجفنيّ الغساني هو أعظم ملوك الشام الغساسنة. وقد تم العثور في جبل أسيس ـ جنوب شرق دمشق ـ على نقش غساني بخط الجزم العربي، ونصه كما يلي: «إبراهيم بن مغيرة الأوسي. أرسلني الحارثُ الملك على سلمن مسلحة» ـ أي قائد حامية عسكرية. وذلك عام ٥٢٨م. والملك الحارث هو الحارث بن جبلة الغساني. وقد أصدر القيصر جوستنيان في عام ٥٢٩م مرسوماً ينص على أن الحارث بن جبلة ملك العرب بالشام مع منحه لقب فيلارك وبترك Phylarch and patriciuis وهو أعلى لقب بعد الامبراطور القيصر الروماني[1] وكان الحارث بن جبلة يحكم قسماً من الشام يضم جِلق دمشق والبلقاء ومعان وغيرها، وكان أخوه (أبكرب بن جبلة) يحكم قسماً من الشام مثل الجولان وحوران وغيرهما، وكان منهم ملك ثالث اسمه (عمرو)، وكان الحارث بن جبلة هو الملك الأعلى فهو ملك العرب بالشام، وكان يُقال له الحارث الأعرج، ووالدته مارية ذات القرطين من بني جفنة وهي المذكورة في شعر حسان... وقد انتصر الحارث بن جبلة انتصاراً كبيراً على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة والعرب بالعراق في موقعة قنسرين التي أسفرت عن مقتل المنذر ووقوع جماعات من الذين معه أسرى، وكان منهم

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص٢٠.

شاس بن عبده في جماعة من تميم، فوفد الشاعر علقمة بن عبدة إلى الحارث بن جبلة وقال قصيدته المشهورة:

إلى الحارث الوهاب أعملتُ ناقتي لكلكلها والعصريين وجيبُ
. . وفي كل حيّ قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب

فعفا الحارث عن شاس وأسرى تميم. وكانت موقعة قنسرين ـ كما ذكر أحمد أمين ـ في يونيو سنة ٥٥٤م.

وسار سيف بن ذي يزن وأخوه عمرو إلى الحارث بن جبلة الغساني برسالة أبيهما معدي كرب يعفر ذي يزن إلى الحارث بن جبلة وإلى القيصر جوستنيان ملك الروم وذلك سنة ٥٦٣م فسار الحارث بن جبلة مع سيف بن ذي يزن وأخيه إلى القيصر فلم يستجب لطلب ورسالة أبيهما ـ كما سلف التبيين ـ وكان ذلك في ذات الوقت الذي ذكر فيه أحمد أمين أنه «سار الحارث سنة ٥٦٣م إلى القسطنطينية ليفاوض الامبراطور في شؤون الحرب التي بينه وبين الحيرة، وفي من يخلفه على كرسيه. ومات الحارث سنة ٥٦٩م أو ٥٧٠م»[1] وكذلك كان القيصر جوستنيان قد مات عام ٥٦٧م ثم تولى العرش الرومي البيزنطي الملك جوستين الثاني (٥٦٨ ـ ٥٧٩م) واندلعت حروب بين الروم والفرس، كما انسلخت أقاليم غرب البحر الأبيض المتوسط الأوربية عن الامبراطورية الرومانية.

وكان قد تولى عرش الغساسنة بالشام ـ بعد الحارث بن جبلة ـ ابنه الملك المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني، وكان هو ملك العرب بالشام في عهد حكم سيف بن ذي يزن لدولة اليمن الحميرية (٥٧١ ـ ٥٩٠م). وقد ذكر أحمد أمين أنه: «خَلَفَ الحارثَ ابنه المنذر، وغزا عرب الحيرة فانتصر عليهم في وقعة عين أباغ. ولم يكن الامبراطور جوستين الثاني يميل إليه، فحاول اغتياله فلم يفلح، وعلم المنذر بمكيدته فثار وأبَى محالفته، وظل كذلك ثلاث سنين، ثم هدد عرب الحيرة تخوم الرومانيين، فاضطروا لمصالحة المنذر بن الحارث والتعاقد معه سنة ٥٨٠م، وبعد موت الامبراطور جوستين سار المنذر بولديه إلى القسطنطينية فاستُقْبِلوا استقبالًا حافلًا وألبسه الامبراطور التاج» [ص٢٠].

إن المنذر بن الحارث هو نفسه (جفنة بن المنذر بن الحارث) في المصادر العربية، ونرى أن اسمه كان «جفنة المنذر» ـ اسم ونعت مثل أسماء ملوك حمير

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص٢٠.

ـ فهو (جفنة المنذر بن الحارث الأعرج بن جبلة الغساني). وكذلك جاء اسم ابنيه بأنهما (النعمان بن عمرو بن المنذر بن الحارث) والثاني (جبلة بن النعمان) وقال المسعودي «جبلة بن الحارث». ونرى أنهما «عمرو النعمان بن جفنة المنذر بن الحارث» والثاني «جَبَلة الحارث بن جفنة المنذر» أو «جبلة النعمان بن جفنة المنذر بن الحارث». وقد اشترك عمرو النعمان وجبلة مع أبيهما جفنة المنذر، وكان عهدهما نفس عَهده، فقد حكم جفنة المنذر بن الحارث ـ كما ذكر ابن خلدون ـ «ثلاثين سنة» فيكون ذلك من عام (٥٧٠ ـ ٥٩٩م) ولم يكن الامبراطور القيصر جوستين الثاني (٥٦٨ ـ ٥٧٩م) يميل إليه، بل حاول اغتياله ولم يُفلح ـ ربما حوالي عام ٥٧٢م ـ وربما دبر له مكيدة ثانية بعد ذلك، وعلم المنذر بمكيدته فغضب وأبَى محالفته، وظل كذلك ثلاث سنين (ما بين عام ٥٧٤ و٥٧٨م). ومن الجدير بالملاحظة أن فترة التوتر بين الغساسنة والروم تلك، قد شهدت مسير واستنصار سيف بن ذي يزن بكسرى أنوشروان وحرب القضاء على الحبشة في اليمن عام ٥٧٢م ورسوخ حكم سيف بن ذي يزن في كل ربوع اليمن.

ثم إن عرب الحيرة والعراق ـ حلفاء الفرس ـ هددوا تخوم الدولة الرومية، فاضطر الروم لمصالحة جفنة المنذر بن الحارث والتعاهد معه ـ ولا بد أن ذلك عام ٥٧٨م ـ لأن جفنة المنذر بن الحارث الغساني غزا بلاد الحيرة وانتصر عليهم في وقعة عين أباغ سة ٥٧٩م. وذكر ابن خلدون أن جفنة المنذر بن الحارث «هو مُحرق لأنه حرق الحيرة.. وإن جبلة النعمان ـ ابن جفنة المنذر ـ هو صاحب عين أباغ يوم هزم المنذر بن المنذر بن ماء السماء، وقُتل المنذر في ذلك اليوم». (اهـ). ويجمع القولين أن جفنة المنذر بن الحارث الغساني وابنه جبلة قادا سويًا الغزو على عرب الحيرة والعراق ـ حلفاء الفرس ـ فانتصرا في موقعة عين أباغ على المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة الذي قُتل في موقعة عين أباغ سنة ٥٧٩م.

ثم سار الملك جفنة المنذر بن الحارث الغساني مع ابنيه عمرو النعمان وجبلة إلى القسطنطينية بعد موت الامبراطور القيصر جوستين ـ وقد مات سنة ٥٧٩م ـ وتولى العرش الروماني البيزنطي الملك تباريس (٥٧٩ ـ ٥٨٢م) ـ أو (٥٨١ ـ ٥٨٤م) ـ فاستقبل الملك القيصر تباريس الملك جفنة المنذر بن الحارث وابنيه استقبالًا حافلًا في القسطنطينية وألبسه التاج بما يعني الاعتراف الرسمي بأنه ملك العرب في الشام مع منحه لقب (فيلارك وباتريكوس) الذي هو أعلى لقب

بعد الامبراطور القيصر الروماني. وكان ذلك حوالي عام ٥٨١م. ثم عاد جفنة المنذر بن الحارث الغساني إلى الشام، وكان ابنه جبلة ملكاً بصفين وتدمر وما إليهما، إما ابنه عمرو النعمان ـ فهو كما ذكر ابن خلدون ـ «. . . الملك النعمان بن عمرو بن المنذر الذي بنى قصر السويداء وقصر حارب عند صيدا، وهو مذكور في شعر النابغة» (اهـ) ـ يعني قصر حارب في صيدا بلبنان. حيث قال النابغة للملك عمرو الغساني:

لئن كان للقبرين قبرُ بجِلّقٍ وقبر بصيداء التي عند حارب
وللحارث الجفني سيد قومه ليلتمسن بالجمع أرض المُحارب

وكان جفنة المنذر بن الحارث الغساني ما يزال هو ملك العرب بالشام عندما توفي الملك سيف بن ذي يزن ـ في أواخر سنة ٥٩٠م ـ ثم في عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن (٥٩١ ـ ٥٩٤م) لأن الملك جفنة المنذر بن الحارث الغساني حكم إلى حوالي عام ٥٩٩م مع ابنيه عمرو النعمان وجبله، فجميعهم عاصروا سيف بن ذي يزن.

ب ـ الملوك المناذرة بالحيرة والعراق:

أما الملوك المناذرة اللخميين اليمنيين ببلاد الحيرة وما إليها من العراق، فالظاهر أن أبناء المنذر بن ماء السماء اشتركوا في الحكم بعده لا أنهم تعاقبوا على الحكم كما في الروايات، وبالذات عمرو بن المنذر المشهور بعمرو بن هند، والمنذر بن المنذر بن ماء السماء، والنعمان بن المنذر. وربما أن كل واحد منهم كان يحكم قسماً من المملكة، وإن واحداً منهم كان الملك الأعلى، كما هو حال الملوك الغساسنة بالشام، إذْ أنه:

ـ أجمعت المصادر التاريخية على أن سيف بن ذي يزن لما سار إلى الحيرة وإلى كسرى أنوشروان كان ملك الحيرة النعمان بن المنذر، وسار النعمان بن المنذر مع سيف بن ذي يزن إلى كسرى أنوشروان في المدائن، وقد سلف ذكر النصوص التاريخية والدعم الرمزي الفارسي من كسرى لسيف بن ذي يزن فعاد سيف وقاد حرب القضاء على الحبشة في اليمن وإن ذلك «كان لسنتين من مولد النبي محمد ﷺ» ـ وذلك عام ٥٧٢م ـ ويتبين من ذلك أن النعمان بن المنذر كان ملكاً منذ تلك الفترة ببلاد الحيرة وما كان إليها من العراق.

ـ وكذلك كان عمرو بن المنذر ملكاً. قال ابن خلدون: «مَلَك عمرو بن المنذر ـ وأمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرّار ـ ست عشرة سنة،

ولثمان سنين من مُلكه كان عام الفيل الذي ولد فيه رسول اللّه ﷺ» (اهـ). وهو عام ٥٧٠م. ومقتضى ذلك أنه حكم إلى عام ٥٧٨م. وذلك في نفس الفترة التي فيها كان النعمان بن المنذر ملكاً بدليل خبره مع سيف بن ذي يزن عام ٥٧٢م. وعمرو بن المنذر هو عمرو بن هند، وقد ذكر ابن خلدون عن صاحب تواريخ الأمم أنه: «مَلَكَ عمرو بن هند ـ وهي عمة امرئ القيس بن حجر ـ المعروف بمضرط الحجارة لشدة بأسه، وهو محرق الثاني، حرق بني دارم من تميم لأنهم قتلوا أخاه ـ الرضيع ـ وحلف ليحرقن منهم مائة فأحرقهم (باليمامة)، ومَلَك ست عشرة سنة أيام أنوشروان» وذكر ابن خلدون أيضاً عن المسعودي أنه «مَلَك عمرو بن المنذر أربعاً وعشرين سنة» ثم قتله عمرو بن كلثوم الشاعر وقصته مشهورة، فيكون عمرو بن هند ـ وهو عمرو بن المنذر ـ قد عاصر سيف بن ذي يزن لأنه حكم إلى عام ٥٧٨م.

- وكذلك المنذر بن المنذر بن ماء السماء كان ملكاً في تلك الفترة، وقُتل في الحرب مع الغساسنة في موقعة عين أباغ سنة ٥٧٩م.
- ثم تولى الحكم ـ أو أنفرد بالحكم ـ النعمان بن المنذر، جمع له كسرى أنوشروان ملك العرب بالحيرة والعراق. والأصوب كسرى هرمز ابن أنوشروان، لأن أنوشروان مات حوالي عام ٥٧٥م والمنذر بن المنذر مات سنة ٥٧٩م. قال ابن خلدون: «ثم وُلِّي بعده النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة منها ثمان سنين أيام هرمز، وأربع عشرة أيام أبرويز» (اهـ). فيكون ذلك من عام ٥٨٠ ـ ٦٠٢م. وأخبار النعمان بن المنذر كثيرة، وكان هو ملك الحيرة عندما توفي سيف بن ذي يزن.

عاشراً

وفاة الملك سيف بن ذي يزن

لقد شاع في بعض الروايات أن سيف بن ذي يزن اتخذ حرابة من الحبشةَ يمشون بين يديه ثم قتلوه وهو برحبة صنعاء. والصواب أن ذلك إنما هو معدي كرب بن سيف بن ذي يزن. أما سيف بن ذي يزن فقد ذكر الهمداني أنه «مَلَك سيف بن ذي يزن عشرين سنة». فيكون ذلك من عام ٥٧١م إلى نهاية عام ٥٩٠م فانتهى عهده بوفاته في آخر السنة العشرين من عهده بمدينة صنعاء. وفيه قال يعلى بن سعد الخولاني:

ذهب الزمانُ بِمُلك آل مُحرِّق ورمَى صفاتهم بيوم قمطر
. . . وثَنَىٰ ابن ذي يزن فثلل عرشه قَيْل المقاول واللبّاب الأنضر
ورث الملوك فطاب مغرس نَبْته وعلا بتاج المُلك فوق المنبر

المبحث الرابع

عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن..
ونهاية الدولة الحميرية
(٧٠٦ـ٧٠٩حميري/ ٥٩١ـ٥٩٤م)

لقد شاع في أغلب الروايات أن سيف بن ذي يزن آخر ملوك الدولة الحميرية، وليس كذلك فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أنه «مات سيف بن ذي يزن فأتى بعده ابنه معد يكرب بن سيف»[(١)] قال المسعودي: «وأقام معديكرب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن. . وكان ملكه أربع سنين، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان»[(١)]. وقال الهمداني: «مَلَك سيف بن ذي يزن عشرين سنة، ثم ملك أخوه شراحيل بن ذي يزن ثلاث سنين»[(٢)] وقال: «وشراحيل القائم بعد سيف»[(٣)] وبما أن القائم بعد سيف هو ابنه (معدي كرب) ـ كما في مروج الذهب ـ فإن ما ذكره الهمداني يدل على اشتراك عمه (شراحيل) معه في الحكم لأنهما في نفس العهد.

ويتبين من ربط ما ذكرته المصادر التاريخية ما يلي:

أولًا

معالم عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن

لقد دمج المسعودي في مروج الذهب بين أنباء عهد سيف بن ذي يزن ومعدي كرب بن سيف بن ذي يزن، ويتمثل التمييز بينهما بصفة أساسية في التالي:

أ ـ إن سيف بن ذي يزن هو الذي حارب الأحباش الذين في اليمن وقضى

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٠ و٨٥ جـ٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤١.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٨ جـ٢.

عليهم وعلى ملكهم مسروق بن أبرهة. قال ابن دريد:

وسيف استعلت به همته حتى رمى أبعد شأو المرتمى
فجرع الأحبوش سماً ناقعاً واحتل من غُمدان محراب الدمى

وكان كسرى أنوشروان ملك فارس أمدّ سيفاً بثمانمائة من الديلم الفُرس فوصل اليمن منهم مع سيف ستمائة رجل اشتركوا مع الجيش اليمني وأقيال وقبائل اليمن بقيادة سيف بن ذي يزن في المعركة ضد الأحباش، فأسكن سيف أولئك الفرس «الستمائة» بصنعاء لأن كسرى أنوشروان وهبهم له، ولذلك قال عبد الخالق الشهابي الصنعاني في زمن لاحق ـ في قصيدة له بالإكليل ـ واصفاً إياهم:

عبيد القَيْل ذي يزن حباهم له كسرى وقَلّ له الحباء

وسيف بن ذي يزن هو الذي وفد إليه عبد المطلب بن هاشم ورؤساء قريش وأمية بن أبي الصلْت يهنئونه بالنصر ولما أرجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم، وكان ذلك ـ كما ذكر المؤرخون وكما ذكر الحافظ ابن كثير «لسنتين من مولد النبي محمد ﷺ»[1] ـ وذلك سنة ٥٧٢ ميلادية ـ وأخبر وبشّر سيف بن ذي يزن عبد المطلب بن هاشم بالنبي محمد ﷺ في لقاء خاص بين سيف وعبد المطلب حضره زُرعة بن سيف بن ذي يزن ـ أصغر أبناء سيف ـ وقال سيف لعبد المطلب في آخر الحديث بينهما «إنك لجَدُّه ـ أي النبيّ ـ يا عبد المطلب ـ فاحتفظ به، واحذر عليه اليهود فإنهم له عدوّ، ولن يجعل اللّه لهم عليه سبيلاً، وأطْوِ ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك.. ولولا إن الموت مجتاحي قبل مبعثه لصرت بخيلي، حتى أصير بيثرب دار مملكته، فإنّي أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب بها استحكام أمره، وأهل نصرته منها، وموضع قبره فيها»[2]. وأجزل سيف العطاء لعبد المطلب ووفد قريش «بما يدل على شرف الدولة وعظمتها لبُعد غايتها في الهمة، وعلو نظرها في كرامة الوفد، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد على شرافة الحال في الأول»[3].

ولم يزل سيف بن ذي يزن ملكاً عظيماً لكل أرجاء اليمن، وأمدّ خولان بن عمرو وقضاعة بالخيول وبكتائب من فرسان حمير لما اعتدت عليهم قبائل هوازن

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٦٤ جـ.
(٢) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٤.
(٣) تاريخ ابن خلدون ص٦٤ جـ٢.

وبني سُليم في الطائف ونجد، وكان ذلك في نحو السنة العاشرة من عهد سيف بن ذي يزن، فشنت خولان وقضاعة وكتائب حمير حملة تأديبية على هوازن وبني سُليم، وقال عمرو بن يزيد العوفي في ذلك:

مِنْ أسفل غُمدان جلبنا جيادنا ترامى إليكم بالمثقفة السُجم

وكان «نوال بن عتيك، والٍ للملك سيف بن ذي يزن على مخاليف صعده وما جاورها إلى أطراف نجد والحجاز، وكان يُلقب بنازع الأكتاف، وكان مقره حصن تلمص»[1] وكان من مآثر عهد سيف بن ذي يزن سد الخانق بصعدة. قال الهمداني في الإكليل: «وسد الخانق بصعدة، وهو الذي بناه نوال بن عتيك على عهد سيف بن ذي يزن. ومظهره بالخنفرين من رُحبان صعدة. وخربة الإمام إبراهيم بن موسى العلوي»[2] فكان بناء السد في عهد سيف بن ذي يزن حوالي عام ٥٨٥ ميلادية واستمر السد في أداء وظيفته إلى أن أخربه الإمام إبراهيم العلوي سنة ٢٠٠هـ (= ٨٢٠م).

وقد حكم سيف بن ذي يزن «عشرين سنة» وكان سيف قد توقع وقال بأنه سيموت قبل مبعث النبي محمد ﷺ وبالفعل مات سيف بن ذي يزن قبل البعثة النبوية بنحو عشرين سنة، وذلك في أواخر عام ٧٠٥ للتقويم الحميري في نهاية عام ٥٩٠ ميلادية.

ب ـ ولما مات سيف بن ذي يزن تسنم سدة عرش تبابعة حمير في قصر غمدان بصنعاء معدي كرب بن سيف بن ذي يزن واشترك معه في الحكم ورئاسة الدولة عمه «شُراحيل بن ذي يزن» ولكن رئيس الدولة الملك كان معدي كرب بن سيف بن ذي يزن، وقد بدأ عهده في حوالي مطلع عام ٥٩١م، وربما كان عمه «شراحيل» ملكاً ـ قَيْلاً ـ للنصف الشرقي (اليزني) من اليمن الذي يضم حضرموت وشبوة وأبين وغيرها من سرو مذحج وسرو حِمْير، وكان مقره القصر (يزأن) في مدينة عبدان في وادي عبدان ـ بمحافظة شبوة حالياً ـ بينما كان معدي كرب بن سيف بن ذي يزن في القصر غمدان بالعاصمة صنعاء. وكان الأقيال الأذواء بمخاليف ومناطق اليمن بمثابة ملوك أمراء على مخاليفهم ومناطقهم في إطار الدولة الحميرية لأن نظام الحكم كان

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٧٥ جـ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١١٥ جـ٨.

اتحادياً، وبصفة خاصة في العهود الأخيرة للدولة الحميرية، وقد ذكر ابن خلدون أنه: «قال الطبري: لم يكن لملوك اليمن نظام وإنما كان الرئيس منهم يكون ملكاً على مخلافه لا يتجاوزه، وإن تجاوز بعضهم عن مخلافه بمسافة يسيرة من غير أن يرث ذلك المُلك عن أبائه ولا يرثه أبناؤه عنه إنما هو شأن شذاذ المتلصصة يُغيرون على النواحي باستغفال أهلها فإذا قصدهم الطلب لم يكن لهم ثبات، وكذلك كان أمر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخلافه بعض الأحيان ويبعد في الغزو والإغارة فيصيب ما يمرّ به ثم يتشمر عند خوف الطلب زاحفاً إلى مكانه من غير أن يدين له أحد من غير مخلافه بالطاعة أو يؤدي إليه خراجاً»[1]. وقد كان ذلك في آخر عهود الدولة الحميرية، وخاصة في عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن وبعد نهاية عهده.

ويبدو أن نفوذ الأقيال تعاظم في أواسط عهد معدي كرب بن ذي يزن، وجنحوا إلى الاستقلال الكامل بحكم مناطقهم، وإن ذلك أدى إلى صراع بين معدي كرب وعمه شراحيل ذي يزن ـ الملك في شرق اليمن ـ وبعض الأقيال. وقد أورد الهمداني في الإكليل شعراً لأحد بني سعد الخولاني الذي كان من أقيال تلك الفترة وما تلاها يشير إلى ذلك الصراع الذي استمر إلى ما بعد نهاية عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن، حيث قال:

كَسَفَتْ نجومُ من مَقَاولِ حِمْيَر ... فينا، وأظلم شمسها وبدورها
ومضىٰ ابنُ ذي يَزَنٍ وخَلّف بينها ... حربُ عوانُ ما يبوخُ سعيرها
وتقطعت منها الأواصرُ بينها ... فَمَضَىٰ سناها عند ذاك ونورها
ورمى الزمانُ ديارها بأُزيلم ... جذعٍ، وهدّت دورها وقصورها

[ص٢٧٣/ ٢]

يعني بالأزيلم الفُرس الذين جاء بهم معدي كرب بن سيف بن ذي يزن وكذلك الذين جاءوا بعد مقتله، وذلك إن معدي كرب لما احتدم الصراع بينه وبين عمه شراحيل وبعض الأقيال وخرجوا ـ فيما يبدو ـ عن طاعته وسلطة الدولة رأى الاستعانة بالدولة الفارسية والارتباط بها.

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص٨٤.

ثانياً

استعانة معدي كرب بن سيف بكسرى وجَلْبه جيشاً من الفُرس إلى اليمن

لقد جاء في مروج الذهب أن الذي ذهب إلى كسرى أنوشروان ملك الفرس وسأله النصرة وأمدّه كسرى بجيش من الفُرس إنما هو معدي كرب بن سيف بن ذي يزن. وكذلك ذكر ابن خلدون نبأ سيف بن ذي يزن ومسيره إلى كسرى أنوشروان وإمداد كسرى إياه بالثمانمائة رجل الذين كانوا في سجنه، وإنهم «كانوا ثمانمائة، وركبوا البحر في ثماني سُفُن فغرقت منها سفينتان وخلصت ست إلى ساحل عدن». (١) وقال ابن خلدون: «وعند المسعودي وهشام بن محمد والسهيلي: إن الذي خرج إلى كسرى هو معدي كرب بن سيف بن ذي يزن، فخرج ووفد معدي كرب على كسرى يستنجزه في النصرة... إلى آخر القصة»(١).

وقد تبين لنا من تفاصيل الروايتين وقوع خلط ودمج بين الواقعتين، فقد كان مسير سيف إلى كسرى أنوشروان وإمداده إياه بالجنود المساجين سنة ٥٧٢م «وذلك لسنتين من مولد النبي ﷺ» فوصل منهم ستمائة رجل مع سيف إلى ساحل عدن أبين واشتركوا في محاربة الحبشة وأسكنهم سيف بصنعاء.

وبعد ذلك بعشرين سنة سار معدي كرب بن سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستنصره، وذلك ـ فيما نرى ـ لمواجهة بعض الأقيال وتعزيز مركزه في مواجهتهم، وقد عرض معدي كرب على كسرى الارتباط بالدولة الفارسية وهو ما تُعبر عنه الروايات بلفظ «أن تكون اليمن في مُلك كسرى»، ولم يكن كسرى الذي وفد إليه معدي كرب بن سيف بن ذي يزن كسرى أنوشروان لأن كسرى أنوشروان مات حوالي عام ٥٧٥م، فقد ذكر ابن خلدون: إن كسرى أنوشروان مَلَك ٤٨ سنة وإنه «كان مولد النبي ﷺ لـ (٤٢) سنة من مُلك أنوشروان» فيكون أنوشروان قد مات عام ٥٧٥م أو عام ٥٧٦م. وقد حكم بعده ابنه كسرى هرمز بن أنوشروان في الفترة حوالي (٥٧٦ ـ ٥٨٩م) وفي أيامه كان مقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء في الحرب مع الغساسنة في موقعة عين أباغ في آخر سنة ٥٧٩م فجمع كسرى هرمز ملوكية الحيرة والعرب بالعراق وتخومها

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٤.

للنعمان بن المنذر ـ عام ٥٨٠م ـ. قال ابن خلدون: «ومَلَكَ النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس ٢٢ سنة منها ٨ سنين أيام هرمز وأربع عشرة سنة أيام كسرى أبرويز». وقد حكم كسرى أبرويز ٣٨ سنة ما بين (٥٩٠م ـ ٦٢٨م) ويتبين من ذلك أن كسرى الذي قصده معدي كرب هو كسرى أبرويز، وقد وجد معدي كرب عنده النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فلما دخل معدي كرب إلى مجلس كسرى أبرويز في قصر الإيوان بالمدائن كان عنده النعمان بن المنذر فقام من مجلسه تعظيماً لمعدي كرب بن سيف بن ذي يزن وقال لكسرى: هذا ملك العرب، فقربه كسرى وعظّمه. واستجاب كسرى لطلب وعرض معدي كرب بن سيف بن ذي يزن وأمدّه بجيش من الفُرس. قال المسعودي: «واشترط كسرى على معدي كرب شروطاً منها: خراجٌ يحمله إليه.. ووجّه معه وهرز إصْبِهْبِذَ الديلم.. فخرجوا في طريق دجلة، ومعهم خيولهم وأموالهم وغلمانهم حتى أتوا أبُلة البصرة ـ وهي فرج البحر، ولم يكن حينئذٍ بصرة ولا كوفة ـ فركبوا في سفن البحر، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضعٌ يقال له مَثْوَبُ، فخرجوا من السفن.. وفي ذلك يقول رجل من حضرموت:

أصبح في مَثْوَب ألفُ في الجُنَنْ من رهط ساسان ورهط مهرسن»[1]

وقد سلف ذكر النصوص التاريخية بأن الذين جاءوا مع سيف بن ذي يزن كان وصولهم «إلى ساحل عدن، وكانوا ستمائة». وقد ذكر ابن خلدون ذلك ثم قال: «وقال ابن قتيبة: كانوا سبعة آلاف وخمسمائة. وكان وهرز من عقب جاماسب عم أنوشروان» [ص٩٤] ـ فالعدد الذي ذكره ابن قتيبة قد يكون عدد الفرس الذين جاءوا مع معدي كرب بن سيف بن ذي يزن لأنهم كانوا مع عائلاتهم وأولادهم، وكان وصولهم إلى ساحل حضرموت بينما الذين جاءوا مع سيف قبل عشرين سنة كان وصولهم إلى ساحل عدن. وقد ذكر المسعودي بعد خبر وصول الفرس مع معدي كرب ووهرز إلى ساحل حضرموت خبر الحرب مع الحبشة ومسروق بن أبرهة، وذلك التباس لأن تلك الحرب كانت أيام سيف ـ قبل عشرين سنة ـ أما الفرس الذين جلبهم معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ـ سنة ٥٩٢م ـ فقد ساروا معه بقيادة الأصبهبذ وهرز إلى صنعاء. فلما وصلوا صنعاء اجتمع أقيال اليمن، وعندئذٍ ـ وليس في عهد سيف بن ذي يزن ـ وقع ما جاء في بعض

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨١ جـ٢.

الروايات من أنه وكما ذكر نشوان الحميري: «كان كسرى قد عهد إلى وهرز وأعطاه تاجاً وخلعة ومنطقة وقال له: إذا صرت إلى اليمن فاسأل ـ أقيال ـ أهل اليمن عن هذا الرجل فإن كان الملك فسلم إليه الأمر وألبسه التاج والخلعة والمنطقة، وإن لم يكن فابعث إليَّ برأسه واضبط البلاد إلى أن يأتيك أمري، فلما اجتمع أهل اليمن سألهم وهرز فقالوا: ملكنا وابن ملكنا. فألبسه وهرز التاج والمنطقة والخلعة وسلم الأمر له»[١]. وقال المسعودي: «فتوّج وهرز معدي كرب بتاج كان معه وبدنة من الفضة ألبسه إياها، ورتّبه في ملكه على اليمن»[٢]. قال ابن هشام: «وقال سيف بن ذي يزن ـ والصواب معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ـ:

يَظُنُّ النَاسُ بالمِلكَيْن أَنَّهُمَا قَدِ إلْتَأَمَا[٣]
ومن يَسْمَعْ بِلأمِهِمَا فإنّ الْخَطْبَ قد فَقُمَا[٤]
وإنّ القَيْلَ قَيْلَ النا سِ وَهْرِزَ مُقْسِمُ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشَعْشَعاً حَتَّى يَفِيءَ السَّبْيَ والنَّعَمَا[٥]

فأقام وَهْرِزُ والفرس باليمن»[٦] قال ابن خلدون: «وخَلَفَ وهرز نائباً ـ له ـ على اليمن في جماعة من الفُرس ضمهم إليه، وجعله لنظر ابن ذي يزن بصنعاء، وانصرف وهرز إلى كسرى. وانفرد ابن ذي يزن بسلطانه ونزل قصر المُلك وهو غُمدان»[٧] ـ أي قصر غُمدان بصنعاء. وانتهت قيالة شراحيل بن ذي يزن بمشرق اليمن وذلك لثلاث سنين من عهده مع معدي كرب بن سيف بن ذي يزن، وقد انتهت قيالة شراحيل إما بالقوة وإما بموته، وتولى زُرعة بن سيف بن ذي يزن قيالة وزعامة أذوائية يزن والمشرق ومناطق حِمْير (سرو حمير) ـ غالباً ـ عند انتهاء قيالة شراحيل بن ذي يزن، وذلك في إطار ملوكية أخيه معدي كرب بن سيف بن ذي يزن.

---

(١) السيرة الجامعة ـ قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥١.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٢ جـ٢.
(٣) الملكين: معدي كرب ووهرز. التأما: اتفقا وأمرهما واحد.
(٤) الخطب: الأمر العظيم. وفقم: أي اشتد وعظم.
(٥) يذوق: يريد لا يذوق. والمشعشع: الشراب الممزوج بالماء. ويفيء: يغنم. ويروى: نفيء ـ بالنون ـ والنعم: الإبل.
(٦) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٦٨ جـ.
(٧) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٥.

ثالثاً

اغتيال معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ونهاية الدولة الحميرية

قال المسعودي في مروج الذهب: «وأقام معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، واصطنع عبيداً من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب، فركب في بعض الأيام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء، فلما صار إلى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة، فقتلوه بحرابهم، وكان مُلكه أربع سنين، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان. وقد ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة»(١).

وقال ابن خلدون: «اتخذ ابن ذي يزن طوابير من الحبشة يسعون بين يديه بالحراب، فخرج يوماً وهم يسعون بين يديه، فلما توسطهم وقد انفردوا به عن الناس رموه بالحراب فقتلوه، ووثب رجل منهم على المُلك ـ بصنعاء ـ. وقيل: ركب خليفة وهرز فيمن معه من المسلحة واستلحم الحبشة. وبلغ ذلك كسرى فبعث وهرز في أربعة آلاف من الفرس، وأمره بقتل كل أسود أو منتسب إلى أسود ولو جعداً قطططاً، ففعل وقتل الحبشة حيث كانوا، وكتب بذلك إلى كسرى، فأمَّره على اليمن»(٢).

وقال المسعودي: «لما قتلت الحبشة معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ـ على حسب ما قدمنا ـ في الرحبة بحرابهم، كان بصنعاء خليفة لِوَهْرِزَ في جماعة من العجم، ممن كان ضمّهم وَهْرِز إلى معدي كرب، فركب وأتى على من هنالك من الحبشة، وضبط البلد، وكتب بذلك إلى وهرز وهو بباب أنوشروان ـ [والصواب: أبرويز] ـ الملك، وذلك بالمدائن من أرض العراق، فأعلم وَهْرِز بذلك الملك، فسيَّره في البر في أربعة آلاف من الأساورة، وأمره بإصلاح اليمن، وأن لا يبقي على أحد من بقايا الحبشة، ولا على جَعْد قَطَط قد شرك السودان في نسبه، فأتى وهرز اليمن، ونزل صنعاء، فلم يترك بها أحداً من السودان ولا من أنسابهم ومَلَك وهرز على اليمن»(١).

وجاء في كتاب الموسوعة عن وهب بن منبّه وعبيد بن شريه الجرهمي أنه: «بمقتل ابن ذي يزن لم يُمَلِّك اليمنيون أحداً (على أنفسهم، غير أن كل ناحية مَلّكوا

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٥ و٨٧ جـ٢.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٧.

عليهم رجلًا من حمير، وكانوا كمثل ملوك الطوائف حتى أتى اللّه بالإسلام»[١].

ونتهي من ذلك إلى إدراك وتبيين المعالم والنقاط الرئيسية عن مقتل الملك معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ونهاية الدولة الحميرية وهي:

١ ـ مدة ملوك اليمن وزمنهم إلى معدي كرب بن ذي يزن:

ـ إن معدي كرب بن سيف بن ذي يزن هو آخر ملوك اليمن القحطانيين في عصور الدول والحضارات اليمنية القديمة منذ عهد «سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان» ـ الذي قال المسعودي ـ «إن أول ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان» إلى «معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ـ الذي كما قال المسعودي ـ «هو آخر ملوك اليمن من قحطان. وقد ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة»[٢]. ويشمل ذلك:

	عدد الملوك	مدة حكمهم	الزمن التقريبي
ملوك الزمن الأقدم لمملكة سبأ منذ عهد الملك سبأ بن يشجب إلى ما قبل الملك عبد شمس وائل	٢٥	١٣٨٠ سنة	٣٥٠٠ ـ ٢١٢٠ ق.م
ملوك الزمن الأقدم الثاني لمملكة سبأ وعاد الثانية منذ الملك عبد شمس وائل إلى ما قبل الرائش	٢٢	٦٢٠ سنة	٢١٢٠ ـ ١٥٠٠ق.م.
ملوك عصور دولة تبابعة سبأ من الحارث الرائش إلى سيل العرم الأول، وعهد مملكة سبأ الثانية	٦٢	١٠٣٣ سنة	من ١٤٧٠ ـ ٥٢٧ ق.م. ومن ٤٥٥ ـ ٣٧٥ ق.م.
ملوك عصور تبابعة الدولة الحميرية إلى معدي كرب بن ذي يزن	١٨	٣٢٠ سنة	من ٢٧٥ ـ ٥٩٤ ميلادية
إجمالي الملوك والمدة الزمنية	١٢٧	٣٣٥٣ سنة	

وقد تخللت تلك العصور فترات انقسام إلى عدة ممالك في اليمن، وبتخفيض تلك الفترات في تلك العصور وهي زهاء (٢٦٨ سنة) تكون مدة

(١) الموسوعة ـ د. حسين عبد اللّه العمري ـ ص٢٩٠/ ١.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٧ جـ٢.

عصور الملوك الذين حكموا كل اليمن (٣١٩٠) سنة وهي المدة التي ذكرها المسعودي في مروج الذهب.

وقد ذكر لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ملوك اليمن التبابعة منذ عهد الحارث الرائش إلى عهد ابن ذي يزن آخر ملوك اليمن الحميريين ثم قال: «يكون جميع ما ملكوا ألف سنة وإحدى وثمانين سنة، سوى ما ملكوا قبل الرائش، وهذا رسمها (٢٠٨١) سنة»[١].

فالمدة الذي ذكرها الهمداني تبدأ من عهد تُبّع الحارث الرائش الذي قال ابن خلدون أيضاً: «أول الملوك التبابعة باتفاق المؤرخين الحارث الرائش». وتنتهي تلك المدة بنهاية عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن عام ٥٩٤ ميلادية. فتكون المدة التي حددها الهمداني بأنها (٢٠٨١ سنة) من (١٤٨٧ق.م ـ ٥٩٤ ب.م).

وتشمل تلك المدة ملوك دولة وحضارة اليمن في العصور التالية:

	عدد الملوك	مدة حكمهم	الزمن
ملوك العصر الأول لدولة تبابعة سبأ من عهد الملك الرائش إلى عهد أفريقيس بن ذي منار ملك سبأ	١١	٣٧٠ سنة	١٤٨٧ ـ ١١٠٠ قبل الميلاد
ملوك عصري لقب «ملك سبأ وذي ريدن» إلى عهد ياسر ينعم المؤرخ نقشه بعام ٣٨٥ للتقويم السبئي	٣٣	٢٦٥ سنة	من عام ١٢٠ ـ ٣٨٥ للتقويم السبئي الموافق عام ١١٠٠ ـ ٨٣٥ قبل الميلاد
ملوك العصر الرابع لتبابعة سبأ وهو عصر لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت» في النقوش، وأولهم شمّر يرعش وآخرهم كرب إل وتار يهنعهم	٩	١٣٤ سنة	من عام ٣٨٦ ـ ٥٢٠ للتقويم السبئي الموافق عام ٨٣٤ ـ ٧٠٠ قبل الميلاد
ملوك العصر الخامس لتبابعة سبأ وهو عصر لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم طودا وتهامت» وأولهم أبو كرب أسعد وآخرهم معدي كرب يعفر	٦	١٧٣ سنة	من عام ٥٢٠ ـ ٦٩٣ للتقويم السبئي الموافق ٧٠٠ ـ ٥٢٧ قبل الميلاد

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص٥٤١.

	عدد الملوك	مدة حكمهم	الزمن
ملوك عصر مملكة سبأ الثانية. وأولهم (كرب إل وتار ملك سبأ) وآخرهم (هاني كرب ملك سبأ)	٣	٨٠ سنة	٤٧٠ ـ ٣٩٠ قبل الميلاد
ملوك عصور ممالك معين وقتبان وأوسان ومكربية سبأ ودولة حضرموت ودولة بني معاهر الحميرية	(عددهم غير محدد)	٧٢٠ سنة	من ٥٢٥ ـ ٤٧٠ قبل الميلاد ومن ٣٩٠ ق.م. إلى ٢٧٥ ميلادية
ملوك عصور دولة تابعة حمير	١٨	٣٢٠ سنة	من ٢٧٥ ـ ٧٠٩ حميري/ ٢٧٥ ـ ٥٩٤ م
إجمالي عدد ملوك سبأ وحمير التابعة	٧٠	٢٠٨١ سنة	

فعدد الملوك الذين حكموا في المدة التي ذكرها الهمداني وهي (٢٠٨١ سنة) يزيد عن (١٥٠ ملكاً) بما فيهم ملوك عصور دويلات وممالك معين وقتبان وأوسان ومكربية سبأ وحضرموت ودولة بني معاهر، ولكن الملوك التابعة الذين حكموا كل اليمن في تلك الأزمنة والعصور منذ الحارث الرائش إلى معدي كرب بن سيف بن ذي يزن كانوا سبعين ملكاً تُبَّعاً، قال النعمان بن بشير الأنصاري:

لنا من بني قحطان سبعون تُبَّعاً أطاعت لهم بالخرج منها الأعاجم

وقال نشوان الحميري:

تبابع الأملاك من حِمْيَر عدّتهم سبعون لا تقصرُ

ولم تدم وتتواصل أي دولة وحضارة في تاريخ الإنسانية المدة التي دامت وتواصلت فيها دول وحضارة اليمن، فقد حملت الدول اليمنية التليدة مشعل الحضارة منذ عهد سبأ بن يشجب ـ عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد ـ إلى نهاية عهد ابن ذي يزن ـ عام ٥٩٤ ميلادية ـ وذلك زهاء أربعة آلاف وأربع وتسعين سنة، منها عصور تبابعة سبأ وعصور تبابعة حمير التي تواصلت عبر ٢٠٨١ سنة كان للحضارة اليمنية خلالها إسهامها الوافر في تاريخ البشرية وفي تقدم الجنس البشري عبر الآفاق الممتدة وكان الكثير من ملوكها التبابعة تاج الأرض، وبعد كل تلك الدهور والعصور كان لا بد من أن تنتهي عصور دولة وحضارة اليمن

كغيرها من الدول والحضارات في تاريخ الإنسانية والتي لم يدم أياً منها الزمن الطويل الذي دامت فيه الدول والحضارة العربية اليمنية التليدة.

ضبط زمن اغتيال ابن ذي يزن ونهاية الدولة الحميرية:

لقد ذكر الهمداني أنه «مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة ثم مَلَك أخوه شُراحيل بن ذي يزن ثلاث سنين» (اهـ) وكان حكم شراحيل في نفس عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن حيث كما ذكر المسعودي: «أقام معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن.. وكان مُلكه أربع سنين، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان» (اهـ) وقد انتهى عهده بمقتله على يد حرابة من الحبشة كان قد اتخذهم طوابير يسعون بين يديه. فخرج ذات يوم إلى منطقة الرحبة بضواحي صنعاء فلما انفردوا به عن الناس رموه بالحراب فقتلوه وكان ذلك في آخر السنة الرابعة من عهده، وهي سنة ٧٠٩ للتقويم الحميري، في أواخر سنة ٥٩٤ ميلادية، فيكون ذلك قبل «١٦ سنة» من البعثة النبوية، وقبل ٢٦ سنة من هجرة النبي محمد ﷺ الذي ببعثه وبهجرته كان قد أخبر وبشّر سيف بن ذي يزن. وكان ملك فارس عند مقتل معدي كرب بن سيف بن ذي يزن هو كسرى أبرويز الذي حكم في الفترة (٥٩٠ ـ ٦٢٨م) وكان ملك الحيرة والعرب في العراق هو أبو قابوس النعمان بن المنذر الذي حكم في الفترة (٥٨٠ ـ ٦٠٢م) وملك الروم هو القيصر موريكوس (٥٨١ ـ ٦٠٠م) وملك العرب بالشام جفنة المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني (٥٧٠ ـ ٥٩٩م). ففي ذلك الزمن، في آخر عام ٥٩٤م كان مقتل الملك معدي كرب بن سيف بن ذي يزن.

رابعاً

ما بعد اغتيال معدي كرب بن سيف بن ذي يزن

عند اغتيال معدي كرب بن سيف بن ذي يزن كانت بصنعاء القوة الفارسية التي جلبها معدي كرب والتي قال ابن قتيبة إنهم «كانوا سبعة آلاف وخمسمائة من الفُرس» ـ وهو عددهم مع عائلاتهم وأولادهم ـ وكان معسكرهم بمنطقة شعوب خارج سور صنعاء ـ آنذاك ـ وكان لتلك القوة الفارسية أمير قائد استنابة آلاء صبهبذ وهرز لما انصرف إلى بلاط كسرى بالمدائن، وكان وهرز بمثابة المسؤول

عن شؤون اليمن في بلاط كسرى، فلما بلغ القائد الفارسي الذي بمعسكر الفرس في صنعاء مقتل معدي كرب بن سيف بن ذي يزن فتك بالحبشة الذين قتلوه، حيث كما ذكر المسعودي إن ذلك القائد «أتى على من كان هنالك من الحبشة، وضبط البلد ـ أي صنعاء ـ وكتب بذلك إلى وَهْرِز وهو بباب كسرى الملك بالمدائن. فأعلم وَهْرِز بذلك الملكَ، فسيره في البرّ في أربعة آلاف من الأساورة، وأمره بإصلاح اليمن، وأن لا يُبقي على أحد من بقايا الحبشة» [ص٨٧/ ٢].

واقترن ذلك بما جاء في الموسوعة عن وهب بن منبه وعبيد بن شريه الجرهمي إنه: «بعد مقتل ابن ذي يزن لم يُمَلِّك اليمنيون أحداً على أنفسهم، غير أن كل ناحية مَلَّكوا عليهم رجلًا من حِمْيَر» [ص٢٩٠] ـ أي ملكوا عليهم الأقيال والأذواء الذين بمخاليفهم ومناطقهم، ولم يتفقوا على ملك واحد لليمن، أو لم يرغبوا في أن يُملكوا واحداً منهم على اليمن، وإنما أراد كل واحد من الأقيال ورؤساء مخاليف ومناطق وقبائل اليمن أن يستقل بحكم البلاد التي تحت يده. فلما بعث كسرى أبرويز الأصبهبذ وهرز في أربعة آلاف من فرسان الفُرس ـ الأساورة ـ جاءوا عن طريق البر من العراق إلى صنعاء ـ في أوائل عام ٤٩٥م ـ فلما وصلوا إلى صنعاء، قام وهرز بقتل بقايا الحبشة الذين بصنعاء وكانوا من العبيد المملوكين، حيث كما ذكر المسعودي «أتى وهرِز فنزل صنعاء فلم يترك بها أحداً من السودان ـ الأحباش ـ ولا من أنسابهم». وقال ابن خلدون: «إن كسرى بعث وهرز في أربعة آلاف من الفرس، وأمره بقتل كل أسود أو منتسب إلى أسودٍ، ففعل، وقتل الحبشة حيث كانوا، وكتب بذلك إلى كسرى، فأمَّرَه على اليمن» (اهـ). ويرتبط ذلك أيضاً بما سلف ذكره في الموسوعة عن وهب بن منبه وعبيد بن شريه الجرهمي بأنه «بعد مقتل ابن ذي يزن لم يُملِّك اليمنيون أحداً على أنفسهم، غير أن كل ناحية ـ أو مخلاف ـ مَلّكوا عليهم رجلًا من حِمْيَر ـ وهم الأقيال ـ فكانوا مثل ملوك الطوائف حتى أتى اللّه بالإسلام» (اهـ).

ويتبين من ذلك أن ما حدث هو أن الدولة الحميرية تفككت ولم يعد لليمن ملك واحد، وإنما استقل كبار الأقيال والأذواء بحكم مناطقهم ومخاليفهم وقبائلهم، وسيطر الفُرس على الحكم في صنعاء وبعض المراكز، فكان الحال كذلك حتى ظهور الإسلام.

المبحث الخامس

عهد زُرْعَة بن سيف بن ذي يزن والأقيال الملوك والحكم الفارسي بصنعاء إلى ظهور الإسلام

٢٦ قبل الهجرة ـ ٩هـ/ ٥٩٤ ـ ٦٢٩ ميلادية

كان زُرعة بن سيف بن ذي يزن أحد الأقيال الملوك بمخاليف ومناطق اليمن منذ اغتيال أخيه الملك معدي كرب بن سيف بن ذي يزن حتى ظهور الإسلام. قال ابن حجر العسقلاني:

«زُرعة بن سيف بن ذي يزن. من مشاهير الملوك. كَاتَبَ النبي ﷺ»(١).

وكان اسم زرعة: (زرعة عامر) ـ اسم ونعت ـ فوقع التباس بأنه زرعة بن عامر، فجاء في الإكليل ما يلي: «أولد سيفُ: عامراً، فأولد عامر: زُرعة، وإليه كتب رسول اللَّه ﷺ. وفي الحديث: إن رسول اللَّه ﷺ اشترى حلّة بنيف وعشرين قلوصاً وأهداها إلى ابن ذي يزن. أي إلى هذا»(٢).

أولًا

معالم عهد زرعة بن سيف بن ذي يزن والأقيال الملوك باليمن والحكم الفارسي بصنعاء

كان زرعة بن سيف بن ذي يزن حاضراً اللقاء بين أبيه الملك سيف بن ذي يزن وعبد المطلب بن هاشم في قصر غمدان بصنعاء ـ سنة ٥٧٢م ـ حين بشَّر وأخبر سيفُ بن ذي يزن عبد المطلبَ بأمر النبي محمد ﷺ وذلك ـ كما ذكر الحافظ ابن كثير ـ «لسنتين من مولد النبي ﷺ»(٣).

وقد ذكر ابن كثير خبر ذلك اللقاء الخاص بين سيف بن ذي يزن وعبد المطلب بن هاشم ثم قال: «هكذا رواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل.. قال أبو نعيم: أُخبِرتُ عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن»(٣).

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص٥٧١ جـ١.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٩ جـ٢.

(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٢٠ جـ٢.

وفي سند آخر: «حدثني أبو يزن إبراهيم: حدثني عمي أحمد بن محمد أبو رجاء به: حدثنا محمد بن عبد العزيز: حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زُرعة بن سيف بن ذي يزن»[٣]. ويدل ذلك على أن زُرعة حضر ذلك اللقاء بين سيف وعبد المطلب وحفظ خبر تبشير سيف بالنبي ﷺ لأنه الذي روى ذلك فيما بعد. وكان زُرعة آنذاك فتًى شاباً، وقال المسعودي في مروج الذهب: «أتت الوفود من العرب تهنئ سيف بن ذي يزن، وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأُمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وخويلد بن أسد بن عبد العُزى.. فدخلوا إليه وهو في قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان، وهو مضمخ بالعنبر والمسك، وسيفه بين يديه، وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء المَقَاول»[١] وقال نشوان: «... وعن يمينه ويساره المَقَاوِل وأبناء المَقاول»[٢].

والملوك المَقَاول وأبناء المَقاول هم الأقيال وأبناء الأقيال، وكانوا كالملوك في مخاليفهم ومناطقهم بأرجاء اليمن في إطار الدولة الحميرية في عهد سيف بن ذي يزن (٥٧١ ـ ٥٩٠م) وعهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن (٥٩١ ـ ٥٩٤م) فلما أُغتيل معدي كرب استقل كل واحد من الأقيال بحكم مخلافه ومنطقته حيث كما جاء في الموسوعة عن وهب بن منبّه: «لمّا قُتِل ابن ذي يزن لم يُملِّك اليمنيون أحداً على أنفسهم، غير أن كل ناحية مَلَّكوا عليهم رجلًا من حيمر، فكانوا مثل ملوك الطوائف حتى أتى اللّه بالإسلام»[٣].

والمقصود أن الأقيال استقلوا بحكم مخاليفهم ومناطقهم في أغلب أرجاء اليمن وأصبح كل واحد منهم ملكاً على مخلافه والمنطقة التي يتقيّل عليها، فلم يُملكوا ملكاً واحداً على اليمن ولم ينضووا تحت سلطة الحكم الفارسي بصنعاء، فكانوا ملوكاً على مخاليفهم ومناطقهم مثل ملوك الطوائف حتى ظهور الإسلام، وهم زُرعة بن سيف بن ذي يزن والملوك الأقيال بأغلب أرجاء اليمن، فالحكم الفارسي إنما كان بصنعاء وبعض المراكز بينما كان أغلب اليمن تحت حكم الأقيال الملوك، وكان يُقال لهم (ملوك اليمن) حتى أشرق في ربوع اليمن فجر الإسلام.

لقد كان اليمن ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي بلاد حِمْير ومخاليفها، وبلاد حضرموت ومخاليفها، وبلاد صنعاء ومخاليفها.

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص٨٢ جـ٢.

(٢) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٥٢.

(٣) الموسوعة ـ د. حسين العمري ـ ص٢٩٠.

أ ـ بلاد حِمْير: وتشمل بالتسميات الحالية مناطق ومحافظات إب والضالع ولحج ويافع وعدن وأبين وشبوة ورداع ـ البيضاء ـ ووصاب وتعز والحديدة ـ تهامة ـ إلى ساحل البحر الأحمر، وكان ذلك القسم الشاسع من اليمن مستقلاً ـ تحت حكم سبعة من الأقيال الملوك وهم: زُرعة بن سيف بن ذي يزن، وحجر بن زُرعة الخنفري، والحارث بن عبد كلال ذي رُعين، وأبرهة بن الصباح، وسلامة ذي فائش، وسُميفع بن يعفر ذي الكلاع، وفهد بن النعمان قَيْل المعافر إلى ساحل البحر الأحمر. وسيأتي ذكرهم بالتفصيل.

ب ـ حضرموت ومخاليفها: وتشمل كل بلاد حضرموت والمهرة وبعض مناطق شبوة، وكان ذلك القسم من اليمن أيضاً مستقلاً تحت حكم ملكين هما قيس بن معدي كرب الكندي الذي فيه قال عبد يغوث الحارثي:

«أبا كرب والأيهمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا»

ومسروق بن وائل الحضرمي الذي فيه قال أعشى قيس الجاهلي:

قالت سميّة: مَنْ مَدِحت؟ فقلتُ: مسروق ابن وائل

جـ ـ صنعاء ومخاليفها: وتشمل صنعاء وبلاد مذحج (ذمار وعنس والبيضاء إلى مأرب والجوف ونجران) وبلاد همدان (حاشد وبكيل) إلى صعدة ونجران، وبلاد بَجِيلة وخثعم والسراة إلى تخوم الطائف.

وكان يحكم نجران ومخاليفها منذ عهد سيف بن ذي يزن القَيْل عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجي الذي فيه قال أُميّة بن أبي الصَّلت الثقفي:

ولقد رأيتُ القائلين وفعلَهُمْ فرأيتُ أكْرَمَهم بنو الديَّان
ورأيتُ مِنْ عَبْدِ المَدانِ خلائقاً فَضَلَ الأنامَ بهنّ عبدُ مَدَانِ

وكان زعيم صعدة يعلى بن سعد المالكي الخولاني الذي قال عنه الهمداني: «رمَى يعلى بن سعد بين يديّ سيف بن ذي يزن، فقال سيف: أغرق المالكي في القوم، فلزمه لقب مُغرق»[1] وهو القائل:

كَسَفَتْ نجوم من مَقَاول حِمْيَر فينا وأظلم شمسُها وبدورها
ومَضَى ابن ذي يَزَنٍ وحَلَّت بينها حربٌ عوانٌ ما يخبُّ سعيرها
ورمى الزمانُ ديارها بأزيلم جدّع وهدّت دورها وقصورها

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٠٧ جـ٧.

ويعني بالأزيلم الفُرسُ بصنعاء وبعض المراكز والمواقع في الطريق بين صنعاء وشمال الجزيرة، وهي الطريق بين صنعاء وبلاد الحيرة والعراق حيث كانت المدائن مقر وعاصمة كسرى أبرويز. وقد بدأ الحكم الفارسي بصنعاء عندما بعث كسرى إبرويز الإصبهبذ وَهرِز في أربعة آلاف من الأساورة ـ الفُرس ـ بعائلاتهم فجاءوا عن طريق البر إلى صنعاء وكان بصنعاء سبعة آلاف وخمسمائة من الفُرس، فتمركز الفُرس بصنعاء وبعض المراكز وبات وهرز حاكماً بصنعاء ـ وذلك سنة ٥٩٥م ـ وكان وهرز قد بلغ من الكِبر عتيًّا. قال ابن خلدون والطبري: «ولما هَلَكَ وهرز بصنعاء أمَّرَ كسرى بعده ابن المرزبان ـ النوشجان ـ فهلك بصنعاء ـ فأمَّرَ كسرى حافده خرخسرو بن النوشجان بن المرزبان ثم سَخَطَ عليه وحُمل إليه مُقيداً ثم أجاره ابن كسرى وخلى سبيله فعزله كسرى، وولي باذان فلم يزل إلى أن كانت البعثة النبوية»[1] وقد وَلّى كسرى أبرويز بن هرمز باذان بن ساسان قبل البعثة النبوية ـ أي قبل سنة ٦١٠ ميلادية ـ فكان باذان حاكماً بصنعاء وبعض المراكز بمخاليف صنعاء، ولم يكن حكمه يشمل حتى كل مخاليف صنعاء بل إن الفُرس اعتمدوا على التحالف مع همدان (حاشد وبكيل) لمواجهة مذحج وخولان. وقد ذكر الرازي خبر «الحلف بين فارس وهمدان» وقال ما يلي نصه: «اجتمع جماعة من الرؤساء فتشاوروا وأجمعوا على حرب باذان بن ساسان عامل كسرى بن هرمز في اليمن، وكان اجتماعهم بمذاب في الجوف، وفيهم عمرو بن معدي كرب الزُبيدي، والحصين بن قنان، ويزيد بن عبد المدان الحارثي، وعنبسة بن زيد الخولاني، وجماعة من الفرسان والأشراف، فعسكروا عسكراً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيفاً، وبَلَغَ ذلك باذان بن ساسان فخرج إليهم ـ من صنعاء ـ في خيل الأساورة، وخرجت همدان في عشرة آلاف بين فارس وراجل في عدة كاملة، فعرضوا على باذان النُّصرة والحلف، فسرَّه ذلك وسارع إليهم فحالفهم وعاقدهم.. وكتبوا ـ كتاب الحلف ـ نسخة بالعربية ونسخة بالفارسية. فكتبوا.. (هذا كتاب ما أجمعت عليه همدان وفارس باليمن، بمحضر المرزبان باذان بن ساسان والرئيسين عمرو بن الحارث وعمرو بن يزيد من بكيل وحاشد، ورضي من حضر وكفالة بعضهم لبعض عَمّن غاب من الحيَّين جميعاً. أنَّا تحالفنا على (عهد اللّه تعالى وميثاقه) واجتماع الهوى واتفاقه، وقتال المخالف وفراقه، وعلى أن كل واحد من الحيين جميعاً فيما عقد وحالف إن نكث وخالف عما عقد وشدّ أو كد فعليه العهد (من اللّه

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص٩٨.

تعالى) المكرر الوثيق المؤكد الشديد أبد الأبد.. عهداً تؤكده العهود وحلفاً تشدده العقود، بعقد مبرم محكم شديد لا يضمحل أمره ولا يبيد خبره). ـ قال الرازي ـ «ثم بعث اللّه تعالى نبيّه في عقب هذا الشرط ـ أي هذا الحلف»[1] ـ ومؤدى ذلك أن الحلف كان قبيل البعثة النبوية ـ أي قبل عام ٦١٠م بأمد يسير ـ وإن الحكم الفارسي بصنعاء اعتمد على التحالف مع همدان (حاشد وبكيل) بينما كانت مذحج وخولان تناوئ الوجود والحكم الفارسي بصنعاء وتسعى للقضاء عليه، ولم يزل الأمر كذلك حتى ظهور الإسلام.

أما بلاد حِمْيَر ومخاليفها وحضرموت ومخاليفها فكانت جميعها تحت حكم الأقيال الملوك المستقلين بحكمها دون أي وجود أو نفوذ فارسي فيها، مما يدل على خطأ الظن الشائع بأن الفُرس مَلَكوا واحتلوا اليمن وإن الدولة الحميرية انتهت، فالصحيح أن الحكم الفارسي إنما كان في صنعاء وبعض المراكز وبالتحالف مع همدان، وإن الدولة الحميرية لم تنته وإنما تفككت إلى عدة دويلات بزعامة الأقيال الملوك الذين استقلوا بحكم أغلب أرجاء اليمن حتى ظهور الإسلام وهُم زرعة بن سيف بن ذي يزن والأقيال الذين نذكرهم فيما يلي:

ثانياً

أقيال اليمن الملوك في عهد زُرعة بن سيف بن ذي يزن

لقد كان زُرْعة بن سيف بن ذي يزن قَيْلًا ملكاً بمناطق أذوائية يزن والتي منها شبوة وأبين إلى عدن ولحج ومناطق من سَرْو حمير إلى أطراف أذوائيات رُعَيْن وذي أصبح. وكان مقره القصر (يزن) في مدينة عَبَدان في وادي عبدان بالعوالق ـ في محافظة شبوة حالياً ـ وقصر أحور في أبين والذي فيه قال الشاعر:

«وقصر أحور أسّ القَيْلُ ذو يزن»

وكانت لزرعة بن سيف بن ذي يزن رئاسة وزعامة عليا أو مرجعية على غيره من ملوك حمير الأقيال بمناطق بلاد حمير، وخاصة آل خنفر وآل الصباح وذي أصبح.. قال الهمداني: «إن آل ذي يزن وآل خنفر وآل ذي أصبح وآل الصباح بن شرحبيل بن لهيعة كانوا إلْباً ويداً واحدة في جاهليتهم على حد القرابة والدعوة إلى صيفي بن زُرعة ـ وهو حمير الأصغر ـ ويشهد بذلك قول ابن أبان الخنفري:

فناديتُ في حيّ الأزون وخنفر ورهط بني سُخْطٍ وحيّ الأصابح

(١) تاريخ صنعاء ـ الرازي ـ ص٣٦.

فجاءوا على قُبٍّ تغادىٰ كأنّها يعاسيبُ في يوم من الدجن ساجح
من أبناء صيفيّ ذوي المُلك والحجا وأهل المساعي والحلوم الرواجح

. . . وأصبح بطن الأصابح بلحج . . وأولد الحارث ذو أصبح: عمرو، وعبد اللّه، ورافع. فولد عمرو بن الحارث مضحاً وحبتلًا ونوراً ورِمَع وحمشان وقُرَّية وطلحة. وولد عبد اللّه بن الحارث: العَوْد، وإليه يُنسب جبل العود، والغيض والمشاحط والباقر»[1] والعود مخلاف محتفظ باسمه إلى اليوم بنواحي قعطبة والنادرة ـ بمحافظة إب ـ وهو من بلاد ذي رُعَيْن. وكذلك (بني سُخْط) في منكث بقضاء يريم من ذي رُعين. فكانت رئاسة زُرعة بن سيف بن ذي يزن تمتدُ إلى بلاد ذي رُعين وإلى صَبَاح كزعامة ومرجعية عليا.

وكان من الأقيال الملوك منذ عهد سيف بن ذي يزن (٥٧١ ـ ٥٩٠م) إلى عهد زُرعة بن سيف بن ذي زين (٥٩٤ ـ ٦٢٩م) أي إلى أن كتب زرعة بن سيف بن ذي يزن إلى النبي ﷺ بإسلام ملوك اليمن سنة ٩هـ (= ٦٢٩م) ـ كما سيأتي ـ كان من الأقيال الملوك:

١ ـ حُجْر بن زُرْعة بن عمرو الخَنْفري:

وهو (حُجْر بن زُرعة بن عمرو بن حُجر بن ذي شَمِر بن عمرو بن عبد شمس بن سيار بن خَنْفر بن سيار بن زُرعة بن صيفيّ). واسم خنفر الحارث ـ أي (الحارث خَنْفر)، وباسمه سُميت منطقة خنفر في أبين. قال الهمداني: «وأمه الذلفاء ابنة زُرعة بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي، وبها يُعرف آل خنفر، ذهبت عليهم بالصوت. . وكان زُرعة بن عمرو ـ الخنفري ـ وآباؤه، يتولون للتبابعة أعمال المعافر ومأرب وحضرموت، وبأسفل المعافر قصر ذي شَمِرْ ـ الخنفري ـ فأولد زُرعة بن عمرو: حُجر بن زُرعة، فقام برياسة أبيه زُرعة وولّي ما كان في يده، ووازر أبا مُرّة سيف بن ذي يزن في أمره وقام معه بيوم غيمان. وهو القائل:

ألسنا المَقاولُ مِنْ حِمْيَرٍ لنا الفضل يطمو على مَنْ ذكرْ
إذا استلت البِيض يوم النزال وكانت لنا معقلًا لم نَفِرْ
لنا فخر غيمان في مشهدٍ بدا الفخر فيه لمن يفتخرْ
بكل قضِيب من الشرعبيّ معالي الكعوب طويل العُشرْ

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٤ جـ٢.

(يريد متباعد الكعوب فيه طول كثير بعد عشر عُقد)

وكل فتى أنسلته الملوك كريم المساعي عظيم الخطر

وهو القائل:

ما زلتُ أرمي بنفسي القوم مصطبراً حتى استفقتُ وقد زالت رواسيها
جادت سحابتنا فيهم وأسعدها حضور آجالهم والموت حاديها»[1]

وكان حُجر بن زُرعة بن عمرو يتولى مناطق أسفل المعافر إلى حضرموت في عهد سيف بن ذي يزن، ومعه ابنه حُريز بن حجر بن زُرعة، وكذلك الحصين بن حريز وميمون بن حريز. قال الهمداني: «وهما ـ أي الحصين وميمون ـ من الأقوال التي أمدّ بها سيف بن ذي زين خولان (صعدة) في حرب خولان وهوازن وبني سُليم»[1] ولم يزل حجر بن زُرعة قيلًا ملكاً في فترة الجاهلية وهي فترة عهد زُرعة بن سيف بن ذي يزن. قال الهمداني: «وفيه يقول مالك بن عمرو الكلبي:

متى تفخر بزُرعة أو بُحْجرٍ تجد فخراً يطير به السناءُ
هُمُ السَّادات من أبناء عمروٍ ومن لهم المهابةُ والبهاءُ

وعُمِّرَ حُجر بن زُرعة عمراً طويلًا، وفيه يقول الأعشى، وكان كثيراً ما يفد إلى المعافر، وقيل هي للمسيب بن علس:

حَلَلْتُ على حُجر بن زُرعة بعدما برى الجسم مني مشفقات العواذل
فروّت سجالًا منه ظمآن هائماً وأصبحتُ مغبوطاً بأفضل نائل
فَرَحّب مقصوداً وأغنى مُسَرِّحاً وجاد بما يُعطي مُنَى كلّ سائل»[1]

وقال الأعشى أيضاً ـ في أبيات بالإكليل:

«بنو الذَّلفاء أسودَ مَنْ عليها وأنجَدَ من عَلَا الحُصُن الجِيادا
وأكرم مَن حَذَا قَدَماً بنَعْلٍ وأسمح من أماح جَداً وجَادا»

٢ ـ الملك الحارث بن عبد كُلال ذو رُعَيْن:

هو الحارث بن عبد كُلَال ذو رُعَيْن بن نصر بن سهل بن عَرِيب بن عبد كُلال بن ذي رُعَيْن. قال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «كان الحارث بن عبد كلَال من عظماء ملوك اليمن ومشاهير أقيالها،

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٤٤ ـ ١١٧ جـ٢.

ربُّ سيف وبيان ومكارم وجِنان، وكان مكتوب على سيفه:

أنـــا الـــحـــارث ذو غُـــشـــيـــن صـــاف كـــالـــلـــجـــيـــن»[١]

ولعل الأصوب (أنا الحارث ذو رُعَيْن...» وكان الحارث بن عبد كلال ذو رعين ملكاً على كافة قبائل ومناطق آل ذي رُعَيْن، وهي مناطق وقضوات النادرة وعمار والشعر والعود ويريم والرضمة ودمت إلى الضالع ويافع وإلى حصن حَبّ المنيع في جبل بعدان ـ الذي يُطلّ على مدينة إب ـ وإلى ذُبحان ـ في تعز ـ وحيس ـ في تهامة، وكان مقرّه في حصن حَبْ المشهور بمناعته وروعته)[٢] وقد جاء ذكره بلقب (ملك اليمن) في نبأ الملوك الذين كتب إليهم النبي ﷺ سنة ٧ هجرية. قال ابن سيد الناس: «بعث رسول اللّه ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام: دَحْية الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وعبد اللّه بن حذافة إلى كسرى ملك فارس، وعمرو بن أُمية إلى النجاشي ملك الحبشة، والعلاء ابن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين، والمهاجر ابن أبي أُمية إلى الحارث بن عبد كلال ملك اليمن»[٣]. وكذلك قال ابن هشام: «... وبعث رسول اللّه ﷺ المهاجر بن أبي أُمية إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن»[٤].

ويدل ذكره بلقب (ملك اليمن) على علو مكانته وسلطانه في اليمن. وسنذكر نبأ إسلامه مع زُرعة بن سيف بن ذي يزن وبقية ملوك اليمن الأقيال فيما بعد.

ومن أنباء الحارث بن عبد كلال ذي رُعَين قبل الإسلام: قال أبو علي القالي: «مات أخ لذي رُعَيْن فعَزَّاه بعض أهل اليمن فقال: إن الخَلْق للخالق، والشُّكْر للمُنْعِم، والتسليم للقادر، ولا بُدَّ مما هو كائن؛ وقد حَلَّ ما لا يُدْفَع، ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات، وقد أقام معك ما سَيَذْهَب عنك وسَتَتْرُكه، فما الجَزَعُ مِمَّا لا بُدَّ منه، وما الطَّمَع فيما لا يُرْجَى، وما الحيلة فيما سَيُنْقَل عنك أو تُنْقَل عنه، وقد مَضَتْ لنا أصول نحن فروعها، فما بقاءُ الفرع بعد الأصل؟ فأفضلُ الأشياء عند المصائب الصبر، وإنما أهل الدنيا سَفْرٌ لا يَحُلّون عن الرِّكاب إلا في غيرها. واعلم إنَّما ابتلاك المُنْعِم وأخذ منك المُعْطِي، وما ترك أكثر، فإن نَسِيتَ الصبر لا تَغْفُل عن الشكر»[٥].

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٤ جـ.
(٢) يمانيون في موكب الرسول ـ محمد الفرح ـ ص٣٩٣ ـ ٣٩٤.
(٣) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص٣٣٠.
(٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٧٩ جـ٤.
(٥) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص٩٨ جـ٢.

٣ ـ فهد بن النعمان ملك المعافر:

هو (فهد الأصغر ابن النعمان بن عبد كُلال ذي رُعين)[١] وهو فهد الأصغر تمييزاً له عن عمه فهد الأوسط بن عبد كُلال. قال الهمداني: «وفي فهد الأوسط يقول سلمة بن جندل التميمي، أو أبوه جندل الشاعر:

ألا إنَّ خير الناس كلُّهم فَهدُ ... وعَبدُ كُلال خير سَائرهم بَعدُ
هما قمرا مُلك سليلا مكارم ... وفيًا عهود عندما يُنكث العهدُ
وما ذاد عن مُلْكِ المَقاولِ تُبَّعُ ... ذيادَهما لما وَهَى منه ما شدوا
وقد مال رأس المُلك واضطربت به ... بطون ظهور ما لأكثرها سَدُّ
فقاما بما أعيَا قبائل حمير ... وشدا فتوق الوهي إذْ بلغ الجهد
فعبد كُلال خير حمير كلّها ... على رغم من عادى وربّهم فهد

وكان فهد الأصغر ابن النعمان بن عبد كلال قَيْلًا بالمعافر، وهو الذي وَفَدَ إليه الأعشى، وقال فيه:

ونادمتُ فَهْداً بالمعافر حِقبة ... وفهدُ سَماح لم تشبه المواعدُ
ووالده نعمان من حفداته ... رُعَيْنُ وهم قوم ملوك أماجد
وأكؤسهم صَافي اللُّجين مُكَلّلُ ... بدرٍّ وياقوتٍ عليه العساجدُ

وكان فهد هذا يجبي من بلد الحبش: زيلع، وجزيرة بربرة»[١]. حيث كانت قيالة فهد بن النعمان في بلاد المعافر ـ وهي محافظة تعز حالياً ـ وتمتد إلى حيس وغيرها من تهامة إلى ساحل البحر الأحمر ثم إلى زيلع وبربرة في ساحل الحبشة والصومال. وذلك في إطار ملوكية الحارث بن عبد كلال ذي رُعَيْن. ووقعت في الجاهلية حرب بين حمير ومذحج في منطقة بين بلاد حمير ومذحج، في جهة البيضاء تقريباً، وكان عمرو بن معدي كرب الزُبيديّ فارس مذحج واليمن، فطلبت منه أروى أن يأتيها برأس فهد بن النعمان قَيْل المعافر، «فقال عمرو بن معدي كرب في ذلك:

ألا عَتَبَتْ عليّ اليوم أَرْوَى ... لآتيها كما زَعَمَتْ بَفْهدِ
وحِمْيَرُ دونه قَوْمٌ عُتاةٌ ... بكل مَسِيلةٍ وبكُلِّ نَجْدِ
فما الأحلافُ تابِعَتِي إليه ... ولا وأبيك لا آتيه وَحْدِي»[٢]

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٣ جـ٢.
(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص١٥٠ جـ٣.

ويعني بالأحلاف قبائل مذحج وكانت تلك الحرب بين حمير ومذحج قبل البعثة النبوية، وانتهت بالتصالح وعودة الإخاء والترابط بين رؤساء مذحج وأقيال حمير الذين كان منهم حُجر بن زُرعة الخنفري والحارث بن عبد كلال ذو رُعين وفهد بن النعمان بن عبد كلال قَيْل المعافر.

٤ ـ سُمَيفع بن يعفر ذو الكُلَاع:

هو ذو الكلاع الأصغر سُميفع بن يعفر بن ناكور بن زيد بن شُرحبيل بن أسود بن عمرو بن مالك بن زيد ذي الكلاع الأكبر بن شُهال بن وحاظة بن سعد بن عوف بن عَدِي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر. وكان سُمَيفع بن يعفر ذو الكلاع قَيْلًا على مناطق الكُلاع وقائداً لكتائب حِمْيَر منذ عهد سيف بن ذي يزن. ومن أبناء عمومته القَيْل مُرّ بن الحارث الكلاعي. قال الهمداني: «وهو ـ أيّ مرّ بن الحارث ـ أحد الأقوال المدد لخولان ـ الذين أمدّ بهم سيف بن ذي يزن خولان صعدة في حرب خولان وهوازن ـ وفيه يقول عمرو بن يزيد العوفي:

ألم تعلم بتصريف الليالي ويَعْلَى يوم شارفنا بسمرّ»[1]

ولم يزل مُرّ بن الحارث الكلاعيّ ببلاد صعدة حتى قُتِل في فتنة وقعت بصعدة «وذلك أول ما ظهرت دعوة الإسلام بمكة»[1].

وكان سميفع بن يعفر ذو الكلاع قَيْلًا ملكاً بمخلاف الكلاع. قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الصفة: «الكلاع: كان يُطلق في القديم على: العدين وبلاد ذي سُفال وبلد حُبيش وبلاد إب»[2] ـ أي قضوات إب والعدين وذي سُفال وحبيش وكذلك بلاد وصاب ـ وكان مقر سُميفع ذي الكلاع قصر ومصنعة وُحَاظة في عزلة شُبع بناحية حُبيش. قال الهمداني: «مصنعة وحاظة واسمها سُباع وهي تُشابه ناعطَ في القصور، والكُرُف على باب القلعة من شرقيها موطّأ في القاع.. ومنها قلعة خَدِد معاندة لقلعة وُحَاظة بينهما ساعة من نهار، وقلعة خَدِد هذه فيها قصر عظيم يقصر عنه الوصف»[3].

وكان عند سُميفع بن يعفر ذي الكلاع من العبيد الأحباش الذين تم أسرهم أيام سيف ذي يزن ثمانية آلاف عبد ـ أو ستة عشر ألفاً ـ قال الحافظ ابن حجر:

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٧١ ـ ٢٧٢ جـ٢.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص١٠٢.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص١٤٢.

«بعث رسول اللّه ﷺ جرير بن عبد اللّه البجلي إلى ذي الكلاع فأسلم وأعتق لذلك أربعة آلاف، ثم قَدِم المدينة (في خلافة أبي بكر) ومعه أربعة آلاف أيضاً، فسأله عمر في بيعهم فأصبح وقد أعتقهم، فسأله عمر عن ذلك، فقال: إني أذنبتُ ذنباً عظيماً فعسى أن يكون ذلك كُفارةً، تواريتُ مرة ثم أشرفتُ فسجد لي مائة ألف»[١].

وكان النبي ﷺ بعث جرير بن عبد اللّه البجلي إلى الحارث بن عبد كلال ذي رعين وسُميفع بن يعفر ذي الكلاع وملوك حمير، وكتب زرعة بن سيف بن ذي يزن بإسلامهم إلى النبي ﷺ ـ كما سيأتي في نبأ ونصوص إسلام زرعة ومُلوك اليمن.

٥ ـ سَلَامة ذو فائش.. ملك إرياب:

وهو سَلامة ذو فائش الأصغر بن يُهبر بن ذي فائش بن يزيد بن مُرّة بن عَرِيب بن مرثد بن يريم بن ودد بن يوسف بن بولس بن يحصب اليحصبي الحميري، وكان سلامة ذو فائش ملَكاً قيلًا منذ عهد سيف بن ذي يزن ويدل على ذلك قول الهمداني في الإكليل: «... وأولد سلامة ذو فائش: يزيد بن سلامة، وهو أحد الأقوال الذين أمدّ بهم سيف بن ذي يزن خولان، وإليه تُنسب بئر القَيْل في صعدة»[٢].

ولم يزل سلامة ذو فائش قيلًا ملكاً في فترة الجاهلية ـ والتي هي فترة عهد زُرعة بن سيف بن ذي يزن ـ وكان مقر سلامة ذي فائش قصر إرياب. قال الهمداني: «وإرياب في رأس جبل أَدم من يحصب العلو، وهو رأس صَيد»[١] قال الأكوع: «إرياب هو الجبل الناتئ على نقيل سُمارة المسمى صَيد. وبه سُميت عزلة إرياب من يحصب العلو»[١] فإرياب ببلاد يحصب قضاء يريم ـ بمحافظة إب حالياً ـ وكان قصر إرياب مقر حكم سلامة ذي فائش وكان حكمه يمتد في عدة مناطق إلى بعدان وإلى رأس سَلْيَة وهو جبل شخب في عمار بالنادرة وريمان وغيرها من بلاد يحصب. قال الهمداني: «وفيه يقول الأعشى ـ أعشى قيس الجاهلي:

وذو فائش قد زُرتُه في مُمَنّع ... من النِّيق فيه للوعول موارِدُ
ببَعْدان أو ريْمَان أو رأس سَلْيَةٍ ... شِفَاءُ لِمنْ يَشْكُو السّمائمَ بارِدُ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص٤٩٢ جـ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٥ ـ ٢٠٠ جـ٢.

وبالقصر من إرْيابَ لو بِتّ لَيْلَةً لَجاءكَ مثلوجُ مِنَ الماء جَامِدُ
وذو فائش من رأسه فوق مشرفٍ تقصّر عنه الهاضبات الرواعدُ
ومِنْ دونه جُرد المذاكي وفوقها حُماة بأيديها السيوف الحواصدُ

وفيه يقول أيضاً، ويذكر منزله بإرياب:

تؤمَّ سلَامة ذا فائشٍ إذا زاره الضيف حَيّا وبشْ
وقال لهم مرحباً مرحباً وأهلًا وسهلًا بهم وابتهشْ[1]
عتيد لهم بلذيذ الطعام وشرب المدام ومضّ المُششْ[1]
بإرياب بيت له للضيوف أصيل العماد رفيع الفُرشْ
فكم يا سلامة من مُمْلِقٍ حَبوتَ بما تقتني فانتعشْ
وحَيٍّ صبحتهم ضحوةً بخَيلٍ سَواهم جُرْدٍ خُفُشْ[2]
وحَيٍّ صبحتهم غارةً بأخرى عوابس تحت النّقشْ[2]
إذا ما أنجلى الليل جاءتهم مملمة منك بعد الغَطشْ»[2]

وكان الأعشى يشدّ رحال ناقته بين فترة وأخرى من اليمامة إلى ملوك اليمن بحضرموت وبلاد حمير في ذلك العهد ـ بالجاهلية ـ وكان كثيراً ما يفد إلى سلامة ذي فائش، وقال فيه أيضاً قصيدة طويلة وهي مثبتة في ديوان الأعشى، منها قوله:

تؤمَّ سلَامة ذا فائشٍ هي اليوم حمَّ لميعادها
وكم دون بيتك من صَفْصفٍ ودكداك رملٍ وأعقادها[3]
وبهماءَ كالليل غطش الفلاة يُؤَنّسني صوت فَيّادها[4]
فإن جِمْيَرُ أصلحتْ شأنها ومَلّت تسَابيّ أولادها
وُجِدت إذا اصطلحوا خيرهم وزندك أثقب أزنادها[5]

---

(١) ابتهش: أظهر حسن الخلق والبشاشة. والعتيد: الطعام الحاضر المهيأ. ومضّ المشش: مص أطراف عظام اللحم والمخ.

(٢) الخيل السواهم: الضوامر. والجرد: الخيل قصيرة الشعر. والخمش: الضرب. والنقش: أن تضرب الخيل بحوافرها لتدخل القتيل تحت أرجلها. والململة: الكتيبة من الجيش. والغطش: الظلام.

(٣) بيتك: قصرك. الصفصف: الأرض المستوية. والدكدك المدقوق المهدوم والأعقاد: ما تراكم من الرمل.

(٤) بهماء: صحراء مطموسة المسالك. وغطش: مظلمة. والفياد: ذكر البوم.

(٥) أثقب الزناد: أخرج النار.

فإن حربهم أوقدت بينهم فَحرَّت بهم بعد إبرادها
وُجِدتَ صَبُوراً على رُزْئها وكرّ الحروب وترددها
كثير النوافل تبرى له مرازيّ ليس بعدَّادها»

ومن أنباء سلامة ذي فائش. قال أبو علي القالي في كتاب الأمالي:

«نَشأ لسَلَامة ذي فائش ابنٌ كأكْمل أبناء المَقَاول، وكان به مسروراً يُرَشِّحُه لموضعه، فرِكبَ ذاتَ يوم فرساً صَعْباً فَكَبا به فوقصه ـ أي كسره فمات ـ فَجزِع عليه أبوه جَزَعاً شديداً وامتنع من الطعام واحتجب عن الناس، واجتمعت وُفُود العرب ببابه ليُعَزُّوه، فلامَه نُصحاؤه في إفراط جَزَعه، فخرج إلى الناس فقام خُطباؤهم يُؤَسُّونه، وكان في القوم الملَبَّب بن عوف بن سَلَمة بن عمرو بن سَلَمة الجُعْفي، وجُعادة بن أفلح بن الحارث ـ وهو جَدُّ الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي ـ [1] فقام المُلَبَّب فقال: أيها الملك، إنَّ الدنيا تَجُود لتَسْلُب، وتُعطي لتأخُذ، وتَجْمَع لتُشَتِّت، وتحلى لِتمُرّ، وتَزْرَعُ الأحزان في القلوب بما تَفْجأ به من استرداد الموهوب؛ وكلُّ مصيبة تَخَطَّأتْك جَلَل، ما لم تُدنِ الأجَل. وتَقْطع الأمل، وإنّ حادثاً ألَمَّ بك فاسْتَبَدَّ بأقلك وصَفَح عن أكْثرك لِمن أجَلِّ النِّعَم عليك، وقد تناهَتْ إليك أنباءُ من رُزئ فصَبَر، وأُصِيب فاغتَفَر... فاسْتَشْعِر اليأس مما فات إذا كان ارتجاعُهُ مُمْتَنِعا، ومَرَامُه مُسْتَصْعَباً، فَلِشَيء ما ضُرِبَتِ الأُسَى، وفَزِع أولو الألباب إلى حُسْن العَزَاء.

وقام جُعادة بن أفلح فقال: أيها الملك، لا تُشعِر قلبَك الجَزَع على ما فات، فيَغْفُلَ ذِهْنُك عن الاستعداد لما يأتي، وناضِلْ عَوارضَ الحُزْن بالأَنفة عن مُضاهاة أفعال أهل وَهْي العُقول، فإن العَزَاء لِحُزَماء الرجال، ولو كان الجزع يَرُدُّ فائتاً أو يُحْيي تالفاً، لكان فِعْلًا دَنِيئاً، فكيف به وهو مُجَانِبُ لأخلاق ذوي الألباب، فارْغَب بنفسك أيها الملك عَمَّا يَتَهَافَتُ فيه الأرذلُون، وصُنْ قَدْرَك، وكُنْ على ثِقَةٍ أنّ طَمَعَك فيما استبدت به الأيام، ضلة كأحلام النيام»[2].

(١) الجراح بن عبد اللّه الحكمي المذحجي: كان من الأمراء الولاة والقادة الفاتحين في عصر الخلفاء الأمويين.

(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص٩٩ ـ ١٠٠ جـ٢.

فخرج الملك سلامة ذو فائش من حزنه على ابنه. وكان له أيضاً ابن اسمه المنذر أصبح ملكاً مع أبيه[١].

ووفد الأعشى إلى سلامة ذي فائش ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها:

إن مُـــجِـــلّا وإن مـــرتـــحـــلا وإن فـي الـسـفـر إذ مـضـوا مـهـلا[٢]

وقال فيها:

قَلَدْتُك الشِعْرَ يا سَلَامة ذا فائش والشيءُ حيث ما جعلا

قال الهمداني: «وفيه يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

لـقـد كـان فـي إريـاب عـزّ ومَـنْـعَـةً وقَـيْـلٌ بَـسـيـطٌ كـفُّـه وأنـامـلـه

سَـلَامـة إن زاروه سُـرّوا بـفـعـلـه وإن رحلوا يوماً تَسعهم نوافله»[٣]

وكان حكم سلامة ذي فائش يمتد في بلاد يحصب إلى تخوم بلاد موكل وعنس التي يحكمها القَيْل أبرهة بن الصباح الحميري.

٦ ـ أبرهة بن الصبّاح... ملك موكل:

هو القَيْل أبرهة بن شرحبيل الصبّاح ابن أبرهة بن الصبّاح بن شرحبيل بن لهيعة بن مَرثَد الخير بن ينكف ينوف بن شرحبيل شيبة الحمد بن معدي كرب بن مصبح بن عمرو بن الحارث بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي ابن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر.

قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير:

والـقَـيْـل أبـرهـة ابـن صـبـاح قَـضَـىٰ نـحـبـاً وأبـرهـة أبـو الـصـبـاح

ثم قال: «أبرهة بن الصباح القَيْل.. كان ملكاً عظيماً جواداً، وفيه يقول قس بن ساعدة الإيادي:

وعـلـى الـذي كـانـت بـمـوكـل داره يـعـطـي الـقِـيَـان وكـل أجـرد شـاح

وموكل: قصر على جبل في بلاد عنس يمانيّ أفيق»[٤].

---

(١) قال الهمداني: «إن الضحاك بن المنذر بن سلامة ذي فائش الحميري كان أبوه وجده ملكين» [ص٢٠٠/ ٢ ـ الإكليل].

(٢) ديوان الأعشى.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٩٩ جـ٢.

(٤) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٧٠.

وكان أبرهة بن الصباح الأكبر ملكاً قيلًا في موكل ـ بمخلاف صباح وقضاء رداع وبلاد عنس ـ وكذلك كان حفيده أبرهة بن الصباح شرحبيل بن أبرهة بن الصباح ملكاً قيلًا في موكل والمخاليف التي كانت تحت حكمه ـ مثل صباح ورداع وبلاد عنس ـ وكان أخوه عمرو بن الصباح من الأقيال القادة الأبطال في حرب الحبشة مع سيف بن ذي يزن هو ونُعامة اليزني. قال الهمداني: «وفي نعامة يقول بعض بني عمه في حرب الحبشة:

نادت فوارسنا عمور الصباح فتًى ... يرمى المنية لا عنها بعريد
نادى نعامة يا عمرو الندى فَمَضَى ... بين القيول وأبناء الصناديد»[1]

وكان أبرهة بن الصباح من مشاهير الملوك الأقيال في فترة الجاهلية التي هي فترة عهد زُرعة بن سيف بن ذي يزن حيث قال الهمداني: «إن آل ذي يزن وآل خنفر وآل ذي أصبح وآل الصباح كانوا إلباً ويداً واحدة في الجاهلية على حد القرابة والدعوة إلى صيفي ـ ابن حمير الأصغر ـ [ص١٤٤/ ٢] وكذلك كانت ضريبة بنت أبرهة الصباح زوجة سميفع ذي الكلاع الحميري. ولم يزل أبرهة بن الصباح ملكاً قيلًا حتى ظهور الإسلام فأسلم مع ملوك اليمن ووفد إلى النبي ﷺ، ثم كان من قادة الفتح العربي الإسلامي للشام ومصر، وكان ابنه كريب سيّد الفسطاط عاصمة مصر.

ومما يدل على علو مكانة أبرهة بن الصباح الحميري، قال أبو موسى الأشعري رضي اللّه عنه:

«لو كانت الخلافة تُستحقُّ بالشرف لكان أحقّ الناس بها أبرهة بن الصبّاح فإنه من أبناء ملوك اليمن التبابعة الذين ملكوا مشارق الأرض ومغاربها»[2].

٧ ـ قيس بن معدي كرب الكندي.. ملك حضرموت:

هو أبو الأشعث قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جَبَلة بن عَدِي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي.

قال الأعشى في قصيدة مدح بها قيس بن معدي كرب الكندي:

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٧ جـ٢.
(٢) يمانيون في موكب الرسول ـ محمد الفرح ـ ص٤٤٤.

فـإن مُـعـاوِيَـة الأكـرمـيـن عِـظـامُ الـقِـبَـاب، طـوالُ الأمـمْ[1]
مـتـى تَـدْعُـهُـمْ لـلـقـاء الـحـرو ب، تـأتِكَ خَـيْـل لـهُـمْ غـيـرُ جُـمْ[2]
إذا مـا هُـمُ جـلـسـوا بـالـعـشِـي فـأحـلام عـادٍ، وأيـدِي هُـضُـم[3]

ومن بني معاوية الأكرمين كانت أسرة حجر آكل المرار الكندي ملوك نجد والحجاز في عصور تبابعة الدولة الحميرية، والذي كان آخرهم الملك حجر ـ والد امرئ القيس ـ بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي.

وكذلك كان من بني معاوية الأكرمين قيس بن معدي كرب الكندي ملك حضرموت في إطار الدولة الحميرية في عهد سيف بن ذي يزن، فلما تفككت الدولة الحميرية وباتت صنعاء تحت حكم الفرس واستقل أقيال بلاد حمير بحكم مخاليفهم ومناطقهم استقل قيس بن معدي كرب الكندي بحكم أغلب بلاد حضرموت ومخاليفها إلى شبوة غرباً والمهرة شرقاً، فكان قيس من أعظم ملوك اليمن. قال الأعشى حين وفد من اليمامة إلى قيس بن معدي كرب الكندي في حضرموت لأول مرة:

ونُـبِـئـتُ قَـيْـسـاً، ولـم أبْـلُـهُ، كـمـا زعـمـوا خـيـر أهـل الـيـمـن
رفـيـعَ الـوسَـادِ، طـويـل الـنـجـاد، ضـخـم الـدسـيـعـة، رَحـبَ الـعـطـن
.. فـجـئـتـكَ مـرتـادَ مـا خَـبَّـرُوا، ولـولا الـذي خـبَّـروا لـم تَـرَنْ

فأكرمه قيس بن معدي كرب، فقال الأعشى قصيدة منها:

عُـدّ هـذا فـي قـريـضٍ غَـيْـرِهِ واذكـرنَ فـي الـشـعـر دِهْـقَـانَ الـيـمـن
بـأبـي الأشـعـثِ قـيـسٍ إنّـه يـشـتـري الـحـمـدَ بـمـنـفـوس الـثـمـن

ودهقان كلمة فارسية بمعنى تاجر كبير وحاكم أمير والمقصود هنا عظيم اليمن. ثم كان الأعشى دائم الوفادة إلى قيس بن معدي كرب بحضرموت، وكان مقره حصن النُّجير ـ بالقرب من شبام ـ، قال الأعشى:

يـا حـبـذا وادي الـنُّـجـيـر وحـبّـذا قـيـسُ الـفِـعـالِ

---

(١) جاء في هامش ديوان الأعشى ـ «الأمم: سادات القوم ورؤسائهم. الواحد: أم» والأصوب أن «أم: قامة. أي طوال القامة».

(٢) غير جم: أي لا يوجد بين الفرسان من هو غير مسلح. الجم: الواحد أجم وهو من لا رمح معه.

(٣) أحلام عاد: أي إن حلمهم قديم. والهضم: التي تجود بما لديها.

الـقـائِد الـخَـيْـلَ الـجِـيـادِ ضـوامـراً مِـثْـلَ الـمـغـالـيَ[١]

وكان حكم قيس بن معدي كرب يمتد إلى شبوة، فقد قال الأعشى وهو عنده في شبوة قصيدة منها:

إنّـا لـدى مـلـكٍ بـشـبـوة مـا تَـغِـبُّ لـه الـنـوافِـلْ
مُـتَـحَـلِّبِ الـكَـفَـيْـنِ مِـثْـل الـبـدر، قـوّالُ وفـاعـلْ

وكان مجلس قيس بن معدي كرب في قصر النجير بحضرموت حيث كان الأعشى يفد إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة بالعراق، ثم جلنداء الأزدي في عُمان ثم قيس بن معدي كرب الكندي في حضرموت. وقال في ذلك:

وبـنـو الـمـنـذر الأشـاهـب فـي الـ حـيـرة يـمـشـون غـدوة كـالـسـيـوف
وجُـلُـنْـدَاء فـي عُـمَـانَ مُـقـيـمـاً ثـم قَـيْـساً فـي حـضـرمـوت الـمُـنِـيـفِ
قـاعـداً حـولَهُ الـنَّـدَامَـى فـمـا يَـنْـ ـفَـكّ يُـؤْتـى بِـمُـوكَـرٍ مَـجْـدُوفِ[٢]
وصَـدُوحٍ إذا يُـهَـيِّـجُـهـا الـشَّـرْ بُ تَـرَقَّـت فـي مِـزْهَـرٍ مَـنْـدُوفِ[٣]

وبعث قيس بن معدي كرب الكندي ابنه الأشعث بن قيس للقاء كسرى أبرويز ملك الدولة الفارسية، وجاء في كتاب الأغاني عن سبب ذلك: «إن كسرى قال للنعمان بن المنذر: هل في العرب قبيلة تُشرّف على قبيلة؟ قال: نعم، قال: بأي شيء؟ قال: مَنْ كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت مِنْ قبيلته فيه، قال: فاطلب لي ذلك، فطلبه، فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر بيت قيس عيلان، وآل الأشعث بن قيس بيت كندة، وآل حاجب بن زرارة بيت تيم، وآل ذي الجُدين بيت شيبان من بني بكر بن وائل». قال أبو عمرو بن العلاء: «وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب بيت اليمن» ـ يعني بيت رئاسة مذحج باليمن ـ. فبعث النعمان بن المنذر إليهم، فَقدِم رؤساء من البيوت الخمسة، فكان منهم الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي. وجاء في كتاب (العقد الفريد) إن منهم عمرو بن معدي كرب الزُبيدي مما يعني أنه ممثل مذحج نيابة عن بني الديان. فدخل الرؤساء الخمسة إلى كسرى ـ وليس كسرى أنوشروان وإنما كسرى أبرويز بن هرمز لأن النعمان بن

(١) المغالي: السهام التي يرمى بها.
(٢) الندامى: الجلساء. الموكر المجدوف: المملؤ المقطوع، وهو من آلات الغناء.
(٣) الصدوح: المرأة التي تصدح بالغناء. الشرب: الذين يشربون الخمر من الندامى. المزهر المندوف: المضروب على أوتاره من آلات الغناء والطرب.

المنذر كان ملك الحيرة في أيام كسرى أبرويز في الفترة (٥٨٠ ـ ٦٠٢م) وكان ذلك اللقاء حوالي سنة ٦٠٠م. قال الأصفهاني وابن الكلبي «فقال كسرى للرؤساء: ليتكلم كل رجل بمآثر قومه وفعالهم، وليَقُلْ شاعرهم فيَصْدُق، فقام حذيفة بن بدر وكان أسنّ القوم فتكلّم... إلخ». قال الأصفهاني وهشام ابن الكلبي: «ثم قام الأشعث بن قيس فقال: لقد عَلِمَتْ العربُ إنّا نُقاتِلُ عديدها الأكثر، وإنّا قديم زحفها الأكبر، وإنّا غياث اللّزبات. فقال: لِمه يا أخا كندة؟ قال: لأنّا ورثنا مُلك كندة، فاستضللنا بأفيائه، وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم، ثم قام شاعر كندة فقال:

إذا قِسْتَ أبيات الرجال ببيتنا ... وجدت له فضلًا على من يُفاخرُ
فَمَنْ قال: كلا، أو أتانا بخطة ... يُنافرَها يوماً فنحن نُخاطرُ
تعالوا فعُدّوا يعلمُ الناسُ أيّنا ... له الفضلُ فيما أورثته الأكابر»[1]

وجاء في كتاب العقد الفريد أنه «قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي لكسرى: إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فبلاغُ المنطق الصّواب، ومِلَاك النُجعة الارتياد، وعفو الرأس خيرُ من استكراه الفكرة، وتَوْقُف الخبرة خير من اعتساف الحيّرة، فاجتذب طاعتنا بلفظك، واكتظم بادرتنا بحلمك، وألِنْ كنفَك يسلُس لك قيادنا، فإنّا أناسُ لم يُوَقّس صفاتنا قِراعُ مناقير من أراد لنا قضماً. ولكنّا منعنا حِمَانا من كل من رامَ لنا هضماً»[2]. قال الأصفهاني: «فلما سمع كسرى كلام الجميع قال: ليس منهم إلا سيّد يصلح لموضعه، فأثنى حباءهم»[1]. ونرى أن هدف ذلك اللقاء كان يتصل بالسياسة وتأمين القوافل الفارسية ما بين العراق والسلطة الفارسية بصنعاء فقد كان في اللقاء رؤساء بكر بن وائل (ربيعة) وكانوا بتخوم الحيرة ومنطقة البحرين إلى اليمامة. ورؤساء قبيلة تميم وكانوا بمنطقة اليمامة ونجد، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ممثل قبائل مذحج بنجران ومخاليف صنعاء، والأشعث بن قيس الكندي نجل ملك حضرموت. وقد أسند كسرى خفارة القوافل إلى قبيلة تميم فكانوا يحرسون القوافل في طريق نجد إلى تخوم اليمن، وقد عاد الرؤساء من ذلك اللقاء إلى مناطقهم، فعاد الأشعث بن قيس إلى حضرموت وعاد عمرو بن معدي كرب إلى تثليث نجران، وكان بين حضرموت ومذحج حلف تليد، وكانت تربطهم بالمناذرة في الحيرة وشائج قوية.

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص١٠٦ جـ١٧.
(٢) النجعة: طلب الكلأ. لم يوقس: لم يخدش.

وقد كان تمليك النعمان بن المنذر عام ٥٨٠م. قال ابن خلدون: «وُلِّي النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة، منها ثماني سنين أيام هرمز وأربع عشرة أيام برويز»[١]. وكان النعمان بن المنذر أشهر وآخر ملوك الحيرة المناذرة اليمنيين، وهو أبو قابوس. قال عمرو بن معدي كرب:

أؤُمُ بـهـا أبـا قـابـوس حـتـى أحـلُّ عـلـى تـحـيَّـتـه بـجـنـدي[٢]

وقال النابغة الذبياني:

فـإن يـهـلـك أبـا قـابـوس يـهـلـك ربـيـع الـنـاس والـبـيـت الـحـرام

وللنابغة معه خبر طويل مذكور في كتب التراث، وهرب النابغة منه إلى الغساسنة بالشام ثم عاد إليه واعتذر بقصيدته المشهورة التي منها قوله للنعمان بن المنذر:

فـإنـك كـالـلـيـل الـذي هـو مـدركـي وإن خِـلـتُ إن الـمـنـتـأى عـنـك واسـع

ثم وقع خلاف بين كسرى أبرويز والنعمان بن المنذر. قال الأستاذ أحمد أمين: «غضب كسرى على النعمان بن المنذر الخامس وهو أبو قابوس فهرب ثم لجأ إليه فحبسه حتى مات وكان ذلك حوالي عام ٦٠٢م، وبموته ألغت الحكومة الفارسية نظام إمارة اللخميين، وولّت من قِبلها حاكماً فارسياً يخضع له أمراء العرب»[٣].

وقال ابن خلدون: «في أيام النعمان بن المنذر إضمحل ملك آل نصر ـ المناذرة ـ بالحيرة، وهو الذي قتله كسرى أبرويز وأبدل منه في الولاية على الحيرة والعرب إياس بن قبيصة الطائي ثم ردَّ رياسة الحيرة لمرازبة فارس»[١].

وقد أدت مضاعفات قتل النعمان بن المنذر وما تلا ذلك ببلاد الحيرة وما جاورها ـ وكما ذكر ابن خلدون ـ «... دعا ذلك إلى وقعة ذي قار بين العرب وفارس.. وكان رسول اللّه ﷺ يومئذٍ بالمدينة فقال: «اليوم انتصف العرب من العجم وبي نصروا. وحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الوقعة». ثم ذكر ابن خلدون خبر موقعة ذي قار، وكان إياس بن قبيصة الطائي وقبيلة إياد مع الفرس «وراسلت إياد بكرَ بن وائل: إنّا سنفر عند اللقاء، فصَبّحوهم. واشتد القتال. واعترض يزيد بن حمّار السكوني الكندي في قومه ـ أي اعترض الفرس والذين

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٦٣.
(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص١٤٨ جـ٢ ـ وجاء في هامش الأمالي ـ «التحية: أي المُلك».
(٣) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص١٧.

معهم ـ وكان كميناً أمامهم، فشدوا على إياس بن قبيصة ومن معه من العرب، فولّت إياد منهزمة وانهزمت الفرس وجاوزوا ماء ذي قار في حرّ الظهيرة في يوم قائظ فهلكوا أجمعين. وأقام إياس بن قبيصة في ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه الهمرجان من مرازبة فارس تسع سنين، وفي الثامنة منها كانت البعثة النبوية». [ص١٦٨].

ويتبين من ذلك:

أ ـ أن فرسان كندة بقيادة يزيد بن حَمَّار السكوني الكِندي كان لهم دور هام في موقعة ذي قار. وقد ذكر أبو عبيدة أنه: «قال يزيد بن حَمَار السكوني لبني شيبان ـ وهو رأس بكر بن وائل ـ: أطيعوني وأكمنوا لهم كميناً، ففعلوا، وجعلوا يزيد بن حَمّار رأسهم، فكمنوا في مكان من ذي قار يُسمى الخبئ» ـ ثم أثناء المعركة مع الفرس والذين معهم من تميم وإياد ـ «خرج عليهم الكمين من خبئ ذي قار من ورائهم وعليهم يزيد بن حَمَّار السكوني فشدّوا على قلب الجيش فانهزمت الفرس»[1].

ب ـ أما زمن موقعة ذي قار، فقال أبو عبيدة إنه كان: «قد بُعث النبي ﷺ فقال النبي ﷺ «اليوم انتصفت العرب من العجم بي» فحُفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم وقعة ذي قار»[1] وجاء في كتاب الإصابة أنه: «قال رسول اللّه ﷺ يوم ذي قار: هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم»[2]. وقال ابن خلدون: «كان يوم ذي قار سنة ثلاث من البعثة النبوية». إلا أنه ذكر موقعة ذي قار ثم قال: «وأقام إياس بن قبيصة في ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه الهمرجان من مرازبة فارس تسع سنين، وفي الثامنة منها كانت البعثة النبوية». ومؤدّى ذلك أن موقعة ذي قار كانت قبل البعثة النبوية بنحو ثلاث سنين وليس (سنة ثلاث من البعثة) وإن النبي ﷺ قال: «اليوم انتصفت العرب من العجم» وليس بالضرورة أن يكون قال ذلك بعد البعثة، فيمكن أن يكون قال ذلك قبل البعثة وهو فيما نرى الأصوب.

وقال الأعشى في يوم ذي قار قصيدته المشهورة التي قال فيها:

لـو أن كـل مـعـدٍّ كـان شـاركـنـا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف

ثم وفد الأعشى ـ بعد ذلك ـ إلى قيس بن معدي كرب الكندي في

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص٦٣٩.

(٢) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص٢٥ جـ١.

حضرموت، وأشار في قصيدة مدحه بها إلى قيامه بقيادة أو توجيه غزوات حربية من حضرموت إلى نجد ضد قبيلة دودان ـ بني أسد ـ وقبيلة عبس من بني سعد مناة وبعض عشائر تميم، وكانوا حلفاء الفرس. حيث قال الأعشى يمدح قيس بن معدي كرب الكندي:

أخو الحرب، إذْ لَقِحَتْ بازلًا ... سما للعُلى وأحلّ الجمارا[1]
وسَاوَرَ بالنَّقْع نقع الكثيبِ ... عَبْساً ودُودانَ يوماً سِوَارا
فأقْلَلْت قوماً وأعمَرتهُم ... وأخربتَ من أرض قوم ديارا
فيا رُبّ ناعيةٍ مِنْهُمُ ... تَشُدّ اللّفاقَ عليها إزارا[2]
تَئُوط التّمِيم، وتأبَى الغَبُو ... ق، من سِنَةِ النوم إلا نَهارَا

وفي الفترة التي تلت موقعة ذي قار أيضاً كان فرسان بني الحارث بن كعب وزُبيد المذحجيين بمخلاف نجران وغيرهم من قبيلة جرم القضاعية ومراد يشنون الغارات على القوافل الفارسية في طريق نجد والتي كانت تخفرها قبيلة تميم، وفي إحدى الغارات وبسببها وقعت معركة (يوم الكُلاب) ـ في منطقة بين نجد والحيرة ـ وذلك بين فرسان من بني الحارث بن كعب وجرم وبين قبيلة تميم فانهزم فرسان بني الحارث بن كعب ووقع عبد يغوث بن صلاءة الحارثي المذحجي أسيراً بيد قبيلة تميم وحلفائها من نجد بينما نجا الذين كانوا معه عندما رأوا كثرة العدو، وأخذوا يلومونه على عدم النجاة والفرار فقال عبد يغوث قصيدته المشهورة:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا ... فما لكما في اللوم خير ولا ليا
فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... نَدَامايَ من نجران ألا تلاقيا
أبا كَرِبٍ والأيهمينِ كليهما ... وقَيْساً بأعلى حضرموت اليمانيا

قال أبو علي القالي في كتاب الأمالي: «قوله: وقيساً.. ـ هو قيس بن معدي كرب الكندي أبو الأشعث بن قيس»[3] ولما بلغته القصيدة قال: «لبيك وإن أخرتني» ـ لأنه ذكره بعد أبي كرب والأيهمين ـ واندفعت تميم فقتلوا عبد يغوث الحارثي وهو أسير لديهم، مما أدى إلى قيام قبائل مذحج ـ وفيهم بنو

(١) جاء في هامش ديوان الأعشى «الجمارا: لعله أراد جمرات العرب ومنهم عبس وبنو ضبة من تميم».
(٢) اللفاق: ثوبان يُلفق أحدهما الآخر.
(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص١٣٣ جـ٣.

الحارث بن كعب وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ـ من جهة وفرسان كندة وحضرموت من جهة أخرى بغزو قبيلة تميم وأحلافها من بني عامر وغيرهم في نجد، ففتكوا بهم في موقعة يوم فَيْف الريح وغيرها من الغارات. وقال الأعشى خلال تلك الفترة يمدح قيس بن معدي كرب الكندي قصيدة في ديوان الأعشى منها قوله:

وإنّ غـزاتـك مـن حـضـرمـوت ... أتتني ودوني الصّفَا والرَّجَمْ[1]
مـقَـادَك بـالـخـيـل أرض الـعـدو ... وجُدعـانـهـا كـلـفـيـظ الـعَـجَـمْ
تـــؤمُّ ديـــار بـــنـــي عـــامـــرٍ ... وأنـت بـآل عُـقـيـل فَـغِـمْ
أذاقـتـهـم الـحـربُ أنـفـاسَـهَـا ... وقـد تُـكْـرَهُ الـحـربُ بـعـدَ الـسِّـلـمْ

ثم عاد السلم مع قبائل تميم ونجد، وذلك في أوائل البعثة النبوية.

وكان قيس بن معدي كرب الكندي وأغلب ملوك حمير يدينون بالديانة المسيحية، وكان قيس بن معدي كرب يُقال له (بطريك اليمن) أو (بطريق اليمن) وهو في الأصل اللقب الديني المسيحي (بطريك). وقال الأعشى في قصيدة مدحه به:

ومـا أيـبـلـيُّ عـلـى هَـيْـكـلٍ ... بـنـاه وصَـلّب فـيـه وصَـارا
يُـرَاوحُ مـن صـلـوات (الـمـلـيـك) ... طـوراً سـجـوداً وطـوراً جـؤارا
بـأعـظـم مـنـه تُـقًـى فـي الـحـسـا ... بِ إذا الـنـسـمـاتُ نَـفَـضْـنَ الـغـبـارا

وفي أوائل سنوات البعثة النبوية سار عفيف بن معدي كرب الكندي إلى مكة، وكان عفيف تاجراً، فشاهد وسمع النبي محمد ﷺ، وعاد عفيف إلى حضرموت، وبدأ الإسلام ينتشر، وسار قيس بن معدي كرب الكندي إلى مكة. قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ما يلي نصه:

«قال بعض القُرشيِّين يذكر قيس بن معدي كرب ومقدمه مكة في كلمة له:

قيسُ أبو الأشعثِ بطريقُ اليمنْ ... لا يسألُ السائل عنه ابنُ مَنْ
أشْبَع آل اللّه مِنْ بُرٍّ عَدَنْ»[2]

ومات قيس بن معدي كرب مؤمناً مسلماً وذلك قبل الهجرة النبوية، فأصبح الأشعث بن قيس ملك كندة وحضرموت إلى أن وفد إلى النبي ﷺ ثم

---

(١) الصفا والرجم: أسماء مناطق.

(٢) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص١٨ جـ١.

كان من كبار قادة الفتح العربي الإسلامي للعراق وفارس وأذربيجان، وأول أمير لولاية أذربيجان في عصر الإسلام والخلافة الراشدة.

٩ ـ مسروق بن وائل الحضرمي.. ملك تريم:

وهو مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عَدِي بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مُرّة بن حمير الحضرمي، من بني شبيب بن حضرموت بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر. قال الهمداني: «ومن ولد شبيب بن حضرموت: بنو معشر، منهم: مسروق بن وائل الذي مدحه الأعشى، ووائل بن حجر الذي وَفَد على النبي ﷺ فَبَجَّلَهُ في لقائه»[١].

وكان مسروق بن وائل ملكاً في منطقة تريم بحضرموت، وفيه قال الأعشى[٢]:

قالت سُمَيّةُ: مَنْ مَدَحت؟ ... فقُلتُ: مَسروق ابن وائِلْ
عُدّي لغيبي أشهُرٍ ... إني لدى خير المَقاوِلْ
الناسُ حَوْلَ قِبَابِه ... أهلُ الحوائجِ والمسائلْ
يتبادرون فِنَاءَهُ ... قبلَ الشروقِ وبالأصائل
فإذا رَأوْهُ خاشِعاً ... خشعُوا لذي تاج حُلاحِلْ[٣]
.. أضْحَى بعانَة زاخِراً ... فيه الغُثاءُ من الَمسَايل[٤]
خَشِيَ الصَّراري صَوْلَةً ... منه فعاذُوا بالكواثِلْ[٥]
يوماً بأجْوَدَ نَائِلاً ... م الحضرمي أخي الفواضِلْ[٦]
الواهِبُ القَيْنَات كالـ ... ـغزلانِ في عَقِدِ الخَمَائلْ[٧]
يركُضْنَ كُلَّ عشيّةٍ ... عَصبَ المُرَيَّشِ والمراجِلْ[٨]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٧٨ جـ٢.
(٢) ديوان الأعشى ـ ص١٥٥ ـ ١٥٦.
(٣) الحلاحل: السيد المطاع.
(٤) يسبق هذا البيت بيت بمعنى (ما نهر الفرات). وعانة: بلدة على الفرات. والغثاء: ما حمله السيل.
(٥) الصراري: الملاحون. عاذوا: اعتصموا. الكواثل: مؤخرات السفن، الواحد كوثل.
(٦) م الحضرمي: أي من الحضرمي مسروق بن وائل.
(٧) القينات: الجواري المغنيات. عقد الخمائل: الثياب المخملية المحكمة الصُنع.
(٨) يركضن: يضربن بأرجلهن عند الرقص. العصب: أثواب من البرود. المريش: الموشى. المراجل: التي فيها صور رجال.

والـقـائـدُ الـخَـيْـلَ الـعِـتَـا قَ ضـوامِـراً لُخْـنَ الأيـاطِـلْ[١]
مـا مُـشْـبِـلُ وَرْدُ الـجـبـيـنِ مُـهَـرَّتُ الـشـدْقَـيْـنِ بـاسِـلْ[٢]
الـقـادسـيّـةُ مـألِفُ مـنـه فـاوِدِيَـةُ الـغَـيَـاطِـلْ[٣]
يـومـاً بـأصْـدقَ حَـمْـلَةً مـنـهُ عـلـى الـبـطـل الـمـنـازِلْ
طـالَ الـثَّـواءُ لـدى تَـرِيـم وقـد نـأت بَـكْـرُ ابـن وائـلْ

وقد وصفت وذكرت قصيدة الأعشى كل مناقب وأحوال الملك مسروق بن وائل الحضرمي وإن مقره كان مدينة تريم في وادي حضرموت. وكان ثاني اثنين يحكمان حضرموت ومخاليفها، أعظمهما قيس بن معدي كرب الكندي وثانيهما مسروق بن وائل الحضرمي.

ومات مسروق بن وائل في الجاهلية، وتولى مكانه وائل بن حجر بن وائل الحضرمي، قال ابن عبد البر القرطبي: «كان وائل بن حجر قيلًا من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم»[٤]. ووفد وائل بن حجر إلى النبي ﷺ وأقرّه ملكاً على ما تحت يده، وهو الجد الأعلى للمؤرخ العالم الكبير ابن خلدون.

١٠ ـ عبد المدان بن الديان.. ويزيد بن عبد المدان.. رئيس نجران:

هو عبد المدان بن الديان بن قَطَن الحارثي رئيس قبيلة بني الحارث بن كعب وزعيم نجران. قال ابن خلدون: «وأما بنو الحارث بن كعب: فالحارث أبوهم ابن كعب بن عُلة بن جَلْد بن مذحج. وكان من بني الحارث بن كعب هؤلاء بنو زياد بن قَطَنْ بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث، وهُم بيت مذحج وملوك نجران، وكانت رياستهم في بيت عبد المدان بن الديان»[٥].

وكان الديان بن قطن الحارثي يتزعم بني الحارث بن كعب وسائر قبائل مذحج ـ من مأرب والجوف وفي مخلاف نجران ـ وفيه قال الشاعر:

يـقـودُ بـهـا ديـانُـهـا غـيـر عـاجـزٍ ثـمـانـين ألفـاً قـادهـا مـن بـراقـشِ[٦]

وبراقش في الجوف، وكان مقر قيالة وزعامة الديان مدينة ومخلاف

---

(١) لخن الأباطل: أي أن الجياد منتنة الخواصر من العرق.
(٢) المشبل: الأسد ذو الأشبال. مهرت الشدقين: واسع الشدقين.
(٣) الغياطل: الآجام، الواحدة غيطلة.
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص٦٤٢ جـ٣.
(٥) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص١٣٤.
(٦) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص١٥١ جـ١.

نجران، ثم كان عبد المدان بن الديان هو زعيم مذحج ورئيس نجران في عهد سيف بن ذي يزن. وقد جاء في كتاب الأمالي إنه: أتى أمية بن أبي الصّلت نجران فدخل على عبد المدان بن الديان، فإذا به على سريره، وكأنَّ وجهه قَمَرُ، وبنوه حوله كأنّهم كواكب، فدعا عبد المدان بالطعام، فأُتي بالفَالُوذج، فأكل أميّة طعاماً عجيباً، ثم انصرف وهو يقول:

ولقد رأيتُ القائلين وفِعلَهُم ... فرأيتُ أكرمهم بني الديانِ
ورأيتُ من عَبْدِ المَدانِ خلائقاً ... فَضَلَ الأنام بهن عَبْدُ مَدَان
البُرُّ يُلْبَك بالشِّهاد طعامُه ... لا ما يُعَلِّلُنا بنو جُدعان

فبلغ ذلك عبد اللّه بن جُدعان، فَوَجَّه إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفَالُوذج بالعسل[1].

ولما مات عبد المدان بن الديان تولى الرئاسة بنو عبد المدان، والمشهور منهم يزيد بن عبد المدان بن الديان. وفيهم قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وقد كنّا نقول إذا رأينا ... لذي جسم يعدُّ وذي بيانِ
كأنّك أيها المعطى بياناً ... وجسماً من بني عبد المدان

وكان بنو عبد المدان ـ وكما وصفهم ابن خلدون ـ «بيت مذحج وملوك نجران» ـ أي بيت زعامة قبائل مذحج كلها، أو الرئاسة العليا لقبائل مذحج التي كانت تنتشر بمناطق ومحافظات البيضاء ومأرب وذمار والجوف ونجران وعسير وهي من مناطق صنعاء ومخاليفها. قال عبد الحارث بن أنس بن الديان:

ونحن ـ بحمد اللّه ـ هامة مذحج ... بنو الحارث الخير الذين هُمُ مَدَر

إلا إن الزعامة الرئيسية لهم كانت على مخلاف نجران، وكان يزيد بن عبد المدان بن الديان هو الرئيس، وهو القائل:

إنْ تلق حيّ بني الدّيان تَلْقَهم ... شُمّ الأنوف إليهم غُرّة اليمنِ
ما كان في الناس للديان مِنْ شَبَهٍ ... إلا رُعَيْنٌ وإلا آل ذي يَزَنِ

وقال الأعشى ـ وكان يفد إلى نجران ـ:

«وكعبةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عَلَيْكِ ... حتى تُناخي بأبوابها
نزورُ يَزيدَ، وعَبْدَ المسيح، ... وقَيْساً، هُمُ خَيْرُ أربَابِها
إذا الحَبَراتُ تَلَوّت بِهِمْ ... وَجَرّوا أسافِلَ هُدّابِهَا

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص٣٨ جـ٣.

والحبرات: الواحدة حبرة، نوع من برود اليمن»[١]. والبرود: رداء أقيال وملوك اليمن. وقد ذكر الأعشى في ذلك الشعر يزيد بن عبد المدان ـ وكان هو الرئيس ـ وعبد المسيح الحارثي وهو العاقب أي أسقف نجران، وقيس بن الحصين بن قنان الحارثي وهو القائد الحربي لبني الحارث بن كعب ومذحج.

وقد سلف تبيين أن الحكم الفارسي باليمن إنما كان في صنعاء وبعض المراكز في قسم صنعاء ومخاليفها، وكانت قبائل مذحج في مناطق مذحج بقسم صنعاء ومخاليفها تناوئ الحكم الفارسي بصنعاء حيث ـ كما ذكر الرازي ـ «اجتمع جماعة من الرؤساء فتشاوروا وأجمعوا على حرب باذان بن ساسان عامل كسرى بن هرمز في اليمن، وكان اجتماعهم بمذاب في الجوف، وفيهم عمرو بن معدي كرب الزُبيدي، والحصين بن قنان ـ الحارثي ـ، ويزيد بن عبد المدان الحارثي، وعنبسة بن زيد الخولاني، وجماعة من الفُرسان والأشراف، فعسكروا عسكراً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيفاً. وبلغ ذلك باذان بن ساسان فخرج إليهم في خيل الأساورة ـ من صنعاء ـ، وخرجت همدان في عشرة آلاف ما بين فارس وراجل في عدة كاملة، فعرضوا على باذان النصرة والحلف، فسرّه ذلك وسارع إليه فحالفهم وعاقدهم»[٢].

ويتبين من ذلك النص:

أ ـ إن الرؤساء والقادة الذين اجتمعوا فتشاوروا وأجمعوا على حرب باذان بن ساسان والفُرس هم رؤساء مذحج ـ بصفة أساسية ـ وفيهم يزيد بن عبد المدان بن الديان الحارثي، والحصين بن قنان الحارثي قائد حروب بني الحارث بن كعب ومذحج هو وأولاده فوارس الأرباع الذين منهم قيس بن الحصين الحارثي، وعمرو بن معدي كرب الزُبيدي رئيس بني زُبيد وفارس مذحج واليمن. وكذلك كان معهم عنبسة بن زيد الخولاني ـ من رؤساء قبيلة خولان ـ «وجماعة من الفُرسان والأشراف» ـ أمثال قيس بن مكشوح المرادي وفروة بن مسّيك المرادي، وسيف بن معاوية بن قيس الجنبي المذحجي، وشهاب بن الحصين الحارثي (فعسكروا عسكراً عظيماً، وجمعوا جمعاً كثيفاً) وذلك في وادي مذاب بالجوف، للزحف من الجوف إلى صنعاء.

---

(١) ديوان الأعشى ـ ص٢٦.

(٢) تاريخ صنعاء ـ الرازي ـ ص٣٦.

ب ـ وبلغ ذلك باذان عامل كسرى أبرويز بن هرمز في صنعاء فخرج في خيل وجنود الأساورة الفُرس الذين بصنعاء، وكانوا زهاء عشرة آلاف من الفرسان الأساورة، فسار بهم باذان من صنعاء قاصداً الجوف لقتال مذحج والذين معهم قبل أن يكتمل جمعهم ويزحفوا إلى صنعاء.

وكانت الطريق بين صنعاء والجوف تمرّ ببلاد همدان (بكيل وحاشد) فاحتشد عشرة آلاف مقاتل من همدان بقيادة (عمرو بن الحارث وعمرو بن يزيد من بكيل وحاشد) فعرضوا على باذان النُّصرة والحلف، أما سبب موقف همدان فيعود إلى وجود خلافات قبلية بين مذحج وهمدان من جهة ووجود تحالف سابق غير مكتوب بين همدان والفرس من جهة أخرى، وقد أشار الرازي إلى ذلك قائلاً: «وذلك إن همدان لم تزل تميل ميلَ الأساورة وتنصرهم»[1]. ثم ذكر الرازي نص كتاب الحلف بين باذان عامل كسرى وبين همدان ـ وقد أسلفنا ذكر ذلك ـ ثم قال: «وبعث اللّه نبيّه في عقب هذا الشرط ـ أي الحلف»[1] ـ ونرى أن كلمة (بعث اللّه نبيّه) ـ التي تعني أن زمن ذلك كان وقت البعثة النبوية ليست دقيقة، وإن الزمن الصحيح هو بعد الهجرة النبوية، وإن أصل الكلمة قد يكون «ونصر اللّه تعالى نبيّه في عقب هذا الحلف» بمعنى أن ذلك تزامن مع انتصار النبي ﷺ على الكفار وذلك في موقعة بدر في السنة الثانية للهجرة. فقد ذكر الرازي الذين احتشدوا في وادي مذاب بالجوف لمحاربة باذان عامل كسرى بصنعاء ـ وهم مذحج ـ وذكر خروج باذان بجيشه من صنعاء لقتالهم وإن همدان التقوه في عشرة آلاف مقاتل وحالفوه. ولم يذكر نتيجة ذلك، لأن الرازي إنما ذكر نص (حلف همدان والفرس) فاكتفى بذكر سبب الحلف ونص كتاب الحلف. ولكن الحرب التي وقعت بعد ذلك بين همدان ومذحج في الجوف تتيح استنتاج أن نوعاً من الاتفاق تم بين باذان وهمدان على أن تتولى همدان محاربة مذحج وأن يقوم باذان بدعم همدان بالخيول والمال، وعاد باذان إلى صنعاء.

وقد شنت همدان هجوماً على مذحج في الجوف حيث دارت بين همدان ومذحج موقعة يوم الردم المشهورة ـ سنة ٢هـ ـ وكانت كثافة خيل همدان سبب انهزام مذحج في ذلك اليوم. وكان من فرسان مذحج سيف بن معاوية بن قيس الجنبي وقال شعراً ذكر فيه (وادي مذاب) في الجوف كمكان للمعركة حيث قال:

(١) تاريخ صنعاء ـ الرازي ـ ص٣٦.

ولما رأيتُ الخيل جئن أفايحاً يَغْبُرنَّ بين صفاصفٍ وروابي
قَرَّبْتُ سابحة اليدين رجيلةً تهوىٰ بي الموطَىٰ هوى عُقَّابِ
ودعوتُ قومي فاستجاب لدعوتي منهم فوارس نجدةٍ وضرابِ
حتى إذا لحقت أوائل خيلنا أخراهُمُ وجزعنّ بطن مذاب
تركنّ فارسهم صريعاً مُجهضاً وخضبن لَمَّتَهُ بشرٍّ خضابِ

ووقع القتال الحاسم في موضع اسمه (الردم) بالجوف، فقُتل شهاب بن الحصين الحارثي المذحجي وكان يُقال له (فارس الأرباع) فانكسرت وتقهقرت مذحج وانسحب يزيد بن عبد المدان وعمرو بن معدي كرب وقيس بن الحصين وغيرهم بفرسان مذحج إلى مناطقهم، فتغلبت همدان على مذحج في ذلك اليوم، وقال فروة بن مسّيك المرادي المذحجي في يوم الردم:

«فإن نُغْلِبْ فَغَلَّابونّ قِدْماً وإن نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبينَا
وما إن طِبنا جُبْنُ ولكِنْ منايانا ودولةُ آخرينا»[1]

ولم يزل يزيد بن عبد المدان رئيساً زعيماً في نجران إلى أن وفد إلى النبي ﷺ على رأس بني الحارث بن كعب ومات بعد ذلك بأمد يسير في نجران.

١١ ـ جرير بن عبد اللّه البجلي.. رئيس بَجِيلة وخثعم:

هو «جرير بن عبد اللّه بن جابر ـ وهو الشليل ـ بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشم بن عويف بن خُزيّمة بن حرب بن عَدِي بن مالك بن سعد بن نذير بن قَسْر بن عبقر بن أنمار البجلي»[2].

وقبيلتا بَجِيلة وخثعم: ابنا أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ومنطقة بجيلة وخثعم أرض السراة بأعالي اليمن بين نجران والطائف. قال الهمداني: «أرض السراة ـ (منها) ـ: سراة بَجِيلة، والأزد بن سلامان، وألمع، وبارق، ودوس.. إلى جُرش.. وبلد خثعم: أعراض بيشة، وترج، وَتَبَالة، والمراغة»[3].

وكانت تَبَالة المدينة الرئيسية في بلاد بجيلة وخثعم، وكان فيها بيت الصنم ذي الخَلَصة. قال ابن كثير: «وكان يقال لبيت ذي الخلصة الكعبة اليمنية

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٥٠ جـ٤.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص١٥٥ جـ٢ ـ والاستيعاب ـ القرطبي ـ ص٢٣١ جـ١.
(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص٢٥٨ ـ ٢٦٠.

يضاهون بها الكعبة التي بمكة، فيقال للتي بمكة الكعبة الشامية ولبيتهم الكعبة اليمنية.. وقال البخاري: كان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبَجِيلة فيه نصبٌ يُعبد، يُقَال له الكعبة اليمانية»[١].

وكان خُمير بن مالك بن الصباح الحميري قيلًا عاملًا على بَجِيلة وخثعم ومدينة تَبَاله حيث البيت ذي الخَلَصة، ثم إن خُمِير بن مالك ـ وكما ذكر الهمداني ـ (إن خُميراً قتله عبد اللَّه بن جابر، أبو جرير بن عبد اللَّه البجلي يوم ذي الخَلَصة من تَبَالة، وكان رئيس جَمْعِه) [ص١٥٥/ ٢] ـ أي إن عبد اللَّه بن جابر كان رئيس بجيلة وخثعم في ذلك اليوم الذي فيه قتل خمير بن مالك. فأصبح عبد اللَّه بن جابر قيلًا رئيساً على بجيلة وخثعم في عهد سيف بن ذي يزن ـ تقريباً ـ ثم مات عبد اللَّه بن جابر فانعقدت الرئاسة لابنه القيل جرير بن عبد اللَّه البجلي.

قال ابن عبد البر القرطبي: «قال ابن إسحاق: جرير بن عبد اللَّه البجلي سيد قبيلته. يعني بَجِيلة»[٢]. ووقع في الجاهلية نزاع قبلي بين بجيلة وقضاعة بمنطقة السراة، فاستنفر جرير بن عبد اللَّه الذين معه من بجيلة للقتال، وكان أسد بن كُرز القسري البجلي رئيساً لعشيرة من بجيلة وكان بينه وبين جرير خصومة. قال الأصفهاني: «كان جرير بن عبد اللَّه نَافَر قُضَاعة، فبلغ ذلك أسد بن كُرز، وكان بينه وبين جرير تباعد، فأقْبَلَ أسدُ في فوارس من قومه مناصراً لجرير ومعاوناً له ومُنجداً، فلما أقْبَل ورآه جرير ورأى أصحابه في السلاح إرتاع وخافه ـ [لأن جريراً كان يواجه قضاعة فخاف أن يكون أسد بن كرز جاء ضده] ـ فقيل له: هذا أسد جاء مناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بكل بلد ابن عم مثل أسد. فقال جعده الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد:

تَدارَكَ ركضُ المرءِ من آل عَبْقَر جريراً، وقد رانت عليه حلائبه
فَنَفَّسَ واسترخى به العقدُ بعدما تَغَشَّاهُ يومٌ لا توارى كواكبه»[٣]

ثم وقع الصلح بين جرير وقضاعة، وتعززت رئاسة جرير لبجيلة وخثعم، وكان معروفاً بمكارم الأخلاق. وقد ذكر ابن كثير أنه: «قال عمر بن الخطاب لجرير: نِعْمَ السيد كنتَ في الجاهلية» [ص٥٦/ ٨].

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٧٥ جـ٤.
(٢) الاستيعاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص٢٣٣ جـ١.
(٣) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص٥٣ جـ١٩.

وعندما ظهر الإسلام وهاجر النبي ﷺ إلى يثرب كانت منطقة السراة وتهامة من مناطق اليمن التي أخذ الإسلام ينتشر فيها منذ وقت مبكر، وأدت الحرب بين رسول اللّه ﷺ وبين قريش ـ منذ موقعة بدر سنة ٢هـ ـ إلى تعرض قريش وهوازن وثقيف لمن يسير قاصداً النبي ﷺ في يثرب، وعدم آمان الطريق بين اليمن ويثرب، ثم أتاح صلح الحديبية بين النبي ﷺ وقريش ـ في ذي الحجة سنة ٦ هجرية ـ إلى تأمين الطريق، وبدأت الوفادات والهجرات من اليمن إلى النبي عليه الصلاة والسلام في يثرب منذ مطلع سنة ٧هـ. وبوفادة جرير بن عبد اللّه البجلي إلى النبي ﷺ بدأ إسلام ملوك وأقيال اليمن.

ثالثاً

النبأ اليقين عن إسلام
زُرعة بن سيف بن ذي يزن وملوك اليمن

آنذاك كان أغلب اليمن تحت حكم الملوك الأقيال المستقلين بحكم مخاليفهم ومناطقهم وقبائلهم، ويتبين من مجمل ما سلف عن أولئك الملوك الأقيال ونصوص تاريخهم وعهودهم إن الحكم الفارسي الذي يمثله باذان بن ساسان عامل كسرى أبرويز بن هرمز إنما كان بصنعاء وبعض المراكز في مخاليف صنعاء وإن ذلك كان أيضاً بالتحالف مع همدان، بينما كان أغلب اليمن تحت حكم الملوك الأقيال الرؤساء وهم:

أ ـ **ملوك بلاد حِمَيْر**: زُرعة بن سيف بن ذي يزن. الحارث بن عبد كلال ذو رُعَيْن. فهد بن النعمان قَيْل المعافر. سميفع بن يعفر ذو الكلاع. سَلَامة ذو فائش. أبرهة بن الصباح. وكذلك نعيم بن عبد كلال مع أخيه الملك الحارث بن عبد كلال وأخوته، وحوشب ذو ظليم مع سميفع ذي الكلاع.

ب ـ **ملوك حضرموت ومخاليفها**: الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، ووائل بن حجر الحضرمي.

جـ ـ **رؤساء نجران وبَجيلة والسراة**: يزيد بن عبد المدان بن الديان الحارثي. وجرير بن عبد اللّه البجلي. وكذلك الطفيل بن عمرو الدوسي في قبيلة دوس بسراة أعالي اليمن.

فلما انعقد صلح الحديبية ـ في ذي الحجة ٦هـ ـ وتأمنت الطرق إلى يثرب، بدأت الوفادات والهجرات من اليمن إلى النبي ﷺ في يثرب ـ منذ مطلع

سنة ٧هـ ـ وحتى منصرف رسول اللّه ﷺ من غزوة تبوك ـ في رجب سنة ٩هـ ـ حيث قال ابن هشام في السيرة النبوية:

«قَدِم على رسول اللّه ﷺ كتاب ملوك حمير، مقدمه من تبوك، ورسولهم إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال، ونُعيم بن عبد كلال، والنعمان، قَيْل ذي رُعَيْن، ومعافر، وهمدان، وبعث إليه زُرْعة ذو يزن مالك بن مرَّة الرهاوي بإسلامهم»(١).

ومن المفيد هنا أن نذكر ما يلي:

١ ـ الأحاديث النبوية عن اليمن:

عندما انعقد صلح الحديبية وعاد النبي ﷺ والذين معه من الحديبية إلى يثرب ـ في ذي الحجة سنة ٦هـ ـ تأمنت الطرق إلى يثرب، وفي تلك الفترة وما تلاها قال النبي ﷺ أحاديث نبوية عن اليمن واليمنيين ذكرتها كتب الأحاديث النبوية، وقد جمع ابن الديبع طائفة منها في كتاب (قرة العيون) وزبارة في كتاب (الأنباء) ومنها:

- «عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال: «يطلع عليكم أهل اليمن كأنّهم السحاب، هُم خير أهل الأرض». الحديث: أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني».
- «وفي الصحيحين عن أبي مسعود عقبة بن عامر البدري قال: أشار النبي ﷺ نحو اليمن وقال: ألا إن الإيمان ها هنا».
- «وأخرج ابن حِبان في صحيحه عن ابن عباس قال: بينا رسول اللّه ﷺ بالمدينة قال: «اللّه أكبر جاء نصر اللّه والفتح وجاء أهل اليمن، قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية». وأورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري حديث ابن عباس هذا ثم قال: أخرجه البزار.
- «وقال ﷺ: «أجِد نَفَس ربكم من قِبَل اليمن». وفي الجامع الكبير للسيوطي من حديث سَلَمة بن نفيل مرفوعاً: «إني أجد نَفَس الرحمن من ها هنا»، وأشار إلى اليمن».
- «ومن حديث عمرو بن عبسة مرفوعاً: «خيار الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان، وأنا يمان». أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك وقال:

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٥٨ جـ٤.

صحيح الإسناد. وقال صاحب كنز العمال: رواه الطبراني من ثلاث طرق»[١].

٢ ـ مواكب اليمن ووفادة جرير بن عبد اللّه إلى النبي ﷺ:

وفي شهر محرم سنة ٧هـ بدأت مواكب الإيمان اليمنية تصل إلى يثرب وأخذ أهل اليمن يطلعون كأنهم السحاب، وكان من أوائلهم الطفيل بن عمرو الدوسي في موكب من قبيلة دوس اليمنية، حيث كما ذكر خالد محمد خالد «بينما رسول اللّه ﷺ في خيبر إذا موكب حافل ينتظم ثمانين أسرة من دوس قد أقبلوا مُهللين ومكبرين.. وأخذوا مكانهم في الصفوف الطاهرة خلف رسول اللّه الأمين»[٢] وقال ابن عبد البر القرطبي: «كان مع الطفيل ثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس»[٣] ثم أقبل موكب الأشاعر بمعية أبي موسى الأشعري وأبي عامر الأشعري. وفي ذلك روى البخاري عن أبي موسى قال: «خرجنا من اليمن مهاجرين إلى النبي ﷺ أنا وإخوان لي في ٥٣ رجلًا من قومي.. فوافقنا النبيﷺ حين افتتح خيبر»[٤] وكان فتح خيبر في محرم سنة ٧ هجرية. وكذلك أقبل جُندب بن عمرو بن حممة الدوسي في خمسة وسبعين رجلًا. قال ابن حجر: «خرج جُندب بن عمرو ومعه خمسة وسبعون رجلًا من قومه، فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: فكان جندب يقدمهم رجلًا رجلًا ـ إلى النبي ﷺ»[٥] وجاء في كتاب الأنباء إنه «في سنة ٧هـ وفد أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي الأزدي اليمني الحافظ الفقيه.. وفيها وفد فروة بن مسيك المرادي اليمني فأسلم وأجازه رسول اللّه باثنتي عشرة أوقية وأعطاه حلة من نسيج عُمان»[٦]. وجاء في كتاب الأنباء عن فتح القدير أنه «ورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين إلى رسول اللّه ﷺ»[٦] ـ وذلك سنة ٧هـ.

وبينما رسول اللّه ﷺ في المدينة يخطب في جماعة من الصحابة، قال رسول اللّه ﷺ «يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يَمَنْ على وجهه مَسحة مَلَكْ، فإذا بجرير بن عبد اللّه البجلي قد طلع من الثنية». وقال ابن كثير: «كان قدوم

---

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ ص٢٥ ـ والأنباء ـ محمد زيارة ـ ص١٥.
(٢) رجال حول الرسول ـ خالد محمد خالد ـ ص٧٦٤.
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ القرطبي ـ ص٢٣٤.
(٤) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص١٨ جـ٤ ـ وص٢٢٦ جـ١.
(٥) الأنباء ـ محمد زيارة ـ ص١٨.
(٦) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٧٥ جـ٤.

جرير ورسول اللّه ﷺ يخطب، وكان قد قال في خطبته: يقدم عليكم من هذا الفج خير ذي يمن، وإن على وجهه مَسحة مَلَكْ»[1] وجاء في الإصابة عن جرير بن عبد اللّه البجلي قال: «لما دنوتُ من المدينة أنَخْتُ راحلتي، ثم حَلَلْتُ عيبتي، ثم لبستُ حلّتي، ثم دخلت، فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد اللّه ما الأمر؟ فقال: ذكرك رسول اللّه بأحسن الذكر بينما هو يخطب، إذْ عرض له في خطبته وقال: يدخل عليكم من هذا الفج خير ذي يَمَنْ على وجهه مَسْحَة مَلَكْ. قال جرير: فحمدتُ اللّه على ما أولاني». قال ابن حجر العسقلاني: «وكان جرير جميلاً. قال عمر: هو يوسف هذه الأمة». وقال القرطبي: «كان عمر بن الخطاب يقول: جرير بن عبد اللّه يوسف هذه الأمة. يعني في حسنه». وجاء في هامش الإكليل: «كان جرير أحد الخطاطين الذين فرعوا الناس طولاً، ويقال لجرير: يوسف هذه الأمة لجماله ووضاءة وجهه». وقال ابن كثير: «كان عمر يقول: جرير يوسف هذه الأمة. وقال عبد الملك بن عمير: رأيتُ جريراً كأنَّ وجهه شقة قمر».

وكان جرير لما دخل المسجد النبوي قد جلس على الأرض كغيره من الصحابة فألقى إليه رسول اللّه ﷺ رداءه وقال له (على هذا فاقعد). وأخرج الطبراني من طريق قيس بن أبي حازم عن جرير قال: «ألقى إلي النبي ﷺ كساءه وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». وقال ابن كثير: «... إن رسول اللّه ﷺ لما جالس جريراً بسط له رداءه وقال: إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه».

وكان جرير سادس ستة بسط لهم رسول اللّه ﷺ رداءه ليجلسوا عليه تشريفاً لهم، وهم جرير بن عبد اللّه البجلي، والحارث بن عبد كلال ذو رعين الحميري، وأبرهة بن الصباح الحميري، ووائل بن حجر الحضرمي، والجدّ بن ربيعة الحكمي، وأبيض بن حمال المأربي ولأحفاده قال الهمداني:

إنّ النبيّ محمد خير الورى ... بَسَطَ الرداء لجدكم في المسجد
ما نالها إلا جريرُ بَجِيلة ... بعد ابن حمّال الرئيس السيّد

ثم ذكر بقية الستة وقال: «وإذا يُطاف لسابع لم يُوجد».

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٧٥ جـ٤.

وجاء في التراجم إنه «قال له رسول اللَّه ﷺ: لأي شيء جئت يا جرير؟ قال: جئتُ أسلم على يديك وأبايعك، قال: تُبايعُ على أن تعبد اللَّه وحده لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتنصح لكل مسلم؟ قال: نعم يا رسول اللَّه وبايعه على ذلك».

ومكث جرير في موكب رسول اللَّه ﷺ بالمدينة زهاء سنة حتى فتح مكة، وتفقه في تعاليم الإسلام وحفظ أحاديثاً عن النبي ﷺ وحفظ ما حفظ من القرآن الكريم، قال ابن كثير: «وكان جرير ذا شكل عظيم، وكان من أحسن الناس وجهاً، وكان مع هذا من أغض الناس طرفاً، ولهذا روي في الحديث الصحيح عنه قال: سألت رسول اللَّه ﷺ عن نظر الفجاءة فقال: أطرق بصرك.. وفي الصحيحين إنه قال جرير: ما حجبني رسول اللَّه منذ أسلمت. ولا رآني إلا تبسم». وكذلك ذكر ابن حجر العسقلاني عن صحيح البخاري.

٣ ـ بعث جرير إلى ذي الخَلَصَة (الكعبة اليمانية):

وفي شهر رمضان سنة ٨هـ فتح رسول اللَّه ﷺ مكة المكرمة، وكان غالبية جيش الفتح من اليمنيين الأنصار (الأوس والخزرج) ومن اليمنيين الذين كانوا قد آمنوا وهاجروا وانضموا إلى موكب الرسول بالمدينة، ومنهم الطفيل بن عمرو الدوسي في فرسان دوس، وأبو عامر الأشعري وأبو موسى الأشعري في رجال الأشاعر، ودَحْية بن خليفة الكلبي في فرسان كلب وقضاعة، وشرحبيل بن حسنة الكندي ورجالات خزاعة وطيئ وغيرهم، وربما كان مع جرير بن عبد اللَّه البجلي العشرات من فرسان قبيلة بجيلة من بني أحمس، وقد تم فتح مكة في رمضان سنة ٨هـ، وقام النبي ﷺ بهدم الأصنام التي في الكعبة.

قال ابن كثير: «وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة، نبأ تخريب بيت الصنم ـ ذي الخَلَصة ـ الذي كانت تعبده خثعم وبجيلة، ويسمونه الكعبة اليمانية.. قال البخاري: كان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصبٌ يُعبد، يقال له الكعبة اليمانية. فقال البخاري: حدّثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: ألا تريحني من ذي الخَلَصة؟ فقلت: بلى يا رسول اللَّه، فانطلقت في مائة وخمسين فارساً من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنتُ لا أثبتُ على الخيل، فضرب رسول اللَّه ﷺ يده في صدري وقال: اللهم ثَبِّتْه واجعله هادياً مهدياً» [ص٣٧٥/ ٤] ـ وكان بيت ذي الخلصة في مدينة تَبَالة في

بيشة بسراة أعالي اليمن ـ وجاء في الطبقات إنه «كان في الجاهلية بيت يُقال له ذو الخلَصة، وكان يُقالُ له الكعبة اليمانية.. قال جرير: «فقال لي رسول اللَّه ﷺ: هل أنت مُريحي من ذي الخلصة؟ قال: فنفرتُ إليه في خمسين ومائة فارس من أحمس، فكسرناه وقتلنا من وجدناه عنده، فأتيناه وأخبرناه، فدعا لنا ولأحمس» [ص١٩ ـ طبقات ابن سمرة].

وكذلك كان في منطقة السراة بأعالي اليمن صنم لقبيلة دوس يُقال له ذو الكفين فبعث رسول اللَّه ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي بعد فتح مكة لهدم ذي الكفين. قال ابن سيد الناس في عيون الأثر: «سَرِية الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين في شوال سنة ٨هـ. لما أراد النبي ﷺ المسير من مكة إلى الطائف، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين صنم دوس ليهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف. فخرج سريعاً إلى قومه فهدم ذا الكفين، ثم انحدر معه من قومه أربعمائة رجل سراعاً، فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام» [ص٢٥٨/ ٢].

وفي ذات الوقت تقريباً عاد جرير بن عبد اللَّه البجلي بعد هدم ذي الخَلَصة إلى النبي ﷺ. فجاء في هامش الإكليل إن: «ذا الخَلَصة: صنمُ كان لخثعم.. فبعث رسول اللَّه ﷺ جريراً لهدمه، ولم تطل غيبته حتى رجع إلى النبي ﷺ فقال له: هدمته؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق وأحرقته بالنار فتركته يسوء أهله. فدعا لبجيلة» [ص١٥٦/ ٢].

وفي شوال سنة ٨هـ هزم رسول اللَّه ﷺ هوازن وثقيف وفتح الطائف، وكان معسكر رسول اللَّه ﷺ والمسلمين في الجعرانة، ثم عاد رسول اللَّه ﷺ والذين معه من الجعرانة إلى مكة، وأدى عُمرة الجعرانة ـ في ذي القعدة سنة ٨هـ ـ ولما انصرف من عُمرة الجعرانة بعث رسول اللَّه ﷺ الرُسل إلى الملوك. ومنهم جرير إلى ملوك حمير.

٤ ـ بعث جرير البجلي إلى ملوك حمير وإسلامهم:

كان رسول اللَّه ﷺ قد بعث رُسلًا إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام في سنة ٧هـ، حيث ـ كما ذكر ابن سيد الناس في عيون الأثر ـ «بعث رسول اللَّه ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام: دَحْية الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وعبد اللَّه بن حذَافة إلى كسرى ملك فارس، وعمرو بن أميّة إلى النجاشي ملك الحبشة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين،

والمهاجر بن أبي أميّة إلى الحارث بن عبد كلال ملك اليمن» [ص٣٣٠/ ١] ـ وكذلك قال ابن هشام في السيرة النبوية: «بعث رسول اللّه ﷺ رُسُلًا من أصحابه إلى الملوك، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام» ـ ثم ذكر الأسماء كما تقدم إلى أن قال ـ «وبعث المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن» [ص٢٧٩/ ٤]. وكذلك جاء في كتاب الأنباء إنه «في سنة ٧هـ بعث رسول اللّه ﷺ المهاجر بن أبي أمية المخزومي القُرشي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري، وكان ملكاً على بعض اليمن..» [ص١٨]. وجاء في هامش الإكليل: «إن الذي كان رسول النبي ﷺ إلى الحارث بن عبد كلال مختلف فيه.. قيل: المهاجر بن أبي أمية المخزومي. وقيل: جرير بن عبد اللّه البجلي» [ص٣٦٤/ ٢ ـ الإكليل] ـ. وسبب الاختلاف أن رسول اللّه ﷺ بعث المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال سنة ٧ هجرية ولم يُسلم الحارث بن عبد كلال آنذاك ولكنه ربما أجاب بجواب طيب، وكذلك المنذر بن ساوي ملك البحرين الذي بعث رسول اللّه ﷺ إليه العلاء بن الحضرمي. ثم بعد فتح مكة وعند منصرف رسول اللّه ﷺ من عمرة الجعرانة ـ في شهر ذي القعدة سنة ٨هـ ـ بعث رسول اللّه ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أمير بلاد البحرين ـ (منطقة الخليج العربي) ـ وبعث جرير بن عبد اللّه البجلي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ذي رُعين وبقية ملوك حِميَر يدعوهم إلى الإسلام.

وقد كان جرير بن عبد اللّه البجلي نفسه من أقيال اليمن الذين كانوا كالملوك فهو رئيس بَجيلة وخثعم بمنطقة سراة أعالي اليمن. وكان جرير خطيباً بليغاً فصيحاً. قال ابن عبد البر القرطبي: «وجرير هو القائل: الخرس خير من الخلابة، والبكم خير من البداء» وقال ابن كثير: «كان جرير خطيباً». وفيه قال ابن الأزور القسري:

«لَعَمْرَ أبيك والأنباءُ تَنْمَى لقد جَلَى بخطبته جريرُ»

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب إنه: «بعث النبي ﷺ جرير بن عبد اللّه إلى ذي رُعين وذي الكلاع» [ص٢٣٣/ ١]. وجاء في الإصابة إنه «بعث رسول اللّه ﷺ جريراً إلى ذي الكلاع وذي ظليم». [ص٣٨/ ١]. وجاء في تاريخ ابن خلدون إنه «بعث رسول اللّه ﷺ جريراً إلى ذي الكلاع وذي ظليم وذي مران». وجاء في الإصابة عن ابن عساكر أن «جرير بن عبد اللّه رسول النبي ﷺ إلى اليمن». [ص٣٨/ ١].

ويتبين من مجمل ذلك أن جرير بن عبد اللّه البجلي كان رسول النبي ﷺ

إلى ملوك بلاد حمير باليمن جميعاً، ومنهم الحارث بن عبد كلال ذو رعين، وأخوه نعيم بن عبد كلال، وفهد بن النعمان بن عبد كلال قَيْل المعافر، وسميفع بن يعفر ذو الكلاع ملك الكلاع، وحوشب ذو ظليم، وابن ذي فائش ملك إرياب، وأبرهة بن الصباح ملك موكل، وزُرعة بن سيف بن ذي يزن. وربما إلى ملوك حضرموت أيضاً، وإلى عُمير ذي مران الهمداني القيل الملك بناعط.

وفي حوالي شهر ذي الحجة سنة ٨هـ وشهر محرم سنة ٩هـ وصل جرير بن عبد اللّه البجلي ـ عن طريق تهامة والمعافر ـ إلى الملك الحارث بن عبد كلال ذي رُعين في قصره في قلعة حَبْ بجبل بعدان المُطلّ على مدينة إب، فالتقى جرير بالحارث بن عبد كلال وأخيه عَرِيب بن عبد كلال ـ وأبلغهما كتاب رسول اللّه ﷺ ـ قال الهمداني «. . . وقرأ عليهما سورة (لم يكن) فأسلم الحارث بن عبد كلال وأخوه» [ص٣٦٤/ ٢ ـ الإكليل]. وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة إنه: «. . . أسلم الحارث بن عبد كلال وكتب إلى النبي ﷺ كتاباً قال فيه:

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنتَ بما فيه من الحق آمرُ»

[ص٢٨٣/ ١]

وسار جرير إلى الملك سميفع بن يعفر ذي الكلاع في قصره بقلعة وُحَاظة ـ في ناحية حُبيش، شمال غرب مدينة إب ـ فأخبره بدعوة رسول اللّه ﷺ وتعاليم الإسلام، فأسلم ذو الكلاع وقال لجرير: «إدخل إلى أم شرحبيل، فواللّه ما دخل عليها بعد أبي شُرحبيل أحد قبلك». فدخل جرير إلى أم شرحبيل زوجة ذي الكلاع وهي الأميرة ضريبة بنت أبرهة بن الصباح الحميري ملك موكل، فدعاها جرير إلى الإسلام، فأسلمت ونطقت بالشهادتين. فأشرق نور الإسلام في بلاد الكلاع كما أشرق في بلاد ذي رعين، وأعتق ذو الكلاع بمناسبة ذلك أربعة آلاف من عبيده الأحباش وكانوا ثمانية آلاف. وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة إنه: «بعث النبي ﷺ جرير بن عبد اللّه البجلي إلى ذي الكلاع، فأسلم، واعتق لذلك أربعة آلاف». [ص٤٩٢ جـ١ ـ الإصابة].

وسار جرير إلى حوشب ذي ظُليم، وكان قَيْلاً ببلاد الكلاع، فأسلم حوشب ذو ظليم. وكذلك أسلم ابن ذي فائش ملك إرياب، وأبرهة بن الصباح الحميري ملك موكل وصباح وبلاد عنس، ولا بد أن جرير بن عبد اللّه البجلي سار إليهما ثم سار إلى الملك زُرعة بن سيف بن ذي يزن في أبين وشبوة، وكان

لزُرعة دور في إسلام جميع ملوك بلاد حمير وحضرموت، ولكن المصادر لم تذكر تفاصيل ذلك الدور. وتواعد زُرعة بن سيف بن ذي يزن وسائر ملوك وأقيال حِمْير على إعلان إسلامهم وإسلام قبائلهم وبلادهم في يوم واحد، فتواعدوا على اللقاء في مدينة الجَنَد في يوم أول جمعة من رجب والتقوا في ذلك اليوم وأعلنوا الإسلام وشروق فجر الإسلام في جميع بلاد حمير التي سلف تبيين أنها تشمل بالتسميات الحالية محافظات ومناطق: إب، وتعز، ووصاب، وتهامة، وبلاد عنس ورداع، والضالع، ولحج، ويافع، وعدن، وأبين، وشبوة، وغيرها. وكذلك شمل الإسلام حضرموت ومخاليفها الممتدة إلى المهرة ومفاوز عُمان. وجاء في هامش قرة العيون ما يلي: «يزعم أهل اليمن أن الإسلام بسط ظله على اليمن في أول جمعة من رجب. وتقديراً لذلك اليوم التاريخي اتخذوه يوم عيد وأفراح، وتناقلوه خلفاً عن سلف، مما يدل على أن لذلك أصلًا» [ص١٠] ـ وأصل ذلك إن زرعة بن سيف بن ذي يزن والحارث بن عبد كلال ذي رعين وأخوته وسميفع ذو الكلاع وغيرهم من ملوك وأقيال بلاد حمير أعلنوا في ذلك اليوم اعتناق الإسلام والارتباط السياسي بالدولة الإسلامية بزعامة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وكتبوا وبعثوا إليه بذلك.

٥ ـ كتاب زُرعة بن سيف بن ذي يزن وملوك حمير إلى النبي ﷺ:

في أول جمعة من رجب سنة ٩هـ ـ الموافق ٦٢٩م ـ كتب وبعث زُرعة بن سيف بن ذي يزن والحارث بن عبد كلال ذو رعين وبقية ملوك حمير الأقيال بإسلامهم إلى النبي ﷺ بالمدينة المنورة، حيث كان النبي ﷺ في تبوك، وكانت غزوة تبوك في رجب سنة ٩هـ، فلما عاد النبي ﷺ من تبوك إلى المدينة المنورة وجد كتاب ورسول ملوك حمير بانتظاره في المدينة وهو مالك بن مرّة الرهاوي المذحجي، وكان إنصراف النبي ﷺ والذين معه من تبوك إلى المدينة في أوائل رمضان سنة ٩هـ، حيث كما ذكر ابن هشام في السيرة النبوية:

«قَدِم على رسول اللّه ﷺ كتابُ ملوك حمير، مَقْدمِهِ من تَبُوك، ورَسُولُهُمْ إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال. ونُعيم بن عبد كلال، والنعمان، قَيْل [قيول] ذي رُعَيْن، ومعافر، وهمدان. وبعث إليه زُرعة ذُو يزن مالك بن مُرَّة الرَّهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله» [ص٢٥٨/ ٤].

وكذلك قال ابن سيد الناس في عيون الأثر: «قَدِم على رسول اللّه ﷺ كتاب ملوك حمير، ورسولهم إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال، ونُعيم بن

عبد كلال، والنعمان، قيل ذي رُعَين، ومعافر، وهمدان. وبعث إليه زُرعة ذو يزن بإسلامهم» [ص٣٠٩/ ٢].

وزُرعة ذو يزن هو زُرعة بن سيف بن ذي يزن. قال الحافظ ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة: «زُرْعة بن سيف بن ذي يزن، من مشاهير الملوك، كَاتَبَ النبي ﷺ» [ص٥٧١/ ١].

وقد كتب وبعث زُرعة بن سيف بن ذي يزن إلى النبي ﷺ بإسلام سائر ملوك حمير، ومنهم: الحارث بن عبد كلال، ونُعيم بن عبد كلال، والنعمان ـ وكذلك (ذكر المداييني منهم فهد بن النعمان الحميري. وهو قَيْل المعافر). وذكر ابن سعد أن منهم (فهد، والبسي، والبحيري، وربيعة، وحجر) وكذلك ذو الكلاع، وذو ظليم، وابن الصباح. ويجمعهم مصطلح (ملوك حمير) ويدل كون زُرعة بن سيف بن ذي يزن هو الذي بعث بإسلامهم، يدل ذلك على أنه كان عميد ملوك حمير وكان له دور أساسي في إسلامهم جميعاً. وبعث زُرعة هدية غالية إلى النبي ﷺ حيث ـ كما جاء في هامش الإكليل: «أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أنس بن مالك: إن زُرعة بن سيف بن ذي يزن أهدى إلى رسول اللَّه ﷺ حُلّة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً وثلاثة وثلاثين ناقة، فَقَبَلها رسول اللَّه ﷺ» [ص٢٥٩/ ٢].

وكان لإسلام زُرعة بن سيف بن ذي يزن وبقية ملوك بلاد حمير ـ في رجب ٩هـ ـ أثره السريع في إعلان ملوك وأقيال بلاد حضرموت إنضوائهم في دين ودولة الإسلام، وكذلك رؤساء قبيلة مذحج بمخاليف صنعاء حيث وَفَدَ إلى النبي ﷺ فروة بن مسيك المرادي وعمرو بن معدي كرب الزُبيدي وقيس بن مكشوح المرادي على رأس فرسان من قبائل مذحج والتقوا بالنبي ﷺ منصرفه من تبوك فبايعوه، كما وَفَد إلى النبي ﷺ الملك الأشعث بن قيس الكندي على رأس ثمانين راكباً من فرسان كندة وحضرموت، وكذلك الملك وائل بن حجر الحضرمي. وبذلك اكتمل انضواء أغلب أرجاء اليمن في دين ودولة الإسلام بزعامة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

٦ ـ كتاب النبي ﷺ إلى زُرعة بن سيف بن ذي يزن وملوك حمير وتولية معاذ بن جبل:

وفي رمضان سنة ٩هـ كتب النبي ﷺ كتابه المتواتر في سائر كتب السنن والأحاديث النبوية وكتب التاريخ والسيرة النبوية وذلك إلى (ملوك حمير) ـ قال

ابن هشام وابن سيد الناس ـ «. . . إلى الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان. قَيْل (أو قيول) ذي رُعين ومعافر وهمدان» وإلى «زُرعة ذي يزن». وقال ابن سعد: «. . . إلى زُرعة، وفهد، والبسي، والبحيري، وعبد كلال، وربيعة، وحجر». وقال أبو عبيد في كتاب الأموال «. . . وإلى شريح بن عبد كلال والحارث». وذكر المدائني أيضاً «فهد الحميري». وقال الحافظ ابن حجر: «والمشهور أنه كتب إلى زُرعة بن سيف بن ذي يزن».

وفيما يلي نص الكتاب النبوي إلى ملوك حِمْير:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمد رسول اللّه النبيّ إلى الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان. قَيْل ذي رُعَيْن، ومعافر، وهمدان. [وإلى شريح، وفهد، والحارث، والبسي، والبحيري، وربيعة، وحجر].

أما بعد: فإنّي أحمد إليكم اللّه الذي لا إله إلا هو. أما بعد ذلكم، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فَبَلّغ ما أرسلتم به، وخبّر ما قِبلكم، وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، وإنّ اللّه قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم اللّه ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمس اللّه وسهم الرسول وصَفيّه، وما كُتب على المؤمنين من الصَّدَقَةِ: مِن العَقَارِ ما سَقَتِ العينُ وسَقَت السماء وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نصف العُشْرِ، وإنّ في الإبل الأربعين: ابنة لبُون، وفي الثلاثين ابن لَبُون ذكر، وفي كل خمس من الإبل: شاة، وفي كل عَشر مِن الإبل: شاتان، وفي كل أربعين من البقر: بقرةٌ، وفي كل ثلاثين من البقر: تَبيعُ جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ، وفي كل أربعين من الغنم سائمةٍ وحدها: شاةٌ، وإنها فريضةُ اللّه التي فرض على المؤمنين في الصَّدقة، فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له، ومن أدّى ذلك وأشهَدَ على إسلامه وظَاهرَ المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة اللّه ورسوله. وإنه مَنْ أسلم مِن يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم. ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُردُّ عنها، وعليه الجِزْية: على كل حالم ـ ذكر أو أنثى، حُرّ أو عبد ـ دينارٌ وافٍ من قيمة المعافر أو عوضه ثياباً، فَمَن أدى ذلك إلى رسول اللّه فإن له ذمة اللّه وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو للّه ولرسوله.

أما بعد ـ ذلكم ـ فإنّ رسول اللّه محمداً النبي أرسل إلى زُرعة ذي يزن: أن إذا أتاكم رُسلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد اللّه بن [قيس]،

ومالك بن عُبادة، وعُقْبةُ بن نَمر، وأصحابهم، وأن أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم، وأبلغُوها رُسلي، وأن أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبن إلا راضياً. ثم إن مالك بن مُرّة قد حدثني أنك أسلمت من أول حِمْيَر، وقتلت المشركين، فأبشرْ بخير، وآمرك بحِمْير خيراً، وإنّ مالكاً قد بَلّغ الخبر وحَفِظ الغيب، وآمركم به خيراً. وإني قد أرسلتُ إليكم من صالحي أهلي وأُولي دينهم وعلمهم، وآمركم بهم خيراً، فإنّهم منظورُ إليهم. والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته»(١).

ويتبين من ذلك الكتاب النبوي المتواتر المبعوث من النبي ﷺ إلى زرعة بن سيف بن ذي يزن والحارث بن عبد كلال ذي رُعين وبقية ملوك حمير ما يلي:

أ ـ إن زرعة بن سيف بن ذي يزن كان من أول حِمير إسلاماً، وكان له دور هام في إسلام سائر ملوك وأقيال وقبائل حمير ـ في رجب ٩هـ ـ وكان زُرعة عميد ملوك وأقيال حمير كما يدل على ذلك قول النبي ﷺ: «. . . وآمرك بحمير خيراً». وكان زُرعة هو الذي كتب وبعث إلى النبي ﷺ مالكَ بن مُرّة الرهاوي بإسلام ملوك حمير، فالتقى مالك بالنبي ﷺ منصرفه من تبوك إلى المدينة ـ في أوائل رمضان ٩هـ ـ حيث قال النبي ﷺ: «قد وقع بنا رسولكم مُنقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة، فَبَلّغ ما أرسلتم به، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين» وقال النبي ﷺ لزُرعة ذي يزن ـ في نفس الكتاب ـ «ثم إن مالك بن مرّة قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين، فأبشر بخير. . . وإن مالكاً قد بلغ الخبر وَحفِظ الغيب».

ب ـ إن النبي ﷺ بعث ذلك الكتاب وبعث معه معاذ بن جبل الأنصاري وأصحابه إلى اليمن، وذلك منصرفه من تبوك. ويدل ذلك على أن بعث معاذ بن جبل إلى اليمن كان في شهر رمضان سنة ٩هـ وكان مع معاذ عدد من الصحابة بينهم أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعري. وقد جاء في طبقات ابن سمرة عن أبي موسى الأشعري قال: «بعثني رسول اللّه ﷺ

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص٢٦٠ جـ ـ والوثائق السياسية للعهد النبوي ـ محمد حميد اللّه ـ ص٢٢٠ ـ ٢٣٠ ـ عن طبقات ابن سعد ـ ص٨٤ جـ ـ وجمع الجوامع للسيوطي في مسند عمرو بن حزم عن النسائي والبيهقي وابن عساكر، وإمتاع الأسماع للمقريزي، وكنز العمال، وتاريخ اليعقوبي ـ ص٨٧ جـ٢ ـ وسنن الدارقطني، والوفاء لابن الجوزي ـ ص٧٤٢ ـ وإعلام السائلين ـ ص١٥ ـ والأموال لابن الجوزية، والأموال لأبي عبيد بن سلام ـ ص٧٠.

خامس خمسة على مخاليف اليمن. الحديث». وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني ذلك الحديث في ترجمة الطاهر بن أبي هالة في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة إنه: «قال أبو موسى: بعثني النبي ﷺ خامس خمسة على مخاليف اليمن، أنا، ومعاذ، والطاهر بن أبي هالة، وخالد بن سعيد، وعكاشة بن ثور، فبعثنا مُتساندين، وأن نُيسر ولا نُعسر، ونُبشر ولا ننفر، وأن إذا قَدِم معاذ طاوعناه» (اهـ) فقولِ أبي موسى «. . . وأن إذا قَدِم معاذ طاوعناه» ـ يعني أن أميرهم جميعاً معاذ بن جبل وأن يطيعوه إذا قدِم إلى المخاليف التي هم عمالها.

وقد قال النبي ﷺ لزرعة ذي يزن في كتابه إلى ملوك حمير «إذا أتاكم رُسُلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد اللّه بن (قيس)، ومالك بن عُبادة، وعقبة بن نمر، وأصحابهم، وإن أميرهم معاذ بن جبل. . وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وعلمهم، وآمركم بهم خيراً، فإنه منظور إليهم».

ويتبين من ذلك أن معاذ بن جبل الأنصاري كان أمير النبي ﷺ على جميع العمال بمخاليف اليمن. وقد وصل معاذ إلى مدينة الجَنَد ـ وهي قاعدة بلاد حمير ـ في أواخر شهر رمضان سنة ٩هـ، وقرأ الكتاب النبوي على أقيال ورجالات قبائل حمير الذين التقوه بمدينة الجَنَد، وقام معاذ بتشييد جامع الجَنَد، وبدأت بذلك سلطة الدولة لإسلامية بزعامة النبي محمد ﷺ في اليمن لأن معاذ بن جبل كان أمير جميع عمال النبي ﷺ في اليمن، بدليل قول النبي ﷺ في كتابه إلى زُرعة ذي يزن وملوك حمير عن العمال المبعوثين إلى اليمن «. . . وإن أميرهم معاذ بن جبل» وكذلك بدليل حديث أبي موسى الأشعري: «بعثني النبي ﷺ خامس خمسة على مخاليف اليمن. . فبعثنا متساندين، وأن نُيسر ولا نُعسر، ونُبشر ولا ننُفر، وأن إذا قَدِم معاذ طاوعناه».

وجاء في طبقات ابن سمرة والبداية والنهاية لابن كثير: «قال البخاري: بعث رسول اللّه ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن وقال لهما: يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشّرا ولا تُنفّرا، وتطاوعا. . فانطلق كل واحد منهما إلى عمله» [ص١٧/ طبقات ابن سمرة + ص٩٩/ ٥ ـ البداية والنهاية].

وكان أبو موسى الأشعري خامس خمسة عمال بعثهم النبي ﷺ مع معاذ بن جبل على مخاليف اليمن كما في حديث أبي موسى سالف الذكر. وقال البلاذري: «ولى رسول اللّه ﷺ أبا موسى الأشعري زبيدَ ورمع وعدن والساحل.

وولى زياد بن لبيد الأنصاري حضرموت ـ [ومعه عكاشة بن ثور] ـ وولى عمرو بن حزم الأنصاري نجران [ومعه خالد بن سعيد]، وولى معاذ بن جبل الجَنَد، وصيّر إليه القضاء، وقبض جميع الصدقات باليمن» (اهـ). وكان خامس الخمسة فروة بن مُسيك المرادي على قبائل ومناطق مذحج ومعه الطاهر بن أبي هالة بمأرب وخالد بن سعيد بنجران.

فكان معاذ بن جبل هو أمير جميع عمال النبي ﷺ باليمن وليس الجَنَد ومخاليفها فقط وإنما وكما ذكر ابن سمرة في الطبقات: «كان معاذ بن جبل عاملاً لأهل اليمن وحضرموت، أمَّرَه رسول اللّه ﷺ، فكان مُعاذ يتنقل في عُماله من عامل إلى عامل في اليمن وحضرموت» [ص١٧]. وقال البلاذري: «... كان إليه القضاء، وقبض جميع الصدقات باليمن». وقال ابن كثير: «كان معاذ قاضياً، وحاكماً في الحروب، ومُصدقاً إليه تدفع الصدقات» (اهـ).

وقد شاع الزعم والظن في بعض الروايات بأن النبي ﷺ ولّى باذان بن ساسان على اليمن. والصحيح أن باذان كان ملكاً عاملاً على الفُرس الأبناء بصنعاء وعلى صنعاء وبعض المراكز في مخاليفها فقط حيث كان باذان عاملاً لكسرى أبرويز بن هرمز ملك فارس حتى أواخر سنة ٩هـ. ومما يدل على ذلك: «أن كسرى أبرويز بن هرمز حارب هرقل قيصر الروم سنة ٩هـ (٦٢٩م) وهي حرب مشهورة تغلب فيها الروم على الفرس، وبلغ الروم عاصمة كسرى ـ المدائن ـ واستعادوا الصليب، وتم بعد ذلك توقيع اتفاقية تصالح بين الروم والفرس تعهد كسرى أبرويز بموجبها بعدم الاعتداء على الأقاليم التابعة للروم في تركيا والشام»[1] ـ ويدل ذلك بصفة قاطعة على أن كسرى أبرويز كان على قيد الحياة سنة ٩هـ (٦٢٩م). وقد بعث النبي ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل قيصر الروم للمرة الثانية عندما سار إلى تبوك في رجب ٩هـ. وكذلك بعث النبي ﷺ عبد اللّه بن حذافة إلى كسرى أبرويز ملك الفرس ـ [للمرة الثانية في تلك السنة في رجب أو رمضان ٩هـ] ـ فمزق كسرى كتاب النبي ﷺ. قال ابن إسحاق: «ثم كتب كسرى إلى باذان أن ابعث إلى هذا الرجل ـ يعني محمداً ـ رجلين من عندك، فبعث باذان قهرمانه بانويه ومعه خرخسرة من الفُرس، فقَدِما على رسول اللّه ﷺ بالمدينة، فكلمه بانويه وقال: إن شاهنشاه كسرى قد كتب إلى الملك باذان بأن يبعث إليك من يأتيه بك، فبعثني لتنطلق معي، وإنْ أبيتَ

(١) مجلة العربي ـ العدد ٢٣٠ ـ يناير ١٩٧٨م.

فهو من عَلمتَ ويُهلك قومك ويخرب بلادك، فأخرهما النبي ﷺ إلى غد، وجاءه الوحيّ بأن اللّه سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ليلة كذا لعشر مضين من جمادى الأولى» ـ فيكون ذلك سنة عشر للهجرة وليس سنة سبع ولا سنة تسع للهجرة لأن كسرى أبرويز كان على قيد الحياة وحارب هرقل ملك الروم ثم تصالح معه سنة ٩هـ ـ فلما أتى الوحي النبي ﷺ بمقتل كسرى ـ وكما ذكر ابن إسحاق وابن سيد الناس في عيون الأثر ـ «دعا النبي ﷺ بانويه وخرخسرة وقال لهما: اذهبا وأخبرا باذان: بأن ربي قتل ربك كسرى الليلة، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملّكتك على قومك من الأبناء» ـ فعادا إلى باذان في صنعاء وأخبراه بذلك فقال باذان: «إن كان الأمر كما قال فهو نبيّ». وانتظر باذان ما سيأتيه من فارس ـ قال ابن الأثير: «وكتب ابن كسرى إلى باذان يأمره بأخذ الطاعة له ـ مِمَنْ قِبَله باليمن ـ وبالكف عن النبي محمد» وقال ابن سيد الناس في عيون الأثر: «أتى باذان الخبر بمقتل كسرى وهو مريض، فاجتمعت إليه أساورته فقالوا: من تُؤمر علينا؟ فقال: مَلِكُ مُقبِلُ ومَلِك مُدبر، فاتبعوا هذا الرجل ـ أي النبيّ ـ وأدخلوا في دينه»[1] وقد سلف النص بأن النبي ﷺ بعث إلى باذان قائلًا: «إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك، ومَلّكْتُك على قومك من الأبناء». وهذا يؤكد أنه كان ملكاً على الأبناء الفُرس وعلى مدينة صنعاء وما حولها فقط وإنه حين يسلم سيوليه النبي ﷺ على قومه من الأبناء الفُرس وعلى ما تحت يده وهي صنعاء وما حولها فقط فيكون باذان مثل سائر ملوك وأقيال ورؤساء مخاليف ومناطق وقبائل اليمن الذين أقرّهم النبي ﷺ على ما تحت يدهم من مخاليف ومناطق وقبائل اليمن وكتب لهم الكتب بذلك منذ رمضان ٩هـ، وذلك في إطار الولاية العامة لمعاذ بن جبل الأنصاري أمير جميع عمال النبي ﷺ باليمن.

رابعاً

خاتمة أنباء زُرعة بن سيف بن ذي يزن والحارث بن عبد كلال وسميفع ذي الكلاع آخر ملوك حمير

١ ـ زُرعة بن سيف بن ذي يزن. . وعُفير بن زُرْعَة سيّد حمير بالشام:

لقد مكث زرعة بن سيف بن ذي يزن ملكاً قيلًا بمناطق أذوائية يزن وأبين إلى شبوة في إطار ولاية معاذ بن جبل الأنصاري لليمن حيث: «أخرج الإمام

(١) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص٣٣٥.

أحمد بن حنبل وأبو داود عن أنس بن مالك: إن زُرعة بن سيف بن ذي يزن أهدى إلى رسول اللّه ﷺ حلّة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً. فَقَبلها رسول اللّه ﷺ». قال الهمداني في الإكليل: «. . . وفي الحديث أن رسول اللّه ﷺ اشترى حلّة بنيف وعشرين قلوصاً وأهداها إلى ابن ذي يزن. أي إلى هذا» [ص٢٥٩/ ٢] ـ وكان ذلك سنة عشرة للهجرة، ولم يزل زُرعة قَيْلًا ملكاً، واشترك معه في القيالة ابنه عُفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن، وكذلك عفيف بن سعد بن ذي يزن، وكان زُرعة قد بلغ من الكبر عتيًا، فمات باليمن في حوالي سنة ١١هـ ـ ١٢هـ، وكان عفير بن زُرعة من أقيال وقادة اليمن الذين انطلقوا لفتح الشام. قال الهمداني: «وهو ـ أي عفير ـ من مهاجرة الشام، وكان سيّد اليمانية بالشام، وهو صاحب المقام عند معاوية يوم ابن ذي فائش. . وفيه جرى المثل «جُبار دم من مَسّ بُرنس عفير»، وكان خبر ذلك: إن عُفير بن زُرعة هذا، كان من الدين والفضل بموضع مع شرفه وحسبه. وخرج في جيش بعثه معاوية في الصائفة إلى أرض الروم، فوقع في الجيش اختلاط وشر، فخرج عُفير ليصلح بين الناس وعليه بُرْنُس له ـ والبرنس: القلنسوة الطويلة ـ فجذب بُرنسه رجلًا من قيس، فعلمت اليمانية بذلك، فلم يمش في الجيش قيسيّ إلا مكتوفاً، فجعل الرجل من اليمانية يقول لكتيفه: لعلك ممن مَسّ بُرنس عفير؟ فيقول: لا واللّه، فيقول اليماني: أما إنك لو كنت ممن مس بُرنس عفير لضربت عنقك، أو لقطعت يدك. ثم أمر عفير اليمانية فأطلقوهم» [ص٢٦٠/ ٢] ـ ولم يزل عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن من كبار زعماء اليمنيين بالشام إلى خلافة عبد الملك بن مروان حيث جاء في الإصابة عن ابن الكلبي إنه «كان عُفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن سيّد أهل حمير بالشام أيام عبد الملك بن مروان» [ص٥٦٠/ ٢]. وكذلك جاء في ترجمة عفيف بكتاب الإصابة: «عفيف بن سعد بن ذي يزن الحميري. مخضرم. أدرك الجاهلية والإسلام، لأنه مات أبوه قبل البعثة، وهاجر هو من اليمن في خلافة عمر» (اهـ) ـ فاستقر عفيف بدمشق وفيها كان عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن، فكانت دمشق والشام مقر آخر سلالة الملك سيف بن ذي يزن حيث مكث عفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن من الأمراء السادة والقادة بدمشق والشام حتى وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان حوالي عام ٧٠ هجرية.

٢ ـ الحارث بن عبد كلال ذو رُعَين. . . ووفادته إلى النبي ﷺ:

إن الحارث بن عبد كلال ذا رُعَيْن هو سليل الملك عبد كلال الأول ابن مثوب ذي رُعين ملك الدولة الحميرية الذي اعتنق الديانة المسيحية ـ حوالي عام ٣٥٦م ـ في القرن الرابع الميلادي، وقام ببناء ثلاث كنائس في ظفار وعبدان

وصنعاء، منها (قليس ظفار). وكان عبد كلال على دين النصرانية الأولى، ومات في ظفار ـ حوالي عام ٣٧٠م. وفيه قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حمير:

أَم أينَ عبد كلال الماضي على دين المسيح الطاهر المسَّاحِ

قال الهمداني والمسعودي وابن خلدون: «ثم مَلَك مرثد بن عبد كلال أربعين سنة ثم مَلَكَ وليعة بن مرثد بن عبد كلال ٣٩ سنة وكان منقطع النظير». ثم انتهى حكم آل عبد كلال الأول للدولة الحميرية. وأصبحوا من كبار الأذواء والأقيال في إطار الدولة الحميرية منذ عهد تُبّع أسعد بن حسان (٤٥٨ ـ ٤٧٧م) إلى عهد سيف بن ذي يزن (٥٧١ ـ ٥٩٠م) فكان الحارث بن عبد كلال ـ الثالث ـ ذو رَعين من كبار الملوك الأقيال في الفترة التي امتدت حتى ظهور الإسلام، قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «كان الحارث بن عبد كلال من عظماء ملوك اليمن ومشاهير أقيالها، ربّ سيف وبيان ومكارم وجنان» [ص٣٦٤/ ٢] ـ وكان حكم الحارث بن عبد كلال ذو رعين وأخوته يمتد في مناطق ذي رُعَيْن ما بين يافع إلى ذُبحان والمعافر، وكانوا يدينون بالديانة المسيحية، ولما بعث النبي ﷺ جرير بن عبد اللّه البجلي إلى الحارث بن عبد كلال ذي رعين وملوك حمير: «... أسلم الحارث بن عبد كلال وكتب إلى النبي ﷺ كتاباً قال فيه:

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنت بما فيه من الحق آمرُ»

قال ابن هشام وابن سيد الناس: «وقَدِم على رسول اللّه ﷺ كتابُ ملوك حمير ورسولهم إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال، ونُعيم بن عبد كلال، والنعمان، قَيْل [قيول] ذي رُعين ومعافر وهمدان، وبعث إليه زُرعة ذو يزن مالك بن مرّة الرهاوي بإسلامهم. وكتب النبي ﷺ ـ إليهم ـ: «بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللّه النبيّ إلى الحارث بن عبد كلال، ونُعيم بن عبد كلال، والنعمان ـ [إلخ. الأسماء] ـ أما بعد، فإنّه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فَبَلَّغَ ما أرسلتم به، وخَبَّر ما قِبَلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين. وإنّ اللّه قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم اللّه ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس اللّه وسهم رسوله، وما كُتِب على المؤمنين من الصدقة.. إلخ». ـ وقد أسلفنا ذكر النص الكامل للكتاب النبوي وإن النبي ﷺ بعثه مع معاذ بن جبل والعُمال الذين معه وقال «وإن أميرهم معاذ بن جبل» وكان ذلك في رمضان سنة ٩هـ.

واستمر الحارث بن عبد كلال ملكاً قَيْلًا على المناطق والمخاليف التي تحت حكمه هو وأخوته في إطار ولاية معاذ بن جبل الأنصاري والعمال الذين معه على مخاليف اليمن. وكان النبي ﷺ قال في كتابه المذكور إلى زُرعة، والحارث بن عبد كلال، وأقيال اليمن: «. . . أن اجمعوا ما عندكُم من الصدقة والجزية من مخاليفكم، وأبلِغوها رُسلي، وإن أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبن إلّا راضياً».

وقد جمع الحارث بن عبد كلال وأخوته ذلك من مخاليفهم، وأدّوها ـ في أوائل سنة ١٠هـ تقريباً ـ حيث جاء في صحيح ابن حِبان، وفي السنن الكبرى للبيهقي، إن النبي ﷺ كتب إليهم:

«من محمد رسول اللّه إلى شرحبيل بن عبد كلال، والحارث بن عبد كلال، ونُعيم بن عبد كلال، قَيْل ذي رعين، ومعافر، وهمدان» ـ وفي سنن البيهقي ـ «والحارث بن عبد كلال قَيْل ذي رُعين» ـ «أما بعد، فقد رجع رسولكم، وأعطيتم من المغانم خُمس اللّه، وما كُتب على المؤمنين من العُشَر. .» ـ إلى أن قال النبي ﷺ في هذا الكتاب: «وإن أكبر الكبائر عند اللّه يوم القيامة الشرك، وقَتْل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنات، وتعلّم السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإن العمرة الحج الأصغر، ولا يمس القرآن إلا طاهر»(١).

وفي أواسط السنة العاشرة للهجرة وَفَد الحارث بن عبد كلال ذي رُعين إلى النبي ﷺ حيث ـ كما جاء في الإكليل وفي الإصابة ـ «لما وَفَد الحارث بن عبد كلال إلى رسول اللّه ﷺ اعتنقه وأفرشه رداءه. وقال قبل أن يدخل عليه: يدخل عليكم رجلُ كريم الجدّين صبيح الخدين»(٢).

وكان الحارث بن عبد كلال سادس ستة فرش لهم النبي ﷺ رداءه تكريماً وتشريفاً لهم، وقد جمعهم الهمداني في أبيات مدح فيها أحفاد أبيض بن حمّال المأربي حيث قال الهمداني:

إن النبيّ محمداً خير الورى ... بسط الرداء لجدكم في المسجد
ما نالها إلّا جريرُ بَجِيلةٍ ... بعد ابن حمّال الرئيس السيد
والقيلُ أبرهة الشريف، ووائلُ ... رأسُ الحضارم ذو الفعال الأوحد

(١) الوثائق السياسية للعهد النبوي ـ محمد حميد اللّه ـ ص٢٢٧.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٤ جـ٢ ـ وص٢٤٢ جـ٢.

أيضاً وعبد الجدّ نال منالـه أكرم بعبد الجدّ من متعجند
والحارثُ ابن كُلال سَيّدُ حميرٍ، وإذا يُطاف لسابع لم يُوجد»[1]

واعتمر أو حجّ الحارث بن عبد كلال سنة ١٠هـ ولم يزل قَيْلًا ملكاً بمناطق حمير حتى وفاته بعد سنة ١٣هـ.

٣ ـ سُمَيفَع بن يعفر ذو الكُلاع . . قائد كتائب حِمْيَر في فتوح الشام ومصر:

كان سُميفع بن يعفر ذو الكلاع من ملوك حمير الذين بعث إليهم رسول اللّه ﷺ جرير بن عبد اللّه البجلي فأسلموا، وكان يوم إسلام ذي الكلاع عيداً للحرية، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في كتاب الإصابة إنه: «بعث النبي ﷺ جرير بن عبد اللّه البجلي إلى ذي الكلاع، فأسلم وأعتق لذلك أربعة آلاف . . .» [ص٤٩٢/ ١].

ومكث سميفع ذو الكلاع ملكاً قَيْلًا على مخاليف الكلاع ـ وهي مناطق حُبيش وإب والعدين وذي سُفال ـ في إطار ولاية معاذ بن جبل لليمن، وكان مقر ذي الكلاع قصر وقلعة وُحاظة في ناحية حبيش بمحافظة إب، وكان ذو الكلاع هو أيضاً قائد كتائب وفرسان بلاد حمير جميعها في الحروب، وقد كتب النبي ﷺ كتاباً إلى ذي الكلاع حين ادعى النبوّة في صنعاء الأسود عبهلة العنسي وتغلب عليها ـ في ذي الحجة ١٠هـ ومحرم ١١هـ ـ وكان في صنعاء مع الأسود العنسي قيس بن مكشوح المرادي فتظاهر بطاعة الأسود العنسي، وكتب فروة بن مُسيك المرادي عامل مذحج بالخبر إلى النبي ﷺ: «فبعث النبي ﷺ وبر بن يحنس الخزاعي إلى قيس بن مكشوح والذين معه بصنعاء يأمرهم بالعمل على مصاولة الأسود العنسي، وبعث جرير بن عبد اللّه الجبلي إلى ذي الكلاع وذي ظليم، والأقرع بن عبد اللّه الحميري إلى ذي زود وذي مران بالمسير لمصاولة الأسود العنسي». وقال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب: «كان ذو الكلاع رئيساً في قومه مطاعاً متبوعاً، فكتب إليه النبي ﷺ في التعاون على الأسود العنسي، وكان الرسول إليه جرير بن عبد اللّه البجلي» [ص٤٨٥/ ١] وقال في ترجمة حوشب ذي ظليم: «بعث إليه رسول اللّه ﷺ جرير بن عبد اللّه البجلي في التعاون على الأسود العنسي وإلى ذي الكلاع معه» [ص٤٨٨/ ١] وقد بعث رسول اللّه ﷺ إلى ذي الكلاع وذي ظليم ـ دون سائر أقيال حمير ـ لأن ذا الكلاع كان القائد الحربي العام لقبائل حمير جميعها وكان ذو ظليم نائب ومساعد

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص٣٦٤ جـ٢ ـ وص٢٤٢ جـ٢.

ذي الكلاع في قيادة حمير، وكذلك بعث النبي ﷺ إلى عمير ذي مران وسعيد ذي زود لأنهما قائدا قبائل همدان (حاشد وبكيل) في الحروب، كما بعث إلى معاذ بن جبل لأنه أمير جميع عمال اليمن، فانطلقوا جميعاً بفرسانهم إلى صنعاء، وكان قيس بن مكشوح المرادي والذين معه بصنعاء يخططون لاغتيال الأسود العنسي. قال ابن كثير: «فبينما هُمُ كذلك، إذْ جاءتهم كُتب ذي الكلاع وذي ظليم وذو مران يبذلون لهم النصرة، فكتبوا إليهم: أن لا تُحدثوا شيئاً حتى نبرم أمرنا». [ص٣٠٨/ ٥ ـ البداية والنهاية] ـ والمقصود أن لا يهاجموا صنعاء حتى يبرم قيس بن مكشوح والذين معه أمر قتل الأسود العنسي داخل صنعاء، فمكث ذو الكلاع وذو ظليم بمشارف صنعاء على رأس كتائب حمير، وكذلك ذو مران وذو زود بفرسان همدان، وفروة بن مسيك بفرسان مذحج، ومعاذ بن جبل، وجرير بن عبد اللّه البجلي. ثم قام قيس بن مكشوح المرادي ومعه فيروز الديلمي وفرسان من غُطيف (مراد) بالقضاء على الأسود العنسي. وقد شاع في الروايات أن قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي وداذويه اشتركوا في قتل الأسود العنسي وقطع قيس رأسه. والصحيح أن الذي قتله وقطع رأسه هو قيس بن مكشوح، وفي ذلك قال الهمداني:

وزار الأسودَ العنسيَّ قَيْسٌ ... بِجَمْعٍ من غُطيفٍ مردفينا
فَعَمّم رأسه بذُبابِ سيفٍ ... فطار القُحف يتبعه حنينا
وهَلْ غير ابن مكشوح هُمامُ ... يكون به مِنَ المتمرسينا[1]

قال ابن كثير: «فلما كان الصباح قام قيس بن مكشوح على سور المدينة فألقى برأس الأسود العنسي ونادى: أشهد أن محمداً رسول اللّه وأن عبهلة كذاب، فانهزم أصحابه، وظهر الإسلام وأهله»[1]. وقال البلاذري: «عَلَا قيس بن مكشوح سور المدينة فقال: اللّه أكبر اللّه أكبر أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه وأن عبهلة كذاب، وخرج أصحاب قيس ففتحوا الباب»[1] ـ وقد فتحوا الباب ـ باب صنعاء ـ للصحابة والقادة والفرسان الذين يحيطون بصنعاء وهم معاذ بن جبل عامل اليمن، وذو الكلاع وذو ظليم في فرسان حمير، وذو مران وذو زود في فرسان همدان، وفروة بن مُسيك في فرسان مذحج، وجريربن عبد اللّه البجلي، فدخلوا صنعاء، فاستسلم بقية أصحاب الأسود العنسي.

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ والبداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص٣٠٨/ ٢ ـ وفتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص١١٤.

قال ابن خلدون «وخلصت صنعاء، ورجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم، واتفقوا ـ بصنعاء ـ على معاذ بن جبل، وكتبوا إلى رسول اللّه ﷺ بالخبر».

وقد استقر معاذ بصنعاء لأنه أمير النبي ﷺ على جميع عمال اليمن ـ أيّ واليّ اليمن ـ منذ بعثه وولاه النبي ﷺ في رمضان سنة ٩هـ. وكتب معاذ والصحابة والقادة إلى النبي ﷺ بخبر القضاء على الأسود العنسي واستتباب الأمر بصنعاء، وكان المبعوث بذلك الكتاب والخبر هو جرير بن عبد اللّه البجلي. وسار ذو الكلاع وذو عمرو من صنعاء مع جرير لزيارة النبي ﷺ، وكان مسيرهم من صنعاء في أوائل شهر ربيع الأول سنة ١١هـ حيث ـ كما جاء في الاستيعاب ـ «... فلما كانوا في بعض الطريق رأى ذو عمرو رؤيا فقال: إن الذي نمضي إليه قد أتى على أجله. قال جرير: فرفع لنا في الطريق ركبٌ، فسألتهم، فقالوا: قُبِضَ رسول اللّه ﷺ واستُخلف أبو بكر. فقال لي ذو عمرو: يا جرير، إنكم قوم صالحون وإنكم على كرامة لن تزالوا بخير ما إذا هلك لكم أمير أمّرتم آخر، فأما إذا كانت بالسيف كنتم ملوكاً ترضون كما يرضى الملوك وتغضبون كما يغضب الملوك، ثم قالا لي: ذو الكلاع وذو عمرو: أقرئ صاحبك السلام ولعلنا سنعود، ثم سلّما عليّ، ورجعا» [ص٤٩٠/ ١] ـ وجاء في طبقات ابن سمرة أنه «... قال جرير: فقالا لي: أخبر صاحبك إنّا قد جئنا، ولعلنا سنعود إن شاء اللّه، فرجعا إلى اليمن، فأخبرتُ أبا بكر بحديثهما، فقال: أفلا جئت بهما» [ص٢٠].

ثم كان موكب ذي الكلاع وكتائب وفرسان وقبائل حمير أول المواكب التي انطلقت من اليمن لما بعث أبو بكر الصديق أنس بن مالك الأنصاري إلى اليمن يستنفر أهل اليمن لفتح الشام وجهاد الروم ـ في أواخر سنة ١٢هـ ـ فأتى أنس بن مالك إلى مراكز مخاليف اليمن، إلى نجران ثم تهامة ثم بلاد حمير وحضرموت ثم صنعاء ومخاليفها يستنفر الناس ويقرأ عليهم كتاب أبي بكر الصديق بدعوتهم إلى الجهاد وأخذ بلاد الشام من الكفار والطغاة ـ الروم ـ ثم عاد أنس بن مالك إلى أبي بكر حيث كما ذكر أبو عبد اللّه الواقدي: «قال أنس بن مالك: يا خليفة رسول اللّه، واللّه ما قرأت كتابك على أحد إلا وبادر إلى طاعة اللّه ورسوله، وأجاب دعوتك، وقد أقبلتُ إليك مُبشراً بقدوم أبطال اليمن وشجعانها، وقد تجهزوا في العدد العديد والزرد النضيد وساروا إليك بالذراري والأموال، وكأنّك بهم قد أشرفوا عليك، فتأهبْ إلى لقائهم. فسرّ أبو بكر بقوله سروراً عظيماً، وأقام يومه ذلك، حتى إذا كان من الغد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة فأقبلوا إلى أبي بكر فأخبروه، فركب مع أهل المدينة وأظهروا زينتهم ونشروا الأعلام

الإسلامية، فما كان إلا القليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضاً، فكان أول قبيلة وصلت من اليمن قبيلة حِمْيَر وهم بالدروع والبِيض (الخوذات) والسيوف، وأمامهم ذو الكلاع الحميري رضي اللّه عنه، فلما قرب من أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه أشار بالسلام وأنشد يقول:

أَتَتْكَ حِميرُ بالأهلِين والولد ... أهل السوابق والعالُون بالرُتب
أسْدُ غطارفةٌ، شوسُ عمالقةٌ ... يُردوا الكُماة غداة الحرب بالقُضُبِ
الحربُ عادتُنا، والضربُ هِمّتُنا، ... وذو الكلاع دعا في الأهل والنسبِ
دمشق لي دون كل الناس أجمعهم ... وساكنيها سأهويهم إلى العطبِ

فتبسم أبو بكر الصديق من قوله...» [ص٣/ فتوح الشام] ـ قال الحافظ ابن حجر: «وقد روى أبو حذيفة في الفتوح من طريق أنس بن مالك إن أبا بكر بعثه إلى أهل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد، فرحل ذو الكلاع ومَنْ أطاعه مِنْ حمير» ـ أي من أقيال ورؤساء حمير ـ [ص٤٩٣/ ١ ـ الإصابة].

قال الواقدي: «ثم أَقْبَلَتْ كتائب مذحج أهل الخيل العتاق، والرماح الدقاق، يتقدمهم قيس بن مكشوح المرادي رضي اللّه عنه، فلما وصل إلى أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه قال:

أتتك كتائبُ مِنّا سراعاً ... ذوي التيجان أعني مِنْ مُرادِ
فقدمنا أمامك كيّ ترانا ... نُبيد الروم بالأسل النجادِ

فجزاه أبو بكر الصديق خيراً، وتقدم بكتائبه ـ ونزل حول المدينة ـ.. وتتابعت قبائل اليمن يتلو بعضها بعضاً». وقال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «قَدِم على أبي بكر الصديق أوائل مستنفري اليمن وفيهم ذو الكلاع الحميري، وجرير بن عبد اللّه البجلي، وقيس بن مكشوح، وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشام وعناه أمره». وقال ابن خلدون: «... وافق وصول المستنفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير.. وحينئذٍ اهتم أبو بكر بالشام». [ص٨٥/ ٢].

وقد كان مع ذي الكلاع كوكبة من أقيال حمير الملوك وأبناء الأقيال الملوك، منهم عفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن، وأبرهة بن الصباح الحميري وكريب بن أبرهة بن الصباح، وحسان بن كريب بن مشرح بن عبد كلال بن ذي رُعين، وحوشب ذو ظليم، وغيرهم. وكانوا مع ذي الكلاع لأنه القائد الحربي العام لكتائب وقبائل حمير، وإلا فإنهم من الأقيال الملوك وأبناء الأقيال الملوك باليمن. قال المسعودي في مروج الذهب:

«قَدِم إلى أبي بكر ملوك اليمن، وعليهم الحُلل، والحُبر، وبرود الوشيّ المُثقل بالذهب، والتيجان، فلما شاهدوا ما على ـ أبي بكر وأصحابه ـ من اللباس.. ذهبوا مذهبهم، ونزعوا ما كان عليهم. وكان ممن قَدِم على أبي بكر من ملوك اليمن ذو الكلاع، ومعه ألف عبد دون من كان من عشيرته، وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحُلل، فلما شاهد ما عليه أبو بكر تزيّا بزيّه» ـ ففزعت عشيرته لذلك وكلموه ـ «فقال لهم ذو الكلاع: أفارداتُم أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية والإسلام؟ لاها اللّه، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع والزهد في الدنيا». [ص٣٠٥/ ٢ ـ مروج الذهب].

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: «بعث النبي ﷺ جرير بن عبد اللّه البجلي إلى ذي الكلاع فأسلم وأعتق لذلك أربعة آلاف، ثم قَدِم المدينة ومعه أربعة آلاف عبد أيضاً، فسأله عمر في بيعهم، فأصبح وقد أعتقهم، فسأله عمر عن ذلك، فقال: إنّي أذنبتُ ذنباً عظيماً فعسى أن يكون ذلك كفارةً، تواريتُ مرة ثم أشرفتُ فسَجَد لي مائة ألف. وروى يعقوب ابن شيبة بإسناد له عن الجراح بن المنهال قال: كان عند ذي الكلاع اثنا عشر ألف، فبعث إليه عمر فقال: بِعنا هؤلاء نستعين بهم على عدو المسلمين، فقال ذو الكلاع: لا، هُم أحرار، فأعتقهم كلهم في ساعة واحدة» [ص٤٩٢/ ١ ـ الإصابة] ـ والظاهر أن عبيد ذي الكلاع الذين كانوا معه بالمدينة كانوا أربعة آلاف، وإن بقية الأقيال الذين كانوا مع ذي الكلاع كان عبيدهم زهاء ثمانية آلاف، فلما أعتق ذو الكلاع عبيده أعتقوا أيضاً عبيدهم، وبذلك بلغوا اثني عشر ألفاً، فيزول التعارض بين الروايتين.

وفي مطلع سنة ١٣هـ بعث أبو بكر الصديق جيشين إلى الشام أحدهما بقيادة خالد بن سعيد بن العاصي ومعه ذو الكلاع الحميري وأصحابه باتجاه البلقاء، والجيش الثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة الكندي باتجاه الأردن. قال الطبري: «سار خالد بن سعيد ومعه ذو الكلاع صوب الشام» وقال: «اقتحم خالد بن سعيد في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة حتى نزلوا مرج الصُفّر، فانطوت مسالح الروم عليه وأخذوا عليه الطريق وهو لا يشعر» [ص٣٠/ ٤] ـ فأنجده شرحبيل الكندي بالجيش الثاني وعاد خالد بن سعيد بالجيش الأول إلى ذي المروة. ثم عقد أبو بكر إمرة الجيش الأول ليزيد بن أبي سفيان بدلًا عن خالد بن سعيد ـ في صفر ١٣هـ ـ وسار خالد بن سعيد محتسباً في الجيش الثاني بقيادة شرحبيل الكندي، وعقد أبو بكر لواء جيش لأبي عبيدة بن الجراح ولواء جيش لعمرو بن العاص، وتساندت الجيوش الأربعة في معركة ضد الروم بمنطقة

من فلسطين استشهد فيها بعض المسلمين ومنهم سعيد بن خالد بن سعيد، ثم عزم خالد بن سعيد على المسير إلى فلسطين لينظر إلى قبر ولده، فأقسم ذو الكلاع أن يسير معه وسار معه ثلاثمائة من فتيان حمير، فلقوا قوة من الروم زهاء ستمائة راكب، فهجم عليهم خالد بن سعيد وذو الكلاع، «وقال ذو الكلاع يشجع أصحابه: يا فتيان حمير، أبواب الجنة قد فُتحت، والحور العين قد زُخرفت». وأسفرت المعركة عن مقتل ثلاثمائة وعشرين من الروم، وهرب الباقون، وعاد المسلمون بالظفر والغنائم. وفي جمادى الأولى ١٣هـ كان ذو الكلاع من قادة موقعة أجنادين، حيث جاء في فتوح الشام إنه «... كان خالد بن الوليد في قلب الجيش ومعه عمرو بن العاص، وعبد اللّه بن عمر، وقيس بن مكشوح المرادي، وذو الكلاع الحميري، ورافع بن عميرة الطائي.. وكان في الجناح الأيسر شرحبيل بن حسنة الكندي، وفي الميمنة والساقة عبد الرحمن بن أبي بكر ويزيد بن أبي سفيان.. وكانت موقعة أجنادين في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣هـ... فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي رضي اللّه عنه ومالك الأشتر النخعي، واجتمع بالمدينة تسعة آلاف فوجههم أبو بكر إلى الشام».

وفي موقعة اليرموك ـ وكما ذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة ـ «كان ذو الكلاع في يوم اليرموك على كردوس».

وقد تم تقسيم الجيش العربي الإسلامي في اليرموك إلى ٣٦ كردوساً، يضم كل كردوس ألف مقاتل، ويقود كل كرودس أمير قائد من الصحابة، وتم تقسيم الكراديس إلى ميمنة وقلب وميسرة، فكان من قادة الكراديس اليمنيين باليرموك:

«في الميمنة: شرحبيل بن حسنة الكندي على كردوس، والسّمْط بن الأسود الكندي على كردوس، وذو الكلاع الحميري على كردوس، ومعاوية بن حُديج السكوني على كردوس، وجُندب بن عمرو بن حُممة على كردوس، وعمرو على كردوس.

وفي الميسرة: حوشب ذو ظليم على كردوس، ومسروق العكي على كردوس. وفي القلب أو الميسرة: دحية بن خليفة الكلبي على كردوس، وعياض بن غَنْم الأشعري على كردوس، وامرؤ القيس بن عابس على كردوس...» وكان قيس بن مكشوح المرادي على رأس فرقة من الخيل وراء الميسرة، بينما كان خالد بن الوليد على رأس فرقة من الخيل وراء الميمنة، وكان خالد ثم أبو عبيدة بن الجراح هو القائد العام.

وجاء في أنباء موقعة اليرموك بكتاب فتوح الشام إنه: «برز علج قائد من أعلاج الروم كأنّه نخلة باسقة وعليه درع مُذْهَب وعلى رأسه بيضة مذهبة وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر، فجال ورمحه بيده، وسأل البراز، فنظر المسلمون إلى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون إليه، فقال أبو عبيدة: لا يهولنكم ما ترون من خلقته فقد رأيتم من هو عظيم خلقة ولا قلب له فمن له منكم يخرج إليه واستعينوا باللّه عليه. فخرج إليه عبد من عبيد العرب وبيده سيفه وجحفته وهو راجل، فلما أراد أن يدنو من العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميري فلما رجع، خرج ذو الكلاع وجال على العلج، وكان ذو الكلاع من أهل الشدة والبأس، فتواقعا وكل منهما رامح، فتطاعنا طعناً شديداً أشدّ من الجمر، ثم أنهما تجاذبا سيوفهما والتقيا، فضرب ذو الكلاع العلج ضربة، وضربه العلج ضربة، وكان سيف العلج قاطعاً وساعده قويًّا فقطع سيفه درقة ذي الكلاع ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة إلى عضده الأيسر فجرحته جرحاً بليغاً، فلما نظر ذو الكلاع إلى ما لحقه من العلج عطف بجواده يريد المسلمين، ونظر العلج إلى ذي الكلاع قد انعطف راجعاً فصاح بجواده ليلحقه وكان فرس ذي الكلاع سابقاً فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فأتى قومه والدم يفور من جرحه فقال لهم: يا فرسان حمير إياكم أن تتكلوا في قتالكم على السلاح ومنعته ولكن اتكلوا على اللّه عز وجل، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنّي رددت عبدي عن القتال شفقة عليه إذْ ليس معه لأمة حرب وقلتُ إنّي أفرس منه وأجود عدة فصنع بي هذا العلج ما ترون، واللّه ما لحقني قبلها في حرب مثلها قط. فشدوا جرحه وهو واقف مكانه. ثم إنه صاح بهم: يا رجال حمير إن كان سُميفعكم قد رجع كلالًا فما منكم من يأخذ بثأره؟ فانتدب فارس من فرسان حمير، وعليه صبائغ اليمن من الأبراد والحُبر، كأنّه جمرة نار، وحمل نحو العلج مصمصماً وجال جولة عظيمة وطعنه طعنةً أثبتها في صدره، فأرداه قتيلًا» [ص١٣٣/ فتوح الشام] ـ ثم تواصلت المبارزات والمعارك إلى أن تم النصر المبين في اليرموك.

ولما حاصر الجيش العربي الإسلامي الروم بمدينة دمشق استمد الروم الذين بدمشق الملك هرقل قيصر الروم وكان في حمص، فقام ذو الكلاع وفرسان حمير بدور بالغ الأهمية. قال الطبري: «بعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص... فحاصر المسلمون أهل دمشق حصاراً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق، وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث من هرقل

وقد استمدوه، وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق، وجاءت خيول هرقل مغيثة لأهل دمشق، فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع وشغلتها عن الناس فأرزوا ونزلوا بإزائه، فلما أيقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إليهم فشلوا ووهنوا»[1]. وقال ابن خلدون: «حاصر المسلمون دمشق، وبينهم وبين هرقل مدينة حمص، ومن دونها ذو الكلاع في جيش من المسلمين، وبعث هرقل المدد إلى دمشق، وكانفهم ذو الكلاع»[1] فلما أشج وهزم ذو الكلاع إمدادات هرقل ملك الروم وأيقن الروم وأهل دمشق أن المدد لا يصل إليهم فشلوا ووهنوا، وكانوا قد صمدوا ستة أشهر، فانقطع رجاؤهم بوصول المدد ومالوا إلى الاستسلام. وبذلك كان ذو الكلاع ثامن ثمانية من الصحابة القادة في عمليات فتح دمشق، فقد كان أبو عبيدة بن الجرّاح على رأس قوة عند باب الجابية، وخالد بن الوليد عند الباب الشرقي، وشرحبيل بن حسنة الكندي عند باب توما ـ شمال دمشق ـ، ويزيد بن أبي سفيان عند باب كيسان، وعمرو بن العاص عند باب الفراديس، وقيس بن مكشوح المرادي عند باب الفرج ـ جنوب شرق دمشق ـ، ورافع بن عميرة الطائي عند الباب الشرقي على عسكر الزحف، وأبو الدرداء الأنصاري على مسلحة برزة، وذو الكلاع الحميري وفرسانه بين دمشق وحمص يحاربون ويصدون مدد هرقل، فقرر الذين بدمشق الاستسلام، وطلب أسقف دمشق من أبي عبيدة بن الجراح الصلح، فاستجاب أبو عبيدة لأسقف وأهل دمشق، قال الواقدي: «... وقالوا لأبي عبيدة: قُم معنا إلى المدينة ـ أي لاستلامها ـ فقام أبو عبيدة، وركب معه ٣٥ من الصحابة، فيهم معاذ بن جبل، وأبو هريرة، وذو الكلاع الحميري، وحسان بن النعمان، وجرير بن نوفل الحميري ـ والذين تقدم ذكرهم من القادة ـ وأمثالهم من الصحابة» ـ قال البلاذري: «وكان فتح دمشق في رجب سنة ١٤هـ» ـ وذلك في خلافة عمر بن الخطاب.

ثم كان ذو الكلاع من قادة النصر على الروم في موقعة فحل سنة ١٥هـ. قال الطبري: «وانصرف أبو عبيدة وخالد من فحل إلى حمص ومضوا بذي الكلاع ومن معه ـ إلى حمص ـ وخلفوا شرحبيل بن حسنة ومن معه» [ص٦٠/ ٤] ـ وكان هرقل قيصر الروم مقيماً بمدينة حمص فلما أتته أخبار هزيمة جيوشه في فحل وغيرها خرج من حمص ومضى إلى أنطاكية ـ في رجب أو شعبان سنة ١٥هـ ـ ثم

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص٥٧/ ٤ ـ وتاريخ ابن خلدون ـ ص٦ جـ٢.

انطلق جيش من المسلمين إلى حمص، قال البلاذري: «. . . ورآهم الحمصيون وكانوا منخوبين لهرب هرقل عنهم، فأعطوا بأيديهم وهتفوا بطلب الأمان، فأمَّنَهم المسلمون، وكان على المسلمين السمط بن الأسود الكندي» [ص١٣٦] ـ وكان مع السمط ذو الكلاع الحميري والذين معه من كتائب حمير، وقبائل من كندة والسكون وغيرهم فاستقر كثير منهم في حمص. قال البلاذري: «صَالَح السمط أهل حمص، وقسم حمص خططاً بين المسلمين وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة. فلما قَدِم أبو عبيدة إلى حمص أمضى صلح السمط» [ص١٥٠] ـ وكان ذو الكلاع من القادة الذين اختطوا في حمص وكان له دار فيها، وربما كان له دار في دمشق ودار في حمص. وشهد ذو الكلاع مع أبي عبيدة فتح قلعة الرستن إلى حماه وحلب سنة ١٦هـ وبلغت الفتوح إلى أنطاكية ومنتهى بلاد الشام.

وقد استقر ذو الكلاع في حمص ودمشق، وكانت معه زوجته ضريبة بنت أبرهة بن الصباح الحميري وابنه شرحبيل بن ذي الكلاع، ويعفر وشرح إبنا ذي الكلاع، وجاء في الإصابة أنه: «لما كثر شرب الناس الخمر في خلافة عمر، كتب إلى عامله أن يأمر بطبخ كل عصير بالشام حتى يذهب ثلثاه، فقال ذو الكلاع الحميري:

رماها أمير المؤمنين بحتفها فخلانها يبكونها في المعاصر
فلا تجلدوهم واجلدوها فإنها هي العيش للباقي ومن في المقابر»

وفي أواخر سنة ١٩هـ شهد ذو الكلاع الحميري والعديد من أقيال حمير وكتائب حمير فتح مصر مع عمرو بن العاص. واستقرت بمصر عشائر من الكلاع حيث جاء في كتاب الجامع ما يلي:

«الكُلاع: بطن من ذي رُعْين الحميرية. منازلهم حمص الشام ومصر. شهدوا فتح مصر ولهم بها خطّة كانت متصلة بخطة رعين بالفسطاط» [ص٤٦٠].

وفي شهر ربيع الأول سنة ٢١هـ كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بتوجيه الصحابة والجيوش لفتح أهناس والبهنساء وصعيد مصر، فعقد عمرو بن العاص ألوية القيادة للصحابة وكان منهم ـ كما ذكر الواقدي في الفتوح ـ «المقداد بن عمرو، والزبير بن العوام، والفضل بن العباس، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعبد اللّه بن عمر بن الخطاب، وعياض بن

غَنْم الأشعري، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وأبو دجانة الأنصاري، وذو الكلاع الحميري، وعقبة بن عامر الجهني، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري، وعدي بن حاتم الطائي، ومالك الأشتر النخعي، وأصحابهم» ـ [ص١٤١/ ٢].

فانطلقوا إلى (مرج دهشور) حيث كان ذو الكلاع من قادة موقعة مرج دهشور فقد جاء في أنباء المعركة أنه: «كان في القلب مع عمرو بن العاص عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وقيس بن مكشوح، ورافع بن عميرة الطائي، والمسيب بن نجبة، وذو الكلاع الحميري، وربيعة بن العباس، ومالك الأشتر، والعباس بن مرداس، ونظائرهم من بقية الأمراء» [ص١٥١/ ٢] ـ فتم هزيمة الروم والذين معهم في مرج دهشور ثم رجع عمرو بن العاص إلى الفسطاط. قال الواقدي: «ولما فارق عمرو بن العاص الأمراء، استشار بعضهم بعضاً أي مكان يقصدون، فاتفق رأيهم أن يُسيروا ألف فارس طليعة، وعليهم قيس بن الحارث ومعه رفاعة بن زهير، وعقبة بن عامر الجهني، وذو الكلاع الحميري رضي اللّه عنهم، فساروا في وسط البلاد وبقية العساكر قريبة منهم، فمن أطاعهم وطلب الأمان أمّنُوه وصالحوه على الجزية، ومن أبَى قاتلوه، ومن أسلم تركوه.. حتى وصلوا إلى (دهشور) ونادوا في ذلك الأقليم بالأمان، وعَبَر جماعة من الصحابة والمسلمين إلى البر الشرقي وهم رفاعة بن زهير المحاربي، وعقبة بن عامر الجهني، وذو الكلاع الحميري وألف من المسلمين، فشنوا الغارات من العقبة التي هي قريب من قِبلي حلوان حتى وصلوا إلى البرنيل واطفيح ففتحوا تلك القرى والبلاد وما جاورها عنوة وصلحاً» [ص١٦١].

وفي سنة ٢٢هـ تقدم الجيش العربي الإسلامي إلى (البهنساء) وانقسموا إلى فرقتين إحداهما بقيادة عياض بن غنم الأشعري. قال الواقدي: «ولما قرب عياض من البهنساء استشار أصحابه ومنهم أبو ذر الغفاري وأبو هريرة الدوسي وسلمة بن هاشم المخزومي ومالك الأشتر وذو الكلاع الحميري رضي اللّه عنهم، وأمرهم بالنزول في الجهة الشرقية وأن يُنازلوا القلعة. وعبر الأمير عياض من الجهة البحرية ومعه أصحاب الرايات الأمراء والطليعة فأقبلوا على مدينة البهنسا.. وأما أبو ذر وأبو هريرة وذو الكلاع والأشتر فساروا حتى أخذوا جسر البهنسا» [ص١٦٩/ ٢] ـ ثم وقعت حرب شديدة بين المسلمين وبين البطليوس بطريق البهنسا والجيش الذي معه، وكانت حرب البهنسا أشد الحروب وفيها قال ذو الكلاع:

إنّي لمِنْ حِمْير العالين في النسب أهل الثناء وأهل الجُود والحسب

الحرب عادتنا، والطعن همّتنا وذو الكلاع أنا، عال على الرتب
تَبَّت يد الروم ما يدرون أنّ لنا صوارماً تترك الأعداء كالقَصبِ

وتتوجت الحرب بفتح البهنسا وكان ذو الكلاع ثالث من دخل مدينة البهنسا، وبفتحها استتب الأمر في إقليم البهنسا وصعيد مصر، ورفرفت فيها رايات الإسلام.

وفي سنة ٢٣هـ كان ذو الكلاع قد رجع من البهنسا إلى الفسطاط مع كثير من الصحابة والجيش، ثم ساروا مع عمرو بن العاص إلى مدينة مريوط قاصدين الاسكندرية، فدخلوا مدينة مريوط مع عمرو بن العاص ـ قال أبو عبد اللّه الواقدي في كتاب الفتوح قال ابن إسحاق ـ «وأقام ـ الأمراء ـ بمريوط لأجل ذي الكلاع الحميري لأنه مرض مرضاً شديداً فجلسوا عنده شهراً، فقدّر اللّه له بالوفاة فحزنوا عليه حزناً شديداً عظيماً، فقد كان ذو الكلاع ملك حمير، وكان قبل دخوله في الإسلام يركب له اثنا عشر ألف مملوك سود سوى غيرهم، قال أبو هريرة رضي اللّه عنه: ولقد رأيته بعد تلك الحشمة يمشي في المدينة وعلى كتفه جلد شاة لما قدِم من اليمن إلى الجهاد في أيام أبي بكر الصديق) ـ أي عندما شاهد ذو الكلاع ما كان عليه أبو بكر من اللباس فتزيّا بزيّه ونزع ما كان عليه من الحُلل والبُرد الموشى بالذهب والتاج ـ «فلما مات ذو الكلاع بمريوط رثاهُ ولده (شرحبيل) بما رثى به حميرُ أباه سبأ في الزمن المتقدم، وهو:

عَجِبتُ ليومك ماذا فَعَلْ وسلطانُ عزّكَ كيف انْتَقَلْ
فأسلمتَ مُلْكَك لا طائعاً وسَلّمْت للأمر لمّا نَزَلْ
فلا تبعدنَّ فكل امرئٍ سيدركه بالمنون الأجَلْ
لقد كُنتَ ـ بالأمس ـ ذا قوةٍ لك الدهر بالعزّ عانٍ وَجِلْ
بلغت من المُلْكِ أعلَى المُنَىٰ، نُقلت، وعزّك ما انتقلْ
فطحطحت بالشرق آفاقه وجُزْتَ من الغرب حرب الدولْ
وحَمّلْت عزمك ثقل الأمور فقام بها حازماً واسْتَقَلْ
فأبقيتَ مُلكك بالخافقات وليس لرأيك فيها زَلَلْ
صحبتَ الدهور فأفنيتها وما شاء سيفُك فيها فَعلْ
بَنيت قصوراً كمثل الجبال ذهبت ولم يبق إلا الطلل
وجرّدت للدهر سيف الفنا تطايرُ عن جانبيه القلل
تؤمل بالدهر أقصى المنى ولم ندر بالأمر حتى نزل

فـزالـت لـفـقـدك شُـمّ الـجـبـال ولـم يـكُ حـزنـك فـيـهـا هـبـل
كـأنّ الـذي قـد مـضـى لـم يـكـن وفـقـدك بـعـد الـفـنـا لـم يـزل
ولـلـدهـر صـرفُ (يـريـد) الـردى فـصـرّح عـن قـيـل مـا لـم يُـقِـل
نـهـارُ ولـيـلُ بـه مـسـرعـان فـهـذا مـقـيـم وهـذا رَحَـلْ»

لقد نسب اليمنيون هذه القصيدة إلى الملك حمير بن سبأ، وقال الهمداني في الإكليل: «هي أول مرثية في العرب». ولكن رثاء ذي الكلاع الحميري بهذه القصيدة يعطيها أهمية أكثر، بحيث تبدو القصيدة بمثابة وداع لكل تاريخ دولة وملوك سبأ وحمير منذ الملك سبأ بن يشجب والد حِمْيَر بن سبأ (سنة ٣٥٠٠ق.م) إلى سميفع بن يعفر ذي الكلاع آخر الملوك الحميريين، فبموت ذي الكلاع في مريوط بمصر سنة ٢٣هـ (الموافق ٦٤٣م) انتهى زمن طويل من تاريخ ملوك اليمن في دهور وعصور دولة وحضارة وملوك سبأ وحمير، وبذلك ينتهي هذا الكتاب.

والله الموفق....

محمد حسين الفرح
صنعاء في/ نوفمبر/ ٢٠٠٣م
رمضان ١٤٢٣هـ

فهرس المحتويات

الفصل العاشر

ملوك وحضارة العصر الخامس لتبابعة سبأ عصر لقب (ملك سبأ وذي رَيْدَان وحَضْرَمَوْت ويُمَانَتْ وأعرابهم طَوْدَم وتَهامَتْ)

(٥٢٠ ـ ٦٨٠ للتقويم السبئي/ ٧٠٠ ـ ٥٤٠ق.م.)

المبحث الأول: عهد أبي كرب أسعد تُبَّع المذكور في القرآن..
ملك سبأ ملك أركان الأرض الأربعة ٦٤٥
أولاً: تبيين أن أبا كرب أسعد هو تُبَّع المذكور في القرآن والأحاديث النبوية
ونصوص دين التوحيد الحنيف ٦٤٥
ثانياً: دلالة اللقب الملكي «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت
ويمانت وأعرابهم طودا وتهامت» في عصر أبي كرب أسعد ٦٥٩
ثالثاً: مساند عهد أسعد.. وأنواع الكتابة في عهده ٦٦١
الكتابة الزُبرية بالعلامات المسمارية ٦٦٣
رابعاً: فتوح أسعد لبلدان بابل وفارس وميديا وآسية الصغرى
وأرض داما ٦٦٤
خامساً: المرحلة الثانية من فتوحات أسعد (فينيقية ـ مصر ـ المغرب) ... ٦٧٦
سادساً: عودة أسعد إلى اليمن ثم وفاته ٦٨٣
المبحث الثاني: عهد حسان الأول ابن أبي كرب أسعد ملك سبأ
وذي ريدان وحضرموت ويُمانت وأعراب الطود وتهامت ٦٨٥
أولاً: خبر حسان مع الكاهنة ومع أخيه في أول عهده ٦٨٦
ثانياً: نبأ طَسْم وجدِيس وزرقاء اليمامة في عهد حسان ٦٨٧
ثالثاً: الصراع بين الملك حسان وأخيه الملك شُرحبيل...
ومقتل حسان ٦٩٢

المبحث الثالث: عهد شُرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد مُجَدِّد
سد مأرب العظيم ٦٩٤
أولاً: سد مأرب العظيم قبل شرحبيل بن أسعد ٦٩٥
ثانياً: نقش تجديد شُرحبيل بن أسعد لسد مأرب العظيم ٦٩٧
ثالثاً: نقش الملك شرحبيل عن تجديد سد مأرب ٦٩٩
رابعاً: اكتشاف كابة جيل تزن وكابة فل تزن اللتين حورهما
وجددهما الملك شرحبيل ٧٠٢
خامساً: بناء شرحبيل بن أسعد لقصر هرجم. . . ومسند القصر ٧٠٤
المبحث الرابع: عهد مرثد إلن ينوف ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت
ويمانت وأعراب الطود وتهامت ٧٠٨
أولاً: نقش مرثد إلن ينوف بالمتحف البريطاني بلندن ٧٠٩
ثانياً: نقش مرثد ألن ينوف المؤرخ بعام ٦١٤ سبئي/٦٠٦ ق.م ٧١٢
المبحث الخامس: عهد تُبَّع عمرو بن حسان (ذرا ـ أمر ـ أيمن)
الملك الذي اعتنق اليهودية ٧١٢
أولاً: ترتيب وزمن الملك ذرا أمر (عمرو بن حسان) ٧١٣
ثانياً: معاصرة ذرا أمر (عمرو بن حسان) لبُختنصَّر (نبوخذ نصر)
ونبأ (أصحاب الرس) ٧١٤
ثالثاً: غزوة تُبَّع ذرا أمر بن حسان لليهود في يثرب ٧١٦
رابعاً: فتنة اعتناق الملك ذرا أمر لليهودية ٧١٨
خامساً: مقتل الملك ذرا أمر بن حسان ٧٢١
المبحث السادس: عهد معدي كرب يعفر. . آخر ملوك سبأ التبابعة
والنبأ اليقين عن سقوط مملكة سبأ العظمى وسيل العرم في عهده ٧٢٢
أولاً: نبأ قتل (ذرا أمر/ عمرو بن حسان) وتمليك معد كرب ٧٢٣
ثانياً: نقش وتمثال معد كرب المعثور عليهما في مأرب ٧٢٤
ثالثاً: الفتنة العظمى والحروب في عهد معدي كرب بن حسان ٧٢٦
رابعاً: انهيار سد مأرب العظيم. . وكارثة سيل العرم الأول ٧٣١
قبائل سبأ التي تفرقت في سيل العرم الأول ٧٣٤

الفصل الحادي عشر

عصور الدول اليمنية القديمة الوسيطة

معين ـ قتبان ـ حضرموت ـ أوسان ـ مكربية سبأ

المبحث الأول: دَوْلَةَ مَعِينْ ٧٤١
ولكن، هل دولة معين أقدم من سبأ؟ ٧٤٢
أولاً: تبيين أن دولة تبابعة سبأ أقدم من معين وأن معين من سبأ ٧٤٣
ثانياً: سبئية المعينيين.. ومعرفة المؤرخين العرب بمعين والمعينيين ٧٤٨
ثالثاً: زمن قيام دولة معين.. ومعالم تاريخ عصرها الأول ٧٥٤
رابعاً: عصور مملكة معين ٧٦٠
خامساً: كرونولوجيا ملوك معين ٧٧٦
المبحث الثاني: دولة قتبان.. تاريخها وملوكها ٧٩٠
أولاً: تبيين سبئية قتبان.. وإن قتبان كانت جزءاً من دولة سبأ ٧٩١
ثانياً: قيام دولة قتبان ومعالم عصرها الأول ٧٩٥
ثالثاً: عصور مملكة قتبان وحضارتها الزاهراة ٧٩٦
رابعاً: عصر دولة قتبان الحميرية وملوكها ٨٠٣
خامساً: الحقبة الأخيرة لملوك قتبان ٨٠٧
المبحث الثالث: دولة أوسان الحِمْيَرِيّة ٨٠٨
أولاً: سبئية أوسان... وأن أوسان كانت جزءاً من دولة سبأ ٨٠٩
ثانياً: دولة أوسان الأولى ٨١٠
ثالثاً: دولة أوسان الثانية وملوكها ٨١٣
المبحث الرابع: دولة مكارب سبأ ٨٢٣
أولاً: العصر الأول لمكارب سبأ ٨٢٣
ثانياً: عصر مملكة سبأ الوسيطة ٨٢٦
ثالثاً: العصر التالي لدولة مكارب سبأ ٨٣٢
رابعاً: العصر الثالث لدولة مكارب سبأ ٨٣٤
خامساً: نهاية دولة مكارب سبأ وانهيار سد مأرب القديم الثاني
وهجرة الأزد ٨٣٨
المبحث الخامس: مملكة حَضْرَمَوْت... ودولة بني معاهر الحميرية ٨٤٨

أولاً: حَضْرمَوْت في عصور دولة سبأ وملوك سبأ التابعة ٨٤٩
ثانياً: عصر انضواء حضرموت في مملكة معين ٨٥٢
ثالثاً: عصر مملكة حضرموت... وملوكها الأوائل ٨٥٣
رابعاً: عصر عباهلة حضرموت.. ودولة بني معاهر الحميرية ٨٥٦
خامساً: عهد إلعزيلط الثاني ملك حضرموت..
ونصر يُهحمد بن معاهر ٨٦٥
سادساً: الفترة الأخيرة لملوك حضرموت العباهلة ودولة بني معاهر ٨٧٧

الفصل الثاني عشر
العصر الأول لدولة تبابعة حِمْيَر الاتحادية
(٣٨٠ـ ٥٦٠ حميري/ ٢٧٥ ـ ٤٤٥ ميلادي)

المبحث الأول: عهد ملشان أريم ذي يزن.. أول تبابعة الدولة الحميرية ... ٨٩٣
أولاً: توحيد اليمن بزعامة ملشان أريم ذي يزن ٨٩٤
ثانياً: اتخاذ صنعاء عاصمة للدولة الحميرية وتعلية غُمدان
في عهد ملشان ذي يزن ٨٩٩
ثالثاً: حملات توحيد تُبَّع ملشان للجزيرة العربية ٩٠٣
المبحث الثاني: عهد شرحبيل أشوع بن ملشان.. وبني ملشان ذي يزن ٩١١
المبحث الثالث: عهد عبد كُلال ذي رُعَيْن... ملك حِمْير
الذي اعتنق الديانة المسيحية ٩١٤
المبحث الرابع: عهد مَرْثَد بن عبد كُلال... معاصر ظهور أهل الكهف ... ٩٢٣
المبحث الخامس: عهد وليعة بن مرثد بن عبد كلال... وبريل ذي يزن ... ٩٣٠

الفصل الثالث عشر
تاريخ العصر الثاني لدولة تبابعة حِمْيَر الاتحادية
(٥٦٠ ـ ٦٤٠ حميري/ ٤٤٥ ـ ٥٢٥م)

المبحث الأول: عهد تُبَّع حسان الثاني بن غمران ذي غيمان الحميري ٩٣٧
المبحث الثاني: عهد تُبَّع أسعد بن حسان.. أعظم تَبَابعة الدولة الحِمْيَرية .. ٩٤٨
المبحث الثالث: عهد لحيعة يرخم ذو جَدَن.. المشهور بلقب ذي شناتر .. ٩٩٥

المبحث الرابع: عهد شرحبيل يكمل ملك حمير بن لحيعة يرخم ١٠٠٢
أولاً: نقش شرحبيل يكمل في موقع قرن أملح ١٠٠٣
ثانياً: نقش شرحبيل يكمل من موقع منهتم بالجوف ١٠٠٥
ثالثاً: الأذواء الملوك في عهد شرحبيل يكمل ١٠٠٦
المبحث الخامس: عهد سُمَيْفع الأول.. ملك حمير ١٠١٤
أولاً: نقش سميفع أشوع في موقع شِعب ينبق ١٠١٥
ثانياً: تغلغل مذهب الطبيعة الواحدة المسيحي في عهد سميفع ١٠١٨
ثالثاً: اعتناق الحارث بن عبد كلال ملك أذوائيات ظفار
وكنيسة ظفار مذهب الطبيعة الواحدة ١٠٢٠
المبحث السادس: عهد يوسف أسأر ذي نُوَاس.. ملك كل الشعوب
الملك الحميري المسيحي المتهم باليهودية ١٠٢١
أولاً: تبيين أن يوسف أسأر (ذو نواس) نجل تُبّع أسعد بن حسان ١٠٢٢
القول الصحيح في نسب ذي نواس ١٠٢٤
ثانياً: أنباء يوسف أسار ذي نواس قبل تمليكه ١٠٢٦
ثالثاً: الديانة المسيحية في نجران والانقسام المسيحي
حتى تمليك ذي نواس ١٠٢٩
رابعاً: تمليك يوسف أسأر ذي نُوَاس ١٠٣٣
خامساً: حملة ذي نواس إلى ظفار وإحراق كنيستها
وقتل الحارث بن عبد كلال والأحباش ١٠٣٧
سادساً: أحداث نجران وحقيقة ديانة ذي نواس ١٠٤١
سابعاً: من أنباء خارج اليمن في عهد ذي نواس ١٠٤٥
ثامناً: الغزو الأكسومي المسنود من الرومان لليمن
والنهاية التاريخية لذي نواس ١٠٤٩

الفصل الرابع عشر
تاريخ العصر الثالث للدولة الحميرية
(٦٤٠ـ٧٠٨ حميري/ ٥٢٥ـ٥٩٣ ميلادي)

المبحث الأول: عهد سميفع ذي الكلاع ملك حمير.. الذي قضى
على الغزو الحبشي الروماني الأول ١٠٥٥

أولاً: نقش سميفع أشوع ذي الكلاع في حصن الغراب
عن دحر الأحباش عام ٥٢٥م ١٠٥٦
ثانياً: من هو سُميفع أشوع ذو الكلاع.. ملك حِميَر؟ ١٠٦١
ثالثاً: المناطق والقبائل الرئيسية في لقب سُميفع ذي الكلاع
بنقش حصن الغراب ١٠٦٩
رابعاً: تشييد سُميفع ذي الكلاع لقلعة ماوية ومصنعة وحاظة ١٠٧٢
خامساً: نقش سميفع ذي الكلاع في متحف استنبول ١٠٧٤
سادساً: الملوك المعاصرون لسميفع ذي الكلاع ملك حِمْيَر
والأحداث ذات الصلة باليمن ١٠٧٦
سابعاً: الغزو الحبشي الأكسومي الثاني ونهاية الملك سميفع ١٠٩١
المبحث الثاني: عهد مَعْدِي كَرِب يُعفر ذي يزن.. معاصر أبرهة الأكسومي
في فترة الاحتلال الحبشي الأكسومي لمناطق من اليمن ١٠٩٢
أولاً: مَعْدِي كَرِب يعفر ذو يزن يتصدى للغزو الحبشي ١٠٩٣
ثانياً: استمرار الدولة الحميرية بزعامة معدي كرب يعفر ذي يزن ١٠٩٧
ثالثاً: مقتل أرياط وتمليك أبْرَهَة في القسم المحتل من اليمن
ورسالة معدي كرب ذي يزن ملك حمير إلى المنذر ملك الحيرة
بشأن ذلك ١٠٩٩
رابعاً: حرب معدي كرب ذي يزن وأقيال اليمن ضد أبرهة
والأحباش عام ٥٤٢م ١١٠٢
خامساً: ما بين انتهاء حرب وثورة ٥٤٢م وهلاك أبرهة ووفاة
معدي كرب ذي يزن ١١٠٥
المبحث الثالث: عهد سيف بن ذي يزن.. ملك اليمن ورأس العرب ١١١٠
أولاً: تمليك سيف بن ذي يزن في النصف الشرقي من اليمن ١١١١
ثانياً: مسير سيف إلى كسرى وعودته بالدعم الفارسي الرمزي ١١١٤
ثالثاً: حرب التحرير والقضاء على الأحباش (موقعة يوم غيمان) ١١١٧
رابعاً: وفادة عبد المطلب بن هاشم وكبار قُريش
إلى سيف بن ذي يزن بصنعاء ١١٢٢
خامساً: تبشير سيف بن ذ يزن بالنبي محمد ﷺ ١١٢٤
سادساً: عطاء سيف بن ذي يزن لعبد المطلب ووفد قريش ١١٢٩

سابعاً: وفادة أُميّة بن أبي الصَّلت إلى سيف بن ذي يزن ١١٣١
ثامناً: وفادة عَلْقَمَةُ بن زيد الخولاني إلى سيف بن ذي يزن
وقصيدته النادرة ١١٣٤
تاسعاً: الملوك الغساسنة والمناذرة الذين عاصروا سيف بن ذي يزن ... ١١٤٠
عاشراً: وفاة الملك سيف بن ذي يزن ١١٤٤
المبحث الرابع: عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن. .
ونهاية الدولة الحميرية ١١٤٥
أولاً: معالم عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ١١٤٥
ثانياً: استعانة معدي كرب بن سيف بكسرى وجَلْبه جيشاً
من الفُرس إلى اليمن ١١٤٩
ثالثاً: اغتيال معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ونهاية الدولة الحميرية ١١٥٢
رابعاً: ما بعد اغتيال معدي كرب بن سيف بن ذي يزن ١١٥٦
المبحث الخامس: عهد زُرْعَة بن سيف بن ذي يزن والأقيال الملوك
والحكم الفارسي بصنعاء إلى ظهور الإسلام ١١٥٨
أولاً: معالم عهد زرعة بن سيف بن ذي يزن والأقيال الملوك باليمن
والحكم الفارسي بصنعاء ١١٥٨
ثانياً: أقيال اليمن الملوك في عهد زُرعة بن سيف بن ذي يزن ١١٦٢
ثالثاً: النبأ اليقين عن إسلام زُرعة بن سيف بن ذي يزن وملوك اليمن .. ١١٨٧
رابعاً: خاتمة أنباء زُرعة بن سيف بن ذي يزن والحارث بن عبد كلال
وسميفع ذي الكلاع آخر ملوك حمير ١٢٠١

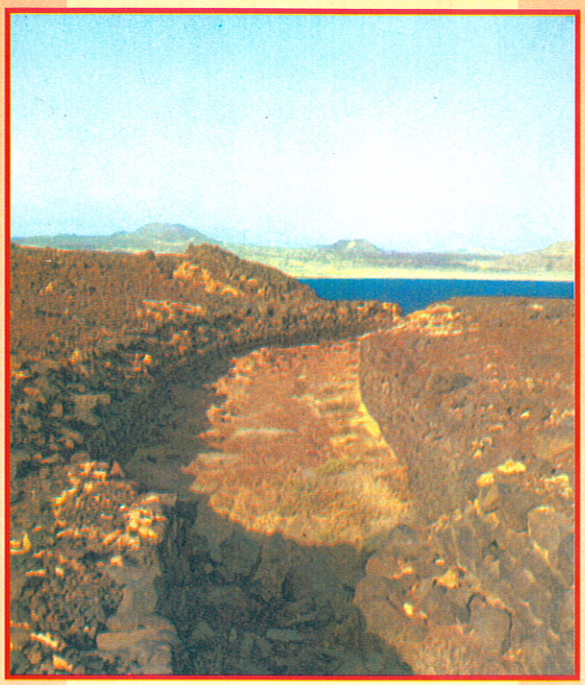

SANA'A 2004
صنعاء عاصمة للثقافة العربية 2004
Sana'a 2004 the arab cultural capital

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - الحصبة - ص.ب.: (٣٦)-(٢٣٧)

هاتف: ٢٣٥١١٤ - فاكس: ٢٣٥١١٣

بريد الكتروني moc@y.net.ye